

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ويليه

الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة

كلاهما

للقاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني

المتوفى ١٣٥٠هـ

ضبطه وصححه وراجعه

الشيخ عبد الوارث محمد علي





صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ويليه

الأساليب البديعة
في فضل الصحابة وإقناع الشيعة

كلاهما
للقاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني
المتوفى ١٣٥٠ هـ

ضبطه وصححه وراجعه
الشيخ عبد الوارث محمد علي

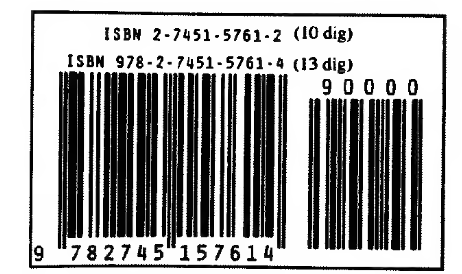


Title: Šawāhid al-ḥaqq
fī al-'istiġāṯah bisayyid al-ḫalq ﷺ
followed by: Al-'asālīb al-badī'ah
fī faḍl al-Ṣaḥābah wa'iqnā' al-Šī'ah

Author: Al-šayḫ Yūsuf ben Ismā'īl al-Nabahānī
Editor: Al-šayḫ 'Abdul-Wāriṯ Muḥammad 'Alī
Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages: 432
Year: 2007
Printed in: Lebanon
Edition: 3rd

الكتاب: شواهد الحق
في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ
ويليه: الأساليب البديعة
في فضل الصحابة وإقناع الشيعة
المؤلف: الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني
المحقق: الشيخ عبد الوارث محمد علي
الناشر: دار الكتب العلميــة - بيروت
عدد الصفحات: 432
سنة الطباعة: 2007
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الثالثة

ISBN 2-7451-5761-2 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5761-4 (13 dig)





دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان



الطبعة الثالثة
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة،
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وكل من بإحسان تلاه.

[أما بعد] فقد طلب مني حضرتا: جمال الدين أفندي الحلبي، ومحمود نصار أفندي الحلبي، نجلا صديقنا المغفور له الشيخ (مصطفى البابي الحلبي) الكتبي الشهير بمصر ـ أن أكتب لهم ترجمة مختصرة للعالم العامل محب النبي عليه الصلاة والسلام الشيخ (يوسف بن إسماعيل النبهاني) رحمه الله، فرأيت أن من الصدق والتبرؤ من الإطراء والإفراط أو التفريط في شأنه أن أصدر تعريفه بما كتبه هو بنفسه في ترجمة نفسه، إذ من المعلوم أن الشخص لا يمدح نفسه للنهي عن ذلك شرعاً، واستهجانه طبعاً فأقول:

قال المرحوم الشيخ يوسف النبهاني المذكور بعد رسالته المسماة [بالشرف المؤبد لآل محمد] ﷺ ما نصه.

ترجمة المؤلف لنفسه

نسبي ـ بلدي ـ مولدي

قال جامعه: خطر لي أن أذكر شيئاً من ترجمة حالي فأقول: أنا الفقير يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني، نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان قرية أجزم (بصيغة الأمر) الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين من البلاد المقدسة؛ وهي الآن تابعة لقضاء حيفا. من أعمال عكا في ولاية بيروت، وولدت في القرية المذكورة سنة خمس وستين بعد المائتين والألف تقريباً.

تعلمي القرآن

وقرأت القرآن على سيدي ووالدي الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ إسماعيل النبهاني وهو الآن في عشر الثمانين كامل الحواس قوي البنية جيد الصحة. مستغرق أكثر أوقاته في طاعة الله تعالى. كان ورده في كل يوم وليلة ثلث القرآن، ثم صار يختم في كل أسبوع ثلاث ختمات، والحمد لله على ذلك ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس: ٥٨].

طلبي العلم

ثم أرسلني (حفظه الله، وجزاه عني أحسن الجزاء) إلى مصر لطلب العلم. فدخلت الجامع الأزهر يوم السبت غرّة المحرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وثمانين بعد المائتين والألف، وأقمت فيه إلى رجب سنة تسع وثمانين، وفي هذه المدة أخذت ما قدره الله لي من العلوم الشرعية ووسائلها عن أساتذة الشيوخ المحققين، وجهابذة العلماء الراسخين: من لو انفرد كل واحد منهم في إقليم لكان قائد أهله إلى جنة النعيم، وكفاهم عن كل من عداه في جميع العلوم، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم.

أساتذتي

أحدهم بل أوحدهم الأستاذ العلامة المحقق، والملاذ الفهامة المدقق، شيخ المشايخ وأستاذ الأساتذة سيدي الشيخ إبراهيم السقا الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين. وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل في قراءة الدروس، حتى صار أكثر علماء العصر تلاميذه: إما بالذات أو بالواسطة، لازمت دروسه (رحمه الله) ثلاث سنوات، وقرأت عليه شرحي التحرير والمنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بحاشيتيهما للشرقاوي والبجيرمي.

إجازتي بالدروس

وقد أجازني رحمه الله بإجازة فائقة، وهي هذه بحروفها:

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها، ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها، بحسن الإنشاء وصحيح الخبر، يا من تجيز من استجازك وافر الهبات، وتجير من استجارك واعر العقبات، فيغدو موقوفاً على مطالعة الأثر: ما بين مؤتلف الفضل ومتفقه، ومختلف العدل ومفترقه، جيد الفكر، سليم الفطر، يجتنى بمنتج قياسه شريف الفوائد، ويجتنى بمبهج اقتباسه شريف الفرائد، ويحلي نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر، فإن صادفه مديد الإمداد، وصادقه مزيد الإنجاد، وصفا مشربه الهنيّ ولا كدر، ووجد درر الجواهر ويا نعم الوجادة، بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة، ولا أشر ولا بطر، فبذل المعروف وبدل المنكر. إذ ليس عنده إلا صحاح الجوهر معتنى. وما اقتنى غيرها عند ما عثر، ولا يزوّر، ولا يدلس، ويطهر، ولا يدنس، ولا يعاني الشرر، فيا من منّ على هذا المنقطع الغريب ومنحه منحة المتصل القريب: امنحني السلامة في داره، ونجني من سقر، ومنك موصول صلات صلواتك ومقطوعها، وسلسل سلسبيل تسليماتك ومجموعها، على سندنا وسيدنا محمد سيد نوع البشر، وعلى آله وأصحابه، وحملة شريعته وأحبابه، ومن اقتفى أثرهم وعلى جهاد نفسه صبر.

[أما بعد] فلما كان الإسناد مزية عالية، وخصوصية لهذه الأمة غالية، دون الأمم الخالية اعتنى

بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر، إذ الدعيّ غير المنسوب، والقصي غير المحسوب، وسليم البصيرة غير أعشى الفكر، ولما كان منهم الإمام الفاضل، والهمام الكامل، والجهبذ الأبر، اللوذعي الأريب، والألمعي الأديب: ولدنا للشيخ يوسف بن الشيخ إسماعيل النبهاني الشافعي، أيده الله بالمعارف ونصر: طلب مني إجازة ليتصل بسند سادتي سنده، ولا ينفصل عن مددهم مدده، وينتظم في سلك قد فاق غيره وبهر، فأجبته وإن لم أكن لذلك أهلاً، رجاء أن يفشو العلم وأنال من الله فضلاً وأنجو في يوم القيامة مما للكاتمين من الضرر. فقلت: أجزت ولدي المذكور بما تجوز لي روايته، أو تصح عني درايته، من كل حديث أو أثر. ومن فروع وأصول، ومنقول ومعقول، وفنون اللطائف والعبر: كما أخذته عن الأفاضل السادة، الأكابر القادة: مسددي العزائم في استخراج الدرر. منهم أستاذنا العلامة ولي الله المقرب، وملاذنا الفهامة الكبير ثعيلب بوأه الله أسنى مقر، عن شيخه الشهاب أحمد الملوي ذي التآليف المفيدة، وعن شيخه أحمد الجوهري الخالدي صاحب التصانيف الفريدة، عن شيخهما عبد الله بن سالم صاحب الثبت الذي اشتهر. ومنهم: شيخنا محمد بن محمود الجزائري، عن شيخه علي بن عبد القادر بن الأمين، عن شيخه أحمد الجوهري المذكور الموصوف بالعرفان والتمكين، عن شيخه عبد الله بن سالم الذي ذكره غبر. ومنهم: الشيخ محمد صالح النجاري، عن شيخه رفيع الدين القندهاري، عن الشريف الإدريسي عن عبد الله بن سالم راوي أحاديث الأبر. ومنهم سيدي محمد الأمير، عن والده الشيخ الأمير الكبير، عن أشياخه الذين حوى ذكرهم ثبته الشهير. ومنهم: غير هؤلاء رحم الله الجميع، ولي وللمجاز ولهم أكرم وغفر، وهؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير وجمع كثير: كالشيخ الحفني، والشيخ علي الصعيدي، وغيرهما فمسانيدهم مسانيدي، فما أكرمها من نسبة وأبر.

وقد سمع مني المجاز كتباً عديدة، معتبرة مفيدة: كالتحرير والمنهج، وفقه الله لمحاسن ما به أمر، آمين بجاه طه الأمين.

في ١٨ رجب سنة ١٢٨٩ هجرية.

الفقير إليه سبحانه
إبراهيم السقا الشافعي بالأزهر عفى عنه

وعن أشياخي المذكورين: سيدي الشيخ المعمر العلامة السيد محمد الدمنهوري الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وست وثمانين عن نحو التسعين سنة، وسيدي العلامة الشيخ إبراهيم الزرو الخليل الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين عن نحو السبعين، وسيدي العلامة الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين عن نحو الستين، وسيدي العلامة الشيخ حسن العدوي المالكي المتوفى سنة ألف مائتين وثمان وتسعين عن نحو الثمانين، وسيدي العلامة الشيخ السيد عبد الهادي نجا الإبياري المتوفى سنة ألف وثلثمائة وخمس وقد أناف على السبعين، رحمهم الله أجمعين. وجمعني بهم في مستقر رحمته بجاه سيد المرسلين. ومنهم: وحيد مصر، وفريد هذا العصر، سيدي العلامة الشيخ شمس الدين محمد الأنبابي الشافعي شيخ الجامع

الأزهر الآن، لازمت دروسه سنتين في شرح الغاية لابن قاسم والخطيب، وفي غيرهما، وسيدي العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي، وسيدي العلامة الشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي الطرابلسي شيخ رواق الشوام، وسيدي العلامة الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي شيخ رواق الحنابلة، حفظهم الله وأطال أعمارهم، وأدام النفع بعلومهم.

ولي شيوخ غيرهم: منهم من هو موجود الآن، ومنهم من دخل في خبر كان، وكلهم علماء أعلام، جزاهم الله عني خيراً وجمعني بهم في دار الكرامة والسلامة ا هـ بلفظه.

توليه القضاء

ولما نبه ذكره وعلا صيته اختير للقضاء في ولايات الشام حتى صار رئيساً لمحكمة الحقوق العليا في بيروت، ولما علت سنه أحيل على المعاش، وانقطع للعبادة وخدمة المسلمين بمؤلفاته، وجاور في مدينة الرسول ﷺ مدة طويلة.

مؤلفاته

أما مصنفاته (رحمه الله) فهي كثيرة جداً، وجلها أو كلها في الحديث ومتعلقاته: كالسيرة النبوية والمديح، وعلم الأسانيد، وتراجم أعيان علماء الأمة، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، وتدوين المدايح التي مدحه بها أو مدحه بها غيره من الأقدمين والمتأخرين، من سائر أهل المذاهب الأربعة وأكابر المحدثين. ولنذكر ما وقفت عليه من مصنفاته في الحديث وغيره: فأعظمها وأنفعها كتابه المسمى:

١ ـ [الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير] وهو كتاب جمع فيه بين الجامع الصغير، وذيله المسمى (زيادة الجامع الصغير) وقد اشتملا على أربعة عشر ألف حديث وأربعمائة وخمسين حديثاً وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات:

وما تم طبعه إلا بعد وفاة المؤلف بنحو سنة. وهو كتاب لا تستغنى عنه خزانة محدث إذ لم يوجد من المطبوعات في الحديث مرتباً على حروف المعجم اليوم أكثر منه فيما وقفت عليه، والله أعلم مع التزام تخريج كل حديث وضبطه بالشكل الكامل.

٢ ـ [منتخب الصحيحين] مضبوط بالشكل الكامل وقد اشتمل على ثلاثة آلاف وعشرة أحاديث. وقد ذيله بتعليقة سماها [قرة العين على منتخب الصحيحين].

٣ ـ [وسائل الأصول إلى شمائل الرسول] ﷺ.

٤ ـ أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ.

٥ ـ الأحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين.

٦ ـ النظم البديع في مولد الشفيع ﷺ.

٧ ـ الهمزية الألفية (طيبة الغراء) في مدح سيد الأنبياء ﷺ.

٨ ـ الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين.

٩ ـ الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين.
١٠ ـ قصيدة سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد.
١١ ـ مثال نعله الشريف ﷺ وذكر حوله كثيراً من الفوائد.
١٢ ـ حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ﷺ.
١٣ ـ سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ.
١٤ ـ السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ وهي المعشرات.
١٥ ـ خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام (سهل الله لها من يترجمها لتعميم نفعها).
١٦ ـ هادي المريد إلى طرق الأسانيد ثبته الجامع النافع.
١٧ ـ الفضائل المحمدية ترجمها بعض السادات العلوية للغة الجاوية.
١٨ ـ الورد الشافي يشتمل على الأدعية والأذكار النبوية.
١٩ ـ المزدوجة الغراء في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى.
٢٠ ـ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية وأسماء رجالها (أربع مجلدات).
٢١ ـ نجوم المهتدين في معجزاته ﷺ. والرد على أعدائه إخوان الشياطين.
٢٢ ـ إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى التي أهلكت دين المسلمين.
٢٣ ـ جامع الثناء على الله وهو يشتمل على جملة من أحزاب أكابر الأولياء.
٢٤ ـ مفرج الكروب، ويليه حزب الاستغاثات، ويليه أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل. ويليه كتاب الأسماء فيما لسيدنا محمد من الأسماء.
٢٥ ـ البرهان المسدد في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، ودليل التجار إلى أخلاق الأخيار والرحمة المهداة في فضل الصلاة، وحسن الشرعة في مشروعية صلاة الظهر بعد الجمعة. ورسالة التحذير من اتخاذ الصور والتصوير. وتنبيه الأفكار لحكمة إقبال الدنيا على الكفار وكلها طبعت في مجموعة واحدة.
٢٦ ـ سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله، قال جامعه ويلزم كل مسلم مطالعته والعمل به.
٢٧ ـ القصيدة الرائية الكبرى في مجموعة منها سعادة الأنام في اتباع دين الإسلام، ومختصر إرشاد الحيارى.
٢٨ ـ الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء.
٢٩ ـ جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ، وهو مجلدان.
٣٠ ـ تهذيب النفوس في ترتيب الدروس مختصر رياض الصالحين للنووي.
٣١ ـ إتحاف المسلم جعله خاصاً بما ذكره صاحب الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم.
٣٢ ـ جامع كرامات الأولياء، ومعه رسالة له في أسباب التأليف وهو مجلدان.
٣٣ ـ ديوان المدائح المسمى العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية.
٣٤ ـ الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ، وهو كتاب نفيس جامع.

٣٥ ـ الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات، ويليها المبشرات المنامية.
٣٦ ـ صلوات الثناء على سيد الأنبياء ﷺ.
٣٧ ـ القول الحق في مدح سيد الخلق ﷺ.
٣٨ ـ الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية.
٣٩ ـ رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنّة.
٤٠ ـ الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى.
٤١ ـ جامع الصلوات على سيد السادات.
٤٢ ـ الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ.
٤٣ ـ الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية.
٤٤ ـ صلوات الأخيار على النبي المختار ﷺ.
٤٥ ـ تفسير قرة العين من البيضاوي والجلالين.
٤٦ ـ البشائر الإيمانية في المبشرات المنامية.

وكل هذه المؤلفات مطبوعة

تعبده وزهده

أما عبادة الشيخ المؤلف، فقد شاهدت منها بالمدينة المنورة ما لا يتفق إلا لمن خرق الله له العادة من أوليائه وأصفيائه، وقد مات رحمه الله في بيروت (لبنان) في أوائل شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٥٠ هجرية، وهو على عادته في ملازمة أداء الفرائض مع كثرة النوافل، والصلاة على النبي ﷺ، وكان نور العبادة والاتباع للسنّة ظاهراً على وجهه المستنير. تقبل الله منا ومنه وحشرنا في زمرة شفيع المذنبين، رسول الله ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قاله بلسانه، وقيده ببنانه. خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين سابقاً، وبالتخصص للأزهر المعمور حالاً الفقير لرحمة ربه، محمد حبيب الله بن مايابي الجكني.

ثم اليوسفي نسباً الشنقيطي إقليماً. أماته الله على الإيمان بالمدينة المنورة. اللهم آمين.

تحريراً بمصر في غرة محرم سنة ١٣٥٢ هـ

تقاريظ الكتاب
لأصحاب الفضيلة العلماء الأعلام

ـ ١ ـ

وحين سرح نظره الكريم في صفحات هذا الكتاب قبل قدومه على دار البقاء المستطاب حضرة الأجلّ الأفخم، والعلامة الجليل الأكرم المرحوم السيد علي الببلاوي شيخ الجامع الأزهر سابقاً، لا زالت سحائب الرحمات عليه تتوالى، ومقامه في المقربين يتعالى، قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك على ما منحت من الهداية ومننت به من التوفيق لسلوك طريق التحقيق ونتوسل إليك بنبيك المصطفى وحبيبك المرتضى أن تؤلف بين قلوب عبادك المؤمنين حتى يقوموا بخدمتك ويكونوا يداً واحدة على من خالفهم، ينصرون الحق ويدعون إليه، لا تأخذهم في الله لومة لائم إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، هذا وقد منّ من بيده الخير والهداية إلى طريق الرشاد باطلاعي على هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون وسيلة لمؤلفه الأستاذ الفاضل العلامة يوسف أفندي النبهاني في بلوغ الدرجات العالية والمنازل الرفيعة ﴿يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه﴾ [آل عمران: ١٠٦] فإنه على ما أرى أحسن ما ألف في هذا الموضوع الذي كثر النزاع والتخاصم فيه في هذه الأيام فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء، وأكثر من أمثاله إنه سميع الدعاء.

الإمضاء
الفقير إلى الله تعالى
علي محمد البيلاوي المالكي

- ٢ -

وحين اطلع على هذا الكتاب العلامة الكامل والفهامة الفاضل شيخ مشايخ الحنفية ومفتي الديار المصرية سابقاً المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي قدس الله أسراره وحباه قربه، وأجزل أنواره مدحه بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لملهم الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله والأصحاب والتابعين لهم إلى يوم المآب.

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب المسمى «بشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ» لمؤلفه العلامة الهمام الشيخ يوسف النبهاني فإذا هو عين الصواب مؤيداً بالسنة والكتاب دلائله معضدة وبراهينه مشيدة، فيجب الاستظلال بظله الظليل، ويكون حقاً عليه التعويل لأنه الحق الذي يرجع إليه، فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء، ووفقه لما يحب ويرضاه بجاه من هو للأنبياء ختام، عليه الصلاة والسلام.

في يوم ١٠ شعبان سنة ١٣٢٣ هـ.

الإمضاء
الفقير إلى الله تعالى
عبد القادر الرافعي
بالأزهر

- ٣ -

وقد أمعن النظر، وحقق أمر هذا الكتاب وسبر، محقق هذا العصر، والعلم الذي يشار إليه في هذا المصر، شيخ الإسلام ومحط نظر الأنام، شيخ الجامع الأزهر حالاً. فعندما أراق منه بالأ، قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا بكتابه العزيز الحكيم. إلى القسطاس القويم والصراط المستقيم. وأنقذنا بنبيه الكريم الأمين من عماية العمين وغواية الغاوين. وضلالة الضالين وإضلال المضلين، والصلاة والسلام على النور المبين، والصراط المستقيم المستبين، بابه الذي منه عليه يدخل، والوسيلة إليه الذي بغيره إليه لا يتوسل. وعلى آله وصحبه قدوة المقتدين وصفوة المهتدين ما سلك سالك مسلك الصواب ونطق ناطق بالحكمة وفصل الخطاب.

أما بعد: فقد وقفت على كتاب «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» لمؤلفه العالم العامل الفيصل الكامل الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق ببيروت بلغه الله الأماني فإذا هو شاهد عدل آتٍ بالقول الحق والكلام الفصل جدير بأن يوسم كما وسمه مؤلفه بشواهد الحق حجة قائمة على طائفة الضالين المضلين صارم في نحر المبتدعة الملحدين تحيا به السنة وتموت به البدعة. جزى الله مؤلفه جزيل الجزاء وجميل الثناء وأحسن إليه وإلينا يوم يقوم الناس لرب العالمين لفصل القضاء آمين آمين.

الإمضاء
عبد الرحمن الشربيني

- ٤ -

وقد وقع هذا الكتاب موقع الاستحسان وحاز موضع الإعجاب والامتنان من حضرة الأستاذ المكرم والعلامة الأفخم أعجوبة الزمان ومرجع الأمة في مذهب النعمان صاحب الفضيلة الشيخ بكري الصدفي مفتي الديار المصرية، ورأس السادة الحنفية أمد الله في وجوده وجعله مقراً لبره وجوده فقال في تقريظه.

(يا فتاح)
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على إمام الموحدين. الواسطة العظمى وباب الله الأعز الأسمى وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه.

وبعد: فهذا المؤلف جليل المقدار، كثير الأسرار حلت للشاربين مشاربه وعلت في نظر الطالبين مطالبه:

هـذي مـشـاهـدتي فـيـما تـضـمـنـه مـن الـبـيـان ولـيس الخـبر كـالخـبر

فجزى الله مؤلفه خيراً وأجزل له من إحسانه أجراً وأمدنا جميعاً بمدد سر الوجود وإمام كل موجود، صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى من انتمى بالتوسل بجاهه إليه آمين.

كتبه الفقير
بكري محمد عاشور الصدفي

ـ ٥ ـ

وحين اطلع على هذا السفر الكريم والعقد النظيم حضرة العلامة شمس بهجة الفضلاء ودرة عقد ذوي التحقيق النبلاء: الأستاذ الفاضل والفهامة الكامل الشيخ محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني الحسني من أجلاء علماء المغرب الأقصى متع الله الأنام بوجوده وأعاد علينا من نفحاته وجوده قرظه فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين. الحمد لله الغني القريب الأقرب العلي الأعلى الجامع بالذات بين الكمالات المتقابلات، وله سبحانه الحمد في الآخرة والأولى، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله العبد المبعوث بالكلمة الجامعة لمراتب التوحيد: لا إله إلا الله المؤيد بتأييد ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] المقرب بتقريب ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ [الفتح: ١٠] وعلى آله الأطهار، وأصحابه، الأبرار، ومن تبعهم بإحسان من السابقين واللاحقين.

أما بعد: فقد أوقفني مولانا الشهم الهمام، البطل القمقام، جامع المحاسن، ما هو منها غير آسن، صاحب الهمم السنية، والمكارم العلية، سعادة العالم الفاضل الشهير «السيد أحمد بك بن السيد أحمد بن يوسف الحسيني» على الكتاب الكريم والأنموذج الفخيم. الجامع للمتفرقات. الحاوي للفرائد السابقات الذي هو من آثار أفكار مولانا العالم الفاضل الأستاذ الكامل خادم السنة النبوية في هذا العصر، وجامع محاسن دورها بلا تقييد ولا حصر، كشاف مدركات الفضائل وعنوان غاية منحى الأماثل فضيلة الأستاذ الشيخ «يوسف ابن الشيخ إسماعيل النبهاني» وقي بفضل الله تعالى كل ما يعاني، وبقي كل يوم من هذه الخدمة الشريفة داني، فإذا هو موشح بفرائد المسائل، وغرر الوسائل؛ متدرع بتحقيق مناطات، والفحص عن مدارك أصول وبقر مشكلات، وكشف كثير من المخبآت جمع من الدرر أعلاها، ومن الفوائد أنفعها وأسماها، واستوفى ما يلزمه من المطالب التي لا يستغنى عنها راغب معرفة الحق وله طالب، فأرى تحصيله على كل المسلمين متعين، خصوصاً من لم يتضح له قبل سلوك طريق الصواب ولا له بين.

فإني أرى هذه الضلالات وما يتبعها من الشناعات التي كان أول مذيع لها وموضح لظلامها الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وعفا عنه قد كادت الآن أن تشيع، وفي كل بلاد أهل السنّة

تذيع. وقد بين من سلف من الأئمة ومن وفقه الله تعالى لطريق الحق حتى بالناس أمه فاسد توهماته الراكدة حتى يرتدع الجهلة ويرجعوا، وبإرشاد النصحاء ينتفعوا، كالإمام أبي عبد الله بن عرفة في تفسيره، والبرزلي في الجامع مع نوازله، كلاهما من أئمة المالكية المشاهير.

قال العالم الفاضل المتفوق الشيخ محمد البرلسي الأنصاري الرشيدي المالكي في كتاب «إتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان» في الباب الأول منه ما نصه بعد كلام وقد تجاسر ابن تيمية عامله الله بعدله وادعى أن السفر لزيارة النبي ﷺ محرم بالإجماع، وأن الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به، وأن سائر الأحاديث الواردة في فضل الزيارة موضوعة، وأطال في ذلك بما تمجه الأسماع، وتنفر منه الطباع، وقد عاد شؤم كلامه عليه حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المستحق لكل كمال أنفس وحاول ما ينافي العظمة والكمال بإدعائه الجهة والتجسيم، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره بين الأصاغر والأكابر وخالف الأئمة في مسائل كثيرة، واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة، فسقط من عين أعيان علماء الأمة، وصار مثلة بين العوام فضلاً عن الأئمة، وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته، وبينوا قبائح أوهامه وغلطاته، حتى لقد قال في حقه العز ابن جماعة: إن هو إلا عبد أضله الله وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وقال في حقه المحقق التيمي: من هو ابن تيمية؟ حتى ينظر إليه، أو يعول في شيء من أمور الدين عليه، وقيض الله له الإمام المجمع على علمه وجلالته، المتفق على صلاحه وديانته، المجتهد المحقق، الجهبذ المدقق، التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه فألف في الرد عليه كتاباً حقه أن يكتب على صفحات القلوب أفاد فيه وأجاد، وأبدى من الحجج الواضحة ما يثلج الفؤاد، فجزاه الله عن الإسلام خيراً والعجب كل العجب أن بعض سذجاء الحنابلة انتصر لابن تيمية بما لم ينل به نائل، وما ليس تحته طائل ورد على التقي السبكي بما دل على جهله وقبيح غباوته وعدم فضله، فليته إذا تجاسر خاف الله وراقبه، ونظر حين كتب ما أقبح معايبه، ولكن إذا استحكم المقت انطمست عين البصيرة الخ. ثم قال بعد بسط ما وقع من النكبات لابن تيمية من المعاصرين له بأتم بسط، وهذا كله من سوء جرأته على الجناب الرفيع، وتهجمه على النبي الشفيع، وقوله: إن السفر لزيارته محرم بالإجماع الخ، وقال في محل آخر أيضاً: وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي وأتى بالخرافات التي لم يقلها عالم قبله وصار بها بين علماء الإسلام مثله، فأنكر الاستغاثة والتوسل بالنبي ﷺ، وليس الأمر كما افتراه، بل التوسل به ﷺ مستحسن قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد موته الخ، فمسئلة التجسيم التي أشار لها الفاضل البرلسي الرشيدي هي من أشنع القبائح وأسوأ المرابح، والقول بكذبها عليه لا يسلم، لأن ابن تيمية عفا الله تعالى عنه كان يصرح بذلك على رؤوس الأشهاد في كل ناد، وقد حضره مرة وهو يصرح بهذه البليات لمن حضر رحالة الأفاق ابن بطوطة في تحفة النظار. قال حضرته يوم الجمعة بدمشق وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة قوله أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر إلى آخر ما حكاه عند ذكره أحوال دمشق والشام إلا أن يكون رجع عن ذلك ضمن المجلس الذي عقد بامتحانه، وإلا فلا زالت هذه العقيدة في أصحابه، أفلا تنظرون إلى أخص تلاميذه ابن القيم الجوزية وتشنيعه على أهل السنّة والأشاعرة خصوصاً حتى بعبارة سوء فقال؛ إنهم

تكلفوا في كلام الله تعالى ورسوله وتنطعوا في فهمه ولم يتلقوه بالقول كما فعل من أخلص إيمانه من السلف الصالح حتى وقعوا فيما وقع فيه من قبلنا من الأمم من تنطعهم على أنبيائهم. قال: فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع فاليهود أمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حنطة فزادوا النون تنطعاً وتقولاً على الله ما لم يقله، والأشعرية كذلك قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] فتنطعوا وقالوا استولى فزادوا اللام تنطعاً، ولقد أساء سامحه الله الخطاب، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب، فإن الأشعرية لم يجحدوا استوى ولم يمتنعوا من قوله، بل قالوا استوى وبه يقرؤون ويتقربون إلى الله تعالى، ولكن بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر فيه محال على الله، فقال: معنى استوى استولى لورود اللفظين معاً في لغة العرب بمعنى واحد كقوله:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت الفريقين فيما وقعوا فيه، وإلا فالكل على هدى إن شاء الله تعالى على ما يظهر، وقلّ أن ترى أحداً من أهل هذه النحل الفاسدة والمذاهب العاطلة الكاسدة إلا ورأس ما يحتجون به أحاديث واهية، تشيعها أوهام تهوي بهم في الهاوية، مع رد الصحيح المتصل الإسناد، وجهرهم بأن ليس عليه الاعتماد، ورأس هذه الطريقة الشخص الذي يقال له ابن تيمية فإنه كم جزم بوضع الصحيح وتصحيح الباطل يعلم ذلك من خالط كتبه خصوصاً هذه المطبوعات الأخيرة: كمنهاج السنّة، بل ربما يزيد على هذا أن يدعي في كثير من الأحاديث المختلف في وضعها والضعيفة المتفق على ضعفها الاتفاق وهكذا، وقد نبه على هذه الخصال الشنيعة نقاد الحديث، في القديم والحديث. قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: طالعت الرد المذكور؛ أي «منهاج السنّة» فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء: لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر الحلي، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات الواهية، ولكن رد في رده كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة تصنيفه مظانها الثابتة، كان لاتساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره والإنسان عائد للنسيان اهـ. وقال السيوطي في «الدرر المنتثرة» لما تكلم على حديث «لما خلق الله العقل قال: أقبل فأقبل» الخ، وذكر قول من قال إنه موضوع قلت بالغ الزركشي وابن تيمية وقد وجدت له أصلاً صالحاً أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد اهـ. وقال الحافظ ابن حجر أيضاً في ترجمة الحلي من كتابه «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» له كتاب في الإمامة رد عليه ابن تيمية بالكتاب المشهور المسمى بالرد على الرافضي، وقد أطنب فيه وأجاد في الرد إلا أنه تحامل في مواضع عديدة ورد أحاديث موجودة وإن كانت ضعيفة اهـ، والحمد لله الذي يوفق أهل العلم لرد أمثال هذه الشناعات في كل وقت وحين أينما ظهرت وحلت وشاعت وذاعت وهم أقوام وفقهم الله تعالى وأجلّ مقدارهم، ورفع في العالمين منارهم، وبالمثال يتضح الحال.

هذه القولة الوهابية لما بلغت آذان أهل المغرب الأقصى ارتعدت منها فرائصهم، واشتعلت بأنوار الإيمان أفئدتهم وقلوبهم فنصروا الإسلام بقواعده، وأغاثوا الدين بموائده: منهم خاتمة المحققين، وحامل راية المدققين أعجوبة الزمن في الحفظ والتحصيل والإتقان أبو عبد الله الطيب بن

عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي المتوفى سنة سبع وعشرين بعد المائتين وألف، ردّ عليهم في عدة رسائل صغار وكبار هي موجودة الآن بأيدينا. ومنهم العلامة الماهر النظار صاحب المؤلفات العديدة الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد السلام بن محمد بن أحمد البناني من تلاميذ الشيخ المذكور قبله، له الفتوحات الوهابية في الرد على الطائفة الوهابية، وغير هؤلاء من المشاهير، وفي هذه الأعصار ألف تأليفاً في الباب خالنا وشيخنا فقيه المغرب على الإطلاق، وصالح علمائه بالاتفاق، الشيخ المعمر أبو المكارم مولانا جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني الحسني الإدريسي المتوفى حادي وعشري شعبان الأبرك سنة ١٣٢٣ بفاس حرسها الله، سماه «الفجر الصادق المشرق المقلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق» فالله تعالى يقوي منار الإسلام والمسلمين، ويعلي ذكر أهل السنّة خصوصاً في العالمين، وينفع بالشيخ النبهاني مؤلف هذا الكتاب الوحيد على الدوام، ويحسن لجميعنا الختام.

حرره عاجلاً خاجلاً على قدم سفر الفقير الحقير، خادم الحديث والإسناد: محمد عبد الحي ابن الشيخ عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي ثم الفاسي الحالي وقته بمصر القاهرة ليلة الجمعة سادس عشر شوال من سنة ١٣٢٣ هـ كمل الله تعالى بخير آمين.

— ٦ —

وقد قرظه أيضاً حضرة الحسيب النسيب الحائز من دراري المجد أو في نصيب ذي الكمال الزاهر والعلم الوافر، من أضاءت في سماء الفضل شمس علاه، وتحلت بسنا أفهامه العقول والشفاه، السيد أحمد بك الحسيني الشافعي المحامي الشهير، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أقام على الحق من العوالم شواهد لوامع، وشكر المن أفاض على الإنسان بالعلم والبيان جزيل المواهب وضخم الدسائع، وصلاة وسلاماً على العلم الفرد مولانا وسيدنا محمد البشير النذير السراج المنير أعظم الوسائط بين العبد وربه، وأكرم الشفعاء يوم الفزع الأكبر في كشف هوله وتفريج كربه، وعلى آله المتأدبين بأدبه، وأصحابه المعتصمين بسببه، ما خطت يد بقلم، وخطت إلى مقصد قدم.

أما بعد: فكم الله من نعم سابغة، هي حجج علينا بالغة لا يمكن حصرها ولا يستطاع شكرها وأجلّ نعمة على المرء العقل والأدب اللذان بهما صلاح دينه ودنياه وقيامه بما وجب:

ما وهب الله لامرىء هبة   أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا   فإن فقد الحياة أجمل به

وبينما أنا جالس ذات يوم في منزلي بين القوم أقلب النظر وأروض جماح الخاطر فيما ضمنته من الكتب الخزائن والقماطر، ورد عليّ أحد الأحباب وفي يده ملازم حديث طبعها من كتاب فتناولتها منه باليمين، وقرأت عنوان الكتاب فإذا هو بحاجتي ضمين، وعنوان الشيء كما قيل عليه دليل: سماه

«شواهد الحق: في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ» مؤلفه الإمام الهمام الأمثل الفيصل، الذي إذا عدت فضلاء العصر كان هو الأول، حضرة الأديب الأريب: الشيخ «يوسف بن إسماعيل النبهاني» رئيس محكمة الحقوق في بيروت الآن، وفقه الله لإحياء الحق وإماتة الباطل وأعانه؛ وأخدم الحكمة والصواب جنانه وبيانه وبنانه.

قام حفظه الله في هذا الكتاب بما يجب على العلماء: من تخطئة من أخطأ وتصويب من أصاب، ودفع في صدور قوم ضلت أحلامهم وزلت أقدامهم، فسووا بين خواص الناس وعوامهم في القبور، ورأوا أن المستغيث بالنبي في قبره مأزور غير مأجور، فقام في وجوههم هذا المفضال وجادلهم أحسن الجدال، وناضل عن حكم الشرع أشد النضال، والحق يقال، وما بعد الحق إلا الضلال، وكذلك يكون العلماء، فجزاه الله عن أمة محمد ﷺ أحسن الجزاء، وأكثر الله من أمثاله في علماء الإسلام ورجاله حتى يذودوا عن حوض الدين أذى المبطلين، وقذى الملحدين:

كتاب حوى علماً كثيراً وحكمة ... تجلت لأرباب البصائر ساطعه
وقفت على أبوابه أبتغي الحبا ... ونفس الفتى في مغنم العلم طامعه
وجدت به الحق المبين مؤيدا ... بأوضح برهان حكى الشمس شائعه
فقلت لمن هذا الصنيع فقيل لي ... ليوسف مولانا فوجدت صانعه
وناديته لما اهتديت مؤرخا ... أقمتم على الحق الشواهد لامعه
سنة ١٣٢٣ ... ٥٨١ ١١٠ ١٣٩ ٣٤٧ ١٤٦

الإمضاء
أحمد الحسيني

— ٧ —

وقد قرظه حضرة العلامة الكبير، والفهامة الشهير: سحبان الزمان؛ ومعدن الفضل والعرفان الشيخ «سليمان العبد» حفظه الله وأدام علاه بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا من سيرت كواكب شواهد الحق، في سموات الفضل مضيئة يصدق الاستغاثة بسيد الخلق، وصلاة وسلاماً على الوسيلة العظمى، وصاحب الشفاعة الكبرى: سيدنا محمد وآله الأطهار، وأصحابه الأبرار.

وبعد: فإني كنت أرتع في رياض معارف مؤلفات علماء الشام، وأكرع من نمير فيض نهلات فضائله الأعلام، إذ هبت عليّ نفحة عنبرية، وسمعت نغمة ورقية، فقلت ما هذا الصوت المطرب، وما هذا النفس الطيب، فقيل لي هذا «كتاب شواهد الحق: في الاستغاثة بسيد الخلق» حملته نسائم الشمال، من روض معارف السيد المفضال، حضرة العلامة: الشيخ «يوسف بن إسماعيل النبهاني» الذي هو غرة زاهرة في جبين هذا الدهر، وحسنة من حسنات هذا العصر، فهو في كل أوان يبدي

من غرائب البدائع، ما رق وراق في أحسن القوالب وألطف الصنائع، فلم يسعني إلا أن أقتبس من مشكاة تلك الشواهد نورها الزاهي، وأستعين على ما رمت منها بما حوته من الفتح الإلهي، وحين رتعت في رياض شواهد الحق الفائقة، واستغثت بسيد الخلق في أن ينفعني بعلومها الصافية الرائقة. قلت فماذا أقول في إمام ملأ من المعارف حوضه، وبحر علم لم تستطع سفن الأفكار خوضه، فهو جدير بقول من قال:

أوصافه الغرّ لما رمت أنظمها تزاحمت إذ غدت في الذهن تزدحم
فما يخلص من فرط الزحام إلى سلك النظام سوى ما حرر القلم

أكثر الله تعالى من أمثاله وأدام في الأنام كامل إفضاله.

كتبه
سليمان العبد
الشبراوي بلدا الشافعي مذهبا الأزهري إقامة عفي عنه

- ٨ -

وقد قرظه أيضاً حضرة العلامة اللوذعي الفهامة: معدن الكمال وإنسان عين الفضل والجلال: الشيخ «أحمد حسنين البولاقي» أحد علماء السادة الشافعية بالأزهر، حفظه الله وأدام علاه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق لإقامة دينه من اصطفاه من العلماء الأعلام، وأقدرهم على إقامة الحجج ونصب البراهين على من خالفهم من الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق، فقام بذلك أحسن قيام، وعلى آله وأصحابه الذين اقتدوا به في كل حال ومقام.

أما بعد: فإني اطلعت على الكتاب المسمى بـ «شواهد الحق: في الاستغاثة بسيد الخلق» صلى الله عليه وآله وسلم، وشرف وكرّم: الذي ألفه العلامة الفاضل، الجهبذ الكامل، الشيخ «يوسف النبهاني» فوجدته كتاباً وحيداً في بابه، قد استقصى فيه مؤلفه الأدلة في ذلك، جزاه الله الجزاء الجميل، وأثابه الثواب الجزيل.

كتبه الفقير
أحمد حسنين البولاقي
الشافعي بالأزهر عفي عنه

- ١١ -

وقد قرظه أيضاً حضرة العلامة الفاضل والملاذ الكامل: الشيخ «أحمد البسيوني» شيخ السادة الحنابلة بالأزهر، دامت مسراته وصفت أوقاته، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وحق لي أن أحمد، وأصلي وأسلم على نبيه أحمد: الذي أرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فأتم به على من اتبع سبيله منهم نعمته السابغة، وأقام به على من خالف منهجه الحنيف حجته البالغة، وأنزل عليه في محكم الآيات من كتابه المصون ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [النمل: ١٩] فخص بالهداية من شاء فقبلها وتلقاها من الجوارح باليمين، وقال من صميم قلبه شاكراً على تلك النعمة لرب العالمين ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [الأنعام: ١٥٣] فهذا من فضله وعطائه، ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ [الإسراء: ٢٠] ولا فضله بممنون. وردها ولم يقبلها بقضائه من غلبت عليه الشقاوة فـ ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وآله وأصحابه السالكين سبيل الرشاد، ومن تمسك بحججهم الباهرة إلى يوم المعاد.

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب المسمى بـ «شواهد الحق: في الرد على من أنكر التوسل بسيد الخلق» ﷺ وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم على المنهج الحنيف من صفوته وأحبابه، فوجدته متوشحاً بوشاح الأدلة الشرعية، ناطقاً بصحيح العقيدة السنية، قاطعاً لبدع المخالفين: ﴿الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم: ٣٢] جعلوا التعصب للبدع ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وتبعهم خلق كثير على ذلك، وعما قريب سيعلمون الناجي من الهالك ﴿وقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف: ٢٣] وهم بمعزل عما ينبغي لنا ولهم أتباعه من الصواب، ولسان حال الرد من هذا الكتاب يتلو عليهم ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ [النساء: ١٢٣] بالله إنه في بابه: هو العقد الفريد، ولم ينسج في هذا العصر ناسج على منواله من الأحرار والعبيد، وكيف لا وهو حديقة للناظرين، والصارم المنكي لشبه المخالفين: شاهد عدل لمؤلفه بالفضل بين أمثاله وأقرانه، ناطق بفصيح العبارة بعلو قدره بين أهل عصره وزمانه، وإن القول بالتوسل بسيد الخلق هو المذهب القويم الأحمد، خصوصاً وأنه موافق لمذهب أروع الأئمة إمامنا: الإمام أحمد، فهو الجدير بأن تفتخر به أقطاره الشامية، وتقوم على منبر الشكر له على هذا الصنيع ديارنا المصرية، والعالم الورع الفرد بلا ثاني، الأستاذ الفاضل: الشيخ «يوسف النبهاني» وفقنا الله وإياه في جميع الأقوال والأفعال للصواب، وجعلنا وإياه ممن تمسك بصحيح السنة مع الكتاب ما تلا تال ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [صٓ: ٢٠] قاله بلسانه ورسمه ببنانه، خادم السادة الحنابلة بالأزهر.

الإمضاء
أحمد البسيوني الحنبلي

وقد تشارك في تقريظه أيضاً درتا عقد جيد الزمان؛ وفرقدا سماء الفضل في هذا الأوان العلامة

الشيخ «سعيد الموجي» والعلامة الشيخ «محمد الحلبي» الشافعيان، أدام الله كمالهما وأعلى في الدارين قدرهما، فقالا:

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع البدائع وموسع الصنائع، ومجيب كل منيب إليه خاشع، ومنيب كل متحبب إليه طائع، أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل حي حلماً، ووضع لكل أمر حكماً، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة. وعلمنا مما لم نكن نعلم ظاهر الأمر وباطنه. أحمده على آلائه المرسلة، وأشكره على نعمائه المسلسلة؛ والصلاة والسلام على الغيث الهامع. الغوث الفرد الجامع البرهان الساطع الفرقان القاطع، عين الرحمة ﷺالمرسلة سر الحكمة المنزلة. أرسله داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق، فبلغ الرسالة ونصح في الدلالة وأوضح المقالة، خلاصة العالم سيد ولد آدم الفاتح الخاتم أبي القاسم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وعلى آله وصحبه قدوة المقتدين صفوة المهتدين أئمة المتقين. ما قام للدين عمود واخضر للإيمان عود.

أما بعد: فقد وقفت على الكتاب الذي هو حسنة من حسنات الدهر، وشجنة من شجن فضل هذا العصر، الذي بدر بدره، بالشام وتم نوره بمطلع طالع طبعه السعيد بمصر فإذا هو الكتاب المبين، والصراط المستقيم المستبين، الحسن الجميل الغني بفضله عن التفضيل، الجدير بأن يوسم كما وسمه الحقيق بأن يعلم كما أعلمه. وما أعلمه ناظم عقده ومحكم عقده ورافع قواعده وواضع معاقده الفاضل العلامة الجهبذ الفهامة السيد الجليل النبيه النبيل اللوذعي الأديب الألمعي الأريب الخطير الخطيب العزيز المهيب الشيخ «يوسف بن إسماعيل النبهاني» رئيس محكمة الحقوق ببيروت حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من طاغية الطاغين وطغام الظالمين بـ «شواهد الحق: في الاستغاثة بسيد الخلق» ذلك الكتاب الذي فوق له سهم المرتاد ووقف عليه السمع والبصر والفؤاد، حبر فحرر وأجوز فأعجز وأطال فأطاب وأورد الكلم الطيب وفصل الخطاب، أقام فيه البرهان على من ضلت أحلامهم وزلت أقدامهم، واتبعوا أهواءهم وشايعوا آراءهم ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠] ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [النجم: ٢٣] ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [غافر: ٣٣] ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ [الزمر: ٣٧] لا فضل لهم شامخ ولا قدم لهم راسخ، ادعوا أن الرسل والأنبياء وباقي الناس بعد الممات سواء لا يجيبون الداعي ولا يغيثون المستغيث، ولا يسمعون النداء ﴿أموات غير أحياء﴾ [النحل: ٢١] وأنكروا الاستغاثة بهم في الأزمنة وقالوا لو كان على ذلك صدر الأمة. دعوى كاسدة باطلة، وعقيدة فاسدة عاطلة كاذبة داحضة، ليس لها حجة ناهضة نعوذ الله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهدى، ومن السلب بعد العطاء، ونحمده أن نصر الحق بأهله المستظلين بظله المتمسكين بحبله. وأيم الله لمؤلف

هذا الكتاب من أبعد الناس من الهوى وأقولهم للحق وأعملهم بالقسط لا يخاف في الله لومة لائم ولا مصارمة قائم، قطع بكتابه هذا الألسنة المبتدعة وأحيا به السنة وأمات به البدعة، فطلع الحق الأبيض الأبلج وغاب الباطل الأسود اللجلج، أعلى الله كعبه ووصل بسببه سببه وأكثر من مثله في أئمة الدين الصادعين بالحق القائمين به إلى يوم الدين، وعامله بجزيل الجزاء وقابله بحسن اللقاء وجميل الثناء في الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لفصل القضاء:

عليك سلام الله يوسف كلما ... تأرج طيب واستهلّ خطيب
ولا زلت سابقا إلى ذروة العلى ... تلبي نداء المجتدي وتجيب
ولا زلت حراساً لشرع محمد ... تحوط حماه إن ألمّ عصيب
فلِلّه ما أهدى ولله ما هدى ... ولِلّه سفر للصواب مصيب
جزاه إله العرش من خير ما جزى ... وأمتعه ما قام ثم عسيب

قال ذلك وكتبه عبد الله الفقير إليه المتوكل عليه «السعيد بن علي الموجي» المصري الغرقي الشافعي و «محمد الحلبي» الشافعي المصري الأزهريان، غفر الله حوبتهما وأجزل مثوبتهما آمين.

ليلة الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣٢٣ هـ.

ترجمة كمال الدين الزملكاني

فائدة: كمال الدين الزملكاني هو من أئمة الشافعية، وقد ذكره ابن الوردي في تاريخه وأثنى عليه كثيراً، وترجمه الكتبي في ذيل ابن خلكان بترجمة فائقة، فمما قاله فيها محمد بن علي بن عبد الواحد الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام كمال الدين بن الزملكاني الأنصاري الدمشقي كبير الشافعية في عصره ولد في شوال سنة ٦٦٧ هـ. وطلب الحديث وأقره. وكان فصيحاً متشرعاً، وكان بصيراً بالمذهب وأصوله قويّ العربية قد أتقنها، وكان ذكياً صحيح الذهن صاحب الفكرة: وأفتى وله نيف وعشرون سنة، وكان يضرب بذكائه المثل وكان شكله حسناً وشيبته منورة بنور الإسلام وعقيدته صحيحة متمكنة أشعرية وفضائله عديدة.

صنف أشياء: منها رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيمية في مسئلة الطلاق، ورسالة في الرد عليه في مسئلة الزيارة. أقام وهو قاضي القضاة بحلب أكثر من سنتين، ثم إن السلطان طلبه من حلب إلى مصر ليوليه قضاء دمشق، وفرح الناس بذلك فمرض في الطريق وأدركه الأجل في (بلبيس) في ستة عشر رمضان سنة ٧٢٧ هـ. وذكر له قصيدة بليغة في مدح النبي ﷺ ذكرتها في «المجموعة النبهانية» ومنها في الرد على ابن تيمية وشيعته المانعين الاستغاثة بالنبي ﷺ قوله الآتي في هذا الكتاب بصفحة ٢٦٣ يخاطب النبي ﷺ:

يا صاحب الجاه عند الله خالقه ... ما ردّ جاهك إلا كلّ أفاك
أنت الوجيه على الرغم العدا أبدا ... أنت الشفيع لفتاك ونساك
يا فرقة الزيغ لا لقيت صالحة ... ولا شفي الله يوماً قلب مرضاك
ولا حظيت بجاه المصطفى أبدا ... ومن أعانك في الدنيا ووالاك

الخ....

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
[المؤمنون: ٧٣] قرآن كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مغيث المستغيثين بسيد المرسلين وسائر خواصه المقربين الذي اصطفى من عباده النبيين والصالحين، واصطفى منهم حبيبه الأعظم سيدنا محمد سيد الخلائق أجمعين، وجعل رسله المكرمين وسائط بينه وبين خلقه لتبليغهم أحكام دينه المبين، فاتخذوهم وسائط إليه في قضاء المرام، كما جعلهم تعالى وسائط إليهم في تبليغ الأحكام. فلم يأتوا بتوسيطهم إياهم في قضاء حوائجهم لديه تعالى شيئاً بدعا، ولكنهم وسطوا إليه من وسطهم إليهم فلم يخالفوا بذلك عادة ولا شرعاً. والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب الحق أفضل الوسائط بينه وبين الخلق وعلى جميع النبيين والمرسلين وآلهم وصحبهم وسائر عباد الله الصالحين.

أما بعد: فاعلم أيها المؤمن المقصر مثلي في الأعمال وقد حمل من الأوزار أثقالاً كالجبال أنا معاشر المؤمنين المقصرين المذنبين الخاطئين ليس لنا وسيلة إلى رب العالمين بعد كرمه الذي عم الخلائق أجمعين إلا عبده الأكرم وحبيبه الأعظم سيدنا محمداً ﷺ فنسأله تعالى بهذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم أن يغفر ذنوبنا ويفرج كروبنا، ويبلغنا من كل خير في الدنيا والآخرة مطلوبنا. وينعم علينا في الدارين من جلائل نعمه الغرر بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اللهم إنا نتوسل بجاهه لديك أن تجعلنا من أحب عبيدك إليه وإليك وأن تزرقنا رضاك ورضاه في جملة المؤمنين الآمنين في الدنيا والبرزخ ويوم الدين، وأن تفعل مثل ذلك بمشايخنا وذرارينا ومحبينا وجميع أصولنا وفروعنا وحواشينا.

أما بعد: فهذا كتاب في بابه فريد، ما على حسنه من مزيد. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويكفيني وإياه كل ذي فهم سقيم وخلق ذميم ورأى في الدين غير مستقيم، وأن ينفع به النفع التام العام ويجعله من أعظم الوسائل إلى سعادتي في الدنيا والبرزخ ويوم القيام، ولكثرة ما حواه من الشواهد والشهود على مشروعية الاستغاثة بصاحب المقام المحمود، ﷺ سميته.

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق

﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق﴾ [يونس: ٥٣] ولم أتعرض في الاسم لذكر الزيارة، لأنها من جملة أنواع الاستغاثة وأفضلها وأنفعها وأكملها فهي داخلة فيها، وقد رتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.

المقدمة: تنقسم إلى قسمين

القسم الأول: في الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق الذي تدعيه بالباطل فرقة الوهابية ومن أعجبه شأنهم من جهلة المبتدعين شذاذ المذاهب الأربعة الإسلامية، وجعلت ذلك رسالة سميتها «السهام الصائبة، لأصحاب الدعاوى الكاذبة» وهي مع كونها من جملة هذا الكتاب هي أيضاً رسالة مستقلة بنفسها، فمن شاء نقلها وحدها فلا حرج عليه.

القسم الثاني: يشتمل على اثني عشر تنبيهاً تلزم معرفتها من أراد مطالعة هذا الكتاب قبل الدخول في الأبواب.

الأبواب الثمانية

الباب الأول: في مشروعية السفر إلى زيارته ﷺ، وهي من أعظم أنواع الاستغاثة لله تعالى به عليه الصلاة والسلام لقضاء حوائج الزائرين وبلوغهم في الدارين المرام؛ ويتبع مشروعية السفر لزيارة قبره الشريف مشروعية السفر لزيارة سائر الأنبياء والأولياء الكرام، خلافاً لمن منع ذلك من شذاذ علماء الإسلام.

الباب الثاني: في مشروعية الاستغاثة به ﷺ، ويتبع ذلك الكلام في مشروعية الاستغاثة بغيره من الأنبياء والأولياء الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام.

الباب الثالث: في نقل كلام الإمام العلامة ناصر السنة في هذا الزمان سيدي السيد أحمد دحلان مفتي الشافعية في مكة المشرفة في كتابه «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام في الرد على الوهابية أتباع مذهب ابن تيمية» ولكنهم زادوا الطين أشنع بلة فكفروا كل من خالفهم من أهل الملة، وكلام السيد أحمد دحلان جامع لكل ما يلزم ذكره في هذا الشأن من إثبات الحق ودحض الأباطيل ورد شبههم بأوضح بيان وأقوى دليل، وله في ذلك رسالة مستقلة سماها «الدرر السنية في الرد على الوهابية» وما نقلته عنه جامع لمعظم ما فيها، رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الباب الرابع: في نقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الأربعة في التشنيع على الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحنبلي لابتداعه القول بمنع الاستغاثة والسفر لزيارة سيد المرسلين ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين، وفيه الكلام على بعض كتبه ومخالفته أهل السنّة في مواضع منها، والرد على قوله بالجهة في جانب الله تعالى برسالة مخصوصة سميتها «رفع الاشتباه: في استحالة الجهة على الله».

الباب الخامس: في الكلام على ثلاثة كتب طبعت في هذه الأيام تتضمن نصرة بدعة ابن تيمية أولها «إغاثة اللهفان» لتلميذه ابن القيم والثاني «الصارم المبكي في الرد على السبكي» لتلميذه ابن عبد الهادي. والكتاب الثالث هو «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن حجر وابن تيمية» لنعمان أفندي الآلوسي البغدادي.

الباب السادس: في نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التي حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين ﷺ.

الباب السابع: في دعوات أكابر الأولياء في أحزابهم في الاستغاثة به ﷺ وهذا الباب هو حزب عظيم جامع لاستغاثاتهم بسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم. وقد سميته حزب الاستغاثات بسيد السادات ﷺ فمن شاء فليفرده ويتخذه ورداً فإنه من أجل الأوراد وأقربها لحصول المراد.

الباب الثامن: فيما ورد من استغاثات العلماء والفضلاء به ﷺ نظماً، ومن قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة به ﷺ.

الخاتمة

في الجواب عما اعترض به ابن تيمية وأمثاله على بعض أولياء الله تعالى من الألفاظ الموهمة.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الله تعالى، وأسأله سبحانه التسديد والتوفيق والهداية إلى أقوم طريق بجاه هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

القسم الأول من المقدمة

في الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق الذي تدعيه بالباطل فرقة الوهابية ومن أعجبه شأنهم من جهلة المبتدعين وهو الرسالة المسماة «السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة» وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين. وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه: قد حدث في هذا الزمان الذي قل فيه العلم وذل، وكثر فيه الجهل وجل جماعة حمقى من طلبة العلم لعب بهم الشيطان فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق حتى زعموا أنهم كالشافعي ومالك وأحمد والنعمان عليهم الرحمة والرضوان، مع أن أكثرهم من ضعاف الطلبة الملحقين بالعوام ولا يجوز أن يقال إنهم من علماء الإسلام. وقد نشأ من دعواهم هذه السقيمة وأوصافهم الأخرى الذميمة مضار عليهم وعلى بعض جهلة المسلمين عظيمة، فكتبت هذه الرسالة القوية القويمة لأنبه الناس على دعاويهم الباطلة ومساويهم العاطلة نصيحة لهم وللمسلمين وخدمة لهذا الدين المبين، وسميتها «السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة» وها أنا أشرع بذلك فأقول: إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان منهم ومن غيرهم مطلقاً مهما كان عالماً هي دعوى كاذبة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها، وقد ذكرت في كتابي «حجة الله على العالمين» في الرد على من يدعي الاجتهاد في هذا الزمان. ونقلت عبارات العلماء في ذلك كالإمام الشعراني والإمام ابن حجر الهيتمي والإمام المناوي وغيرهم بما يقنع كل ذي طبع سليم وفهم مستقيم عنده أدنى إنصاف. وها أنا أنقل بعض ذلك فأقول: اعلم أنه قد

انقطع الاجتهاد منذ مئات من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعول عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها ولم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهباً من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنّة واستنباط الأحكام منهما بنفسه فيكون قد اتبع كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ مقلداً في فهمهما ذلك الإمام ومن اتبعه من أئمة مذهبه الذين اطلعوا على كلامه جيلاً بعد جيل، وطبقوه على أدلة الكتاب والسنّة قبيلاً بعد قبيل، فما رأوه موافقاً لها من أحكام المذهب وأكثره كذلك قبلوه وأثبتوه واعتمدوه، وما رأوه مخالفاً وهو النزر القليل زيفوه وضعفوه جاعلين محط نظرهم كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم، فالأمة المحمدية ـ ولله الحمد ـ لم تخرج باقتدائها بهؤلاء الأئمة عن اتباعها لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم إلا مختل العقل والدين إلا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه. قال الإمام المناوي في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير من عبارة طويلة: قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي: لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحدة وكتبوا له سؤالاً فيه مسائل أطلق الأصحاب فيها وجهين وطلبوا منه إن كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الأوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين، فرد السؤال من غير كتابة واعتذر بأن له أشغالاً تمنعه من النظر في ذلك. قال الشهاب: فتأمل صعوبة هذه المرتبة أعني اجتهاد الفتوى الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد يظهر لك أن مدعيها فضلاً عن مدعي الاجتهاد المطلق في حيرة من أمره وفساد في فكره، وأنه ممن ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء. قال: ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحيا من الله أن ينسبها لأحد من أهل هذه الأزمنة، بل قال ابن الصلاح ومن تبعه إنها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة، ولابن الصلاح نحو الثلاثمائة سنة: أي لأنه من أهل القرن السادس، فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة، أي بالنظر إلى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر، فيكون لها الآن منقطعة نحو ألف سنة إذ نحن في العام السابع عشر من القرن الرابع عشر وهو عام تأليفي لكتاب «حجة الله على العالمين» قال: بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل. ثم قال الشهاب ابن حجر: وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل في أن إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أولى؟ فما ظنك بغيرهما، بل قال الأئمة في الروياني صاحب البحر: إنه لم يكن من أصحاب الوجوه. هذا مع قوله: لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري، فإذا لم يتأهل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدعي ما هو أعلى من ذلك، وهو الاجتهاد المطلق ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] اهـ.

وفي الأنوار عن الإمام الرافعي الشافعي: القوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد اليوم.

وقال عالم الأقطار الشامية ابن أبي الدم بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق: هذه الشرائط يعز وجودها في زماننا في شخص من العلماء، بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهد مطلق بل ولا مجتهد في

مذهب إمام تعتبر أقواله وجوهاً مخرجة على مذهب إمامه، ما ذاك إلا أن الله أعجز الخلائق عن هذا إعلاماً لعباده بتصرم الزمان وقرب الساعة، وأن ذلك من أشراطها.

وقد قال شيخ الأصحاب القفال: الفتوى قسمان **أحدهما**: من جمع شرائط الاجتهاد وهذا لا يوجد. **والثاني**: من ينتحل مذهب واحداً من الأئمة كالشافعي وعرف مذهبه وصار حاذقاً فيه بحيث لا يشذ عنه شيء من أصوله فإذا سئل عن حادثة فإن عرف لصاحبه نصاً أجاب عليه وإلا يجتهد فيها على مذهبه ويخرجها على أصوله، وهذا أعز من الكبريت الأحمر.

فإذا كان هذا قول القفال مع جلالة قدره وكون تلامذته وغلمانه أصحاب وجوه في المذهب، فكيف بعلماء عصرنا؟ ومن جملة غلمانه القاضي حسين، والفوراني، ووالد إمام الحرمين، والصيدلاني، والبوشنجي وغيرهم، وبموتهم وموت أصحاب أبي حامد انقطع الاجتهاد وتخريج الوجوه من مذهب الشافعي، وغايتهم نقله وحفظه. فأما في هذا الزمان فقد خلت الدنيا منهم وشغر الزمان عنهم، إلى هنا كلام ابن أبي الدم. وقد صرح حجة الإسلام الغزالي بخلو عصره من مجتهد حيث قال في الإحياء في تقسيمه للمناظرات ما نصه: أما من ليس له رتبة الاجتهاد، وهو حكم كل أهل العصر فإنما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه. وقال في الوسيط: هذه الشروط، يعني شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي قد تعذرت في عصرنا، انتهت عبارة الشرح الكبير للمناوي باختصار، ومن أراد الاطلاع على أبسط من هذا في هذا البحث فليراجعها ويراجع حاشية ابن قاسم على جمع الجوامع وفتاوى ابن حجر، وفتاوى الشيخ محمد بن سليمان الكردي وغيرها من كتب الأصول والفقه يجد العلماء قد اتفقوا على انقطاع الاجتهاد المذهبي فضلاً عن الاجتهاد المطلق. قال العلامة الكردي المذكور بعد أن نقل عن الأئمة انقطاع الاجتهاد منذ عصور طويلة. وقول الفخر الرازي والإمامين: الرافعي والنووي: الناس كالمجمعين اليوم على أنه لا مجتهد، حكم من لم يبلغ رتبة الاجتهاد إذا رأى حديثاً صحيحاً ولم تسمح نفسه بمخالفته أن يفتش عمن أخذ به من المجتهدين فيقلده فيه كما نبه عليه الإمام العمدة المحقق القدوة النووي في الروضة، إذ الاستنباط من الكتاب والسنّة لا يجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد كما نصوا عليه، انتهت عبارة فتاوى الكردي.

إذا علمت ذلك تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق؛ وأنهم تأهلوا الاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة بأنفسهم، ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة حتى تركوا مذاهبهم التي نشؤوا عليها، وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ويقولون نحن لا نعمل بآراء الرجال وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال. وهو من الوساوس الشيطانية والدعاوى النفسانية التي حملهم عليها قلة العقل والدين ورضاهم عن نفوسهم وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب، وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة، فلم يحصلوا مطلوبهم من علو المنزلة عند الناس ومقتهم الله وكره فيهم خلقه، فصاروا عندهم مرذولين يهزءون بهم:

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن وصحيح البخاري. فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين، فإياك يا أخي ثم إياك من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى، والزم مذهبك وقلد أي إمام شئت من الأئمة الأربعة بدون تتبع الرخص والتلفيق في الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم فإن ذلك ممنوع. وممن يدعون الاجتهاد علماء صالحون، ولكنهم مغفلون يعرفون شيئاً من الحديث والعربية وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسطة تجوز في مثل هذا العصر السافل إطلاق لفظ العالم على أحدهم وهم مع ذلك بينهم وبين درجة الاجتهاد في أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين، ولكن لغفلتهم وقلة عقولهم ورضاهم عن نفوسهم وظنهم فيها الكمال ظناً ظاهر الزلل، واضح الخطأ والخطل، سوّل لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوى الكاذبة، وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحري في الدين، وأنه لا يجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين، وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنّة رأساً بدون واسطة أحد. وقد قرؤوا في بعض الكتب ذم الرأي والتحريض على اتباع الكتاب والسنّة فاتخذوه حجة لما ثبت في نفوسهم من ذلك، وما علموا من غفلتهم أن الرأي المذموم هو الرأي مع وجود النص من القرآن أو الحديث في تلك المسألة بعينها، وهذا لا يقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم. كيف وقد روي عن كل واحد منهم قوله: إذا صح الحديث فهو مذهبي: وهذا إمامنا الشافعي كثيراً ما يكرر في الرسالة والأم كما قرأته بنفسي فيهما قوله رضي الله عنه «وهل لأحد قول مع رسول الله ﷺ، فداه أبي وأمي» فالذي يقول هذا القول ويؤيده بالفعل في كتبه بالاستدلال بالكتاب والسنّة ما أمكن الاستدلال بهما ووجد فيهما دليل على المسألة. هل يقال في حقه إنه يقول في دين الله بالرأي، حاشاه من ذلك، وهكذا باقي الأئمة رضي الله عنهم حتى الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأي يقدمون العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد لمسألة دليل غيره على القياس كما قاله الإمام الشعراني.

ومن راجع تخريج أحاديث الهداية للإمام الزيلعي يتحقق أن مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه هو أيضاً مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن، فإن لم يوجد فيه دليل لها فمن الحديث، فإن لم يوجد فمن الإجماع، فإن لم يوجد فحينئذٍ يقيسون المسألة على أقرب المسائل إليها وأشبهها بها مما ثبت دليله بالكتاب أو السنّة أو الإجماع، وهو: أي القياس كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في الرسالة أن يكون الله تعالى أو رسوله ﷺ حرم الشيء منصوصاً أو أحله لمعنى، فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينص فيه بعينه كتاب الله ولا سنّة أحللناه أو حرمناه لأنه في معنى الحلال أو الحرام فأعلم ذلك وقلد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة وأجعلهم بينك وبين الله تعالى فإنهم كلهم هداة مهتدون، ولا تدع للشيطان عليك سبيلاً فإنه يضلك عن الهدى ويوقعك في مواقع الردى ويعينك على ذلك معرفتك الحق لأهله وعدم رضاك عن نفسك واعترافك بقصورها ونظرك في العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين وتقليديهم إياهم وعدم خروجهم عن مذاهبهم مع أنهم كانوا من أفراد العالم في العلم وما ادعى أحد منهم الاجتهاد المطلق، فكيف تدعيه أنت وأمثالك من القاصرين المغرورين الذين صاروا سخرية للناس وملعبة للشياطين، فاترك ما أنت عليه من الهوس والهذيان، وقلد من

شئت من أئمة المذاهب الأربعة كسائر علماء الأمة وعوامها من عصرهم إلى الآن، فذلك هو سبيل المؤمنين الذي اتباعه ألزم وأولى. وقد قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى﴾ [النساء: ١١٥].

وعليك إذا كنت أهلاً لقراءة الأحاديث النبوية لتعرف أدلة مذهبك وتعمل بأحاديث الترغيب والترهيب وتعرف عظمة دين الإسلام وتفرعاته وعقائده وكمالات الله تعالى وأسماءه وصفاته وسيرة النبي ﷺ وفضائله ومعجزاته وأحوال الدنيا والآخرة والبعث والنشور والجنة والنار وأخبار الملائكة والجن والأمم السالفة وفضل النبيين وكتبهم، وتفضيل النبي وكتابه عليهم ومناقب آله وأصحابه وأشراط الساعة وسائر العلوم والآداب الدنيوية والأخروية، فقد جمعت أحاديثه ﷺ علم الأولين والآخرين.

إذا علمت ذلك تعلم شدة جهل من يقول: إذا لم نأخذ الأحكام الشرعية من الأحاديث فما فائدتها؟ فهذه فوائد لا تعد ولا تحصى وهي معظم دين الإسلام.

أما أحاديث الأحكام الواردة في نحو الصلاة والصيام والحج والزكاة والمعاملات وهي على ما قال بعضهم نحو الخمسمائة حديث، فإذا رأيت منها حديثاً صحيحاً لا يوافق مذهبك فقلد بالأخذ بذلك الحديث من أخذ من الأئمة ولا تجد حديثاً صحيحاً إلا وقد أخذ به إمام منهم، ولعل إمامك اطلع عليه ولكن عارضه حديث أصح عنده منه أو متأخر صدوره من النبي ﷺ عنه فنسخه أو غير ذلك مما يعلمه المجتهدون، وإذا أردت أنت العمل به فحسن، ولكن يلزمك تقليد الإمام الذي أخذ به لأنه لم يأخذ به إلا وقد انتفى عنده المانع من العمل به مع اطلاعه هو على ما لم تطلع عليه أنت من أدلة الأحكام وتأهله لذلك، وإذا عملت بحكم مذهبك فلا حرج عليك فإنه لا بدّ أن يكون عن دليل قام عند إمامك، وإن لم تطلع عليه أنت فإن الأئمة لم يخرجوا عن الكتاب والسنّة قيد شعرة ما وجدوا فيها دليلاً على المسألة، بل هم أفضل من ذلك وأتقى وأورع، وإنما هم بمذاهبهم شرحوا الكتاب والسنّة، وبينوا للناس معانيها وأحكامها وقرّبوها لأفهامهم وضبطوها ضبطاً لولا إعانة الله لهم عليه لما كان في وسع البشر الإتيان بمثله، ولذلك كانت مذاهبهم هي من دلائل نبوة سيد المرسلين وصحة دينه المبين ﷺ.

واختلاف الأئمة رضي الله عنهم ليس هو في أصول الدين وعقائد التوحيد التي يترتب على الاختلاف فيها محظور، ولم يختلفوا أيضاً في معظم الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة والتي تواترت أحاديثها واستفاضت أخبارها عن النبي ﷺ، وإنما اختلافهم في بعض الفروع بحسب ما قام عند كل منهم من قوة الدليل، فكان اختلافهم هذا رحمة للأمة تقلد أيهم شاءت بدون حرج ولا تضييق كما قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» رواه البيهقي وغيره كما في الجامع الصغير. قال المناوي في شرحه الكبير: اختلافهم توسعة على الناس بجعل المذاهب كشرائع متعددة بعث النبي بكلها لئلا تضيق بهم الأمور ولم يكلفوا ما لا طاقة لهم به توسعة في شريعته السمحة السهلة؛ فاختلاف المذاهب نعمة كبيرة وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة، وقد وعد بوقوع ذلك فوقع من معجزاته ﷺ انتهى.

ثم نقلت في كتابي المذكور كلاماً نفيساً في هذا الشأن عن جماعة من العلماء ولا سيما الإمام الشعراني، فقد نقلت عنه في ذلك جملاً جميل منها قوله رضي الله عنه في كتاب الميزان الكبرى: سمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول مراراً: عين الشريعة كالبحر فمن أي الجوانب اغترفت منه فهو واحد. وسمعته أيضاً يقول: إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليها الشريعة، ومعرفتكم بمعانيها وطرقها، فإذا أحطتم بها كما ذكرناه ولم تجدوا ذلك الأمر الذي أنكرتموه فيها، فحينئذٍ لكم الإنكار والخير لكم وأني لكم بذلك؟ فقد روى الطبراني مرفوعاً «إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا» وقال رضي الله عنه في الميزان الحضرية: واعمل بالأحاديث التي صحت عند الأئمة ولو لم يأخذ بها إمامك تحز الخير بكلتا يديك، ولا تقل إن إمامي يأخذ بها فلا أعمل بها لأن الأئمة كلهم أسرى في يدي الشريعة لا يخرجون عنها، وقد تبرؤوا كلهم من القول في دين الله بالرأي الذي لم يكن مندرجاً تحت أصل من أدلة الشريعة.

فيجب عليك يا أخي أن تحمل إمامك في كل حديث لم يأخذ به أنه لم يظفر به أو ظفر به ولكن لم يصح عنده، والمذهب الواحد لا يحتوي على جميع أحاديث الشريعة أبداً، وقد قال إمامك: إذا صح الحديث فهو مذهبي، بل ربما ترك أتباعه من المقلدين أحاديث كثيرة صحت بعده، وكان الأولى لهم الأخذ بها عملاً بوصية إمامهم، فإن اعتقادنا في الأئمة أن أحدهم لو عاش وظفر بذلك الحديث الذي صح بعده لأخذ به. ثم قال: واعلم أنه لا ينافي ما ذكرناه إلزام العلماء للعامة بالتزام مذهب معين وإن كان لم يرد بذلك شرع بخصوصه لأنهم ما ألزموهم بذلك إلا رحمة بهم من باب ارتكاب أخف المفسدتين، فلولا إلزامهم العامي بمذهب معين لضل عن طريق الهدى لعجزه عن المشي بغير دليل ا هـ. وقوله اعمل بالأحاديث التي صحت عند الأئمة يؤيد كلام النووي السابق من أن من أراد العمل بالحديث الصحيح يقلد الإمام الذي أخذ به ا هـ ما اخترت نقله من كتابي «حجة الله على العالمين» ومن أراد الزيادة فليراجعه وليراجع شرح المناوي الكبير على الجامع الصغير والله ولي التيسير.

إذا تقرر ذلك فاعلم أن الجنون فنون، وأن من أقبح فنونه جنون هؤلاء الطلبة الحمقى الذين ظهروا في هذا الزمان السيىء وجعلهم الشيطان ملعبة فحملهم على دعوى الاجتهاد وفهم الكتاب والسنّة وأخذ الأحكام منها بدون حاجة إلى تقليد أحد من أئمة الدين وصاروا يقولون: هم رجال ونحن رجال، وبعضهم إلى الآن لا يحسن الاستنجاء فضلاً عما هو فوق ذلك من أوصاف العلماء، وأين هم من الأئمة الذين أجهدوا نفوسهم في العلوم التي تلزم لفهم الكتاب والسنّة ورووا أكثر معانيها خلفاً عن سلف إلى الصحابة الذين شافههم النبي ﷺ ببعضها؟ والبعض فهموه بمقتضى أذواقهم وطباعهم السليمة وعربيتهم الصحيحة التي نزل القرآن بها وهي لغة النبي ﷺ وبحسب قوة استعدادهم وقوة النور الذي قذفه الله في قلوبهم.

أما نحن الآن فلا بدّ لنا في تفسير كتاب الله تعالى وفهم كلام نبيه ﷺ من الاطلاع على ما قالوه رواية عنه ﷺ أو من عند أنفسهم، وكذلك من جاء بعدهم من أئمة السلف الذين كانوا لا يتكلمون

في ذلك إلا عن علم صحيح لا بمجرد الظن والتخمين مع قرب عهدهم من النبي ﷺ وأصحابه وسلامة طبائعهم وكثرة تقواهم وشدة تحريهم الصواب وحبهم الحق ورغبتهم في الازدياد من العلم النافع، وهو ما روى عنه ﷺ وعن أصحابه وأفنوا أعمارهم في ذلك.

وإذا ادعينا أنا مثلهم فيما ذكر وأنا في مقدرتنا أن نفهم الكتاب والسنّة مثل فهمهم ففضلاً عن كوننا نكذب ونأثم بذلك نحمل عقلاء الناس على أن يهزؤوا بنا ويجعلونا مسخرة على خلاف ما نتوهم في نفوسنا، فلا يدعي ذلك منا إلا ضعفاء العقول والأفهام الذين هم عوام أو شبه العوام، وإذا لم يكونوا أنعاماً حقيقة فهم كالأنعام وقد عرفوا من وفرة العقول وصحيح الأفهام، وجعلوا مدار دينهم ودنياهم على زخرفة البدع وبهرجة الكلام، فهؤلاء لا ينقاد العاقل إليهم ولا يعول في أموره الدنيوية فضلاً عن الدينية عليهم. والداء العضال هو عجب المرء بنفسه ورضاه عنها ولو أنصف وعقل وطرد هواه وحكم عقله وتقواه لعرف الحق لأهله ولم يدّع ما ليس له، وبالله عليك أيها المنصف هل يجوز لأمثالنا إذا ذكر الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد وأمثالهم، ومن هو أعلى منهم كالتابعين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومن هو دونهم كأئمة الفقهاء والمفسرين والمحدثين أن يقول: هم رجال ونحن رجال؟ أفّ لهذه الدعوة الباطلة الكاذبة وأهلها؛ والله إني حينما أراهم أو أسمع بهم أستقذر من سيرتهم أكثر مما أستقذر من إحدى القاذورات إذا مررت بها، وقد تمكن من بعضهم الشيطان إلى درجة حصل بها اليأس من إصلاحهم فإن أحدهم مع جهله ونقص دينه وعقله يعتقد في نفسه أنه علم هدى وإمام مقتدى وأن هذه الأمة قد ضلت وأنه يريد أن يهديها، فإذا رأى أحداً من الطغام الجاهلين، أو الزنادقة المارقين يستحسن حالته ويوافق ضلالته، يتحقق في نفسه أنه في هذا الزمان بمنزلة أبي حنيفة النعمان، ويستولي على بصيرته ظلام الظلال ويتأكد أنه غير مخطىء بقوله: هم رجال ونحن رجال، وهؤلاء الطلبة السفلة مع كونهم يوجد منهم في أكثر الأمصار إلا أنهم قليلون ممقوتون ثقلاء مستثقلون عند أكثر الناس وهم يعلمون ذلك ويتسترون بشأنهم، وإذا ذاكرهم عالم ينكرون لديه ما ينسب إليهم ويظهرون له أنهم على ما عليه الناس من اتباع المذاهب والاقتداء بأئمة الدين، ويكتمون ذلك إلا على من يأمنون غائلته، وما أحسن ما أنشده في هذا المعنى الإمام الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين:

والستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وقد أثبت الشيطان في نفوسهم الخاسرة وأذهانهم القاصرة أنهم مع هذه الحالة السيئة على الحق وأن علماء الإسلام المتقدمين منهم والمتأخرين، بل الأمة بأسرها ممن لم يكن على ما هم عليه من الضلال مبطلون. فانظر إلى هذه الحماقة والجنون المفسد لدينهم ودنياهم وأحمد الله تعالى إذ لم يجعلك منهم، ووالله ثم والله إني لم أجتمع بأحد من هؤلاء الحمقى المجتهدين إلا تبينت فيه قلة العقل والدين وقلة الحياء والأدب وكثرة الغرور والجهل وفساد الذوق والفهم مع الرقاعة والسماجة والجراءة والإصرار على الباطل الصريح. ومنابذة الحق الظاهر الصحيح، وما أسمجه إذا كان مع معتقداً في نفسه الصلاح وأنه يتحرى لدينه بالاجتهاد لئلا يضل مع هذه الأمة التي ضلت بزعمه بتقليد الأئمة، وهذا القليل منهم وأكثرهم فساق متجاهرون بأنواع الفسق لا يستحيون من الله ولا من الناس،

يقولون بألسنتهم: لا نأخذ ديننا إلا من الكتاب والسنّة، وهم لا دين لهم من حيث الأعمال، فهم غارقون في بحار الجهل والفسق والضلال قد امتزجت أرواحهم الخبيثة بالباطل، ولا يرضيهم الحق بحال من الأحوال.

ومن هؤلاء المجانين قسم يمتاز عن غيره بالرقاعة والسماجة وفساد الذوق وقلة العقل والدين، وهم الذين يلهجون دائماً بألسنتهم وأقلامهم بحسن أحوال هذا العصر وأنه عصر العلم والمعرفة والفضل والأدب والتهذيب وكل خير، فتراهم يقولون قد مضى عصر الجهل والتوحش والآن نحن في عصر العلم والتمدن وينسبون كل شيء يستحسنونه ويريدون مدحه إلى هذا العصر السعيد بزعمهم؛ فيقولون: العلوم العصرية، والأفكار العصرية، والأخلاق العصرية، والتمدنات العصرية؛ وتارة يقولون إن الناس قد تمدنوا وتنوروا وتفتحت عيونهم، وزالت تلك الهمجية والتوحش، وما أشبه ذلك من العبارات الباردة الكاذبة التي هي من أعظم الأدلة على أن الناطق بها، ولا سيما إذا كان من المسلمين من أثقل الثقلاء وأجهل الجهلاء، ليس له ذوق سليم، ولا فكر مستقيم، ولا يفهم الفرق بين الباطل والحق، ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشر المسلمين ما وافق الشرع والقبيح ما خالف الشرع، والعصر الذي يستحسنه الشرع هو الذي تجري فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين وإطاعة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه. ولذلك ورد في حديث البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس قرني»** وفي رواية «قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وذلك لأن الدين في تلك الأعصر الثلاثة كان في غاية القوة فكانت خير القرون، وإنما كانت خيريتها على الترتيب لأن قوة الدين فيها كذلك على الترتيب.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على ضعف الدين في آخر الزمان؛ وها نحن نشاهد مصداقها الآن؛ هذه الصلاة لا يشك أحد بأنها من أعظم أركان الدين، وتاركها كافر على بعض المذاهب، ومن أفسق الفساق عند باقيها؛ ومع ذلك نرى كثيراً من فساق المسلمين وأخص منهم هؤلاء المجتهدين المجانين تاركين لها بلا مبالاة ولا خوف ولا حياء، وإذا أنكر عليهم عالم أو صالح يهزؤون به ولا يؤثر فهم إنكاره شيئاً، وقس عليها غيرها من الفروض الدينية والأمور الشرعية، وانظر إلى علماء الدين تجدهم غالباً أذل الناس وأقلهم مالاً وأسوأهم حالاً، ولذلك حصل الزهد في طلب العلوم الدينية مع كونها أصل السعادة الأبدية. وزاد الطين بلة أن من يطلب العلم لأسباب تحمله على الطلب مهما كان من شأنها دنيوية أو أخروية، ربما اجتمع على بعض هؤلاء المخذولين وتعلم منهم بعض مبادي العلوم أو شاركهم في الدروس على المشايخ فينفثون فيه سم دعاويهم الباطلة فلا يمضي عليه مدة يسيرة إلا وقد وقع في شباكهم وصار منهم إماماً مجتهداً يعترض على أئمة الأمة وعلمائها ومحدثيها وفقهائها وصوفيتها وصلحائها؛ ويصير بحالة سيئة كان بقاؤه على الجهل أحسن منها، والأمر في ذلك بازدياد، كما ورد في حديث البخاري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يأتي عليكم عام ولا يوم وإلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»** وهذا مما لا خفاء فيه، فإن كل واحد منا إذا نظر لما شاهده في نفسه من أول عمره في شؤون الدين يجد الفرق ظاهراً بين المتقدم والمتأخر من أيام عمره. وقد علمت أن الخيرية الواردة فيما يتعلق بالزمان بقوله ﷺ: **«خير القرون**

قرني» هي خيرية الدين وقوته فيه؛ وكذلك يكون معنى الشرية الواردة في شأن الزمان في هذا الحديث، فشرّيته إنما هي في ضعف الدين فيه.

أما البحث عن أسباب قوة الدين وضعفه فله شرح يطول لا يحتمله المقام، ولا يخفى على ذوي الأفهام، والمسلم العاقل يجتهد في سلامة دينه بقدر استطاعته.

وقصدي مما ذكرته هنا بيان أن هذا العصر ليس كما يزعمه أولئك الجهلة من أنه أحسن العصور ويتبجحون بذلك في عباراتهم، والحامل لهم على هذا إنما هو المناسبة القوية بينهم وبينه، فإنهم بفساد طبائعهم حصلت المشاكلة بينهم وبينه فأحبوه وصاروا يتبجحون بمدحه ويفتخرون بأنهم من أهل الأفكار العصرية والأخلاق المرضية. أما أصحاب الأذواق السليمة الدينية؛ فهم لا تعجبهم هذه الأخلاق بالكلية، لأن مبناها على البهرجة وترك الدين وقلة الحياء وعدم المبالاة بالآداب الشرعية واستحسان القبيح من العوائد الأفرنجية وتقبيح الحسن من العوائد الإسلامية؛ فهذا العصر في الحقيقة هو ثفالة العصور وعصارة الشرور؛ وقرارة الفسوق والفجور وغير ذلك من مساوي الأمور، ومع ظهور ذلك نرى هؤلاء الطلبة الأشرار الأغمار، ومن كان على شاكلتهم من الجهال الأشرار قد فسدت طباعهم واستحالت أحوالهم؛ فهم لا يزالون يلهجون بمدح هذا العصر وعوائده، ويتبجحون بكثرة فضائله وفوائده، ولا يكاد يخلو من ذلك مجلس من مجالسهم؛ ولا مقالة من كتاباتهم، ومن عجيب أمرهم وغريب شرهم وضرهم أنهم يحاولون أن يجعلوا الأمور الدينية على مقتضى الأحوال العصرية، حتى إني سمعت مراراً من بعضهم لزوم تأليف تفسير للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية. وسمعت من رجل منهم أنه سيفعل ذلك ويؤلف تفسيراً بهذه الصفة التي توافق هذا العصر وهو في نفسه لا يقدر على فهم متن الآجرومية.

وقال لي بعض من يجتمع عليهم ويسمع كلامهم، وقد ثبت في ذهنه بعض نزعاتهم هذه وظنها حقاً: قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعاً عظيماً؛ ولكن بقي عليك شيء واحد فقلت له ما هو؟ قال: أن تؤلف تفسيراً للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية فإن هذه التفاسير الموجودة قد ألفوها على مقتضى أذواق أهل العصور السالفة، وقد تغير الحال الآن، واختلفت أذواق الناس ومشاربهم. فيلزم تأليف تفسير يوافقهم، فأجبت بأني لست أهلاً لذلك، وبيني وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لا يمكنني الوصول إليها، وتآليفي كلها جمع فوائد وأكثرها في شؤون النبي ﷺ من فضائله ومعجزاته ومدائحه، ونحو ذلك مما لا أرى لي فيه، وإنما هو نقل صرف وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم من أئمة الدين، ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة وهي كافية وافية، وهي كما وافقت أهل العصور السابقة توافق أهل هذا العصر، فإن الأحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل إنسان، وقد استوت فيها العصور والأزمان، وليس للقرآن معانٍ خاصة بأهل العصور السابقة ومعانٍ أخرى خاصة بأهل العصور اللاحقة.

وأما الأذواق والمشارب فهي إن كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد في هذه التفاسير، وإن كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن أن يفسر القرآن بمعانٍ توافق هذه الأذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة، ونحن لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بعقولنا ونطبقه على الأذواق العصرية كما يقوله السفهاء

المخذولون، ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بأفهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة، فإن تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعاً. وأنقل هنا بعض مما قالوه في الفرق بين التفسير والتأويل. قال في الإتقان بعد أن ساق أقوالاً كثيرة: وقال قوم إن ما وقع مبيناً في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنّة، سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه.

والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم اهـ. فانظر إلى قوله العلماء العاملون تعمل أن فسقة العلماء ليسوا أهلاً لذلك وإن كانوا ماهرين في في آلات العلوم فضلاً عن غير الماهرين فإنهم لفسقهم غير مأمونين على ما يستنبطونه من كلام الله تعالى. فربما يستنبطون المعاني التي تناسب سوء أحوالهم وما هم عليه من الفسق محافظة على بقاء ناموسهم في أعين الناس.

قال الإمام ابن جرير الطبري في أوائل تفسيره: من شرط المفسر صحة الاعتقاد أولاً ولزوم السنة، فإن كان معترضاً عليه في دينه فلا يؤتمن على إخباره عن أسرار الله تعالى لأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويضر الناس بخداعه، ثم قال: ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومن عاصرهم إلى آخر ما نقله عنه الإمام الزبيدي في أواخر الجزء الرابع من شرح الإحياء، ولا يخفى أن الديانة والأمانة من جمله شروط المفسر فضلاً عن اشتراط إمامته في علوم كثيرة ذكرها هناك، ولا أظن أنه يوجد الآن أحد من علماء العصر قد استوفاها بحيث يجوز له أن يفسر كتاب الله تعالى برأيه من دون اعتماد على تفاسير الأئمة السابقين، وكفى العالم فضلاً وإمامة في هذا الزمان أن يحفظ كلام أئمة السلف الصالح ويورده على وجهه بدون أن يتصرف فيه بفهمه القاصر عن أفهامهم بيقين مع قربهم من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وتوفر الشروط فيهم من كثرة العلم والعمل دون توفرها فيه وإذا ادعى مساواتهم كانت المصيبة أعظم وعلى كل حال اتباع النبي ﷺ وأصحابه وتابعيهم هو لموافقة الصواب أقوى وأقوم، ولدين المؤمن أحوط وأسلم. ولو فرضنا أن غيرهم جمع كافة شروط أئمة التفسير وصار في كل علم عديم النظير فضلاً عن هؤلاء الطلبة المخذولين الذين هم من أعظم المصائب على الإسلام والمسلمين، وما أحسن ما قلته في موشح مدحت به النبي ﷺ وهو آخر مجموعتي النبهانية مع موشحات أخرى:

جاء والكون مريض فشفا	بهداه كل عبد مؤمن
ولقد أسمع لما هتفا	من مضى أو من أتى في الزمن
كم له من معجزات باهرات	مالها بين البرايا من نظير
دام منها حكمه بعد الممات	وإلى الحشر الكتاب المستنير
كله آيات حق بينات	دلت الناس على صدق البشير
أعجزتهم سلفاً والخلفا	فاستوى الفدم وأذكى لسن
وهدتهم غير قلب أغلفا	والعمى في القلب لا في الأعين
بحر علم ماله من ساحل	جاء تفسيراً له قول الرسول

وأتى عـن كـل حـبر فـاضـل — لهـما شرح مـن الـعـلم يـطول
رب مجـنـون بـدعـوى عـاقـل — لا يـرى فـضـل الأئمـة الـفحـول
دعـه لا تحـفـل بـه مهـما جـفـا — وغـدا في الـقـول أذكـى فـاطـن
كـان هـاديـنـا عليـنـا أخـوفـا — مـن سفـيـه حـاز علم الـلسـن
فـعـليـه الله صـلى مـن شفـيـق — حـذر الأمـة أسـبـاب الـضـلال
لم يـدع في الـدين والـدنيـا طـريق — هُـدانـا مـالـه فـيـهـا مـقـال
أيهـا المفـتـون كـم لا تسـتـفـيـق — وتـرى مـا أنـت فيـه مـن وبـال
اتـبـع واسـلك سـبـيـل الحـنـفـا — من سـعـى في نهجهـم لم يـفـتـن
هـم بـقـول الله كـانـوا أعـرفـا — مـن سـواهـم ومـعـاني الـسـنـن
خـل هـذا فـبـه الـقـول فـضـول — عنـد من سقت لهم هـذا الكـلام
لم تـؤثـر فـيـهـم بـيض الـنـقـول — أتـرى يـردعـهـم مـني المـلام
خلهم وارجـع إلى مدح الـرسـول — صـفـوة الـرحمن مـن كـل الأنـام
دم عـلى المـدح لـه مـعـتـكـفـا — واتخـذه لـك أقـوى جـوشـن
وتـقـلده حـسـامـاً مـرهـفـا — قـاطـعـاً أعـنـاق كـل المحـن

والحاصل أن هذه الفرقة المخدوعة المخذولة من طلبة زماننا في غاية الغباوة ونقص العقل والدين وقد عظم ضررهم على أنفسهم وعلى من يخالطهم ويصغي إلى كلامهم من المسلمين، فإنهم مع جمعهم لعقائد شتى من عقائد أهل الزيغ والبدع والوهابية وغيرهم واستحسانهم ضلالاتهم هم أضر منهم بكثير، وذلك أن الوهابية قوم أهل بدعة ظهروا بها في بلاد نجد وانتشر مذهبهم إلى ما حواليهم من البلاد، ثم تقلص ظلهم وقلوا وذلوا وانحصروا في أرضهم، وهم مع كونهم حنابلة أنكر عليهم علماء مذهب الإمام أحمد ما هم عليه من الغلوّ في الدين وتضليل المسلمين.

أما هذه الفرقة الجديدة فهي مؤلفة من سائر المذاهب بدون علم ولا تقوى ولا قواعد يستندون إليها كسائر الفرق، وإنما الجامع بينهم فساد الأفكار والاعتراض على الأئمة الأخيار، وهم يختلطون بالناس ويكتبون آراءهم الفاسدة وضلالاتهم المضرة في بعض الجرائد، وينشرونها في سائر الجهات باسم علماء كتاب من أهل السنّة والجماعة بحسب زعمهم فالعلماء العارفون الصلحاء متى اطلعوا على كلامهم يستحقرونه فيعرضون عنه ولا يراجعون قراءته لمخالفته لأحكام الدين ومذاهب أئمة المسلمين، فهم لا ضرر عليهم منه، لكن العوام ربما استحسنوا شيئاً منه لجهلهم فيدخل عليهم الخلل في دينهم ويلتبس عليهم باطل هؤلاء بالحق الذي سمعوه من علمائهم، فتشتبه عليهم الأمور وتزيد الشرور فقد علم أنهم أضر بكثير من الوهابية وأمثالهم من الفرق المعلومة عند الناس.

فالحذر الحذر من هذه الفرقة الجديدة المنابذة لمذاهب أئمة الدين، المخالفة لجمهور المسلمين، المتبعة في ذلك غير سبيل المؤمنين، وكل من يحب الله ورسوله ودينه يحترس من هؤلاء الطلبة المناحيس فإنهم من أعظم جنود إبليس، جهزهم في هذا العصر السيىء ليحارب بهم عقائد المسلمين. وقد جعلهم أقوى أعوانه على إضلال المهتدين ومن كان منهم قد حصل شيئاً من العلوم العقلية والنقلية

كان ضرره على الناس أكثر من ضرر من كان أقل منه تحصيلاً، فقد اتخذ تلك العلوم ذرائع للفساد وإضلال العباد، وما أحسن ما نقله سيدي عبد الوهاب الشعراني في الطبقات عن شيخه الخواص قال: سمعت سيدي إبراهيم المتبولي يقول: زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول شجر الحنظل، فكلما ازداد رياً ازداد مرارة اهـ.

ومن أوصافهم الذميمة التي يتميزون بها عن غيرهم كثرة مجادلتهم ومخاصمتهم وشدّة المحاماة عن باطلهم إذا أمنوا من الضرّ، لا سيما من كان منهم في بلاد تجاهر فساقها بقلة الحياء والدين كبلاد مصر.

روى الإمام أحمد وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»**، ثم تلا هذه الآية ﴿بل هم قوم خصمون﴾» [الزخرف: ٥٨].

قال الإمام الحفني في حاشيته على الجامع الصغير: قوله: **«أوتوا الجدل»** أي الخصومة بالباطل، فمتى تبع قوم هوى أنفسهم ابتلاهم الله تعالى بالجدل اهـ. ولا أقول إن هؤلاء الجماعة كفار فإني لم يبلغني عنهم شيء من المكفرات، وإنما أقول إن ما هم فيه من الدعاوى الكاذبة، والأفكار السقيمة الذميمة والآراء المضرة الوخيمة التي لهجوا بها في شؤون الدين مما تقدم بيانه هي من أشد أنواع الضلال، وأقبح أنواع الفسق، وأسوأ أنواع البدع، وأشر أنواع المعاصي، وأضرها على أنفسهم وعلى الدين والمسلمين. إذ هم مع كونهم في الأصل من أهل السنّة والجماعة من مذاهب شتى: بعضهم حنفي، وبعضهم شافعي، وبعضهم مالكي، وبعضهم حنبلي تجردوا من جميع هذه المذاهب وصاروا فرقة ملفقة دينها وديدنها الاعتراض على أئمة الأمة وعلمائها وصوفيتها وصلحائها وأوليائها وأصفيائها. وقد جاوزوا بذلك حدهم وفقدوا رشدهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً، ويسوقون للأمة هداية ونفعاً، وما علموا أنهم يكتسبون بذلك قبيح الآثام ويكونون سبباً في إضلال الأنام، فيستهينون بالعلماء وهم هداة الإسلام فيقل أو يزول بهم انتفاعهم وتسوء أخلاقهم وأوضاعهم، ولا سيما في هذا الزمن الكاسد الذي كسد فيه العلم النافع وأهله.

واعلم أن الدين إنما يؤخذ عن العلماء الأمناء والكتب المعتمدة لا عن هذه الجرائد المنتقدة، وأن دين الإسلام كما أنه أصح الأديان دراية هو أصح الأديان رواية فقد رواه الأئمة المتقون والحفاظ المتقنون والثقات الصادقون والعلماء العاملون وألفوا الكتب للبحث في أحوال الرواة خاصة حتى لا يدخل على هذا الدين المبين شيء ليس منه من الأحكام المكذوبة المختلقة من وضع أهل الفسق والزندقة الذين رمى الأئمة بما روي عنهم ظهرياً واتخذوا رواياتهم شيئاً فرياً ونبهوا عليها وحذروا الناس منها، ودققوا غاية التدقيق في رواة الزمان الأول الذين كانوا لا يدعي العلم منهم غير العلماء فضلاً عن دعوى الاجتهاد المطلق من السفهاء وكان المتهم بالكذب والفسق منهم أصدق وأتقى لله بدرجات كثيرة من هؤلاء المجتهدين الكذابين الجهال الفساق المجانين الذين إن لم يكونوا شياطين فهم من إخوان الشياطين، وإذا كانت أحكام الدين المروية عن أولئك المتهمين الأولين بهذه الحالة من السقوط وعدم الاعتبار عند أئمة الإسلام فكيف ترى أحكام الدين المروية عن هؤلاء المجرمين

الآخرين، لا شك أن هؤلاء الأشرار أولى بعدم الاعتبار إذ هم أشد فسقاً بكثير لما هو مشاهد من ترك كثير منهم الصلوات وارتكابهم أنواع المحرمات.

أما الكذب فهو شعارهم ودثارهم ولو لم يكن منه إلا دعواهم الاجتهاد المطلق وهم في غاية الجهل والحماقة لكفى ذلك دليلاً على أنهم أكذب الناس، فكيف تؤخذ عنهم أحكام دين الإسلام وتحليل الحلال وتحريم الحرام، وزد على ذلك طعنهم في الأئمة السابقين والعلماء العاملين والأولياء الصالحين رضي الله عنهم أجمعين. لعمري إن أخذ الدين عن النساء والأطفال وأجهل الجهال هو بالاعتبار أولى وأحرى من أخذه عن هؤلاء السفهاء الضلال، على أنهم لا يروون حماقاتهم في الغالب عن إمام معلوم، ولا يسندون خزعبلاتهم إلى دليل مفهوم، ويفتخرون بأنهم يستنبطون الأحكام بزعمهم الكاذب من الكتاب والسنّة ولا يتبعون إماماً من أئمة الأمة، فدينهم في الحقيقة تابع لهواهم، وقد قال ﷺ: «**إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**» رواه الحاكم عن أنس. قال العزيزي في شرحه: إن هذا العلم: أي الشرعي صادق بالتفسير والحديث والفقه. وقال بعد قوله عليه الصلاة والسلام «فانظروا عمن تأخذون دينكم» أي لا تأخذوه إلا عمن طابت سيرته وسريرته وتحققتم أمانته ا هـ.

وقال الإمام ابن حجر في شرح الشمايل عند قول الترمذي عن ابن سيرين قال: هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، وجه الختم بهذا الترغيب في علم السنة لا سيما عند الارتباك في البلاء والمحن والاحتياط في أخذه، فيتحرى له أهل الدين دون غيرهم ا هـ وقال الإمام المناوي في آخر شرحه عليها عند قوله: «فانظروا عمن تأخذون دينكم». أخرج الشافعي عن عروة أنه كان يسمع الحديث فيستحسنه ولا يرويه لكونه لا يثق ببعض رواته لئلا يؤخذ عنه، وهذا مسوق لبيان الاحتياط في الرواية والتثبت في النقل واعتبار من يؤخذ عنه والكشف عن حال رجاله واحداً بعد واحد حتى لا يكون فيهم مجروح ولا منكر الحديث ولا مغفل ولا كذاب ولا من يتطرق إليه طعن في قول أو فعل، فمن كا ن فيه خلل فترك الأخذ عنه واجب لمن عقل ا هـ. وقد روى الخطيب وغيره عن الحبر مرفوعاً «لا تأخذوا الحديث إلا عمن تجيزون شهادته». وروى ابن عساكر عن مالك «لا تحمل العلم عن أهل البدع ولا تحمله عمن لم يعرف بالطلب ولا عمن يكذب في حديث الناس، وإن كان في حديث رسول الله ﷺ لا يكذب» ا هـ كلام المناوي.

وقال شيخ مشايخي الإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري المصري في آخر حاشيته على الشمايل عند قوله فانظروا عمن تأخذون دينكم: أي تأملوا عمن تروون دينكم فلا ترووه إلا عمن تحققتم أهليته بأن يكون من العدول الثقات المتقنين، وفي رواية الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «العلم دين والصلاة دين، فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فإنكم تسألون يوم القيامة» وفي الجامع الصغير «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» وهذا العلم المراد به العلم الشرعي الصادق بالتفسير والحديث والفقه، ولا شك أن هذه الثلاثة هي الدين وما عداها تابع لها ا هـ.

وقد علمت حال دين هؤلاء المبتدعين الفساق وما هم عليه من الضلال المبين ومخالفة سبيل

المؤمنين، فمن شاء أن يكون منهم فليأخذ دينه عنهم، ومن شاء أن يسلم دينه وعقيدته من الشك والارتياب ومخالفة ما عليه المسلمون من أهل المذاهب الأربعة في سائر الأعصار والأحقاب، فليجتنبهم كلّ الاجتناب ويحافظ كلّ المحافظة على اتباع أحكام مذهبه والاقتداء بعلماء أهل السنّة والجماعة الهداة المهديين من أهل المذاهب الأربعة سوى من اشتهر منهم ببدعة كابن تيمية ومن وافقه على سقطاته التي خالف بها جمهور علماء الدين وأئمة المسلمين، وصار بذلك أحدوثة في العالمين وهو إمام هؤلاء الطلبة المبتدعين فيما خالفوا فيه مذاهب المسلمين من منع الاستغاثة والسفر لزيارة سيد المرسلين وسائر الأنبياء والصالحين صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ولكون شأن هؤلاء المخذولين المغرورين مبنياً على زخرفة الألفاظ والتظاهر بأن مقصودهم نصرة الدين وهداية الأمة وخدمة الإسلام والمسلمين صارت حالتهم تعجب بعض المغفلين من طلبة العلم، فلم تمضِ عليهم مدّة سمعوا فيها زخارفهم وتمويهاتهم وطالعوا كتاباتهم حتى صاروا من جملتهم، ومن شأن هؤلاء الفساق المفتونين أن جعلوا ديدنهم تتبع عثرات العلماء يستخرجونها من كتبهم، ويقولون: فلان الفقيه مثلاً قال في كتابه كذا، ويعترضون عليه ويسوقون الاعتراض على جميع الفقهاء من جميع المذاهب ليس على ذلك الفقيه فقط ويرون عبارة مستهجنة لمحدّث مثلاً فينقلونها ويعترضون عليها وعلى سائر المحدثين معه، ويرون عبارة غامضة لصوفي فيشنعون عليه وعلى سائر الصوفية معه، ويرون في أحد التفاسير حديثاً موضوعاً أو قصة إسرائيلية، فيشنعون على ذلك المفسر وسائر المفسرين وهكذا عملهم في جميع طوائف علماء الدين، ومن العجب أنه يوجد منهم جماعة في كثير من البلاد الإسلامية كأن الشيطان نفث في قلوبهم هذه الضلالات والترهات في آنٍ واحد، وصارت أخبار بعضهم تتصل ببعض بحيث إنهم ينتصر بعضهم لبعض على البعد كأنهم أهل مذهب واحد ولا مذهب في الحقيقة، بل هم مثل البهائم السائمة، وأكثرهم جهال ضلال تاركون للصلاة والعبادات غارقون بأنواع الفسادات. دينهم كلام في كلام، ويقينهم مركب من الشكوك والأوهام، كل واحد منهم يزعم في نفسه أنه إمام لا يحتاج إلى تقليد أحد من أئمة الإسلام، وضالتهم المنشودة وطلبتهم المقصودة مسألة يشوشون بها أفكار عوامّ المسلمين ويعترضون بها على أئمة الدين، فإذا وجدوا مسألة من هذا القبيل لعالم قديم زل بها وقد نبه العلماء على خطئه فيها وأنها زلة من زلاته وهفوة من هفواته تراهم ينشرونها ويثنون على ذلك العالم غاية الثناء من الجهة التي ذمه بها العلماء.

ومن ذلك ما وقع للإمام ابن تيمية رحمه الله وعفا عنه من المسائل التي زاغ بها عن الصواب ودخل إلى لومه العلماء بسببها من كل باب، فترى هؤلاء الطغام حريصين على نشرها غاية الحرص، فيجتهدون للحصول على الكتب التي اشتملت عليها من أقاصي البلاد ويطبعونها وينشرونها لإضلال العباد ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [الكهف: ١٠٤] وقد طبعوا إلى الآن عدة كتب منها. فمنها ما صرح به بشرك المستغيثين بسيد المرسلين وسائر النبيين وعباد الله الصالحين، ومنها كتاب سماه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» جعل فيه من القسم الثاني جماعة من أكابر الأولياء كسيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته حتى كفره، وهو سلطان العارفين وإمام

العلماء العاملين. ثم كلما وقع في يدهم كتاب من هذا القبيل يسارعون إلى طبعه ونشره، ومن ذلك كتاب ابن القيم المسمى «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» تبع فيه شيخه ابن تيمية على زلاته، وشنع كل التشنيع على الزائرين والمستغيثين بخير الأنام وغيره من الأنبياء والأولياء الكرام، ومثله ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المبكي في الردّ على السبكي» وهو بئس الكتاب ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [آل عمران: ٨] والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به من الزيغ في ذلك عن جادة هواه، و ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] وها أنا أختم هذه الرسالة بأبيات من قصيدتي طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء ﷺ وسعادة المعاد في موازنة بانت سعاد تناسب هذا المقام ويحصل بها حسن الختام، وهي قولي في الهمزية مخاطباً له ﷺ:

فتقبل واعطف وكن لي شفيعا ... يوم تحتاج فضلك الشفعاء
وأجرني وعترتي من زماني ... فدواهيه كلها دهياء
عاد فيه الدين المبين كما قلـ ... ـت غريباً وأهله غرباء
فتداركه قبل أن تخطر الـ ... ـأخطار فاليوم مسه الإعياء
وتكرم بشده فقواه ... نالها بالشدائد استرخاء
صار للشكر في أذاه اشتراك ... حين ما للنفاق عنه انتفاء
كم أبو جَهل استطال على الديـ ... ـن وكم ذا أزرت به الجهلاء
ولكم في ثيابه ابن سلول ... شاكه من نفاقه سلاء
ما اغتراري بمن تلوّن منهم ... والأفاعي أشرها الرقطاء
ملء قلبي محبة لمحبيـ ... ـك وإن قلّ في فؤادي الصفاء
وارتياحي في بغض قوم لديهم ... لك يا سيد الورى بغضاء
لا أواليهم الزمان ولا هم ... لي ما ذرّ شارق أولياء
لايراني الرحمن إلا عدوا ... لأعاديك أحسنوا أم أساؤوا
رضي الله من رضيت ومن لم ... ترض عنه فالله منه براء

وقولي في اللامية

يا سيد الرسل يا من لا يزال به ... لكل صعب بإذن الله تسهيل
أشكو إليك زماني شاكراً نعما ... ما عند مثلي لها لولاك تأهيل
فقد بليت بعصر كله فتن ... فيه أخو الحق مغلوب ومغلول
عصر على الخير صال الشر فيه ولا ... تهوين إلا علاه فيه تهويل
هذا الزمان الذي بينت شدته ... فكل ما قلت فيه اليوم مفعول

---

(١) قوله المبكي: هكذا تكرر من المؤلف تسمية هذا الكتاب بذلك، والمشهور المنكي، فلعل المؤلف اطلع على صحة ذلك فليتأمل اهـ مصححه.

الدين فيه بحكم الجمر أقابضه   بنار دنياه بين الناس مشعول
لولا نجوم هدى من شمسك اقتبسوا   أنوارهم عمت الدنيا الأضاليل
بوعدك الصدق لا تنفك طائفة   منا على الحق مهما كان تبديل
أنت الحبيب إليك الأمر أجمعه   من المهيمن في الدارين موكول
فانظر لأمتك الغراء قد لعبت   بها عراقيل تتلوها عراقيل
كم قابلتها بما تخشى فراعنة   وكم لها من شرار الناس قابيل
مهما أساءت فلن ترضى إساءتها   حسب المسيء من الإحسان تقليل
عجل بقهر أعاديها فليس لها   في الخلق غيرك يا مأمون مأمول
وكن لها وزراً مما ألمّ بها   فقد كفاها على الأوزار تنكيل
واعطف عليّ فإني مذنب وجل   في الخير لا عامل مني ومعمول
واخلع عليّ وأهلي للرضا حللا   أجملت قولي ولا تخفى التفاصيل
لا تنسني يوم نزع الروح من جسدي   ويوم أسأل إني عنك مسؤول
سهل شدائد أيام القيامة لي   فإن عقد اصطباري ثم محلول
ما لي سواك كفيل يوم يطلبني   أهل الديون فقل لي أنت مكفول
وحاصل الأمر أني طامع برضى   ربي وإن قل بي للخير تحصيل
إني التجأت إلى مقبول حضرته   وكل من عاد بالقبول مقبول

القسم الثاني من المقدمة يشتمل على اثني عشر تنبيهاً

تلزم معرفتها لمن أراد مطالعة هذا الكتاب قبل الدخول في الأبواب.

التنبيه الأول

اعلم أن كل باب من أبواب هذا الكتاب الثمانية هو وحده كافٍ وافٍ لرد بدعة ابن تيمية وفرقته الوهابية، وكذلك المقدمة وحدها فيها الكفاية، ولا يطالع ذلك مسلم عنده أدنى فهم وإنصاف إلا ويعلم يقيناً أن ضلال هذه الفرقة في منع الزيارة والاستغاثة ضلال مبين، ولا سيما ما يتعلق من ذلك بسيد المرسلين ﷺ، وفضلاً عما اشتملت عليه المقدمة والأبواب الخمسة من الدلائل الكثيرة النقلية والعقلية وأقوال أئمة الإسلام من علماء المذاهب الأربعة في إثبات مشروعية ذلك، والرد والتشنيع على ابن تيمية لسلوكه في هذه المسألة أقبح المسالك نقلت في الباب السادس من أحزاب أكابر الأولياء المصرحة بالاستغاثة به ﷺ دعوات نافعة لنحو أربعين ولياً من مشاهيرهم، ونقلت في الباب السابع نحو مائة حكاية رواها الثقات عن الثقات وقعت لكثير من الأولياء والصالحين وغيرهم من العلماء والفضلاء وكل من التجأ إليه ﷺ ودخل من بابه إلى الله تعالى في قضاء حاجاته فقضيت، تضمنت استغاثاتهم به ﷺ لله تعالى وما حصل لهم بذلك من استجابة الدعوات والفوائد المهمات، ونقلت في الباب الثامن استغاثات منظومة عن نحو ثمانين فاضلاً من الأولياء

والعلماء من أهل المذاهب الأربعة، بل وبعض الشيعة كالصفي الحلي وابن معصوم وابن معتوق، فإني نقلت بعض استغاثاتهم به ﷺ لأنهم من جملة المسلمين، بل بعضهم من السلالة الطاهرة. ولا شك أنهم يرجى لهم بذلك الخير العظيم كسائر المستغيثين به ﷺ. فهذه الأبواب الثلاثة نقلت فيها وحدها كلام أكثر من مائتي عالم من المذاهب الأربعة نثراً ونظماً وفيهم كثير من أكابر الأولياء والأئمة الصوفية وأعيان الفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم وجعلنا وإياهم من المقبولين عنده وعند حبيبه الأعظم سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن كنت أيها المطلع على كتابي هذا ممن خدشت أفكاره بدعة ابن تيمية من أحد المذاهب الأربعة سوى الوهابية الذين وقع اليأس من صلاحهم وفلاحهم لم يقنعك كل هذه الدلائل والبراهين ولم تأثر فيك هذه النقول الكثيرة عن أئمة المسلمين وحماة هذا الدين المبين فاعلم حينئذٍ أنك من أضل الضلال وأشرّ الأشرار، ويخشى عليك إذا تمادى بك الأمر أن تكون والعياذ بالله يوماً ما من الكفار، فإنا وإن لم نحكم عليك بالكفر الآن بهذا المقدار، فلا شك أن ذلك يدل على امتلاء قلبك بالظلمات وخلوه من الأنوار، وقد قال ﷺ «المعاصي بريد الكفر» ولا ريب أن من أقبحها البدع في الدين ولا سيما هذه البدعة الشنيعة المتعلقة بالنبي المختار ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين، ولكني لا أظن أن مسلماً قدّر الله له أدنى هداية وجعل في بصيرته أقل نور يطلع على هذا الكتاب ثم يبقى عنده شبهة في أن بدعة ابن تيمية هذه هي من عمل الشيطان، وأقبح النزغات التي كاد بها أهل الإيمان، والحمد لله الذي أحسن إلينا بالعافية من ذلك وهو ولي الإحسان.

التنبيه الثاني

اعلم أني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابية ولا غيرهم، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وما جاء به من دين الإسلام وقال الإمام الشعراني في «اليواقيت والجواهر» قال شيخ الإسلام المخزومي: قد نص الإمام الشافعي على عدم تكفير أهل الأهواء في رسالته فقال: لا أكفر أهل الأهواء بذنب، وفي رواية عنه: ولا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، وفي رواية أخرى عنه: ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب.

قال المخزومي رحمه الله: أراد الإمام الشافعي رحمه الله بأهل الأهواء أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة، وأراد أهل القبلة أهل التوحيد اهـ. قال الإمام الشعراني بعد ما ذكر: فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالكفر لأحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده اهـ.

إذا علمت ذلك تعلم أن العبارات التي ترد في هذا الكتاب بلفظ الجلال وما أشبهه ليس المراد منها الكفر، بل الضلال عن طريق الصواب وذلك يكون بالخطأ والمعصية والبدعة فكل ذلك ضلال وإن لم يبلغ درجة الكفر، ومن هذا القبيل فيما أعتقد تعبير ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي في كتبهم بشرك المستغيثين بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والمسافرين لزيارة قبورهم كما ورد

التعبير عن الرياء بالشرك وليس هو بمعنى الكفر؛ فإن الشرك أيضاً درجات مثل الضلال ولكن الوهابية فهموا من كلامهم الشرك بمعنى الكفر فكفروا المسلمين بذلك؛ نعم من اعتقد أن النبي أو الولي هو الفعال لما أراده منه من دون الله تعالى، فهذا كافر بالاتفاق؛ ولكن ليس أحد من المسلمين ولو كان من أجهل الجاهلين يعتقد ذلك فيما أعلم، فإنهم يعتقدون أنهم خواص عبيد الله وأنه هو الفعال المطلق، ليس لهم وَلا لغيرهم معه من الأمر شيء سبحانه وتعالى كما سيأتي توضيح ذلك وبسطه في هذا الكتاب، نعم يوجد في عبارات ابن تيمية وتلميذيه ألفاظ يفهم منها إساءتهم الظن بالمستغيثين والمسافرين لزيارة الأنبياء والصالحين بأنهم يعتقدون تأثيرهم في قضاء الحوائج من دون الله تعالى، ولا شك أن ذلك ليس على إطلاقه، وإن وجد فلا يكون إلا من أجهل الجاهلين الذين لم يشموا رائحة الدين. أما المسلمون ولو جهالاً فإنهم يعلمون أن لا تأثير إلا لله تعالى والخلق كلهم عبيده. وإنما بعضهم أحب إليه تعالى من بعض بحسب نبوتهم وولايتهم وأعمالهم الصالحة، ومهما كان من شأن ابن تيمية وسائر الوهابية ومن كان على شاكلتهم من شذاذ المذاهب الإسلامية من منعهم الاستغاثة والسفر لزيارة الأنبياء والصالحين حتى الحضرة المحمدية، فلا يجوز لنا أن نكفرهم بذلك كما قال به بعضهم كما يأتي في عبارات الرادين على ابن تيمية كالشهاب الخفاجي وعلى القاري، فإن غير ذلك غير معتمد ولا مقبول عندهما ولا عند غيرهما، وإنما يجوز لنا أن نقول إنهم أهل بدعة كما صرح بذلك الإمام المناوي في عبارته الآتية في الرد على ابن تيمية، ونقول إنهم ضالون ومبتدعون وغير ذلك من الألفاظ التي لا تقتضي التكفير كما قاله في حقهم الإمام ابن حجر الهيتمي في كثير من عباراته، وفرق بين التعبير بالتضليل والتعبير بالتكفير.

قال الإمام الغزالي في كتابه «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» وكيفما كان فلا ينبغي أن يكفر كل فريق خصمه بأن يراه غالطاً في البرهان، نعم يجوز أن يسميه ضالاً أو مبتدعاً. أما ضالاً فمن حيث إنه ضل عن الطريق عنده. وأما مبتدعاً فمن حيث إنه ابتدع قولاً لم يعهد من السلف الصالح التصريح به ا هـ.

نعم إن صح ما نقله السيد أحمد دحلان عن بعض الوهابية في رسالته «الدرر السنّية» في الرد عليهم من أنهم ينتقصون النبي ﷺ بعبارات شنيعة ذكرها، وكذلك شيخهم إمام بدعتهم محمد بن عبد الوهاب، فمن يصدر منه ذلك هو كافر بلا شك. قال بعد نقل تلك العبارات: قال بعض من ألف في الرد عليه إن ذلك كفر في المذاهب الأربعة، بل هو كفر عند جميع أهل الإسلام ا هـ.

التنبيه الثالث

كنت رأيت منذ ثلاث سنوات ونيف الإمام ابن تيمية والإمام السبكي في رؤيا ذكرتها في مقدمة المجموعة النبهانية في المدائح النبوية في جملة مرائي، وهذا نص عبارتي هناك: رأيت في منامي ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣١٩ من العلماء الإمام تقي الدين السبكي الشافعي والإمام تقي الدين بن تيمية الحنبلي في مجلس واحد، والسبكي جالس وهو سمين أسمر عليه هيبة ووقار، وابن تيمية واقف أسمر أغبر نحيف الوجه والجسم عليه هيبة العلم، وقد كان أقرب إليّ من السبكي

فقصدته لأقبل يده، ويغلب على ظني أني قبلتها وسألته عن مقدار عمره، فقال لي ستمائة سنة. ثم انتبهت وراجعت تاريخ وفاته فوجدتها سنة ٧٢٨ هجرية، ووفاة السبكي سنة ٧٥٦ رحمهما الله تعالى، ولم يخطر لي في المنام شيء مما وقع من ابن تيمية في مسألتي زيارة النبي ﷺ والاستغاثة به وبسائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام، ورد السبكي عليه ذلك مع أني كنت قبل هذا المنام كتبت شيئاً في الرد على ابن تيمية نقلت فيه جملاً جميلة من كلام العلماء، ثم ترجح عندي أن لا أفعل لئلا أخدش أفكار عوام المسلمين بتنبيههم إلى رأيه الفاسد في ذلك وهم عنه غافلون.

وابن تيمية هذا هو إمام كبير وعالم علم شهير من أفراد أئمة الأمة المحمدية الذين تفتخر بهم على سائر الأمم، ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل، فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان خطأً فاحشاً خالف فيه جمهور الأمة من السلف والخلف كما بين ذلك كثير من المحققين من أجلهم الإمام السبكي المذكور في كتاب «شفاء السقام في زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام». وابن تيمية وإن أخطأ في هذه المسائل المعدودة فقد أصاب بمسائل لا تعد ولا تحد نصر بها الدين المبين وخدم بها شريعة سيد المرسلين ﷺ. على أن بعض ما نسب إليه من تلك المسائل أنكر صحة نسبتها إليه بعض العلماء الأثبات، وعلى كل حال ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]. وأنا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرني مع هذين الإمامين الجليلين في جملة المؤمنين المتحابين الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] انتهت عبارتي هناك. وقد رأيت والله مع ابن تيمية في تلك الرؤيا رجلاً يشبهه في الشكل، وهو مثله أسمر أغبر نحيف الوجه والجسم، ولكني لم أعرفه، ولم أكلمه ولم يكلمني، وإنما انحصر كلامي مع ابن تيمية وإقبالي عليه وإقباله عليّ، ولم أتكلم مع ذلك الرجل ولا مع السبكي أيضاً، ولم أذكر ذلك الرجل في تلك الرؤيا لعدم معرفتي إياه، ثم خطر لي بعد ذلك أن ذلك الرجل هو ابن عبد الهادي أو ابن القيم، وابن عبد الهادي أرجح لأنه هو الذي نصر الباطل على الحق في كتابه «الصارم المبكي في الرد على السبكي» فكان هو وابن تيمية في جانب الباطل والسبكي في جانب الحق. أما ابن القيم فلم يذكر السبكي ولا غير السبكي، ولكنه ينصر بدعة ابن تيمية نصراً مطلقاً بدون تعرض لأحد بخصوصه، مع أني وقتئذٍ لم أكن اطلعت على كتاب «الصارم المبكي في الرد على السبكي» ولا على كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم، ولا على كتب ابن تيمية «منهاج السنّة» وكتابه «المعقول والمنقول» وكلها طبعت أخيراً؛ كما أني لم أكن اطلعت وقتئذٍ على «شفاء السقام» للسبكي، ولكن كنت أرى تلك الأبحاث في كتب أخرى ردوها على ابن تيمية وشنعوا عليه بها؛ ككتب الإمام ابن حجر المكي رحمه الله، وجزاه خير الجزاء عن خدمة الشريعة المحمدية، ورده تلك المسائل الشنيعة على ابن تيمية وإن لم يكن وحده أقام عليه النكير في ذلك، بل كثير من العلماء من المذاهب الأربعة شنعوا عليه غاية التشنيع في ذلك رحمهم الله أجمعين، وغفر له ما ارتكبه من هذا الأمر العظيم الذي ترتب عليه من المفاسد الدينية خصوصاً من أتباعه فرقة الوهابية ما لا يعلم غير الله تعالى قدر الأضرار التي وصلت منه إلى الأمة المحمدية: من القتل والقتال وذهاب النفوس والأموال، وحكمهم على كافة المسلمين من أهل المذاهب الأربعة بالشرك والضلال، وما زالت أضرارهم إلى الآن سارية في الأمة حساً ومعنى وهم ومن أعجبه شأنهم ممن لا خلاق لهم في

الدين، ما زالوا إلى الآن يشوشون عقائد كثيرة من ضعاف الطلبة وعوام المسلمين، يدّعون الاجتهاد، ويبغون في الأرض الفساد، ولا يتبعون من مذاهب أهل السنّة والجماعة سبيل السداد، وما زال الشيطان يجهز منهم جماعة بعد جماعة، وهم كل يوم في ازدياد، والله في ذلك قضاء لا يرد وحكم لا يعلمها إلا الأفراد، وأعرف منهم رجلاً كان شافعي المذهب فخالط الوهابية ومن يعجبه شأنهم من فساق المذاهب الذين ساءت أحوالهم واختلت عقائدهم، وطالع في كتب ابن تيمية وجماعته وزين له الشيطان بدعتهم الشنيعة التي خالفوا بها أئمة السنّة وعلماء الشريعة، فانخلع بسبب ذلك من مذهبه وادعى الاجتهاد وصار وهابياً خالصاً داعياً إلى مذهبهم يؤيده بحسب ما يصل إليه فهمه القاصر، ويدعو الناس إليه، ويحسن لهم تلك العقائد الشنيعة والبدع الفظيعة في شؤون النبي ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين مع دعوى الاجتهاد المطلق في أحكام الدين، وهو رجل أبيض الوجه جميل الصورة، فرأيته في منامي قبل الفجر ليلة الرابع من شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٢ وهو أسود الوجه في لون الحبوش أقل من الزنوج ولكن سواده مظلم مغبر، فسألته ما الذي جرى لك حتى اسود وجهك إلى هذه الدرجة؟ فسكت ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [آل عمران: ٨].

التنبيه الرابع

اعلم أن جميع المسلمين ما زالوا يعتقدون اعتقاداً جازماً فيه ﷺ الموافق للواقع أنه سيد عبيد الله على الإطلاق، وأقرب الوسائل إليه تعالى في مدة حياته وبعد مماته في مدة البرزخ ويوم القيامة التي تظهر فيه سيادته ﷺ على النبيين والخلق أجمعين حتى يكون صاحب الشفاعة العظمى والمنزلة الزلفى، وحامل لواء الحمد تحته آدم فمن دونه، ولك الأنبياء يقر له بهذه السيادة حين يمنحها الله تعالى في ذلك اليوم على الأولين والآخرين والخلق أجمعين، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث البخاري ومسلم وهو قوله ﷺ: **«أنا سيد الناس يوم القيامة»** إلى آخر حديث الشفاعة المذكور به التجاء الناس لسادات الأنبياء، فيعتذر كل واحد منهم ويحيل على من بعده إلى أن يحيلهم سيدنا عيسى عليه السلام على الحبيب الأعظم ﷺ فيقبلهم ويقول **«أنا لها أنا لها»** ويشفع فيشفعه الله تعالى فيهم، وكان يمكن أن يأتيه الناس أولاً ولكن الله تعالى ألهمهم الذهاب إلى سادات الرسل أولاً حتى يظهر فضله ﷺ عليهم وأنه سيد الخلق على الإطلاق وأحب الرسل إلى الملك الخلاق، وهذا المعنى وإن لم يعلمه بالتفصيل على هذا الوجه كثير من عوامّ المسلمين إلا أنهم يعلمون يقيناً أنه ﷺ بالإجمال هو سيد الخلق على الإطلاق في الدنيا والآخرة، وأنه مقبول الشفاعة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة، ويتوسلون به إليه عزّ وجلّ ليبلغهم مناهم في دنياهم وأخراهم فقد شاركوا في هذا المعنى أعلم العلماء، واستوى في علم ذلك الرجال والنساء، ويربون أولادهم على هذا الاعتقاد الصحيح والإيمان الصريح، فلا يبلغ الولد سنّ التمييز إلا ويشاركهم في هذا العلم في حق النبي ﷺ وكلما كبر يزداد ذلك رسوخاً في قلبه ونموّاً بقدر ما قدر الله تعالى له من الهداية والتوفيق، هذا شأن المسلمين من الأولين والآخرين من عهده ﷺ إلى الآن، نعم قد شذ عن ذلك فرقة من أهل الإيمان تلاعب بهم الشيطان، فسول لهم أن تعظيمه ﷺ كسائر الأنبياء والصالحين إلى درجة الاستغاثة بهم، والرحلة إلى

زيارتهم، واعتقاد أن لهم عند الله تعالى جاهاً يخل بتوحيد الله تعالى، فجردوا الأنبياء والصالحين بعد مماتهم من كل وصف جميل يكون سبباً للتوسل والتشفع بهم إلى الله تعالى وجعلوهم بعد موتهم كسائر الناس لا مزية لهم عليهم بشيء، ومنعت هذه الفرقة المفتونة الرحيل إلى زيارة قبورهم والاستغاثة بهم إلى الله تعالى حتى السيد الأعظم ﷺ وإمام هذه الفرقة هو الشيخ أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلي وليس هذا مذهب الإمام أحمد حاشاه ثم حاشاه، وكيف يكون هذا مذهبه رضي الله عنه وهو كان من أشهر الأئمة بمحبة رسول الله ﷺ وملازمة الاقتداء به في الجزئيات والكليات، حتى إنه لم يأكل البطيخ لأنه لم يبلغه كيفية أكله ﷺ له، أتراه بعد هذا يقول إن رسول الله ﷺ ليس له جاه عند الله تعالى ويمنع التوسل إليه تعالى به والرحلة إلى زيارة قبره الشريف ﷺ ويقول إنه بعد موته مثل آحاد المسلمين! ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] وهذا الغوث الأعظم سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وهو حنبلي المذهب يصرح في كتبه بالتوسل به ﷺ بأفصح العبارات في غنيته، وفي مواضع كثيرة من صلواته وأحزابه كما سيأتي في هذا الكتاب، وهذا الإمام يحيى الصرصري والشهاب محمود الحلبي رحمهما الله تعالى، وهما حنبليان من أشهر وأفضل مداح النبي ﷺ وأكثرهم له مدائح وفي أكثرها التصريح بالاستغاثة به وشد الرحل لزيارته ﷺ، وسيأتي كثير من ذلك في بابه، بل صرح الإمام الصرصري في كثير من قصائده بشد الرحل لزيارة الأولياء من الصحابة وغيرهم والاستغاثة بهم رضي الله عنهم، وهكذا كثير من علماء الحنابلة من المتقدمين والمتأخرين سوى فرقة الوهابية المنسوبين إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي لحمله إياهم على اتباع بدعة ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي، وإمام هذه البدعة في الحقيقة هو ابن تيمية. أما ابن القيم وابن عبد الهادي فهما أجل أصحابه الناصرين لبدعته، وإنما جاء ابن عبد الوهاب بعد ابن تيمية بخمسمائة سنة فنشر هذه البدعة وأثار بذلك من الفتن ما عمّ به الشر والبلاء، وأريقت بحور من الدماء، وذهب من نفوس المسلمين ما لم يعلم قدره إلا الله تعالى.

وجاء في هذا العصر حسن صديق خان البهوبالي فادعى الاجتهاد المطلق كما هو شأن أصحاب هذه البدعة كلهم مجتهدون بزعمهم، وجمع من أمكنه من علمائهم وشغلهم معه بتأليف الكتب وطبعها ونشرها، وأنفق على ذلك أموالاً كثيرة وبذل جهده في نصرة بدعة ابن تيمية ودعوة الناس إلى دعوى الاجتهاد المطلق، وأخذ الأحكام من الكتاب والسنّة، وترك ما هم عليه من تقليد المذاهب الأربعة التي اجتمعت الأمة المحمدية عليها لأنها شرحت الكتاب والسنّة؛ وضبطت الشريعة المحمدية ضبطاً لا يمكن حصوله لأحد في هذه الأزمان؛ فالناس لم تخرج باتباعها عن الكتاب والسنّة، بل هي عين الكتاب والسنّة بحسب ما فهمه منها الأئمة الأربعة وأكابر أتباعهم الذين أفنوا أعمارهم في خدمة مذاهبهم وتطبيقاً على الكتاب والسنّة، وكانوا مع كمال التقوى والورع والولاية والزهد في الدنيا بحوراً من العلم لا ساحل لها، فأين فهم هؤلاء لكلام الله ورسوله من فهم فلان الهندي وفلان النجدي؟ وها نحن نرى بلاد مصر والشام وأكثر البلاد الإسلامية قد انصرفت قلوب كثير من أهلها عن الاشتغال بالعلوم الدينية وأقبلوا على الاشتغال باللغات الإفرنجية والعلوم الدنيوية، وكثير ممن اشتغل بالعلوم الدينية منهم صاروا يدّعون الاجتهاد المطلق بسبب مطالعتهم كتب ابن تيمية وجماعته وكتب حسن صديق خان وأمثاله لجهلهم وقلة دينهم وعقلهم، ولما سرى

فيهم من سم البدعة بسبب ما يسمعونه من بهارج الوهابية، ومن أعجبه شأنهم من شذاذ المذاهب فضل بذلك كثير من الطلبة الأغمار الأوغاد، وخالفوا طريق السداد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التنبيه الخامس

اعلم أن الإمام ابن تيمية هو في العلم كالبحر العجاج المتلاطم بالأمواج؛ فهو تارة يلقي اللؤلؤ والمرجان، وتارة يلقي الأحجار والصدف، وتارة يلقي الأقذار والجيف، ولكن صفته الأولى والجميلة هي الغالبة عليه، فله صفتان: صفة محمودة وهي صفة إماميته في العلم النافع وهي الغالبة عليه وبها يستحق المدح، ومتى مدحته في كلامي فإنما أمدحه لأجلها كما مدحه لذلك كثير من أكابر علماء المذاهب الأربعة. وصفة مذمومة: وهي صفة إماميته ببدعه المعلومة وبها يستحق الذم، ولأجلها تراني أذمه تبعاً لمن ذمه عليها من علماء المذاهب الأربعة تحذيراً للمسلمين من أن يتبعوه عليها ورحمة بهم وشفقة عليهم من أن ينخدعوا بزخارف كلماته المنمقة فيهووا بمهاوي زلاته الممتحقة وكذلك يقال في حق تلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي وإن كان استحقاق ابن القيم للمدح أكثر لكثرة مؤلفاته النافعة. فإياك أيها المطلع على كتابي هذا أن تظن وقوع التناقض من هذه الجهة في كلامي أو كلام من اتبعتهم على ذلك من أئمة علماء المذاهب الأربعة، لأن المدح كما علمت راجع لأوصافهم الممدوحة والذمّ راجع لأوصافهم المذمومة، ووالله لولا أن بدعهم متعلقة بلباب الدين وشؤون سيد المرسلين ﷺ لما تعرضت لأحد منهم بكلمة فيها أدنى ذم له ولو صدر منهم من الخطأ ما عساه أن يصدر لأنهم بشر وليسوا بأنبياء، فهم غير معصومين من الخطأ، وإنما ينظر إلى ما يغلب عليهم من الحسنات أو السيئات، وحسنات هؤلاء الأئمة هي بحمد الله أكثر من سيئاتهم أضعافاً كثيرة، لأنهم من أئمة الإسلام وأكابر العلماء الأعلام، لا سيما والاعتراض من مثلي على مثلهم فيه عدم توقير الصغير للكبير وهو منهي عنه شرعاً، إذ لا مناسبة بيني وبينهم في العلم والفهم لأني من أضعف الطلبة وهم من أئمة العلماء، ولكن هذه المسائل التي زلوا فيها وخالفوا فيها جمهور الأمة المحمدية، وجلبوا بها على المسلمين وعلى أنفسهم أعظم بلية هي من الظهور بحالة لا تخفى على مثلي ولا على من هو أقل مني، ومع ذلك فإني مع نقلي ردود العلماء عليهم في تلك البدع ومبالغتي في تحذير المسلمين منها والرد عليهم فيها أعتقد كمال فضلهم وتقواهم وإمامتهم في الدين في غير ما خالفوا به جمهور المسلمين فيلزمنا على كل حال توقيرهم والثناء عليهم لتلك الصفات الجميلة، وهم بلا شك أجدادي من حيث العلم، فأسانيدي متصلة بهم وذمي لهم إذا كان بدون حق فيه قطيعة لرحم القرابة العلمية، ولكن قد علمت أن هذا الذم هو بحق وصدق لأنه راجع إلى بدعتهم المذمومة، فالمذموم في الحقيقة تلك البدعة لا هم، ولا أشك بأنهم بعد موتهم حين انكشفت لهم الحقائق علموا أنهم كانوا مخطئين في تحريم السفر لزيارة سيد المرسلين والاستغاثة به ﷺ كسائر الأنبياء والصالحين، فهم لا يسوءهم من يردّ عليهم تلك الآراء الفاسدة وتحذير الناس من اتباعهم عليها، بل يسرهم ذلك ليقل من يتبعهم على تلك البدع الفاحشة في الدين، لا سيما ما يتعلق منها بسيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

واعلم أن جراءة مثلي من صغار طلبة العلم على مثل هؤلاء الأئمة الكبار ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي هي أمر لولا أنه متعلق برسول الله ﷺ لكنت أقول إنه بشدة الملامة جدير، ولذلك ترددت فيه زمناً طويلاً أقدم رجلاً وأؤخر أخرى إلى أن استخرت الله وتعالى وأقدمت عليه لما تحققت بسبب انتشار تلك الكتب أنه أولى وأحرى، ومهما تجرأت عليهم فجراءتهم على حقوق سيد المرسلين وسائر الأنبياء والصالحين ومن يزورهم أو يستغيث بهم من جميع المؤمنين، وعدهّم بذلك من جملة المشركين أعظم من جراءتي عليهم بما لا يقدر ولا يقبل النسبة، فهم بذلك أجرأ وأجسر، وبشدة الملامة أولى وأجدر، وعذرهم أنهم إنما يحامون بذلك عن توحيد الله تعالى عذر ظاهر البطلان وهو عند جميع العقلاء المنصفين من أهل الإيمان يعدّ من نوع الخيالات الفاسدة والهذيان؛ وما مثلهم في ذلك إلا مثل من يحتقر خواص أحد السلاطين ويزعم أن في احتقاره إياهم تعظيماً له، وفي تعظيمه إياهم تحقيراً لذلك السلطان، فهل يقبل ذلك عاقل أو يجهل فساده جاهل، ومع ذلك فقد نقلت في الرد عليهم عبارات من هو مثلهم وأعلى منهم وأدنى منهم من أئمة العلماء، فهم في الحقيقة الذين ردوا عليهم، وزيفوا كلامهم، وحذروا الناس من بدعهم ونبهوهم على زلتهم وشنعتهم غيرة منهم على الدين ونصرة لشريعة سيد المرسلين، ومحبة في هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، معتقدين كما هو الواقع الموافق لما جاء به الشارع أنهم بذلك يرضون رب العالمين عزّ وجلّ خلافاً لزعم أولئك المبتدعين ولم يخدعهم كما خدع أولئك الشيطان بأن في تلك البدعة وذلك الهذيان محاماة عن توحيد الرحمن، فإن ذلك من الأباطيل المدحوضة والوساوس المردودة؛ وأنا إنما اتبعت في الرد عليهم آثار أولئك السادات، وإن نوعت في ذلك العبارات، وجعلت خطأهم وخطلهم في ذلك من أوضح الواضحات لكثرة ما أوردته من البراهين والدلالات والله أعلم بالنيات، ثم بعد كتابتي هذا التنبيه بنحو شهرين اطلعت على كتاب «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» للشيخ سليمان بن عبد الوهاب الحنبلي، وهو أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي إمام الوهابية، فرأيت فيه ما يؤيد كلامي في هذا التنبيه نقلاً عن الإمامين المذكورين: ابن تيمية وابن القيم، وفيه فوائد أخرى مهمة في هذا الشأن؛ وأنا أنقله هنا فأقول:

قال رحمه الله: فصل قال ابن القيم في شرح المنازل: أهل السنّة متفقون على أن الشخص الواحد يكون فيه ولاية لله وعداوة من وجهين مختلفين، ويكون محبوباً لله مبغوضاً من وجهين بل يكون فيه إيمان ونفاق وإيمان وكفر، ويكون إلى أحدهما أقرب من الآخر. فيكون كما قال تعالى: ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ [آل عمران: ١٦٧] وقال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] فأثبت لهم تبارك وتعالى الإيمان مع مقارنة الشرك، فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسله لم ينفعهم ما معهم من الإيمان، وإن كان معه تصديق برسله وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا يخرجهم عن الإيمان بالرسل واليوم الآخر فهم مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أهل الكبائر، وبهذا الأصل أثبت أهل السنّة دخول أهل الكبائر النار ثم خروجهم منها ودخولهم الجنة لما قام بهم من السببين. قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] ليس بكفر ينقل عن الملة إذا فعله فهو كافر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وكذلك قال طاوس وعطاء انتهى كلامه. وقال الشيخ

تقي الدين يعني ابن تيمية: كان الصحابة والسلف يقولون إنه يكون في العبد إيمان ونفاق، وهذا يدل عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ [آل عمران: ١٦٧] وهذا كثير في كلام السلف يبينون أن القلب يكون فيه إيمان ونفاق، والكتاب والسنّة يدلان على ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان». فعلم أنه من كان معه من الإيمان أقل قليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق فهذا يعذب في النار على قدر ما معه، ثم تخرج إلى أن قال وتمام هذا أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر وشعبة من شعب النفاق، وقد يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية كما قال الصحابة ابن عباس وغيره كفر دون كفر وهذا عامة قول السلف اهـ.

قال الشيخ سليمان المذكور بعد هذا: فتأمل هذا الفصل وانظر حكايتهم الإجماع من السلف ولا تظن أن هذا في المخطىء، فإن ذلك مرفوع عنه إثم خطئه كما تقدم مراراً عديدة. قال مخاطباً جماعة الوهابية أخاه وأتباعه: فأنتم الآن تكفرون بأقل القليل من الكفر، بل تكفرون بما تظنون أنتم أنه كفر، بل تكفرون بصريح الإسلام، فإن عندكم أن من توقف عن تكفير من كفرتموه خائفاً من الله تعالى في تكفير من رأى عليه علامات الإسلام فهو عندكم كافر، نسأل الله العظيم أن يخرجكم من الظلمات إلى النور، وأن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ثم قال الشيخ سليمان المذكور، فصل قد تقدم لك من كلام أهل العلم وإجماعهم أنه لا يجوز أن يقلد ويؤتم به في الدين إلا من جمع شروط الاجتهاد إجماعاً، وتقدم أن من لم يجمع شروط الاجتهاد أنه يجب عليه التقليد وأن هذا لا خلاف فيه، وتقدم أيضاً إجماع أهل السنّة أن من كان مقراً بما جاء به الرسول ﷺ ملتزماً له، وإن كان فيه خصلة من الكفر الأكبر أو الشرك أن لا يكفر حتى تقام عليه الحجة التي يكفر تاركها، وأن الحجة لا تقوم إلا بالإجماع القطعي لا الظني، وأن الذي يقسم الحجة الإمام أو نائبه، وأن الكفر لا يكون إلا بإنكار الضروريات من دين الإسلام: كالوجود، والوحدانية، والرسالة؛ أو بإنكار الأمور الظاهرة: كوجوب الصلاة، وأن المسلم المقر بالرسول إذا استند إلى نوع شبهة تخفى على مثله لا يكفر، وأن مذهب أهل السنّة والجماعة التحاشي عن تكفير من انتسب إلى الإسلام، حتى إنهم يقفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الأمر بقتلهم دفعاً لضررهم لا لكفرهم، وأن الشخص الواحد يجتمع فيه الكفر والإيمان والنفاق والشرك، ولا يكفر كل الكفر وأن من أقر بالإسلام قبل منه سواء كان صادقاً أو كاذباً ولو ظهرت منه بعض علامات النفاق وأن المكفرين هم أهل الأهواء والبدع، وأن الجهل عذر عن الكفر، وكذلك الشبهة ولو كانت ضعيفة وغير ذلك مما تقدم، فإن وفقت ففي هذا كفاية للزجر عن بدعتكم هذه التي فارقتم بها جماعة المسلمين وأئمتهم، ونحن لم نستنبط ولكن حكينا كلام العلماء ونقلهم عن أهل الاجتهاد الكامل.
فلنرجع إلى ذكر وجوه تدل على عدم صحة ما ذهبتم إليه: من تكفير المسلم أو إخراجه من الإسلام إذا دعا غير الله، أو نذر لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو تبرك بقبر أو تمسح به، إلى غير ذلك مما تكفرون به المسلم، بل تكفرون من لا يكفر من فعل ذلك حتى جعلتم بلاد الإسلام كفراً وحرباً، فنقول:

عمدتكم في ذلك ما استنبطتم من القرآن، فقد تقدم الإجماع على أنه لا يجوز لمثلكم الاستنباط، ولا يحل لكم أن تعتمدوا على ما فهمتم من غير الاقتداء بأهل العلم، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقلدكم فيما فهمتم من غير اقتداء بأئمة الإسلام. فإن قلتم نحن مقتدون ببعض أهل العلم في أن هذه الأفعال شرك. قلنا نعم ونحن نوافقكم على أن من هذه الأفعال ما يكون شركاً، ولكن من أين أخذتم من كلام أهل العلم أن هذا هو الشرك الأكبر الذي ذكر الله سبحانه في القرآن، والذي يحل مال صاحبه ودمه وتجري عليه أحكام المرتدين وأن من شك في كفره فهو كافر؟ بينوا لنا من قال ذلك من أئمة المسلمين وانقلوا لنا كلامهم، واذكروا مواضعه هل أجمعوا عليه أم اختلفوا فيه؟ فنحن طالعنا بعض كلام أهل العلم ولم نجد كلامكم هذا بل وجدنا ما يدل على خلافه، وإن الكفر بإنكار الضروريات كالوجود والوحدانية والرسالة وما أشبه ذلك أو بإنكار الأحكام المجمع عليها إجماعاً ظاهراً قطعياً كوجوب أركان الإسلام الخمسة وما أشبهها مع أن من أنكر ذلك جاهلاً لم يكفر حتى يعرف تعريفاً تزول معه الجهالة وحينئذٍ يكون مكذباً لله تعالى ورسوله ﷺ فهذه الأمور التي تكفرون بها ليست ضروريات، وإن قلتم هي مجمع عليها إجماعاً ظاهراً يعرفه الخاص والعام، قلنا لكم بينوا لنا كلام العلماء في ذلك وإلا فبينوا كلام ألف منهم وحتى مائة أو عشرة أو واحد، فضلاً أن يكون إجماعاً ظاهراً كالصلاة فإن لم تجدوا إلا العبارة التي في الإقناع منسوبة إلى الشيخ وهي من جعل بينه وبين الله وسائط إلى آخره فهذه عبارة مجملة ونطلب منكم تفصيلها من كلام أهل العلم لتزول عنه الجهالة، ولكن من أعجب العجب أنكم تستدلون بها على خلاف كلام صاحبها، وعلى خلاف كلام من أوردها ونقلها في كتبه على خصوصيات كلامهم في هذه الأشياء التي تكفرون بها، بل ذكروا النذر والذبح وبعض الدعاء وبعضها عدوه في المكروهات كالتبرك والتمسح وأخذ تراب القبور للتبرك والطواف بها. وقد ذكر العلماء في كتبهم منهم صاحب الإقناع واللفظ له. قال: ويكره المبيت عند القبر وتجصيصه وتزويقه وتخليقه وتقبيله والطواف به وتبخيره وكتابة الرقاع إليه ودسها في الأنقاب والاستشفاء بالتربة من الأسقام، لأن ذلك كله من البدع انتهى. انتهت عبارة كتاب «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» بحروفها ولم أنقل منه في هذا الكتاب سواها، وبعضها من كراهة التبرك والتمسح وأخذ تراب القبور للتبرّك والطواف بها إلى آخر ما نقله عن كتاب الإقناع، وهو من أجل كتب الحنابلة يناسب نقله في آخر الباب الأول عند ذكر أحكام زيارة القبور وتقبيلها والطواف بها، وما أشبه ذلك مما ذكرته هناك عن أئمة الشافعية وغيرهم، ولكني أتبعت كلام هذا الحنبلي الفاضل هنا بعضه ببعض، ولم أشأ التفريق بينه فاكتفيت بذكره هنا عن ذكره هناك، ومنه يعلم أن كلام الإمام ابن تيمية وابن القيم في التعبير بشرك المخالفين للسنّة في زياراتهم قبور الأنبياء والأولياء واستغاثتهم بهم محمول على الزجر، وليس المقصود منه حقيقة الشرك، والشيخ سليمان بن عبد الوهاب هذا صاحب كتاب «الصواعق الإلهية» كلامه في كتابه هذا هو غالباً منحصر في عدم تكفير المستغيثين والزائرين لسيد المرسلين وسائر الأنبياء والصالحين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، ويظهر من كلامه أنه على مذهب ابن تيمية من منع الزيارة والاستغاثة بالأنبياء والصلحاء، ولكنه لا يكفر فاعلها كأخيه إمام الوهابية ولذلك لم أرَ حاجة لنقل شيء من كتابه المذكور غير ما تقدم في هذه العبارة لا سيما ولم أطلع على كتابه إلا بعد تمام تأليف كتابي هذا فكتبت عبارته هذه وألحقتها بهذا

الموضع إلحاقاً فليعلم ذلك، وكتاب الإقناع الذي نقل عنه كراهة تخليق القبور وتطييبها وتقبيلها وتبخيرها والطواف بها وكتابة الرقاع إليها والاستشفاء بتربتها ونحو ذلك هو من أجل كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه المعتمدة عندهم أكثر من اعتماد كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي في أحكام مذهب الإمام أحمد بدرجات، لأنه هو تأليف الإمام العلامة الشيخ أبي النجا شرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي الحنبلي المتوفى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة ٩٦٨، وبه تعلم أن لا خلاف بين مذهب الإمام أحمد وسائر المذاهب التي يأتي النقل عنها في آخر الباب الأول من هذا الكتاب في أن هذه الأمر التي يجريها بعض زوار القبور للتبرك بأصحابها من الأنبياء والصالحين ليست هي من المنع في الدرجة العظيمة التي يهوّل بها ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي في كتبهم ويبالغون في المنع منها إلى درجة تخيل للسامع أن ذلك من أعظم النكر بل من أكفر الكفر وإن كانوا هم لا يذهبون إلى تكفير فاعل ذلك حقيقة، وإنما يبالغون هذه المبالغات للزجر عن ارتكاب تلك المنهيات، ولكن ما كان ينبغي لهم استعمال كل هذه المبالغات التي أوهمت طائفة الوهابية أن الأمة كلها ضالة كافرة وبذلك؛ أما علماء مذهب الإمام أحمد العارفون فلا يهولهم ذلك، لأنهم يعرفون أحكام المذهب ويأخذونها من كتبهم المعتمدة المفتى بها ككتاب الإقناع هذا، ولا يعتبرون كلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي في أحكام الفقه فيما خالفوا به المذهب وإن كانوا عندهم بل وعند غيرهم من سعة العلم وكثرة الفضل والتبحر في الفنون وحفظ الكتاب والسنّة في الدرجة التي امتازوا بها على كثير من الحفاظ وأئمة الدين، ولكنهم انفردوا بأشياء بحسب ما أداهم اجتهادهم إليه خالفوا فيها، ولا سيما ابن تيمية مذهب الإمام أحمد وغيره فعدوها من زلاتهم في الدين فاجتنبوها وحذروا من اتباعهم كافة المسلمين نصيحة لله ورسوله. ومن ذلك منعهم الاستغاثة والسفر لزيارة الأنبياء والأولياء ولا سيما سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

التنبيه السادس

اعلم أني أعتقد في ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي أنهم من أئمة الدين وأكابر علماء المسلمين، وقد نفعوا الأمة المحمدية بعلمهم نفعاً عظيماً وإن أساؤوا غاية الإساءة في بدعة منع الزيارة والاستغاثة وأضروا بها الإسلام والمسلمين أضراراً عظيمة، وأقسم بالله العظيم إني قبل الاطلاع على كلامهم في هذا الباب في شؤون النبي ﷺ لم أكن أعتقد أن مسلماً يجترىء على ذلك، وإني منذ أشهر أتفكر في ذكر عباراتهم فلا أتجاسر على ذكرها ولو للرد عليها خوفاً من أن أكون سبباً في زيادة نشرها لشدة فظاعتها، فالله يغفر لهم ويرحمهم ويعاملهم بحسب نياتهم ولا يمنعنا ذلك من الترحم عليهم والانتفاع بعلمهم، فالجواد قد يكبو والسيف قد ينبو، كما أن انتفاعنا بعلمهم الخالص من الشوائب وهو الكثير الطيب لا يقتضي أنا راضون بكل ما رأوه صواباً لا سيما إذا كان خطؤهم فيه فاحشاً ظاهراً جلياً كمسألة الزيارة والاستغاثة، فهذا لا نتابعهم عليه ونرده عليهم وننفر الناس ونحذرهم بأبلغ ما يمكننا من اتباعهم عليه شفقة على المسلمين ومحبة لسيد المرسلين وخدمة لهذا الدين المبين فذلك هو الذي يرضي الله رب العالمين لا ما زعموه وننتفع من جهة أخرى بباقي علمهم سوى ما نسب إليهم من القول بالجهة في جانب الله تعالى، فهذا إن صح عنهم أشنع من ذاك

بدرجات. نعم إثبات الفوقية والاستواء على العرش والوجه واليدين والعينين وما أشبه ذلك من صفات الباري تعالى التي وردت في الكتاب والسنّة من غير تأويل ولا تشبيه مع تفويض علم حقائقها إليه تعالى والجزم بأنها لا تشبه صفات المخلوقات الحادثة وهو مذهب السلف وكثير من الخلف والصوفية على الإطلاق، فهذا غير ممنوع بل حسن مقبول ومشروع، كما أن المؤولين لا يعدون مخطئين، لأنهم بذلك قد حاموا عن الدين وأجابوا عن شبهات الكفرة والملحدين، ولكن التصريح بلفظ الجهة أي جهة العلو لم يرد كما قال العلماء في الكتاب والسنّة أصلاً ولا ورد عن أحد من السلف قطعاً، فإن صح عن ابن تيمية أنه قائل به فقوله مثل قوله في الاستغاثة والسفر للزيارة مردود ممنوع لا مقبول ولا مسموع، وقد قال بعض العلماء بكفر القائلين بالجهة لأن ذلك يستلزم اعتقاد التجسيم في جانب الله عزّ وجلّ، لكن جمهور العلماء على تبديعهم وعدم تكفيرهم لأن لازم المذهب ليس بمذهب فنرفض من أقوال ابن تيمية وتلميذيه المذكورين ذلك وننتفع بسائر علمهم الذي لم يخالفوا فيه أهل السنّة، ولكن لا ينبغي لغير العلماء من العوام والطلبة القاصرين المطالعة في كتبهم لئلا يسري فيهم سم بدعهم الممنوعة فيعسر زوال أثرها من قلوبهم كما شاهدنا ذلك في بعضهم، وإني بسبب اعتماد أقوالهم وحسن عباراتهم وجودة آرائهم في غير ما ابتدعوه وخالفوا الأمة فيه من تلك المسائل المعلومة المذمومة قد نقلت عن ابن تيمية وابن القيم في بعض كتبي كحجة الله على العالمين وسعادة الدارين وغيرهما ما تطيب به النفوس وتتزين به الطروس، وهم من هذه الجهة أهل للثناء الجميل، ومهما بالغ المثني عليهم لا يبلغ ما يستحقونه بخدمتهم هذا الدين المبين، كما أنهم من جهة تلك البدع المشؤومة أهل للذم الشنيع، ومهما بالغ الذامّ لا يبلغ ما يستحقونه بأذيتهم ببدعهم المسلمين وتفريقهم بها بين المؤمنين لمبالغتهم في كتبهم في تضليل من يفعل ذلك وهم جمهور الأمة المحمدية، وجراءتهم على سيد المرسلين وسائر النبيين وعباد الله الصالحين، وفرقة الوهابية لم تنشأ إلا منهم وليس لها رواية إلا عنهم، وهم أكابر أئمتها وقادتها وسبب ضلالها وغوايتها، ولا يخفى ما حصل منها ولم يزل يحصل من الأضرار العظيمة على الإسلام والمسلمين، ومع ذلك فمهما بالغنا في شناعة بدعهم والأضرار العظيمة التي نشأت عنها فإن ذلك كله لا يتعاظم عفو الله تعالى عنهم لحسن نياتهم وكثرة حسناتهم، ولكن كثير من ضعفاء الطلبة والعوام إذا طالعوا كتبهم من دون تنبيه على ما فيها من تلك البدع ربما يحصل لهم تشويش في عقائدهم، بل حصل ذلك بالفعل لكثير منهم كما تقدم؛ فوجب علينا لهذا السبب التشنيع عليهم من جهة ابتداعهم تلك البدع خاصة ونأخذ من علمهم فوائدهم الخالصة، فاعلم ذلك أيها المطلع على كتابي هذا وفرق بين الحالتين، وأسأل الله تعالى أن يثيبني وإياهم على حسن نياتنا من الجهتين. وأنقل هنا عبارة رأيتها في مجموعة تشتمل على جملة فتاوى للإمام ابن تيمية ذكر هذه العبارة في إحداها بعد نقله عن إمام السنّة أبي الحسن الأشعري وإمام الحرمين والإمام الغزالي ما يوافق مذهبه من إمرار صفات الباري عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسنّة على ظاهرها بدون تأويل ولا تشبيه كما هو مذهب السلف مع كونه: أي ابن تيمية يخالف في كتبه الأشعري إمام أهل السنّة الذي معظم الأمة المحمدية على مذهبه ويشنع عليه وعلى أئمة أتباعه كإمام الحرمين والإمام الغزالي، فلما نقل عنهم في هذه الفتوى وغيرها من كتبه عباراتهم وقوّى بها ما ذهب إليه من اتباع مذهب السلف في عدم تأويل الصفات خاف أن يتوهم من يطلع على نقله عنهم

أنه رجع عن مخالفتهم في غير ما ذكر، فقال رحمه الله وعفا عنه بعد أن نقل عنهم ذلك ما لفظه: قلت وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة في هذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في غير هذا، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به. وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه: اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً، أو قال فاجراً، واحذروا زيغة الحكيم، قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال على الحق نور أو كلاماً هذا معناه، انتهت عبارة ابن تيمية بلفظها. ولعمري إن بدعته هذه هي زيغة الحكيم وإنا نحذرها ونحذر الناس منها.

التنبيه السابع

إياك أيها المسلم الذي يعز عليه دينه ولا يشاب بالشك يقينه أن يخدعك الشيطان الرجيم كما خدع غيرك من ضعاف العقول بقوله هذا ابن تيمية وجماعته كابن القيم وابن عبد الهادي هم من أكابر العلماء وأئمة الإسلام باعتراف من يرد عليهم من العلماء الأعلام، وإذا كانوا كذلك فهم أعلم منك بهذه المسائل التي خالفوا فيها الأمة والأئمة، ولولا أن ظهر لهم بطلان ما عليه جمهور المسلمين من السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم لما تجاسروا على جعلهم من جملة المشركين ولم يستثنوا من ذلك زوار سيد المرسلين والمستغيثين به من المسلمين، فهذا دليل ظاهر على أنهم على الحق، لأنهم إنما راعوا جانب الله تعالى وتوحيده ولم يراعوا الخلق، فإذا قال لك الشيطان يا أخي هذا المقال وأراد أن يسوقك بهذه التمويهات الباطلة كما ساق غيرك إلى سبيل الضلال فقل له في الجواب: إن أئمة الضلال ورؤساء أصحاب البدع والأهواء هم أيضاً من أكابر الأئمة وأعلم العلماء ولكن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولعلم نبينا ﷺ بتعليم الله تعالى له بأنه سيقع في أمته اختلاف في الدين أمرنا أن نكون مع السواد الأعظم وهو جمهور المسلمين، وهم أهل المذاهب الأربعة وساداتنا الصوفية وأكابر المحدثين، فهذه هي الأمة المحمدية وهم جميعهم مخالفون بدع ابن تيمية، وفيهم ممن هو أكثر منه علماً وأدق فهماً وأسلم ذوقاً وأوسع معرفة وأفضل من كل الوجوه علماً وعملاً آلاف ألوف ألوف من عهده ﷺ إلى الآن أفيكون كل هؤلاء على الخطأ وتكون الأمة بأسرها ضالة بذلك، وابن تيمية وطائفة الوهابية على الحق والهدى، هذا مما لا يقبله إلا كل جاهل بهيم فاقد للعقل والذوق السليم، لا سيما وخطؤه في هذه البدع بالنظر لشدّة فحشه ظاهر على أنه من نوع الخيالات والأوهام لا من آراء أئمة الإسلام، ولا يخفى على العوام فضلاً عن العلماء الأعلام فلا تقدر أيها الشيطان أن تقودني بزخارفك الباطلة التي قدت بها ضعاف الأحلام إلى استحسان قبائحه الظاهرة واستقباح محاسن الإسلام، وهو مشروعية السفر لزيارة الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم ولا سيما سيدهم الأعظم عليه الصلاة والسلام. وأما تسويلك لهم ولمن اتبعهم من ضعاف العقول أن في بدعتهم مراعاة لجانب الله تعالى وتوحيد، فهو من تمويهك الحق بالباطل وخلطك الحالي بالعاطل، ولكن ذلك لا يروج إلا على من أراد الله رواجه عليه مع ظهور بطلانه إلى درجة لا تخفى على أجهل الجهلاء فضلاً عمن فوقه من الفضلاء والعلماء، إذ من الجلي الواضح البين الذي لا يخفى على من وضع الله في قلبه أدنى نور أن مراعاة جانب الله تعالى والمحافظة على توحيده

إنما تكون بتعظيم من عظمه الله تعالى وتحقير من حقره الله تعـالى، وقد عـظم الله تعالى أنبيـاءه وأصفياءه فعظمناهم لأجله، فالتعظيم في الحقيقة راجع إليه سبحانه وتعالى، وقد جعلهم سبحانه وتعالى وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه فوسطناهم له عزّ وجلّ لقضاء حوائجنا تبعاً له في توسيطهم لنا في تبليغ شرائعه واحتقاراً لأنفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا كما أنه تعالى قد حقرك أيها الشيطان ومن اتبعك من الإنس والجان فحقرناك لذلك، ومن تحقيرك أن لا نقبل منك هذه الوساوس والتمويهات التي تسوقها إلينا وتلقيها علينا، فنحن عبيده سبحانه وتعالى نحب بحبه من أحبه ونعظم من عظمه ونبغض ببغضه من أبغضه ونحقر من حقره، فنحن والحمد لله المراعون لجانب الله تعالى وتوحيده لا أولئك المبتدعون الذين قدتهم بزمام زخارفك وتمويهاتك إلى التقصير في حق أنبياء الله تعالى وأصفيائه ولا سيما حبيبه الأعظم ﷺ، فإذا فعلت هذا أيها المسلم في رد تلك الوساوس تغلب ذلك الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التنبيه الثامن

اعلم أنه لو كان الحكم في السفر لزيارة قبر النبي ﷺ التحريم كما زعمه ابن تيمية لامتنع الناس لذلك من زيارته عليه الصلاة والسلام ولصارت المدينة المنوّرة من أحقر المدن بل من أحقر القرى وكادت تكون خراباً بلقعاً، فإن عمارتها إنما هي لوجود قبره الشريف ﷺ فيها، فإن زيارة المؤمنين لها وانتيابهم إياها وترددهم إليها ومجاورتهم فيها كل ذلك إنما هو لأجله ﷺ ليكون وسيلتهم إلى الله تعالى في سعادتهم، لأنه ثبت عندهم ثبوتاً أوضح من الشمس وإن جحده العميان أنه ﷺ أقرب الوسائل وأجلها وأنجحها إلى الله تعالى. فإن قيل هذا مسجده الشريف ﷺ يشرع السفر إليه بالاتفاق لأنه أحد المساجد الثلاثة التي قال فيها ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»** يقال له في الجواب هذا المسجد الأقصى هو من جملة الثلاثة ولا نرى زواره إلا قليلاً جداً وقد سكنت في القدس الشريف مدة من الزمان في وظيفة رياسة محكمة الأمور الجزائية فشاهدت ذلك من قلة الزوار من الجهات البعيدة وهم من الجهات القريبة أقل، وأعجب من ذلك أن صلاة الجماعة في مسجدها لا يحضرها إلا القليل من أهل البلدة ومنازلهم في جوار المسجد يصلون فيها غالباً إلا القليل منهم، وإذا كان هذا شأن أهلها ومن جاورها من أهل البلاد القريبة فما بالك بأهل البلاد البعيدة، ولولا زيارات النصارى واليهود لمعابدهم في بيت المقدس لكان بيت المقدس يعد من جملة القرى الحقيرة لعدم من ينتابه من الناس وقلة أسباب المعيشة فيه، هذا شأنه مع أن موقعه في وسط المعمور في بلاد الشام وزيارته في غاية السهولة متيسرة لكل من شاءها، ومع هذا لا يزوره إلا القليل من المسلمين وأكثرهم في موسم عيد النصارى ليزوروا سيدنا موسى عليه السلام، وينظروا جماعات الناس في ذلك الموسم من سائر الطوائف ومن ينوي بسفره الصلاة في مسجده الأقصى خاصة أندر من النادر إن وجد وإنما ينوون غالباً زيارة قبور الأنبياء في بيت المقدس وما جاوره. إذا علمت ذلك تعلم أن المسلمين لو اتبعوا ابن تيمية على زلته في تحريم السفر لزيارة قبره الشريف ﷺ لأصبحت مدينته عليه الصلاة والسلام قفراً بلقعاً، وظاهر أن ذلك شيء

لا يرضي الله ورسوله وجماعة المسلمين ولا يستحسنه كل من كان في قلبه رعاية لجنابه الشريف ﷺ نعم الوهابية ومن كان على شاكلتهم من أتباع ابن تيمية في هذه المسائل البدعية لا يبالون بذلك، لأن محبته ﷺ ليس لها في قلوبهم هذه الدرجة التي تحملهم على المبالاة بخراب بلده وهجر الأمة لقبره الشريف ﷺ جملة واحدة، ولما رسخ في قلوبهم من الظلام الذي جعل حاجزاً عظيماً بينهم وبين محبته عليه الصلاة والسلام أخبرني رجل من أهل نجد من بلادهم التي استفحل فيها أمرهم وقويت فيها بدعتهم أن الكثير من أهلها يحضرون إلى المدينة المنوّرة للتجارة وغيرها من الأسباب الدنيوية فيقضون حاجاتهم ويرجعون إلى بلادهم من دون أن يزوروا قبره الشريف ﷺ، فهذا بعض ما ترتب على بدعة ابن تيمية عن الفساد ومجانبته طريق السداد.

التنبيه التاسع

اعلم أني لم أقصد بكثرة إقامة البراهين في هذا الكتاب على مشروعية الاستغاثة والسفر لزيارة سيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين وإثبات أنها من أقرب القربات وأحسن الحسنات وأفضل البر وأكمل الطاعات وأعظم الوسائل المتقبلات عند الله تعالى ورسوله الأعظم ﷺ أن أقنع بذلك أتباع ابن تيمية من الوهابية ومن غذي بلبان بدعتهم من الصغر ممن أعجبه شأنهم من شذاذ المذاهب الأخرى، فإن هؤلاء لا أمل في نجاحهم بعد أن امتزجت هذه البدعة الشنيعة بلحمهم ودمهم وسرت فيهم سريان داء الكلب في المكلوب وتمكن الشيطان منهم تمكن الصبي الحاذق من الكرة يلعب بها كيف يشاء، فمثل هؤلاء لا يتصور أحدهم إذا سمع البحث في هذا الأمر إلا أنه كيف يجادل ويخاصم وكيف يردّ ما يرد عليه من الأدلة ولا يقدر في نفسه أنه يقبل ذلك أبداً كما كان ذلك فيما قاله العلماء شأن إمامهم ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي، ويعلم هذا من كلامهم عفا الله عنهم؛ وكل من طالع كتبهم بإنصاف في أبحاث بدعهم هذه يسلم أن ذلك خلقهم فيها وما جبلوا عليه وكلام جميعهم فيها على نمط واحد من التمويه والتلبيس والتخييل والتوهيم والتهويل، فمن جاء بعدهم ممن أعجبه شأنهم وجرى على بدعتهم ولا سيما إذا كان من أهل مذهبهم كالوهابية كيف يرجع عن ذلك بإقامة الحجة عليه، هذا لا سبيل إليه وليس لي ولا لغيري فيه مطمع كما نقل سيدي السيد أحمد دحلان في كتابه «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» على العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على الوهابية المسمى «جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام» قال فيه: لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة بعد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فأخبرني أنه ألف كتاباً في الرد على هذه الطائفة سماه «الانتصار للأولياء الأبرار» وقال لي لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في قلبه. وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري «يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه» انتهت عبارته، وقال الإمام الغزالي في كتاب العلم من إحياء علوم الدين: أما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً ما وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة؛ وأما العامي إذا

صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يردّ إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء، فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس ا هـ. ولهذا لم يكن قصدي من تأليف هذا الكتاب هداية الوهابية وأشباههم ممن امتزجت هذه البدعة الخبيثة بلحمهم ودمهم، ولكن قصدي الوحيد هو تفهيم المسلمين من أهل المذاهب الثلاثة عموماً والحنابلة غير الوهابية أن هذه البدعة مخالفة لما عليه جمهور الأمة المحمدية. وقد نقلت عن علماء المذاهب الأربعة تشنيعهم فيها على ابن تيمية بل تجاوز إلى تكفيره بعض العلماء الفحول، وإن كان ذلك غير مرضي ولا مقبول.

فإذا علمت ذلك أيها المسلم السنّي من أهل المذاهب الإسلامية فإياك أن يخدعك الشيطان أو أحد من أعوانه ممن حقت عليهم كلمة الخسران، وقد كثروا في هذا الزمان، ويزين لك هذه البدعة الخبيثة التيمية الوهابية مع دعوى الاجتهاد المطلق وترك تقليد المذاهب في الأحكام الشرعية فإن في ذلك هلاك دينك أيها المسكين فاتقِ الله في نفسك واستعذبه سبحانه من الشياطين وإخوان الشياطين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

التنبيه العاشر

لا يتوهم متوهم من القاصرين أن الإمام ابن تيمية أو أحداً من جماعته، ولا سيما الإمام ابن القيم والحافظ ابن عبد الهادي يقصدون بعباراتهم التي منعوا فيها السفر لزيارة القبور وتعظيمها حتى قبر النبي ﷺ وضع مقامه الشريف ﷺ أو التعرض لعليّ رتبته التي تجاوزت رتب المخلوقين على الإطلاق، حاشاهم من ذلك فإنهم هم من أكابر علماء المسلمين وحماة هذا الدين المبين، ولكن لهم مذهب فاسد في ذلك سلكوه، واعتقاد فاسد اعتقدوه بحسب ما ظهر لهم من الأدلة التي قامت عندهم وفهموه من الكتاب والسنّة بقدر ما أعطاهم الله في ذلك من الفهم. أما علو مقام النبي ﷺ فهم قد شرحوه وبينوه في كتبهم. أما ابن عبد الهادي فلم أطلع له على كتاب غير «الصارم المبكي» ويا ليته لم يؤلفه. وأما ابن القيم فمن أحسن كتبه كتاب «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على سيد الأنام ﷺ» وقد نقلت منه في كتابي «سعادة الدارين» فوائد مهمات يعظم له بها إن شاء الله تعالى المثوبات، وكتابه «زاد المعاد» هو من أجلّ وأنفع الكتب الدينية. وأما الإمام ابن تيمية فمن أحسن كتبه «الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح» وقد نقلت منه في «حجة الله على العالمين» وغيره ما تنشرح به الصدور وتكثر له به إن شاء الله تعالى الأجور، وقد رأيت أن أنقل عبارة له هنا في تعظيم النبي ﷺ ذكرها في كتابه المسمى بـ «بيان موافقة صريح المعقول لصريح المنقول» وهو كتاب العقل والنقل الذي ذكر الإمام السبكي أنه رد على مواضع منه خالف بها مذهب أهل السنّة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، وعبارته التي عظم بها النبي ﷺ في كتابه المذكور هي وإن أخذها ممن تقدمه من أكابر العلماء كالقاضي عياض في الشفاء إلا أن نقله إياها دليل على أنه مرتضيها كيف لا؟ هو من أئمة الإسلام وأكابر خدام شريعته عليه الصلاة والسلام وهي قوله: فإذا خاطبناه: يعني النبي ﷺ كان علينا أن نتأدب بأدب الله تعالى حيث قال: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [النور: ٦٣] فلا نقول يا محمد يا أحمد كما يدعو بعضنا بعضاً، بل نقول يا رسول الله يا نبي الله، والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم، فقال: ﴿يا آدم اسكن

أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾ [هود: ٤٨] ﴿يا موسى إني أنا ربك يا عيسى إن متوفيك ورافعك إليّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ولما خاطبه ﷺ قال: ﴿يا أيها النبي﴾ ﴿يا أيها الرسول﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿يا أيها المزمل﴾ [المزمل: ١] ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١] فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه ﷺ انتهت عبارته.

أليس من العجيب أن من يقول هذا الكلام في حق سيد الأنام عليه الصلاة والسلام يدعو الناس إلى عدم السفر لزيارة قبره الشريف ويجعل ذلك معصية من معاصي الله تعالى، ويمنعهم من الاستغاثة إلى الله تعالى به عليه الصلاة والسلام، ويجعل ذلك من الإشراك بالله سبحانه وتعالى، فوالله لولا أن الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء لما كنا نصدق بأن ذلك يصدر من أحد من ضعاف علماء الإسلام فضلاً عمن هو كابن تيمية إمام وأي إمام، وأغرب من ذلك أن يتبعه عليه مثل ابن القيم وهو أيضاً من أئمة العلماء الأعلام، وابن عبد الهادي أيضاً من أكابر حفاظ الإسلام، وسيأتي نقل بعض عباراتهم الشنيعة في هذا الشأن، فيتحقق بذلك كل من عافاه الله تعالى منها أنها ليست من عملهم وإنما هي من عمل الشيطان، ولكنهم مع ذلك هم لحسن نياتهم وكثرة حسناتهم أهل ومحل للعفو والرحمة والغفران.

التنبيه الحادي عشر

يجب على طلبة العلم وعوام المسلمين أن لا يخالطوا هؤلاء المبتدعين من الطلبة القاصرين والعلماء الفاسقين الذين يشوشون عقائد المسلمين ويجتهدون في تفريق كلمة المؤمنين ويلقون عليهم من الشبه والدسائس ما يشككهم في صحة ما هم عليه من اتباع مذاهب المجتهدين ويزينون لهم بدع الوهابية زاعمين أنهم بذلك يحافظون على توحيد رب العالمين، وهم في الحقيقة مطيعون بذلك لإمامهم إبليس اللعين الذي نفث في قلوبهم تلك البدع بقصد إفرادهم عن جماعة المؤمنين وإخلالهم بما يجب من تعظيم خواص عباد الله تعالى من الأنبياء والصالحين ولا سيما سيدهم الأعظم سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. فالمتحتم على كل مسلم أن يجتنب من هذا شأنهم من أولئك المبتدعين، ويلزم جماعة المسلمين وما نشأ عليه من أحكام هذا الدين المبين، قال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المشهور بالراغب الأصفهاني في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» في الباب الرابع والعشرين منه؛ وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الاختلافات المشككة والشبه الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا يتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك به إلى الارتداد، ولذلك نهى الله تعالى من لم يكن بقوي في الإسلام عن مخالطة الكفار فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً﴾ [آل عمران: ١١٨] وقال الله تعالى: ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ [المائدة: ٧٧] الآية، ولأجل ذلك كره للعامة أن يجالسوا أهل الأهواء والبدع لئلا يغووهم، فالعامي إذا خلا بأهل البدع كالشاة إذا خلت بالسبع.
وقال بعض الحكماء: إنما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لأنه تعالى أراد أن يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى، فحرم على المسلمين ذلك إذ هو معظم مأكولاتهم، وعظم الأمر في تناوله ومسه ليتنزه المسلمون عن الاجتماع معهم في

المؤاكلة والأنس. وقال عليه الصلاة والسلام في المؤمن والكافر «لا تتراءى ناراهما» لذلك. وأما الحكيم فلا بأس بمجالسته إياهم، فإنه جار مجرى سلطان ذي أجناد وعدة وعتاد لا يخاف عليه العدو حيثما توجه، ولهذا جوز له الاستماع للشبه، بل أوجب عليه أن يتتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجادلهم ويدافعهم، فالعالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين. فالجهاد جهادان: جهاد بالبنان؛ وجهاد بالبيان، ولما تقدم سمى الله تعالى الحجة سلطاناً في غير موضع من كتابه العزيز كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إني آتيكم بسلطان مبين﴾ [الزخرف: ١٩] انتهت عبارته.

واعلم أن معنى الحكيم الذي أباح له مجالسة أهل البدع للرد عليهم إنما هو العالم المتمكن من العلم الذي لا يخشى عليه من ورود الشبه عليه زيغ وضلال. أما طلبة العلم الذين هم بصدد التعلم أو الذين انقطعوا عن العلم قبل أن يبلغوا فيه مبلغ العلماء المتمكنين فلا يجوز لهم مخالطة أهل البدع واستماع شبههم ولو بقصد الرد عليهم، فإنهم لضعفهم وعجزهم تتمكن من نفوسهم تلك الشبه ويعسر زوالها عنهم، ويصيرون من جملة المبتدعين كما شاهدنا ذلك في بعض الطلبة الحمقى من أهل هذا الزمان الذين بمخالطتهم لأهل الضلال تركوا ما كانوا عليه من الهدى، وصار الاجتماع بهم أيضاً وسماع مجادلاتهم غير جائز لمن يهمه سلامة دينه من أهل الإسلام سواء كان من طلبة العلم أو من العوام.

التنبيه الثاني عشر

اعلم أيها المسلم السنّي من الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو المنصفين من الحنابلة أن الإمام ابن تيمية لم يختص فرقة دون فرقة من هذه المذاهب الإسلامية باعتراضاته وتشنيعاته، وإنما هو يضلل جميع المسلمين من الأشاعرة والماتريدية الذين هم معظم الأمة المحمدية، ويبالغ في ذم أئمتهم وتضليلهم وتجهيلهم: كالإمام أبي الحسن الأشعري الذي هو إمام الشافعية والمالكية على الإطلاق من عهده إلى الآن وإلى ما شاء الله، وكإمام الحرمين، والفخر الرازي، والإمام الغزالي وغيرهم من أكابر أئمة الإسلام الذين وقع الاتفاق على إمامتهم وجلالة أقدارهم، وكما أنهم أئمة الأشاعرة الشافعية والمالكية هم أيضاً أئمة الحنفية الماتريدية، لأن المذهبين في العقائد في حكم مذهب واحد وهو مذهب أهل السنّة والجماعة لا يختلفون في شيء مهم ولا يضلل بعضهم بعضاً. فاعتراضات ابن تيمية على عقائدهم وتشنيعاته على أئمتهم شاملة لجميعهم ويزيد على ذلك تفكير كثير من أئمة الصوفية الذين هم سادات الأمة وعبادها وأولياؤها وزهادها ومحل اعتقاداتها وبركاتها، فهو رحمه الله وعفا عنه، قد أقام نفسه مقام إمام الأمة بأسرها من عهد النبي ﷺ إلى عصره، ونظر إلى أئمتها نظر المحتقر لهم المنتقد عليهم المعتقد في نفسه أنه أكمل وأفضل وأورع وأتقى وأعلم وأفهم وأعرف بكلام الله ورسوله وسيرة السلف الصالح منهم أجمعين. وكلما كان الإمام منهم أكثر شهرة بالعلم والعمل والتحقيق وسعة الفضل بحيث تصير له عند الأمة وبين علمائها المزية الكبرى، والمقام العالي يكون أشد عداوة إليه وأقبح تشنيعاً عليه كإمام الأمة أبي الحسن الأشعري ومن عطف عليه، ومن كلامه ورأى شدة عداوته لأولئك الأئمة الأعلام وما رماهم به من أنواع المذام يظن أو يتيقن أن مراده

بذلك إسقاط أولئك الأئمة ليكون وحده إمام جميع الأمة، ومن العجب أنه إذا أحوجه البحث إما لإقناع الخصم وإما لبيان أنه واسع الاطلاع على كتبهم ومذاهبهم أو غير ذلك من الأسباب إلى مدحهم بما هم أهل له من سعة العلم وشدة الفهم والذكاء ونحو ذلك فلا بدّ أن يشوب تلك العبارة بكلام يغض فيه من قدرهم ولا يجعله مدحاً خالصاً لهم، وقد رأيت هذا المعنى كثيراً في عباراته في كتابه «منهاج السنة» وغيره والله أعلم بالسرائر، وهو المطلع على خفيات الضمائر، ومع ذلك فهو كما شهد له كثير من أكابر العلماء إمام من أئمة الإسلام، ولكن لا يقتدى به إلا كل ناقص العقل والدين في تلك الشذوذات والأوهام التي من أهمها منع الاستغاثة والسفر إلى زيارة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

الأبواب الثمانية

الباب الأول

في إثبات مشروعية السفر إلى زيارة قبره الشريف ﷺ كسائر الأنبياء والصالحين

وقد رأيت أن أفتتح هذا الباب بأرجوزة بديعة مدحت بها النبي ﷺ ورددت على من منع السفر لزيارة قبره الشريف وهي قولي:

برئت من عقيدة الأشرار ... من منعوا زيارة المختار
خير البرايا نخبة الأخيار ... وأنه وسيلة للباري
سبحانه في كل خير طاري ... متى تهادى نحوه المهاري
نطوي له صحائف القفار ... حتى نرى في جملة الزوّار
نزوره بالشد والأسفار ... برغم كل خادع غرار
أكرم به من سيد مزار ... من جوده يا خجل البخار
في بحره سفن الهدى جواري ... وهو لعمري منبع الأنوار
منه استفادت نورها الدراري ... هدى أهالي المدن والبراري
أحيا القرى وسائر الأمصار ... لقدره رجاحة المقدار
قرآنه المحيي لكل قاري ... على العدا كالصارم البتار
فكل حرف منه ذو الفقار ... فاق الورى في سائر الأعصار
بكل فضل كان واعتبار ... مديحه يغني عن الأوتار

تعجز عنه غرر الأشعار — به توسلنا إلى القهار
نبغي به النصر على الكفار — يا رب سلمنا من الأكدار
حسن به أحوالنا يا باري — به أجرنا من عذاب النار
به أكفنا غائلة الأشرار — به أرضنا في جملة الأبرار
به احمنا من سائر الأضرار — به أنلنا غاية الفخار
جواره امنحنا بخير دار — يا حبذا محمد من جار
نواله في كل أرض جاري — وسره في كل قطر ساري
عدوّه من كل خير عاري — فاشمل أعاديه بكل عار
يا عالماً بغامض الأسرار — أسبل علينا أجمل الأستار
واغننا بفضلك المدرار — واكشف إلهي حالة الإعسار
وارم أعادي الدين بالدمار — صرنا من المحنة في غمار
من كثرة المصائب الطواري — في زمن دبر بالأدبار
أحاط بالإسلام كالسوار — الليث فيه انقاد للحمار
رمت لظى الإلحاد بالشرار — والدين إن يسلم من الكفار
يؤذيه منا عصبة الأغمار — فاحرسه يا رب من الأشرار
واحفظه بالأنجاد والأغوار — كما حفظت الكنز بالجدار
بحق طه المصطفى المختار — يا ربنا واغفر به أوزاري
حسن به بين الورى أخباري — ثبت على دين الهدى قراري
شد على الخير عرى اقتداري — جمل به كمل به أطواري
أرح به من تعب أفكاري — أنعم به عليّ باليسار
سهل به يسر به إعساري — خذ لي ممن كادني بثاري
واشف سقامي وأزل عواري — أصلح به الأهل مع الذراري
وارحم جميع أمة المختار — أول عداها غاية الصغار
والطف بها يا رب بالأقدار — ووقها من سقطة العثار
وصل يا رب بلا مقدار — عليه مع آل له أطهار
وصحبه وسائر الأخيار — واختم بإحسان لنا يا باري

اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ والسفر إليها من أحسن وجوه تعظيمه المتفق على مشروعيته وهو مع ذلك من أكبر أنواع التوسل به ﷺ إلى الله تعالى لقضاء الحاجات الدنيوية والأخروية. وها أنا أنقل كلام بعض الأئمة في ذلك على إثبات مشروعيتها، ثم أطيل الكلام على التوسل به ﷺ وهو معظم الكتاب وقد يذكر مع الكلام على الزيارة الكلام على التوسل وبالعكس لشدة قرب المناسبة بينهما ولأن المخالف قد خالف فيهما والرد عليه فيهما، والأمر في ذلك سهل، وقد تبعت في ذلك العلماء الذين تكلموا عليهما معاً، ولا حرج في ذلك فليعلم.

مشروعية السفر إلى زيارة قبر نبينا محمد ﷺ

قال الإمام ابن حجر المكي الشافعي في كتابه «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم»:

اعلم وفقني الله وإياك لطاعاته وفهم خصوصيات نبيه ﷺ والمسارعة إلى مرضاته أن زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة وبالقياس. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] دلت على حث الأمة على المجيء إليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذا لا ينقطع بموته، ودلت أيضاً على تعليق وجدانهم الله تواباً رحيماً بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم، فأما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد: ١٩] وصح في مسلم عن بعض الصحابة أنهم فهموا من الآية ذلك، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته، وليس في الآية ما يعين تأخر استغفار الرسول ﷺ عن استغفارهم، بل هي محتملة والمعنى يؤيد أنه لا فرق بين تقدمه وتأخره، فإن القصد إدخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار النبي ﷺ هذا إن جعلنا ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ [النساء: ٦٤] عطفاً على ﴿فاستغفروا الله﴾ [النساء: ٦٤]. أما إن جعلناه عطفاً على ﴿ جاؤوك ﴾[النساء: ٦٤] فلا يحتاج لذلك، كما أنا إذا قلنا إن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الأحاديث الآتية فلا يضره عطفه على ﴿فاستغفروا الله﴾ إذا أمكن استغفاره لأمته بعد موته، وقد علم كمال شفقته ورحمته عليهم، فمعلوم أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه سبحانه وتعالى، وحينئذٍ ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ مستغفراً في حياته وبعد وفاته، والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات، ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين، واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً لله تعالى كما يأتي ذلك مع حكاية العتبي التي ذكرها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون، وكلهم استحبوها للزائر ورأوها من آدابه التي يسن له فعلها، ويستفاد من وقوع جاؤوك في حيز الشرط الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجيء إليه من بعد ومن قرب بسفر وبغير سفر، وقوله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ [النساء: ١٠٠] ولا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله لما يأتي أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته في حياته وزيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعاً، فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية. وأما السنة فما يأتي من الأحاديث.

وأما القياس، فقد جاء أيضاً في السنّة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر نبينا محمد ﷺ منها أولى وأحرى وأحق وأعلى، بل لا نسبة بينه وبين غيره وأيضاً فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد، فقبره الشريف أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم، وليست زيارته ﷺ إلا لتعظيمه والتبرك به، ولينالنا عظيم الرحمة والبركة بصلاتنا وسلامنا عليه ﷺ عند قبره الشريف

بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ. وأما إجماع المسلمين فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول في نقل الخلاف الإجماع عليها، وإنما الخلاف بينهم في أنها واجبة أو مندوبة، وأكثر العلماء من السلف والخلف على ندبها دون وجوبها، وعلى كل من القولين فهي مع مقدماتها من نحو السفر إليها ولو بقصدها فقط دون أن يضم لها قصد اعتكاف أو صلاة بمسجده ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي، ومن ثم قال الحنفية: إنها تقرب من درجة الواجبات، وقال بعض أئمة المالكية إنها واجبة، قال غيره منهم يعني من السنن الواجبة ويدل لذلك أحاديث صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته: منها قوله ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»** وفي رواية «حلت له شفاعتي» صححه جماعة من أئمة الحديث.

قال السبكي: ومن أجودها إسناداً خبر «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي» انتهى. روى الحديث الأول الدارقطني وابن السكن وصححه، بل قضية كلامه أنه مجمع على صحته بلفظ «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

قال السبكي: وتبويب ابن السكن يدل على أنه فهم منه أن المراد بعد الموت أو أن ما بعد الموت داخل في العموم وهو صحيح، والمراد بقوله ﷺ: **«لا تعمله حاجة إلا زيارتي»** اجتناب قصد ما لا تعلق له بالزيارة أصلاً. أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف بالمسجد النبوي وشد الرحل إليه، وكثرة العبادة فيه، وزيارة الصحابة رضي الله عنهم، ومسجد قباء وغير ذلك مما يأتي أنه مندوب للزائر، فلا يمنع قصده حصول الشفاعة له. فقد قال أصحابنا وغيرهم: يسن أن ينوي مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحال إلى المسجد النبوي والصلاة فيه. ويؤخذ من قوله ﷺ: **«لا تعلمه حاجة إلا زيارتي»** الشامل لحالتي الحياة والموت، وللمجيء من بعد ومن قرب أن تمحيص القصد وتجريده للزيارة من غير أن ينضم إليه قصد ما ذكر قربة عظيمة ومرتبة شريفة، وأنه لا محذور فيه بوجه، وهو كذلك خلافاً لمن اتخذ إلهه هواه، حتى أضله الله وأعماه، وفي هوة الشقاوة والضلال أهواه. ومنها خبر أبي يعلى والدارقطني والطبراني والبيهقي وابن عساكر وضعفاه «من حج فزار قبري» وفي رواية «فزارني بعد وفاتي» وفي رواية «فزارني بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي» ورواه غير واحد بلفظ «من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني» وفي رواية أشار السبكي إلى صحتها «من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي». ومنها خبر الدارقطني «من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً». ومنها خبر أبي داود الطيالسي «من زار قبري» أو قال «من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى في الآمنين يوم القيامة».

قال السبكي بعد ذكره تصحيح رجاله إلا واحداً في طبقة التابعين الأمر فيه قريب ومنها خبر العقيلي وغيره «من زارني متعمداً» أي بأن لم يكن يقصد غير زيارتي كما مر في معنى خبر «من جاءني زائراً لا تعمله إلا زيارتي» الحديث «كان في جواري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة». ومنها خبر الدارقطني وغيره «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة». ومنها خبر الأزدي «من حج حجة

الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه». ومنها خبر ابن مردويه «من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي، ومن زارني كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة» ومنها خبر أبي عوانة وابن أبي الدنيا «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» وفي رواية: «أو شفيعاً». ومنها خبر ابن حبان «من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة». ومنها خبر ابن النجار «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر» أشار الذهبي إلى وضعه: أي بالنسبة لما فيه من الزيادة على ما مر. ومنها خبر العقيلي «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعاً». ومنها خبر الديلمي في مسند الفردوس «من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان». ومنها خبر علي كرّم الله وجهه يرفعه إلى النبي ﷺ «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزر قبري فقد جفاني». وجاء عنه من قوله «من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جوار رسول الله ﷺ». ومنها «من أتى إلى المدينة زائراً إلي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً».

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: ثم هذه الأحاديث كلها إما صريحة وهي الأكثر، أو ظاهرة في ندب، بل تأكد زيارته ﷺ حياً وميتاً للذكر والأنثى الآتيين من قرب أو بعد، فيستدل بها على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة حتى للنساء: أي اتفاقاً كما أخذه الريمي من قولهم: تسن الزيارة لكل حاج، وبحث فيه غيره أن قبور الصالحين والشهداء كذلك. ووجه شمول الزيارة للسفر أنها تستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة، فالزيارة إما نفس الانتقال من مكان إلى مكان بقصدها، وإما الحضور عند المزور من مكان آخر وعلى كل فالانتقال الشامل للسفر من قرب ومن بعد لا بدّ منه في تحقق معناها. وإذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر إليها قربة، وقد صح خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد، فإذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أحرى وأولى، والقاعدة المتفق عليها أن وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة: أي من حيث إيصالها إليها، فلا ينافي أنه قد ينضم إليها محرم من جهة أخرى كمشي في طريق مغصوب صريحة: أي هذه القاعدة في أن السفر للزيارة قربة مثلها، وزعم أن الزيارة قربة في حق القريب فقط افتراء على الشريعة الغراء فلا يعول عليه. وما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد وأن ذلك مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل باطل دل على غباوة متخيله وخباله، لأن المؤدي لذلك هو اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها وتصوير الصور كما ورد في الأحاديث الصحيحة بخلاف الزيارة والسلام والدعاء، وكل عاقل يعلم الفرق بينهما ويتحقق أن النوع الثاني إذا فعل على المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور ألبتة، وأن القائل بمنع ذلك جملة سداً للذريعة متقوّل على الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ.

وهنا أمران لا بدّ منهما: أحدهما وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق، والثاني

إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً، وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وقد أخذ هذا ابن حجر من كلام السبكي وستأتي عبارته، ثم ذكر بدعة ابن تيمية في إنكاره مشروعية الزيارة وشنع عليه، ثم قال وتعقب جماعة من الأئمة كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة وشيخ الإسلام التقي السبكي في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب. وشنع: أي ابن حجر على من رد على السبكي وهو ابن عبد الهادي الحنبلي، ثم قال وما أحسن ما حكاه السبكي عن بعض الفضلاء وإن كان فيه ما فيه: أن كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر. قال ابن حجر فتأمله لتعلم به قبح ما جاء به ابن تيمية ومن معه أو تابعه، إذ يلزم من كون الزيارة قربة أن السفر لمجرد الزيارة قربة، وهذا اللزوم بينهما بين لا يخفى إلا على معاند، فمن توقف في كون السفر لمجرد الزيارة قربة وأنكر ذلك لزمه التوقف في كون الزيارة قربة وإنكار ذلك، وقد علمت أن إنكار الزيارة كفر: يعني على القول السابق فليحذر ذلك فإنه عظيم.

قال: فإن قلت كيف هذا التشنيع عليه مع ما استمسك به من قوله ﷺ في الحديث الصحيح «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» والشد للزيارة خارج عن هذه الثلاثة فليكن منهياً عنه. قلت ليس معنى الحديث ما فهم، وإنما معناه لا تشد الرحال إلى مسجد لأجل تعظيمه والتقرب بالصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة لتعظيمها بالصلاة فيها، وهذا التقدير لا بدّ منه عند كل أحد ليكون الاستثناء متصلاً، ولأن شد الرحل إلى عرفة لقضاء النسك واجب إجماعاً، وكذا الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطها، وهو لطلب العلم سنّة أو واجب، وقد أجمعوا على جواز شدها للتجارة وحوائج الدنيا، فحوائج الآخرة لا سيما ما هو من آكدها وهو الزيارة للقبر الشريف أولى. ثم قال: فإن قلت هو استدل أيضاً بقوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً» وزعم أنه ظاهر كالذي قبله فيما ادعاه من عدم مشروعية الزيارة، ومن ثم قيل إنه تمسك به غير واحد من أهل البيت في النهي عنها. قلت: بعد أن يعلم أن الحديث منازع في ثبوته، ولكن ثبوته هو الأصح الكلام في مقامين: أولهما ما نقل عن جماعة من أهل البيت في مسند عبد الرزاق وغيره تمسكاً بهذا الحديث ليس نهياً عن أصل الزيارة، وإنما هو نهي لمن أتى بها على غير الوجه المشروع بدليل قول الحسن بن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم بعد نهيه إذا دخلت المسجد فسلم عليه ﷺ ولعله رضي الله عنه كان ممن يقول بإيجازها دون تطويلها، ونقل عن زين العابدين رضي الله عنه نحو ذلك، ونقل عن جعفر الصادق أنه كان بنفسه يزور النبي ﷺ ويسلم عليه ويقف عند الأسطوانة التي تلي الروضة ثم يسلم ثم يقول ههنا رأس رسول الله ﷺ. قال وحينئذٍ اتضح أنه لا حجة فيما مر عن بعض أهل البيت وكيف يتخيل فيهم أو في أحد من السلف أو الخلف الذين يعوّل عليهم ويقتدي بهم المنع من زيارته ﷺ وهم كبقية المسلمين مجمعون على ندب زيارة سائر الموتى فضلاً عن زيارته ﷺ وثاني الأمرين أنه لا يتمسك

بظاهر الحديث في دلالته على زعم ابن تيمية إلا من جهل لسان العرب وقوانين الأدلة؛ أما أوّلاً فإننا نمنع دلالته لزعمه، إذ لو كان لمراد ذلك لقال ﷺ لا تزوروا قبري، ولم يأتي بذلك اللفظ المحتمل للمراد وغيره، وهو قوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً» لأن الأحق بهذا المقام الدلالة عليه بالمطابقة لا بالتضمن أو الالتزام لعظيم خطره لو فرض امتناعه، فعدوله ﷺ عن ذلك إلى قوله: «لا تجعلوا قبري عيداً» دليل ظاهر على أن المراد منه غير ذلك، وأما ثانياً فلأن ظاهره الذي زعمه لو كان مراداً بل لو ورد لا تزوروا قبري وجب تأويله لإجماع المسلمين على مشروعية زيارته ﷺوالإجماع من الأدلة القطعية، وهي لا تعارض بغيرها من الظنيات فوجب تأويل ذلك لأنه ظني حتى يوافق ذلك القطعي، وإذا اتضح وجوب تأويل هذا الصريح: أي بفرض وروده فكيف بذلك المحتمل للنهي عنها كاحتماله للحث عليها بل وعلى كثرتها. فأما احتماله الحث عليها وعلى كثرتها فوجهه أن يقال: المراد لا تملوا زيارة قبري حتى لا تزوروه إلا في بعض الأوقات كالعيد بل أكثروا من زيارتي في سائر الأوقات، أو المراد لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا يزار إلا فيه كما أن العيد لا يكون إلا في وقت مخصوص. وأما احتماله للنهي عنها فهو بفرض أنه المراد محمول على حالة مخصوصة: أي لا تتخذوها كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة عنده وغيرهما مما يجتمع له في الأعياد بل لا يؤتي إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه.

فبان واتضح بهذا الذي قررته وحققته وحررته أنه لا متمسك لابن تيمية في هذا الحديث بوجه من الوجوه ولا أنه دليل عليه سواء أريد به الحث على كثرتها وأنها لا تمل في وقت وهو ظاهر، أو النهي عنها لأنه مقيد بحالة مخصوصة فيفيد أنها في غير تلك الحالة غير منهيّ عنها، وإذا انتفى النهي عنها ثبت طلبها إذ لا قائل إنها من المباحات، ثم نقل في ذلك عبارة كتابه «الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود» ﷺ ومنها «لا تجعلوا زيارة قبري عيداً» من حيث الاجتماع لها كهو للعيد، وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون عندها باللهو والطرب، فنهى ﷺ أمته عن ذلك أو عن أن يتجاوزوا في تعظيم قبره ما أمروا به، وقد أجمعت الأمة كما نقله غير واحد من الأئمة على أن ذلك من أفضل القربات وأنجح المساعي، ثم قال: وكما أجمع العلماء على مشروعية الزيارة والسفر إليها كذلك أجمع المسلمون من العلماء وغيرهم على فعل ذلك، فإن الناس لم يزالوا من عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم وإلى اليوم يتوجهون من سائر الآفاق إلى زيارته ﷺ قبل الحج وبعده ويقطعون في السفر إلى زيارته ﷺ مسافات بعيدة شاقة وينفقون فيه الأموال ويبذلون المهج معتقدين أن ذلك من أعظم القربات، ومن زعم أن هذا الجمع الكثير العظيم على تكرر الأزمنة مخطئون فهو المخطىء المحروم، وزعم أنهم إنما يقصدون طاعات أخر لا مجرد السفر للزيارة مكابرة وعناد للعلم من أكثرهم أنهم لا يخطر لهم غير محض الزيارة بل لا يخطر ذلك إلا لمن أحاط بشبه المخالف المبطل وقليل ما هم، على أن غرض هؤلاء الأعظم إنما هو الزيارة وما عداها مغمور في جنبها حتى لو لم تكن لم يسافروا، وقول العلماء ينبغي أن ينوي مع زيارته التقرب إلى مسجده ﷺ والصلاة فيه نص فيما قلناه إذ لم يجعلوا ذلك شرطاً وإنما جعلوه الأكمل ليكون السفر إلى قربتين فيكثر الأجر زيادة القرب حتى لو زاد من قصد القربات زادت الأجور، وفي كلامهم هذا فائدة مرت، وهي التنبيه على أن قصد تلك القرب لا يقدح في الإخلاص في نية الزيارة، ثم ذكر ابن حجر كثيراً من

فوائد زيارته ﷺ وسرد في ذلك أحاديث كثيرة منها السابقة وغيرها وفسرها واستطرد لفوائد أخرى من شاءها فليراجعها، ثم ذكر فصلاً في التحذير من ترك زيارته ﷺ مع استطاعتها. قال: وينبغي ضبط الاستطاعة بما ضبط به الأئمة الاستطاعة في الحج، فكل استطاعة أوجبت الحج اقتضت تأكد ندب الزيارة، فمما قاله في ذلك الفصل:

اعلم أنه ﷺ حذرك من ترك زيارته أتمّ تحذير، وأرشدك إليها بأبلغ بيان وأوضح تقرير وبين لك من آفاته ما إن تأملته خشيت على نفسك القطيعة وسوء العواقب حيث قال: **«من حج ولم يزرني فقد جفاني»** فبين لك أن في ترك زيارته جفاء، والجفاء هو ترك البر والصلة أو غلظ الطبع والبعد عن السخاء، ويؤيد ذلك أنه ﷺ جعل في عدم الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الجفاء أيضاً فقد صح عن قتادة مرسلاً أنه ﷺ قال: **«من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلي علي»** ﷺ. وبه يعلم أن بين ترك الزيارة مع القدرة عليها وترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره استواء في الجفاء فيخشى حينئذٍ على تارك زيارته ﷺ أن يحصل له من العقوبات والقبائح نظير ما ورد في ترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره، ثم ذكر ما ورد من الأحاديث في ذم تارك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره. وقال بعدها: فعلم من هذه الأحاديث أنّ من لم يصلِ عليه ﷺ عند سماع ذكره يكون موصوفاً بأوصاف قبيحة شنيعة ككونه شقياً، وكونه راغم الأنف، وكونه مستحقاً دخول النار، وكونه بعيداً من الله ورسوله، وكونه مدعواً عليه من جبريل ومن نبينا ﷺ بجميع هذه العقوبات وبالسحق، وكونه قد خطىء طريق الجنة، وكونه موصوفاً بأنه البخيل كل البخل؛ وكونه ملعوناً، وكونه لا دين له، وكونه لا يري وجه نبيه ﷺ. وعلم مما مر أن بين ترك الصلاة عليه ﷺ وترك زيارته ﷺ مع القدرة عليها تساوياً في أن كلاً منهما جفاء له ﷺ كما نص عليه، وأن جميع هذه الأوصاف القبيحة الشنيعة التي ثبتت لتارك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره يخشى أن يثبت نظيرها لتارك الزيارة فيخشى عليه أن يكون شقياً راغم الأنف مستحقاً دخول النار بعيداً من الله تعالى ورسوله مدعواً عليه من جبريل ومن نبينا ﷺ بذلك وبالسحق وبخيلاً ملعوناً لا دين له ولا يرى وجه نبيه ﷺ، فاستحضر ذلك واحفظه وأخبر به من تهاون في ترك الزيارة مع قدرته عليها لعله يكون حاملاً له على التنصل من هذه القبائح والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بتركه جفاء نبيه الذي هو وسيلته ووسيلة سائر الخلق إلى ربهم.

قال رحمه الله تعالى: ولقد شاهدنا كثيرين تركوا الزيارة مع القدرة عليها فأورثهم الله عزّ وجلّ بذلك ظلمة محسوسة ظهرت على وجوههم وفترة عن الخيرات قطعتهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى وشغلتهم بالدنيا إلى أن ماتوا على ذلك، وكثيرين غلبت عليهم مظالم الناس إلى أن منعوا منها قهراً.

قال رحمه الله تعالى: ولقد أخبرت عن بعضهم من أهل مكة المشرفة أنه كلما أراد أن يتجهز لها منعه عائق عنها فلا زال الناس يوبخونه بترك الزيارة إلى أن أخذ في أسبابها فجهز حاله وأخذ جميع أهله وصرف عليهم مصروفاً كثيراً وقال لهم اخرجوا قبلي وألحقكم قريباً فلما جهز مركوبه وأراد أن يركبه سلط الله عليه صب الدم بكثرة فاحشة فتخلف وذهب أهله للزيارة، وعادوا وقد عوفي، ثم استمر متحسراً معايراً من الناس وموبخاً بما وقع به إلى أن مات من غير زيارة لما أنه حقت عليه كلمة الحرمان وباء بواسطة ظلمه للناس بأبلغ القواطع وأعظم الخسران. ووقع لغير واحد من الظلمة

أيضاً أنه أخذ في أسبابها وسافر لها إلى أن وصل إلى قريب من المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ورأى آثارها فخرج بعض خدمة الحجرة الشريفة النبوية إلى الركب يقول أين فلان بن فلان فدل عليه فقال له أنا رسول رسول الله ﷺ يقول لك لا تدخل إليه، فجلس يبكي على نفسه إلى أن دخل الناس للزيارة وخرجوا إليه فرجع معهم خائباً وهو على كثير من الأسف والندم والعار والكآبة والظلمة، فاحذر أيها الزائر أن تزور وأنت باقٍ على توابعك وفواحشك فيقع لك نظير ذلك فتصير مثلة بين العالم في الدنيا بل والآخرة، لأنه ﷺ لا يفعل ذلك إلا بمن أيس من إصلاحه وقطع بعدم فلاحه، بل ذلك دليل واضح على خاتمة السوء والعياذ بالله تعالى، فحينئذٍ ينبغي لك قبل أخذك في أسباب الزيارة أن تقدم بين يدي نجواك توبة صحيحة مستوفية لشروطها ماحية لذنوبك ساترة لعيوبك مؤهلة لك إلى المثول في حضرة سيد المرسلين ووسيلة النبيين، حقق الله سبحانه وتعالى ذلك لنا آمين. قال رحمه الله تعالى: وذكر الحج في خبر «من حج ولم يزرني فقد جفاني» إنما هو لبيان الأولى، لأن ترك الزيارة ممن حج وقد قرب من المدينة الشريفة أقبح من تركها ممن لم يحج، وما ذكر لبيان الأولى لا مفهوم له، وحينئذٍ فيكون معنى الخبر: من لم يزرني فقد جفاني.

وإذا تقرر أن هذا معناه فلا يفهم منه أن من زاره ﷺ ثم حج ولم يزره مرة أخرى بعد حجه أنه جفاه ﷺ، نعم يسن لكل حاج إذا انصرف من حجه مكياً أو غيره أو يزور عقب كل حج، وأن الزيارة تتأكد له حينئذٍ، وتكرر الزيارة بتكرر الحج هو الأفضل، وأن من لم يكررها بتكرره بأن وجدت منه ولو مرة لا يطلق عليه أنه وجد منه جفاء.

واختلف العلماء، فبعضهم رأى أن الأفضل لمريد الزيارة والحج البداءة بالمدينة الشريفة قبل مكة المشرفة، ورأى بعضهم وهم الأكثرون تقديم الحج. قال رحمه الله تعالى: والذي اختاره أنه إن اتسع الزمن للزيارة مع اتساعه بعدها للحج، فالأولى تقديم الزيارة إذا أطاقها حينئذٍ مبادرة لتحصيل هذه القربة العظيمة؛ فإنه ربما يعوقه عائق عن التوجه إليها بعد الحج، وأيضاً فلتكون وسيلة إلى قبول حجه وتوفيقه للإتيان به على أكمل وجوه الإتقان والسداد، ومن لجأ إلى ذلك الجناب الرفيع حقيق بأن يتوج تاج القبول والقرب المنيع، ثم قال: ولقد رأيت أكثر العوام إذا عاد حاجاً ولم يزر النبي ﷺ يعدون أن ذلك نقص أي نقص وعار أي عار، فتأمل ذلك من العوام تجد أن عظمته ﷺ وعظمة زيارته وقرت في قلوبهم واستحكمت في طباعهم فيكثرون الزيارة ويؤثرون لأجلها الخروج عن أراضيهم ودورهم ومعايش أموالهم وأمتعتهم، فالرجاء من الله الرب الكريم الجواد أن يمحص بوائقهم ويمحو فرطاتهم ويغفر زلاتهم، ومن نبيه الرؤوف الرحيم البر الكريم الذي عمت رأفته الحاضر والباد أن يشفع لهم إلى ربهم في تطهيرهم من مخالفتهم وأن يوفقهم إلى إصلاح أعمالهم مع إرسال عبراتهم أسفاً على ما فات إلى الممات، يسر الله تعالى لنا ذلك ووفقنا لأفضل المساعي والمسالك إنه أكرم كريم وأرحم رحيم آمين، انتهى ما أردت نقله باختصار من كتاب «الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي المكرم» للإمام ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى. وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المشهور بابن الحاج المالكي، وكان معاصراً لابن تيمية، فهو يرد عليه بكلامه الآتي وإن لم يصرح باسمه. قال رحمه الله تعالى في كتابه «المدخل» عند الكلام

على زيارة القبور: فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه ممن ترجى بركته إلى النبي ﷺ، بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله والمشرع له فيتوسل به ﷺ وبمن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليه بنبيك ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون ثم يتوسل بأهل تلك المقابر: أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريتهم إلى يوم الدين ولمن غاب عنه من إخوانه ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى، لأنه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر؛ فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فأنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرر في الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى. قال رحمه الله تعالى: وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ «سفينة النجاء لأهل الالتجاء في كرامات الشيخ أبي النجاء» في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه: تحقق لذوي البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين ا هـ.

قال: ولا يعترض على ما ذكر من أن من كانت له حاجة، فليذهب إليهم وليتوسل بهم بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**». فقد قال الإمام الجليل أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب آداب السفر من كتاب «الإحياء» له ما هذا نصه: القسم الثاني، وهو أن يسافر لأجل العبادة. إما لجهاد أو حج إلى أن قال: ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**» لأن ذلك في المساجد لأنها متماثلة بعد هذه المساجد، ولا فرق بين زيارة الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عزّ وجلّ، والله تعالى أعلم.

قال: وذكر العبدري رحمه الله في شرحه لرسالة ابن أبي زيد رحمه الله ما هذا لفظه: وأما النذر للمشي إلى المسجد الحرام والمشي إلى مكة فله أصل في الشرع، وهو الحج والعمرة؛ وإلى المدينة لزيارة النبي ﷺ، والنبي أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وليس عنده حج ولا عمرة قال صاحب المدخل بعد ما ذكر: وهذا الذي قاله مسلم صحيح لا يرتاب فيه إلا مشرك أو معاند لله ولرسوله ﷺ. وقد نقل ابن هبيرة في كتاب «اتفاق الأئمة» قال: اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة

وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على زيارة النبي ﷺ مستحبة. ونقل عبد الحق في «تهذيب الطالب» عن أبي عمران الفاسي أن زيارة النبي ﷺ واجبة. قال عبد الحق: يريد وجوب السنن المؤكدة.

قال رحمه الله: والحاصل من أقوالهم أنها قربة مطلوبة لنفسها لا تعلق لها بغيرها، فتنفرد بالقصد وشد الرحال إليها، ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها، فهو في أجل الطاعات وأعلاها هنيئاً له ثم هنيئاً له، اللهم لا تحرمنا ذلك بمنك يا كريم.

قال رحمه الله تعالى. سمعت سيدي أبا محمد يعني ابن أبي جمرة صاحب مختصر البخاري رحمه الله تعالى يقول. انظر إلى سر ما وقع من هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وإقامته بها حتى انتقل إلى ربه عزّ وجلّ، وذلك أن حكمة المولى سبحانه وتعالى قد مضت على أنه عليه الصلاة والسلام تتشرف الأشياء به لا هو يتشرف بها. فلو بقي عليه الصلاة والسلام في مكة إلى انتقاله إلى ربه تعالى لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة إذ أن شرفها قد سبق بآدم والخليل وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام فلما أن أراد الله تعالى أن يبين لعباده أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات كان ما تقدم ذكره من هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فتشرفت المدينة به، ألا ترى إلى ما وقع من الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله عليه وسلامه، وقد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام أفضل من الكعبة وغيرها، وانظر إلى الأشياء التي باشرها عليه الصلاة والسلام تجدها أبداً تتشرف بحب مباشرته لها وبقدر ذلك يكون التشريف. ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام قال في المدينة «ترابها شفاء» وما ذاك إلا لتردده عليه الصلاة والسلام بتلك الخطا الكريمة في أرجائها لعيادة مريض أو إغاثة ملهوف أو غير ذلك. ولما أن كان مشيه ﷺ في مسجده بالمدينة أكثر من تردده في غيره من المدينة عظم شرفه بذلك فكانت الصلاة فيه بألف صلاة، ولما أن كان تردده عليه الصلاة والسلام بين بيته ومنبره أكثر من تردده في المسجد كانت تلك البقعة الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة. قال عليه الصلاة والسلام: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»** وفي تأويل ذلك قولان للعلماء: أحدهما أن العمل فيها يحصل لصاحبه روضة في الجنة. والثاني أنها بنفسها تنقل إلى الجنة، وهذا هو الصحيح.

قال رحمه الله تعالى: ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من زيارة القبور فيما ذكر من الآداب وهو في زيارة العلماء والصلحاء ومن يتبرك بهم؛ وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذ جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والحاجة والاضطرار والخضوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنّته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل السلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك؛ فإنهم السادة الكرام، والكرام

لا يردون من سألهم، ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم. هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً.

وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الانكسار والذل والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة. قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قال علماؤنا رحمة الله عليهم: رأى صورته عليه الصلاة والسلام، فإذا هو عروس المملكة، فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، ويحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصلاة والسلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته إذ لا فرق بين موته وحياته: أعني في مشاهدته ﷺ لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم؛ وذلك عنده ﷺ جليّ لا خفاء فيه. فإن قال قائل هذه الصفات مختصة بالمولى سبحانه وتعالى. فالجواب أن كل من انتقل إلى الآخرة من المؤمنين فهم يعلمون أحوال الأحياء غالباً، وقد وقع ذلك في الكثرة بحيث المنتهي من حكايات وقعت منهم، ويحتمل أن يكون علمهم بذلك حين عرض أعمال الأحياء عليهم، ويحتمل غير ذلك، وهذه أشياء مغيبة عنا؛ وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بدّ من وقوع ذلك. والكيفية فيه غير معلومة والله أعلم بها، وكفى في هذا بياناً قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن ينظر بنور الله ونور الله لا يحجبه شيء» هذا في حق الأحياء من المؤمنين فكيف من كان منهم في الدار الآخرة.

وقد قال الإمام أبو عبد الله القرطبي في تذكرته ما هذا لفظه عن ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا وتعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم. قال الله تعالى: ﴿فكيف إذا جئتنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١]. وقد تقدم أن الأعمال تعرض على الله تبارك وتعالى يوم الخميس ويوم الاثنين، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة. ولا تعارض، فإنه يحتمل أن يختص نبينا عليه الصلاة والسلام بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء اهـ.

قال الإمام ابن الحاج رحمه الله بعد هذا: فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا، لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنها أعظم من الجميع فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره. اللهم لا تحرمنا من شفاعته عندك آمين يا رب العالمين. ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به ﷺ وجد الله تواباً رحيماً، لأن الله عزّ وجلّ منزه عن خلف الميعاد، وقد وعد سبحانه وتعالى

بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله ﷺ نعوذ بالله من الحرمان.

وقد جاء بعضهم إلى زيارته ﷺ فلم يدخل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بل زار من خارجها أدباً منه رحمه الله تعالى مع نبيه ﷺ فقيل له ألا تدخل؟ فقال أمثلي يدخل بلد سيد الكونين؟ لا أجد نفسي تقدر على ذلك أو كما قال، وقد قال مالك رحمه الله تعالى لرسول الخليفة لما أن أتى إليه بالبغلة ليركبها حتى يأتي إليه لعذر في كونه لا يقدر على المشي لأنه قد كان انخلعت يداه وركبتاه من الضرب الذي قد وقع به رضي الله عنه في الحكاية المشهورة عنه، فأبى أن يركب وقال: موضع وطئه رسول الله ﷺ بأقدامه الكريمة ما كان لي أن أطأه بحافر بغلة ومشى إليه متكئاً على رجلين يجر رجليه حتى بلغ إلى الخليفة في خارج المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وجرى له معه ما جرى، وقد قال مالك رحمه الله تعالى للخليفة لما أن سأله إذا دخل مسجد النبي ﷺ هل يتوجه إلى النبي ﷺ أو إلى القبلة؟ فقال مالك رحمه الله تعالى: وكيف تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام؟ ثم نقل ما ذكره القاضي عياض في الشفاء رحمهما الله تعالى، وقال صاحب المدخل بعد ذلك في آخر كلامه على الحج: فصلٌ فإذا خرج من مكة فلتكن نيته وعزيمته وكليته في زيارة النبي ﷺ وزيارة مسجده والصلاة فيه وما يتعلق بذلك كله لا يشرك معه غيره من الرجوع إلى مقصده أو قضاء شيء من حوائجه وما أشبه ذلك، لأنه عليه الصلاة والسلام متبوع لا تابع، فهو رأس الأمر المطلوب والمقصود الأعظم، فإذا وصل إلى المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فيستحب له أن ينزل بالمعرس وهو موضع خارج المدينة حتى يتأهب للدخول على النبي ﷺ فيتطهر ويركع ويلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويجدد التوبة ثم يدخل وهو ماش على رجليه وعليه أثر الذلة والمسكنة الاحتياج والاضطرار، وقد ورد «أن وفد عبد القيس لما أن قدموا على النبي ﷺ بادروا إليه كلهم إلا سيدهم فإنه اغتسل ولبس أحسن ثيابه ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال له عليه الصلاة والسلام فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: **«الحلم والأناة»** انتهت عبارة الإمام ابن الحاج في المدخل رحمه الله تعالى.

قال الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى: وشبهة المخالفين التي تمسكوا بها أن من الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿قالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح: ٢٣] قالوا كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها، وتخيل ابن تيمية أن منع الزيارة والسفر إليها من باب المحافظة على التوحيد وأن فعلها مما يؤدي إلى الشرك، وهذا تخيل باطل لأن اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها وتصوير الصور فيها هو المؤدي إلى الشرك، وهو الممنوع منه كما ورد في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا، وقوله ﷺ لما أخبر بكنيسة بأرض الحبشة **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله»**.

وأما الزيارة والدعاء والسلام فلا يؤدي إلى ذلك، ولهذا شرعه الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ لما ثبت من الأحاديث المتقدمة عنه ﷺ قولاً وفعلاً وتواتر ذلك وإجماع الأمة عليه، فلو كانت زيارة القبور من التعظيم المؤدي إلى الشرك كالتصوير ونحوه لم يشرعها الله تعالى في حق أحد من الصالحين ولا فعلها النبي ﷺ والصحابة في حق شهداء أحد والبقيع وغيرهم، وليس لنا أن نحرم إلا ما حرمه الله وإن تخلينا أنه يفضي إلى محذور، ولا نبيح إلا ما أباحه الله وإن تخيلنا أنه لا يفضي إلى محذور ولما أباح الزيارة وشرعها وسنها رسوله وحذر اتخاذ القبور مساجد وتصوير الصور عليها، قلنا بإباحة الزيارة ومشروعيتها، وتحريم اتخاذ القبور مساجد والتصوير، فمن قاس الزيارة على التصوير في التحريم كان مخالفاً للنص؛ كما أن شخصاً لو قال بإباحة اتخاذ القبور مساجد إذا لم يفض إلى الشرك كان مخالفاً للنص أيضاً، والمسائل التي لا يتحقق بها المقصود ليس لنا أن نجري حكم المقصود عليها إلا بنص من الشارع، فإن هذا من باب سد الذرائع الذي لم يقم عليه دليل، فالمفضي إلى الشرك حرام بلا إشكال؛ وأما الأمور التي قد تؤدي إليه وقد لا تؤدي فما حرمه الشرع منها كان حراماً، وما لم يحرمه كان مباحاً لعدم استلزامه المحذور وهذه الأمور التي نحن فيها من هذا القبيل حرم الشرع منها اتخاذ القبور مساجد والتصوير والعكوف على القبور وشرع الزيارة والسلام والدعاء، وكل عاقل يعلم الفرق بينهما، ويتحقق أن النوع الثاني إذا فعل مع المحافظة على آداب الشريعة لا يؤدي إلى محذور، وأن القائل بمنع ذلك جملة سداً للذريعة متقول على الله وعلى رسوله منتقص ما ثبت لذلك المزور من حق الزيارة، قال رحمه الله تعالى: واعلم أن ههنا أمرين لا بدّ منهما: أحدهما وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق. والثانية إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في أحد من الخلق مشاركة الباري تعالى في ذلك، فقد أشرك وجنى على جانب الربوبية فيما يجب لها، وعلى الرسول فيما أدى إلى الأمة من حقها؛ ومن قصر بالرسول عن شيء من رتبته فقد جنى عليه فيما يجب له، وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب لرسوله، ومن بالغ في تعظيم النبي ﷺ بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري تعالى، فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً، وذلك هو العدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ومن المعلوم أن الزيارة بقصد التبرك والتعظيم لا تنتهي في التعظيم إلى درجة الربوبية ولا تزيد على ما نص عليه في القرآن والسنّة وفعل الصحابة من تعظيمه في حياته وبعد وفاته، وكيف يتخيل امتناعها؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا الرجل يعني ابن يتيمة قد تخيل أن الناس بزيارتهم متعرضون للإشراك بالله تعالى، وبنى كلامه كله على ذلك، وكل دليل ورد عليه يصرفه إلى غير هذا الوجه، وكل شبهة عرضت له يستعين بها على ذلك فهذا داء لا دواء له إلا بأن يلهمه الله الحق، انتهى كلام الإمام السبكي. وقال رحمه الله تعالى قبل عبارته السابقة: ولا يمنع من الزيارة كون نوع منها يقترن به من بعض الجهال ما هو منهي عنه، فمن ادعى أن الزيارة من غير انضمام شيء آخر إليها بدعة فقد كذب وجهل، ومن حرمها فقد حرم ما أحله الله تعالى، ومن أطلق التحريم عليها لأن بعض أنواعها محرم أو يقترن به محرم فهو جاهل، وهكذا من امتنع من إطلاق الاستحباب على الزيارة من حيث هي لوقوع بعض أنواعها من بعض الناس على وجه التحريم فهو جاهل أيضاً، فإن الصلاة قد تقع على وجه منهي عنه كالصلاة في الدار المغصوبة وما أشبه ذلك،

ولا يمنع ذلك من إطلاق القول بأن الصلاة قربة أو واجبة، فهكذا أيضاً الزيارة من حيث هي قربة لقوله ﷺ: «زوروا القبور» وإن كان بعض أنواعها يقع على وجه منهي عنه، فيكون ذلك الوجه منها منهياً عنه وحده، والحكم بالابتداع على هذا النوع لا يضرنا، ونحن نسلمه ونمنع من يفعله، والحكم بالابتداع على المطلق عين الابتداع ا هـ.

فصل في كيفية زيارته ﷺ المشروعة

قد رأيت أن أنقل هنا عبارات أربعة من أئمة المذاهب الأربعة غير من تقدم ذكرهم مشتملة على بيان كيفية زيارته ﷺ وإثبات مشروعيتها أيضاً، وهي وإن ثبت مشروعيتها مما تقدم ثبوتاً لا يشك فيه إلا كل جاهل بهيم أو مكابر ذميم، فهي لم يبين فيها كيفية الزيارة وما يتبعها من الفوائد التي ذكروها بمناسبتها، فأحببت أن أذكر ذلك هنا ليحصل النفع التام لمحبيه وزواره عليه الصلاة والسلام، وقد فصل ذلك الإمام ابن حجر في تأليفه السابق «الجوهر المنظم» وكذلك الشيخ عبد القادر الفاكهاني المصري تلميذ الحافظ السيوطي في كتابه «حسن التوسل في زيارة سيد الرسل» وكذلك السيد السمهودي في «خلاصة الوفا» وكلها كتب مطبوعة يتيسر حصولها بسهولة لمن أرادها.
وقد رأيت أن أذكر هنا عبارة عن كل إمام من أئمة المذاهب الأربعة سوى من تقدم ذكرهم في كيفية الزيارة المشروعة، وهي متحدة المعاني لا خلاف بينهم فيها إلا في النادر بحيث إن كل عبارة منها يحسن العمل بأحكامها لكل مسلم سواء كان من أهل مذهب ذلك العالم صاحب تلك العبارة أولاً، ولكن لكون كل واحد يستأنس بكلام علماء مذهبه رأيت أن أنقل هنا عباراتهم، وقد رتبتهم بحسب أزمانهم رحمهم الله تعالى، وعباراتهم هذه جميعها هي أيضاً مؤيدة لما ذكرته في الفصل السابق من مشروعيه زيارته ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والرد على من منع ذلك من أولئك الشاذين المبتدعين.

كلام الغوث الأعظم
سيدنا عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة ٥٦١ هـ

قال رضي الله عنه في كتابه «الغنية» بعد الكلام على الحج والعمرة: فإذا من الله تعالى بالعافية وقدم المدينة، فالمستحب له أن يأتي مسجد النبي ﷺ فليقل عند دخول المسجد: اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وافتح لي أبواب رحمتك وكف عني أبواب عذابك، الحمد لله رب العالمين. ثم يأتي القبر وليكن بحذائه بينه وبين القبلة، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنبر عن يساره وليقم مما يلي المنبر، وليقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته. اللهم صلِ على روح محمد في الأرواح وصلِ على جسده في الأجساد كما بلغ رسالتك وتلا آياتك وصدع بأمرك وجاهد في سبيلك وأمر بطاعتك ونهى عن معصيتك وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين، اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] وإني أتيت نبيك تائباً من ذنوبي مستغفراً، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقر عنده بذنوبه فدعا له نبيه فغفرت له، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني، اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين، اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبداً غير خزايا ولا ناكثين ولا مارقين ولا جاحدين ولا مرتابين ولا مغضوباً عليهم ولا ضالين واجعلنا من أهل شفاعته. ثم يتقدم عن يمينه ثم ليقل: السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما عن الإسلام خيراً، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ثم يصلي ركعتين ويجلس، ويستحب أن يصلي بين القبر والمنبر في الروضة، وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركاً به والصلاة بمسجد قباء وأن يأتي قبور الشهداء والزيارة لهم فعل ذلك وأكثر الدعاء هنالك، ثم إذا أراد الخروج من المدينة أتى مسجد النبي ﷺ وتقدم إلى القبر وسلم على رسول الله ﷺ وفعل كما فعل أولاً وودعه وسلم على صاحبيه كذلك ثم قال: اللهم لا تجعله آخر العهد مني بزيارة قبر نبيك، وإذا توفيتني فتوفني على محبته وسنّته آمين يا أرحم الراحمين انتهت. وهو إن لم يصرح فيها بالسفر بقصد الزيارة فهي مفيدة لذلك بذكر الاستغاثة به وسؤال الله تعالى بحقه والاعتناء بزيارته أولاً، ثم العود إلى زيارته مرة أخرى ووداعه والدعاء عنده بحاجاته، وقوله: اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك. كل ذلك يفيد أنه رضي الله عنه يرى أن السفر لزيارته ﷺ من أحسن الطاعات وأقرب القربات كما هو الواقع، وكون هذا هو بلا شك مذهب هذا الغوث الأعظم وعقيدته السنّية من الأمور البديهية، لأنه من أكبر أئمة أهل السنّة من الفقهاء والمحدّثين والصوفية، وقد صرح أيضاً بطلب الدعاء عند زيارة قبور الشهداء، وكل ذلك ممنوع عند ابن تيمية وفرقته الوهابية، فقد علمت أنهم كما خالفوا المذاهب الثلاثة خالفوا أيضاً مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه فقد خرقوا ببدعتهم هذه إجماع الأمة المحمدية، وكانت بدعتهم على الإسلام والمسلمين بلية وأي بلية وكثير من أئمة الحنابلة ألفوا مؤلفات في الرد عليهم وعلى إمامهم ابن تيمية في هذه البدعة المذمومة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كلام الإمام النووي الشافعي
المتوفى سنة ٦٧٦ في إيضاح المناسك

قال رحمه الله تعالى: الباب السادس في زيارة قبر سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وشرف وكرم وعظم وما يتعلق بذلك: اعلم أن لمدينة رسول الله أسماء خمسة: المدينة وطابة وطيبة والدار ويثرب، وذكر سبب تسميتها بهذه الأسماء، ثم قال في الباب مسائل: **الأولى**: إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات

وأنجح المساعي. وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي». **الثانية**: يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته ﷺ التقرب إلى الله تعالى بالمسافرة إلى مسجده ﷺ والصلاة فيه. **الثالثة**: يستحب أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه ﷺ ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يتقبلها منه. **الرابعة**: يستحب أن يغتسل قبل دخوله ويلبس أنظف ثيابه. **الخامسة**: يستحضر في قلبه حينئذٍ شرف المدينة، وأنها أفضل الدنيا بعد مكة عند بعض العلماء، وعند بعضهم أفضلها على الإطلاق، وأن الذي شرفت به ﷺ خير الخلائق أجمعين، وليكن من أول قدومه إلى أن يرجع مستشعراً لتعظيمه ممتلىء القلب من هيبته كأنه يراه ﷺ. **السادسة**: إذا وصل إلى باب مسجده ﷺ فليقل ما قدمناه في دخول المسجد الحرام، وهو أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله والحمد لله، اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك؛ وإذا خرج قال هذا إلا أنه يقول: وافتح لي أبواب فضلك، ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج، وكذا يفعل في جميع المساجد، ويدخل فيقصد الروضة الكريمة، وهي ما بين المنبر والقبر، فيصلي تحية المسجد بجنب المنبر. وفي «إحياء علوم الدين أنه يجعل عمود» المنبر حذاء منكبه الأيمن، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ وقد وسع المسجد بعده ﷺ، وفي كتاب المدينة أن ذرع ما بين المنبر ومقام النبي ﷺ الذي كان يصلي فيه حتى توفي أربع عشرة ذراعاً وشبراً، وأن ذرع ما بين المنبر والقبر ثلاث وخمسون ذراعاً وشبر. **السابعة**: إذا صلى التحية في الروضة أو غيرها من المسجد شكر الله تعالى على هذه النعمة ويسأله إتمام ما قصده وقبول زيارته، ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر، ويبعد من رأس القبر نحو أربعة ذرع. وفي إحياء علوم الدين يستقبل جدار القبر على نحو أربعة أذرع من السارية التي عند رأس القبر في زاوية جداره ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه، ويقف ناظراً إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر غاض الطرف في مقام الهيبة والإجلال فارغ القلب من علائق الدنيا مستحضراً في قلبه جلالة موقفه ومنزلة من هو بحضرته ﷺ ثم يسلم ولا يرفع صوته، بل يقتصد فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا طهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا نبي الأمة، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وذريتك وأصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين.

جزاك الله يا رسول الله عنا أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده، ورسوله وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت

الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، اللهم وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون. اللهم صلِ على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. ومن عجز عن حفظ هذا أو ضاق وقته عنه اقتصر على بعضه، وأقله السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم. وجاء عن ابن عمر وغيره من السلف رضي الله عنهم الاقتصار جداً، فكان ابن عمر يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه. وعن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ثم إن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحو هذا من العبارات؛ ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع، فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه، لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ فيقول: السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله وثانيه في الغار، جزاك الله عن أمة نبيه ﷺ خيراً، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضي الله عنه، فيقول: السلام عليك يا عمر أعز الله بك الإسلام جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن حسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له. قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي. ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي فداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال: يا عتبي ألحق الأعرابي وبشره بأن الله تعالى قد غفر له. ثم يتقدم إلى رأس القبر فيقف بين القبر والأسطوانة التي هناك ويستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويمجده ويدعو لنفسه بما أهمه وما أحبه ولوالديه ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين، ثم يأتي الروضة فيكثر فيها من الدعاء والصلاة، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»** ويقف عند المنبر ويدعو. **الثامنة**: لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر. قاله الحليمي وغيره، ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه وذكر الإمام النووي بعد هذا ما سيأتي نقله عنه في عبارة ابن حجر في

الفصل الآتي. **التاسعة**: ينبغي له مدة إقامته بالمدينة أن يصلي الصلوات كلها بمسجد رسول الله ﷺ، وينبغي له أن ينوي الاعتكاف فيه كما قدمناه في المسجد الحرام. **العاشرة**: يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع خصوصاً يوم الجمعة ويكون ذلك بعد السلام على رسول الله ﷺ، فإذا انتهى إليه قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم، ويزور القبور الظاهرة فيه كقبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وعثمان والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وغيرهم ويختم بقبر صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ. وقد ثبت في الصحيح في فضل قبور البقيع وزيارتها أحاديث كثيرة. **الحادية عشرة**: يستحب أن يزور قبور الشهداء بأحد وأفضله يوم الخميس وابتداؤه بحمزة عم رسول الله ﷺ ويبكر بعد صلاة الصبح بمسجد رسول الله ﷺ حتى يعود ويدرك جماعة الظهر فيه. **الثانية عشرة**: يستحب استحباباً متأكداً أن يأتي مسجد قباء وهو في يوم السبت أولى ناوياً التقرب بزيارته والصلاة فيه للحديث الصحيح في كتاب الترمذي وغيره عن أسيد بن ظهير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**»، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين»، وفي رواية صحيحة «كان يأتيه كل سبت» ويستحب أن يأتي بئر أريس التي روي أن النبي ﷺ تفل فيها وهي عند مسجد قباء فيشرب من مائها. **الثالثة عشرة**: يستحب أن يأتي سائر المشاهد بالمدينة، وهي نحو ثلاثين موضعاً يعرفها أهل المدينة فليقصد ما قدر عليه منها وكذا يأتي الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل فيشرب ويتوضأ، وهي سبع آبار. **الرابعة عشرة**: من جهالة العامة وبدعهم تقربهم بأكل التمر الصيحاني في الروضة الكريمة وقطعهم شعورهم ورميها في القنديل الكبير. هذا من المنكرات المستشنعة. **الخامسة عشرة**: كره مالك رحمه الله تعالى لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد وخرج الوقوف بالقبر. قال وإنما ذلك للغرباء. قال ولا بأس لمن قدم منهم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف عند قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال الباجي: فرق مالك بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها، وقد قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**» قال ابن حجر في حاشيته على هذه المناسك قوله: كره مالك الخ. قال السبكي: هو جار على قاعدته في سد الذرائع أي لأن ذلك قد يفضي إلى ملل، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحباب الإكثار منها، لأن الإكثار من الخير خير. انتهت عبارة السبكي.

قال بعدها ابن حجر: ويؤيده قول الأذكار للنووي: يسن الإكثار من زيارة القبور وإكثار الوقوف عند قبور أهل الخير والصلاح. انتهت عبارة حاشية ابن حجر. **السادسة عشرة**: ينبغي له أن يلاحظ بقلبه في مدة مقامه بالمدينة جلالتها وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لهجرة نبيه ﷺ واستيطانه ومدفنه وليستحضر تردده ﷺ فيها ومشيه في بقاعها. **السابعة عشرة**: تستحب المجاورة بالمدينة بالشرط المتقدم بالمجاورة بمكة، وهو قوله المختار إن المجاورة بها مستحبة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المحذورة، فقد ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال «**من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**». **الثامنة عشرة**: يستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه أن يتصدق بما أمكنه على جيران رسول الله ﷺ فإن ذلك

من جملة بره ﷺ. **التاسعة عشرة**: ليس له أن يستصحب شيئاً من الأكر المعمولة من تراب حرم المدينة ولا الأباريق والكيزان ولا غير ذلك من ترابه وأحجاره كما سبق في حرم مكة. **العشرون**: يحرم صيد حرم المدينة وقطع أشجاره على الحلال والمحرم كما سبق في حرم مكة، وحد حرم المدينة ما بين عير إلى أحد، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها**» وقال رسول الله ﷺ: «**ما بين لابتيها حرام**» وكذا رواه جماعة من الصحابة في الصحيح، واللابتان الحرتان والحرة هي الأرض ذات الحجارة السود. والمدينة المنوّرة واقعة بين حرتين. **الحادية والعشرون**: إذا أراد السفر من المدينة والرجوع إلى وطنه أو غيره استحب أن يودع المسجد بركعتين ويدعو بما أحب ويأتي القبر ويعيد نحو السلام والدعاء المذكور في ابتداء الزيارة ويقول: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ويسر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة وارزقني العفو والعافية في الدنيا والأخرة وردنا سالمين غانمين، وينصرف تلقاء وجهه ولا يمشي قهقرى إلى خلفه. **الثانية والعشرون**: في أشياء مهمة تتعلق بمسجد رسول الله ﷺ. ومما ذكره: منها أن خارجة بن زيد قال: بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين ذراعاً وذكر الزيادات ثم قال: فإذا عرفت حال المسجد فينبغي أن تعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في عهد رسول الله ﷺ، فإن الحديث الصحيح «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف فيما سواه عن المساجد**» إنما يتناول ما كان في زمنه ﷺ، لكن إذا صلى جماعة فالتقدم إلى الصف الأول ثم ما يليه أفضل فليتفطن انتهى كلام الإمام النووي باختصار قليل لفوائد تاريخية ولغوية ونحوها مما لم أر ذكره لازماً، وذكر أن زيارة الخليل عليه السلام قربة مستقلة لا تعلق لها بالحج ولا بزيارة النبي ﷺ، فالحديث الذي ترويه العامة: من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له الجنة باطل موضوع، وكذلك زيارة القدس مستحبة لكنها غير متعلقة بالحج. فاعتقاد بعض العامة أن تمام الحج بالتقدس باطل.

كلام الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي المتوفى سنة ٨٦١ هـ

قال رحمه الله تعالى في فتح القدير في آخر الكلام على الحج: المقصود الثالث في زيارة قبر النبي ﷺ قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات، وفي مناسك الفارسي وشرح المختار أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة. روى الدارقطني والبزار عنه عليه الصلاة والسلام «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» وأخرج الدارقطني عنه عليه الصلاة والسلام «**من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**»، وأخرج الدارقطني أيضاً «**من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي**». هذا والحج إن كان فرضاً فالأحسن أن يبدأ به ثم يثني بالزيارة؟ وإن كان تطوعاً كان بالخيار، فإذا نوى زيارة القبر فلينو معه زيارة المسجد. أي مسجد رسول الله ﷺ فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، في الحديث «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» وإذا توجه إلى الزيارة يكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ مدة الطريق، والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبر النبي ﷺ ثم إذا حصلت له إذا قدم نوى زيارة المسجد أو يستمنح فضل الله سبحانه في مرة أخرى ينويهما فيها، لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله، ويوافق ظاهر ما ذكرناه من قوله عليه الصلاة

والسلام: «لا تعمله حاجة إلا زيارتي» وإذا وصل إلى المدينة اغتسل بظاهرها قبل أن يدخله أو توضأ، والغسل أفضل، ولبس نظيف ثيابه والجديد أفضل وما يفعله بعض الناس من النزول بالقرب من المدينة والمشي على أقدامه إلى أن يدخلها حسن، وكل ما كان أدخل في الأدب والإجلال كان حسناً، وإذا دخلها قال بسم الله ﴿رب أدخلني مدخل صدق﴾ [الإسراء: ٨٠] الآية، اللهم افتح لي أبواب رحمتك وارزقني من زيارة رسولك ﷺ ما رزقت أولياءك وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مسؤول، وليكن متواضعاً متخاشعاً معظماً لحرمتها لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ مستحضراً أنها بلدته التي اختارها الله تعالى دار هجرة نبيه ومهبطاً للوحي والقرآن ومنبعاً للإيمان والأحكام الشرعية.

قالت عائشة رضي الله عنها: كل البلاد افتتحت بالسيف إلا المدينة فإنها افتتحت بالقرآن العظيم، وليحضر قلبه أنه ربما صادف موضع قدمه، ولهذا كان مالك رحمه الله ورضي عنه لا يركب في طرق المدينة وكان يقول: أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة. وإذا دخل المسجد فعل ما هو السنّة في دخول المساجد من تقديم اليمين ويقول: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ويدخل في باب جبريل أو غيره ويقصد الروضة الشريف وهي بين المنبر والقبر الشريف فيصلي تحية المسجد مستقبلاً السارية التي تحتها الصندوق بحيث يكون عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن إن أمكنه وتكون الحنية التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله ﷺ فيما قيل قبل أن يغير المسجد، وفي بعض المناسك يصلي تحية المسجد في مقامه عليه الصلاة والسلام. قال الكرماني وصاحب الاختيار ويسجد الله تعالى شكراً على هذه النعمة ويسأله تمامها والقبول، وقيل ذرع ما بين المنبر وموقفه عليه الصلاة والسلام الذي كان يصلي فيه أربعة عشر ذراعاً وشبر، وما بين المنبر والقبر ثلاث وخمسون ذراعاً وشبر ثم يأتي القبر الشريف فيستقبل جداره ويستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من السارية التي عند رأس القبر في زاوية جداره. وما عن أبي الليث أنه يقف مستقبل القبلة مردود بما روى أبو حنيفة رضي الله عنه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: من السنّة أن تأتي قبر النبي ﷺ من قبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته إلا أن يحمل على نوع ما من استقبال القبلة وذلك أنه عليه الصلاة والسلام في القبر الشريف المكرم على شقه الأيمن مستقبل القبلة، وقالوا في زيارة القبور مطلقاً: الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجل المتوفى لا من قبل رأسه، فإنه أتعب لبصر الميت بخلاف الأول، لأنه يكون مقابلاً بصره لأن بصره ناظر إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه، فعلى هذا تكون القبلة عن يسار الواقف من جهة قدميه عليه الصلاة والسلام بخلاف ما إذا كان من جهة وجهه الكريم فإذا أكثر الاستقبال إليه عليه الصلاة والسلام لا كل الاستقبال فيكون استدباره القبلة أكثر من أخذه إلى جهتها فيصدق الاستدبار ونوع من الاستقبال، وينبغي أن يكون وقوف الزائر على ما ذكرناه بخلاف تمام استدباره القبلة واستقباله ﷺ فإنه يكون البصر ناظراً إلى جنب الواقف، وعلى ما ذكرنا يكون الواقف مستقبلاً وجهه عليه الصلاة والسلام وبصره فيكون أولى ثم يقول في موقفه: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا خيرة الله من جميع خلقه، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا سيد ولد آدم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. يا

رسول الله إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله، وأشهد أنك يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة، فجزاك الله عنا خيراً، جازاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته، اللهم أعطِ سيدنا عبدك ورسولك محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وأنزله المنزل المقرب عندك إنك سبحانك ذو الفضل العظيم ويسأل الله تعالى حاجته متوسلاً إلى الله بحضرة نبيه عليه الصلاة والسلام. وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة، ثم يسأل النبي ﷺ الشفاعة فيقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلماً على ملتك وسنّتك، ويذكر كل ما كان من قبيل استعطاف والرفق، ويجتنب الألفاظ الدالة عل الإدلال والقرب من المخاطب فإنه سوء أدب. وعن ابن أبي فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، ثم قال صلى الله عليك وسلم يا محمد سبعين مرة ناداه ملك وعليك يا فلان ولم تسقط له حاجة، هذا وليبلغ سلام من أوصاه بتبليغ سلامه فيقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله. يروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يوصي بذلك ويرسل البريد من الشام إلى المدينة الشريفة بذلك، ومن ضاق وقته عما ذكرناه اقتصر على ما يمكنه، وعن جماعة من السلف الإيجاز في ذلك جداً، ثم يتأخر عن يمينه إذا كان مستقلاً قيد ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه فإن رأسه حيال منكب النبي ﷺ، وعلى ما ذكرنا يكون تأخره إلى ورائه بجانبه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ وثانيه في الغار أبا بكر الصديق جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً ثم يتأخر كذلك قدر ذراع فيسلم على عمر رضي الله عنه لأن رأسه من الصديق كرأس الصديق من النبي ﷺ فيقول السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق الذي أعز الله به الإسلام جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً، ثم يرجع إلى حيال وجه النبي ﷺ فيحمد الله ويثني عليه ويصلي ويسلم على نبيه ويدعو ويستشفع له ولوالديه ولمن أحب ويختم دعاءه بآمين والصلاة والتسليم، وقيل ما ذكر من العود إلى رأس القبر الشريف لم ينقل عن الصحابة ولا التابعين. وأخرج أبو داود عن القاسم بن محمد قال: «دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت يا أم المؤمنين اكشفي لنا عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء» رواه الحاكم، وزاد «فرأيت رسول الله ﷺ مقدماً، وأبا بكر رأسه بين كتفي رسول الله ﷺ، وعمر رأسه عند رجل النبي ﷺ» صححه الحاكم، وإذا فرغ من الزيارة يأتي الروضة فيكثر فيها من الصلاة والدعاء إن لم يكن في وقت تكره فيه الصلاة، ففي الصحيحين **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»** وفي رواية **«قبري ومنبري»** ويقف عند المنبر ويدعو، ففي الحديث **«قواعد منبري رواتب في الجنة»**، وعنه عليه الصلاة السلام **«منبري على ترعة من ترع الجنة»**، وكان السلف يستحبون أن يضع أحدهم يده على رمانة المنبر النبوي التي كان عليه الصلاة والسلام يضع يده عليها عند الخطبة، وهناك الآن قطعة تدخل الناس أيديهم من طاقة في المنبر إليها يتبركون بها يقال إنها من بقايا منبره عليه الصلاة والسلام، ويجتهد أن لا يفوته مدة مقامه صلاة في المسجد، فقد ثبت أن صلاة في مسجده ﷺ تعدل ألف صلاة في غيره على ما قدمناه، وهذا التفضيل مختص بالفرائض وقيل في النفل أيضاً.

زيارة قبور الأولياء والصالحين

ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بقيع الغرقد فيزور القبور التي به خصوصاً يوم الجمعة ويبكر كي لا تفوته صلاة الظهر مع الإمام في المسجد، فقد كان ﷺ يزوره، وقال لأم قيس بنت محصن لما أخذ بيدها فذهبا إليه ترين هذه المقبرة؟ قلت نعم، قال يبعث منها سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ويدخلون الجنة بغير حساب، وإذا انتهى إليه قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم، ويزور القبور المشهورة كقبر عثمان بن عفان رضي الله عنه وقبر العباس وهو في قبته المشهورة وفيها قبران الغربي منهما قبر العباس رضي الله عنه، والشرقي قبر الحسن بن علي وزين العابدين وولده محمد الباقر وابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم كلهم في قبر واحد، وعند باب البقيع عن يسار الخارج قبر صفية أم الزبير عمة رسول الله ﷺ، وفيه قبر فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، ويصلي في مسجد فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالبقيع وهو المعروف ببيت الأحزان، وقيل قبرها فيه، وقيل بل في الصندوق الذي هو أمام مصلى الإمام في الروضة الشريفة، واستبعده بعض العلماء، وقيل إن قبرها في بيتها وهو في مكان المحراب الخشب الذي خلف الحجرة الشريفة داخل الدرابزين. قال وهو الأظهر، وبالبقيع قبة يقال إن فيها قبر عقيل بن أبي طالب وابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والمنقول أن قبر عقيل في داره، وفيه حظيرة مستهدمة مبنية بالحجارة يقال إن فيها قبور من دفن من أزواج رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن، وفيه قبر إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون، ودفن إلى جنب عثمان بن مظعون عبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم أجمعين وعثمان هذا أول من دفن بالبقيع في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، ويأتي أحداً يوم الخميس مبكراً كي لا تفوته جماعة الظهر بالمسجد فيزور قبور شهداء أحد ويبدأ بقبر حمزة عم النبي ﷺ ويزور جبل أحد نفسه، ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، وفي رواية لابن ماجه «إنه على ترعة من ترع الجنة، وإن عيراً على ترعة من ترع النار» وعن ابن عمر رضي الله عنهما «مر رسول الله ﷺ بمصعب بن عمير فوقف عليه وقال أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه السلام إلى يوم القيامة» ويستحب أن يأتي مسجد قباء يوم السبت اقتداء به ﷺ لأنه كان يأتيه في كل سبت راكباً وماشياً متفق عليه، وهو أول مسجد في الإسلام وأول من وضع فيه حجراً رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم وينوي زيارته والصلاة فيه فقد صح عنه ﷺ أن الصلاة فيه كعمرة، ويأتي في قباء بئر أريس التي تفل فيها رسول الله ﷺ وفيها سقط خاتمه ﷺ من عثمان رضي الله عنه فيتوضأ ويشرب ويزور مسجد الفتح وهو على قطعة من جبل سلع من جهة الغرب فيركع فيه ويدعو، روى جابر «أنه ﷺ دعا فيه ثلاثة أيام على الأحزاب فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين» والمساجد التي هناك منها مسجد يقال له مسجد بني ظفر وفيه حجر جلس عليه النبي ﷺ، ويقال ما جلست عليه امرأة لتريد الولد إلا حبلت، ويقال إن جميع المساجد والمشاهد المفضلة التي بالمدينة ثلاثون يعرفها أهل المدينة، ويقصد الآبار التي كان ﷺ يتوضأ منها ويشرب، وهي سبعة: منها بئر بضاعة، والله أعلم.

فصل: وإذا عزم على الرجوع إلى أهله يستحب له أن يودع المسجد بصلاة ويدعو بعدها بما أحب وأن يأتي القبر الكريم فيسلم ويدعو بما أحب له ولوالديه وإخوانه وأولاده وأهله وماله ويسأل الله تعالى أن يوصله إلى أهله سالماً غانماً في عافية من بليات الدنيا والآخرة ويقول غير مودع يا رسول الله، ويسأل الله تعالى أن يردّه إلى حرمه وحرم نبيه في عافية وليكثر دعاءه بذلك في الروضة الشريفة عقيب الصلوات وعند القبر، ويجتهد في خروج الدمع فإنه من أمارات القبول، وينبغي أن يتصدق بشيء على جيران النبي ﷺ ثم ينصرف متباكياً متحسراً على فراق الحضرة الشريفة النبوية والقرب منها.

كلام شيخنا الإمام المحدث

الشيخ حسن العدوي المصري المالكي المتوفى في مصر سنة ١٣٠٣ هجرية.

قال رحمه الله تعالى في كتابه «مشارق الأنوار»: اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، وينبغي لمن قصد زيارة قبره الشريف ﷺ أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، وهو أفضلها عند مالك رحمه الله تعالى، وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليردد الصلاة والتسليم عليه ﷺ وليسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين، وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه ماشياً باكياً، ولما رأى رسول الله ﷺ وفد عبد القيس ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا إليه لم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه. ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة وهذا ما لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف وإلا استحبت الزيارة أولاً، ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقاً. قال ابن الحاج: وكل ذلك واسع.

وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصداً في سلامه بين الجهر والإسرار. وفي البخاري أن عمر رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً: ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ» فيجب الأدب معه ﷺ كما في حياته، وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم، ويستدبر القبلة، ويقف قبالة وجهه الشريف ﷺ بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار. قال الزرقاني وهذا المسمار قد أزيل الآن وصار بدله شباك من نحاس أصفر يقابله الزائر.

وقد روي أن مالكاً لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي: يا أبا عبد الله! أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو، أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه ﷺ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة؟ وينبغي للزائر أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع، ويلازم الأدب والخشوع والتواضع غاضاً البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين

يديه في حياته، ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه، وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته. إذ لا فرق بين موته وحياته ﷺ في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به.

وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يوم إلا ويعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه، ويحضر قلبه جلال رتبته، وعلو منزلته وعظيم حرمته، وأن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار تعظيماً لما عظم الله تعالى من شأنه. ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح وأطراف: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا نبي الله. السلام عليك يا حبيب الله. السلام عليك يا خيرة الله. السلام عليك يا صفوة الله. السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين. السلام عليك يا قائد الغر المحجلين. السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين. السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين. السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين. جزاك الله أفضل ما جازى نبياً ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك فليقل ما تيسر منه.

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد فصلى ركعتين ثم أتى القبر المقدس، فقال: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر. السلام عليك يا أبتاه، وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع.

وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ، فقال يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم.

قال وقد بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة.

قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره: والأولى أن ينادي يا رسول الله وإن كانت الرواية يا محمد. فإن أوصاه أحد بإبلاغ السلام إلى النبي ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيسلم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه لأن رأسه بحذاء منكب النبي ﷺ، فيقول: السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين، السلام عليك يا من أيد الله به يوم الردة الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً: اللهم ارض عنه وارض عنا به. ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقول السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام

عليك يا من أيد الله به الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، اللهم ارض عنه وارض عنا به. ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه سيدنا محمد رسول الله ﷺ بعد السلام على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيحمد الله تعالى ويمجده. ويصلي على النبي ﷺ، ويكثر الدعاء والتضرع، ويجدد التوبة في حضرته الكريمة، ويسأل الله تعالى بجاهه ﷺ أن يجعلها توبة نصوحاً، ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه.

وفي الشفاء للقاضي عياض عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت يا رسول الله: هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال نعم وأرد عليهم. قال ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مشتهرة، ونبينا أفضلهم. قال وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته ﷺ أكمل وأتم ا هـ.

وروى أبو سعيد السحاني ٧ عن علي رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا على رأسه من ترابه، وقال: يا رسول الله: قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ [النساء: ٦٤] الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر إنه قد غفر لك، وذكر قصة العتبي، ثم قال: ولا شك أن الزيارة يحصل بها السرور لرسول الله ﷺ، وينشأ من ذلك النفع العميم للزائر، ومما يدل لذلك ما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء في قصة بلال بن رباح، وكان مقيماً بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله ﷺ، فرأى النبي ﷺ مناماً، وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال. أما آن لك أن تزورني؟ فبات حزيناً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فحين وصل القبر الشريف صار يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه؛ فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال «الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال «أشهد أن لا إله إلا الله» زادت رجتها، فلما أن قال «أشهد أن محمداً رسول الله» خرجت العواتق من خدورهن، وقلن بعث رسول الله ﷺ، فما رأينا يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

فإذا علمت ذلك علمت أن الزيارة وصلة مع الحبيب، وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له ﷺ ورده عليه، ومن ذلك المعنى ما ذكره بعض العارفين عن القطب الرفاعي في حال زيارته للقبر الشريف من قوله:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد يده الشريفة من الشباك فقبلها، والزيارة إما ماشياً أو راكباً على قدر الطاقة، والمشي أفضل عند الاستطاعة لقوله ﷺ «من اغبرت قدماه في سبيل الله غفر له» والمراد بسبيل الله مطلق طاعته كما ذكر ذلك الفقهاء في السعي للعيد والجمعة، والاغبرار عادة إنما يكون بالمشي فهو مجاز

مرسل من إطلاق السبب على المسبب. وأما أفضلية الركوب في الحج فلفعله ﷺ وإلا فقد ورد أن الملائكة تصافح ركاب الإبل وتعانق المشاة ﴿والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [البقرة: ١٠٥] انتهى ما نقلته من «مشارق الأنوار» لشيخنا العدوي رحمه الله تعالى.

فقد علمت من نقل عبارات علماء المذاهب الأربعة أن مسئلة السفر لزيارته ﷺ وكمال الاعتناء بها أمر متفق عليه بين جميع العلماء والعوام وكل من انتسب إلى الإسلام فلا يهولنك حينئذٍ كلام من خالفهم من تلك الشرذمة الشاذة التي بنت أمر دينها في ذلك على الخيالات والأوهام فأتت بما تمجه الأسماع وتستقبحه الطباع وترده العقول والأحلام، وقد كفرهم بذلك بعض العلماء، ولكن المعتمد أنهم لا يخرجون بذلك من الإسلام فهم من جملة أمته عليه الصلاة والسلام، غفر الله لنا ولهم ورزقنا حسن الختام، وما أحسن ما قلته في إحدى قصائدي المعشرات المسماة «بالسابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ» وهو قولي في قافية الواو من قصيدة ذكرتها في الباب الثامن من هذا الكتاب:

ألا ليت شعري وهي أعظم منية ... متى شقة البيداء ما بيننا تطوى
أشدّ رحالي كي أرى البدر مشرقاً ... بمطلعه فيها وما ضره العوا
وأعجب شيء قد هدى إلى الورى ... وقد ضل في أنواره ذلك الغوا

العوا: أي الكلب ومن عادة الكلاب أن تنبح ضوء القمر، ومرادي بهذا العواء وبقولي في البيت الأخير ذلك الغوا: من يمنع شد الرحال لزيارته عليه الصلاة والسلام وليس قصدي شخصاً معيناً، وفي العواء تورية لأنه منزلة من منازل القمر.

فصل في فضل المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

لما كانت المدينة المنورة إنما حازت الشرف العظيم بهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولذلك لم تزل تشد إليها رحال المؤمنين وتتهافت على زيارتها والإقامة فيها قلوب المحبين لسيد المرسلين ﷺ رأيت من اللازم ذكر شيء من فضائلها هنا، وإن كان الإمام السمهودي في خلاصة الوفاء قد قام بهذه الوظيفة حق القيام وكذلك غيره من علماء الإسلام الذين ألفوا في هذا الشأن. ولما كان الإمام الكبير الشهير إمام الأولياء العارفين وقدوة العلماء المحققين سيدي أبو الحسن البكري المصري تاج العارفين قد جمع في فضل المدينة المنورة أربعين حديثاً اشتملت على جملة جميلة من فضائلها المأثورة ومناقبها المشكورة رأيت أن أقتصر على ذكرها هنا، ومن أراد الزيادة فعليه بخلاصة الوفا فهي مطبوعة ومتيسر حصولها لمن أرادها. وهذا كتاب الأربعين حديثاً المذكورة بحروفه. قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي جعل المدينة قبة الإسلام ودار العلم بالحلال والحرام، أحمده وأشكره على جزيل الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شارع دين الإسلام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أشرف صلاة وأتم سلام، أما بعد فهذا كتاب لقبه «الدرة الثمينة في فضل المدينة» أوردت فيه أربعين حديثاً

يورد مثلها في الفضائل تقبله الله بفضله آمين: الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام»** أخرجه الطبراني في الأوسط. الحديث الثاني عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«المدينة حرم آمن»** أخرجه أبو عوانة. الحديث الثالث عن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«المدينة خير من مكة»** أخرجه الطبراني في الكبير والدارقطني في الأفراد لكنه لم يثبت سنده فلا يحتج به على تفضيل المدينة على مكة، على أنه إن صح فالمراد به أنها خير من جهة السلامة من الأذى الكائن للنبي ﷺ وأصحابه بمكة. الحديث الرابع عن علي كرّم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين»** أخرجه الترمذي. الحديث الخامس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرماً وإني حرمت المدينة حرام ما بين مأزميها أن يراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها»** أخرجه مسلم، المأزمان بالهمزة والزاي: الطريق الضيق بين الجبلين، والعلف بسكون اللام المصدر وبفتحها المأكول. الحديث السادس عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة»** أخرجه أحمد والشيخان. الحديث السابع عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله سمى المدينة طابة»** أخرجه الإمام أحمد ومسلم والنسائي. الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»** أخرجه الإمام أحمد والشيخان وابن ماجه. يأرز بفتح الياء وإسكان الهمزة وكسر الراء المهملة: معناه يأوي وينضم. الحديث التاسع عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقلع عضاهها ولا يصاد صيدها»** أخرجه مسلم. الحديث العاشر وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها»** أخرجه الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي، تنصع بفتح التاء المثناة فوق وإسكان النون وفتح الصاد المهملة في آخره عين مهملة: معناه تخلص. الحديث الحادي عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة»** أخرجه الترمذي والحاكم. الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف»** أخرجه الطبراني في معجمه الكبير. الحديث الثالث عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أول من تنشق عنه الأرض أنا ولا فخر ثم تنشق عن أبي بكر وعمر ثم تنشق عن أهل الحرمين مكة والمدينة ثم أبعث بينهما»** أخرجه الحاكم. الحديث الرابع عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«حرم الله ما بين لابتي المدينة على لساني»** أخرجه البخاري. الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال: «**الخلافة بالمدينة والملك بالشام**» أخرجه البخاري في تاريخه والحاكم، وهذا من دلائل نبوته ﷺ الشاهدة بفضل المدينة، إذ آخر الخلافة تم بالحسن رضي الله عنه بالمدينة، وأول الملك كان لمعاوية رضي الله عنه بالشام. الحديث السادس عشر عن بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال: «**رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان**» أخرجه الطبراني في معجمه الكبير.
الحديث السابع عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من سبعين ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**» أخرجه الشيخان وغيرهما.
الحديث الثامن عشر، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد**» أخرجه مسلم والنسائي؛ والمعنى آخر مساجد الأنبياء. الحديث التاسع عشر عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه، وهو صحيح. الحديث العشرون عن أبي الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة**» أخرجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه. الحديث الحادي والعشرون عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا كألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصيام رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها وصلاة الجمعة بالمدينة كألف جمعة فيما سواها**» أخرجه البيهقي في الشعب. الحديث الثاني والعشرون عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة**» أخرجه البيهقي في الشعب أيضاً، وقد تكلمنا على هذا التعارض في كتابنا في فضل الصلوات وحررنا فيه هذا المحل بما لا يوجد في غيره فليطلب منه.
الحديث الثالث والعشرون عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**افتتحت القرى بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن**» أخرجه البيهقي في الشعب. الحديث الرابع والعشرون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**» أخرجه مالك وأحمد والشيخان. الحديث الخامس والعشرون عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في شأن هذا الرجل يعني مسيلمة «**أما بعد فقد أكثرتم في شأنه فإنه كذاب في ثلاثين كذاباً يخرجون قبل الدجال وإنه ليس بلد إلا يدخله رعب المسيح إلا المدينة على كل نقب من أنقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح**» أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الكبير والحاكم. النقب الجهة التي يتوصل منها إليها كالباب والطريق، وسمي الدجال مسيحاً بالحاء المهملة في آخره لأنه يمسح الأرض. هذا أحد أقوال بلغت نحواً من ثلاثين قولاً، وسمي مسيخاً بالخاء المعجمة لأنه ممسوخ العين فإنه أعور. الحديث السادس والعشرون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**» أخرجه الشيخان وغيرهما. الحديث السابع والعشرون عن ثابت بن قيس بن شماس أن رسول الله ﷺ قال: «**غبار المدينة شفاء من الجذام**» أخرجه أبو نعيم في الطب. الحديث الثامن

والعشرون عن أبي بكر بن محمد بن سالم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«غبار المدينة يبرىء الجذام»** أخرجه ابن السني وأبو نعيم في الطب معاً، هكذا مرسلاً. وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن إبراهيم بلاغاً أن رسول الله ﷺ قال: **«غبار المدينة يطفىء الجذام»**. الحديث التاسع والعشرون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لكل نبي حرم وحرمي المدينة»** أخرجه الإمام أحمد. الحديث الثلاثون عن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»** أخرجه الإمام أحمد والشيخان والنسائي. الحديث الحادي والثلاثون عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: **«ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة»** أخرجه الزبير بن بكار في أخبار المدينة مرسلاً هكذا. الحديث الثاني والثلاثون عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل»** أخرجه الطبراني في الكبير. الحديث الثالث والثلاثون عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من خاف أهل المدينة أخافه الله»** أخرجه ابن حبان في صحيحه. الحديث الرابع والثلاثون، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أخاف أهل المدينة فكأنما أخاف ما بين جنبي»** أخرجه الإمام أحمد. الحديث الخامس والثلاثون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»** أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه. الحديث السادس والثلاثون عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»** أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه في صحيحه. الحديث السابع والثلاثون عن أنس رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: **«من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة»** أخرجه البيهقي في الشعب. وأخرج أيضاً في السنن والطبراني في الكبير عن ابن عمر يرفعه له ﷺ: **«من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»**. وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عنه يبلغ به النبي ﷺ **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**. الحديث الثامن والثلاثون عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة هي طابة»** أخرجه الإمام أحمد، ولا يعترض بقوله تعالى: **﴿يا أهل يثرب﴾** [الأحزاب: ١٣] لأنه محكي عن الغير، أو من باب مخاطبة الناس بما يعرفون. الحديث التاسع والثلاثون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»** أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود وغيرهم. الحديث الأربعون عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الناس تبع لكم يا أهل المدينة في العلم»** أخرجه ابن عساكر.

خاتمة

اختلف الناس: هل مكة أفضل؟ أم المدينة، فذهب كل إلى قول، وذهبت طائفة إلى الوقف، والجمهور على أن مكة أفضل، والكل متفقون على أن المحل الذي ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل من كل مكان الكعبة وغيرها، ولهم أدلة يطول ذكرها. واختلفوا في معنى قوله ﷺ: **«ما بين قبري**

ومنبري روضة من رياض الجنة» وفي معنى قوله ﷺ: «منبري هذا على ترعة من ترع الجنة» الحديث الذي أخرجه أحمد عن أبي هريرة، فطائفة على أن المنبر بعينه يعاد في القيامة كما تعاد الخلائق ويكون على محله من المسجد النبوي بناحية من الجنة عند آخر الحوض، وطائفة على أنه منبر آخر يخلقه الله تعالى، والأول أصح. وأما ما جاء في الروضة فالراجح فيه أن هذا المحل ينقل إلى الجنة، وليس كسائر الأرض يذهب ويفنى، وقيل إن ملازمته تؤدي إلى دخول الجنة. وقيل هو في تنزل الرحمات كالجنة، ويحتمل أن تلك البقعة نفسها من الجنة كما أن الحجر الأسود من الجنة، وتعود روضة فيها وهو الأقرب لمعنى لفظ النبوة، فليحمل الحديث عليه، وليكن بينه وبين الأبوة الإبراهيمية في هذا شبه، فالخليل خص بالحجر من الجنة والحبيب خص بالروضة منها.

هذا آخر ما أردناه وتمام ما قصدناه، والحمد لله أولاً وآخراً. باطناً وظاهراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم تقبله برحمتك يا أرحم الراحمين انتهى «كتاب الدرة الثمينة في فضل المدينة» بحروفه.

فصل: في ذكر شيء مما لا ينبغي فعله للزائر

قال ابن حجر في «الجوهر المنظم» لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ كما نقله النووي رحمه الله تعالى عن إطباق العلماء، ويوجه بأنهم كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره ﷺ إعظاماً له، كذلك أجمعوا على حرمة الطواف بقبره، لأن الطواف بمنزلة الصلاة. وقال الحليمي وغيره من أئمتنا وغيرهم: يكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر المكرم، وينبغي أن يلحق بجداره الجدار الحائز عليه ﷺ، وكان القياس تحريمها، لكن لما كان من شأن ذلك عند فاعليه أنهم لا يفعلونه إلا بقصد التبرك به جهلاً بما يليق من الأدب اقتضى ذلك رفع الحرمة عنهم وإثبات الكراهة، ولا عبرة بذلك القصد في نفي الكراهة أيضاً زجراً لهم عن التهجم عليه ﷺ بما لم يؤذن لهم فيه، ومن ثم تعين على كل أحد أن لا يعظمه ﷺ إلا بما أذن الله لأمته في جنسه مما يليق بالبشر، فإن مجاوزة ذلك تفضي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي إلى محذور، فليقتصر على الوارد ما أمكنه. وقد تقرر أن غير هذه الحضرة الشريفة يتعين صونها عن المبتدعات والمحدثات فهي أولى وأحرى، إذ من يخالف الملك على سرير ملكه بحضرته أقبح وأحق بالنكال والعذاب والبعد والطرد ممن يخالفه بعيداً عنه.

قال النووي رحمه الله تعالى في إيضاحه: قالوا ويكره مسحه: أي جدار القبر الشريف باليد وتقبيله: بل الأدب أن يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثيرين من العوام في مخالفتهم ذلك. فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم، ومن خطر بباله أن المسح ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء، وكيف ينبغي الفضل في مخالفة الصواب انتهى كلام الإيضاح. وذكر ابن حجر أن العز بن جماعة وغيره

اعترضوا على النووي في قوله بكراهة مسح جدار القبر الشريف وتقبيله بقول أحمد: لا بأس به، وقول المحب الطبري وابن أبي الصيف يجوز تقبيل القبر الشريف ومسه وعليه عمل العلماء الصالحين، وقول السبكي: إن عدم التمسح بالقبر الشريف ليس مما قام الإجماع عليه؛ ثم أجاب ابن حجر عن ذلك ورجح كلام النووي من أن ذلك مكروه، ومما نقله في ذلك قول الإمام الغزالي في الإحياء: مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى، وقول الزعفراني وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعاً.

قال: وعلم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأولياء وتقبيلها، نعم إن غلبه وجد أو حال فلا كراهة وذكر حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وهو أن مروان أقبل فرآه ملتزم القبر المكرم، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ماذا تصنع فأقبل عليه، فقال نعم: إني لم آت الحجر ولا اللبن، إنما جئت رسول الله ﷺ، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله. قال وفيه إشارة واضحة إلى عذره، وهو أنه لم يقصد مجرد التزام حجارة القبر ولا لبنه، وإنما قصد غير ذلك لأنه ﷺ حي مكرم في قبره الشريف فكان ذلك كالتزامه، وقد تغلب المحبة والشوق على بعض الناس فترتفع الحجب عن نظره ويصير كالمشاهد لوجهه المكرم ﷺ حتى يخرجه ذلك عن قياس العادات إلى حقائق المنازلات، أذاقنا الله سبحانه وتعالى ذلك والمحسنين إلينا وذرارينا بمنه وجوده وكرمه آمين.

قال: ونقل بعضهم عن الإمام مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى أنهم أنكروا تلك الثلاثة أشد الإنكار، وهي الطواف بقبره ﷺ وإلصاق الظهر والبطن بجداره ومسحه باليد وتقبيله. وجاء بسند جيد أن بلالاً رضي الله عنه لما زار النبي ﷺ من الشام للمنام الذي رآه جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر الشريف وجاء عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنه ﷺ لما قبر أخذت قبضة من تراب قبره الشريف وجعلتها على عينها وبكت، وقالت منشدة بيتين:

مساذا علـى مـن شـم تـربـة أحمـد ... أن لا يـشـم مـدى الـزمـان غـوالـيـا
صـبـت علـيّ مـصـائـب لـو أنها ... صـبـت عـلى الأيـام عـدن لـيـالـيـا

وذكر ذلك الخطيب بن جملة وقال: لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته ﷺ؛ فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ﷺ، وأناس فيهم أناة يتأخرون والكل على خير. قال ابن حجر: ويكره أيضاً الانحناء للقبر الشريف، وأقبح منه تقبيل الأرض ذكره ابن جماعة، ولفظه قال بعض العلماء: إن ذلك من البدع: أي القبيحة، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض له ﷺ لأنه لم يفعله السلف الصالح والخير كله في اتباعهم، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم، وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه: أي لو تأمل بقبحه ومخالفته لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر. قال السيد: يعني السمهودي صاحب خلاصة الوفاء: ولقد شهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملا وزاد

بوضع الجبهة كهيئة الساجد فتبعه العوام. قال ابن حجر بعد هذا: ووقع من بعض الصالحين نظير ذلك في بعض قبور الأولياء بحضرتي، لكن الظاهر أنه كان في حال أخرجه عن شعوره، ومن تحقق منه الوصول لذلك لا يعترض عليه، وهذا كله في الانحناء بمجرد الرأس والرقبة، أما بالركوع فهو حرام. وأما تقبيل الأرض له ﷺ فهو أشبه شيء بالسجود له بل هو هو فلا ينبغي التوقف في تحريمه ذكره بعضهم قال وهو وجيه في الركوع إذا قصد به التعظيم بخلاف تقبيل الأرض ويفرق بأن نحو الركوع صورته صورة عبادة ففعله للمخلوق بقصد تعظيمه يوهم التشريك فحرم، بل ربما ينتهي الحال إلى الكفر إذا قصد به تعظيمه كما يعظم الله سبحانه وتعالى. وأما نحو تقبيل الأرض مما ليس على صورة العبادة فهو بنحو مس القبر وإلصاق الظهر والبطن بالجدار أشبه فلم يكن محرماً بل مكروه لأنه لا يوهم نظير ما تقرر في نحو الركوع فلم يكن فيه مقتض للحرمة فتأمل ذلك فإنه مهم انتهى كلام ابن حجر، وجله أو كله أنه نقله من «خلاصة الوفا» للسيد السمهودي لأنه موجود فيها مع زيادة وإنما نقلته عن ابن حجر لأن تصديقه عليه يفيده قوة إلى قوته. وقال في خلاصة الوفاء أيضاً وفي «كتاب العلل والسؤالات» لعبد الله الإمام أحمد بن حنبل سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال لا بأس به. قال الأذرعي: يجب الجزم بتحريم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركاً وإعظاماً، وفي التتمة للمتولي أن الصلاة إلى قبر رسول الله ﷺ حرام. قال الأذرعي: وينبغي أن لا يختص هذا بقبره الكريم، بل هو كما ذكرنا، وذكر حديث وضع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وجهه على القبر الشريف ومعارضة مروان له بذلك، وقصة زيارة بلال رضي الله عنه وأنه أتى القبر فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه، وأن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى عليه، ونقل عن الخطيب بن جملة بعده ما تقدم في كلام ابن حجر عنه من قوله: لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك والقصد به التعظيم، والناس تختلف مراتبهم كما في الحياة فمنهم من لا يملك نفسه بل يبادر إليه ومنهم من فيه أناة فيتأخر.

ثم قال رحمه الله تعالى: ونقل عن أبي الصيف والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين. وعن إسمعيل اليمني قال: كان ابن المنكدر يصيبه الصمات فكان يقوم فيضع خده على قبر النبي ﷺ فعوتب في ذلك، فقال إنه يستشفي بقبر النبي ﷺ اهـ. ورأيت كتاباً للعارف الكبير الشهير سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه: سماه «جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار» نقل فيه فتاوى كثير من مشاهير علماء المذاهب الأربعة، ومن ذلك قوله: وقد رأيت في فتوى رفعت سابقاً إلى الشيخ الإمام العلامة محمد الشوبري المصري: أي الشافعي رحمه الله تعالى بما ملخصه: هل كرامات الأولياء ثابتة بعد موتهم، وهل تصرفهم ينقطع بالموت أم لا، وهل يجوز تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم أم لا؟ فأجاب: يعني الشمس الشوبري بما ملخصه: كرامات الأولياء ثابتة، وتصرفهم لا ينقطع بالموت، ويجوز التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بعد موتهم. أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم. وأما الأولياء فهي كرامة لهم. وقال شيخنا الرملي رحمه الله تعالى: وهذه

الأشياء يعني الكرامات مشاهدة لا يمكن إنكارها، فالذي نعتقده ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد وفاتهم ولا تنقطع بموتهم إلى أن قال: وأما تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم فلا خلاف في جوازه، بل ولا كراهة في تقبيل أعتابهم على قصد التبرك كما أفتى به شيخنا الرملي رحمه الله تعالى، ثم قال الشيخ محمد الشوبري في أواخر فتواه المذكورة، وهذا الأمر ظاهر غني عن طلب الدليل، إذ الطلب لذلك إنما يصدر من جاهل معاند جاحد لا يلتفت إليه ولا يعول في هذه المباحث الشرعية عليه انتهت فتوى الشمس الشوبري التي نقلها سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي بحروفها. وقال شيخنا الإمام المحدث الشيخ حسن العدوي المالكي المصري رحمه الله تعالى في كتابه «مشارق الأنوار» وأما تقبيل القبر الشريف فمكروه. قال في المواهب: وأما قول البوصيري في بردة المديح:

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه طوبى لمنتشق منه وملتثم

قال شارحها العلامة ابن مرزوق: وأقل ذلك بتعفير جبهته وأنفه بتربته حال السجود في مسجده عليه الصلاة والسلام، فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فإنه مكروه. وقال العلامة الشبراملسي في حاشية المواهب. وعبارة شيخ مشايخنا العلامة الرملي على المنهاج نصها: ويكره أن يجعل على القبر مظلة، وأن يقبل التابوت الذي يجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء. نعم إن قصد بتقبيله التبرك لا يكره كما أفتى به الوالد رحمه الله تعالى، فقد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر سن له أن يشير بعصا وأن يقبلها اهـ.

قال شيخنا العدوي بعد هذا: ولا مرية حينئذٍ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن للتبرك: فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك، فيحمل ما قاله العارف ـ يعني البوصيري ـ على هذا المقصد لا سيما وأن قبره الشريف ﷺ روضة من رياض الجنة، ثم قال: ويقف أو يجلس معتبراً حزيناً ولا يدور حوله فيكره له ذلك، وبعضهم يقول بتحريمه، ومثل ذلك التقبيل للقبر والتمسح به والرجوع بالقهقرى عند الخروج. قال في «كنز الأسرار» فإن ذلك كله من فعل النصارى مع أصنامهم، ولا يقبل الأعتاب إلا لقصد التبرك فلا بأس به كما قاله القطب الشعراني.

قال العلامة الأجهوري وهل يجوز القرب من الولي عند الزيارة أولاً؟. الظاهر أن ذلك يختلف باختلاف مقامات الزائرين ومقامات المزورين. قال: يعني الأجهوري وأجاز بعضهم تقبيل الأعتاب والمقاصير إذا كان عند الزائر حسن اعتقاد ولم يكن مقتدى به. وعن الإمام القضاعي ما يفيد تفصيل العلامة الأجهوري بين الزائر والمزور، ولفظه: قال أبو موسى دخلت إلى ضريح السيدة نفيسة ووضعت يدي على الضريح وإذا بقائل من داخل القبر يقول: أهكذا يدخل على أهل بيت النبوة، وكذلك تمريغ الخد على الأعتاب ما لم يكن على هيئة السجود وإلا حرم ولم يكن مكفراً لعدم قصد العبادة والسجود للمخلوق وإنما هو من شدة التعلق بمحبة أعتابهم وما يقع من بعض العوام من قولهم: يا سيدي فلان مثلاً إن قضيت لي كذا أو شفيت لي مريضي فلك عليّ كذا فهو من الجهل بالسنّة بكيفية الطلب، ولكن لا يعد ذلك كفراً لأنهم لا يقصدون بذلك الإيجاد من الولي، وإنما يجعلونه في نياتهم وسيلة إلى مولاهم حيث كان المتوسل به في اعتقادهم من أهل القرب والمحبة للخالق. ألا ترى أنهم يكررون في أثناء كلامهم: يا صاحب النفس الطاهر عند ربك اطلب لي من

مولاك يفعل بي كذا، فإن ذلك دليل منهم على انفراد الله بـالفعل، وأنـه لا شيء للولي إلا مجرد التسبب، وأنه لا يرد المتوسل به لأن التقريب المحبوب لا يرد فيها طلب، فهو من باب قوله ﷺ: «رب رجل أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره». وقد ذكر بعض العارفين أن الولي بعد موته أشد كرامة منه في حال حياته لانقطاع تعلقه بالمخلوق وتجرد روحه للخالق، فيكرمه الله تعالى بقضاء حاجة المتوسلين به انتهى كلام شيخنا العدوي.

فقد علمت مما تقدم أن الإمام أحمد كما نقله عنه ابن عبد الله وكثير من أئمة العلماء: كالمحب الطبري، وابن أبي الصيف، والشمس الرملي ووالده الشهاب الرملي، وابن حجر الهيتمي وغيرهم، ومن نقل ذلك عنهم من الشافعية والحنفية والمالكية وأقروه وارتضوا به قائلون جميعهم بجواز التمسح بجدار القبر الشريف وتقبيله للتبرك، بل وقبور سائر الأنبياء والصالحين، وبعضهم صرح بجواز تقبيل الأعتاب أيضاً للتبرك كما هو قصد جميع من يفعلون ذلك من المسلمين، ولو كانوا من أجهل الجاهلين، لا يقصد أحد منهم غير التبرك بذلك النبي، أو ذلك الولي، ولا يخفى أن في تجويز ذلك بقصد التبرك من هؤلاء الأئمة الأعلام، ولا سيما الإمام أحمد رضي الله عنه وعنهم فيه فسحة وتيسير على أهل الإسلام وهو اللائق بمحاسن الشريعة. وقيد ابن حجر في عبارته السابقة جواز ذلك ونحوه بمن غلب عليه حال المحبة، والذي اعتمده هو الكراهة لغير من غلب عليه الحال، فأين هذا ممن يكفرون المسلمين بمثل ذلك بناء على أوهامهم وتخيلاتهم أنه يفضي إلى الكفر والشرك؟ ومن أين يفضي إلى الكفر والشرك؟ والمسلمون جميعـاً عوامهم وعلماؤهم، لـولا أنهم يعتقدون في الأنبيـاء والأولياء قربهم لله تعالى ومحبته لهم لما زاروا أحدا منهم، فكيف مع ذلك يجعلونهم شركاء لمعبودهم، والله لا أظن أن أحداً من أجهل عوام المسلمين يعتقد في نبي أو ولي أنه شريك لله تعالى أو أنه ينفع ويضر بنفسه، بل يعلمون يقيناً أن النافع والضار حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له، فالتشديد على المسلمين إلى هذه الدرجات الفاحشة لا يرضي الله ولا رسوله، ولا ينبغي لأوحد من أئمة هذا الدين المبين، ولا شك أن الشمس الرملي ووالده الشهاب الرملي والشهاب ابن حجر فضلاً عن الإمام أحمد، هم في الفقه أجل قدراً وأدق نظراً من ابن تيمية بدرجات، وهذا لا ينكره إلا أحد رجلين: إما أن يكون رجلاً عالماً ولكن أعمى بصيرته شدة التعصب لابن تيمية بغير حق، وإما أن يكون جاهلاً بمنزلة هؤلاء العلماء، ونحن وإن لم نجتمع بهم ونبلغ درجة علمهم حتى نميز بينهم إلا أن لنا طريقة واضحة إذا سلكناها نعلم أيهم أفضل وأكمل، وذلك أنا إذا نظرنا إلى منزلة أقوالهم في الفقه في مذاهبهم نجد أولئك الثلاثة في مذهب الشافعي في درجة علية جداً لا يعلو عليهم فيها أحد في الاعتماد والاعتبار عند عموم علماء الشافعية، ونجد كثيراً من أقوال ابن تيمية في الفقه في مذهب الإمام أحمد مرفوضة مردودة لا يعملون بها ولا يعولون عليهم وهو عند علماء الحنابلة وإن كان كثير العلم واسع الحفظ للكتاب والسنّة ويعد من أكابر الحفاظ المحدثين، إلا أنه يتبع اجتهاده في بعض المسائل فيخالف فيها ما عليه أئمـة علماء مذهبـه بالكليـة. ويطلق عـلى تلك المسائـل أنها تيمية لا حنبلية، فهم يفتخرون بكونه حنبلياً ويجعلون اتباع أقواله المخالفة لمذهبهم شيئاً فرياً، فهل يوجد دليل أقوى من هذا؟ على أن أولئك الثلاثة هم بيقين أجلّ منه في الفقه قدراً وأدقّ نظراً وهم قائلون بأن مثل تقبيل أعتاب الأولياء، فضلاً عن الأنبياء، فضلاً عن سيدهم سيد المرسلين وحبيب رب

العالمين ﷺ لا كراهة فيه فضلاً عن التحريم عند الرملي وابنه مطلقاً بقصد التبرك. وعند ابن حجر أيضاً فيما إذا غلب على الزائر حال المحبة وإلا فذلك مكروه، وقد وافقوا بذلك بعض من تقدم ذكرهم من أكابر الأئمة، وأين هذا من قول ابن تيمية وتلميذيه: ابن القيم وابن عبد الهادي من تضليل الزائرين بنحو ذلك والتعبير عنهم بالمشركين والمبالغة في التشنيع عليهم حتى يخيل لمن يقرأ عباراتهم أن من يفعل ذلك من الزوّار هم من أكبر المشركين وأكفر الكفار، وقد علمت أن أقوالهم في استنباط الأحكام الفقهية هي في نفس مذهبهم فضلاً عن غيره من المذاهب عديمة الاعتبار، هذا إذا كانت أحكاماً عادية في المعاملات مثلاً فما بالك إذا كانت كهذه في تكفير المؤمنين بأضعف الأدلة وأوهى الأسباب فلا شك أنهم قد خالفوا بذلك طريق السداد وأخطأوا سبيل الصواب والرشاد، ولذلك حكم علماء الحنابلة كغيرهم من علماء المذاهب عليهم وعلى من تبعهم كالوهابية في هذه المسائل بالتضليل، وحذروا الناس من اتباعهم على تلك الأباطيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو سبحانه وتعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني
في مشروعية الاستغاثة به ﷺ

وهو يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في سرد أحاديث وردت في استغاثة الناس به ﷺ في حياته.

الفصل الثاني: في أحاديث الشفاعة يوم القيامة وهي أعظم أنواع الاستغاثات في الحياة وبعد الممات.

الفصل الثالث: في بعض ما قاله أئمة العلماء وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة به ﷺ.

الفصل الرابع: في توضيح هذه المسألة بعبارة من مؤلف هذا الكتاب، تقرّب ذلك للأفهام. وتحمل على اعتقاد مشروعيته لكل منصف مؤمن بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام.

الفصل الأول
في أحاديث استغاثتهم به ﷺ
للاستسقاء: أي طلب السقيا عند قحط المطر

روى أبو داود وابن حبان عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها. قالت «شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه، فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار

المطر عن إبان زمانه، وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ١ـ٤] الذي لا إله إلا هو يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين، ثم رفع يديه حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة وحول رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحاباً فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأتِ مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى ذلك وسرعتهم إلى السكن ضحك حتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبده ورسوله» وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه «أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت. قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا. اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال فانقطعت فخرجنا نمشي في الشمس**» قال شريك: فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول؟ قال لا أدري. وفي رواية مسلم «فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة. وسال وادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا أخبر بجود».

وقوله من باب كان نحو دار القضاء: هي دار عمر بن الخطاب، وسميت بذلك لأنها بيعت في قضاء دينه. والقزعة قطعة من السحاب. وقوله في الحديث سبتاً: أي أسبوعاً من السبت إلى السبت، والآكام جمع أكمة: وهي الجبل الصغير. وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة، والظراب جمع ظرب: وهو الجبل المنبسط. والجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة. والجود: المطر الغزير. وروى البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمي رضي الله عنه قال: «لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو أصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحرث وقدموا على إبل عجاف وهم مسنتون، فأتوا مقرين بالإسلام، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقالوا: يا رسول الله أسنتت بلادنا وأجدب جنابنا وغرث عيالنا وهلكت مواشينا، فادع ربك أن يغيثنا وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك، فقال ﷺ: «سبحان الله ويلك أنا شفعت إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والأرض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد، فقال ﷺ: «**إن الله يضحك من شفقتكم وقرب غيائكم**»، فقال الأعرابي: أو يضحكك ربنا يا رسول الله؟ قال نعم، فقال الأعرابي: لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيراً، فضحك رسول الله ﷺ من قوله، فقام ﷺ فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه، وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في

الاستسقاء فرفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، وكان مما حفظ من دعائه: اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت. اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار. اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق. اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء، فقام أبو لبابة بن عبد المنذر، فقال يا رسول الله إن التمر في المربد فقال ﷺ: «**اللهم اسقنا**»، فقال يا رسول الله إن التمر في المربد ثلاث مرات، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره**». قال فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت، فوالله ما رأوا الشمس سبتاً وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه، فقال الرجل يا رسول الله: يعني الذي سأله أن يستسقي له: هلكت الأموال وانقطعت السبل، فصعد ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه مداً حتى رئي بياض إبطيه قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب**» وقوله في الحديث: عجاف، أي مهازيل، وأسنتت بلادنا: أجدبت، وغرث عيالنا: جاعوا، ويئط: يصوت، وشفقتكم: خوفكم، وبياض إبطيه خصوصية فيه ﷺ، والمريء هو المنيء الذي لم يثقل على المعدة، والمريع المخصب الناجع، ويقال غيث طبق: أي عام واسع، والمربد: بيدر التمر الذي يجفف فيه، وثعلبه: ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر، والقزعة: القطعة من الغيم، وسلع: جبل في المدينة المنوّرة، والسبت: الأسبوع، والآكام: الجبال الصغيرة والهضاب، والظراب: الجبال المنبسطة، وانجابت: انقطعت وانكشفت. وروى البيهقي في الدلائل أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أتيناك ومالنا صبي يغط ولا بعير يئط، وأنشد شعراً ذكر فيه سوء حالهم من عدم المطر قال في آخره:

فليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ثم قال: «**اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً غدقاً طبقاً نافعاً غير ضار عاجلاً غير رائث تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الأرض بعد موتها**»، قال فما رد ﷺ يديه إلى نحره حتى التقت السماء بأبراقها وجاء أهل البطانة يضجون: الغرق الغرق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**حوالينا ولا علينا**»، فانجابت السحابة عن المدينة حتى أحدق حولها كالإكليل وضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه**»، من ينشدنا قوله؟ فقال عليّ يا رسول الله كأنك تريد قوله:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال ﷺ: أجل الغطيط: الصوت الذي يخرج مع نفس النائم، ويئط: أي يحن ويصيح.

يريد مالنا بعير أصلًا، لأن البعير لا بدّ أن يئط قاله ابن الأثير في النهاية، والغدق: المطر الكبير القطر، والرائث: البطيء، والبطانة: الخارج من المدينة، وانجابت: انكشفت، وأحدق: أحاط، والإكليل: شبه عصابة مزينة بالجوهر تحيط بالرأس، والنواجذ من الأسنان: التي تبدو عند الضحك والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان، والمراد الأول، لأنه ما كان يبلغ به ﷺ الضحك حتى تبدو أواخر أضراسه، كيف وقد جاء في صفة ضحكه ﷺ «جل ضحكه التبسم» قاله ابن الأثير في النهاية والثمال: الملجأ والغيث، وقيل هو المطعم في الشدة، والعصمة: المنعة: أي يمنعهم من الضياع والحاجة، والأرامل: المساكين من رجال ونساء، وهو في النساء أكثر استعمالاً. ونبزي محمداً هو هكذا في كتب الحديث المنقول منها بالنون والبناء للفاعل ونصب محمداً، وذكره ابن الأثير في النهاية يبزى محمد بالياء والبناء للمجهول ورفع محمد. قال يبزي: أي يقهر ويغلب، أراد لا يبزي، فحذف لا من جواب القسم، وهي مرادة: أي لا يقهر ولم نقاتل عنه ونذافع، والمناضلة المراماة بالسهام، ونسلمه: أي لا نسلمه، وأجل: أي نعم.

وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أن قريشاً أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذتها سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع، فجاءه أبو سفيان، فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك هلكوا فادع الله، فقرأ ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠] فاستسقى لهم فسقوا، ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ [الدخان: ١٦] يوم بدر. زاد أسباط عن منصور «فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعاً، فشكا الناس كثرة المطر، فقال: اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم». السنة: الجدب. وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما «أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى إن كان الرجل ليذهب ويلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال أتحبون ذلك؟ قال نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوزت العسكر».

الفصل الثاني
في أربعين حديثاً في شفاعته يوم القيامة
وما يناسبها من فضائله التي اختص بها ﷺ

لما كانت استغاثة الناس يوم القيامة بالنبي ﷺ هي أعظم الاستغاثات لشدة كربهم وقتئذٍ، ولظهور فضل النبي ﷺ على سادات المرسلين والخلائق أجمعين، ودلالة ذلك على جواز الاستغاثة به وحسنها ونفعها بعد مماته أيضاً لوقوعها في حياته الدنيوية والأخروية ناسب ذكر أحاديث الشفاعة هنا

ولا سيما حديث التجاء الناس إلى سادات الرسل ليشفعوا لهم عند الله تعالى فلم يفعلوا وأحالوهم على سيدهم الحبيب الشفيع ذي المقام الرفيع صفوة الله ومجتباه، وأحب عبيد الله إلى الله سيدنـا محمد ﷺ. قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب في فصل الشفاعة: والأحاديث من هذا النوع كثيرة جداً في الصحاح وغيرها ا هـ.

وقال الإمام السبكي في «شفاء السقام»: والأحاديث في الشفاعة كثيرة ومجموعها يبلغ مبلغ التواتر، وأعني بالتواتر هنا: ما اشتركت فيه الروايات عن الشفاعة لا لفظاً واحداً منها بخصوصه، وهذا النوع من التواتر في السنّة كثير، وأما التواتر في لفظ حديث مخصوص فعزيز ا هـ. وقد اخترت أن أجمع هنا من أحاديث شفاعته وفضائله الأخروية ﷺ أربعين حديثاً من الشفاء للقاضي عياض، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وشفاء السقام للإمام السبكي، ومشكاة المصابيح لولي الدين التبريزي، والمواهب اللدنية للإمام القسطلاني، والجامع الصغير وذيله للحافظ السيوطي، وهي وإن كان الحديث المصرح منها باستغاثة الناس يوم القيامة بالنبيين واستشفاعهم بهم وردهم الشفاعة إليه ﷺ هو الحديث الأول إلا أن باقي الأحاديث فيها الدلالة أيضاً على عظيم شرفه واختصاصه من الفضائل والمناقب بما لم يشاركه فيه أحد من النبيين والمرسلين والخلائق أجمعين من فضل الله تعالى وإحسانه عليه إذ هو أخلصهم عبودية له وأحبهم من كل الوجوه إليه.

وها أنا أشرع في الأحاديث فأقول: الحديث الأول، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس من جماجم الناس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الناس. ألا ترون إلى ما أنتم فيه، ألا ترون ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم فيأتونه؛ فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً عليه الصلاة والسلام، فيقولون يا نوح أنت أول الرسل بعث إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى مـا بلغنا؟ ألا تشفـع لنا إلى ربـك؟ فيقول إن ربي غضب اليـوم غضبـاً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ألا ترى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا**

إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلى ربك، فيقول عيسى. ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي نفسي، ولم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون. يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلى ربك فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال. يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى».

قال الإمام السبكي في شفاء السقام: وأما إلهامهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ولم يلهموا في الابتداء سؤال نبينا محمد ﷺ فالحكمة فيه والله تعالى أعلم: أنهم لو سألوه ابتداء لأمكن يقول قائل يحتمل أن غيره يقدر على هذا، وإذا بذلوا الجهد في السؤال والاسترشاد وسألوا غيره ﷺ من رسل الله تعالى وأصفيائه وأولي العزم فامتنعوا ولم يألوهم جهداً في النصح والإرشاد فانتهوا إليه وحصل غرضهم به حصل العلم لكل أحد بنهاية مرتبته ﷺ وارتفاع منزلته وكمال قربه وعظم إدلاله وأنسه وتفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة. وحق لصاحب هذا المقام أن يكون سيد الأمم وأن يسافر إلى زيارته على الرأس لا على القدم.

قال رحمه الله: وفي التجاء الناس إلى الأنبياء في ذلك اليوم أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة وأن كل مذنب يتوسل إلى الله عزّ وجلّ بمن هو أقرب إليه منه، وهذا لم ينكره أحد، انتهى كلام السبكي. قال الإمام الزرقاني في شرحه على المواهب: قال القاضي عياض: يحتمل أنهم علموا أن صاحب الشفاعة محمد ﷺ معيناً وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على التدريج الشفاعة في ذلك إليه إظهاراً لشرفه في ذلك المقام العظيم، وإنما خص الخمسة بالمجيء إليهم دون باقي الأنبياء لأنهم مشاهير الرسل وأصحاب شرائع عمل بها مدداً طويلة مع أن آدم والد الجميع ونوح الأب الثاني وإبراهيم مجمع على الثناء عليه عند جميع أهل الأديان وهو أبو الأنبياء بعده وموسى أكثر الأنبياء أتباعاً بعد المصطفى وعيسى لأنه ليس بينه وبينه نبي ولأنه من أمته ﷺ، ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لإظهار فضله وشرفه.

قال الحافظ: يعني ابن حجر: ولا شك في أن في السائلين يومئذٍ من سمع هذا الحديث في الدنيا وعرف أن ذلك خاص به ﷺ ومع ذلك فلا يستحضره إذ ذاك أحد منهم وكأن الله أنساهم ذلك للحكمة المذكورة، انتهت عبارة الزرقاني. وقال الإمام الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر» قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: وإنما أخبرنا ﷺ بأنه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب إلى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فأراد ﷺ إعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته ﷺ ويقول: «أنا

لها أنا لها» فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بد من تعبه وذهابه إلى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك ودام معه إلى يوم القيامة، فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الأمة! وإنما قال في الحديث «ولا فخر» أي لا أفتخر بكوني سيد ولد آدم من الأنبياء فمن دونهم، وإنما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عزّ وجلّ أن أكون أول شافع وأول مشفع فما زكى ﷺ نفسه إلا لغرض صحيح، انتهت عبارة الإمام الشعراني بحروفها، وهذا الحديث وإن كان كافياً وافياً بالمقصود من استغاثة الناس به ﷺ وشفاعته لهم وقبول شفاعته عند الله تعالى وذلك هو المقصود من تأليف هذا الكتاب إلا أني رأيت أن أذكر جملة من الأحاديث الواردة في شفاعته وبيان فضله وتقدمه على النبيين والمرسلين والخلائق أجمعين يوم القيامة ﷺ وإن لم يكن فيها ذكر استغاثتهم واستشفاعهم به ﷺ فأقول:

الحديث الثاني. قال ﷺ: **«أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا؛ لواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»** رواه الترمذي عن أنس. الحديث الثالث قال ﷺ: **«أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»** رواه مسلم عن أنس. الحديث الرابع: قال ﷺ: **«أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»** رواه مسلم عن أنس الحديث الخامس قال ﷺ: **«أنا أول من تنشق الأرض عنه فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»** رواه الترمذي عن أبي هريرة. الحديث السادس قال ﷺ: **«أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»** رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس. الحديث السابع قال ﷺ: **«أنا أول من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع»** رواه ابن النجار عن أنس. الحديث الثامن قال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»** رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة. الحديث التاسع قال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»** رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري. الحديث العاشر قال ﷺ: **«أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر»** رواه الدارمي عن جابر. الحديث الحادي عشر قال ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»** رواه الترمذي عن أبي بن كعب. الحديث الثاني عشر قال ﷺ: **«أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»** رواه الترمذي عن ابن عباس. الحديث الثالث عشر، قال ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء»** رواه البخاري عن أنس. الحديث الرابع عشر قال ﷺ: **«يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود»** رواه أحمد عن كعب بن مالك. الحديث الخامس عشر قال ﷺ: **«آتي باب**

الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» رواه مسلم عن أنس. الحديث السادس عشر قال ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. الحديث السابع عشر قال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» رواه البخاري ومسلم عن جابر. الحديث الثامن عشر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، قال بعضهم: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: موسى كلمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» رواه الترمذي والدارمي. الحديث التاسع عشر، قال ﷺ: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة وإني قائل قولاً غير فخر: إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث: لا يعمهم بسنّة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة» رواه الدارمي عن عمرو بن قيس. الحديث العشرون، قال ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذٍ بيدي، ولواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منثور» رواه الترمذي والدارمي عن أنس، الحديث الحادي والعشرون قال ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة، قالوا يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو» رواه الترمذي عن أبي هريرة. الحديث الثاني والعشرون، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة حتى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود». قال الشهاب في شرح الشفاء: وهذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفاً على ابن عمر، ومثله مما لا مجال للرأي فيه، فله حكم المرفوع. الحديث الثالث والعشرون، قال ﷺ: «كل نبي سأل سؤالاً أو قال لكل نبي دعوة قد دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي» رواه البخاري ومسلم عن أنس. الحديث الرابع والعشرون قال ﷺ: «رأيت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض فأحزنني وسبق ذلك من الله عزّ وجلّ كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل» رواه البيهقي في البعث وصحح إسناده عن أم حبيبة. الحديث الخامس والعشرون، قال ﷺ: «لقد

أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي، أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة، وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر لملىء منه، وأحلت لي الغنائم آكلها وكان من قبل يعظمون أكلها كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم، والخامسة هي ما هي؟ قيل لي سل فإن كل نبي قد سأل فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله» رواه أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر. الحديث السادس والعشرون، عن عبد الرحمن بن أبي عقيل رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأنخنا بالباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل يلج عليه فما خرجنا حتى ما كان في الناس أحب إلينا من رجل دخل عليه، فقال قائل منا يا رسول الله ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟. قال فضحك ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، منهم من اتخذها دنيا فأعطيها ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فخبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة» رواه الطبراني والبزار بإسناد جيد. الحديث السابع والعشرون قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي، ونصرت بالرعب مسيرة شهر على عدوي وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئاً» رواه البزار عن أبي ذر وإسناده جيد. الحديث الثامن والعشرون. عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ سفراً حتى إذا كان في الليل أرقت عيناي فلم يأتني النوم فقمت فإذا ليس في العسكر دابة إلا واضع خده إلى الأرض وأرى وقع كل شيء في نفسي فقلت لآتينّ رسول الله ﷺ فلأكلمنه الليلة حتى أصبح فخرجت أتخلل الرجال حتى خرجت من العسكر فإذا أنا بسواد فتيممت ذلك السواد فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل. فقالا لي ما الذي أخرجك؟ فقلت الذي أخرجكما فإذا نحن بغيضة منا غير بعيدة فمشينا إلى الغيضة. فإذا نحن نسمع فيها كدوي النحل وكخفيق الرياح، فقال رسول الله ﷺ: ههنا أبو عبيدة بن الجراح؟ قلنا نعم، قال: ومعاذ بن جبل؟ قلنا نعم، قال: وعوف بن مالك؟ قلنا نعم، فخرج إلينا رسول الله ﷺ لا نسأله عن شيء ولا يسألنا عن شيء حتى رجع إلى رحله، فقال: ألا أخبركم بما خيرني ربي آنفاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: خيرني بين أن يدخل ثلثي أمتة الجنة بغير حساب ولا عذاب وبين الشفاعة، قلنا: يا رسول الله ما الذي اخترت؟ قال: اخترت الشفاعة. قلنا جميعاً يا رسول الله اجعلنا من أهل شفاعتك. قال: «إن شفاعتي لكل مسلم» رواه ابن حبان والطبراني بأسانيد أحدها جيد. الحديث التاسع والعشرون، عن سلمان رضي الله عنه قال: «تعطي الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس. قال فذكر الحديث. قال فيأتون النبي ﷺ فيقولون يا نبي الله أنت الذي فتح الله لك وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وقد ترى ما نحن فيه فاشفع لنا إلى ربك فيقول أنا صاحبكم فيخرج يجوس بين الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة في الباب من ذهب فيقرع الباب فيقول: من هذا؟ فيقول محمد فيفتح له حتى يقوم بين يدي الله عزّ وجلّ فيسجد فينادى: ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فذلك المقام المحمود» رواه

الطبراني بإسناد صحيح. الحديث الثلاثون، قال ﷺ: «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر إذ جاء عيسى عليه السلام، قال فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون، أو قال يجتمعون إليك تدعو الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه فالخلق ملجمون في العرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت. قال يا عيسى انتظر حتى أرجع إليك. قال وذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل، فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن أذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع. قال فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً قال فما زلت أتردد على ربي فلا أقوم فيه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله من ذلك أن قال: أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك» رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح عن أنس. الحديث الحادي والثلاثون قال ﷺ: «يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصى عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترؤوا على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع» رواه الطبراني في الكبير والصغير بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص. الحديث الثاني والثلاثون، روى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: قلت يا رسول الله ماذا رد إليك ربك في الشفاعة؟ قال والذي نفس محمد بيده، لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم، والذي نفس محمد بيده لما يهمني من انقضاضهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي لهم وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وأن محمداً رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه». الحديث الثالث والثلاثون. قال ﷺ: «إن لكل نبي يوم القيامة منبراً من نور وإني لعلي أطولها وأنورها، فيجيء منادٍ ينادي أين النبي الأمي؟ قال فتقول الأنبياء: كلنا نبي أمي فإلى أينا أرسل فيرجع الثانية فيقول أين النبي الأمي العربي؟ قال فينزل محمد ﷺ حتى يأتي باب الجنة فيقرعه، فيقال من؟ فيقول: محمد وأحمد، فيقال أو قد أرسل إليه، فيقول نعم، فيفتح له فيدخل فيتجلى له الرب تبارك وتعالى ولا يتجلى لنبي قبله فيخر لله ساجداً ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد ممن كان قبله ولا يحمده بها أحد ممن كان بعده، فيقال له يا محمد ارفع رأسك تكلم تسمع، اشفع تشفع» رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك. الحديث الرابع والثلاثون، قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر. قال فيفزع الناس ثلاث فزعات. فيأتون آدم، فذكر الحديث إلى أن قال فيأتوني فأنطلق معهم. قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فيقولون مرحباً، فأخر ساجداً، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾» [الإسراء: ٧٩] رواه الترمذي عن أبي سعيد. الحديث الخامس والثلاثون، قال ﷺ: «يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه، أو قال لا أقعد عليه قائماً بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول يا

رب أمتي أمتي، فيقول الله عزّ وجلّ يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمته، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطي صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار، وحتى إن مالكاً خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة» رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في البعث عن ابن عباس. الحديث السادس والثلاثون، قال ﷺ: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى، فيقول قد رضيت يا محمد فأقول أي رب رضيت» رواه البزار والطبراني عن علي، وإسناده حسن. الحديث السابع والثلاثون، قال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه أبو داود والبزار والطبراني عن أنس وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أنس وجابر. الحديث الثامن والثلاثون: قال ﷺ: «خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أما إنها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين» رواه الإمام أحمد والطبراني، وإسناده جيد عن أنس وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري. الحديث التاسع والثلاثون. قال ﷺ: «إني لأرجو أن أشفع يوم القيام عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة» رواه الإمام أحمد عن بريدة. الحديث الأربعون، قال ﷺ: «إذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى منادٍ أين محمد وأمته، فأقوم وتتبعني أمتي غراً محجلين من أثر الطهور فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الأمم عن طريقنا، وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها» رواه أبو داود والطيالسي عن ابن عباس.

فائدتان

الفائدة الأولى: قال القسطلاني في المواهب: قال النووي ومن قبله القاضي عياض: الشفاعات خمس **الأولى**: في الإراحة من هول الموقف. **الثانية**: في إدخال قوم الجنة بغير حساب. **الثالثة**: في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا. **الرابعة**: في إخراج من أدخل النار من العصاة. **الخامسة**: في رفع الدرجات. ثم ذكر القسطلاني الأحاديث الواردة في كل منها.

الفائدة الثانية: في كوثر النبي ﷺ وحوضه. قال القسطلاني في المواهب قال الحافظ ابن كثير: قد تواتر؛ يعني حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض قال وهكذا روي عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة قال: وفي حديث عند البخاري «إن الكوثر هو النهر الذي يصب في الحوض» وقال الإمام النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنّة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه قال القاضي: وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة، وأحاديث الحوض كثيرة من أرادها فليراجعها، جعلنا الله ممن يشرب منه فلا نظمأ بعده أبداً بجاه صاحبه النبي الكريم الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والسلام.

الفصل الثالث
في بعض ما قاله أئمة العلماء
وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة به ﷺ

قال الإمام ابن حجر في الجوهر المنظم: من خرافات ابن تيمية التي لم يقلها عالم قبله وصار بها بين أهل الإسلام مثلة أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به ﷺ، وليس ذلك كما أفتى به، بل التوسل به حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا والآخرة. فما يدل لطلب التوسل به ﷺ قبل خلقه وأن ذلك هو سير السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم، فقول ابن تيمية ليس لـه أصل من افترائه: ما أخرجه الحاكم وصححه أنه ﷺ قال: «**ولما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا ما غفرت لي. قال الله يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟. قال يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال له صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**» والمراد بحقه ﷺ رتبته ومنزلته لديه تعالى، أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى له على الخلق، أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضله له عليه كما في الحديث الصحيح «قال فما حق العباد على الله» لا الواجب؛ إذ لا يجب على الله تعالى شيء، ثم السؤال به ﷺ ليس سؤالاً له حتى يوجب اشتراكاً، وإنما هو سؤال الله تعالى بمن له عنده قدر عليّ ومرتبة رفيعة وجاه عظيم. فمن كرامته ﷺ على ربه أن لا يخيب السائل به والمتوسل إليه بجاهه، ويكفي في هوان منكر ذلك حرمانه إياه. وفي حياته ﷺ ما أخرجه النسائي والترمذي وصححه «**أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال ادع الله لي أن يعافيني، فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك قال فادعه**» وفي رواية «**ليس لي قائد وقد شق عليّ فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في قضاء حاجتي لتقضي لي اللهم شفعه فيّ**» وصححه أيضاً البيهقي وزاد، «**فقام وقد أبصر**» وفي رواية «**اللهم شفعه في، وشفعني في نفسي**» وإنما علمه النبي ﷺ ذلك ولم يدع له لأنه أراد أن يحصل منه التوجه وبذل الافتقار والانكسار والاضطرار مستغيثاً به ﷺ ليحصل له كمال مقصوده، وهذا المعنى حاصل في حياته وبعد وفاته ﷺ؛ ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته ﷺ، وقد علمه عثمان بن حنيف الصحابي راويه لمن كان له حاجة عند عثمان بن عفان زمن إمارته بعده ﷺ وعسر عليه قضاؤها منه وفعله فقضاها، رواه الطبراني والبيهقي وروى الطبراني بسند جيد «**أنه ﷺ ذكر في دعائه بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي**» ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به ﷺ أو بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء، وذلك لأنه ورد جواز التوسل بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح مع كونها أعراضاً فالذوات الفاضلة أولى، ولأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء ولم ينكر عليه، وكأن حكمة توسله به دون النبي ﷺ وقبره إظهار غاية التواضع لنفسه، والرفعة لقرابته ﷺ، ففي توسله بالعباس توسل بالنبي ﷺ، وزيادة. لا يقال لفظ التوجه والاستغاثة يوهم

أن المتوجه والمستغاث به أعلى من المتوجه والمستغاث إليه لأن التوجه من الجاه وهو علو المنزلة، وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى جاهاً منه، والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان ذلك الغير أعلى منه. فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه، نسأل الله العافية، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبي مستغاث والغوث منه سبباً وكسباً ومستغاث به مجازاً، وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو سبباً وكسباً أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعاً فلا فرق بينه وبين السؤال لا سيما مع ما نقل أن في حديث البخاري رحمه الله تعالى في الشفاعة يوم القيامة «فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ» وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه إذ هو حي يعلم سؤال من يسأله وقد صح في حديث طويل: إن الناس أصابهم قحط في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه ﷺ في النوم وأخبره أنهم يسقون فكان كذلك، وفيه ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون، وقل له: عليك الكيس الكيس: أي الرفق لأنه رضي الله عنه كان شديداً في دين الله فأتاه فأخبره فبكى، ثم قال يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. وفي رواية أن رائي المنام بلال بن الحارث المزني الصحابي رضي الله عنه.

فعلم أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما في حياته لعلمه بسؤال من سأله كما ورد مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله وشفاعته ﷺ إلى ربه عزّ وجلّ، وأنه ﷺ يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته، وكذا في عرصات القيامة فيشفع إلى ربه، وهذا مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار. وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أوحى الله تعالى إلى عيسى صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه: يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» فكيف لا يتشفع ومتوسل بمن له هذا الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه به وأولاه انتهى كلام ابن حجر.

وقال الإمام السبكي بعد ذكر حديث آدم الذي فيه «أسألك بحق محمد لما غفرت لي» وقول الله تعالى له: **«وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»** الحديث، هو حديث صحيح الإسناد رواه الحاكم. قال وذكر معه الحاكم حديث ابن عباس أوحى الله إلى عيسى الخ. وقال الحاكم هذا حديث حسن صحيح الإسناد.

قال الإمام السبكي بعد ما ذكر، وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له، وعبارة ابن حجر السابقة وإن كانت كافية وافية فلا بأس من ذكر بعض ما ذكره الإمام السبكي وإن تكرر بعضه مع ما تقدم

عن ابن حجر رحمهم الله تعالى لأنه نقل كثيراً من عباراته وإن لم ينسب بعضها إليه.

قال الإمام السبكي: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، والتوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة، وهو على ثلاثة أنواع: أن يتوسل به ﷺ بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته، فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح، ولا فرق في المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستغاثة والتشفع والداعي بذلك متوسل بالنبي ﷺ لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه ومستغيث به ﷺ لأنه استغاث الله تعالى به ﷺ على ما يقصده، ومستشفع به ﷺ لأنه سأل الله بجاهه ﷺ، والمقصود جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله تعالى قدراً ومرتبة، ولا شك أن النبي ﷺ له عند الله تعالى قدر عليّ ومرتبة رفيعة وجاه عظيم، وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر بحيث إنه إذا شفع عنده قبل شفاعته، فإذا انتسب إليه شخص في غيبته وتوسل بذلك يشفعه به وإن لم يكن حاضراً ولا شافعاً ويكون ذلك المحبوب أو العظيم سبباً للإجابة كما في الأدعية الصحيحة المأثورة «أسألك بكل اسم لك، وأسألك بأسمائك الحسنى، وأسألك بأنك أنت الله، وأعوذ برضاك من سخطك، ومعافاتك من عقوبتك، وبك منك». وحديث الغار الذي فيه الدعاء بالأعمال الصالحة، وهو من الأحاديث الصحيحة المشهورة، فالمسؤول في هذه الدعوات كلها هو الله وحده لا شريك له، والمسؤول به مختلف، كذلك السؤال بالنبي ﷺ ليس سؤالاً للنبي، بل سؤال لله تعالى به ﷺ، وتارة يكون المسؤول به أعلى من المسؤول كما في قوله: «من سألكم بالله فأعطوه» فالمسؤول به هنا هو الباري سبحانه وتعالى، والمسؤول هو بعض البشر، وتارة يكون المسؤول أعلى من المسؤول به كما في سؤال الله تعالى بالنبي ﷺ، فإنه لا شك أن للنبي ﷺ قدراً عنده تعالى، فمن قال أسألك بالنبي ﷺ فلا شك في جوازه وكذا إذا قال بحق محمد، والمراد بالحق الرتبة والمنزلة، والحق الذي جعله الله على الخلق، أو الحق الذي جعله الله بفضله له عليه كما في الحديث الصحيح الذي قال فيه «فما حق العباد على الله» وليس المراد بالحق الواجب فإنه لا يجب على الله تعالى شيء، ثم ذكر أحاديث الشفاعة والتجاء الناس إلى الأنبياء.

قال: وفي التجاء الناس إلى الأنبياء في ذلك اليوم أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة؛ وأن كل مذنب يتوسل إلى الله عزّ وجلّ بمن هو أقرب إليه منه وهذا لم ينكره أحد ولا فرق بين أن يسمى ذلك تشفعاً أو توسلاً أو استغاثة؛ وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره فإن ذلك كفر، والمسلمون إذا توسلوا بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والصالحين لم يعبدوهم ولا أخرجهم ذلك عن توحيدهم لله تعالى وأنه هو المنفرد بالنفع والضر، وإذا جاز ذلك جاز قول القائل: أسأل الله تعالى برسوله لأنه سائل لله تعالى لا لغيره انتهت.

وقد جمعت ذلك من أماكن متفرقة من كتاب الإمام السبكي «شفاء السقام: في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام»، وهو مشهور مطبوع من أراده فليراجعه. وقال السيد السمهودي في

خلاصة الوفا: ولا فرق في ذلك بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التوجه به ﷺ في الحاجة، وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الحياة، إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من يسأله ﷺ اهـ، وتقدم مثله في كلام ابن حجر.

فقد ظهر من هذا أن استغاثة المستغيثين به ﷺ تجيء على معنيين: أحدهما أن يسأل المستغيث الله تعالى بالنبي ﷺ أو بجاهه أو بحقه أو ببركته أن يقضي حاجته، فالمستغيث على هذا هو الذي يدعو الله تعال ويجعل واسطة القبول عنده عزّ وجلّ نبيه الأعظم وحبيبه الأكرم ﷺ. والمعنى الثاني أن يسأل المستغيث النبي ﷺ ليدعو الله تعالى وليسأله قضاء حاجته لأنه حي في قبره كما يسأله الناس الشفاعة يوم القيامة فيشفع لهم، وكما سأله الناس في حياته الدنيوية الدعاء بالاستسقاء وغيره فدعا لهم بالسقيا وغيرها فاستجاب الله له، وجميع الاستغاثات الواقعة في كتابي هذا لا تخلو عن هذين المعنيين، ورأيت في كتاب «جمع الأسرار: في منع الأشرار، عن الطعن في الصوفية الأخيار» لسيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه ما نصه:

وسئل العلامة الشهاب الرملي الشافعي رحمه الله تعالى عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد، يا شيخ فلان ونحو ذلك. فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والأولياء والعلماء والصالحين جائزة. قال الشيخ عبد الغني. يقول مصنف هذه الرسالة يشير إليه. يعني جواز التوسل والاستغاثة قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥].

قال الشيخ الرملي: وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم. أما الأنبياء فإنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار، فتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار. وأما الأولياء فهي كرامة لهم انتهى كلام الرملي وقد ذكر الشيخ عبد الغني بعدها فتوى من العلامة الإمام الشيخ عبد الحي الشرنبلالي الحنفي من جملتها قوله رحمه الله تعالى: وأما التوسل بالأنبياء والأولياء فجائز، إذ لا يشك في مسلم أنه يعتقد في سيدي أحمد أو غيره من الأولياء أن له إيجاد شيء من قضاء مصلحة أو غيرها إلا بإرادة الله تعالى وقدرته، والمسلم متى أمكن حمل كلامه على معنى صحيح سالم من التكفير وجب المصير إليه اهـ كلام الشرنبلالي، ثم نقل الشيخ عبد الغني رضي الله عنه فتوى الشيخ سليمان الشبرخيتي المالكي بذلك وأتبعها بفتوى الشمس الشوبري الشافعي التي قدمتها في أواخر الباب الأول من هذا الكتاب، وقال بعدها: وهذه صورة ما أجاب به لإمام الهمام الشيخ محمد الخليلي الشافعي، وذكر فتواه بطولها إلى أن قال الخليلي رحمه الله: واعلم أن الاعتراض على القوم. يعني الصوفية مما يوجب الخذلان فيوقع فاعله في وادٍ من الخسران كما نص على ذلك العلامة ابن حجر من أئمتنا، فمن اعترض عليهم يخشى عليه سوء الخاتمة كما وقع لكثير من الناس أنهم مقتوا بذلك ولم يفلحوا فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً. قال الشيخ الخليلي وأما قوله، يعني المعترض إنه لا يجوز التوسل بالأنبياء والأولياء، فهذا كذب وافتراء. وقد نص أئمتنا على أنه يجوز التوسل بأهل الخير والصلاح، ولا يظن

عامي من العوام فضلاً عن الخواص أن نحو سيدي أحمد البدوي يحدث شيئاً في الكون، وإنما يرون أن رتبتهم تقصر عن السؤال من الله تعالى، فيتوسلون بمن ذكر تبركاً بهم كما لا يخفى.

قال رحمه الله: إذا علمت ذلك علمت أن التوسل بالأنبياء والأولياء جائز وارد عن السلف والخلف سواء كانوا أحياء أم أمواتاً؛ ولا ينكر ذلك إلا من ابتلى بالحرمان أو سوء العقيدة، نعوذ بالله منه ومن سيرته فجميع ما قاله مردود عليه ووجب أن لا يعول عليه. وقال العارف النابلسي قبل ذلك في كتابه المذكور نقلاً عن فتوى الشيخ الإمام العلامة أبي العز أحمد بن العجمي الشافعي الوفائي الأزهري؛ وقول: يا سيدي أحمد أو يا شيخ فلان ليس من الإشراك لأن القصد التوسل والاستغاثة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥] اهـ.

الفصل الرابع
في توضيح هذه المسئلة

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: اعلم أن جميع المسلمين الزائرين والمستغيثين بعباد الله الصالحين ولا سيما الأنبياء والمرسلين خصوصاً سيدهم الأعظم ﷺ هم مع كمال تعظيمهم لأولئك السادات بالزيارات والاستغاثات يعلمون أنهم من جملة عبيد الله تعالى لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من دون الله تعالى ضراً ولا نفعاً ولكنهم أحب عبيده تعالى إليه وأقربهم زلفى لديه، وهو سبحانه قد اتخذهم ولا سيما المرسلين منهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه وشرائعه، فاتخذوهم خلقه المجيبون لدعوتهم المصدقون بنبوتهم وصفوتهم وسائط إليه في غفران زلاتهم وقضاء حاجاتهم لعلمهم بأن المناسبة بينهم وبينه تعالى أقوى بكثير من المناسبة بين غيرهم وبينه عزّ وجلّ وإن كانوا كلهم عبيده تعالى؛ فإذا علم ذلك يعلم يقيناً أن تعظيمهم وتوقيرهم والتوسل بهم إليه تعالى فضلاً عن كونه لا يخلّ بتوحيده سبحانه وتعالى هو من لباب توحيده، وخالص دينه، وأحسن أنواع عباداته عزّ وجلّ، فكيف يقال مع هذا إن تعظيمهم يخلّ بالتوحيد، هذا والله عكس الموضوع، ولا يقدم على القول به مسلم موفق، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه ولو حصل من المخالفين أدنى تدقيق لعرفوا أنفسهم على الباطل بشذوذهم عن السواد الأعظم، وهو جمهور أمته ﷺ حتى إن العلم بهذه المسئلة: أي مشروعية السفر لزيارة النبي ﷺ، ومثله الاستغاثة به ﷺ من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة عند جميع العلماء والعوام من أهل الإسلام، حتى قال بعض أئمة المالكية كما نقله السبكي في «شفاء السقام» وابن حجر في «الجوهر المنظم» بكفر المانعين لذلك وإن كان هذا القول غير معتمد، وليس في شيء من الاستغاثة وشد الرحل ما يأباه العقل أو النقل، وحديث منع شد الرحال هو وارد في المساجد بالتصريح، ولا داعي إلى تعميمه في غيرها، وعبارته لا تفيد ذلك من جهة العربية، وهو غير صحيح من جهة الأحكام الشرعية، وتفصيل ذلك تقدم في الباب الأول، وكل ما أتوا به في هذا الباب من المحاذير والأوهام تأباه هذه الشريعة الحنيفية السمحة ولا يقتضيه دين الإسلام ولا يخفى على أحد من المسلمين، بل وغير المسلمين عنده أدنى إلمام بمعرفة هذا الدين المبين وأحوال من اتبعه من المؤمنين أن جمهور الأمة المحمدية من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين

والصوفية وغيرهم من الخواص والعوام من جميع مذاهب الإسلام، متفقون بالقول والفعل على استحسان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي ﷺ إلى الله تعالى لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، واستحباب شد الرحال، والسفر لزيارته ﷺ من الأقطار البعيدة والقريبة حتى صار ذلك عندهم بمنزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة بحيث لا يجهله ولا يتصور خلافه أحد، بل لا يتوهم خلافه ولا يتخيله كثير من طلبة العلم فضلاً عن جمهور العامة الذين لا يخطر شيء من ذلك في بال أحد منهم، بل ولا يجوزون أن يوجد مخالف من المسلمين في استحسان ذلك، وما زالت الأمة بحمد الله تعالى كذلك يتلقاه المتأخرون عن المتقدمين، ويعتقدون كما هو الواقع أن ذلك من أفضل الطاعات وأكمل القربات إلى أن شذ عنهم أقل من القليل من بعض العلماء أشهرهم في ذلك ابن تيمية وتلميذاه المذكوران، وكل المخالفين لو جمعوا في سالف الأعصار لا يجتمع منهم إلا شرذمة في غاية القلة لو نسبناها إلى ذلك الجمهور الأعظم من علماء الأمة على اختلاف المذاهب والمشارب لوجدنا في مقابلة كل واحد من المخالفين ألوف ألوف من أولئك العلماء الأعلام فضلاً عمن سواهم من الخواص والعوام، وهذا وحده كافٍ لظهور أن الحق مع السواد الأعظم الذي يجب اتباعه عند وقوع الخلاف كما ورد عن الشارع ﷺ لا مع تلك الشرذمة الشاذة.

وقد ورد في الحديث عن النبي المختار «من شذ شذ في النار» وكل عاقل صحبه أدنى توفيق إذا أعمل فكره قليلاً يدرك أن الحق الواضح مع أولئك الجماهير والخطأ الفاضح مع ذلك النزر القليل مع أن ما قاله جماهير العلماء وعملوا به وشنعوا على مخالفه وعليه عمل الأمة من جواز الاستغاثة به والسفر لزيارته ﷺ فيه تعظيمه وتوقيره ﷺ الذي نحن مكلفون به شرعاً من جانب الله تعالى تكليفاً لا مندوحة عنه بل لا يصح ولا يتم الإيمان إلا به كما ورد ذلك في الكتاب والسنّة واستفاض بين الأمة وما زعمته تلك الشرذمة الشاذة فيه عدم الرعاية لجنابه الشريف وقدره المنيف ﷺ، ولا ينفعهم ما يلقونه من الأوهام، ويغالطون به أنفسهم، ويلبسون به على العوام مما تأباه ذوو الأحلام، وتجل عنه محاسن دين الإسلام، من أن ذلك شرك في تعظيم الملك العلام سبحانه وتعالى، فإن ذلك دليل على قصور الأفهام التي لبس عليها الشيطان وحيرها في هذا الشأن، حتى جعلهم يستنبطون في ذلك بحسب أوهامهم أحكاماً تأباها هذه الشريعة السمحة، التي ليلها مثل نهارها، ولا يضل فيها إلا ضال، ويفهمون من بعض آياتها وأحاديثها عكس مقصود الشارع، ولا سيما فيما يتعلق بسيد الوجود وصاحب المقام المحمود ﷺ، ويلبسون بذلك على الخلق، ويعتقدون خلاف الحقيقة والحق، ويخالفون هذه الأمة المحمدية التي لا تجتمع على ضلالة، وقد ألهمها الله تعالى بفضله رشدها وهداها إلى معرفة درجات التعظيم الواجب لله تعالى، وسادات عبيده الكرام الذين اصطفاهم من الأنام، ولا سيما حبيبه الأعظم ﷺ، ولا يشك عاقل بأن تعظيم خواص عبيد الله وأصفيائه من الأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم هو في الحقيقة تعظيم لله تعالى، ولا يفهم موفق أن في ذلك شركاً مع الربوبية لأنهم عبيده الطائعون وخدامه الصادقون، الذين قضوا أعمارهم في خدمته كما يجب ويرضى سبحانه وتعالى، وكانوا الوسائط بينه وبين خلقه في إرشادهم وهدايتهم وتبليغهم شرائعه وتعريفهم دينه وكيفية عبادته وما يجب له تعالى من أوصاف الكمال وما يستحيل عليه من أوصاف النقص، وبذلك امتازوا عن سائر عبيده عزّ وجلّ، وصاروا أقربهم وأحبهم إليه، فاستحقوا بذلك أن

يعظمهم الناس لا لذاتهم بل لعلمهم أن تعظيمهم إياهم هو من أجل تعظيم الله لهم، فهو تعظيم له سبحانه وتعالى، وليس هذا من العلوم الدقيقة التي تختص بها العلماء الأعلام ولا تدركها العوام، بل هو من الأمور التي تدرك بالبداهة، وقد جبلت عليها طبائع الناس عالمهم وجاهلهم، إذا استوى أدنى الناس عقلاً وأكثرهم فضلاً في معرفة أن إكرام عبيد السلطان وأتباعه وتعظيمهم هو من أحسن وجوه التقرب إليه لقضاء حوائجهم عنده، وكلما كان ذلك العبد أو التابع أقرب له وأحب إليه كان إكرامه وتعظيمه والتوسل به إليه أقرب في نجاح الحاجة وحصول المقصود، كما أنه يغضبه تحقير عبيده وأتباعه فيترتب على ذلك سخطه كما ترتب على تعظيمهم وإكرامهم رضاه، وهكذا الأمر هنا في تعظيم أنبياء الله تعالى وأصفيائه وخواص عبيده، فهو من أقوى أسباب رضاه تعالى كما أن تحقيرهم من أقوى أسباب غضبه عزّ وجلّ.

واعلم أنه لا عبرة في المحاذير الموهومة التي ذكروها لأنها فضلاً عن كونها لا مقبولة ولا معقولة هي إلى الآن في كل هذه الأعصار لم يحصل منها شيء، فلم يترتب على زيارتهم، والاستغاثة بهم دعوى الألوهية في أحد منهم من المستغيثين والزائرين، والحمد لله رب العالمين.

وأنت إذا نظرت إلى كل فرد من أفراد المسلمين عامتهم وخاصتهم لا تجد في نفس أحد منهم غير مجرد التقرب إلى الله تعالى لقضاء حاجاتهم الدنيوية والأخروية بالاستغاثات والزيارات لأولئك السادات مع علمهم بأنهم عبيد الله تعالى ليس لهم من الأمر شيء، فقلوب المسلمين وجوارحهم ولحمهم ودمهم مجبولة ـ والحمد لله ـ على توحيد لله تعالى واعتقاد أنه الفعال المطلق المستحق للتعظيم بالأصالة وحده لا شريك له، وتعظيمهم لسواه من خواص عبيده إنما يكون بقدر منزلة ذلك العبد عند الله تعالى بحسب ما علموه، فهم يعظمون حبيبه الأعظم ﷺ أكثر من سائر الخلق لعلمهم أنه أحب عبيده تعالى إليه وأقربهم لديه، ثم يعظمون بعده الأنبياء المرسلين أكثر من غير المرسلين لأن درجاتهم في الفضل تلي درجته ﷺ، ثم يعظمون بعدهم سائر الأنبياء أكثر من الأولياء لعلمهم بأنهم أفضل منهم عند الله تعالى، ثم يعظمون أهل بيته وأصحابه ﷺ بحسب ما علموه من درجاتهم عند الله ورسوله، وكذلك سائر الأولياء يعظمونهم بحسب ما ثبت في نفوسهم من قربهم من الله تعالى.

أما آل النبي وأصحابه رضي الله عنهم، فقد جعلت لهم هذه القرابة والصحبة مزية امتازوا بها عند الله تعالى ورسوله عن سائر الأولياء تقتضي تعظيمهم لمجرد القرابة والصحابة وهم مع ذلك درجات بحسب ما عندهم من الفضل والتقوى ومحاسن الصفات.

وأما الأولياء وهم المؤمنون المتقون والعلماء العاملون والغزاة المجاهدون فهم إنما يمتازون عن غيرهم بعلمهم وتقواهم وما فضلهم الله به من الكرامات وخوارق العادات، وما خدموا به هذه الشريعة المحمدية ونفعوا به الأمة الإسلامية من العلوم والمعارف والفتوحات والذب عن المسلمين والإسلام: بعضهم بحد القلم، وبعضهم بحد الحسام، فمتى ثبت عند المسلمين: إما بالمشاهدة أو التواتر أو نقل الثقات من المؤلفين وغيرهم أن فلاناً كان من الأولياء العارفين أو من العلماء العاملين أو من المؤمنين الصالحين أو من الشهداء والمجاهدين يعظمونه بالزيارة والتوسل بحسب ما ثبت في نفوسهم من درجة قربه إلى الله تعالى وحسن طاعته لمولاه عزّ وجلّ، ولا يعظمون أحداً منهم لذاته

أصلاً؛ فالتعظيم كله راجع لله تعالى فهو لا شك من جملة الطاعات له عزّ وجلّ التي يؤجرون عليها إن شاء الله تعالى، ولو فرضنا أن بعض أولئك المزارين ليس كما ظنه بهم الزائرون من الولاية والصلاح، فهم بذلك إنما والوا أولياء الله وأحبوهم في الله وهم يعلمون يقيناً أنه لا أحد من خلق الله يستحق معه تعالى ذرة من التعظيم لذاته، بل ذلك كله راجع له سبحانه وتعالى بالأصالة، وهو من فضله الذي تكرم عليهم بالأوصاف الجميلة التي ميزهم بها عن سائر عبيده؛ فنالوا منهم لأجله ذلك التكريم والتعظيم وخلع عليهم حلل كرامته في حياتهم وبعد مماتهم وفي دنياهم وآخرتهم وهو البر الكريم؛ فمن حاول من تلك الشرذمة الشاذة شرذمة ابن تيمية أن لا يعظم أحداً من خواص عبيد الله الصالحين زاعماً أن ذلك يخل بتعظيم الله تعالى فقد خالف الحق وعكس الحقيقة وتعدى برأيه الفاسد على حقوق الله تعالى وأخل بذلك في تعظيمه اللائق بأوصاف ربوبيته وسيادته المطلقة، وأراد أن يحجر عليه عزّ وجلّ اختياره المطلق في تخصيص من شاء من الأصفياء عبيده بالأوصاف الجميلة التي تقربهم إليه وتحمل الناس على تعظيمهم لأجله والتوسل بهم لديه سبحانه وتعالى ويعكس حب المسلمين لأولياء الله تعالى بغضهم لأعدائه عزّ وجلّ، فتراهم يبغضونه أحياءً وأمواتاً وما ذاك إلا محبة في الله تعالى، وهم مكلفون شرعاً بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه سبحانه وتعالى، وكم من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وردت في ذلك دلت على كثرة اعتناء الشارع بالحب في الله والبغض في الله كما وردت آيات وأحاديث كثيرة في الثناء على أنبياء الله تعالى وعباده الصالحين، ولا سيما حبيبه الأعظم ﷺ، أليس ذلك من تعظيم الله تعالى لهم وحبه إياهم؛ كما أن ما ورد من الآيات والأحاديث في ذم أعدائه تعالى هو تحقير من الله تعالى لهم. أليس من تمام طاعته تعالى أن نعظم ونحب أصفياءه الذين أثنى عليهم وعظمهم، ونحقر ونبغض أعداءه الذين ذمهم وحقرهم؟ أليس هو تعالى الذي دلنا بالثناء على أوليائه على رعايته لهم وعلو مقامهم عنده ومحبته إياهم، فإذا عظمناهم وتقربنا وتشفعنا وتوسلنا بهم إليه لقضاء حوائجنا الدنيوية والأخروية مع اعتقادنا الجازم الذي لا يعتريه خلل ولا يشوبه خطأ ولا زلل أنهم عبيده، وليس لهم معه من الأمر شيء، وأنه تعالى يشفع من شاء منهم ويرد شفاعة من شاء ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] ولا يجب عليه تعالى لأحد شيء، وإنما هو من فضله أثنى عليهم في كتابه وأثنى عليهم نبيه ﷺ في أحاديثه ببيان أوصافهم الجميلة، وهي كلها ترجع إلى صدق عبوديتهم لله تعالى وحسن خدمتهم له عزّ وجلّ فعظمناهم لذلك واتخذناهم وسائط لقضاء حوائجنا عنده لكونهم وإن شاركونا في أصل العبودية له تعالى، فقد امتازوا عنا بما تفضل الله عليهم به من الرسالة والنبوة والولاية وكثرة العلم والعمل والمعرفة والطاعات وسائر الخدمات التي تليق به تعالى أنكون بذلك قد أشركنا بعبادته تعالى، أو نكون قد أطعناه سبحانه وتعالى بتعظيم من عظم الله واحتقار أنفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه تعالى بلا واسطة لكثرة ذنوبنا وتقصيرنا في طاعة مولانا عزّ وجلّ ولذلك اتخذنا أفضل عبيده وسائل إليه لنوال فضله، فهذا لا يشك عاقل بأنه من حسن الأدب مع الله تعالى الذي يترتب عليه رضاه، ﴿والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣].

واعلم أن هذه الشرذمة الشاذة التي تمنع من ذلك هي توافق جمهور العلماء والمسلمين في أن الأنبياء الله تعالى وأوليائه خصوصية عند الله تعالى امتازوا بها عن سائر الناس في حياتهم ويوم القيامة

وأنه يجوز الاستغاثة والتوسل والاستشفاع بهم إلى الله تعالى في هاتين الحالتين لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، ويسلمون حياة الأنبياء في قبورهم لصحة الأحاديث الكثيرة بها؛ ولكن يقولون إنها حياة برزخية دون حياة الدنيا والآخرة، ويسلمون أن لأرواح الأولياء بل لأرواح سائر المؤمنين وغيرهم اتصالاً بأجسامهم في قبورهم وأنها تزورها في بعض الأحيان وأنهم يعلمون بمن يزورهم، وأن الميت يتأذى ما يتأذى منه الحي، ولذلك حرم الجلوس على القبور والمشي عليها لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وأنه يستحب زيارة القبور ومخاطبة الأموات بما ورد في الأحاديث الصحيحة من قول الزائر: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإذا كان الأمر كذلك فلم لا يجوز التوسل والاستغاثة والاستشفاع بأصحاب الخصوصيات منهم الأنبياء والأولياء بعد مماتهم كما جاز قبل ذلك في حياتهم وبعد ذلك يوم القيامة، والله تعالى في جميع المواطن الثلاثة هو الله تعالى وحده لا شريك له وهم خواص عبيده الذين جاز التوسل بهم إليه تعالى من قبل ومن بعد فلم لا يجوز في البين، وتعظيمهم لأجله هو في الحقيقة راجع إليه تعالى، ولا وجه لذم من فعله والاعتراض عليه وأي محذور في ذلك كما زعموه ونحن من أول الإسلام إلى الآن لم نسمع بأحد من المسلمين اعتقد الألوهية في واحد من الأنبياء والصالحين بعد موتهم بل الذين ضل بهم بعض الناس منهم واعتقدوا فيهم الألوهية كسيدنا عيسى عليه السلام من أنبياء الله وسيدنا علي رضي الله عنه من أوليائه تعالى. إنما ضلوا بهم في حياتهم لما شاهدوه منهم من خوارق العادات واستمر بهم ذلك الضلال إلى ما بعده، فأصل ضلالهم لم يقع منهم من زيارتهم للقبور واستغاثتهم بهم بل وقع في حياتهم كما علمت، والمخالفون لا يمنعون الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والسفر لزيارتهم في حياتهم، فظهر أن المحذور الذي ذكروه لا يعول عليه ولا يلتفت إليه، وأن زعمهم الفرق بين الحياة والممات ويوم القيامة هو في غير محله، إذ هذا الفرق إنما هو بحسب ما عندهم. وأما الله تعالى الذي اختص خواص عبيده بما اختصهم به من الأوصاف الجميلة التي أجلها صدق عبوديتهم وحسن عبادتهم له تعالى فلا فرق عنده بين هذه المواطن الثلاثة قد استوى عنده عزّ وجلّ رضاه عنهم ومحبته إياهم في حياتهم ومماتهم ويوم القيامة مع أن صفاء أرواحهم الطاهرة بعد الممات لا ينكره إلا جاهل أو مكابر.

واعلم أن جميع المسلمين على علم يقيني بأن الله تعالى هو السيد المطلق للخلائق أجمعين وكلهم عبيده، قد اشترك في وصف العبودية له عزّ وجلّ أتقاهم وأشقاهم، ولكنهم فيها درجات، فأشدهم عبودية له تعالى الأنبياء والملائكة لأن معرفتهم بعظمته وجلاله أشد من معرفة من هو دونهم، وهم أيضاً درجات أعظمهم درجة وأعلاهم في العبودية رتبة سيدنا محمد سيد عبيد الله وأحبهم إليه وأفضلهم من كل الوجوه لديه، وتلي رتبته ﷺ في العبودية رتب الأنبياء ورؤساء الملائكة ثم عوامهم وأولياء الموحدين، ثم سار المؤمنين بحسب درجاتهم في التقوى ومعرفة الله تعالى؛ وأدنى الناس في مراتب العبودية الكفار الذين أشركوا بالله تعالى فلم يخلصوا عبوديتهم له بل زعموا أنهم عبيد غيره سبحانه وتعالى، وإن كان لسان حالهم يكذبهم كعباد الأصنام وعباد المسيح عليه السلام.

إذا علمت ذلك تعلم أن قلة الشرف للخلق وزيادته بحسب قلة وصف العبودية فيهم وزيادته، فكلما كانت العبودية أقوى كان الشرف أعلى، ومن هنا يظهر جلياً أن سيدنا محمداً ﷺ إنما

ساد الخلق على الإطلاق بعد الملك الخلاق بعلو درجته وارتفاع منزلته وسمو مرتبته في العبودية لله تعالى فهو العبد الخالص الذي لم يشم رائحة الألوهية وكذلك سائر الأنبياء ووراثهم الأولياء إلا أنه ﷺ أمكنهم في ذلك، وقد حماه الله تعالى من أن يدعي فيه الألوهية أحد من الناس كما ادعوها في سيدنا عيسى عليه السلام وعلي رضي الله عنه مع أنه ﷺ قد ظهر له من المعجزات والفضائل وخوارق العادات ما لم يشاركه فيه أحد، وهذه أمته ﷺ مع شدة محبتها له أكثر من محبة سائر الأمم لأنبيائهم لم نسمع بأحد قط منهم ادعى فيه ﷺ الألوهية من عهده إلى الآن. فتبين أن المحاذير التي تخيلها ابن تيمية وجماعته لا يلتفت إليها ولا يعول عليها على أنه لم يحصل على شيء منها، وإنما هي مجرد خيالات وأوهام لا ينبني عليها أحكام، والأحاديث التي استدلوا بها لذلك إنما حملوها على غير محاملها كما ذكره العلماء ونقلته عنهم في مواضعه من هذا الكتاب.

(فائدة مهمة): قال العارف الكبير الشهير سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في «المنن الكبرى»: سمعت سيدي علياً الخواص رضي الله عنه يقول: إياكم أن تسألوا في حوائجكم الأولياء الذين ماتوا فإن غالبهم لا تصرفَ له في القبر وأما غير الغالب: كالإمام الشافعي رضي الله عنه، والإمام الليث رضي الله عنه، وسيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأضرابهم فربما جعل الله تبارك وتعالى لهم التصريف في قبورهم بحسب صدق من توجه إليهم. قال: أي الخواص رضي الله عنه، وقد استدارت أبواب جميع الأولياء رضي الله تعالى عنهم لتغلق وما بقي مفتوحاً إلا باب سيد المرسلين ﷺ وزاده فضلاً وشرفاً لديه، فمن كان له حاجة فليصلِ على النبي ﷺ ألف مرة بتوجه تام، ثم يسأله في قضاء حاجته فإنها تقضي إن شاء الله تعالى.

(تتمة: أذكر فيها كلام بعض أئمة العلماء والأولياء في زيارة قبور الصالحين والانتفاع بزيارتهم وصفاء أرواحهم بعد مماتهم).

قال سيدي العلامة السيد أحمد دحلان رحمه الله تعالى في كتابه «تقريب الأصول لتسهيل الوصول» قد صرح كثير من العارفين أن الولي بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات. قال: وممن صرح بذلك قطب الإرشاد سيدي عبد الله بن علوي الحداد، فإنه قال رضي الله عنه: الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته لأنه في حياته كان مشغولاً بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد، والحي فيه خصوصية وبشرية، وربما غلبت إحداهما الأخرى وخصوصاً في هذا الزمان فإنها تغلب البشرية، والميت ما فيه إلا الخصوصية فقط. وقال القطب الحداد أيضاً: إن الأخيار إذا ماتوا لم تفقد منهم إلا أعيانهم وصورهم، وأما حقائقهم فموجودة، فهم أحياء في قبورهم، وإذا كان الولي حياً في قبره فإنه لم يفقد شيئاً من علمه وعقله وقواه الروحانية بل تزداد أرواحهم بعد الموت بصيرة وعلماً وحياة روحانية وتوجهاً إلى الله تعالى، فإذا توجهت أرواحهم إلى الله تعالى في شيء قضاه سبحانه وتعالى وأجراه إكراماً لهم، وهذا معنى قول بعضهم: إن لهم التصرف، فالتصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له، ولا تأثير للولي ولا غيره في شيء قط لا حياً ولا ميتاً، فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى، فأهل البرزخ من الأولياء في حضرة الله

تعالى؛ فمن توجه إليهم وتوسل بهم فإنهم يتوجهون إلى الله تعالى في حصول مطلوبه، فالتصرف الحاصل منهم هو توجههم بأرواحهم إلى الله تعالى والتصرف الحقيقي لله وحده، فالواقع منهم من جملة الأسباب العادية التي لا تأثير لها، وإنما يوجد الأمر عندها لا بها على حسب ما أجراه الله تعالى من العوائد اهـ.

ثم ذكر في كتابه المذكور شيئاً من كلام سيدي أبي المواهب الشاذلي، ومنه قوله سمعت شيخنا أبا عثمان المغربي رضي الله عنه يقول: إذا زار الإنسان قبر الولي فإن ذلك الولي يعرفه، وإذا سلم عليه يرد عليه السلام وإذا ذكر الله على قبره ذكر معه لا سيما إن ذكر لا إله إلا الله فإنه يقوم ويجلس معه متربعاً ويذكر معه، ثم قال الشيخ أبو المواهب رضي الله عنه: وحاشا قلوب العارفين أن تخبر بغير فهم، ومعلوم أن الأولياء أحياء في قبورهم إنما ينقلون من دار إلى دار، فحرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء، والأدب معهم. بعد موتهم كالأدب معهم حال الحياة وفي حال الموت، وإذا مات الولي صلى عليه جميع أرواح الأنبياء والأولياء. قال: وعلى هذا الذي ذكره شيخنا قول صاحب الحقائق والدقائق حاشا الصوفي أن يموت. وكان الشيخ أبو المواهب رضي الله عنه أيضاً يقول: من الأولياء من ينفع مريده الصادق بعد مماته أكثر مما ينفعه حال حياته، ومن العباد من تول الله تعالى تربيته بنفسه بغير واسطة، ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتاً في قبره فيربي مريده وهو في قبره ويسمع مريده صوته من القبر ولله عباد يتولى تربيتهم النبي ﷺ بنفسه من غير واسطة لكثرة صلاتهم عليه ﷺ.

قال الإمام فخر الدين الرازي في المطالب في الفصل الثالث عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجواهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير في نفسه حين حصل من الزائر تعلق بزيارة تلك التربة. فلا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً، فحينئذٍ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين متقابلتين بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت، وكل ما حصل في ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة ينعكس من نور إلى روح هذا الحي الزائر، وبهذه الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول تلك المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر، فهذا هو السبب والأصل في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرنا، وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى انتهى كلام الرازي.

قال الشيخ أبو المواهب: قال بعض العارفين: وللأولياء عند زيارة الأولياء وقائع كثيرة تدل على اعتناء المزور بالزائر وتوجهه إليه بالكلية على قدر توجهه وقابليته، انتهى ما نقلته من «تقريب الأصول» للسيد أحمد دحلان رحمه الله تعالى.

الباب الثالث

في نقل كلام الإمام العلامة ناصر السنّة في هذا الزمان سيدي السيد أحمد دحلان مفتي الشافعية في مكة المشرفة في كتابه «خلاصة الكلام: في بيان أمراء البلد الحرام» وله كتاب مستقل في الرد على الوهابية، ولكن كلامه في الكتاب المذكور كاف واف شاف، وها أنا أنقله برمته وإن تكرر بعضه مع ما تقدم في الباب الأول والثاني، وهو جامع لكل ما يلزم ذكره في هذا الشأن من إثبات الحق ودحض الأباطيل، ورد شبههم بأوضح بيان وأقوى دليل.

قال رحمه الله تعالى: ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية: ينبغي أولاً أن نذكر الشبهات التي تمسك بها ابن عبد الوهاب في إضلال العباد؛ ثم نذكر الرد عليه ببيان أن كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين؛ فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره ﷺ وندائهم له بقولهم: يا رسول الله نسألك الشفاعة، وزعم أن ذلك كله إشراك وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨] وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ [الأحقاف: ٤ ـ ٦] وقوله تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ [القصص: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾ [يونس: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ [الرعد: ١٤] وقوله تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر: ١٣ـ ١٤] وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [الإسراء: ٥٦ و٥٧] وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين. قال محمد بن عبد الوهاب: إن من استغاث أو توسل بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلاً في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ أيضاً مثل ذلك، وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الأصنام: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً، بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [الزمر: ٣٨] فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم: ﴿ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين، وهي حجة باطلة فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء الله، بل هم يعتقدون أنهم عبيد الله مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاقهم للعبادة ولا أنهم يخلقون شيئاً ولا أنهم يملكون نفعاً أو ضراً، وإنما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنّة سنذكر لك كثيراً منها؛ فاعتقاد المسلمين أن الخالق النافع للضار هو الله وحده، ولا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده، ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه، وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها، فكانوا يتخذون الأصنام آلهة والإله معناه المستحق للعبادة، فهم يعتقدون استحقاق الأصنام للعبادة، فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي أوقعهم في الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً قالوا ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣]، فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب وأتباعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام.

إذا علمت هذا تعلم أن جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لأنهم لا يعتقدون ألوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره، وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه فيما صنعوه، ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل إشراكاً ما كان يصدر من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها فإنهم جميعهم كانوا يتوسلون، فقد كان من دعائه ﷺ: **«اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك»** وهذا توسل صريح لا شك فيه، وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالإتيان به. فقد روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»** وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير، وذكره أيضاً كثير من الأئمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج إلى الصلاة، بل قال بعضهم ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه إلى الصلاة، فانظر قوله: **«أسألك بحق السائلين عليك»** فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضاً ابن السني بإسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ ورضي الله عنه، ولفظه «كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذني من النار وأن تدخلني الجنة» ورواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ «كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: اللهم» إلى آخر ما تقدم في رواية ابن السني، ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضاً، ومحل الاستدلال قوله: **«بحق السائلين عليك»** فهذا توسل صدر منه ﷺ وأمر أصحابه أن يقولوه، ولم يزل السلف من التابعين وأتباعهم

ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به.

ومما جاء عنه ﷺ من التوسل قوله ﷺ: «**اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي**»، وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي ﷺ، وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها، قال فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين**» وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك، وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير.

ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف، وهو صحابي مشهور رضي الله عنه «أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ، فقال ادع الله أن يعافيني، فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير، قال فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي اللهم شفعه فيّ فعاد وقد أبصر».

وفي رواية قال ابن حنيف «فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط» وخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح، وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير، ففي هذا الحديث والتوسل والنداء، وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك، وليس لابن عبد الوهاب أن يقول إن هذا إنما كان في حياة النبي ﷺ، لأن الدعاء استعملته أيضاً الصحابة والتابعون بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم.

فقد روى الطبراني والبيهقي «أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف، فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِ، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه، فجاءه البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه، وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها، ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها، ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي، فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره» إلى آخر الحديث المتقدم، فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ.

وروى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح «أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه إلى قبر النبي ﷺ وقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يسقون» وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ، فإن رؤياه وإن كان حقاً لكن لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي لا لشك في الرؤيا وإنما الاستدلال بفعل بلال بن الحارث في اليقظة فإنه من أصحاب النبي ﷺ فإتيانه لقبر النبي ﷺ ونداؤه له وطلبه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز، وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ، وذلك من أعظم القربات، وقد توسل به ﷺ أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها. قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة: ٣٧] إن الكلمات هي توسله بالنبي ﷺ.

وروى البيهقي بإسناد صحيح في كتابه «دلائل النبوة» الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فإنه كله هدى ونور. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليه فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**»، ورواه أيضاً الحاكم وصححه والطبراني، وزاد فيه «وهو آخر الأنبياء من ذريتك».

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين. وذلك أنه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي ﷺ سأل الإمام مالكاً وهو بالمسجد النبوي، وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك. قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه بإسناد صحيح، وذكره الإمام السبكي في «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» والسيد السمهودي في «خلاصة الوفا» والعلامة القسطلاني في «المواهب اللدنية»، والعلامة ابن حجر في «تحفة الزوار، والجوهر المنظم» وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي ﷺ. قال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم» رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه، وقال العلامة الزرقاني في «شرح المواهب» ورواها ابن فهد بإسناد جيد، ورواها القاضي عياض في الشفاء بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الإمام مالك، ونسب له كراهية استقبال القبر، فنسبة الكراهة إلى الإمام مالك مردودة، واستسقى عمر رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ورضي الله عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا، وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل، بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني أن عمر رضي الله عنه لما

استسقى بالعباس رضي الله عنه. قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى، ففيه التصريح بالتوسل.

وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً سواء كان بالأحياء أو بالأموات، وقول من منع ذلك بغير النبي ﷺ، لأن فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» رواه الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر وغيره، وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان**»، وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال ﷺ في حقه: «**وأدر الحق معه حيث دار**» وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن، فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معه حيث كان، وهذان الحديثان من جملة الأدلة التي استدل بها أهل السنّة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة، لأن علياً رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة، فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره قاتله، ومن الأدلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جواز التوسل قوله ﷺ: «**لو كان بعدي نبي لكان عمر**» رواه الإمام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر وغيره.

وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**»، وإنما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبي ﷺ ليبين للناس أن الاستسقاء بغير النبي ﷺ جائز ومشروع لا حرج فيه، لأن الاستسقاء بالنبي ﷺ كان معلوماً عندهم فلربما يتوهم بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي ﷺ فبين لهم عمر رضي الله عنه الجواز، ولو استسقى بالنبي ﷺ لأفهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ﷺ، ولا يصح أن يقال إنما استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبي ﷺ لأن العباس حي والنبي ﷺ قد مات، لأن الاستسقاء إنما يكون بالحي، لأن هذا القول باطل مردود بأدلة كثيرة: منها توسل الصحابة به ﷺ بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف، وكما في حديث بلال بن الحارث المتقدم، وكما في توسل آدم الذي رواه عمر رضي الله عنه كما تقدم، فكيف يعتقد عدم صحته بعد وفاته، وقد روى التوسل به قبل وجوده مع أنه ﷺ حيّ في قبره.

فتلخص من هذا أنه يصح التوسل به ﷺ قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته، وأنه يصح التوسل أيضاً بغيره من الأخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه، وذلك من أنواع التوسل كما تقدم، وإنما خص عمر العباس رضي الله عنهما من سائر الصحابة لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ، ولبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فإن علياً رضي الله عنه كان موجَوداً وهو أفضل من العباس رضي الله عنه.

قال بعض العارفين: وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ نكتة أخرى أيضاً زيادة على ما تقدم، وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم، فإنه لو استسقى بالنبي ﷺ لربما تتأخر الإجابة لأنها معلقة بإرادة الله ومشيئته، فإذا تأخرت الإجابة ربما يقع وسوسة

واضطراب لمن كان ضعيف الإيمان بسبب تأخر الإجابة، بخلاف ما إذا كان التوسل بغير النبي ﷺ فإنه إذا تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة والاضطراب.

والحاصل أن مذهب أهل السنّة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين كما دلت عليه الأحاديث السابقة لأنا معاشر أهل السنّة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا ضراً إلا الله وحده لا شريك له، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً للنبي ﷺ باعتبار الخلق والإيجاد والتأثير ولا لغيره من الأحياء والأموات، فلا فرق في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً لأنهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير من شيء، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له.

وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات فإنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات ونحن نقول: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] فهؤلاء المجوزون التوسل بالأحياء دون الأموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات، فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى، فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراك ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً، فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء سبب عادي في ذلك لا تأثير لهم، وذلك مثل السبب العادي فإنه لا تأثير له. وحياة الأنبياء في قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدل بها أهل السنّة وكذا حياة الشهداء والأولياء، وليس هذا محل بسط الكلام عليها.

وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يتوسعون في الكلام ويأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا، وربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها، بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة، وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالاً ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها، وفإنما أراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للإيهام وسداً للذريعة وإن كانوا يعلمون أن العامة لا تعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً لغير الله تعالى، ولا تقصد بالتوسل إلا التبرك ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيراً. فنقول لهم: إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سد الذريعة، فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة وتأمروهم سلوك الأدب في التوسل مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على الإسناد المجازي مجازاً عقلياً كما يحمل على ذلك قول القائل: هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء أو الطبيب نفعني، فإن ذلك كله عند أهل السنّة محمول على المجاز العقلي فإن

الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى، والطعام سبب عادي لا تأثير له وكذا ما بعده. فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد الشيء لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي، وإسلامه وتوحيده قرينة على ذلك ما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه.

وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه لـه مع ثبـوته في الأحـاديث الصحيحة ومـع صدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها، فهؤلاء المنكرون التوسل المانعون منه: منهم من يجعله حراماً، ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً، وكل ذلك باطل لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على الحرام والإشراك، لأن من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صـادراً منهم، بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام أو الإشراك لا يجوز لقوله ﷺ في الحديث الصحيح ﴿لا تجتمع أمتي على ضلالة﴾ [آل عمران: ١١٠] بل قال بعضهم إنه حديث متواتر، وقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس، فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سد الذريعة ومنع الألفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا: ينبغي أن يكون التوسل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام، كأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك وأتوسـل إليك بنبيـك ﷺ وبالأنبيـاء قبله وبعبادك الصالحين أن تفعل بي كذا وكذا، لا أنهم يمنعون التوسل مطلقاً، ولا أن يتجـاسروا على تكفـير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له.

ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [النور: ٦٣] فإن الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي ﷺ بمثل ما يخاطب بعضهم بعضاً: كأن ينادوه باسمه، وقياساً على ذلك لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وإن كان الطلب من الله تعالى على سبيل التأثير والإيجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لـدفع هـذا الإيهام. والجواب أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقاً ولا يقتضي منع الطلب إذا صدر من موحد فإنه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد، فما وجه كونه حراماً أو شركاً؟ فلو قالوا إنه خلاف الأدب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه أن يكون بالأدب والاحتراز عن الألفاظ الموهمة لكان له وجه، فالمنع مطلقاً لا وجه له.

ومن الأدلة الدالة على صحة التوسل به ﷺ بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفا حيث قال: روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق. قال العلامة المراغي: وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة في أسفل الحجرة وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف والسماء.

قال السيد السمهودي: وسنّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك

وليس القصد إلا التوسل بالنبي ﷺ والاستشفاع به إلى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى.

وقال أيضاً العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفا: إن التوسل والتشفع به ﷺ وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين، وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي ﷺ أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل إلى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به ﷺ.

قالوا: ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي، وهو مروي أيضاً عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعي رضي الله عنه، ثم بعد أن ذكر قصة العتبي المشهورة قال: وليس محل الاستدلال الرؤيا فإنها لا تثبت بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي، وإنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الإتيان بما قاله الأعرابي. قال العلامة ابن حجر في «الجوهر المنظم» وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وحثى من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربي، فنودي من القبر الشريف أن قد غفر لك وجاء ذلك عن علي أيضاً من طريق أخرى، ويؤيد ذلك ما صح عنه ﷺ من قوله: **«حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم»**.

ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة أنه يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحاً، ويستشفع به ﷺ إلى ربه عزّ وجلّ في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا، فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله، فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين.

وفي الجوهر المنظم أيضاً أن أعرابياً وقف على القبر الشريف، وقال: اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سرّ حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك، وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك: اللهم إن العرب إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره يا أرحم الراحمين، فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب: إن الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال.

وذكر علماء المناسك أيضاً أن استقبال قبره الشريف ﷺ وقت الزيارة والدعاء أفضل من

استقبال القبلة. قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام إن استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن استقبال القبلة أفضل فمردود بما رواه الإمام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: من السنّة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة، وسبقه إلى ذلك ابن جماعة، فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الإمام أبي حنيفة أيضاً، ورد قول الكرماني إنه يستقبل القبلة، وقال ليس بشيء.

قال في الجوهر المنظم: ويستدل لاستقبال القبر أيضاً بأنا متفقون على أنه ﷺ حي في قبره يعلم بزائره، وهو ﷺ لو كان حياً لم يسع الزائر إلا استقباله واستدبار القبلة، فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ﷺ وإذا اتفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة أن الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة، فما بالك به ﷺ، فهذا أولى بذلك قطعاً. وقد تقدم قول الإمام مالك رحمه الله للمنصور: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟ بل استقبله واستشفع به.

قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب إن كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة؛ ثم نقل عن مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك. وأما مذهب الإمام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهب، والراجح عند المحققين منهم أنه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب، وكذا القول في التوسل، فإن المرجح عند المحققين منهم جوازه، بل استحبابه لصحة الأحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقاً لما عليه أهل المذاهب الثلاثة.

وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره من أن بعضهم نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه منع التوسل فهو غير صحيح إذ لم ينقله عن الإمام أحد من أهل مذهبه، بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر، فإياك أن تغتر بذلك. وقد بسط الإمام السبكي نصوص المذاهب الأربعة في استحباب التوسل في كتابه: المسمى «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» فراجعه إن شئت.

وفي المواهب اللدنية للإمام القسطلاني: وقف أعرابي على قبره الشريف ﷺ وقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف: يا هذا تسأل العتق لك وحدك؟ هلا سألت العتق لجميع الخلق: يعني من المؤمنين؛ اذهب فقد أعتقتك، ثم أنشد القسطلاني أحد البيتين المشهورين، وشارحه الزرقاني البيت الآخر، وهما:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرماً ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

ثم قال في المواهب وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ، فقال يا رب إنا زرنا قبر نبيك ﷺ فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا، ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم.

وقال ابن أبي فديك: سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول: بلغنا أن من

وقف عند قبر النبي ﷺ، فقال هذه الآية: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره: الأولى أن يقول: صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله: يا محمد للنهي عن ندائه باسمه حياً وميتاً، ﷺ، وابن أبي فديك من أتباع التابعين، وكان من الأئمة الثقات المشهورين، وهو من المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن. قال الزرقاني في شرح المواهب: اسمه محمد بن إسماعيل بن مسلم الديلمي. مات سنة مائتين على الصحيح، وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه البيهقي.

وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي إذا قال: اللهم إني أستشفع إليك بنبيك، يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك، استجيب له.

فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف الأمة وخلفها أن التوسل به ﷺ وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم، وأنها من أعظم القربات، وأن التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ﷺ، ويكون أيضاً بعد البعث في عرصات القيامة، وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها. فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه ولبس به على المؤمنين. قال في المواهب: ويرحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ... ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ... ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب: فالتوسل به ﷺ في حياته وبعد وفاته أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء. قال: وفي كتاب «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك، ثم ذكر في المواهب كثيراً من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي ﷺ. وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه «أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ يستسقي به، وأنشد أبياتاً في آخرها:

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الخلق إلا إلى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت، بل قال أنس لما أنشده الأعرابي الأبيات قام يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم، فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر» وفي صحيح البخاري «أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط، فدعا الله فانجابت السحاب بالمطر قال ﷺ **«لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه»**، من ينشدنا قوله؟ فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه النبي ﷺ ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله يستسقي الغمام بوجهه ولو كان في ذلك

إشراك لأنكره ولم يطلب إنشاده، وكان سبب إنشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي ﷺ أن قريشاً أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبي ﷺ فاغدودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ فأنشأ أبو طالب تلك القصيدة، وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن. قال في الجوهر المنظم: فإذا كان له ﷺ هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به؟ وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الأحبار أن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم. فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الأمم السابقة، وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفا: إن العادة جرت أن من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لأجله ويقضي حاجته، وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه، وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار فأطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأرجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم، فالتوسل به ﷺ أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته، فالمؤمن إذا توسل به إنما يريد نبوته التي جمعت الكمالات. وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون: يجوز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونها أعراضاً، فالذوات الفاضلة أولى، فإن عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه، وأيضاً لو سلمنا لهم ذلك فنقول لهم إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي ﷺ باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الأحاديث الدالة على ذلك وعلى الإذن فيه، ومثله سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذا الأولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين، وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين. وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الأدب الكامل واجتناب الألفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى.

ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير، وفيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها:

فأشهد أن الله لا رب غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وإن كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعاً، وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة النبي ﷺ، فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات قالت فيها:

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها: أنت رجاؤنا، وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم، ولم ينكر عليها أحد قولها: يا رسول الله أنت رجاؤنا.

قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى «بالخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان» في الفصل الخامس والعشرين: إن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته. وقد ثبت توسل الإمام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله ابن الإمام أحمد من ذلك، فقال له الإمام أحمد إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن. ولما بلغ الإمام الشافعي أن أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى بالإمام مالك لم ينكر عليهم، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: من كانت له إلى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل إلى الله تعالى بالإمام الغزالي، وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى: «بالصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة» أن الإمام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطي غدا بيد اليمين صحيفتي

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد هاشم باعلوي في كتابه: المسمى «مجمع الأحباب» في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن، أنه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الإيمان ويتوفاه عليه؟ قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح: إلهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا ألله يا ألله يا ألله يا أرحم الراحمين؛ فكان الإمام الترمذي يقول ذلك دائماً بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه، فلو كان التوسل ممنوعاً لما فعله هذا الإمام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه، وهو إمام حجة يقتدى به، بل هذا الأمر أعني التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون. وفي الأذكار للنووي «أن النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومحمد ﷺ أجرني من النار».

قال في شرح الأذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء، وإلا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك أنه من التوسل المشروع. وفي شرح حزب البحر للإمام زروق بعد ذكر كثير من الأخيار: اللهم إنا نتوسل إليك بهم فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين. ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله: اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي، وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر، وأن من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره، وذلك من الأسباب العادية، وهي لا تأثير لها، والمؤثر هو الله وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والريّ لا تأثير لهما، والمؤثر هو الله وحده تعالى، وكما جعل الطاعة سبباً للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضاً

التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سبباً لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا إشراك، ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون، ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الأمة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية. وإنما أطلت في ذلك ليتضح الأمر للمتشكك فيه غاية الاتضاح، لأن كثيراً من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون إلى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها إلى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت إليها ويقيم عليهم الحجة في إبطالها.

قال في الجوهر المنظم: ولا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه، لأن التوجه من الجاه، وهو علو المنزلة، وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى منه جاهاً، والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه. نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، وأما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين المستغيث، فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة، والغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبي ﷺ مستغاث به مجازاً والغوث منه تسبباً وكسباً، فهو على حد قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] أي وما رميت خلقاً وإيجاداً إذ رميت تسبباً وكسباً ولكن الله رمى خلقاً وإيجاداً، وكذا قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ [الأنفال: ١٧] وقوله ﷺ: «**ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم**» وكثيراً ما تجيء السنة لبيان الحقيقة ويجيء القرآن الكريم بإضافة الفعل إلى مكتسبه، ويسند إليه مجازاً كقوله ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**» مع قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل: ٣٢] فالآية بيان للسبب العادي الذي لا تأثير له، والحديث بيان للسبب الحقيقي وهو فضل الله تعالى.

وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعاً، فإذا قلت أغثني يا الله تريد الإسناد الحقيقي باعتبار الخلق والإيجاد، وإذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الإسناد المجازي باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة، ولو تتبعت كلام العلماء والأئمة لوجدت شيئاً كثيراً من ذلك، ومنه ما مر في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة «بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ» فتأمل تعبيره ﷺ بقوله: «**استغاثوا بآدم**» فإن الإسناد مجازي إذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى، وصح عنه ﷺ لمن أراد عوناً أن يقول: «**يا عباد الله أعينوني**» وفي رواية «**أغيثوني**» وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لأغثته فإسناد الإغاثة إلى الله تعالى إسناد حقيقي، وإلى موسى عليه السلام مجازي. وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه إذ هو حي ﷺ يعلم سؤال من يسأله، وقد تقدم حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه المذكور فيه أنه جاء إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله استسق لأمتك، أي ادع الله لهم، فعلم أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في

حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته إلى ربه عزّ وجلّ، وأنه ﷺ يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته، وكذا في عرصات القيامة فيشفع إلى ربه، وكل هذا مما تواترت به الأخبار وقام به الإجماع قبل ظهور المانعين منه، فهو ﷺ له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه. وأما تخيل بعض المحرومين أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد، وأن فعل ذلك مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل فاسد باطل، فالتوسل والزيارة إذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور ألبتة، والقائل بمنع ذلك سداً للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺ حكموا على فاعله بالكفر والإشراك، وليس الأمر كما يقولون، فإن الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه، نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية، ورحم الله الشيخ الأبوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه ﷺ بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات، وهكذا كل من عظمهم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين. قال الله تعالى: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ [الحج: ٣٠] ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام فإنها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني، وتقبيل الحجر الأسود، وبالصلاة خلف المقام، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم، ونحن في ذلك كله لم نعبد إلا الله تعالى لم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضراً، فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى.

والحاصل أن هنا أمرين: **أحدهما**: وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق، **والثاني**: إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقها العبادة، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر. وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الباري عزّ وجلّ فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً، وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلى تكفيرهم إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنّة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ [الأنفال: ٢] فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة، والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده، وقوله تعالى: ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ [المزمل: ١٧] فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي، لأن اليوم محل لجعلهم شيباً، فالجعل المذكور واقع في اليوم،

والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى: ﴿ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً﴾ [نوح: ٢٤] فإسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الإضلال، والهادي والمضل هو الله تعالى وحده، وقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يا هامان ابن لي صرحا﴾ [غافر: ٣٦] فإسناد البناء إلى هامان مجاز عقلي لأنه سبب فهو آمر يأمر ولا يبنى بنفسه، والباني إنما هو الفعلة.

وأما الأحاديث ففيها شيء كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الإسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها. وقال العلماء: إن صدور ذلك الإسناد من موحد كاف في جعله إسناداً مجازياً لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض، بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك، وأما الفرق بين الحي والميت مع اعتقاد أن الحي يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة، فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد بزعمهم، وأن مرادهم منع الألفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الألفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدباً، ومع هذا فإذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلي، ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الأدب لكان لكلامهم وجه. وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للأحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف. فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم. قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء: ١١٥] وقال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالسواد الأعظم فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» وقال ﷺ: «**من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**». وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى: «تلبيس إبليس» أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الأعظم: منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه خطب في الجابية فقال: «**من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**» وفي حديث عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة**» حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يد الله على الجماعة، فإذا شد الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم**» وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد**» وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من الثلاثة، فعليكم بالجماعة فإنا لله تعالى لن يجمع أمتي إلا على هدى**» فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم وعمدوا إلى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين، فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل، وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق، وقالوا: إنهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] وقد علمت أن المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة. وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين، ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦].

وشبهة هؤلاء الخوارج في المنع من طلب الشفاعة منه ﷺ أنهم يقولون إن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] فالطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الإذن للنبي ﷺ في أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه، ومن أين يعلم أنه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم. واحتجاجهم هذا مردود بالأحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الإذن له ﷺ في أنه يشفع لمن قال بعد الأذان والإقامة: اللهم رب هذه الدعوة التامة إلى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي ﷺ يوم الجمعة، ولمن زار قبره ﷺ بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة في شفاعته ﷺ لعصاة أمته كقوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» فكل من مات مؤمناً فإنه يدخل في شفاعته ﷺ، فهي ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له ﷺ فيها، فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ إلى الله تعالى أن يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه الله عليه، فيشفع فيه نبيه ﷺ، فلا حاجة إلى التطويل ببسط الدلائل في ذلك مع وضوح الأمر إلا لمن عميت بصيرته.

وأما شبهتهم في المنع من النداء، فقالوا: إن النداء والخطاب للجمادات والغائبين والأموات من الشرك الأكبر الذي يباح به الدم والمال، ولا مستند لهم في ذلك بل الأحاديث الصحيحة الصريحة في بطلان قولهم هذا، وزعموا أن النداء للأموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة، بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيراً من الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين، وقد تقدم ذلك كثير من تلك الآيات، وهذا كله منهم تلبيس في الدين وتضليل لأكثر الموحدين، فإنه وإن كان النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [النور: ٦٣] لكن ليس كل نداء عبادة، ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات، فيكون كل نداء ممنوعاً مطلقاً، وليس الأمر كذلك، وإنما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه، فالذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى. وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فإنه ليس عبادة، ولو كان لميت أو غائب أو جماد، وذلك كله وارد في كثير من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة، فقولهم إن نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على إطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت فإنهما مستويان في أن كلا منهما لا تأثير له في شيء ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير لأحد سواه، فالدعاء الذي هو مخ العبادة هو الرغبة للإله والخضوع بين يديه، وسأذكر لك كثيراً من الأحاديث والآثار التي جاء فيها النداء والخطاب للأموات والغائبين والجمادات وإن تقدم كثير من ذلك فلا بأس بإعادته، فمنها حديث الضرير الذي رواه عثمان بن حنيف رضي الله عنه، فإن فيه «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك» وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته ﷺ. وحديث بلال بن الحارث رضي الله عنه فإن فيه «أنه جاء إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله استسق لأمتك» ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه أن يستسقي لأمته.

والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في زيارة القبور في كثير منها النداء والخطاب للأموات

كقوله: «السلام عليكم يا أهل القبور، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» ففيها نداء وخطاب، وهي أحاديث كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها، وتقدم أن السلف والخلف من أهل المذاهب الأربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف: يا رسول الله إني جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، وصح عن بلال بن الحارث رضي الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول: وامحمداه وامحمداه، وصح أيضاً أن أصحاب النبي ﷺ لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم: وامحمداه وامحمداه، وفي الشفاء للقاضي عياض أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله مرة، فقيل له: اذكر أحب الناس إليك، فقال وامحمداه فانطلقت رجله. وجاء الخطاب وصورة النداء في التشهد الذي يأتي به المسلم في كل صلاة وعلمه النبي ﷺ لأصحابه، فإن فيه: السلام عليك أيها النبي، وكان النبي ﷺ إذا نزل أرضاً قال: «يا أرض ربي وربك الله» ففيه الخطاب والنداء للجماد، وذكر الفقهاء في آداب السفر: أن المسافر إذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله احبسوا، وإذا أضل شيئاً أو أراد عوناً فليقل: يا عباد الله أغيثوني أو أغيثوني فإن لله عباداً لا تراهم.

واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادي يا عباد الله احبسوا فإن لله عباداً يجيبونه» ففيه نداء وطلب نفع: أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم؛ وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه ﷺ قال: «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً، وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني، وفي رواية أغيثوني فإن لله عباداً لا ترونهم» قال العلامة ابن حجر في حاشية «إيضاح المناسك» وهو مجرب كما قاله الراوي، وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد».

وذكر الفقهاء في آداب السفر أنه يسن للمسافر الإتيان بهذا الدعاء عند إقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد؛ وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «ربي وربك الله» ففيه خطاب للجماد. وصح أنه «لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه؛ ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك».

وفي رواية للإمام أحمد «فقبل جبهته، ثم قال وانبياه، ثم قبله ثلاثاً وقال واصفياه ثم قبله ثلاثاً وقال واخليلاه» ففي ذلك نداء خطاب له ﷺ بعد وفاته. ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته ﷺ يقول أبي بكر رضي الله عنه، قال وهو يبكي «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا واتخذت منبراً لتسمعهم حنّ الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن

جعل طاعتك طاعته، فقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم، فقال: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ [الأحزاب: ٧] الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون: ﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ [الأحزاب: ٦٦] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك من لم يتبع نوحاً في كبر سنه وطول عمره».

فانظر إلى هذه الألفاظ التي صدرت من عمر رضي الله عنه. وقد تعدد فيها النداء له ﷺ بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث؛ وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي في الإحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية، وابن الحاج في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين إن كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة، وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ قالت لما توفي رسول الله ﷺ: «يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه» وفي رواية «إلينا جبريل نعاه» والنعي هو الإخبار بالموت، وقد يكون الإخبار للعالم بموته تأسفاً على فقده، فكل من الروايتين صحيح في المعنى، ففي هذا الحديث أيضاً نداؤه ﷺ بعد وفاته، وفي المواهب: ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة، قالت في مطلع قصيدة منها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا

ففي البيت نداؤه بعد وفاته ﷺ، ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضي الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له، ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا في ذلك إلى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه، واعتضد بشواهد. وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه «يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، قل رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالكعبة قبلة وبالمسلمين إخواناً، ربي لا إله إلا هو رب العرش العظيم» ففي التلقين النداء والخطاب للميت، وحديث نداء النبي ﷺ كفار قريش المقتولين ببدر بعد إلقائهم في القليب مشهور رواه البخاري وأصحاب السنن، وذكروا أن النبي ﷺ جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول: «**أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟**».

وأما ما جاء من الآثار عن الأئمة الأحبار والعلماء الأخيار والأولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الأعمار، ومضى على ذلك القرون والأعصار وما وقع منهم إنكار، فكيف يجوز الإقدام على تكفير المسلمين بشيء قام على ثبوته البراهين: وفي الحديث الصحيح «من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من إراقة دم امرىء مسلم. فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم

بالكفر على أحد من أهل القبلة إلا بواضح قاطع للإسلام.

وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه، وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي صاحب حواشي شرح مختصر بأفضل، ومن جملة ما قاله في الرسالة التي رد بها عليه: يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فإني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله، فإن أبى فكفره حينئذٍ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين. قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء: ١١٥] «وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ.

والحاصل أن الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الأرض ومغاربها من أرباب المذاهب الأربعة في كتب مبسوطة ومختصرة، وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الإمام أحمد، ليبين له أنه كاذب ملبس في انتسابه لمذهب الإمام أحمد رضي الله عنه.

وأما زيارة قبر النبي ﷺ فقد فعلها الصحابة، ومن بعدهم من سلف الأمة وخلفها وانعقد الإجماع على استحبابها وجاء في فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة: منها ما رواه البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من زار قبر كنت له شفيعاً وشهيداً»** وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته ﷺ للعصاة، وروى الدارقطني وابن السكن وغيرهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**. وفي رواية: **«من جاءني زائراً لا تعمله حاجة غير زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»** وفي رواية لابن منده: **«من زارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»**. وفي رواية لابن عديّ: **«من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»**. والمراد من الجفاء غلظ الطبع والإعراض عن المحبوب والمراد أنه فَعَلَ فِعْل الجافي، لا أنه جفا جفاءً حقيقاً، لأن ذلك أذى ولا يجوز أذاه ﷺ وفي رواية للدارقطني: **«من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة»**. زاد في رواية: **«ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة»**، وفي رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً، أو قال شفيعاً»**. والأحاديث الواردة في كثيرة لا حاجة لنا إلى الإطالة بذكرها مع إجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها المانعون منها. وفي هذا القدر كفاية ومقنع، لمن كان بمرأى من التوفيق ومسمع.

وبمجموع ما ذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم، ولم ينتدب لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله تعالى، فإنه قام بهذا الأمر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة فجزاه الله عن الإسلام

والمسلمين خيراً، وتقدم أن الشريف مسعوداً ومساعداً وأحمد بن سعيد وسروراً كل منهم لم يأذن لأحد من أتباعه في الحج ا هـ كلام السيد أحمد دحلان رحمه الله تعالى.

الباب الرابع في نقل عبارات علماء المذاهب الأربعة
في الرد على ابن تيمية، والكلام على بعض كتبه
ومخالفته أهل السنّة في بعض المسائل المهمة،
ومنها اعتقاد الجهة في جانب الله، تعالى وتقدس

فمن عاصره الإمام صدر الدين بن الوكيل المعروف بابن المرحل الشافعي وقد ناظره، ومنهم الإمام أبو حيان وكان صديقاً له، فلما اطلع على بدعه رفضه رفضاً بتاً وحذر الناس منه، ومنهم الإمام عز الدين بن جماعة رد عليه وشنع عليه كثيراً ولم أطلع على كتب هؤلاء الثلاثة وإنما ذكرهم ابن حجر وغيره، ومنهم الإمام كمال الدين الزملكاني الشافعي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ. قال ابن الوردي في تاريخه كان غزير العلم كثير الفنون مسدد الفتاوى دقيق الذهن وذكر له في كشف الظنون «كتاب الدرة المضية في الرد على ابن تيمية» وقد ناظره في مسائله التي شذ بها عن المذاهب الأربعة ومن أشنعها مسألة منعه شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين ولا سيما سيد المرسلين والاستغاثة به ﷺ وبهم إلى رب العالمين، ولم أطلع على كتابه هذا، وإنما اطلعت له على قصيدة بليغة في مدح النبي ﷺ تعرض فيها للرد على هذه الفرقة المفتونة فرقة ابن تيمية بقوله:

يا صاحب الجاه عند الله خالقه	ما رد جاهك إلا كل أفاك
أنت الوجيه على رغم العدا أبدا	أنت الشفيع لفتاك ونساك
يا فرقة الزيغ لا لقيت صالحة	ولا شفي الله يوماً قلب مرضاك
ولا حظيت بجاه المصطفى أبدا	ومن أعانك في الدنيا ووالاك

ومنهم الإمام الكبير الشهير تقي الدين السبكي الشافعي. قال رحمه الله تعالى في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه السلام والسلام»:

اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الإيمان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار، وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار به بين أهل الإسلام مثلة، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه إلى الصراط المستقيم ولا أتبعه بالنقض والإبطال، فإن دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين تقريب المعنى إلى أفهامهم وتحقيق مراده وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا

الشخص بالضد من ذلك فالوجه الاضراب عنه انتهى. وكتابه هذا «شفاء السقام» هو الذي قال فيه الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية في مبحث زيارة النبي ﷺ ما نصه: وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية، وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» فشفي صدور المؤمنين ا هـ. وقد قال في خطبته وضمنت هذا الكتاب الرد على من زعم: يعني ابن تيمية أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة، وهذه المقالة أظهر فساداً من أن يرد عليها العلماء، ولكني جعلت هذا الكتاب مستقلاً في الزيارة وما يتعلق بها مشتملاً من ذلك على جملة يعز جمعها على طالبها ا هـ. وقال بعد ذلك في كتابه المذكور: وهذا الرجل يعني ابن تيمية قد تخيل أن الناس بزيارتهم متعرضون للإشراك بالله تعالى وبنى كلامه كله على ذلك وكل دليل ورد عليه يصرفه إلى غير هذا الوجه، وكل شبهة عرضت له يستعين بها على ذلك. فهذا داء لا دواء له إلا بأن يلهمه الله الحق. ألا ترى هو لما زار قصد ذلك وأشرك مع الله غيره. انتهت عبارة شفاء السقام. ورأيت للإمام السبكي عبارة في هذا الشأن، وهي موجودة الآن بخط يده في المكتبة الخالدية في القدس الشريف، وقد أرسلت فاستكتبتها، وهذه صورتها بحروفها:

قال رحمه الله تعالى في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وقفت على كتاب العقل والنقل لابن تيمية وهو كتاب «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» المطبوع على هامش كتاب منهاج السنّة النبوية كلاهما لابن تيمية فوجدت فيه مواضع أنكرتها وكتبت على بعضها حواشي فتحركت أنوف خلق له ففكرت في انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته وعدم من يقاومهم، فكتبت في ليلة السبت عاشر شوال سنة إحدى وخمسين وسبعمائة رقعة إلى سيدنا رسول الله ﷺ أسأل الله فيها ذلك، وفي آخرها إن كنت مصيباً في اعتقادي فقوني، وإن كنت مخطئاً فاهدني، ثم أصبحت دفعتها للشيخ نور الدين السخاوي ليحملها فإنه عزم على الحج، وان ذلك قبل الظهر، فلما كان الظهر جاءني شخص فأخبرني عن ابن تيمية بخبر يوجب شوطي فيه، وكنت سمعت عنه من شخص مسألة من نحو أربعين سنة فلم أصدقها، فلما تابعه هذا وقع في قلبي صحة ذلك، ثم جاء آخر وآخر وآخر بمثل ذلك، ثم نظمت قصيدة أرسلتها مع الشيخ نور الدين أيضاً، فلما أكملت نظمها في ليلة الاثنين ثاني عشر الشهر المذكور وقع في قلبي أن الله تعالى ما هيأ لي تلك الأخبار في ذلك اليوم إلا هداية وجواباً عما سألت عنه رسول الله ﷺ، فانظر هذه القضية ما أعجبها وفضل رسول الله ﷺ عليّ، وها أنا أذكر نص ما كتبته في تلك الورقة وما نظمته إن شاء الله، والمرجو من الله إرسالهما ووصولهما إلى النبي ﷺ ونجحهما إن شاء الله، أما الورقة فنص ما فيها: بسم الله الرحمن الرحيم إلى سيدنا رسول الله ﷺ يا رسول الله إني عبد ضعيف عاجز مسكين وجميع ما حصل لي من خير الدنيا والآخرة أنت كنت سببه وأنت وسيلتي إلى الله سبحانه: وإني نشأت على دين الإسلام سالماً عن الشبه والبدع والأهوية والأغراض والميل إلى جانب من الجوانب، لا أعرف غير أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم اشتغلت بالقرآن ثم بالفقه على مذهب الشافعي لا أعرف غير ذلك ولم أسمع ولم يدخل في قلبي شيء غير ذلك لا من العقائد ولا من غيرها، ثم اشتغلت بنحو وأصول فقه وفرائض، ثم بعلم الحديث ذا تصويب فيه إليك؛ ثم نظرت في شيء من العلوم العقلية

واشتغلت بعلم الكلام على طريقة الأشعري لأنه المشهورة في بلادنا التي رأيت عليها أهلي وقومي وبقيت أراها طريقة وسطي بين الحشو والاعتزال، ولا زلت على تلك حتى جاوزت عشرين سنة من عمري وأنا بالديار المصرية فشاع عندنا خبر ابن تيمية وما يتفق له بدمشق وكان بها إذ ذاك علماء يقاومونه؛ وفي مصر والقاهرة علماء وأكابر فأحضروه واتفق له ما اتفق بسبب العقائد؛ ثم كتبت كلامه في التوسل والاستغاثة، وتكلم معه من هو أكبر مني ورأيته واجتمعت به كثيراً ثم عاد إلى الشام، ثم بلغنا كلامه في الطلاق، وأن من علق الطلاق على قصد اليمين. ثم حنث لا يقع عليه طلاق، ورددت عليه في ذلك، ثم بلغنا كلامه في السفر إلى زيارتك ومنعه إياه ورددت عليه في ذلك، ثم توفي وله أصحاب كثيرون يشيعون رأيه وينشرون تصانيفه، وجئت إلى دمشق كما يقال نائب شريعتك، ومن لي برضاك بذلك فأنا أقل عبيدك مسكت عن الكلام في العقائد من الجانبين لأني في نفسي أن عقولنا تضعف عن إدراك سبحات الحق جل جلاله، وأرى البقاء على الفطرة السليمة والاكتفاء بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن لا ينبه العوام لشيء آخر، ومن كان عالماً ينظر بما يتيسر له، والمعصوم من عصم الله. لكن الطلاق والزيارة أنا شديد الإنكار لقول ابن تيمية فيهما ظاهراً وباطناً، والعقائد لا يعجبني ما اعتمده فيها من تحريك قلوب العوام فيها، انتهت عبارة الإمام السبكي بحروفها، وهي مكتوبة بخطه بلا نقط، وهكذا جاءتني صورتها فنقطتها، أما القصيدة التي ذكرها فغير موجودة.

ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي الذي اتفقت الأمة بأسرها حتى الوهابية التابعون مذهب ابن تيمية، على جلالة قدره وغزارة علمه وتبحره في علم الكتاب والسنّة وأنه خاتمة الحافظ لم يأت بعده مثله. قال رحمه الله تعالى في «فتح الباري شرح البخاري» عند قول النبي ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** بعد أن ذكر أن السبكي رد على ابن تيمية في مسألة تحريمه شد الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ، وأقره على ذلك ما نصه وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الإجماع على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي ﷺ، وقد أجاب عنه المحققون من أصحابه بأنه كره اللفظ أدباً، لا أصل الزيارة فإنها من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع، والله الهادي إلى الصواب. قال بعض المحققين قوله: إلا إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف فإما أن يقدر عاماً فيصير لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا إلى الثلاثة، أو أخص من ذلك لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثاني. والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة، وهو لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين، والله أعلم. انتهت عبارة فتح الباري.

وقال الحافظ ابن حجر أيضاً فيما كتبه على الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام كافر للحافظ ابن ناصر الدمشقي كما نقله الصفي البخاري في «القول الجلي»: ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة: يعني ابن تيمية مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول

والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق، ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه رحمه الله تعالى من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية، فكيف لا ينكر على من أطلق عليه أنه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الإسلام الكفر، وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه، ومع ذلك فهو بشر يخطىء ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو الأكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطى فيه لا يقلد فيه، أي كمسألة الزيارة والطلاق. انتهى ما أردت نقله من كلام الحافظ ابن حجر.

ومنهم السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس ألف كتاباً مستقلاً سماه «القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي» ذكر فيه مناقبه وكلام العلماء في الثناء عليه، ذكر كاتبه في آخره أنه انتهى تأليفه سنة ١٢٢٣ هـ، وقرظ عليه علماء ذلك العصر كالشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي والشيخ محمد التافلاتي المغربي مفتي القدس، وهو مطبوع على هامش كتاب «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» للسيد نعمان أفندي الألوسي البغدادي. قال صفي الدين في كتابه المذكور، قد نص على أنه، أي ابن تيمية بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء ولم يتفرد بمسألة منكرة قط وإن كان قد خالف الأئمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين، ومن أشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر إلى زيارة القبور، وقد قال بـه قبله أبو عبـد الله بن بطة الحنبلي في الإبانة الصغرى، ثم قال صفي الدين في موضع آخر من كتابه المذكور: فإن قلت ما نقلته في هذا الجزء يدل على براءة الشيخ مما نسب إليه: يعني من التشبيه والتجسيم فما بال علي القاري والتقي الحصني وابن حجر الهيتمي وغيرهم ينسبونه إلى أمور فظيعة.

قلت: اعلم وفقك الله تعالى أن ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رجلاً مشهوراً بالعلم والفضل وحفظ السنّة، وكان مبالغاً في مذهب الإثبات وكان يكره التأويل أشد الكراهة، وكان يرد على الصوفية ما ذكروه في كتبهم من وحدة الوجود وما شاكلها كعادة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين، فرد على الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عمر بن الفارض وعبد الحي بن سبعين وأضرابهم، وكان قد خالف الأئمة الأربعة في بعض الفروع كمسألة الزيارة والطلاق، وكان يناظر عليهما، فقام عليه ناس وحسدوه وأبغضوه وأشاعوا عنه ما لم يقله من التشبيه والتجسيم وغير ذلك فدخل ذلك على بعض أهل العلم من الحنفية والشافعية وغيرهم ولم يطلبوا تحقيق ذلك من كتبه المشهورة واعتمدوا على السماع فوقع منهم ما قد وقع، وقد وقع مثل هذا لغير واحد من أهل العلم والفضل، ثم قال وقد أنكروا على الشيخ أشياء لا بأس بذكر الجواب عنها والاعتذار فأقول: قالوا يقول بحرمة السفر إلى زيارة القبور، وقد خالف في ذلك الإجماع.

قال صفي الدين: قلت وهو مخطىء في ذلك أشد الخطأ: ولكن لا يلزم من القول به التفسيق

فضلاً عن التكفير لأنه صدر ذلك عن شبهة ولو كان ذلك الدليل خطأ عندنا. انتهى كلام صفي الدين البخاري ومثله العلماء الذين أثنوا على ابن تيمية ذكروا خطأه الفاحش في مسائله التي خالف فيها الإجماع.

ومنهم الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي، قال رحمه الله تعالى: وبالجملة كان يعني الحافظ ابن القيم كما يدل عليه سياق كلامه رحمه الله تعالى من كبار العلماء وممن يخطىء ويصيب، ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجى، وخطؤه أيضاً مغفور له لما صح في صحيح البخاري «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» وقال الإمام مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ، وما قاله في غاية الحسن، والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق، وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جداً فلا التفات إلى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني. نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذي بسببه ومع أنه خالف الأئمة الأربعة في ذلك فلم ينفرد به كما هو مبين في موضعه، وهو وإن كان خطأً فاحشاً فلا يوجب التفسيق فافهم. انتهت عبارة القول الجلي.

ومنهم شيخ الإسلام صالح البلقيني الشافعي. قال في القول الجلي: وقال شيخ الإسلام صالح ابن شيخ الإسلام عمر البلقيني رحمهما الله تعالى فيما كتبه على كتاب «الرد الوافر»: ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي بأن الحافظ المزي لم يكتب لفظة شيخ الإسلام إلا لأبيه، وللشيخ تقي الدين ابن تيمية، وللشيخ شمس الدين أبي عمر، فلولا أن ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ما قرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها، ولو كان ابن تيمية مبتدعاً أو زنديقاً ما رضي أن يكون أبوه قريناً له. نعم قد ينسب الشيخ تقي الدين لأشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق وأفرد كلا منهما بتصنيف، وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر، والسعيد من عدت غلطاته وانحصرت سقطاته، ثم إن الظن بالشيخ تقي الدين أنه لم يصدر ذلك منه تهوراً وعدواناً حاش الله، بل لعله لرأي رآه وأقام عليه برهاناً، ولم نقف إلى الآن بعد التتبع والفحص على شيء من كلامه يقتضي كفره ولا زندقته انتهى.

ومنهم الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي. قال الصفي البخاري في القول الجلي بعد أن ذكر بعض من اعترضوا على ابن الفارض: وأما الذي في اعتقادنا فابن الفارض رجل كبير عظيم المقدار وكان شيخنا الجلال السيوطي مع ذمه القول بالوحدة المطلقة يعتقد فيه، وصنف جزءاً وسماه «قمع المعارض لابن الفارض» وذكر على هامش كتاب «جلاء العينين» المطبوع ما نصه، وهو: أي الجزء لذي صنفه السيوطي في ابن الفارض جزء نحو خمس ورقات ذكر فيه أهل الفنون الشرعية والعقلية وأهل المذاهب الأربعة وتكلم على كل فريق منهم بما أداه إليه نظره، فقال في أثناء الكلام على الفقهاء الشافعية: واحذر الكبر والعجب بعلمك فيا سعادتك إن نجوت منه كفافاً لا عليك ولا لك، فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاءً من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد في المأكل والملبس والنساء، ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن، وقد تعبت في رزيته وفتنته حتى مللت في

سنين متطاولة فما وجدت قد أضره في أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا بالكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار.

فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور ونسأل الله المسامحة فقد قام عليه ناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم وما سلطهم الله عليه بتقواهم أو جلالتهم بل بذنوبه، وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك، وقال أيضاً في أثناء الكلام على أصول الدين: فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة، وآراء الأوائل ومجاراة العقول، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنّة وأحوال السلف، ولفقت بين العقل والنقل، فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجو والتضليل والتكفير بحق وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوراً مضيئاً على محياه سيما السلف، ثم صار مظلماً مكسوفاً عليه قتمة عند خلائق من الناس، ودجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه، ومبتدعاً فاضلاً محققاً بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام، وحامي حوزة الدين، ومحيي السنة عند عموم أصحابه هو ما أقول لك، انتهت عبارة الحافظ السيوطي. قال كاتبها صديق حسن خان البهوبالي: فأنت ترى كلامه في الشيخ فزنه بعقلك فإنه ظاهر التناقض، والله أعلم بالسرائر.

وقد وزنت كلام السيوطي بعقلي فلم أجد فيه تناقضاً، ولكنه حكى ما يعلمه من أحوال ابن تيمية، فمدحه تارة، وذمه أخرى بحسب أوصافه التي تقتضي المدح والذم، وليس في ذلك شيء من التناقض، رحمهما الله تعالى.

ومنهم الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي الشافعي. قال في تقريظه على كتاب «القول الجلي» للصفي البخاري المذكور سابقاً بعد أن أثنى على ابن تيمية، وأن ما يعزى إليه من بعض المخالفات في الأصول والابتداع هو منه بريء كما يصرح به النقل من كلامه في مشهور مؤلفاته الدال على أنه بموافقة أهل السنّة حري، وما يعزى إليه من المخالفات في بعض الفروع والطعن في السادة الصوفية أولى الشأن العلي المعروف. فذلك مما لا نوافقه عليه ولا نسلم شيئاً من ذلك إليه ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ [الأحزاب: ٤] انتهى كلام الكزبري، وبه يتم ما نقلته من كتاب «القول الجلي» للشيخ صفي الدين البخاري وتقاريظه.

ومنهم ملا علي القاري الحنفي. قال في شرحه على الشفاء: وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره، حيث قال: كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب انتهت عبارته.

ومنهم شهاب الدين الخفاجي الحنفي. قال رحمه الله تعالى في شرح الشفاء بعد قول النبي ﷺ: «لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»: واعلم أن هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم إلى مقالته الشنيعة التي كفروه بها، وصنف فيها السبكي مصنفاً مستقلاً، وهي منعه من زيارة قبر النبي ﷺ وشد الرحال إليه، وهو كما قيل:

لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب   وعند ذاك المرجي ينتهي الطلب

فتوهم أنه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها، فإنها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل سامحه الله تعالى، انتهت عبارة الشهاب الخفاجي، وفسر الحديث المذكور بأن القوم الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: أي يسجدون إليها كما يسجدون للأوثان، وذكر رواية أخرى مصرحة بأولئك القوم، وهي قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وأنت على علم من أنه لا أحد من الزائرين يسجد لقبر النبي ﷺ، فإن ذلك ممنوع قطعاً بالاتفاق لهذا الحديث وغيره.

وقال أيضاً في موضع آخر من شرح الشفاء: روى القاضي عياض بسنده إلى ابن حميد أحد رواة مالك، قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوماً، فقال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ [الحجرات: ٢] ومدح قوماً، فقال: ﴿الذين يغضون أصواتهم﴾ [الحجرات: ٣] وذم قوماً، فقال: ﴿إن الذين ينادونك﴾ [الحجرات: ٤] وإن حرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله.

قال الشهاب الخفاجي، وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من أن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به أحد ولم يرو إلا في حكاية مفتراة على الإمام مالك: يعني هذه القصة التي أوردها المصنف القاضي عياض رحمه الله تعالى هنا، ولله دره حيث أوردها بسند صحيح. وذكر أنه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه، فقوله أي ابن تيمية: إنها أمر منكر كذب محض ومجازفة من ترهاته، وقوله: لم ينقل ولم يروِ باطل؛ فإن مذهب مالك وأحمد والشافعي رضي الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء، وهو مسطر في كتبهم. انتهت عبارة الشهاب الخفاجي.

وقال أيضاً في شرح الشفاء عند قول المصنف. وقال ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً» أي كالعيد باجتماع الناس عنده، وقد تقدم تأويل الحديث، وأنه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره، فإن إجماع الأمة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فإنه نزغة شيطانية، انتهت عبارة الشهاب. وقوله: وقد تقدم تأويل الحديث: أي في آخر عبارته السابقة، فإنه قال هناك: وأما قوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً»، فقيل كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة، وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل أكثروا الزيارة له كما مر. وأما احتماله للنهي عنها فهو بفرض أنه المراد محمول على حالة مخصوصة: أي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف.

ومنهم العلامة خليل بن إسحاق المالكي الشهير. قال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية:

وينبغي للزائر أن يكثر الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله فيه ا هـ.

قال الإمام الزرقاني في شرحه بعد ما ذكر: ونحو هذا في منسك العلامة خليل وزاد وليتوسل به ﷺ ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسل به، إذ هو محط أحمال الأوزار وأثقال لذنوب لأن بركة شفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته. ألم يسمع قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك﴾ [النساء: ٦٤] الآية ا هـ. ولعل مراده التعريض بابن تيمية، انتهت عبارة الإمام الزرقاني.

ومنهم الإمام محمد الزرقاني المالكي. قال رحمه الله تعالى في شرحه على المواهب اللدنية عند قول الإمام القسطلاني فيها، والحكاية المروية عنه: أي عن الإمام مالك أنه أمر المنصور أن يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على مالك كذا قال: يعني ابن تيمية، قال الزرقاني تبرأ: أي القسطلاني منه: أي من كلام ابن تيمية في تكذيب الحكاية، لأن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه «فضائل مالك»: ومن طريقه الحافظ أبو الفضل عياض في الشفاء بإسناد لا بأس به بل قيل إنه صحيح، فمن أين أنها كذب؟ وليس في رواتها كذاب ولا وضاع، ولكنه: يعني ابن تيمية لما ابتدع له مذهباً، وهو عدم تعظيم القبور ما كانت، وأنها إنما تزار للاعتبار والترحم، بشرط أن لا يشد إليها رحل صار كل ما خالف ما ابتدعه بفاسد عقله عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه، فإذا لم يجد له. شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنه كذب على من نسب إليه مباهتة ومجازفة وقد أنصف من قال فيه: علمه أكبر من عقله ا هـ.

وقال الزرقاني أيضاً في موضع آخر من شرح المواهب عند قول القسطلاني فيها: وقد روي أن مالكاً لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي: يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة.

قال الإمام القسطلاني: لكن رأيت منسوباً للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه إن هذه الحكاية كذب على مالك، وأن الوقوف عند القبر بدعة، ولمن يكن أحد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده ﷺ. قال: يعني ابن تيمية: ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك، انتهت عبارة متن المواهب.

قال الزرقاني في شرحه عند قول ابن تيمية: إن هذه الحكاية كذب على مالك: هذا تهورٌ عجيب، فإن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه «فضائل مالك» بإسناد لا بأس به وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه فمن أين أنها كذب؟ وليس في إسنادها وضاع ولا كذاب. وقال عند قول ابن تيمية: إن الوقوف عند القبر بدعة، ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه: نفيه مردود عليه من قصوره أو مكابرته.

ففي الشفاء قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ، فوقف فرفع يديه حتى

ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف وقال عند قول ابن تيمية: ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك: كذا قال، وهو خطأ قبيح، فإن كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً القبلة، وممن نص على ذلك أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن والعلامة خليل في منسكه ونقله في الشفاء عن ابن وهب عن مالك قال: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف وجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم، ولا يمس القبر بيده ا هـ.

قال الزرقاني: وإلى هذا ذهب الشافعي والجمهور، ونقل عن أبي حنيفة قال ابن الهمام: وما نقل عنه أنه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر: «من السنّة أن يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة» وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة، وقول الكرماني مذهبه خلافه ليس بشيء لأنه ﷺ حي ومن يأتي الحي إنما يتوجه إليه ا هـ.

قال الزرقاني: ولكن هذا الرجل: يعني ابن تيمية ابتدع له مذهباً، وهو عدم تعظيم القبور، وأنها إنما تزار للترحم والاعتبار، بشرط أن لا يشد إليها رحل، فصار كل ما خالفه عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه، فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنه كذب على من نسب إليه مجازفة وعدم نصفة، وقد أنصف من قال فيه: علمه أكبر من عقله ا هـ.

ثم بعد عدة أوراق أعاد ذلك في المواهب: وأعاد الزرقاني الرد على ابن تيمية فقال: قوله ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك، يقال له في أي كتاب نص على كراهته، فإنه نص في رواية ابن وهب عنه، وهو من أجلّ أصحابه على أنه يقف للدعاء، وأقل مراتب الطلب والاستحباب، وجزم به الحافظ أبو الحسن القابسي، وأبو بكر بن عبد الرحمن وغيرهما من أئمة مذهب مالك، وجزم به العلامة خليل بن إسحاق في منسكه، أفما يستحيي هذا الرجل من تكذيبه، بما لم يحط بعلمه؟ وأعاد قوله السابق في التشنيع على ابن تيمية أنه صار كل ما خالف ما ابتدعه بفاسد عقله عنده كالصائل إلى آخره.

ومنهم الصلاح الصفدي الشافعي. قال في شرحه على لامية العجم عند قول الطغرائي:

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني ... باللمح من خلل الأستار والكلل

وسألت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى سنة ٧١٨ بدمشق المحروسة عن قوله تعالى: ﴿وأخر متشابهات﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخر ما قاله هناك من أسئلة وأجوبة لا غرض لنا في نقلها هنا، وإنما المقصود أنه اجتمع به وذاكره في العلم، ثم قال الصفدي في شرح قول الطغرائي:

ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً ... اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قال القاضي بهاء الدين بن شداد في أول سيرة صلاح الدين إنه يعني الشهاب السهروردي المقتول بحلب، كان حسن العقيدة كثير التعظيم لشعائر الدين قال: وأكثر الناس على أنه ملحد لا يعتقد شيئاً وأنه إنما قتله قلة عقله وكثرة كلامه. ويقال إن الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى اجتمع هو

وعبد الله ابن المقفع ليلة فتحادثا إلى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيته؟ قال رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وكذا كان ابن المقفع، فإنه قتله قلة عقله وكثرة كلامه شر قتلة ومات شر ميتة. قال الصفدي بعد ما ذكر: قلت وكذا أيضاً كان الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى علمه متسع جداً إلى الغاية وعقله ناقص يورطه في المهالك ويوقعه في المضايق انتهى كلام الصفدي.

ومنهم الإمام عبد الرؤوف المناوي الشافعي. قال رحمه الله تعالى في شرح الشمايل: وقول ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: إن المصطفى ﷺ لما أرى ربه واضعاً يديه بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة رده الشارح: يعني ابن حجر المكي بأنه من قبيح ضلالهما، وهو مبني على مذهبهما من إثبات الجهة والجسمية، تعالى الله عما يقولوا الظالمون علواً كبيراً. قال المناوي بعد ما ذكر وأقول: أما كونهما من المبتدعة فمسلم. وأما كون هذا بخصوصه مبنياً على التجسيم فغير مستقيم، ثم استدل لرد ذلك كما رده الشيخ علي القاري في شرحه على الشمايل أيضاً، وأطال في الثناء عليهما وتبرئتهما من اعتقاد الجهة والتجسيم، وهو وإن أثنى عليهما من هذه الجهة هنا، لأنه لم يثبت عنده اعتقادهما هذا الاعتقاد الفاسد بل ثبت عنده من مؤلفاتهما خلافه فهو قد ذم ابن تيمية في شرح الشفاء بالعبارة المتقدمة عنه التي ذكر فيها تفريطه بتحريم السفر لزيارة النبي ﷺ واستقرب كفر القائل بذلك قائلاً لأن تحريم ما أجمع العلماء على استحبابه يكون كفراً، وهذا من ملا علي القاري غاية الذم لابن تيمية فلا ينفع بعده مدحه إياه في شرح الشمايل من جهة أخرى، وإنما ذكرت عبارة المناوي هنا لأنها مصرحة بأن كون ابن القيم وابن تيمية هما من المبتدعة أمر مسلم.

ومنهم صاحبنا العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ مصطفى بن أحمد الشطي الحنبلي الدمشقي ألف حفظه الله وجزاه أحسن الجزاء رسالة مخصوصة سماها «النقول الشرعية في الرد على الوهابية» وختمها بخاتمة في تأييد مذهب ساداتنا الصوفية وطبعها ونشرها فمما قاله في المقالة الأولى منها التي تكلم فيها على الاجتهاد: لا شك أن من ادعى ذلك في هذا الزمان عليه أمارة البهتان كما يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة من جهة نجد التي يخرج منها قرن الشيطان، كما ورد في الحديث حتى إنهم ربما لا يستدلون بالإجماع ولا بالقياس أصلاً بل يقتصرون على الاستدلال بالكتاب والسنّة بلا فهم منهم لشيء من الوجوه السابقة أي شرائط الاجتهاد، ولا معرفة لهم بمبادي العلوم فضلاً عن مقاصدها وأصولها ويعلمون أولادهم من إبان نشأتهم هذه الدعوى ويجرئونهم على الاحتجاجات بظواهر النصوص وترك ما وراء ذلك عن جهل ومكابر، وقد ينكرون دعوى الاجتهاد ويحتجون بعبارة شيخ الإسلام ابن تيمية فقط مع أن الإمام المذكور قد خرج من مذهب الحنبلي في عدة مسائل تفرد بها وتهيأ بخصوصها للاجتهاد المطلق إلا أنها لم تدون على كونها مذهباً له كما دونت فروع مسائل المذاهب الأربعة. فمنها ما كان يجب المناظرة فيه ولم يفت به لأحد كمسألة إلغاء مفهوم العدد في الطلاق وأنه يقع واحدة وإن كان بلفظ الثلاث والألف أو الأكثر من ذلك. ومنها تحريم شد الرحل لغير المساجد الثلاثة. ومنها منع الاستغاثة بالأنبياء والصالحين وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه فليست المسائل المذكورة من مذهب الإمام أحمد ولا ورد فيها رواية

عن الإمام أحمد، ونص فقهاء الحنابلة على أنه لا يتابع فيها، فمن ادعى أنه حنبلي المذهب فليس له القول بها كما قالت بها هذه الفرقة المذكورة عن جهل وانطماس بصيرة. وفقنا الله وإياهم لاتباع سبيل المصطفى عليه الصلاة والسلام الداعي إليها على بصيرة هو ومن اتبعه. انتهت عبارة هذا العالم الحنبلي المنصف بحروفها. وذكر في المقالة الرابعة من هـذه الرسـالة جـواز التوسـل والاستغاثـة والاستشفاع بالأنبياء والأولياء والصالحين حال حياتهم وبعد مماتهم، وأقام الدليل على ذلـك من الكتاب والسنّة وعبارات العلماء والفقهاء، ولا سيما فقهاء الحنابلة أهل مذهبه، وذكر حفظه الله في المقالة الخامسة استحباب زيارة القبور وشد الرحل إليها لا سيما زيارة قبره الشريف ﷺ ونقل النقول الصحيحة الصريحة في ذلك عن علماء الحنابلة وكتبهم المعتمدة: كالمنتهى والإقناع وشرحيهما وصرح بأن ما قاله ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في منع ذلك هو خلاف الصحيح من مذهب الإمام أحمد وأثنى في خاتمة الكتاب على ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم وجزاه أحسن الجزاء.

ومنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي: وهو أشدهم رداً على ابن تيمية محاماة عن الدين وشفقة على المسلمين من أن يسري إليهم شيء من غلطاته الفاحشة، ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن نظر بعين الإنصاف شهد لهذا الإمام ابن حجر بالولاية، وأنه ربما يكون قد أطلعه الله على ما سيحصل في المستقبل من الأضرار العظيمة التي ترتبت على أقوال ابن تيمية من فرقته الوهابية التي هو أصل اعتقادها وأساس فسادها، ولا يخفى ما حصل منها من الأضرار العظيمة في حق المسلمين والإسـلام، ولا سيما في الحـرمين الشريفين وجزيرة العرب، فمن المحتمل احتمالاً قريباً أن يكون الحق سبحانه وتعالى قد أطلع الإمام ابن حجر على ذلك على سبيل الكرامة وهو أهل لذلك، فإنه رضي الله عنه كان من أكابر العلماء العاملين والأئمة الهادين المهديين، وهذا علمه وكتبه النافعة التي خدم بها الأمة المحمدية خدمة لم يشاركه فيها سواه من عصره إلى الآن ملأت الدنيا وانتفع بها الخاص والعام في جميع بلاد الإسلام، ومن كان كذلك لا يستبعد عليه أن يكون الله تعالى قد أكرمه بإطلاعه على بعض المغيبات. ومنها ما حدث من فرقة الوهابية أتباع ابن تيمية من المضار العظيمة على الشريعة المحمدية والملة الإسلامية، ولذلك كان رضي الله عنه أشد أئمة المسلمين إنكاراً لبدع ابن تيمية ورداً عليه بأشد العبارات شفقة على المسلمين ومحاماة عن هذا الدين المبين؛ وله في ذلك عبارات كثيرة في كتبه، ولا سيما في الفتاوى الحديثية ولم أرَ حاجة إلى نقلها هنا فمن شاءها فليراجعها.

فقد ثبت وتحقق وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار أن علماء المذاهب الأربعة قد اتفقوا على رد بدعة ابن تيمية ومنهم من طعنوا بصحة نقله كما طعنوا بكمال عقله فضلاً عن شدة تشنيعهم عليه في خطئه الفاحش في تلك المسائل التي شذّ بها في الدين وخالف بها إجماع المسلمين، ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين ﷺ وممن طعن بصحة نقله من الحنفية الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء كما تقدم، ومن المالكية الإمام الزرقاني في شرح المواهب كما تقدم أيضاً، ومن الشافعية الإمام السبكي كما هو مذكور في كتابه «شفاء السقام» فقد أوضح فيه مع توضيح خطأ ابن تيمية في رأيه عدم صحة نقله أحكاماً شرعية استدل بها على تقوية بدعته ونسبها إلى علماء من أئمة المذاهب الأربعة لم يقولوا

بها، ذكر مثل ذلك من عدم صحة نقله الإمام ابن حجر الهيتمي في ردوده عليه، ولا يُخفى أن ذلك من أقوى العيوب في العالم وأشنع الأخلاق التي تضعف الثقة به وتسقط اعتبار نقله عن غيره وإن كان من أحفظ الحفاظ وأعلم العلماء ويقوّي عدم اعتبار نقل ابن تيمية في بعض ما ينقله ما قاله في حقه الحافظ العراقي الكبير، وها أنا أنقله تتميماً للفائدة وتقوية للحجة وإن لم يكن مما نحن فيه فأقول:

رد الحافظ الكبير الشهير عبد الرحيم العراقي الشافعي شيخ الحافظ ابن حجر والإمام العيني وتلك الطبقة على الإمام ابن تيمية

قد اطلعت على جزء لطيف تأليف الحافظ العراقي المذكور تكلم فيه على أكل الدجاج والحبوب والتوسعة على العيال يوم عاشوراء رد به على الإمام ابن تيمية منعه ذلك. قال فيه بعد البسملة والحمدلة:

وبعد، فقد تكرر السؤال من العوام في عدة من الأعوام عن أكل الدجاج والحبوب يوم عاشوراء، وهل هو مباح أو محرم عند العلماء؟ فأجبت بأنه من جملة المباحات وإن اقترن بنية صالحة فهو من الطاعات، فذكروا أن بعض العصريين أفتى بتحريم ذلك في هذا اليوم، لأنه لا يستحب فيه شيء غير الصوم، فسألت عنه فإذا هو ممن ينتحل فتاوى الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية إمام الطائفة الحنبلية، فنظرت بعض فتاوى الشيخ تقي الدين المتعلقة بهذا المعنى المسؤول عنه على التعيين، فوجدته قد سئل عن أشياء تتعلق بيوم عاشوراء، ومن المسؤول عنه ذبح الدجاج وطبخ الحبوب في هذا اليوم. فأجاب ليس شيء من ذلك سنة في هذا اليوم، بل هو بدعة لم يشرعها رسول الله ﷺ ولا فعلها هو ولا أصحابه، ثم ذكر حديث أبي هريرة الآتي ذكره وضعفه كما سيأتي، ثم قال: وقد علم أنه لم يستحب أحد من أئمة الإسلام ولا روى أحد من أئمة الحديث ما فيه استحباب الاغتسال يوم عاشوراء ولا الكحل والخضاب وتوسيع النفقة ولا الصلاة المذكورة ولا إحياء ليلة عاشوراء ولا أمثال ذلك مما تضمنه هذا الحديث ولا ذكروا في ذلك سنّة عن أصحاب رسول الله ﷺ. وأعلى ما بلغني في ذلك ما ذكره سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أنه قال: «من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» قال إبراهيم بن المنتشر جرّبناه من ستين سنة فوجدناه حقاً، ثم قال: وابن المنتشر هو من أهل الكوفة ولم يكن في مدن الإسلام مدينة أكثر كذباً من الكوفة، وفيها الطائفتان الرافضة أصحاب المختار بن أبي عبيد، والناصبة أصحاب الحجاج بن يوسف، وكلاهما ثقفي، وهما اللذان قال فيهما رسول الله ﷺ: «في ثقيف كذاب ومبير» ثم قال: وإذا كان من أهل الكوفة؛ فلعل هذا قد سمعه من شيعة قتلة الحسين أتباع عبد الله بن زياد؛ وأما قوله قد جربناه ستين سنة فوجدناه حقاً، فإن الله إذا وسع على عبد رزقه طول عمره لم يعلم بذلك أن سبب التوسيع ما كان فعله يوم عاشوراء، بل هذا قول بلا علم وظن مخطىء والظن لا يغني من الحق شيئاً. وقد رئي من الرافضة الذين يفعلون المآتم يوم عاشوراء من يوسع الله عليه أكثر مما يوسع على من وسع على أهله يوم عاشوراء إلى آخر كلامه. قال الحافظ العراقي بعد ما ذكر: ولقد تعجبت من وقوع هذا الكلام من هذا الإمام الذي يقول أصحابه إنه

أحاط بالسنّة علماً وخبرة. فأما قوله: إنه لم يستحب أحد من أئمة الإسلام توسيع النفقة على الأهل يوم عاشوراء فليس كذلك، فقد قال بذلك عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله ومحمد بن المنتشر وابنه إبراهيم وأبو الزبير وشعبة ويحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة وغيرهم من المتأخرين كما أخبرني أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن عمر الدمشقي مشافهة بها، أنبأنا علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، أنبأنا العلامة أبو الحسن زيد بن الحسن الكشي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي حدثنا يحيى بن طاهر بن محمد بن عبد الرحيم، حدثني أبي طاهر بن محمد، حدثني أبي محمد بن عبد الرحيم، حدثني أبي عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة قال: التوسعة في عاشوراء على العيال سنة غير مجهولة. وأما قوله: ولا روى أحد من أئمة الحديث ما فيه استحباب ذلك فليس كذلك، فقد رواه من أئمة الحديث في كتبهم المشهورة أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان وأبو عمر بن عبد البر في الاستذكار وغيرهم من أئمة الحديث كما ستراه عند ذكر الأحاديث. وأما قوله: ولا ذكروا في ذلك سنة عن أصحاب رسول الله ﷺ فليس كذلك، فقد رواه ابن عبد البر في الاستذكار عن عمر بن الخطاب بإسناد جيد كما ستقف عليه بعد، وأما قوله: إن أعلى ما بلغه في ذلك قول ابن المنتشر فقد أنصف من وقف عندما بلغه، ولكن لا ينبغي لمن لم يبلغه أن ينفي وجود ما لم يبلغه كما فعل في أول كلامه وما لم يبلغه فهو أولى وأعلى مما بلغه، ففي الباب أحاديث مرفوعة وبعضها صحيح أو حسن، وفي الباب قول عمر بن الخطاب والمرفوع والموقوف أعلى من المقطوع الذي ذكره، وأما قوله: وابن المنتشر من أهل الكوفة، ثم أخذ يذمها بكثرة الكذب وأن فيها الرافضة والناصبة فكلام عجيب أفيردّ كلام رجل ثقة بكونه من أهل الكوفة وإن كان فيها الرافضة والناصبة ففيها أيضاً الفقهاء المرضيون أصحاب علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود كإبراهيم النخعي والأسود والأعمش وغيرهم من الأئمة، ولو تركنا حديث أهل الكوفة لسقط كثير من السنن الصحيحة. وقوله: فلعله سمعه من شيعة قتلة الحسين رضي الله عنه، فهذا هو الذي يقال فيه قول بلا علم وظن لعله مخطىء وليس هذا بأولى من قولنا لعله سمعه من الثقات المأمونين الذين سمع منهم بالكوفة كمسروق بن الأجدع وعمرو بن شرحبيل أو سمع منهم من الصحابة كعائشة وابن عمر وروايته عنهما في الصحيح، وهو ثقة احتج به الأئمة الستة ووثقه أحمد بن حنبل وابن حبان وغيرهما. وأما قوله رداً على قوله جربناه ستين سنة بأن الله إذا وسع على عبد طول عمره لم يعلم بذلك أن سببه ما فعله يوم عاشوراء، فهذا لو لم يرد عن الصادق المصدوق لكان أمراً مظنوناً محتمل الوقوع، ولكن لما ورد عن الصادق من أن سبب التوسيع ما فعله يوم عاشوراء كان هذا ظناً مصيباً مستنداً إلى أمر وردت به السنّة. وأما قوله: وقد رئي من الرافضة من يوسع الله عليه أكثر من ذلك، فهذا لا يحسن الاعتراض به لأنه لم يقل في الحديث ولا في قول محمد بن المنتشر إنه لا يوسع إلا على من وسع يوم عاشوراء، وإنما فيهما إثبات التوسيع لمن وسع في هذا اليوم فقط وقد يوسع على غيره لأمر آخر، أو مكراً أو استدراجاً أو ليجزي بما عمل في الدنيا ولا يؤخر له في الآخرة، والله أعلم.

ومن هنا نورد الأحاديث الواردة في استحباب التوسيع يوم عاشوراء، وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ من طريق جماعة من الصحابة منهم جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وأبو

سعيد الخدري وعبد الله بن عمر بن الخطاب. أما حديث جابر فهو قوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع لله عليه سائر سنّته**». قال جابر جربناه فوجدناه كذلك، . وقال شعبة الراوي عن جابر مثله، وقال أبو الزبير الراوي عن شعبة مثله، وذكر العراقي أسانيده إلى جابر قال ورواه بإسناده ابن عبد البرّ في الاستذكار، ورجاله رجال الصحيح.
وأما حديث ابن مسعود. فهو قوله عن النبي ﷺ إنه قال: «**من وسع على عياله يوم عاشوراء لم يزل في سعة سائر سنّته**» رواه الطبراني هكذا في المعجم الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وابن حبان في تاريخ الضعفاء وأبو القاسم ابن عساكر في جزء له في فضل عاشوراء، وهو ليس في شيء من الكتب الستة وإن ذكره ابن الأثير في جامع الأصول فإن ذلك وهم منه. وأما حديث أبي هريرة، فهو قوله قال رسول الله ﷺ: «**من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنّته**» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وغيره، وذكره ابن حبان في الثقات، وعلى هذا فالحديث صحيح على رأي ابن حبان. وأما حديث أبي سعيد الخدري فهو قوله قال النبي ﷺ: «**من وسع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سنّته**» وأما حديث ابن عمر، فهو قوله قال رسول الله ﷺ: «**من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنّته**». وقال الحافظ العراقي بعد أن ذكر أسانيده في هذه الأحاديث وبعضها من عدة طرق: فهذا ما وقع لنا من الأحاديث المرفوعة في الباب وأصحها حديث جابر، وأما أثر عمر وهو قوله رضي الله عنه «من وسع على أهله ليلة عاشوراء أوسع الله عليه سائر السنّة» قال يحيى بن سعيد جربنا ذلك فوجدناه حقاً، وإسناده جيد، وذكر العراقي سنده به وقال هم ثقات وبعضهم من رجال الصحيح. وأما قول محمد بن المنتشر: كان يقال: «من وسع على أهله يوم عاشوراء لم يزالوا في سعة من رزقهم سائر سنّتهم»، فبعد أن رواه العراقي بسنده ذكر رواية ابن عبد البر عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر قال: «من وسع على أهله في عاشوراء وسع لله عليه سائر السنّة» قال سفيان: جربنا ذلك فوجدناه كذلك. انتهى ما لخصته واختصرته من جزء الحافظ عبد الرحيم العراقي في ذلك، وقد نقلته من نسخة مكتوبة سنة ٧٨٨ بخط محمد بن محمد بن منصور الحسيني الحلبي كتبها بالقاهرة يوم عاشوراء بعد أن قرأها على شيخه مؤلفها الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي سنة ٧٨٥ وكانت وفاة الحافظ العراقي سنة ٨٠٥.

الكلام على بعض كتب الإمام ابن تيمية وتلبيس إبليس: للإمام ابن الجوزي

فمن كتب ابن تيمية «الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح» وهو أربعة مجلدات متوسطة، وهو في غاية النفاسة لو خلا من التعرض لبدعه التي انفرد بها وشذ عن المسلمين من منعه الاستغاثة به ﷺ كسائر الأنبياء والصالحين، وكتعرضه لأكابر أولياء الله تعالى بالتشنيع والتكفير فضلاً عن التبديع كسيدي محيي الدين بن العربي، وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما وغيرهما ممن ذكر بعضهم في كتابه الفرقان وشنع عليهم وكفرهم وجعلهم أولياء الشيطان، وهذا دأبه عفا الله عنه في كتبه ولذلك قلل الله النفع بها كما جرت عادته تعالى فيمن يتعرض لأوليائه بالسوء. إذ قد ورد في الحديث القدسي «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» وأي أذية أعظم من تكفيرهم وإخراجهم من

دائرة الإسلام بالكلية ومن كتبه «منهاج السنّة في الرد على الروافض» وكتاب «المعقول والمنقول» لمطبوع على هامشه، ويقال له كتاب العقل والنقل في الرد على المتكلمين من أهل السنّة الإمام الأشعري والماتريدي وأصحابهما وهم معظم الأمة المحمدية. ومنهاج السنّة هو وإن كان مؤلفاً للرد على الروافض إلا أنه حشاه بالرد على أهل السنّة الأشعرية والماتريدية، مثل كتاب العقل والنقل والرد على ساداتنا الصوفية أيضاً ومن يعتقدهم كقوله فيه في جواب قول الرافضي: يجب في كل زمان إمام معصوم بعد أن بين فساده، وهل هذا إلا أفسد ما يدعيه كثير من العامة في القطب والغوث ونحو ذلك من أسماء يعظمون مسماها بما هو أعظم من رتبة النبوة من غير تعيين لشخص معين يمكن أن ينتفع به الانتفاع المذكور في مسمى هذه الأسماء، وكما يدعي كثير منهم حياة الخضر مع أنهم لم يستفيدوا بهذه الدعوى منفعة لا في دينهم ولا في دنياهم، وإنما غاية من يدعي ذلك أنه يدعي جريان بعض ما يقدر الله على يدي مثل هؤلاء، وهذا مع أنهم لا حاجة لهم إلى معرفته لم ينتفعوا بذلك لو كان حقاً، فكيف إذا كان ما يدعونه باطلاً، ومن هؤلاء من يتمثل له الجني في صورة، ويقول أنا الخضر ويكون كاذباً، وكذلك الذين يذكرون رجال الغيب ورؤيتهم إنما رأوا الجن وهم رجال غائبون، وقد يظنون أنهم إنس وهذا قد بيناه في مواضع تطول حكايتها مما تواتر عندنا، انتهت عبارته بحروفها، وهكذا دأبه رحمه الله في إنكار ما لم يحط بعلمه وجعله في درجة المستحيلات مع أنه ثبت عند غيره من جماهير المسلمين من الأولياء العارفين والعلماء العاملين والعباد والصالحين وغيرهم ثبوتاً لا يحتمل وقوع الشك في صحته.

قال سيدي العارف بالله الشيخ عبد الله اليافعي اليمني في أواخر كتابه «نشر المحاسن» قبل أن تكلم على لفظ الصوفي والصوفية، وأقدم على ذلك كله ذكر شيء مما قيل في عدد رجال الغيب المعدودين، إذ هم رؤساء الصوفية المقدمون وانقسامهم إلى قطب وأوتاد وبدلاء ونقباء ونجباء، وقيل ومنهم العرفاء أيضاً والمختارون والعصائب.

قال بعض العارفين رضي الله تعالى عنهم: الصالحون كثير مخالطون العوام لصلاح الناس في دينهم ودنياهم، والنقباء في العدد أقل منهم وهم مخالطون للخواص لمزيد احتياج الناس لهم في بركات الدين والدنيا، والأبدال في العدد أقل منهم نازلون في الأمصار العظام لا يكون منهم في المصر إلا الواحد بعد الواحد، فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان منهم. والأوتاد واحد في اليمن، وواحد في الشام، وواحد في المشرق، وواحد في المغرب، والله سبحانه وتعالى وتقدس يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء، وقد سترت أحوال الغوث وهو القطب عليه السلام عن العامة والخاصة غيرة من الحق تعالى عليه، غير أنه يرى عالماً كجاهل أبله كفطن تاركاً آخذاً قريباً بعيداً سهلاً عسراً آمناً حذراً وكشفت أحوال الأوتاد للخاصة وسترت عن العامة وكشفت أحوال البدلاء للخاصة والعارفين وسترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة وكشف حال بعضهم لبعض؛ وكشف حال الصالحين للعموم والخصوص ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ [الأنفال: ٤٢] وعدة النجباء ثلاثمائة، والنقباء أربعون، والبدلاء قيل ثلاثون؛ وقيل أربعة عشر، وقيل سبعة عشر، وهو الصحيح والله تعالى أعلم. والأوتاد أربعة، فإذا مات القطب جعل مكانه

خيار الأربعة، وإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار السبعة، وإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين، وإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاثمائة، وإذا مات أحد الثلاثمائة جعل مكانه خيار الصالحين، فإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين، قال وبهم يدفع الله سبحانه عن عباده البلاء وينزل قطر السماء انتهى وهو بعض كلامه.

ويروى عن الخضر عليه السلام أنه قال: ثلاثمائة هم الأولياء، وسبعون هم النجباء، وأربعون هم أوتاد الأرض. وعشرة هم النقباء، وسبعة هم العرفاء، وثلاثة هم المختارون، وواحد هو الغوث. وعن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه أنه قال: البدلاء بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخراسان، والأوتاد بسائر الأرض، والخضر عليه السلام سيد القوم.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل. وله واحد قلبه على قلب إسرافيل، فإذا مات الواحد أبدل الله سبحانه مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة»**.

قال بعض العارفين: والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب وهو الغوث عليه السلام، مكانه ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها، به يقع صلاح العالم. وقال بعضهم: لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه في جملة الأنبياء والملائكة والأولياء، إذ لم يخلق الله عزّ وجلّ في عالمي الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه ﷺ، فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال الشمس. قال اليافعي بعد ما ذكر قلت: وقد سمعت الشيخ الكبير العارف بالله تعالى نجم الدين الأصفهاني رضي الله تعالى عنه خلف مقام إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام يذكر أن الخضر عليه السلام يسأل الله عزّ وجلّ أن يقبضه إليه عندما يرفع القرآن. قلت: والظاهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن القطب وسائر الأنبياء المعدودين وغيرهم من الموجودين في ذلك الوقت يطلبون الموت أيضاً حينئذٍ إذ ليس بعد رفع القرآن تطيب الحياة لأهل الخير. بل لا يبقى في الأرض خير، وما ذكرت من كون الخضر حياً هو الذي قطع به الأولياء ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين. واشتهر في عامة العوام، وممن ذكر هذا أو نحوه الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح، ونقله عنه الشيخ الإمام محيي الدين النووي رضي الله تعالى عنهما وقرّره، وقد ذكرت في غير هذا الكتاب أن جماعة من الشيوخ الكبار اجتمعوا به بل خلائق لا يحصون، ولم يزل الصدّيقون رضي الله تعالى عنهم في كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به، وذلك مشهور ومستفيض عنهم ومروي عنهم في الكتب المشهورات التي رواها العلماء والثقات. وقد قال الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام رضي الله تعالى عنه: والله لقد أخبر عنه سبعون صديقاً أنهم رأوه بأعينهم لما سئل عنه أحي هو أم ميت.

قلت: والله لقد أخبرني غير واحد من الأولياء أنهم اجتمعوا به، بل والله لقد أخبروني أنه اجتمع بي وسألني عن شيء فأجبته ولم أعرفه لأنه لا يعرفه إلا صاحب نور، وإنما ذكرت هذا كله لما بلغني من مبالغة ابن الجوزي في إنكار حياة الخضر؛ والعجب كل العجب من هذا الرجل في إنكاره الشمس ليس دونها سحاب، وجحده ما قال به الصديقون الأحباب أولو الألباب، وقد قدمت شيئاً من الكلام معه في الفصل الرابع من هذا الكتاب، وذكرت هناك أن كلامه ينقض بعضه بعضاً، لأنه قد روي في كونه حياً أربع روايات بالأسانيد المتصلات عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وعن الياس عليه السلام، وكذلك إنكاره على الأولياء من كبار الصوفية أشياء صدرت عن أحوال لا يعرفها وعلوماً لا يدريها ولا يفهمها.

والعجب منه أيضاً أنه يحكي عنهم أشياء مستحسنة غريبة وكرامات وقعت لهم عجيبة يطرز بها كلامه ثم ينكرها عليهم في موضع آخر؛ وذلك يعرفه من وقف على كتبه كتلبيس إبليس وغيره، والكلام معه في ذلك هنا يخرجنا عن المقصود انتهى كلام اليافعي. وعبارته في الفصل الرابع التي أحال عليها هنا هي قوله: وقد بلغني أن ابن الجوزي عفا الله تعالى عنا وعنه صنف كتاباً سماه «تلبيس إبليس» تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقتهم، وزعم أن إبليس لبس عليهم ولم يدر أنه هو الذي لبس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر؛ والعجب كل العجب منه في إنكاره على سادات ما بين أوتاد وأبدال وصديقين عارفين بالله تعالى محققين ملؤوا الوجود كرامات وأنواراً ومعارف وحكماً وأسراراً يعدون إقبال الناس عليهم ليلاً، وإدبارهم عنهم نهاراً يفرون طول دهرهم من نفوسهم ومن الخلق والشيطان والدنيا إلى الله تعالى فراراً، قد صفوا بواطنهم من شوائب الكدر واستوى عندهم الذهب والمدر والمدح والذم والشدائد والنعم، بل يعدون نعمة الدنيا منعاً وبلاءً، والشدة عطاء ورخاء؛ أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله فحصلوا في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله، فما ظنه بقوم ضبطوا أنفاسهم مع الله سبحانه وتعالى فشغلهم طول دهرهم مراقبته يقول الصغير منهم: وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله إلا رددته، فلو أنه لاقى واحداً من تلامذتهم الصغار في ميدان حرب الإنكار لكان يدري إذا ما انكشف الغبار أتحته فرس أم حمار؟ هذا وهو يطرز كلامه بحكاياتهم وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاءً عاماً ولا يكون ممن يحل ذلك عاماً ويحرمه عاماً، أما علم أن أعلام العلماء الصالحين الحلماء لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم ويحترمونهم ويجلسون بين يدي الواحد منهم كما يجلس الصبي بين يدي المعلم ويتأدبون معهم كالإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام سفيان الثوري والإمام ابن سريج والإمام ابن فورك وإمام الحرمين والإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي والإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام تقي الدين بن دقيق العيد والإمام محيي الدين النووي رضي الله تعالى عنهم وغيرهم ممن لا يحصى من المتقدمين والمتأخرين في حكايات مشهورات، قد ذكر بعضها في غير هذا الموضع؛ ولقد بلغني أن بعض المتأخرين وهو الإمام تقي الدين بن دقيق العيد المذكور المشهور رضي الله تعالى عنه كان يزور بعض الفقراء ويطلب منه الدعاء ويخضع ويتذلل بين يديه حتى إنه قال في وقت: لهو عندي خير من مائة فقيه أو قال ألف فقيه أخبرني بذلك عنه بعض المشتغلين بالعلم الأخيار. وبلغني أيضاً أنه كان

يدخل على بعض من كان يعتقده بطاقية على رأسه ويترك العمامة الكبيرة وغيرها من فاخر لباسه، وكذلك الإمام محيي الدين النووي المذكور السيد المشكور رضي الله تعالى عنه كان يجتمع وينتفع بالشيخ ياسين المزين رضي الله تعالى عنه ويستمع كلامه ويقبل إشارته حتى إنه أمره بالسفر وردّ ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل فامتثل أمره وقبل إشارته وسافر راجعاً إلى بلدته فمرض وتوفي بين أهله وإخوته، وكذلك الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام رضي الله تعالى عنه كان كما ذكرت يعتقد المشايخ ويقول بفضلهم حتى إنه سئل عن الخضر رضوان الله وسلامه عليه أحي هو؟ فقال: ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد أنه رآه بعينه أكنتم تصدقونه؟ قالوا إي والله نصدقه. قال فوالله لقد أخبر عنه سبعون صديقاً أنهم رأوه كل واحد منهم خير من ابن دقيق العيد؛ وقوله هذا يرد قول ابن الجوزي في زعمه أيضاً أن الخضر ليس بحي.

قال اليافعي: قلت بل قول ابن الجوزي ينقض بعضه بعضاً؛ فإنه قد روى بإسناده المتصل أربع روايات أن الخضر عليه السلام حي: إحداها عن علي كرّم الله وجهه أنه رآه متعلقاً بأستار الكعبة؛ وهو يدعو بهذا الدعاء: يا من لا يشغله سمع عن سمع، الدعاء المشهور، وخاطبه وعرفه أنه الخضر. والثانية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال الراوي: ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ «قال يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله». والثالثة عن علي رضي الله تعالى عنه أيضاً «إنه يجتمع يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام». وذكر أنهم يتحادثون بنحو هذا الذكر المذكور، ثم يفترقون فلا يجتمعون إلى قابل. والرابعة عن إلياس عليه السلام «إن عيسى وإدريس في السماء وهو والخضر في الأرض كلهم أحياء على الجميع السلام ورحمة الله وبركاته» روى هذه الروايات الأربعة بإسناده المتصل كما ذكرت في كتابه «مثير الغرام الساكن» انتهت عبارة «نشر المحاسن» في الفصل الرابع. وقد نقل بعض كلام اليافعي الإمام ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية وأتبعه بأحاديث ونقول كثيرة تؤيد ما ذكر من أخبار القطب والأوتاد ورجال الغيب وما ورد في شأنهم رضي الله عنه.

ثم قال في آخر ذلك: ولقد وقع لي في هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخي، هي أني إنما ربيت في حجور بعض أهل هذه الطائفة؛ أعني القوم السالمين من المحذور واللوم، فوقع عندي كلامهم موقعاً حسناً لأنه صادف قلباً خالياً فتمكن، فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو أربع عشرة سنة؛ فقرأت مختصر أبي شجاع على شيخنا أبي عبد الله الإمام المجمع على بركته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الأزهر بمصر المحروسة فلازمته مدة، وكان عنده حدّة فانجر الكلام في مجلسه يوماً إلى ذكر القطب والنجباء والنقباء والأبدال وغيرهم ممن مر، فبادر الشيخ إلى إنكار ذلك بغلظة، وقال: هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي ﷺ، فقلت له ـ وكنت أصغر الحاضرين: معاذ الله، بل هذا صدق وحق لا مرية فيه، لأن أولياء الله أخبروا به وحاشاهم من الكذب، وممن نقل ذلك الإمام اليافعي، وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة، فزاد إنكار

الشيخ وإغلاظه عليّ، فلم يسعني إلا السكوت فسكت وأضمرت أنه لا ينصرني إلا شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين وإمام الفقهاء والعارفين أبو يحيى زكريا الأنصاري، وكان من عادتي أني أقود الشيخ محمد الجويني لأنه كان ضريراً وأذهب أنا وهو إلى شيخنا المذكور: أعني شيخ الإسلام، زكريا نسلم عليه، فذهبت أنا والشيخ محمد الجويني إلى شيخ الإسلام، فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس أن أذكر لشيخ الإسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها، فلما وصلنا إليه أقبل على الشيخ الجويني وبالغ في إكرامه وسؤال الدعاء منه، ثم دعا لي بدعوات، منها: اللهم فقهه في الدين، وكان كثيراً ما يدعو لي بذلك؛ فلما تم كلام الشيخ وأراد الجويني الانصراف. قلت لشيخ الإسلام: يا سيدي، القطب والأوتاد والنجباء والأبدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية؛ هل هم موجودون حقيقة؟ فقال نعم والله يا ولدي؛ فقلت له يا سيدي إن الشيخ - وأشرت إلى الشيخ الجويني - ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره؛ فقال شيخ الإسلام: هكذا يا شيخ محمد وكرر ذلك عليه؟ حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الإسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد تبت؛ فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد؛ ثم قمنا ولم يعاتبني الجويني على ما صدر مني اهـ كلام ابن حجر.

وقد ذكرت في خاتمة هذا الكتاب نقلاً عن الإمام الشعراني والإمام ابن حجر وغيرهما الجواب عما اعترض به ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» وابن تيمية في كتابه «الفرقان» على أولياء الله تعالى من تكفيرهم والطعن في عقائدهم رضي الله عنهم، فلا حاجة إلى ذكر ذلك هنا. وها أنا أرجع إلى الكلام على كتاب «منهاج السنّة» للإمام ابن تيمية، فأقول: لما كان كثير من طلبة العلم في هذا الزمان فضلاً عن العوام غير ماهرين في علم الكلام ومعرفة ما يخالف أو يوافق العقيدة الصحيحة من أبحاثهم الدقيقة التي لا يهتدي لمعرفتها، والتفريق بين الحق والباطل منها إلا أكابر علماء الإسلام الذين قضوا زمناً طويلاً من أعمارهم في مباحث علم الكلام كان من الواجب على علماء أهل السنّة والجماعة من الأشعرية والماتريدية، وهم أهل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة أيضاً أن يحذروا العوام وضعاف الطلبة من مطالعة هذين الكتابين لكثرة ما فيهما من خلط الحق بالباطل، والرد على أهل السنّة والجماعة بحجج مزخرفات ربما يهتدي لدفعها القاصرون من طلبة العلم فضلاً عن العوام، وقد تقدم في كلام الإمام السبكي أنه رد على كتابه «العقل والنقل» فرده لا شك هو من الجهات التي خالف بها أهل السنّة، ورد عليهم مثل الإمام الأشعري وغيره.

وقد نقل الإمام السيد مرتضى الزبيدي الحنفي في شرح الأحياء عن السبكي وابنه تاج الدين وغيرهما عبارات مطولة في توضيح مذهب أهل السنّة والرد على مخالفيهم وفي ذلك بيان عقيدة ابن تيمية وفرقته الذين يسميهم أهل السنّة الحشوية. وها أنا أذكر شيئاً من ذلك هنا ليكون المطلع على كتبه، ولا سيما الكتابين المذكورين على حذر لئلا يغتر بكلامه فيدخل خلل من حيث لا يشعر على عقيدته الأشعرية أو الماتريدية. قال في شرح الإحياء في أوائل الجزء الثاني بعد أن ترجم إمامي السنّة أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي: إذا أطلق أهل السنّة والجماعة، فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية. ونقل عن التاج السبكي أنه قال: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحداً، والشافعية غالبهم أشارعة لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به.

والحنفية أكثرهم أشاعرة: يعني يعتقدون عقيدة الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لا يخرج منهم إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم من هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم.

وقد تأملت عقيدة أبي جعفر الطحاوي: أي الحنفي فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام الوالد: يعني أنها هي ما يعتقده الأشعري لا يخالف إلا في ثلاث مسائل، والطحاوي معاصر للأشعري والماتريدي. قال التاج: وقد تصفحت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبينهم فيها خلاف ثلاث عشرة مسألة: منها معنوي ست مسائل، والباقي لفظي، وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم فيها تكفيراً ولا تبديعاً صرح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم، وهو غني عن التصريح لوضوحه ا هـ.

ثم نقل في شرح الإحياء عبارة الإمام تقي الدين السبكي في شرحه على قصيدة ابن زفيل الحنبلي التي رد فيها على الأشعري وغيره من أئمة السنّة وجعلهم جهمية تارة وكفاراً أخرى، وسماه «السيف الصقيل: في الرد على ابن زفيل». قال السيد مرتضى الزبيدي: ونحن نورد منه ما ذكره في مقدمته في الجمل النافعة المفيدة، وهذا أول قصيدة ابن زفيل:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني	فعليك إثم الكاذب الفتان
جهم بن صفوان وشيعته الألى	جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السموات العلى	والعرش أخلوه من الرحمن
والعبد عندهم فليس بفاعل	بل فعله كتحرك الرجفان

إلى آخر ما قال، وهذا نص الشيخ تقي الدين السبكي في شرحه على هذه القصيدة: لا تشتغل من العلوم إلا بما ينفع، وهو القرآن والسنّة والفقه وأصول الفقه والنحو. وعليك بأخذها عن شيخ سالم العقيدة، وتجنب علم الكلام والحكمة اليونانية، والاجتماع بمن هو فاسد العقيدة أو النظر في كلامه، وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية وهما في الحقيقة علم واحد، وهو العلم الإلهي لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل، وافترقوا ثلاث فرق: إحداها: غلب عليها جانب العقل وهم المعتزلة، والثانية: غلب عليها جانب النقل وهم الحشوية، والثالثة: استوى الأمران عندها وهم الأشعرية.

وجميع الفرق الثلاثة في كلامهم مخاطرة: إما خطأ في بعضه، وإما سقوط هيبة. والسالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم الناس الباقون على الفطرة السليمة، ولهذا كان الشافعي رضي الله عنه ينهى الناس عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال في الفقه وهو طريق السلامة، ولو بقي الناس على ما كانوا عليه في زمن الصحابة لكان الأولى للعلماء تجنب النظر في علم الكلام جملة، لكن حدثت بدع أوجبت للعلماء النظر فيه لمقاومة المبتدعين ودفع شبههم عن أن تزيغ بها قلوب المهتدين. والفرقة الأشعرية هم المتوسطون في ذلك. وهم الغالبون من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة وسائر الناس.

وأما المعتزلة: فكانت لهم دولة في أوائل المائة الثالثة ساعدهم بعض الخلفاء ثم انخذلوا وكفي الله تعالى شرهم، وهاتان الطائفتان الأشعرية والمعتزلة هما المتقاومتان، وهما فحولة المتكلمين من أهل الإسلام، والأشعرية أعد لها لأنها بنت أصولها على الكتاب والسنّة والعقل الصحيح.

وأما الحكمة اليونانية: فالناس مكتفون لأن أهل الإسلام كلهم يعرفون فسادها ومجانبتها للإسلام.

وأما الحشوية، فهي طائفة رذيلة جهال ينتسبون إلى أحمد وأحمد مبرأ منهم، وسبب نسبتهم إليه أنه قام في دفع المعتزلة وثبت في المحنة رضي الله عنه، ونقلت عنه كلمات ما فهمها هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيىء، وصار المتأخر منهم يتبع المتقدم إلا من عصمه الله تعالى، وما زالوا من حين نبغوا مستذلين ليس لهم رأس ولا من يناظر، وإنما في كل وقت لهم توارث ويتعلقون ببعض أتباع الدول ويكفي الله تعالى شرهم، وما تعلقوا بأحد إلا وكانت عاقبته إلى سوء وأفسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعية وغيرهم، ولا سيما من بعض المحدثين الذين نقصت عقولهم أو غلب عليها من أضلهم، فاعتقدوا أنهم يقولون بالحديث. ولقد كان أفضل المحدثين بزمانه بدمشق ابن عساكر يمتنع من تحديثهم ولا يمكنهم يحضرون بمجلسه، وكان ذلك أيام نور الدين الشهيد، وكانوا مستذلين غاية الذلة.

ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع: يعني (ابن تيمية) ولم يجد شيخاً يهديه، وهو على مذهبهم، وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة، فبجسارته يلتزمها، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى ما زال فاعلاً وأن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي، وشق العصا وشوش عقائد المسلمين وأغرى بينهم، ولم يقتصر على العقائد في علم الكلام حتى تعدى وقال: إن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ معصية. وقال: إن الطلاق الثلاث لا يقع، وأن من حلف بطلاق امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق. واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس، وأن لا يدخل عليه بداوة ومات في الحبس. ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده، ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتمه جهراً، فعم الضرر بذلك حتى وقفت في هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر ناظمها فيها عقائده وعقائد غيره، ويزعم بجهله أن عقائده عقائد أهل الحديث، فوجدت هذه القصيدة تصنيفاً في علم الكلام الذي نهى العلماء عن النظر فيه لو كان حقاً، وفي تقرير العقائد الباطلة فيه وبالغ بها وزياد على ذلك، وهي حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته، فهذه ثلاثة أمور هي مجامع ما تضمنته هذه القصيدة.

والأول من الثلاثة حرام، لأن النهي عن علم الكلام إن كان نهي تنزيه فيما تدعو الحاجة إلى الرد على المبتدعة فيه فهو نهي تحريم فيما لا تدعو الحاجة إليه، فكيف فيما هو باطل؟.

والثاني منها: العلماء مختلفون في التكفير به ولم ينته إلى هذا الحد. أما مع هذه المبالغة ففي بقاء الخلاف فيه نظر.

وأما الثالث: فنحن نعلم بالقطع أن هؤلاء الطوائف الثلاثة، الشافعية، والمالكية، والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمون وليسوا بكافرين، فالقول بأن جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفراً، وقد قال ﷺ: «**إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**» والضرورة أوجبت بأن بعض من كفرهم مسلم، والحديث اقتضى أنه يبوء بها أحدهما، فيكون القائل هو الذي باء بها، ثم حكى ردّ إمام الحرمين على السجزي وأطال في العبارة. وقد اقتصرنا على القدر المذكور لأني لست بصدد بيان اعتقادهم والردّ على أقوالهم، وله محل غير هذا، والله أعلم، انتهت عبارة السبكي من شرح الإحياء للسيد مرتضى الزبيدي.

إذا علمت ذلك أيها المسلم الشافعي أو الحنفي أو المالكي أو الحنبلي الصالح الموفق تعلم أنه يجب عليك الحذر التام من كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد لئلا تهوي في مهواة الضلال ولا ينفعك الندم بعد ذلك بحال من الأحوال. وإياك أن تغتر بكلام السيد نعمان أفندي الألوسي البغدادي في كتابه «جلاء العينين» وتظن أنه حنفي من أهل السنّة والجماعة، فهو بهذا الكتاب قد خرج عن حنفيته وسنّيته وصار من جماعة ابن تيمية ناصراً لمذهبه مذهب الوهابية عفا الله عنه وعنهم أجمعين، فإنهم بلا شك من جملة المسلمين وإن كانوا فيما خالفوا به أهل السنّة مبتدعين، وهم إنما يغرون أهل الإسلام من ضعاف الطلبة والعوام بقولهم: إنهم على مذهب السلف الصالح من عدم تأويل ما ورد من الصفات في حق الله تعالى، بخلاف أهل السنّة من الأشعرية والماتريدية فإن كثيراً منهم يؤوّلونها، وهم لو اقتصروا على ذلك لكانوا على نهج الاستقامة ولكنهم خرجوا من ذلك إلى عقائد أخرى تتعلق في جانب الله تعالى توهم الجهة في حقه سبحانه وتعالى، ويخالفون بذلك وبعقائد أخرى أهل السنّة، وليس كل ما قالوه في هذا الشأن باطلاً، وإنما الباطل ما خالفوا به ما أجمعت عليه أهل السنّة من المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة، وحيث كان ذلك مختلطاً في كلامهم ولا يميزه إلا أكابر العلماء، فلا ينبغي حينئذٍ مطالعة كتبهم في العقائد، ومن ذلك بل أهمّ ما هنالك كتب إمامهم ابن تيمية، وأهمها هذان الكتابان «منهاج السنّة، والمعقول والمنقول» ويقال له كتاب العقل والنقل.

واعلم أن المحققين من أهل السنّة أيضاً هم مثلهم في اعتماد عدم تأويل ما ورد من الصفات المتشابهة في حق الباري تعالى، ولكنهم لا يضللون المؤولين كما أن المؤولين لا يضللون من أبقاها على ظاهرها ولم يؤولها بشرط أن لا يعتقد فيها أنها مثل صفات الحوادث المستحيلة على الله تعالى.

فقد علمت أن ما يخدعون به الناس من اتباعهم مذهب السلف في عدم تأويل الصفات المتشابهة هو مذهب أهل السنّة أيضاً بل هو الراجح من مذهبهم، وقد أطال الكلام على ذلك سيدي عبد الوهاب الشعراني في «اليواقيت والجواهر» ونقل نقولاً كثيرة عن الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي تؤيد مذهب السلف من عدم التأويل، ونقل في شرح الإحياء مذاهب أهل السنّة في ذلك، وقد رجح جمهورهم طريقة السلف من عدم التأويل.

إذا علمت ذلك تعلم أن جميع ما يهوّل به ابن تيمية وجماعته، كابن زفيل صاحب القصيدة النونية وابن القيم وله قصيدة نونية أيضاً في ذلك ذكر كثيراً منها الألوسي في جلاء العينين هو في غير

محله، لأن جمهور أكابر أهل السنّة على عدم التأويل مثلهم إلا أنهم لا يبلغون بتقرير هذه المسائل إلى درجة توهم السامع أن الحق سبحانه وتعالى ذو جهة أو جسم تعالى وتقدس، بخلاف عبارات هؤلاء الجماعة في كتبهم وقصائدهم، فإنهم بالغوا فيها إلى درجة يخشى معها على السامع والقارىء من أن يدخل عليه في عقيدته أوهام، ولا سيما إذا كان من ضعاف الطلبة أو العوام، ولذلك نسبهم أهل السنّة إلى البدعة واعتقاد الجهة في جانب الله تعالى، وسموهم الحشوية والمشبهة والمجسمة كما في شرح المسايرة للكمال بن أبي شريف، وشرح الإحياء للزبيدي وغيرهما.

وقد رأيت لإمامهم ابن تيمية في كتابه المذكور «منهاج السنّة» تفصيلاً يحقق اعتقاده الجهة حقيقة مع أن السلف كما قاله العلماء لم يرد عنهم لفظ الجهة في جانب الله تعالى مطلقاً، فكان لاتباعه طريقة السلف يلزمه أن يمنع إطلاق لفظ الجهة مطلقاً على الله تعالى ولا يذكر هذه التفاصيل التي لا معنى لها، وإنما هي من نوع المغالطات ولم ترد عن السلف الصالح، وهو دائماً يهول بلزوم اتباع السلف، وحين فصل هذا التفصيل لم يسنده إلى أحد من السلف، بل ذكره من تلقاء نفسه وكرره في مواضع، فمن نسبوا إليه اعتقاد الجهة لم يخطئوا كما زعم البعض، بل هو يعتقدها، ونقل اعتقادها عن كثيرين من أئمة الحنابلة، وهذه عبارته في جواب الرافضي الذي رد عليه في صفحة ٢١٦. وأما قوله: يعني الرافضي لأنه تعالى ليس في جهة، فقال: للناس في إطلاق لفظ الجهة ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهذا النزاع موجود في المثبتة للصفات من أصحاب الأئمة الأربعة وأمثالهم، ونزاع أهل الحديث والسنّة الخاصة في نفي ذلك وإثباته نزاع لفظي وليس هو نزاعاً معنوياً، ولهذا كان طائفة من أصحاب أحمد كالتميميين والقاضي في أول قوليه تنفيها، وطائفة أخرى أكثر منهم تثبتها وهو آخر قولي القاضي، وذلك أن لفظ الجهة قد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم. ومن المعلوم أن لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً والله تعالى لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات، وإن أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل إنه في جهة كان معنى الكلام أنه هناك فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عالٍ عليه انتهت عبارته، وهي مصرحة باعتقاده الجهة أعني بإطلاق هذا اللفظ الذي لم يطلقه أحد من السلف على جانب الله تعالى؛ وإن أطلقوا صفة الفوقية وصفة العلو وصفة الاستواء على العرش ونحوها من الصفات التي وردت في الكتاب والسنّة على الله تعالى من غير تأويل ولا تشبيه بصفات المخلوقات من فوقيتهم وعلوهم واستوائهم ونحو ذلك من أوصاف الحوادث وما يلزم ذلك من التجسيم وأوصاف المخلوقات تقدس الله عنها. أما لفظ الجهة فلم يطلقوها على جانبه الرفيع المنيع عزّ وجلّ، بل كفر بعضهم من يعتقدها لملازمتها التجسيم ولكن عبارة ابن تيمية لا تفيد ذلك، بل صرح بتنزيهه تعالى بقوله: والله تعالى لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات. وفي كتابه المطبوع على هامشه المسمى «بيان موافقة صريح المعقول لصريح المنقول» وهو كتاب العقل والنقل الذي رد عليه السبكي فيما خالف فيه أهل السنة من الأشعرية والماتريدية. قال في صفحة ١٨٠ منه، وهذا القدر الذي وقع في ضلال المتفلسفة لم يقصده عقلاؤهم في الأصل، بل كان غرضهم تحقيق الأمور والمعارف لكن وقعت لهم شبهات ضلوا بها كما ضل ابتداء من المشركين منهم ومن غيرهم من الكفار ممن ضل ببعض

الشبهات، ولهذا يجب على من يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم أن لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده، ويكون الكلام في المعاني العقلية المبينة لا في معان مشتبهة بألفاظ مجملة.

واعلم أن هذا نافع في الشرع والعقل. أما الشرع فإن علينا أن نؤمن بما قاله الله ورسوله، فكل ما ثبت أن الرسول ﷺ قاله فعلينا أن نصدق به وإن لم نفهم معناه، لأنا قد علمنا أنه الصادق المصدوق الذي لا يقول على الله إلا الحق وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وأمثال ذلك فليس على أحد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء لا في النفي ولا في الإثبات حتى يتبين له معناه، فإن كان المتكلم بذلك أراد معنى صحيحاً موافقاً لقول المعصوم كان ما أراده حقاً، وإن كان أراد به معنى مخالفاً لقول المعصوم كان ما أرده باطلاً ثم يبقى النظر في إطلاق ذلك اللفظ ونفيه وهي مسألة فقهية، فقد يكون المعنى صحيحاً ويمتنع من إطلاق اللفظ لما فيه من مفسدة، وقد يكون اللفظ مشروعاً ولكن المعنى الذي أراده المتكلم باطل كما قال عليّ رضي الله عنه لمن قال من الخوارج المارقين: لا حكم إلا الله، كلمة حق أريد بها باطل انتهى ما أردت نقله من كتابه المذكور، ومن أراد الوقوف على تمام هذا البحث فليراجعه.

واعلم أن في عبارته هذه مخالفة قوية لما ذكره في العبارة السابقة التي نقلتها من كتابه «منهاج السنّة» بخصوص لفظ الجهة، فإنه ذكر في تلك العبارة أن أكثر علماء مذهبه الحنابلة ومنهم القاضي يعني أبا يعلى في قوله الأخير على إطلاقها على الله، تعالى وتقدس عن الجهات وعن جميع أوصاف الحادثات، وذكر أنه لا مانع من إطلاقها بالتفصيل الذي ذكره وهو عين اعتقاد الجهة الممنوعة فقد أطلقها مثلهم مع عدم ورودها في الكتاب والسنّة قطعاً ومع المحذور الشديد من إطلاقها، والمعنى الذي ذكره وجوّزه في التفصيل الذي فصله هو مقصود كل الناس في إطلاق لفظ الجهة على ما يطلقونها عليه ولا يقصد أحد في إطلاق الجهات غير هذا المعنى فهو معنى الجهة المتبادر من اللفظ لكل من سمعه فتفصيله لم يفده شيئاً من زوال المحذور بل المحذور وهو خوف توهم التجسيم والتشبيه باقٍ على حاله كما هو ظاهر لكل منصف وهو نفسه في عبارته هذه الأخيرة منع إطلاق اللفظ الذي لم يرد عن الشرع ولو كان معناه صحيحاً لما فيه من المفسدة، وأي مفسدة أعظم من المفسدة التي تترتب على إطلاق لفظ الجهة على الله تعالى وهي إيهام التجسيم والتشبيه، فعبارته هنا تمنع إطلاق لفظ الجهة لتحقق المفسدة لإطلاقها وقد جوزها هناك في العبارة الأولى عبارة منهاج السنّة، وهي مذهبه المشهور عنه المعروف به، وإن أنكره بعض من يحامي عنه لشدة شناعته ولكن هو لا يراه شنيعاً فهو يصرح به في بعض كتبه من غير تحاش ويناقض نفسه في كتب أخرى إذا تجلى له الحق في بعض الأحيان وذلك لكثرة علمه وعدم تقيده، وأما إنكار كون إطلاق لفظ الجهة على الله تعالى يترتب عليه مفسدة فهو مكابرة ظاهرة لا يرتكبها إلا كل من لا يبالي بما صدر منه، وأما كون لفظ الجهة هو غير وارد عن الشارع فهو صريح عبارته لأنه ذكره في جملة الألفاظ التي تنازعت فيها الأمة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وجعلها في مقابلة ما ثبت عن النبي ﷺ وذكر الحكم فيما ثبت وروده أنه التصديق به، وإن لم نفهم معناه؛ أما تلك الألفاظ التي لم ترد فلم يجوّز إطلاقها عند خوف المفسدة ومنها لفظ الجهة، ومعنى المشروعة الواردة عن الشارع في الكتاب والسنّة مثل الاستواء على

العرش وغير ذلك من ألفاظ الصفات المتشابهة المعلومة وهي التي ذكر أوّلاً أنه يجب التصديق بها وإن لم نفهم معناها. قال وقد يريد منها المتكلم بها معنى باطلاً يعني كبعض الفرق الضالة من المجسمة والمشبهة الذين يعتقدون هذه الألفاظ الواردة على ظاهرها في حق الله تعالى وتقدس ومنهم غلاة الحنابلة الذين جمدوا على ظاهر تلك الألفاظ من دون تدقيق في استحالة معانيها الظاهرة الحادثة في حق الله تعالى.

وعبارة الإمام ابن تيمية هذه صريحة في براءته من اعتقاد التجسيم والتشبيه في جانب الحق جلّ وعلاّ، ولكنه يعتقد الجهة بيقين كما هو صريح عبارته في منهاج السنّة، وهي بدعة شنيعة وإن لم يصحبها اعتقاد التجسيم بل قال بعض العلماء بكفر معتقدها، وصرح الإمام النووي الشافعي والإمام ابن أبي جمرة المالكي بكفر معتقدها إذا لم يكن من العامة المعذورين بالجهل، وإذا لم يعسر فهم نفيها عليهم: أي على العامة. أما العلماء فلا يعسر نفيها عليهم، نقل ذلك عنهما الإمام إبراهيم اللقاني المالكي في شرحه «هداية المريد» على منظومته «جوهرة التوحيد» وهو وهما من أكابر أئمة أهل السنّة وهذه عبارته. قال رحمه الله تعالى في شرح قوله:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض ورم تنزيها

بعد أن ذكر ثلاثة تنبيهات: الرابع، أي التنبيه الرابع. قال العز بن عبد السلام، معتقد الجهة لا يكفر، وقيده النووي بكونه من العامة، وابن أبي جمرة بعسر فهمهم نفيها انتهت عبارة اللقاني. وأما التفصيل الذي ذكره ابن تيمية فلم يقل به أحد. وإنما أراد أن يستر به شناعة بدعته المذكورة وتخفيف فظاعتها وهيهات هيهات، ولما كانت كتبه رحمه الله وعفا عنه هذه قد طبعت ونشرت وكانت فيها مسائل في العقائد مخالفة لعقائد أهل السنّة والجماعة من الأشعرية والماتريدية كان من اللازم على أكابر العلماء في هذا العصر أن يتصدوا لبيان تلك المسائل التي وقع فيها مخالفة أهل السنّة والتنبيه عليها ليحذرها الناس خوفاً عليهم من تشويش عقائدهم، ولما كان من أهم تلك المسائل القول باعتقاد الجهة وهو كما ترى وإن تستر بعض الحنابلة بنفيه عنه وعدم اعتقاده إياه، فهو مصرح باعتقاده وبأن على ذلك طائفة كثيرة منهم بل هي أكثرهم كما قال، فقد رأيت من الصواب والواجب الذي لا مندوحة عنه أن أجمع رسالة أنقل فيها أقوال أكابر علماء المذاهب أهل السنّة والجماعة من الأشعرية والماتريدية في استحالة الجهة على الله تعالى فجمعتها على هذا الوجه، وسميتها «رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله» وها أنا أذكرها هنا بحروفها لتكون من جملة هذا الكتاب، والله الموفق للصواب، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المنزه عن الجهات المتعالي عن جميع أوصاف الحادثات، الموصوف بما وصف به نفسه المقدسة في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ من الفوقية والعلوية والاستواء على العرش كما أراد وكما يليق به من الكمالات، من دون اعتقاد جهة ولا تأويلات وبالوجه واليد والأيدي، والعين والأعين، والنزول والهرولة والمجيء ونحو ذلك على ما أراد سبحانه من دون تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالمين. وعلى آله وأصحابه نجوم المهتدين. أما بعد: فهذه رسالة سميتها «رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله» أوضحت فيها هذه

المسألة المهمة بنقول صحيحات ودلائل عقليات ونقليات يقبلها كل من صفا قلبه من شوائب الشبهات، واستنار لبه فنزه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، كيف لا؟ وهي من أصح النقول الشرعية الثابتة عن أئمة الأمة من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والصوفية كالغزالي والفخر الرازي وابن عبد السلام والشيخ الأكبر وابن اللبان واليافعي والشعراني وابن حجر الهيتمي والشهاب الرملي والكمال ابن الهمام والسيد مرتضى الزبيدي والنسفي وناصر الدين بن المنير واللقاني والباجوري وغيركم من أئمة الشافعية والحنفية والمالكية ونقلوا ذلك عن بعض الحنابلة كابن الجوزي ورحمهم الله أجمعين وحشرنا معهم في زمرة المهتدين تحت لواء سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال السيد مرتضى في شرح الإحياء بعد أن أثبت استحالة كونه تعالى مختصاً بالجهة: وهذا المعتقد لا يخالف فيه بالتحقيق سنيّ لا محدّث ولا فقيه ولا غيره، ولم يجيء قط في الشرع على لسان نبي التصريح بلفظ الجهة إلى آخر ما سيأتي نقله عنه في محله، وإنما فهمها من ظواهر بعض الآيات والأحاديث كثير من الحنابلة وقليل من متأخري المحدثين، فقالوا بها مخالفين جمهور الأمة والله يغفر لنا ولهم أجمعين، ومن قرأ هذه الرسالة بفهم وإنصاف مجانباً التعصب والاعتساف يثبت عنده ثبوتاً يقينياً لا شبهة معه استحالة الجهة على الله تعالى ببراهين قوية قويمة وطرق سوية مستقيمة، وهي لوضوحها لا تحتاج في فهمها إلى زيادة تدقيق وتحقيق لمن أنعم الله عليه بأدنى شيء من نور الهداية والتوفيق، وها أنا أشرع بذلك مقدماً عبارات مني واضحات بأساليب مقنعات لخصت فيها معاني بعض ما قاله أولئك السادات، فأقول: قد ظهر لنا معاشر أهل السنّة من السلف والخلف من عهد النبي ﷺ إلى الآن ظهوراً جلياً ليس معه أدنى شك وارتياب أن الصواب الصراح والحق الأبلج الوضاح هو تنزيه الله تعالى على جميع الجهات العلويات والسفليات، لأنها من أوصاف الحادثات وهذا هو اعتقاد جمهور علماء الأمة وأوليائها من الشافعية والحنفية والمالكية وبعض الحنابلة وجميع الصوفية وهم صفوة الصفوة من هداة الأمة، وخلاصة الخلاصة من أهل الملة وخاصة الخاصة من المتبعين للكتاب والسنّة، فقد اتفق جمهورهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم في جميع الأعصار والأقطار، وفي كل القرى والبوادي والأمصار على أن الله تعالى منزه عن الجهات وعن جميع أوصاف الحادثات، وكما تنزه تعالى وتقدس عن أن تحصره جهة من جهاتنا الست فوقنا وتحتنا ويميننا وشمالنا وخلفنا وأمامنا تنزه أيضاً سبحانه وتعالى عن أن يكون لذاته المقدسة جهة من هذه الجهات فلا فوق له تعالى ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام كل ذلك في حقه تعالى من المستحيلات، لأنه من أوصاف الحادثات، ولا فرق في ذلك بين العلويات والسفليات تعالى وتقدس عن جميع الأمكنة والأزمنة وعن جميع الجهات.

ولما كان تعقل ذلك عسراً جداً ولا سيما في ابتداء الإسلام إذ الجاهلية قد عمت الأنام وأكثر الناس كانوا كالأنعام لا أفهام لهم ولا أحلام، قد ضلوا بعبادة الأشجار والأحجار والأصنام وكان لا بدّ لتعريفهم بالله تعالى من تعبير تفهمه أذهانهم القاصرات، وكان كلهم أو جلهم لا يتعقلون ذاتاً بلا جهة من الجهات، وكذلك أكثر من جاء بعدهم من عوام المسلمين إلى الآن وإلى ما شاء الله لا سيما في صغرهم إلى أن تكمل عقولهم لا يتعقلون ذاتاً بلا جهة وكانت جهة العلو والفوق أشرف الجهات إذ هي مطلع الكواكب ومنبع الأنوار ومصدر الخيرات ومنشأ الأمطار، وهي أصل جميع

المقدرات الإلهية على الإنسان مما يكون أو كان. قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] اقتضت لذلك حكمة الحكيم عزّ وجلّ ورود بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تفيد بظاهرها في جانب الله تعالى جهة العلو وجهة الفوق تقريباً لأفهامهم مع أن فيها تعظيم الحق جل وعلا بنسبته إلى العلو والفوقية، وكلا هذين اللفظين وما أشبههما تأويله سهل، لأن معناهما العلو بالمكانة لا بالمكان، وهو حاصل عند من ينفي الجهات عنه تعالى، وهم جمهور الأمة، فهو سبحانه وتعالى عالٍ فوق خلقه بالقهر والغلبة والشرف والعزة مع كونه سبحانه وتعالى منزهاً عن أن تحصره جهة الفوق أو غيرها من الجهات، وهذا المعنى هو أيضاً من لغة العرب المستعملة عند الناس، وليس في تفسير الآية أو الحديث به وحمل المعنى المراد منهما عليه ما يخل بما يليق به تعالى من التنزيه والتقديس كما يخل بذلك اعتقاد جهة العلو الفوقية الذاتية في حقة تعالى كما يقول به ابن تيمية وشيعته آخذين بظاهر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من دون تأويل، وقد علمت أن الحكمة والله أعلم في ورود هكذا آيات وأحاديث متشابهات هو رحمته تعالى لأصحاب الأفهام القاصرات الذين لا يتصورون ذاتاً بدون جهات، وخص جهة العلو في حقه تعالى بتلك العبارات لأنها أشرف الجهات، وهذه هي الحكمة والله أعلم في ورود بعض الأحاديث والآيات المتشابهة في حق الله تعالى التي فيها ذكر بعض أوصاف البشر كالوجه واليد والأيدي والأصبعين وكنزول إلى سماء الدنيا وغير ذلك لقصور أفهام الأنام ولا سيما في أول الإسلام عن تعقل وتصور إله ليس له أوصاف تشبه أوصافهم بوجه من الوجوه، فربما أنهم لو لم يأتهم النبي ﷺ بهذه الأوصاف في أول الأمر لرفضوا الإيمان بهذا الإله الذي لم يتعقلوه وهم متى آمنوا واستنارت قلوبهم وكبرت عقولهم وعلموا عظمة الله تعالى يعلمون حينئذٍ أن تلك الأوصاف ليست على ظاهرها وأن لها معاني أخرى تليق به تعالى لم يدركوها بعقولهم القاصرات مع علمهم يقيناً أنه تعالى منزه عن جميع أوصاف الحادثات ولا يحويه زمان ولا مكان ولا تحصره جهة من الجهات وأنه لا يلزم في صحة الإيمان به تعالى أن يتعقلوا حقيقة ذاته المقدسة على ما هي عليه، لأن ذلك مستحيل إذ لا يعلم الله إلا الله ويكفي في الإيمان به تعالى الإيمان بوجوده واتصافه بجميع صفات الكمال وتنزيهه عن جميع صفات النقص، ثم إن شاؤوا أوّلوا تلك الصفات المتشابهات الواردة في بعض الأحاديث والآيات وفسروها بمعانٍ تليق بالله تعالى كما هو مذهب الخلف، وإن شاؤوا أبقوها من غير تأويل وآمنوا بها كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل: أي من غير أن يعتقدوا فيها أنها تشبه صفات الحادثات المعلومة عندهم لأنها تستحيل على الله تعالى ومن دون أن يعطلوا ذاته المقدسة عن الاتصاف بها على ما أراده الله تعالى ورسوله من الكمال الذي لم تدركه عقولنا وفوضوا علم حقيقتها إلى الله تعالى، وإنما هم يعلمون يقيناً أن المراد بها معانٍ كاملة تليق به تعالى، وليس المراد بها هذه الأعضاء التي نفهمها من الوجه والأيدي وغيرها، لأن هـذه مستحيلة عليه تعالى لكونها حوادث تدل على حدوث صاحبها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وكذلك النزول إلى سماء الدنيا إما أن يؤول بنزول ملكه مثلاً كما هو مذهب الخلف، أو يبقى بدون تأويل كما هو مذهب السلف بعد أن يعلم أن المراد منه معنى يليق به تعالى ويعلم أن معنى النزول الذي نفهمه، وهو الهبوط من أعلى إلى أسفل غير مراد من ذلك يقيناً، لأن هذا وصف الحوادث، ولا يجوز اتصافه به تعالى قطعاً، فهو مستحيل في حقه عزّ وجلّ لدلالته على حدوث المتصف به.

واعلم أن الأسلم في جميع المتشابهات التي وردت من هذا القبيل في القرآن والحديث مذهب السلف وهو عدم التأويل بالمعاني الظاهرة وتفويض علم حقيقتها إلى الله تعالى بعد اعتقاد أنها أوصاف كمال لله تعالى يقيناً ونفي ما يفيده ظاهرها من المعاني التي تناسب الحوادث إذ بقاء هذه بدون تأويل هكذا لا محذور فيه ونكون قد استعملنا الأدب بتسليم علمها لله ورسوله على ما أراد الله ورسوله.

وأما ما ورد مما يفيد ظاهره أن الله تعالى في جهة العلو وجهة الفوق وفي السماء، فهذا يجب تأويله قطعاً، لأن كمال الله تعالى الثابت المحقق من كل الوجوه عقلاً ونقلاً يقتضي جزماً أن لا تحصره تعالى جهة العلو ولا غيرها من الجهات كما لا تحويه سماء ولا أرض ولا شيء من جميع الحادثات، وإذا كان الأمر كذلك فعلم يقيناً أنه ليس المراد المعنى الظاهر من تلك الأحاديث والآيات، وإنما جهة العلو لما كانت أشرف الجهات وكان لا بدّ للعباد من جهة يتوجهون منها إلى معبودهم للعبادات وردّ ما ورد من أوصاف العلوية والفوقية في جانب الله تعالى رحمة للعباد لئلا يضلوا سبيل السداد، وقد قامت الأدلة القطعية الشرعية والعقلية على أنه تعالى لا تحصره جهة العلو ولا غيرها وأن ظاهر تلك النصوص غير مراد، وقد أولها جمهور أئمة الأئمة وفسروها بمعانٍ صحيحة تليق بالله تعالى لم يخرجوا بها عن سبيل الرشاد، ولا يخفى أن هذه العقيدة هي أهم عقائد التوحيد المتعلقة بالله تعالى، فيجب علينا الاهتمام بها إلى أقصى الدرجات، وذلك يقتضي أن لا نقتصر على ما تدركه عقولنا فقط، فإن عقولنا وحدها قاصرة عن إدراك حقائق التوحيد، بل نضيف إلى ما أدركناه بعقولنا ما أدركه من ذلك علماء الأمة من أهل السنّة والجماعة من علماء الظاهر والباطن الذين قضوا أعمارهم بالاشتغال بالعلم وأنواع العبادات والتقوى والزهد في الدنيا حتى نور الله قلوبهم وعلمهم حقائق الأمور الغيبية على ما هي عليه، قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهؤلاء بيقين هم أعلم منا وأفهم منا لمراد الشارع من معاني الآيات والأحاديث المتشابهات وغير المتشابهات، وأعرف منا بما يليق بالله تعالى وما لا يليق من الصفات لكثرة علمهم ووفرة فهمهم وصفاء قلوبهم وصحة إدراكهم وتنوير بصائرهم.

وقد نظرنا فوجدناهم وغيرهم من جمهور الأمة من أهل المذاهب الثلاثة الشافعية والحنفية والمالكية وبعض الحنابلة كالإمام ابن الجوزي ينزهون الله تعالى عن جهة العلو والفوق كما ينزهونه تعالى عن جهة السفل والتحت وباقي الجهات الست لا يعتقدون أنها تحصره جهة من هذه الجهات كما لا تحويه الأمكنة والأزمنة والأرضون والسموات، ويفسرون النصوص التي يدل ظاهرها على أنه تعالى في جهة العلو والفوق بأنه عزّ وجلّ له العلو والفوقية على خلقه بالقهر والغلبة والشرف والعزة لا أنه محصور في تلك الجهة، أو مختص بها دون سائر الجهات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإن الجهات إنما تكون للمخلوقات الحادثات، فكما أنه تعالى ليس لذاته المقدسة جهات ليس هو في جهة أحد من المخلوقات، قد تنزه عن جميع السفليات والعلويات من الأمكنة والأزمنة والأرضين والسموات، وكلها نسبتها إليه تعالى نسبة واحدة، وهي أنها مخلوقاته وهو خالقها أوجدها بعد أن لم تكن من العلم المحض، وهو تعالى كان موجوداً قديماً ولا سماء ولا أرض، وهو عزّ وجلّ قبل خلقها وبعد أن خلقها هو الله القديم العظيم المتصف بكل الكمالات المنزه عن جميع أوصاف الحادثات لم

تتجدد له تعالى بعد خلقها أوصاف لم تكن له قبل أن خلقها، قال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه» زاد بعض العارفين «وهو الآن على ما عليه كان» خلق جميع الأكوان وتقدس سبحانه وتعالى عن المكان والزمان، وإذا كان الأمر كذلك فكيف تختص به تعالى جهة دون جهة؟ ويقال إنه تعالى في جهة العلو والفوق، وهذه الجهات إنما حدثت بعد خلق المخلوقات.

إذا علمت ذلك فقد تبين وظهر ظهوراً جلياً أن هذه العقيدة، وهي تنزيه الله تعالى عن أن تحصره جهة من الجهات العلويات والسفليات هي العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تليق بكمال الله تعالى، وهي عقيدة معظم الأمة المحمدية من أهل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة وساداتنا الصوفية وهي التي تقتضيها الكمالات الإلهية وتؤيدها الإدراكات العقلية والنقلية، ولمن خالفهم وإن قلوا مستند وهو تمسكهم بظواهر النصوص بدون تدقيق ولا تحقيق، ولا تفكر بما يليق بالكمالات الإلهية وما لا يليق، فحكموا عليه تعالى بأنه في جهة العلو وجهة الفوق، ولم يبالوا بأن الجهات إنما هي من أوصاف الحادثات وقبل أن يخلقها تعالى لم يكن هناك جهات إذ لا علويات ولا سفليات ولا شيء وقتئذٍ من المخلوقات حتى تحيط به تعالى الجهات، وأيضاً الجهات هي أمور نسبيات فقد تكون جهة العلو لمخلوق هي جهة السفل لمخلوق آخر، إذ من المعلوم أن الأرض هي كروية وفي سائر جهاتها يوجد مخلوقات، فجهة العلو لقوم منهم هي جهة السفل لقوم آخرين، وكذا أجرام السموات محيطة بالأرض، وكل واحدة منها محيطة بالأخرى من سائر الجهات إلى أن يجمعها جميعها ويحيط بها من سائر جهاتها العرش الأعلى فهو أعظم مخلوقات الله تعالى؛ ومن هنا تعلم حكمة قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] فإذا تأملت في ذلك ولو قليلاً تعلم أن كل جهة علو لأحد من مخلوقات الله في السموات والأرضين من الملائكة والإنس والجن وغيرهم هي جهة سفل لمخلوق آخر، فينتج من هذا أن كل الجهات جهات علو بالنسبة لمن هي جهتهم العلوية، وكلها جهات سفل بالنسبة لمن هي جهتهم السفلية فيقال لأولئك الذين يحصرونه تعالى في جهة العلو بقصد تعظيمه أنتم قصدتم تعظيمه تعالى بجعله في جهة العلو، ولكن ذهب عنكم أن جهة علوكم هذه هي جهة سفل بالنسبة إلى خلق آخرين فيكون في ذلك عدم تعظيم له تعالى بالنسبة إلى أولئك الخلق، وتنزيهكم له تعالى عن جهة السفل لما فيها من عدم التعظيم لا يتمّ لكم لأنها جهة علو بالنسبة إلى غيركم ففيها تعظيم له تعالى من هذه الحيثية.

إذا علمت ذلك تعلم أن الحق الواضح هو ما عليه جمهور الأمة من تنزيه الله تعالى عن جميع الجهات وعن جميع الأمكنة والأزمنة العلويات والسفليات، هكذا يجب أن يعتقد كل مسلم في حق الله تعالى، ويعتقد كما في قواعد العقائد للغزالي أنه تعالى ليس بجسم مصوّر ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات. وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم

الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿وهو على كل شيءٍ شهيد﴾ [سبأ: ٤٧] إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، وأنه بائن من خلقه بصفاته، ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته، وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئيّ الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار، وإتماماً للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم انتهى كلام الغزالي، وهو عقيدتي التي أعتقدها وأدين الله بها وأنزهه سبحانه وتعالى عن سائر الجهات من العلويات والسفليات ولا أضلل تلك الفرقة المعتقدة جهة العلو في جانب الله تعالى تضليلاً يخرجها عن دين الإسلام، بل أخطأوا في ذلك خطأً فاحشاً وخالفوا جمهور الأمة المحمدية من العلماء والفقهاء والصوفية، ومع ذلك فهم لا يعتقدون مع اعتقادهم الجهة الجسمية في جانب الله تعالى وإن كانت من لوازم اعتقاد الجهة لأنه قد ثبت عندهم كسائر أهل السنّة تنزيهه تعالى عن الجسمية وإن قال بذلك بعض الحنابلة منهم، لكنهم اعترضوا عليه، وما نسب من ذلك لابن تيمية لم يصح عنه، ولعله مما دسه عليه بعض أعدائه.

والحاصل أن مذهبهم في اعتقاد الجهة مهما زينوه بظواهر النقول الشرعية من الأيات القرآنية والأحاديث النبوية هو مخالف لما عليه جمهور الأمة المحمدية من أهل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة وجميع الصوفية، وقد فسروا تلك الأحاديث والآيات المتشابهات بمعانٍ تليق بكمال الله تعالى وتنفي عنه الجهات ومشابهة الحادثات، والإمام أحمد بريء من ذلك كما ذكره العلماء وحاشاه ثم حاشاه، وكذلك سيدي عبد القادر الجيلاني قد نفاه عنه أئمة العلماء والصوفية وعقيدته المذكورة في كتابه «الغنية» الموجود فيها ذكر الجهة، قد رأيت سيدي محيي الدين بن العربي ذكرها بنفسها في عقيدته المسماة «عقيدة الخوّاص» وليس فيها لفظ الجهة مع أن نسخة عقيدة الخواص هذه التي رأيتها هي بخط قديم عليه علامات الصحة، وهذا يؤيد ما ذكره الأئمة الأعلام نجم الدين الكردي واليافعي والشعراني وابن حجر من تنزيه سيدي الشيخ عبد القادر عن ذلك، وأن لفظ الجهة مدسوس في كتابه المذكور أو أنه كان في ابتداء أمره، ثم رجع عنه، ولا أقول: لو فرضنا أنه رضي الله عنه كان مذهبه حقيقة اعتقاد الجهة لا يعول عليه ولا يلتفت إليه لمخالفة جمهور الأمة المحمدية من أهل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة: كالإمام بن الجوزي وجميع الصوفية، لأني لو فرضت هذا الفرض في حق سيدنا عبد القادر لكنت كمن فرض أن رجلاً بصيراً قوي البصر ينظر إلى الشمس المشرقة ليس دونها حجاب ولا يراها، فهذا الفرض لا معقول ولا مقبول، فالصواب أن ذلك مدسوس عليه كما قاله أولئك الأئمة الفحول.

وها أنا أشرع بالنقول في هذه المسألة المهمة فأقول:

قال الإمام الغزالي الشافعي في الفصل الثالث من كتاب «قواعد العقائد» من الإحياء: الأصل السابع: العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف، وهذه الجهات هو الذي خلفها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين: أحدهما: يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً، والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى إن النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتاً. وإن كانت في حقنا فوقاً وخلق للإنسان اليدين، وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب، فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يميناً والأخرى شمالاً، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان، ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة. فكيف كان تعالى في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة؟ أو كيف صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن له، أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس، أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت، إذ تعالى عن أن يكون له رجل، والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل، وكل ذلك مما يستحيل في العقل، ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً، فاستحال كونه مختصاً، وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً، وكل محاذ لجسم، فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر، فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء، وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعوّ من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء انتهى.

وقال السيد مرتضى الزبيدي الحنفي في شرحه على الإحياء عند قوله: فاستحال كونه تعالى مختصاً بالجهة، وقال النسفي في شرح العمدة: الصور والجهات مختلفة واجتماعها عليه تعالى مستحيل لتنافيها في أنفسها، وليس البعض أولى من البعض لاستواء الكل في إفادة المدح والنقص وعدم دلالة المحدثات عليه، فلو اختص بشيء منها لكان بتخصيص مخصص وهذا من أمارات المحدث اهـ. وقال السبكي: صانع العالم لا يكون في جهة، لأنه لو كان في جهة لكان في مكان ضرورة أنها المكان أو المستلزمة له ولو كان في مكان لكان متحيزاً ولو كان متحيزاً لكان مفتقراً إلى حيزه ومكانه فلا يكون واجب الوجود وثبت أنه واجب الوجود هذا خلف، وأيضاً فلو كان في جهة فإما في كل الجهات وهو محال وشنيع، وإما في البعض فيلزم الاختصاص المستلزم للافتقار إلى المخصص المنافي للوجوب انتهى.

ثم قال السيد مرتضى:

تنبيه: هذا المعتقد لا يخالف فيه بالتحقيق سنّي لا محدّث ولا فقيه ولا غيره ولم يجيء قط في

الشرع علي لسان نبيّ التصريح بلفظ الجهة. فالجهة بحسب التفسير المتقدم منفية معنى ولفظاً، وكيف لا والحق يقول ﴿ليس كمثله شيء﴾؟ [الشورى: ١١] ولو كان في جهة بذلك الاعتبار لكان له أمثال فضلاً عن مثل واحد. وما نقله القاضي عياض عن أن المحدّثين والفقهاء على الجهة، ليس المعنى ما قام القاطع بخلافه ولم ينقل عن أحد منهم أنه تعالى في جهة كذا تعالى الله عن ذلك لكن لما ثبت سمعاً قرآناً ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] وسنة حيث قال ﷺ للسوداء **«أين الله فأشارت نحو السماء، فقال أعتقها فإنها مؤمنة»** إلى غير ذلك من الظواهر. وكان أصلهم ثبوت المعتقدات من السمع فاعتقدوا أن هناك صفة تسمى بالاستواء على العرش لا تشبه استواء المخلوقين، وصفة أخرى تسمى بفوق: أي فوق عباده: أي العرش ومن دونه الله أعلم بذلك الاستواء، وأعلم بتلك الفوقية بهذا صرح الإمام أحمد بن حنبل على ما نقله عنه المقدسي في رسالة الاعتقاد.

واعلم أن المنظور إليهم إنما هم الأئمة القدوة والعلماء الجلة ولا عبرة بالمقلدة الواقفة مع ظاهر المنقول الذين لم يفرقوا بين المحكم منه والمتشابه. وأما الصوفي فيقول محال أن يكون الباري في جهة إذ تلك الجهة إما أن تكون غيره أولاً، فإن لم تكن غيره فلا جهة، وإن كانت غيره فإما قديمة أو حادثة والجميع باطل قال ﷺ: **«كان الله ولا شيء معه»** وذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي في كتابه «المنتقي في شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرر نفيها. قال ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: **«لا تفضلوني على يونس بن متى»** فقال مالك إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه، لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاع البحر، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل، ولما نهى عن ذلك، ثم أخذ ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لأن العرش في الرفيق الأعلى فهو أفضل من السفلى فالفضل بالمكانة لا بالمكان. هكذا نقلها السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل انتهت عبارة شرح الإحياء للسيد مرتضى.

قلت: وهذا الجواب الذي أجاب به الإمام مالك هو أيضاً منقول عن إمام الحرمين.

وذكر الفخر الرازي في تفسير سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وجوهاً لنفي الجهة عن الله تعالى لا حاجة للإطالة بنقلها هنا ومن شاءها فليراجعها. الخامس منها أنه ثبت أن العالم كرة، وإذا ثبت هذا فالذي يكون فوق رؤوس أهل الريّ يكون تحت أقدام قوم آخرين، وإذا ثبت هذا فإما أن يقال إنه تعالى فوق أقوام بأعيانهم، أو يقال إنه تعالى فوق الكل والأول باطل لأن كونه فوقاً لبعضهم يوجب كونه تحتاً لآخرين وذلك باطل، والثاني يوجب كونه تعالى محيطاً بكرة الفلك فيصير حاصل الأمر إلى أن إله العالم هو فلك محيط بجميع الأفلاك، وذلك لا يقوله مسلم، وأقام الأدلة على أن تلك الفوقية هي الفوقية بالقدرة والقوة لا الفوقية بالجهة.

وقال الإمام شمس الدين محمد بن اللبان المصري الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ في كتابه المؤلف في متشابه القرآن والحديث، واسمه «رد مباني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات» ومن المتشابه صفة الفوقية، وقد جاء بها الكتاب والسنّة كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وقوله

تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وآيات كثيرة وأحاديث كثيرة، وهو معدود من المتشابه وذلك أن كلمة «فوق» كلمة موضوعة لإفادة جهة العلو والله تعالى منزه عن الجهات، وإنما المراد منها حيث أطلقت في حق ربنا سبحانه إفادة العلو الحقيقي لا المكاني، ومما يدل على عدم اختصاصه تعالى بجهة فوق قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله﴾، [البقرة: ١١٥] وقوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه﴾ [ق: ١٦] [الواقعة: ٨٥] الآية وقوله: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ [المجادلة: ٨٢] وآيات كثيرة يطول ذكرها، فلو كان في جهة العلو تعارضت هذه الآيات واختلفت، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢]، وفي مسلم عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» فنفى تقيده بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، والذي يجمع بين الآيات والأحاديث أن تعلم أن العلو له اعتباران: اعتبار إضافي واعتبار حقيقي، فعلوّ المخلوقات بعضها على بعض إنما هو علو إضافي، لأن ما من مخلوق له جهة علوّ إلا وهو متسفل بالنسبة إلى مخلوق آخر هو فوقه إلى ما يشاء الله تعالى، وهذا العلوّ الإضافي قسمان: قسم حسي وهو المفهوم بالنسبة إلى الجهات المكانية المخصوص بالجواهر المفتقرة للحيز. وقسم معنوي وهو المفهوم بالنسبة إلى درجات الكمال العرفاني بأهل القلوب أو الكمال الوهمي لأرباب النفوس. قال الله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ [الإسراء: ٢١] هذا كله في العلو الإضافي وأما العلوّ الحقيقي فإنما هو لله سبحانه وتعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] وعلوّه هذا محقق قبل الجهات والأماكن مفهوم بدون اعتبار النسب والإضافات عام في جميع تجلياته على مخلوقاته بأسمائه وصفاته، وإنما يعرفه ويشهده أرباب البصائر والقلوب. ثم قال رحمه الله تعالى:

تنبيه: إذا أردت أن تحقق أن فوقيته ليست فوقية مكانية، وإنما هي الفوقية الحقيقية بقهر الربوبية للعبودية، فتفكر في أنه تعالى كان ولا شيء معه ولم يتجدد له بخلقه للسموات علوّ ولا بخلقه للأرض نزول ولا بخلقه للعرش استواء، وإنما عن تجلي أسمائه وصفاته نشأت أعداد مخلوقاته غير مماسة له ولا منتسبة إليه بفوق ولا تحت ولا شيء من الجهات. قال الله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى﴾ [الأعلى: ١] فوصفه بالأعلى حال اتصافه بالخلق، فدلّ على أن علوه محقق قبل الخلق، ولذا قال الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الحج: ٧٤] الآية، وصف نفسه آخر الآية بالعلو والتنزيه بعد ذكره قبضه للأرض وطيه للسماء فدلّ على أن علوه علوّ حقيقي لا مكاني، وتأمل قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] مع قول فرعون عن بني إسرائيل ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ [الأعراف: ١٢٧] فهل يفهم أحد أن فرعون ادعى أنه فوق بني إسرائيل بالمكان أو بالجهة، وإنما لما ادعى الربوبية بقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٤] كان من لازم دعواه ادعاء الفوقية اللائقة بالربوبية، وهي الفوقية الحقيقية بالقهر، فلذلك قال: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ [الأعراف: ١٢٧] لا جرم كذبه الله في

الأمرين، فكذبه في قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] بقوله تعالى لموسى: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ [طه: ٦٨] وكذبه في قهره بقوله تعالى: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ [طه: ٧٨]. ثم قال رحمه الله تعالى:

تنبيه: لما ادعى فرعون الربوبية اعتقد الجهة لله سبحانه وتعالى: ﴿قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ [غافر: ٣٦] فرد الله عليه وسخف سوء رأيه بقوله تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ [غافر: ٣٧] أي عدل عن سبيل القرب والدنوّ من إله موسى فإنه منزه عن علو المكان، وإنما يصعد إليه بالكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، أين هو من قول موسى ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ مع أنه لم يبن له صرحاً ولا احتاج في الدنو والقرب إلى صعود السماء، وكذلك إبراهيم حيث جاء ربه بقلب سليم ووهب له لسان صدق عليّ، فكان مجيئه إليه ووصوله وعلوه بسلامة القلب وصدق اللسان، لا بالتسور والصعود للمكان. انتهى ما اخترت نقله من كلام ابن اللبان، ومن أراد الزيادة فليراجعه.

وقال الإمام الجليل عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه «نشر المحاسن» وسئل، يعني أبو بكر الشبلي عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: من زعم أن الله سبحانه في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك بالله تعالى، إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان في شيء لكان محدثاً، وهذا القول صريح في نفي الجهة عن خالق الجهات المتعالي عن الحركات والسكنات وسائر سمات المخلوقات. وقيل للشيخ يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه: أخبرنا عن الله تعالى؟ فقال إله واحد، قيل له فكيف هو؟ فقال: ملك قادر، فقيل أين هو؟ قال بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته تعالى فما أخبرت عنه. وقال الشيخ أبو الغيث بن جميل اليمني رضي الله عنه: ليس لذات الله تعالى أمام ولا خلف ولا فوق ولا تحت ولا ميمنة ولا ميسرة بحال. وقال الشيخ أبو عثمان المغربي: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا بمكة أني أسلمت جديداً. ثم قال اليافعي وقد سمعت في المنام وأنا في بعض السياحات ناساً يتجادلون في الاعتقاد في مسألة الجهة وإذا واحد منهم يقول إن لم يكن جهة فليس للوجود صانع، تعالى الله عن ذلك القول ثم بعد ذلك سمعت صوت إنسان يعاقب ثم جاءنا ناس فسألت بعضهم عن ذلك الذي يصرخ من هو؟ فأخبروني أنه الشخص المعتقد الجهة الذي قال القول المذكور، ثم رأيت كأني في طريق واسع وإذا قد دهمني جند كأنهم عسكر سلطان ركبان على خيل وحدها أو معها هجان وهم يمسكون الناس ويمتحنونهم في اعتقادهم فداخلني منهم خوف وخشيت أن يمسكوني، فمروا بجنبي وقالوا لي: اثبت على اعتقادك فأنت على الحق، ولم يتعرضوا لي بمكروه فذهب عني الروع، ثم ذهبوا فرأيت بقربي بئرين وخضرة كالبساتين أو المزارع هناك، وإذا إنسان يقول: هذا بئر فلان وذكر بعض العلماء، ثم قال حسبت أنها أوسع أو قال أغزر ماء من البئر الأخرى وأشار إلى أنه أخطأ في وهمه، ثم استيقظت ففكرت في منامي ففهمت

إشارات إلى أشياء في المنام المذكور تركت ذكرها هنا وبقيت متحيراً في إشارة البئرين ونسبة إحداهما إلى الرجل المذكور اختصاصه بها من بين الناس وظنه أنها خير من البئر الأخرى، ثم ذكرت بعد ساعة أن الشخص المذكور باعتقاد الجهة مشهور مخالف للجمهور ففهمت عند ذلك معنى ذلك.

وقال اليافعي أيضاً: وأخبرني بعض الفقراء من الصوفية أرباب الإشارات أنه اجتمع بجماعة من معتقدي الجهة وذكر لهم بعض الناس في معرض المدح له، فقالوا له ذلك أشعري. قال: فدخل في نفسي شيء فرأيت النبي ﷺ في تلك الليلة في المنام فقلت له: يا رسول الله ما تقول في فلان؟ فقال ﷺ أنا وهو يوم القيامة كهاتين وأشار بأصبعيه. قال اليافعي: وأخبرني أيضاً أنه ﷺ رأى في يده كتاباً من تأليف الشخص المذكور مشتملاً على العقيدة المذكورة يعني عقيدة الأشعري فأجازه ﷺ روايته في منام آخر مبارك طويل. قال اليافعي: وأخبرني أيضاً بعض الأولياء أهل النور والحال المشهور أنه رأى النبي ﷺ سمى ذلك الشخص صاحب العقيدة المذكورة شيخاً ورعاً ودعا له بالتوفيق وأوصاه بوصية وقال لبعض أصحابه من الفقراء والفقهاء: أوصيكم بما أوصيت به إمامكم وذلك أيضاً في منام مبارك طويل.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: قد أراد اليافعي في هذه المنامات نفسه فإنه هو الذي رئي له هذا الخير العظيم، وهو أشعري العقيدة، وهو مؤلف الكتاب المشتمل عليها الذي أجاز به النبي ﷺ في المنام ذلك الرائي كما صرح اليافعي بذلك في آخر كتابه هذا «نشر المحاسن».
ونص عبارته: أخبرني يعني بعض الصالحين أنه رأى في المنام في ليلة الجمعة في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٦ كأنّ في يده كتابي المسمى بكتاب «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين» وإذا بالنبي ﷺ قد أقبل فأخذ الكتاب المذكور من يده بيده الكريمة، ثم قال له اقرأه عليّ. قال فقرأت عليه مقدار ثلاث ورقات وصفحة، ثم قال لي ﷺ أذنت لك أن ترويه عني. قال ثم كتب لي بيده المباركة في أول ورقة منه الإجازة بذلك. قال اليافعي: وقد أذن لي السيد المذكور أن أروي عنه كتابي المذكور كما أذن له رسول الله ﷺ بذلك. انتهت عبارته.

ومنها يعلم أنه هو صاحب العقيدة الأشعرية الذي قال فيه ﷺ في المنام المذكور أولاً: أنا وهو يوم القيامة كهاتين وأشار بأصبعيه. ومدحه في المنام الثاني بأنه شيخ ورع ودعا له بالتوفيق رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته. ثم قال الإمام اليافعي: قد أشرت في هذا الكتاب إلى موافقة الحقيقة للشريعة وذكرت شيئاً من أقوال علمائها المصرحة باتفاقهما. قال اليافعي رحمه الله تعالى: فإذا علم جميع ما ذكرته من أقوال الفريقين المصرحة باتفاق الطريقين، فاعلم أنه قد اشتهر عن بعض الأكابر، وهو الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أنه كان يعتقد الجهة، وقد استغرب هذا منه وعد شاذاً في ذلك عن أئمة المشرق كما عد الإمام ابن عبد البرّ رضي الله تعالى عنه شاذاً في ذلك عن أئمة المغرب، لكن قد أخبر الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشهير نجم الدين الأصفهاني رضي الله تعالى عنه أن الشيخ الإمام العارف بالله تعالى المشهور عبد القادر الجيلاني المذكور رضي الله تعالى عنه رجع آخراً عما كان يعتقده أولاً، ذكر ذلك لما بلغه أن الإمام تقيّ الدين بن دقيق العيد رضي الله تعالى عنه

تعجب من السيد عبد القادر الجيلاني في اعتقاده للجهة مخالفاً للجمهور. قال اليافعي بعد ما ذكر: قلت ومثل الشيخ نجم الدين الأصفهاني إذا أخبر فعلى الخبير سقط المخبر إذ هو من أهل الاطلاع ظاهراً وباطناً لكونه من أهل النور والكشف المشهور وكون العراق له وطناً وصحبته المشايخ هنالك والعلماء، وأخبرني بالرجوع عن الاعتقاد المذكور غير واحد من أصحاب الشيخ نجم الدين ممن لا أشك والله في صدقهم، ثم ذكر اليافعي كلاماً طويلاً في توحيد الله تعالى وتمجيده لسيدي عبد القادر الجيلاني ينفي عنه ما نسب إليه من الاعتقاد المذكور، وقال في آخره فهذا كلامه رضي الله تعالى عنه محتوياً على التوحيد والتنزيه مصرحاً بنفي التجسيم والتشبيه مفصحاً بكون الحق تعالى لم ينتقل إلى مكان ولم يتغير عما عليه كان.

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي كما في الفتاوى الحديثة، وهذه عبارتها: سئل رضي الله عنه ونفعنا به في عقائد الحنابلة ما لا يخفى على شريف علمكم، فهل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كعقائدهم؟، فأجاب بقوله عقيدة إمام السنّة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنان متقلبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه وبوأه الفردوس الأعلى من جنانه موافقة لعقيدة أهل السنّة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً من الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق ما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه فلعن الله من نسب ذلك إليه أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برأه الله منها وقد بين الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المبرئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة أن كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان، وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه، فاعلم ذلك فإنه مهم، وإياك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما، وإياك أن تغتر أيضاً بما وقع في الغنية لإمام العارفين وقطب الإسلام والمسلمين الأستاذ عبد القادر الجيلاني فإنه دسه عليه فيها من سينتقم الله منه، وإلا فهو بريء من ذلك، وكيف تروج عليه هذه المسألة الواهية مع تضلعه من الكتاب والسنّة وفقه الشافعية والحنابلة حتى كان يفتي على المذهبين، هذا مع ما انضم لذلك من أن الله منّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة وما أنبأ عنه وما ظهر وتواتر من أحواله، ومنه ما حكاه اليافعي رحمه الله وقال: مما علمناه بالسند الصحيح المتصل أن الشيخ عبد القادر الجيلاني أكل دجاجة ثم لما لم يبق غير العظم توجه إلى الله في إحيائها فأحياها الله إليه وقامت تجري بين يديه كما كانت قبل ذبحها وطبخها، فمن امتن الله عليه بمثل هذه الكرامات الباهرة يتصور أو يتوهم أنه قائل بتلك القبائح التي لا يصدر مثلها إلا ممن استحكم فيه الجهل بالله وصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ [النور: ١٦]. ومما يقطع به كل عاقل أن الشيخ عبد القادر لم يكن غافلاً عما في رسالة القشيري التي سارت بها الركبان. واشتهرت بين سائر المسلمين. سيما أهل التحقيق والعرفان، وإذا لم يجهل ذلك فكيف يتوهم فيه هذه العقيدة القبيحة الشنيعة؟، وفيها عن بعض رجالها أئمة القوم السالمين عن كل محذور ولوم، وهو أبو عثمان المغربي أنه قال: كان في نفسي شيء من حديث الجهة،

فلما زال ذلك عني كتبت إلى أصحابنا أني قد أسلمت الآن؛ فتأمل ذلك واعتن به لعلك توفق للحق إن شاء الله تعالى وتجري على سنن الاستقامة، ولم نعلم أحداً من فقهاء الشافعية ابتلى بهذا الاعتقاد الفاسد القبيح الذي ربما أدى إلى الكفر والعياذ بالله إلا ما نقل عن العمراني صاحب البيان ولعله كذب عليه أو أنه تاب منه قبل موته بدليل أن الله تعالى نفع بكتبه شرقاً وغرباً، ومن على ذلك الاعتقاد لا ينفع الله بشيء من آثاره غالباً، انتهى كلام الإمام ابن حجر، وقد حذفت منه ذمه لابن تيمية وابن القيم وتضليله إياهما بعباراته الشديدة، وإن لم يفعل ذلك إلا غيرة على الدين ونصيحة للمسلمين. وقال رحمه الله تعالى في فتاويه الحديثية أيضاً في جواب آخر.

واختلف في تأويل حديث السوداء، وهي التي سألها رسول الله ﷺ «أين الله؟ فقالت في السماء، فقال أعتقوها فإنها مؤمنة» فقال المازري: أراد ﷺ أن يطلب دليلاً على أنها موحدة، فخاطبها بما يفهم من قصدها، لأن علامة الموحدين التوجه إلى السماء عند الدعاء وطلب الحوائج، فإن من كان يعبد الأصنام يطلب حوائجه منها، ومن يعبد النار يطلب حوائجه منها أيضاً، فأراد ﷺ الكشف عن معتقدها: أهي مؤمنة أم لا؟ فأشارت إلى الجهة التي يقصدها الموحدون انتهى.

وذكر الإمام الشعراني في المبحث السابع من «اليواقيت والجواهر» أنه رأى في كتاب «البهجة» المنسوبة لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه القول بجهة العلو في جانب الله تعالى، وقال: لا أدري أذلك الكلام دس على الشيخ في كتابه أو وقع ذلك في بدايته ورجع عنه لما دخل في الطريق، فإن من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى أنه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الأرض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعاً، وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى أنه لا يلزم من قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ أن يكون تعالى في جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ [الأنعام: ٣] ظرفية تليق بجلاله.

وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وإن كان السجود في أسفل سافلين وأما قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] أي يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذاباً من فوق رؤوسهم هذا هو الاعتقاد الحق اهـ. وأطال الكلام على نحو ذلك في المبحث الثامن، فمما قاله فيه: فإن قيل: فما الحكمة في سؤال رسول الله ﷺ الجارية التي شكوا في إسلامها وأرادوا عتقها بالأينية حين قال لها: «أين الله؟ فأشارت إلى اسماء فقال مؤمنة ورب الكعبة» مع أنه ﷺ يعلم قطعاً استحالة الأينية على الباري جل وعلا، فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين وثلاثمائة أنه ﷺ ما سأل الجارية بالأينية إلا تنزلاً لعقلها، والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطأ في ألسنة العالم. قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [إبراهيم: ٤] ثم إن التوطأ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه في نفسها، وقد لا يكون، والشارع ﷺ تابع له في ذلك تنزلاً لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه، وقد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق تعالى في أينية، ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطأ التي عليه أمته؛ فقال للجارية «أين الله» ولو أن غير رسول ﷺ قال ذلك لجهله الدليل العقلي فإنه تعالى لا أينية له في نفسه، وإنما الإنسان لقصور إدراكه لا يشهد الحق تعالى إلا في أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك إلا

إن أمده الله بنور الكشف، فلما قالها ﷺ للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا أنه لم يكن في قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها إلا بحسب ما تصورته في نفسها، ولو أنه ﷺ كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها القبول، فكان من حكمته ﷺ أن سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال ﷺ في الجارية لما أشارت إلى السماء «إنها مؤمنة» أي مصدقة بوجود الله في السماء كما قال تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ [الأنعام: ٣] انتهى كلام الشعراني في «اليواقيت والجواهر». وقال رضي الله عنه «في المنن الكبرى».
ومما من الله تبارك وتعالى به على عدم قولي بالجهة في جانب الحق تبارك وتعالى من حين كنت صغير السن عناية من الله سبحانه وتعالى بي لا بسلوك على يد شيخ من الأشياخ، وقد هلك في هذا الأمر خلائق لا يحصون، فغلب وهمهم على عقلهم وظنوا أن الحق تبارك وتعالى في جهة العلو فقط، وغاب عن هؤلاء نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] وقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» فإن في هذه الآية والحديث تصريحاً بعدم تحيز الحق تبارك وتعالى في جهة دون أخرى. أي فكما تطلبونه في العلو فاطلبوه كذلك في السفل وخالفوا وهمكم، وإنما جعل الشارع ﷺ حال العبد في السجود أقرب من ربه دون القيام مثلاً لأن من خصائص الحضرة أن لا يدخلها أحد إلا بوصف الذل والانكسار. فإذا عفر العبد محاسنه في التراب كان أقرب في مشهده من ربه من حالة القيام، فالقرب والبعد راجع إلى شهود العبد ربه، لا إلى الحق تبارك وتعالى في نفسه، فإن أقربيته واحدة، قال تبارك وتعالى في حق المحتضر: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [الواقعة: ٨٥] وقال عزّ وجلّ: ﴿ونحن أقرب إليه﴾ [الاقعة: ٨٦] أي الإنسان ﴿من حبل الوريد﴾ [قٓ: ١٦] وأخبر أنه يحول بين المرء وقلبه.

فإياك وما تراه في كتب القائلين بالجهة من الأحاديث المشعرة بالجهة عند ضعفاء العقول فإنها كلها مؤولة. وكان صورة ما وقع لي وأنا صغير أني تفكرت يوماً في الله عزّ وجلّ فقسته على ما أتعقله، ثم صرفته بـ ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] وبقولهم كل شيء خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وبقولهم: حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وإنه مباين لخلقه في سائر الأحوال، فذهب عني تعقل الجهة في حق الباري جل وعلا جملة واحدة، فيا لها معرفة ما ألذها، وكأنني خرجت من السجن إلى الفضاء الواسع.

ثم إني عرضت ذلك على سيدي علي المرصفي رضي الله عنه وأرضاه: فقال: هذه عناية عظيمة حصلت لك وإن شاء الله تعالى يزيدك تأييداً فنمت فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لي: أخرج من حيطة العرش إلى خارجه بعقلك وانظر تجد الوجود الجثماني كله من العلويات والسفليات كالقنديل المعلق في الهواء بلا علاقة، فإن صعد أبد الآبدين لا يجد جسماً آخر يتعلق به وإن أهبط أبد الآبدين لا يجد أرضاً يستقر عليها، فخرجت بعقلي كما ذكر، فعلمت سعة عظمة الله تبارك وتعالى وزال عني توهم الجهة من ذلك اليوم، وجمعت في ذلك المشهد بين شهود نفسي في مكانين، فإن كنت داخل العرش بيقين، وأرى نفسي خارجه بيقين، فبينما أنا واقف كذلك إذا جاء طير أبيض طويل العنق ففتح فاه والتقط الوجود الجثماني كله وطار به فصرت أرى نفسي في حوصلته وأنا خارجها، ثم

جاءت ناموسة صغيرة ففتحت فاها والتقطت الطائر بما حواه وغابت عن العين، فقصصت ذلك على سيدي علي المرصفي رضي الله تعالى عنه، فقال الآن قد خرجت من الورطة كلها. ثم قال لي: كلما اتسعت معرفتك بالله تعالى كلما صغر الوجود في عينك، فإنك رأيت أولاً العرش عظيماً، ثم اتسعت معرفتك باتساع الوجود فصغر العرش في عينك عن المشهد الأول ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الطائر الذي هو أصغر من العرش، ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الناموسة إذ الوجود المحصور بالنسبة لغير المحصور كالينابيب التي في الكوة التي في عين الشمس تراها صاعدة وهابطة وإذا قبضت بيدك عليها لم ترَ في يدك شيئاً، وكذلك قصصت هذا الأمر على سيدي الشيخ نور الدين علي الشوني رضي الله تعالى عنه، فقال لي هكذا وقع لي ورأيت الوجود كذرة في الجو.

ثم لما اجتمعت بسيدي علي الخواص رضي الله عنه حكيت له هذه الحكاية، فقال صحيح هذا بالنسبة إلى التوحيد، وإلا فالوجود كله عظيم من حيث إنه من شعائر الله تبارك وتعالى؛ وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] فلا يزال العبد إذا وصل إلى شهود الوجود في عينه كالذرة تكبر عنده أفراد الوجود شيئاً فشيئاً حتى يرجع إلى الحالة الأولى التي كانت له قبل الترقي ويصير يعظم الوجود بتعظيم الله تبارك وتعالى ويحقره بتحقير الله تبارك وتعالى إذ ليس المؤمن كالمنافق ولا الكبش كالكلب. وحاصل المراد من ذلك كله أن الموجودات من حيث إيجادها تتلاشى في جنب معلومات الله، وأما من حيث مراتبها، فما عظمه الله تعالى وجب تعظيمه وما حقره وجب تحقيره على حد ما نفهم تكليفنا به، فعلم أن كل من توهم أن الله تبارك وتعالى تأخذه الجهات فليس له في مقام المعرفة نصيب، وإنما هو كالمجسم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، انتهت عبارة الإمام الشعراني في المنن.

وقال رضي الله عنه في كتابه «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر» وقال، يعني سيدي محيي الدين في الباب السبعين وثلاثمائة: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بدّ للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً. ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلاً لعقولهم، ولولا ذلك لبقي العبد حائراً لا يدري أن يتوجه بقلبه، وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة، وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] وبقوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» وبقوله ﷺ: «إن الله في قبلة أحدكم».

وحاصله أن الله خلق الأمور كلها للمراتب لا للأعيان، والله أعلم. ثم قال الشعراني وقال في الباب الخامس والثمانين وثلاثمائة في قوله ﷺ للسوداء: «أين الله»: اعلم أنه قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق تعالى في أينية، ولكن الشارع ﷺ لما علم أن الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تعقل موجدها إلا على ما تصورته في نفسها خاطبها بذلك ولو أنه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول، فكان من حكمته ﷺ أن سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة، ولذلك لما أشارت إلى السماء قال فيها «إنها مؤمنة» يعني مصدقة بوجود

الله، ولم يقل إنها عالمة لأنها صدقت قول الله تعالى: ﴿وهو الله في السموات﴾ [الأنعام: ٣] ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء، فعلم أن للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلاً لعقله، والجاهل لا يقدر على صحبة العالم بغير تنزل.

قال: وإيضاح ما قررناه في الأينية أن الشرائع كلها إنما نزلت بحسب ما وقع عليه التواطأ في ألسنة الأمم، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [ابراهيم: ٤] ثم إن التواطأ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه، وقد لا يكون، والحق تعالى تابع لهم في ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وما وعد به وأوعد عليه، فما جاء الشارع بلفظ الأينية في حق الحق إلا من أجل التواطأ الذي عليه لسان المرسل إليهم. قال ولو أن غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فإنه لا أينية لله تعالى، فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا أنه تنزل للجارية، والله أعلم. ثم قال: وقال، يعني سيدي محيي الدين: لا يلزم من الإيمان بالفوقية للحق تعالى الجهة ولا إلزام الشبه الجهة ما وردت، والفوقية قد ثبتت. فانظر ماذا ترى، وكن مع أهل السنّة من الورى انتهى.

ثم بعد كتابتي ما تقدم في هذا الشأن رأيت في أواخر فتاوى الإمام شهاب الدين الرملي الشافعي جواباً مطولاً في هذه المسألة المهمة حقق فيه استحالة الجهة على الله تعالى، ونقل ذلك عن كثير من الأئمة الفحول، وها أنا أذكره هنا باختصار قليل وإن كرر بعضه مع ما تقدم. قال رحمه الله تعالى: مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ما عدا من سيأتي، أن هذا القول وهو أن الله تعالى بجهة العلو غير صحيح كما هو مقرر في كتب الكلام مبسوطاتها ومختصراتها، وقد رووه بأدلة كثيرة لا يحتملها هذا الجواب. قال الإمام العالم العلامة عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي في كتابه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» سئل يحيى بن معاذ الرازي، فقيل له أخبرنا عن الله تعالى، فقال إله واحد، فقيل له كيف هو؟ فقال إله قادر، قيل أين هو؟ قال بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته تعالى فالذي أخبرت عنه.

وسئل بعض العارفين عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] فقال: الحق سبحانه وتعالى عرفنا بهذا القول من هو: ما عرفنا ما هو، لأنه لا يعرف ما هو إلا هو، وقيل لصوفيّ أين الله؟ فقال: قبحك الله هل يطلب مع العين أين؟ قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤]، وسئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال الرحمن لم يزل، والعرش محدث فالعرش بالرحمن استوى.

وسئل ذو النون عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه، موجود بذاته والأشياء كلها موجودة بحكمه كما شاء وسئل الإمام أحمد عن الاستواء فقال استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر. وسئل الإمام الشافعي عن الاستواء، فقال آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك.

وقال الإمام أبو حنيفة: من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض، فقد كفر، لأن هذا القول يوهم أن للحق تعالى مكاناً فهو مشبه.

وسئل الإمام مالك عن الاستواء؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وروي أنه قال للسائل بعد ذلك: فلا أراك إلا خارجياً، أخرجوه عني، وهذا الذي ذهب إليه الأئمة الأربعة فلا خلاف بينهم في ذلك، ومن توهم أن بين أحد من الأئمة اختلافاً في صحة الاعتقاد فقد أعظم الفرية على أئمة الأمة، وساء ظنه بأئمة المسلمين، وقد سئل مصباح التوحيد، وصباح التفريد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: بم عرفت ربك؟ فقال عرفت ربي بما عرفني به نفسه، لا يدرك بالحواس. ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال تحته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال أمامه شيء، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء، فسبحان من هو كذا وليس كذا غيره ا هـ وما ورد في الكتاب والسنّة مما ظاهره القول بالجهة مصروف عن ظاهره للأدلة العقلية القاطعة بخلافه.

وعبارة الطوالع للبيضاوي: الله تعالى ليس بجسم خلافاً للمجسمة، ولا في جهة خلافاً للكرامية والمشبهة. لنا أنه تعالى لو كان في جهة وحيز، فإما أن ينقسم فيكون جسماً وكل جسم مركب ومحدث لما سبق فيكون الواجب مركباً ومحدثاً، هذا خلف، أولاً ينقسم فيكون جزءاً لا يتجزأ، وهو محال بالاتفاق، وأيضاً فإنه تعالى لو كان في حيز وجهة لكان متناهي القدر كما سبق فكان محتاجاً في تقديره إلى مخصص ومرجح، وهو محال ا هـ.

وقال الإمام النسفي في شرح عمدته: صانع العالم ليس في جهة خلافاً لبعض الكرامية، فإنهم يعينون له جهة العلو من غير استقرار على العرش، وليس متمكناً بمكان، وعند المشبهة والمجسمة والكرامية متمكن على العرش.

وقال الكمال بن الهمام في المسايرة التي اختصر فيها الرسالة القدسية لحجة الإسلام الغزالي الأصل السابع: أنه تعالى ليس مختصاً بجهة، لأن الجهات التي هي الفوق والتحت واليمين إلى آخرها حادثة بإحداث الإنسان ونحوه مما يمشي على رجلين، فإن معنى الفوق ما يحاذي رأسه من فوق والباقي ظاهر، ولما يمشي على أربع أو بطنه ما يحاذي ظهره من فوقه، ثم هي اعتبارية، فإن النملة إذا مشت على سقف كان الفوق بالنسبة إليها جهة الأرض لأنه المحاذي لظهرها، ولو كان كل حادث مستديراً كالكرة لم توجد واحدة من هذه الجهات، وقد كان في الأزل ولم يكن شيء من الموجودات، فقد كان لا في جهة، ولأن معنى الاختصاص بالجهة اختصاصه بحيز هو كذا، وقد بطل اختصاصه بالحيز لبطلان الجوهرية والجسمية، فإن أريد بالجهة غير هذا مما ليس فيه حلول حيز ولا جسمية فليبين حتى ينظر أيرجع إلى التنزيه فنخطئه في مجرد التعبير، أو إلى غيره فيبين فساده.

الأصل الثامن: أنه استوى على العرش مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام على الأجسام في التمكن والمماسة والمحاذاة لها بل بمعنى يليق به سبحانه وتعالى وحاصله وجوب الإيمان بأنه استوى على العرش مع نفي التشبيه، فأما كون المراد أنه استيلاؤه على العرش فأمر جائز بالإرادة إذ لا دليل على إرادته عيناً، فالواجب علينا ما ذكرناه ا هـ.

وقال الغزالي في الرسالة القدسية: وأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة

للدعاء، وفيه إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على جهة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجود بالعظمة والاستعلاء والقهر والاستيلاء ا هـ.

وقال إمام الحرمين في كتابه «لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنّة»: الرب سبحانه وتعالى تقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة، لا تحده الأفكار ولا تحويه الأقطار ولا تكتنفه الأقدار، ويجل عن قبول الحد والمقدار، والدليل على ذلك أن كل مختص بجهة شاغل لها، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، ولك ما يقبل الاجتماع والافتراق لا يخلو عنهما، وما لا يخلو عن الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر، وأطال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرحها الكلام على ذلك إلى أن قال: والجواب الجملي عن الجميع: أي جميع الأدلة النقلية التي استند إليها مثبتو الجهة أن الشرع إنما يثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده، فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل معاً.

إذا تقرر هذا فنقول: كل لفظ يرد في الشرع في الذات والأسماء والصفات بما يوهم خلاف العقل فلا يخلو إما أن يكون آحاداً أو متواتراً، فإن كان آحاداً وهو نص لا يحتمل التأويل قطعنا بتكذيب ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهراً فالظاهر منه غير مراد، وإن كان متواتراً فلا يتصور أن يكون نصاً لا يحتمل التأويل فلا بدّ أن يكون ظاهراً أو محتملاً، فحينئذٍ نقول الاحتمال الذي دل العقل على خلافه ليس بمراد منه، فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان أو أكثر فلا يخلو إما أن يدل قاطع على تعيين واحد أولاً فإن دل حمل عليه وإن لم يدل قاطع على التعيين لم يفسر خشية الإلحاد في الأسماء والصفات كما نقل عن بعض السلف، ويعزى إلى مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ بمعنى أن محامل الاستواء في اللغة معلومة بعد نفي الاستقرار من القهر أو الغلبة أو القصد إلى خلق شيء هو العرش كما قال: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت: ١١] أي قصد إلى خلقها، أو التناهي في صفات الكمال، كقوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ [القصص: ١٤] يعني أن كل هذه المحامل معلومة في اللسان. قوله: والكيف مجهول: أي لنا. قوله: والإيمان به واجب: يعني أن التصديق بأن له معنى يصح في وصفه تعالى واجب. قوله: والسؤال عنه بدعة، يعني أن تعيينه بطريق الظنون بدعة، فإنه لم يعهد من الصحابة التصرف في أسماء الله تعالى وصفاته بالظنون وحيث عملوا بالظنون إنما عملوا بها في تفاصيل الأحكام الشرعية لا في المعتقدات الإيمانية، ومنهم من جوز التعيين بالإجتهاد دفعاً للخبط في العقائد، وهو مذهب صاحب الكتاب، ثم حكى التأويلات إلى أن قال: فإن قالوا جميع ما ذكرتموه تأويل والتأويل ممنوع منه. قلنا: قد أولتم قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧] الآية، وقوله ﷺ: «**قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**»، وقوله ﷺ: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض**» فحملتم المعية في الآيتين على معية العلم والإحاطة والمشاهدة كما قال تعالى لموسى وأخيه: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦]، وحملتم قوله: «**الحجر الأسود يمين الله في أرضه**»: أي محل عهده الذي أخذ منه الميثاق على بني آدم، فإن صح منكم تأويل ذلك لمخالفته العقل فيجب

تأويل ما تمسكتم به كذلك. قالوا أولنا ذلك، لأنه خلاف ضرورة العقل، وما صرتم إليه محتاج إلى نظر العقل، وهو حرام أو بدعة قلنا لا بدّ من الاعتراف بصدق نظر العقل وإلا لم يثبت لكم شرع تسندون إليه شيئاً من المعارف والأحكام. فإن قالوا يجب الوقوف على قوله إلا الله وتكون الواو للاستئناف وليست عاطفة وحظ الراسخين في العلم الإيمان به. قلنا: الإيمان به واجب على عموم المؤمنين فلا يبقى لوصفهم بالرسوخ في العلم وأنهم أولوا الألباب فائدة، بل الراسخ في العلم ذو اللب يعلم الوجه الذي يشابه الباطل فينفيه، والوجه الذي يشابه الحق فيثبته كقوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩ صۤ: ٧٢] متردد بين البعضية، وهو باطل فينفيه وبين إضافة التشريف والتعظيم، وهو حق فيثبته ا هـ.

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد: وأما القائلون بحقيقة الجسمية والجهة فقد بنوا مذهبهم على قضايا وهمية كاذبة تستلزمها، وعلى ظواهر آيات وأحاديث تشعر بها، ثم ذكرها وجواب تلك القضايا إلى أن قال: والجواب أي عن الآيات والأحاديث أنها أي معانيها الظاهرة ظنيات سمعية في معارضة قطعيات عقلية، فيقطع بأنها ليست على ظواهرها، ونفوض العلم بمعانيها إلى الله تعالى مع اعتقاد حقيتها جرياً على الطريق الأسلم الموافق للوقف على الله في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران: ٧] أو تؤول تأويلات مناسبة موافقة لما دلت عليه الأدلة العقلية على ما ذكر في كتب التفسير وشروح الحديث سلوكاً للطريق الأحكم الموافق للعطف في قوله تعالى: ﴿إلا الله والراسخون في العلم﴾ [آل عمران: ٧]. فإن قيل: فإذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك، وتحقيقه كما كررت الدلالة على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرته وحقيقة المعاد وحشر الأجسام في عدة مواضع: وأكدت غاية التأكيد مع أن هذا أيضاً حقيق بغاية التأكيد والتحقيق لما تقرر في فطرة العقلاء مع اختلاف الأديان والآراء من التوجه إلى العلو عند الدعاء ورفع الأيدي إلى السماء. أجيب بأنه لما كان التنزيه عن الجهة مما يقصر عنه عقول العامة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة، كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب إلى صلاحهم والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة في التنزيه المطلق عما هو من سمات الحدوث، وتوجه العقلاء إلى السماء ليس من جهة اعتقادهم أنه في السماء، بل من جهة أن السماء قبلة الدعاء ومنها تتوقع الخيرات والبركات وهبوط الأنوار ونزول الأمطار ا هـ.

وقال بعضهم ليس في ذلك دليل على كونه في الجهة، وهذا لأنهم أمروا بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة، وليس هو في جهة الكعبة، وأمروا برمي أبصارهم إلى موضع سجودهم حالة القيام في الصلاة، وليس هو في الأرض، وكذا حال السجود أمروا بوضع الوجوه على الأرض، وليس هو تحت الأرض فكذا هنا، بل تعبد محض وخضوع وخشوع؛ وقيل إن العرش جعل قبلة للقلوب عند الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة الأبدان في الصلاة. وعبارة المواقف للعضد أنه تعالى ليس في جهة، وخالف فيه المشبهة خصصوه بجهة الفوق. لنا وجوه: الأول لو كان في مكان لزم قدم المكان، وقد برهنا أن لا قديم سوى الله تعالى وعليه الاتفاق. الثاني المتمكن يحتاج إلى مكان، والمكان مستغنٍ عن

المتمكن لجواز الخلاء، فلزم إمكان الواجب ووجوب المكان وكلاهما باطل. الثالث لو كان في مكان: فإما أن يكون في بعض الأحياز أو جميعها، وكلاهما باطل.

يها الأول: فلتساوي الأحياز في أنفسها ونسبته إليها، فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحاً بلا مرجح، أو يلزم الاحتياج إلى الغير. وأما الثاني فلأنه يلزم تداخل المتحيزين وأنه محال بالضرورة. الرابع لو كان متحيزاً لكان جوهراً، فإما أن لا ينقسم أو ينقسم، وكلاهما باطل.

أما الأول: فلأنه جزء لا يتجزأ وهو أخس الأشياء، تعالى الله عن ذلك. وأما الثاني فلأنه يكون جسماً وكل جسم مركب، وقد مر أنه ينافي الوجوب. وأيضاً فقد بينا أن كل جسم محدث فيلزم حدوث الواجب، وأطال الكلام على ذلك إلى أن قال: فالجواب، أي عن الظواهر الموهمة للتجسم من الآيات والأحاديث أنها ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات، كيف؟ ومهما تعارض دليلان وجب العمل بهما ما أمكن، فنؤول الظواهر: إما إجمالاً ونفوض تفصيلها إلى الله كما هو رأي من يقف على «إلا الله» وعليه أكثر السلف كما روي عن أحمد: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والبحث عنها بدعة. وإما تفصيلاً كما هو رأى طائفة، فنقول: استواء الاستيلاء، نحو: قد استوى بشر على العراق. والعندية بمعنى الاصطفاء والإكرام كما يقال: فلان قريب من الملك ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمره، و﴿إليه يصعد الكلم﴾ [فاطر: ١٠] أي يرتضيه، فإن الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال ﴿من في السماء﴾ [الملك: ١٧] أي حكمه وسلطانه، أو ملك من الملائكة موكل بالعذاب وعليه فقس سائر الآيات والأحاديث اهـ. وقال السيد في شرحها: فالعروج إليه هو العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعة فيه وإتيانه في ظلل إتيان عذابه، والدنو هو قرب الرسول إليه بالطاعة والتقدير ﴿بقاب قوسين﴾ [النجم: ٩] تصوير المعقول بالمحسوس والنزول محمول على اللطف والرحمة وترك ما يتصور عن عظم الذات وعلو المرتبة على سبيل التمثيل، وخص بالليل لأنه مظنة الخلوات وأنواع الخضوع والعبادات اهـ؛ ومعنى ﴿ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥] إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي.

وقال حجة الإسلام الغزالي في كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» إنه تعالى ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم قطعاً استحالة الجهة على غير الجواهر والأعراض، إذ الحيز معقول وهو الذي يختص الجوهر به، ولكن الحيز إنما يصير جهة إذا أضيف إلى شيء آخر متحيز. فإن قيل نفي الجهة مؤد إلى محال، وهو إثبات موجود تخلو عنه الجهات الست، ويكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه وذلك محال. قلنا: مسلم أن كل موجود يقبل الاتصال، فوجوده لا منفصلاً ولا متصلاً به محال، وأن كل موجود يقبل الاختصاص بجهة، فوجوده مع خلو الجهات الست عنه محال، فإما موجود لا يقبل الاتصال ولا الاختصاص بالجهة فخلوه عن طرفي النقيض غير محال، وهو كقول القائل: يستحيل موجود لا يكون عاجزاً ولا قادراً ولا عالماً ولا جاهلاً، فإن المتضادين لا يخلو الشيء عنهما فيقال له: إن كان ذلك الشيء قابلاً للمتضادين فيستحيل خلوه عنهما. أما الجدار الذي لا يقبل واحداً منهما لأنه فقد شرطهما وهو الحياة، فخلوه عنهما ليس بمحال، فلذلك شرط الاتصال والاختصاص بالجهات التحيز والقيام

بالمتحيز، فإذا فقد هذا لم يستحل الخلو عن مضاديه ا هـ.

وقال بعضهم: احتج النافون للعلو على العرش بوجوه: أحدها لو كان على العرش لكان في جهة، وثبوتها في القديم يؤدي إلى أحد أمرين: إما حدوث القديم، أو قدم الحادث لأن أمارات الحدوث إن لم تبطل دلالتها ثبت حدوث القديم، وإن بطلت دلالتها لم يثبت حدوث العالم، والدليل على أن الجهة من أمارات الحدوث: أن التعري من الجهة ثابت في الأزل، فلو ثبتت الجهة بعد أن لم تكن لتغير عما كان ولحدث فيه مماسة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدوث. ثانيها لو كانت ذاته مختصة بجهة. فإما أن يتمكن من الخروج عنها أو لم يتمكن، فإن تمكن كان محلاً للحركة والسكون، وإن لم يتمكن كان كالزمن العاجز وإنه من أمارات الحدوث. ثالثها لو كان في جهة: فإما أن يكون في الجهات كلها وذلك محال، وإن اختص ببعضها احتاج إلى مخصص لاستواء الكل. رابعها لو كان بجهة من العالم محاذياً له: فإما أن يكون مساوياً لجسم العالم أو أصغر أو أكبر منه، وكذا لا بدّ من مسافة مقدرة بينه وبين العالم، وكل ذلك يوجب التقدير بمقدار يمكن أن يكون علامة، فيحتاج إلى مخصص ومقدر. خامسها لو ثبت اختصاصه بالعرش، فإن كان الاختصاص لاقتضاء ذاته أو صفته وجب أن يكون الاختصاص ثابتاً في الأزل لوجود المقتضي وعدم جواز تخلف المقتضى عنه، وإن كان لا لاقتضاء ذاته وصفته فلا بدّ له من تخصيص. سادسها لو كان على العرش: فإما أن يكون مساوياً له أو أصغر أو أكبر منه، وذلك يوجب التناهي والتبعيض والتجزي. سابعها لو كان على العرش لكان مشاراً إليه بالحس، وكل ما كان كذلك فهو إما متناه من جميع الجوانب أو من بعضها أو غير متناه أصلاً. والثالث باطل لوجوب تناهي الأجسام، ولأنه تعالى لو كان غير متناه من كل الجوانب لكان العالم سارياً في ذات الله وحالاً فيه. فيلزم أن تكون ذاته مخالطة للحادثات، تعالى الله عن هذا المقال وعن هذا الوهم والخيال. والثاني أيضاً باطل لوجوب تناهي الأجسام. ولأنه لو كان غير متناهٍ من بعض الجوانب دون بعض لافتقر تخصيص بعض الجوانب بالتناهي، وبعضها بعدم التناهي إلى تخصيص لوجوب تساوي جميع الجوانب في الحقيقة والماهية، وإن فرض اختلافها في الماهية والحقيقة، فكل ذات كانت مركبة من أجزاء مختلفة في الماهية والطبيعة، فلا بدّ أن ينتهي ذلك التركيب إلى أجزاء يكون كل واحد منها في نفسه بسيطاً خالياً من التركيب كالجزء الواحد من تلك الأجزاء البسيطة لا بدّ أن يماس بيمينه ما يمكن أن يمسه بيساره وبالضد. فيكون التفريق على تلك الأجزاء جائزاً، فالتأليف والتفريق على تلك الأجزاء جائزان، وإذا كان كذلك افتقر تأليفها وتركيبها إلى مؤلف ومركب. وكل ذلك محال فتعين الأول، وهو أنه لو كان مشاراً إليه بالحس لكان متناهياً من جميع الجوانب، وإذا كان متناهياً من جميع الجوانب كان وجود أزيد مما وجد أو أنقص مما وجد جائزاً، فيفتقر في اختصاصه بالقدر المعين إلى مخصص، وذلك على خالق العلم محال ا هـ وفي هذا القدر كفاية في اعتقاد الحق لمن وفقه الله تعالى له.

وقد علم أن ما قاله القائل المذكور من أن الله تعالى بجهة العلو غير صحيح، فإن وفق ورجع إلى الاعتقاد الحق فذاك، وإلا فإن رفع إلى الحاكم وثبت عليه ما نسب إليه من القول المذكور عزره الحاكم التعزير اللائق بحاله، الرادع له ولأمثاله عن ارتكاب مثل قبيح أقواله، خصوصاً إذا خيف منه انتشار بدعته، والله تعالى أعلم، انتهت عبارة فتاوى الشهاب الرملي باختصار قليل.

فائدة مهمة في عدم تكفير القائلين بالجهة وسائر أرباب البدع كالمعتزلة

قال الإمام ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية في جواب أطال فيه الكلام على منع اعتقاد الجهة في جانب الله تعالى ناقلاً عن الشيخ الإمام سلطان العلماء: عزّ الدين بن عبد السلام: إن الأصح أن معتقد الجهة لا يكفر، لأن علماء المسلمين لم يخرجوهم عن الإسلام، بل حكموا لهم بالإرث من المسلمين وبالدفن في مقابر المسلمين وتحريم دمائهم وأموالهم وإيجاب الصلاة عليهم، وكذا سائر أرباب البدع، لم يزل الناس يجرون عليهم أحكام الإسلام، ولا مبالاة بمن كفرهم لمراغمته لما عليه الناس، انتهى كلام عز الدين، انتهت عبارة ابن حجر. وقال ابن حجر أيضاً في الفتاوى الحديثية في جواب سؤال آخر عن شخص اعتقد أنه رأى به تعالى في الدنيا، فذكر تفصيلاً في تكفيره وعدمه، فمما قاله: إن زاعم ذلك إذا ضم إلى زعمه الرؤية بعينه زعمه اعتقاد وجود جسم ولازمه من الحدوث أو ما يستلزمه، كالصورة واللون ونحوهما، فهذا هو الذي يتجه الحكم بكفره لأنه حينئذٍ لم يعتقد قدم الحق ولا كماله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ وأما من اعتقد رؤية عين منزهة عن انضمام ذلك إليها فلا يظهر الحكم بكفره بمجرد ذلك، لأن المنقول المعتمد عندنا عدم كفر الجهوية والمجسمة إلا ان اعتقدوا الحدوث، أو ما يستلزمه ولا نظر إلى لازم مذهبهم، لأن الأصح في الأصول أن لازم المذهب ليس بمذهب لجواز أن يعتقد الملزوم دون اللازم، ومن ثم قلنا لو صرح باعتقاد لازم الجسمية كان كافراً. وقال الأذرعي وغيره المشهور عدم تكفير المجسمة؛ وإن قالوا جسم كالأجسام: أي لأنهم مع ذلك قد لا يعتقدون لوازم الأجسام.

وإذا تقرر هذا في الجهوية والمجسمة، فكذا يقال به في زاعم رؤيا العين إلى أن قال بعد أن قرر الأئمة وعلماء الأمة وحفاظ الملة تلك الآيات والأحاديث وصرفوها عن ظواهرها لم يبق لأحد عذر في اعتقاد ظواهرها، فمن فعل ذلك فقيل يكفر مطلقاً، وقيل إن قال جسم كالأجسام كفر وإلا فلا، وعليه جرى النووي رحمه الله تعالى في موضع، وقيل لا يكفر مطلقاً، وهو المشهور من مذهبنا ما لم يضم لذلك اعتقاد بعض تلك اللوازم: أي من الحدوث ونحوه من أوصاف الحوادث، وقال شيخ مشايخي العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي المصري في حاشيته على جوهرة التوحيد للإمام الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي عند قوله:

ويستحيل ضد ذي الصفات　　في حقه كالكون في الجهات

اعلم أن معتقد الجهة لا يكفر كما قاله العز بن عبد السلام، وقيده النووي بكونه من العامة، وابن أبي جمرة بعسر فهم نفيها، وفصل بعضهم فقال إن اعتقد جهة العلو لم يكفر لأن جهة العلو فيها شرف ورفعة في الجملة، وإن اعتقد جهة السفل كفر لأن جهة السفل فيها خسة ودناءة انتهى كلام الباجوري ولعله أخذ صدر عبارته من شرح المصنف الإمام اللقاني التي نقلتها فيما تقدم، وأنقل هنا بعض عبارات العلماء في عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته.

قال الإمام الرازي في تفسير سورة الأنعام كما نقله شارح الإحياء سمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله تعالى قال: سمعت الشيخ أبا القاسم بن ناصر الأنصاري يقول. نظر أهل السنّة إلى تعظيم الله تعالى في جانب القدرة ونفاذ المشيئة، ونظر المعتزلة إلى تعظيم الله تعالى في جانب العدل والبراءة عن فعل ما لا ينبغي، فإذا تأملت علمت أن أحداً لم يصف الله تعالى إلا بالإجلال والتعظيم والتقديس والتنزيه لكن منهم من أخطأ ومنهم من أصاب، ورجاء الكل متعلق بهذه الكلمة، وهي قوله تعالى: ﴿وربك الغنيّ ذو الرحمة﴾ [الأنعام: ١٣٣] ا هـ.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في المبحث الثامن والخمسين من اليواقيت والجواهر قد ذكر الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه «سراج العقول» أنه روي في بعض طرق حديث «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» ما نصه كلها في الجنة إلا واحدة. رواها ابن النجار. قال العلماء: والمراد بهذه الواحدة التي هي في النار هم الزنادقة. قال القزويني: وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها في النار إلا واحدة، أي في النار ورودهم وذلك في مرورهم على الصراط ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم: ٧٢] والظالمون هم الكافرون؛ فلا ينبغي لمتدين أن يكفر أحداً من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الإسلام؛ ثم قال الإمام الشعراني بعد أن ذكر أمهات الفرق المخالفة لأهل السنّة والجماعة.

قال أبو سليمان الخطابي: وأول ما وقع مفارقة أهل السنّة في زمن الإمام علي رضي الله عنه، وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ: «أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قال وقد سئل الإمام علي رضي الله عنه أكفارهم؟ فقال لا، إنهم من الكفر فرّوا، فقيل أمنافقون هم؟، فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، فقيل أي شيء هم؟ فقال: قوم أصابتهم فتنة فعموا وصموا، قال الخطابي: وإنما لم يجعلهم كفاراً لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل، والمراد بقوله ﷺ: «يمرقون من الدين» أي الطاعة كما قال تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ [يوسف: ٤٠] أي طاعته. قال وحجة من قال بعدم تكفير المتأولين أنه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولم يثبت لنا أن الخطأ في التأويل كفر وإلا فلا بدّ من دليل على ذلك من نص أو إجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو إجماع ولم نجد من ذلك شيئاً فبقي القوم على الإسلام ا هـ.

وقد سئل الإمام المزني رحمه الله تعالى عن مسألة في علم العقائد فقال حتى أنظر وأتثبت فإنه دين الله، وكان ينكر على من يبادر إلى تكفير أهل الأهواء والبدع؛ ويقول إن المسائل التي يقعون فيها لطاف تدق على النظر العقلي. وكان إمام الحرمين رحمه الله تعالى يقول: لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع في غير مطمع، فإن هذا بعيد المدرك وعزيز المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد، ومن لم يحط علماً بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق، وكان أبو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون: لا يكفر أحد من أهل المذاهب الإسلامية لأن رسول الله ﷺ قال: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله مالنا

وعليه ما علينا» ا هـ. ثم قال في آخر المبحث، وقال شيخ الإسلام المخزومي: قد نص الإمام الشافعي على عدم تكفير أهل الأهواء في رسالته فقال: لا أكفر أهل الأهواء بذنب، وفي رواية عنه ولا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، وفي رواية أخرى عنه: ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب.

قال المخزومي رحمه الله: أراد الإمام الشافعي رحمه الله بأهل الأهواء: أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة، وأراد بأهل القبلة: أهل التوحيد ا هـ. قال الإمام الشعراني بعد ما ذكره: فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده، انتهى كلام الشعراني باختصار. ومن أراد أبسط من ذلك فليراجعه فإنه أطال الكلام، ونقل في ذلك ما يشفي الأوام[1] عن الإمام السبكي وغيره من أئمة الإسلام، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا ببركاتهم ويرزقنا بفضله وإحسانه حسن الختام.

وهذا آخر ما نقلته في هذه الرسالة «رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله».

ولنرجع إلى الكلام على كتب ابن تيمية فمنها الكتب الأربعة المذكورة سابقاً وهي «الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح» وهو الكتاب الذي رد به على النصارى، ومنها كتاب «منهاج السنّة» وهو الكتاب الذي رد به على الروافض، وقد طبع في هذه الأيام بعد أن أرسلت كتابي «الرسالة البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة» إلى مصر لتطبع فيها، ولم أكن اطلعت عليه قبل طبعه ولهذا لم يمكني نقل شيء منه في تلك الرسالة، ولو ظفرت به قبل إرسالها لانتفعت به وألحقت بها أشياء منه، وهي بحمد الله مستوفية لمعاني الرد عليهم بعبارات ظاهرة باهرة، ومنها كتابه المسمى: «بيان موافقة صريح المعقول لصريح المنقول» المطبوع على هامش منهاج السنّة، وقد ردّ به على أهل السنّة والجماعة من المسلمين الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من الفرق الأخرى، ومنها كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» وقد رد به على خلاصة المسلمين من الأولياء والعارفين وكفر كثيراً منهم كسيدنا الشيخ الأكبر محيي الدين.

إذا علمت ذلك تعلم أنه مثل ابن حزم صاحب كتاب «الملل والنحل» لم يسلم من قلمه أحد من الكافرين والمبتدعين والمسلمين والعارفين، وقد رد عليه الإمام السبكي فيما رد به على كتبه بأبيات مدح فيها كتابه منهاج السنّة، واعترض عليه ببعض بدعه، فتصدى للتشنيع على السبكي بذلك والرد عليه شخصان من الحشوية ممن هم على عقيدة ابن تيمية أحدهما حنبلي والآخر فيما زعم شافعي. أما الحنبلي فاسمه أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود العبادي العقيلي السرمري تنزيل دمشق. وأما الشافعي بزعمه فهو محمد بن يوسف اليمني اليافعي الذي ذكر قصيدته هذه الألوسي في «جلاء العينين» نظم كل منهما في ذلك قصيدة طويلة في أكثر من مائة بيت فيها العجر والبجر والتحامل على الإمام السبكي بما لا ينبغي أن يصدر من مسلم فضلاً عن عالم. وقد رأيت أن أنتصف منهما وأقابلهما بعملهما جاعلاً محط نظري إثبات الحق ودحض الباطل، وبيان المذهب الصحيح من

---

(١) الأوام؛ بضم الهمزة: دوران الرأس: اهـ قاموس.

المذهب العاطل، فنظمت هذه القصيدة من البحر والقافية، وأسأل الله لي ولهم ولجميع المسلمين العفو والعافية، وقد أثبت فيها استحالة الجهة على الله تعالى بدلائل ظاهرة باهرة وتعرضت لجواز الاستغاثة وشد الرحل لزيارته ﷺ بما لا يأباه عقل ولا يمنعه نقل، راداً على من يخالف ذلك والله أعلم بما هناك:

الحمد لله حمداً أستعد به ... لنصرة الحق كي أحظى بمطلبه
بك استعنت إلهي عاجزاً فأعن ... أبغي رضاك فأسعفني بأطيبه
فإن تعن ثعلباً يسطو على أسد ... أو تخذل الليث لا يقوى لثعلبه
وإنني عالم ضعفي ولا عمل ... عندي يفيد ولا علم أصول به
ورأس مالي جاه المصطفى فبه ... ادعوك يا رب أيدني له وبه
وارحم به علماء الدين قاطبة ... من أهل سنّته ساه ومنتبه
لولاهم ما علمنا ما بعثت به ... خير الورى وعجزنا عن تطلبه
منهم أبو الحسن السبكي ناصره ... سقاه غيث الرضى الهامي بصيبه
أهدى شفاء سقام في زيارته ... شفي صدور جميع المؤمنين به
ورب غر غوى ذمه حسداً ... به غرور وقاح الوجه أصلبه
ساءت خلائقه ضلت طرائقه ... قد تاه بالتيه في تيهاء سبسبه
فقال ما قال في السبكي من سفه ... قبحاً له من سفيه القول أكذبه
أو في الجدال بغير الحق مختلقا ... ما شاء من كذب وهو الخليق به
وقال مفتخراً بالزور مذهبنا ... ترك الجدال وتأنيب لطالبه
فانظر أكاذيبه وأعجب لحالته ... من التناقض هذا بعض أعجبه
يا أيها الجاحد الحق المبين أفق ... قد طال نومك يا نومان فانتبه
أهلكت نفسك فارحمها وذر بدعا ... بها بليت ودع قولاً شقيت به
لم تجعل المصطفى أهلاً لزائره ... بشده الرحل أو من يستغيث به
وكم رحلت إلى أمر به أرب ... من أمر دين ودنيا قد عنيت به
وفي المساجد لا كل الأمور أتى ... ذاك الحديث الذي قد ما سمعت به
والاستغاثة معناها تشفعنا ... به إلى الله فيما نرتجيه به
وما بذلك من بأس ومن حرج ... إلا لدى ميت من لسعة الشبه
هو الشفيع لمولاه وسيده ... في كل حال مغيث المستغيث به
هو الحبيب فمن يا قوم يمنعه ... فضلاً حباه إله العالمين به
والله والله لولا الله يضلل من ... يشاء من خلقه فيما يريد به
ما كان يوجد ذو عقل فيمنع ذا ... من أهل ملته أو يستريب به
وأنت يا أيها الإنسان مالك لا ... تحقق الأمر كي تهدي لأصوبه
ها أنت تزعم أن الله في جهة ... ولا تبالي بتشبيه ضللت به
من أين جئت بذا هذا إمامك لم ... يقله أحمد حاشا أن يقول به

وسل أبا الفرج الجوزي تابعه … ينبيك بالحق فاعلم واعملن به

وتزعم الله بالذات استقر على … عرش فتلحق أوصاف الحدوث به

وبالتوسل لا ترضى وتمنعه … تقول ذلك فعل المشركين به

نزهت ربك عن شرك بزعمكه … ولم تنزهه عن شبه وعن شبه

لقد وقعت من الإشراك في شرك … من حيث شئت خلاصاً منه بؤت به

أما الطلاق ثلاثاً فالمخالف في … وقوعه ساقط في نفس مذهبه

تريد تنصره في حكم مسألة … أخطأ وخالف كل المسلمين به

وذاك أعظم برهان بأنك لم … تستحي من باطل مهما أسأت به

أما الكلام بأوصاف الإله علا … عن الحوادث طراً أن تحل به

فذاك موضعه علم الكلام فمن … أراده فليراجعه يجده به

كفاك يا نفس مع هذا كفى … عودي لصاحبه فهو الحري به

وكل ما قلت في هذا يناسبه … وهكذا ذاك فيما لا يخص به

تحزبا وغدا السبكي منفرداً … كلاهما ذو اعتداء في تحزبه

كلاهما قد حشا أشعاره سفهاً … عليه زوراً وأبدى حشو مذهبه

كلاهما خلف من بعد صاحبه … كلاهما متعد في تصحبه

لكنّ بينهما فرقا به افترقا … مع اتفاقهما فيما يعاب به

فالحنبلي له عذر بنصرته … لشيخه بأباطيل تليق به

أما اليماني فالمعذور لائمه … لأنه مخطىء في خلط مشربه

لم يأت ذاك غريباً في القياس نعم … هذا اليماني قد وافى بأغربه

إن كان يا يافع عار عليك بذا … فبابن أسعد فخر تفخرين به

وما تعجبت من شيء كنسبته … للشافعي افتراء في تذبذبه

يوماً بمان إذا لاقيت ذا يمن … وإن تجد حشو شامي تدين به

إن شافعياً فهذا الحشو جئت به … من أين فلتره حتى تقول به

هل قاله الشافعي في الأم ليس به … أو في الرسالة أو من أين جئت به

أشيخ شيراز أبداه وحققه … في نص تنبيهه أو في مهذبه

أو الإمام الغزالي قال ذلك أو … إمامنا الأشعري الحبر قال به

أو قاله الفخر يوماً في مطالبه … أو الجويني في إرشاد مطلبه

في فقههم ذكروه أو عقائدهم … كلاهما ذمه مع من يقول به

إذن فقل أنا حشوي بدون حيا … وابرأ من الشافعي أنت الدعي به

لو كان حقاً حفظت الشافعي ولم … تسؤه ويحك في أعلام مذهبه

وإذ سفهت على السبكي تابعه … سؤت الإمام وكل المقتدين به

بل سؤت بالإفك مما قد أسأت به … خير الأنام وكل المؤمنين به

لقد كذبت وشر القول أكذبه … إذ قلت للشيخ من عجب عرفت به

(فابرز ورد ترى والله أجوبة ... مثل الصواعق تردى من تمر به)
(عقلاً ونقلاً وآيات مفصلة ... من كل أورع شهم القلب منتبه)
(ماض الجنان كحد السيف فكرته ... يريك نظماً ونثراً في تأدبه)
(وقاد ذهن إذا جالت قريحته ... يكاد يخشى عليه من تلهبه)
وغير ذلك مما قلته بطراً ... الله حسبك فيما قد بححت به
لو كان فكرك مثل السيف حدته ... لكنت جاهدت شيطاناً غويت به
أو كان ذهنك يا مغرور متقداً ... كما تقول وتخشى من تلهبه
لكان يحرق حشوا في الفؤاد به ... خرابه فيقيه من مخربه
أما مذمتك السبكي فهي له ... شهادة بكمال حين فهت به
لو كنت تعلمه ما قلت ذاك به ... شعرت فيه ولكن ما شعرت به
ألا استحيت من المختار فيه وفي ... آبائه وهم أنصار موكبه
آباؤه نصروه في كتائبهم ... وهو النصير بكتب حببته به
لو لم يكن منه في نصر النبي سوى ... شفائه لكفى أكرم به وبه
ولابن تيمية للمصطفى خدم ... لكنه لم يوفق في تأدبه
يقول كالمشركين المستغيث به ... وقد عصى زائر يسعى ليثربه
أف لذلك ذنباً لا أكفره ... به وإن قيل بل خزى لمذنبه
لكن له حسنات جمة فيها ... أسباب عفو وصفو من مسببه
منها جواب على التثليث رد به ... أكرم به من صحيح القول معجبه
لم ينهج الرافضي منهاج سنته ... ولو رآه أراه قبح مذهبه
في بابه ماله مثل وواجبه ... حسن اختصار فحسن رأي موجبه
يسر إلهي سنياً يخلصه ... من مذهب الحشو كي يحظى بطيبه
وانظر لما قاله السبكي فيه تفز ... بأصدق القول أحلاه وأعذبه
(إن الروافض قوم لا خلاق لهم ... من أجهل الناس في علم وأكذبه)
(والناس في غنية عن ردّ إفكهم ... لهجنة الرفض واستقباح مذهبه)
(وابن المطهر لم تطهر خلائقه ... داع إلى الرفض غال في تعصبه)
(لقد تقوّل في الصحب الكرام ولم ... يستحي مما افتراه غير منجبه)
(ولابن تيمية ردّ عليه وفى ... بمقصد الرد واستيفاء أضربه)
(لكنه خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه)
(يحاول الحشو أني كان فهو له ... حثيث سير بشرق أو بمغربه)
(يرى حوادث لا مبدأ لأولها ... في الله سبحانه عما يظن به)
(لو كان حياً يرى قولي ويسمعه ... رددت ما قال رداً غير مشتبه)
(كما رددت عليه في الطلاق وفي ... ترك الزيارة أقفو إثر سببه)
(وبعده لا أرى للرد فائدة ... هذا وجوهره مما أضن به)

(والرد يحسن في حالين واحدة ... لقطع خصم قوي في تغلبه)
(وحالة الانتفاع الناس حيث به ... هدى وربح لديهم في تكسبه)
(وليس للناس في علم الكلام هدى ... بل بدعة وضلال في تطلبه)
(ولي يد فيه لولا ضعف سامعه ... جعلت نظم بسيطي في مهذبه)
نعم لقد صدق السبكي فيه نعم ... حكى الحقيقة لم يعبث بمنصبه
من أصدق الناس أتقاهم وأعلمهم ... فلا عفا الله يوماً عن مكذبه
كتب ابن تيمية بالحشو شاهدة ... عليه فيها حشاها من تمذهبه
ما خالف المذهب السني قيل له ... حشو وقول اعتزال لا نقول به
فالحشو نقل له والاعتزال له ... عقل وكل لسني بلا شبه
فتلك ألقابهم صارت معرفة ... فلفظها الآن وصف لا يذوم به
هذا اصطلاحهم الحشوي عندهم ... ذو سنة جامد في كل مشتبه
حشا عقيدته حشواً يخل بما ... قد صح لله من وصف يليق به
ففرقة الحشو قوم قد يصاحبهم ... في الحق سوء اعتقادات نعوذ به
منهم مشبهة منهم مجسمة ... لا قدس الله قوماً قائلين به
أما ابن تيمية فيهم فذو جهة ... بها فأنبه واشكر من مؤنبه
وذاك كاف به في ذم بدعته ... إذ لم يرد لفظها فاطرحه وارم به
ونزه الله عن شبه وعن جهة ... بالغيب آمن وصنه في تغيبه
إذ يستحيل على خلاقنا جهة ... والمستحيل محال أن تدين به
نعم تعقل موجود بلا جهة ... صعب لغير نبيه القوم فانتبه
فما أتى في كلام الشرع مشتبهاً ... لحكمة الفهم قد جاء النبي به
ووارد اللفظ إن أدى بظاهره ... معنى الحدوث سعينا في تجنبه
وفيه سر لغير الله ما انكشفت ... أستاره أو صفي قد حباه به
وثم معنى لذاك اللفظ محتمل ... بعض الأئمة منا فسروه به
وقصدهم واحد تنزيه خالقنا ... تفويض ما جاء أو تأويل مشتبه
علا على الخلق طرا في جلالته ... بالقهر فوق البرايا في تغلبه
كل الجهات علا منها ولا جهة ... تحويه قد جل عن أين وعن شبه
وهذه الأرض فانظرها تجد كرة ... وفوقها العلو والعرش المحيط به
والله من فوقه فوق الجميع بلا ... كيف وشبه تعالى في تحجبه
وفي السماء وفي الأرض الإله أتى ... في الذكر إني بريء من مكذبه
ما بالنا نحن نسعى في تباعده ... وهو القريب وننأى مع تقربه
أيهرب العبد من تقريب سيده ... وسيد العبد يدنو حين مهربه
افرض سوى الله من كل الورى عدما ... وهكذا كان معدوماً بغيهبه
ما كنت معتقداً في الله إذ عدمت ... كل الخلائق فهو الآن فارض به

سبحانه من إله ليس يحمله ... عرش بل العرش محمول له وبه
لو استقر على عرش لكان به ... للعرش حاجة محتاج لمركبه
لكن عليه استوى لا كيف نعلمه ... للاستواء أو القهر المراد به
جاء المجيء له سعياً وهرولة ... والحب والقرب منه مع تقربه
والعلو والفوق أيضاً والنزول أتى ... والضحك مع غضب ويل لمغضبه
وقد تعجب من أشياء قد وردت ... كما يليق به معنى تعجبه
وهكذا كل لفظ موهم شبها ... فوّضه لله أو أول بلا شبه
وأسلم الأمر تسليم بجانبه ... معنى الحدوث كما يرضى الإله به
هذا هو المذهب المأثور عن سلف ... أهل التصوف كل قائلون به
وهو المرجح عند الأشعري ولا ... يأباه منا جميع المقتدين به
والماتريدي تفويض عقيدته ... وإن يؤول فلا قطع لديه به
من رام أن يدرك الخلائق فهو إذا ... في غير مطمعه قاف لأشعبه
إذ ليس يدريه لا جن ولا ملك ... ولا نبي قريب من مَقربه
وحاصل الأمر أنا مؤمنون به ... مع الكمال وتنزيه يليق به
هذي عقيدتنا في الله خالقنا ... لم نحش لم نعتزل فيما ندين به
ولا نكفرهم لكن نبدّعهم ... في الدين إذ أخطئوا في بعض أضربه
إخواننا أسلموا الله واجتهدوا ... الحق شاؤوا فضلوا في تشعبه
مع كونهم من فحول العلم قد زلقوا ... ببعض ما دق في الأذهان من شبه
ورب شخص ضعيف الفهم سيق إلى ... صوب الصواب فلم يبرح يقول به
الأمر لله من يهديه نال هدى ... ومن أضل فقد حل الضلال به
ولم نخطئهم في كل مسألة ... فكم كلام لهم فازوا بأصوبه
وفي الفروع وباقي الدين مذهبهم ... كغيرهم وافقوا الشرع الشريف به
وكتبهم في سوى معنى عقائدهم ... بحور علم فرد منها لأعذبه
لكن إذا كنت لم تدرك دسائسهم ... دع ما يريبك تفلح في تجنبه
والله يرحمنا طرا فرحمته ... هي العماد لكل المؤمنين به

ومن كتب الإمام ابن تيمية كتاب «العرش» قال في كشف الظنون: ذكر فيه أن الله سبحانه وتعالى يجلس على العرش وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك أبو حيان في النهر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال يعني أبا حيان قرأت في كتاب «العرش» لأحمد بن تيمية ما صورته بخطه. انتهت عبارة كشف الظنون لملا كاتب جلبي بحروفها.

وذكر كتاب العرش هذا لابن تيمية العلامة السيد مرتضى الزبيدي: في شرح الإحياء عند قول الإمام الغزالي في عقيدته «قواعد العقائد» الأصل الثامن العلم بأن الله تعالى مستو على العرش،

قال: قال التقي السبكي: وكتاب العرش من أقبح كتبه، ولما وقف عليه الشيخ أبو حيان ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه انتهى كلامه بحروفه، وهذه العبارة التي ذكر أبو حيان أنه رآها بخط ابن تيمية تدل على اعتقاده التجسيم في جانب الله تعالى وتقدس، وهو مذهب بعض أئمة الحنابلة كأبي يعلى وإن كان جمهورهم على خلافه، وهم معترضون أشد الاعتراض ومشنعون أقبح التشنيع بذلك على أبي يعلى وأمثاله.

قال نعمان أفندي الألولسي في «جلاء العينين»: إنه قد رمى بعض الحنابلة بالتجسيم واشتهر عنه هذا المذهب الوخيم وردهم أصحاب مذهبهم وبينوا زيف مطلبهم، ومن الرادين العلامة الشهير عبد الرحمن بن الجوزي، فقد رأيت له رسالة في تأويل بعض الأحاديث النبوية والتشنيع على من تعدى طريقة الحنبلية، ومنها قوله: وانتدب للتصنيف ثلاثة عبد الله بن حامد وصاحب القاضي وابن الزعواني فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس، وبعد أن ذكر ابن الجوزي شنائعهم الفظيعة في نسبتهم لله تعالى وتقدس الأعضاء المحسوسة وغير ذلك من أوصاف الحوادث المستحيلة على الله تعالى قال: وهم يخرجون عن التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنّة، وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام فقد نصحت التابع والمتبوع وقلت لهم يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط؛ كيف أقول ما لم يقل، فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه، ثم قلتم في الأحاديث تحمل على ظاهرها وظاهر القدم الجارحة، فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن الله سبحانه صفة هي روح ولجت في مريم، ومن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات؛ وينبغي أن لا يهمل ما ثبت به الأصل وهو العقل فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم، فلو أنكم قلتم نقر الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، ولقد كسيتم هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى لا يقال حنبلي إلا مجسم إلى أن قال ابن الجوزي فرأيت الرد عليهم لازماً لئلا ينسب الإمام إلى ذلك، وإذا سكت نسبت إلى اعتقاد ذلك ولا يهولني أمر كعظم في النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً في معرفة الحق لا يجوز فيه تقليد: أي لمن هو أهل لمعرفة الحق باجتهاده، ولذلك استشهد بكلام الإمامين الشافعي وأحمد. فقال: وقد سئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن مسألة فأفتى فيها. فقيل هذا لا يقول به ابن المبارك، فقال ابن المبارك: لم ينزل من السماء.

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: استخرت الله تعالى في الرد على الإمام مالك إلى أن قال ابن الجوزي: وقال ابن حامد: رأيت بعض أصحابنا يعني من الحنابلة المذكورين يثبتون لله تعالى وصفاً في ذاته لأنه يتنفس.

وقالوا الرياح الهابة مثل الرياح العاصفة والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة إلا ريحاً من صفاته هي ذات نسيم حياتي وهي من نفس الرحمن.

قال ابن الجوزي بعدما ذكر. قلت: على من يعتقد بهذا اللعنة، لأنه يثبت جسداً مخلوقاً، ما هؤلاء بمسلمين، انتهى المراد منه فليتدبر وليحفظ، انتهت عبارة جلاء العينين باختصار، وقول

الإمام ابن الجوزي في عبارته المذكورة في الرد على هؤلاء المجسمة من الحنابلة: ومن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات قول صحيح، ووجهه أن معنى استوى عندهم جلس، وعبارتهم هذه التي ذكرها ابن الجوزي قد رأيتها لابن تيمية مع زيادات تزيدها شناعة ودلالة على القول بالتجسيم في رسالة فسر بها قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ [الحج: ٥٢] إلى قوله تعالى: ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ [الحج: ٥٤] ثم تكلم على المتشابه وعلى قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران: ٧] الآية في نحو كراسين، وذكر هنا بعض الألفاظ التي قال أهل السنّة إنها من المتشابه، وما ورد في القرآن من أنه تعالى يحب المتقين والمقسطين والمحسنين، وأنه يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف: ٥٥] ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ [محمد:٢٨] ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ [التوبة: ٤٦] الرحمن على العرش استوى ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] و﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤] ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ [الأنعام: ٣] ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [صّ؛ ٧٥] ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿يريدون وجهه﴾ [الكهف: ٢٨] ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩] إلى أمثال ذلك، وزعم أنها ونحوها مما جاء من هذا القبيل ليست من المتشابه، وادعى أن معانيها معلومة وإنما كيفيتها مجهولة، وأخذ يستدل لإثبات ذلك إلى أن ذكر قول الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

قال ابن تيمية: وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنّة من ينكره، وقد بين أن الاستواء معلوم كما أن سائر ما أخبر به معلوم، ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها. لا يقال كيف استوى، ولم يقل مالك الكيف معدوم، وإنما قال الكيف مجهول، وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنّة غير أن أكثرهم يقولون لا تخطر كيفيته ببال، ولا تجري ماهيته في مقال، ومنهم من يقول ليس له كيفية ولا ماهية.

قال: فإن قيل: معنى قوله الاستواء معلوم إن ورد هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه، قيل هذا ضعيف فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية، وأيضاً فلم يقل ذكر الاستواء في القرآن ولا إخبار الله بالاستواء، وإنما قال الاستواء معلوم فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم لم يخبر عن الجملة؛ وأيضاً فإنه قال والكيف مجهول، ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه:٤٦] كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤية معلوم والكيف مجهول،

ولو قال كيف كلم موسى تكليماً لقلنا التكليم معلوم والكيف غير معلوم، وأيضاً فإن من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنّة يقرون بأن الله فوق العرش حقيقة وأن ذاته فوق ذات العرش لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية، انتهت عبارة ابن تيمية بحروفها، وهي صريحة أو كالصريحة بالتجسيم إلا أنه لم يذكر فيها الجيم والسين والميم ولم يكتف بأن يجعل ذلك مذهباً له حتى جعله مذهب أصحابه وغيرهم من أهل السنّة، والمجسمة يسمون أنفسهم أهل السنّة كما ذكره ابن الجوزي في عبارته السابقة ومع كل هذه الصراحة في كلامه نرى صاحب «جلاء العينين» يشنع على ابن حجر بنسبته التجسيم والتشبيه إليه ويبالغ في نفي ذلك عنه.

قال في صفحة ٢١١ من كتابه المذكور، وأما ما رمى الشيخ ابن حجر ابن تيمية به فليس كما قال بل هو عن ذلك بمعزل وبعيد عنه بألف ألف منزل، فتأليفاته وعباراته التي سمعتها قاضية بكذب ما عزى إليه، وكذلك شهادات العلماء حاكمة باختلاق ما زوّر عليه؛ فمن ذلك ما قال الشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي في حاشيته المسماة «بمجلى المعاني على شرح عقائد الدواني» ما نصه قوله: قيل ولعل وجه قول ابن تيمية بالتسلسل على سبيل التعاقب في العرش أنه من المجسمة إلى آخره. قال أقول: ابن تيمية ليس قائلاً بالتجسيم، فقد صرح بأن الله تعالى ليس جسماً في رسالة تكلم فيها على حديث النزول كل ليلة إلى السماء الدنيا، وقال في رسالة أخرى: من قال إن الله تعالى مثل بدن الإنسان أو إن الله تعالى يماثل شيئاً من المخلوقات فهو مفتر على الله سبحانه، بل هو على مذهب السلف من الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] ولكنه قائل بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة مع نفي اللوازم، ونقل عليه إجماع السلف صرح به في الرسالة القدرية. انتهى نقل الكوراني.

ورأيت بخط الوالد: يعني والده السيد محمود أفندي الألوسي صاحب تفسير «روح المعاني» تغمده الله برحمته على هامش هذا البحث في الشرح وحاشيته ما نصه: حاشا الله تعالى أن يكون من المجسمة، بل هو أبرأ الناس منهم. نعم يقول بالفوقية على المعنى الذي أراده الله سبحانه ورسوله ﷺ، وذلك مذهب السلف في المتشابهات، وهو بمعزل عن التجسيم، وجلال الدين وأضرابه أجهل الناس في الأحاديث وكلام السلف الصالح كما لا يخفى على العارف المصنف اهـ. انتهت عبارة «جلاء العينين».

وقول الكوراني: إن ابن تيمية على مذهب السلف من الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه هو ما رآه في رسالته المذكورة التي ذكرها؛ ولكن ذهب عنه أنه لا يعد هذه الألفاظ كالاستواء على العرش من المتشابهات، بل يقول إن معناها معلوم وإنما الكيف مجهول فقط، وكون معناها معلوماً لا يكون إلا إذا كانت بمعنى صفات الحوادث من أن الاستواء بمعنى الجلوس الذي نعلمه من أنفسنا ويقال مثل ذلك في بقية الألفاظ المتشابهة، ويدل على ذلك قول الكوراني في عباراته: ولكنه قائل بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة وأنه نقل عليه إجماع السلف وهو نقل غير صحيح، فإن مذهب السلف كما هو مشهور معلوم عند كل أحد يشم رائحة العلم والإيمان بهذه المتشابهات وإمرارها على ظهرها،

واعتقاد أن لها معاني لا ندركها تليق بالله سبحانه وتعالى، وأن معناها الظاهر المعلوم المناسب للحوادث الذي نتعقله ونعلمه غير مراد قطعاً، ويقولون: إن الله تعالى فوق العرش فوقية لا نعلم حقيقتها، وهو يقول إن الله تعالى فوق العرش حقيقة، فليس مذهب السلف ما قاله من أن هذه الألفاظ غير متشابهة وأن معانيها المرادة لله تعالى هي المعلومة لنا حاشا وكلا. وعبارته هذه تنافي أيضاً قول السيد محمود أفندي الألوسي في عبارته المذكورة: نعم يقول؛ يعني ابن تيمية بالفوقية على المعنى الذي أراده الله سبحانه ورسوله ﷺ، وذلك مذهب السلف في المتشابهات، فيقال له وإن ابن تيمية لا يفوض علم معنى الفوقية إلى الله ورسوله كما هو مذهب السلف في المتشابهات، بل يقول إنه فوق العرش حقيقة، وإن هذا اللفظ ونحوه ليس من المتشابهات، بل هو وغيره يعلمون معناها، ومما استدل به على ذلك قول الإمام مالك الاستواء معلوم إل آخره، فمدافعة هؤلاء العلماء عن ابن تيمية هي من قبيل إحسان الظن وبناء على ما رأوه في بعض كتبه ولم يطلعوا على بعضها مما يدل على صحة ما اعترض عليه به المعترضون كابن حجر. والذي ظهر من كلام ابن تيمية الذي نقلته عنه هنا أن مذهبه مخالف لمذهب السلف، بل مناقض له في الألفاظ المتشابهة، فإن السلف ومعهم جمهور أهل السنّة من الأشعرية والماتريدية وغيرهم يقولون: إن هذه الألفاظ هي من المتشابه ويمرونها على ظاهرها من غير تفسير ولا تأويل فتفسيرها عندهم تلاوتها، ويعتقدون أن لها معاني تليق بالله تعالى يفوضون علمها إليه وينزهونه سبحانه وتعالى عن ظواهرها من المعاني التي نتعقلها ونعلمها مما يليق بالحوادث، وابن تيمية مذهبه فيها أنها ليست عنده من المتشابه وأن معانيها معلومة له ولغيره، وإنما يجهلون كيفياتها فقط، ولا شك أن معانيها لا تعلم إلا إذا كانت تلك المعاني هي المعاني المعلومة عنده وعند غيره من ظواهر هذه الألفاظ مما يليق بالحوادث، وأطال الكلام في فتواه المذكورة على إثبات أن هذه الألفاظ ليست من المتشابه وأن معانيها معلومة لنا والمجهول إنما هو كيفيتها، ولا يخفاك أن المعلوم من الاستواء بمعنى الجلوس إنما هو جلوسنا، والمعلوم من المعية من قوله تعالى: ﴿معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] إنما هو معية بعضنا لبعض، والمعلوم من ﴿كلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] إنما هو تكليم بعضنا لبعض، أما كيفية هذه الأشياء بأن يكون الجلوس على هيئة مخصوصة، والمعية على وجه مخصوص، والتكلم بصفة مخصوصة، فهذه جهالتها لا تقتضي أن أصل المعاني هي مما يليق بالله تعالى بل نعلم أنها لا تليق بالله تعالى إذا كانت على حد ما نتعقله ونعلمه من أنفسنا من الجلوس والمعية والتكليم ونحوها، فهذا هو الذي نعلمه؛ وأما الذي يليق بالله تعالى من معاني تلك الألفاظ فنحن لا نعلمه، فإذن يكون قوله إن معاني تلك الألفاظ هي معلومة لنا وليست من المتشابه صريحاً أو كالصريح في التجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنّ علمنا معنى الجلوس والمعية والتكليم بالمعاني التي نتعقلها من أنفسنا لا يفيد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث، ولو كانت كيفياتها مجهولة بل بالعكس، كما إذا علمنا وقوع الجلوس من زيد ومعيته لعمرو وتكليمه لبكر بإخبار المخبرين ولم تشاهد شيئاً من ذلك، فهكذا على زعمه نعلم حقيقة استواء الله على العرش وحقيقة معيته وحقيقة تكليمه وما أشبه ذلك ونجهل كيفياتها فقط، ومما قاله في فتواه المذكورة لإثبات هذا المعنى وتقريره قوله: والصواب ما عليه أئمة الهدى، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبل السلف الماضين أهل العلم والإيمان

والمعاني المفهومة من الكتاب والسنّة لا تردّ بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

ثم أخذ يقرر أن معاني تلك الألفاظ المتشابهة مفهومة وأنها ليست من المتشابه، وقد علمت ما في ذلك من الدلالة على القول بالتجسيم، وأهل السنّة جميعاً الذين سلكوا مسلك السلف الصالح قائلون بتفويض علم معاني تلك الألفاظ لله تعالى ورسوله ﷺ بعكس ما زعمه عنهم، وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فمن أين تكون معانيها الحقيقية معلومة عندنا؟ إذ لا ذوق لنا بها ولا نعرفها ولسنا متصفين بشيء منها، إذ الفرق عظيم بين أوصاف العبد والرب وبين الحادث والقديم.

ومما يدل على تضارب كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيذكر في بعض كتبه ما يناقض ما ذكره في بعضها: إما لرجوعه عنه لاعتقاده خطأه فيه وظهور الدليل له بخلافه، وإما لنسيانه ما كان كتبه قبل ذلك لسعة علمه وكثرة مؤلفاته وبسط فتاويه وعباراته أنه يقول هنا الصواب ما عليه أئمة الهدى، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، ثم يذكر جواز إطلاق الجهة والحيز والجسم في جانب الله تعالى بتأويلات فاسدة لا مقبولة ولا منقولة. وها أنا أنقل عبارته هنا عن «جلاء العينين» في صفحة ٢٤٠ وهي قوله من جملة الفتوى المطولة المذكورة هناك. والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله تعالى أو سنّة رسوله ﷺ وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك.

وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات مثل قول القائل: هو في جهة أو ليس في جهة أو متحيز أو ليس بمتحيز ونحو ذلك من الألفاظ التي تنازع فيها الناس، وليس مع أحدهم نقل لا عن الرسول ﷺ، ولا عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين، هؤلاء لم يقل أحد منهم إن الله تعالى في جهة، ولا قال ليس هو في جهة، ولا قال هو متحيز، ولا قال ليس بمتحيز، بل ولا قال هو جسم أو جوهر، ولا قال ليس بجسم ولا جوهر، فهذه الألفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنّة ولا الإجماع، والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحاً، فإن يريدوا معنى صحيحاً وافق الكتاب والسنّة كان ذلك مقبولاً منهم، وإن أرادوا معنى فاسداً يخالف الكتاب والسنّة كان ذلك المعنى مردوداً عليهم، فإذا قال القائل: إن الله تعالى في جهة. قيل ما تريد بذلك أتريد بذلك أنه سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به، مثل أن يكون في جوف السموات أم تريد بالجهة أمراً عدمياً، وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات، فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله تعالى محصوراً في المخلوقات فهذا باطل، وإن أردت الجهة العدمية وأردت أن الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق، وليس في ذلك أن شيئاً من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه، بل هو العالي عليها المحيط بها انتهت عبارته بحروفها، ثم أطال الكلام على نحو ذلك وأن هذه الألفاظ المبتدعة يجوز إطلاقها على الله تعالى إذا كان المراد بها معاني تليق به عزّ وجلّ، ولا يخفاك أن هذا مخالف لما عليه الجمهور كما قال الحافظ بن حجر في فتح الباري عند قوله ﷺ: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا»**. وهذه عبارته.

قال رحمه الله تعالى: استدل به من أثبت الجهة، وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك؛ ثم ذكر الأقوال في المتشابه من القرآن

والحديث من التأويل وعدم التأويل، وقال في آخرها. قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد؛ إلا أن يرد ذلك عن الصادق ﷺ فيصار إليه. ا هـ.

إذا علمت ذلك تعلم الخطأ الفاحش الواقع في عبارة «جلاء العينين» في صفحة ٢٦٠ من قوله: فتحصل أن في آيات الصفات والأحاديث المتشابهة أقوالاً: منها قال الحافظ ابن حجر في شرح «الصحيح» في الكلام على قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» قول مدّعي الجهة، وهي جهة العلو المستدل بهذا الحديث ونظائره، وهو قول غير واحد من السلف والصوفية، انتهت «عبارة جلاء العينين» فقوله: إن القول بالجهة هو قول غير واحد من السلف والصوفية غير صحيح وهو مخالف لعبارة ابن حجر، بل لم يقلها أحد غيره أيضاً حتى ابن تيمية القائل بالجهة لا ينسبها إلى السلف ولا إلى الصوفية، بل يذم الصوفية بأنهم لا يقولون بها، ويسميهم الاتحادية لقول من قال منهم بوحدة الوجود، ويذم أهل السنّة والجماعة من الأشعرية والماتريدية لعدم قولهم بها، ويسميهم الفرعونية لقول فرعون ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦]: يعني أن قول فرعون: إني لأظنه كاذباً يفيد أن موسى عليه السلام قد قال له إن الله فوق السماء فلم يصدقه وطلب من هامان بناء الصرح لينظر إلى صحة قوله هكذا زعم ابن تيمية، فسمي أهل السنّة بالفرعونية لعدم قولهم بالجهة التي يقول بها، واستدلاله هذا ليس بصحيح، إذ قد يكون سيدنا موسى ذكر عبارات نحو المتشابه من الألفاظ التي وردت في القرآن، وحديث نبينا ﷺ مثل: ﴿استوى على العرش﴾ [الأعراف: ٥٤] ومثل قوله ﷺ: ﴿فوق العرش﴾، وقوله: ﴿ينزل ربنا إلى سماء الدنيا﴾ ونحو ذلك من الألفاظ المتشابهة التي فوضنا علم معناها نحن معاشر أهل السنّة إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم نفهم منها التجسيم والتشبيه كما فهمه ابن تيمية هو وجميع المجسمة والمشبهة والقائلين بالجهر، وهم الذين يسميهم أهل السنّة الحشوية لأنهم حشوا في عقائد التوحيد ما ليس منها مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى من مشابهة الحوادث، والظاهر أن فرعون فهم من كلام موسى المتشابه في أوصاف الله تعالى ما فهم ابن تيمية وجماعته من الكلام المتشابه الوارد في الكتاب والسنّة من التجسيم والتشبيه والجهة، فأمر هامان أن يبني له الصرح ليطلع على حقيقة ذلك. إذا علم هذا يظهر جلياً أن المستحق لاسم الفرعونية هم الحشوية الموافقون لفرعون في مذهب التجسيم والتشبيه والقول بالجهة، لا أهل السنّة والجماعة المنزهون لله سبحانه وتعالى عن جميع ذلك، ومع قول ابن تيمية بالجهة على التفصيل الذي ذكره وهو مقر بأن لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنّة ولا عن أحد من السلف، ويزعم مع ذلك أنه متقيد بقول الله تعالى ورسوله والسلف الصالح وأنه غير مبتدع، وأي بدعة أعظم من هذه؟.

واعلم أن الحافظ ابن حجر إنما أراد بقوله السابق: وأنكر ذلك الجمهور: يعني جمهور علماء الأمة المحمدية من أهل السنّة وخلافهم، لا جمهور أهل السنّة فقط، لأن أهل السنّة وهم جميع الأشعرية والماتريدية وبعض الحنابلة، فليس جمهورهم فقط ينكر القول بالجهة، بل هم مجمعون على إنكاره، والقول بها ليس هو مذهب أحد منهم أصلاً؛ بل قال بعض أئمتهم كالإمام النووي الشافعي والإمام ابن أبي جمرة المالكي بتكفير القائل بها كما تقدم نقل ذلك عن الإمام اللقاني وغيره،

فإياك أن تغتر بمثل عبارة «جلاء العينين» المذكورة، وهي قوله. إن قول مدعي الجهة هو قول غير واحد من السلف والصوفية. فهي عبارة عجيبة غريبة، ونسبتها إلى الحافظ ابن حجر أعجب وأغرب، فإنها مخالفة لعبارته على خط مستقيم، ولا أظن أن ذلك وقع من صاحب «جلاء العينين» عن قصد لأجل التلبيس على المسلمين وغشهم وسوقهم إلى هذا الاعتقاد الفاسد اعتقاد الجهة المخالف لما عليه جمهور الأمة المحمدية وجميع الشافعية والمالكية والحنفية وبعض الموفقين من الحنابلة أيضاً كالإمام ابن الجوزي متبعاً بذلك إمامه إمام السنّة الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه، فإنه كما قال العلماء منهم ابن حجر وغيره: قد نزهه الله عن هذه الوصمة القبيحة والشنيعة العظيمة، وهي القول بالجهة في جانب الله عزّ وجلّ، وإنما وقعت هذه العبارة من صاحب «جلاء العينين» على سبيل السهو والنسيان، والله يحسن إليّ وإليه بالعفو والغفران إنه ولي الإحسان، وسيأتي الكلام في الباب الآتي على كتابه هذا وتحذير المسلمين منه لكثرة ما فيه من مخالفة مذهب أهل السنّة والجماعة وخلطه الحق بالأباطيل، وليس كل الناس يهتدى للتمييز بينهما، وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك».

ومما يصرح بأن ابن تيمية قائل بالجهة وأن مذهبه الذي استقر عليه أمره وإن يكن قد رجع عن التجسيم أو أنه لم يقل به أصلاً وإن أفادت ذلك عباراته قول أحد أتباع مذهبه القائلين بالجهة وهو صدّيق حسن خان الهندي البهوبالي في كتابه المسمى «الانتقاد الرجيح: في شرح الاعتقاد الصحيح» الذي شرح به عقيدة الشيخ الأجل وليّ الله المحدّث الدهلوي المطبوع على هامش «جلاء العينين» في شرح قوله: ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا في حيز وجهة. قال صديق حسن خان: إنما انكرها جماعة من أهل العقل، لأن الجهة لا تثبت في حقه سبحانه في مرتبة العقل، ومن الذين أثبتوها بالنقل أهل الحديث بأجمعهم والأشاعرة، وتسمية المتكلمين إياهم بالمجسمة والمشبهة تعصب منهم وتحكم.

ومن أكابرهم إثباتاً لها في حقه تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله تعالى عنه وتلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى، وقد قيل فيهما ما قيل، انتهت عبارته بحروفها، فقد صرّح فيها كما تراه بأن إمامه ابن تيمية كابن القيم هما من أكبر المثبتين للجهة، وهو مخطىء أفحش الخطأ في نسبة ذلك للأشاعرة، فإنهم لا أحد منهم يقول بها ومتى قال بها خرج عن كونه أشعرياً وهم كالماتريدية وجميع أهل السنّة يشنعون غاية التشنيع على القائلين بها، وبعضهم يكفرهم كما تقدم بسط ذلك، وزعمه أن أهل الحديث بأجمعهم قائلون بها غير صحيح بل القائل بها منهم الحشوية فقط كابن تيمية وابن القيم وأمثالهما.

أما جمهور أهل الحديث وغيرهم من السلف والخلف فيقولون بالفوقية كما وردت بدون تأويل، ولم ينطق أحد منهم بلفظ الجهة مطلقاً كما قال الإمام الغزالي في عقيدته «قواعد العقائد» وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى إلى آخر ما تقدم نقله، فهذه هي عقيدة الأشاعرة، فكيف يزعم مع ذلك أنهم قائلون بالجهة، والذي يدل على أنه مخطىء أيضاً بنسبته القول بها إلى جميع أهل الحديث ما ذكره بعد ذلك في شرحه المذكور عند قول المصنف: وهو فوق العرش من قوله وفي القول بالاستواء والفوق قول بالجهة عند أكثر أهل العلم من أصحاب الحديث والفقهاء، فلذلك تلفظ بعضهم بها

ا هـ. فأنت تراه قد استنبط القول بالجهة استنباطاً من دون أن يرد في الكتاب والسنّة ولا عن أحد من السلف الصالح ومع ذلك يزعم هو وأمثاله أنهم من أهل السنّة والجماعة وأنهم متبعون لا مبتدعون، وأي بدعة أعظم من هذه وأشنع منها؟ وأما ورود لفظ الفوق والاستواء في حق الله تعالى فلا يستلزم الجهة إلا على حد ما نتعلقه نحن في استواء الحوادث وفوقيتها، فذلك هو الذي يستلزم الجهة. أما إذا قلنا كما هو مذهب السلف الصالح والأشاعرة والماتريدية والمحدثين والصوفية وخلافهم من أن الفوقية والاستواء نؤمن بهما كسائر المتشابهات كما وردت ونفوض علم معناهما الحقيقي إلى الله تعالى معتقدين تنزيهه عما يؤديه ظاهرهما من الحدوث فلا يستلزم ورودهما حينئذٍ القول بالجهة والتلفظ بها، ولو فرضنا أن لفظ الجهة ورد في الكتاب أو السنّة نلحقه بتلك الألفاظ المتشابهة ونعامله بما عاملناها به، فنفوض علم معناه إلى الله تعالى، وننزهه عزّ وجلّ عن ظاهره كما فعلنا في لفظ الاستواء والفوق وغيرهما فلا ننطق بلفظ أنه تعالى في جهة الفوق على كلّ حال، ولكنه لم يرد، ولم يدع أحد من القائلين بالجهة كابن تيمية أن هذا اللفظ قد ورد عن الشارع أو السلف الصالح، بل صرحوا بعدم وروده، وبأنه من الألفاظ المبتدعة كلفظ الحيز والجسم. ومن هنا تعلم الخطأ الفاحش الواقع من صديق حسن خان في نسبة القول بالجهة لأهل الحديث بأجمعهم والأشاعرة، والخطأ الفاحش أيضاً في قوله: وفي القول بالاستواء والفوق قول بالجهة عند أكثر أهل العلم من أصحاب الحديث والفقهاء، هذا لعمري من أفحش الخطأ وأضره وأدله على عدم الفهم أو على عدم الأمانة في نقل مذاهب العلماء، ولا سيما في هذه المسألة المهمة التي لا أهم منها لتعلقها بالله تعالى وتقدس عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

والجواب عن استدلال ابن تيمية بقول الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول على أن هذه الألفاظ ليست من المتشابه بل معانيها معلومة بزعمه عند كل المخاطبين بها أنا نعلم يقيناً أن الإمام مالكاً رضي الله عنه هو من أجل أئمة الهدى المجمع على إمامتهم ونعلم من جهة أخرى يقيناً أن جميع أهل الحق من المسلمين من السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عن أوصاف الحوادث، فلو كان مقصود الإمام مالك بقوله: الاستواء معلوم هو الاستواء بمعنى الجلوس كما يفهم من كلام ابن تيمية، غاية الأمر أن كيفية استوائه تعالى على العرش مجهولة ككونه بالتربع أو التورك أو الافتراش أو الجلوس على ساق ونصب أخرى وغير ذلك من كيفيات الجلوس، لكان الإمام مالك مخالفاً لجميع أهل الحق من تنزيهم الله تعالى عن أوصاف الحوادث التي منها جلوسهم وإن جهلت كيفيتها، وقد ثبت أن الإمام مالكاً هو من أكابر أئمة أهل الحق، فتعين أن معنى كلامه ليس كما فهمه ابن تيمية قطعاً وحينئذٍ يجب علينا أن نفهم كلامه بما ينطبق على حسن حاله المجمع عليه ولا نستنبط منه معاني فاسدة تخل بالدين وتخالف ما عليه جميع أهل الحق من المسلمين كما فعل ابن تيمية في ذلك ولم يقتصر على لفظ الاستواء الوارد عن الإمام مالك، بل طرد هذا في كل الألفاظ المتشابهة التي زعم أنها غير متشابهة وأن معناها معلوم. وقال: يقال في كل واحد منها إن معناه معلوم وكيفيته مجهولة كما قال الإمام مالك في الاستواء: أي بالمعنى الذي فهمه هو من كلام الإمام مالك من أن تلك المعاني هي أوصاف لله تعالى معلومة عند المخاطبين بها بالقياس على أوصافهم التي تطلق عليها تلك الألفاظ لأنهم لا يعلمون إلا المعاني التي تناسب أوصافهم. فإن قلت: فما معنى قول الإمام مالك الاستواء

معلوم إذا لم يكن كما فسره ابن تيمية؟ أقول: يجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة.

الجواب الأول: ما ذكره ابن تيمية نفسه بقوله: فإن قيل معنى قوله الاستواء معلوم أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه، قيل هذا ضعيف، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية اهـ. وجوابه أن ذلك من الإمام مالك إشارة إلى وجوب تفويضه وعدم تأويله.

الجواب الثاني: بأنه يجوز أن يكون مراد الإمام مالك رضي الله عنه بقوله: الاستواء معلوم أي معنى الاستواء الذي يليق بالله تعالى وهو الاستيلاء والقهر كما فسره به الخلف وهو معنى صحيح لغوي هو معلوم عندك أيها السائل فلا معنى للسؤال عنه، ومع كونه معلوماً، لا أرى تفسيره به، بل أفوض علم حقيقته إلى الله تعالى على ما أراد الله تعالى، إذ كيفيته مجهولة: أي كيفية استيلائه وقهره لعباده على الوجه الذي أراده سبحانه وتعالى من هذا اللفظ مجهولة لا نعلمها والسؤال عن ذلك ونحوه من الألفاظ المتشابهة بدعة، إذا الحكم فيها تفويض علمها إلى الله تعالى ورسوله والإيمان بها كما وردت عن الله تعالى ورسوله ﷺ، وليس مراد الإمام مالك بقوله: الاستواء معلوم أن الاستواء هو الاستواء بمعنى الجلوس، فإن ذلك لا تليق نسبته إلى الله تعالى، ولذلك لا يصح تفسير اللفظ به، والمعنى المعلوم إنما هو ما يليق به تعالى هنا، ويصح تفسير اللفظ به وليس ذلك إلا الاستيلاء والقهر، وامتنع الإمام مالك من التصريح به وإن كان معناه صحيحاً لائقاً بالله تعالى لكون مذهبه كجميع السلف عدم تفسير هذه الألفاظ وإمرارها على ظاهرها كما وردت، وهذا الجواب ظاهر مقبول وإن لم أرَ من تعرض له، ثم رأيته لابن التلمساني في فتوى الرملي السابقة.

الجواب الثالث: هو أن الاستواء بمعنى استواء الحوادث معلوم عندك أيها السائل والكيف: أي كيفية استواء الله تعالى المذكور في الآية مجهولة، لأنا لا نعلم حقيقة ذلك الاستواء ولا كيفيته، وهذا الجواب استفدته من كلام سيدي محيي الدين المنقول في «اليواقيت والجواهر» للإمام الشعراني، وهو قوله رضي الله عنه في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة: يعني من الفتوحات المكية بعد أن ذكر كثيراً من الألفاظ المتشابهة الآتي نقلها عنه، وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة إلى الله تعالى، فقوله معقول المعنى لا شك أن مراده به المعنى المناسب للحوادث، فإن المعنى المناسب لله تعالى ليس معقولاً لنا، فعبارته هذه رضي الله عنه قريبة من عبارة الإمام مالك إلا أن الإمام مالكاً قال الكيف مجهول، وسيدي محيي الدين قال: النسبة مجهولة كما تراه.

ويؤيد ذلك قول سيدي محيي الدين أيضاً في الباب الثالث من الفتوحات: اعلم أن جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق وإحياء وإماتة ومنع وإعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضى وضحك وتبشيش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا، فإننا ما وصفناه به من عند أنفسنا، وإنما هو تعالى الذي وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا، وهو تعالى الصادق وهم الصادقون؟ ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى، وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شيء من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته إلى

الله تعالى إلا على غير الوجه الذي ننسبه إلينا ونعوذ بالله أن نضيف ذلك إلى الله تعالى على حد علمنا نحن به، فإنا جاهلون بذاته في هذه الدار، وفي الآخرة لا ندري كيف الحال. انتهى كلام سيدي محيي الدين وفيه الكفاية، وله في هذا الشأن عبارات متعددة موفية بالمقصود على أحسن وجه وأتمه ذكر كثيراً منها الإمام الشعراني في «اليواقيت والجواهر» وكلها ترجع كعبارات غيره من العارفين وجمهور أهل السنة من السلف والخلف والمتقدمين والمتأخرين إلى تفويض علم الألفاظ المتشابهة الواردة في الكتاب والسنّة إلى الله تعالى ورسوله وتنزيهه تعالى عما يفيده ظاهرها من المعاني الحادثة التي لا تليق به سبحانه وتعالى. ومن أهل السنّة من يقول بالتأويل عند الاحتجاج لذلك لدفع الشبهة وبيان استحالة المعاني الظاهرة على الله تعالى ببيان معاني أخرى يحتملها اللفظ في لغة العرب التي خاطب الله بها عباده.

أما كون الألفاظ المذكورة وما شاكلها ليست من المتشابه وأن معانيها في حق الله تعالى معلومة لنا وهي المعاني المفهومة من ظاهر اللفظ المناسبة للحوادث مع جهل كيفيتها فقط فلا يقول به أحد من أهل السنّة ولم أره في كتاب لغير ابن تيمية؛ وهذا المعنى هو الذي ضل به المجسمة والمشبهة والذاهبون إلى اعتقاد الجهة في جانب الله سبحانه وتعالى. ولا حاجة إلى زيادة الكلام والنقل عن العلماء الأعلام لرد ذلك وبيان أنه من وساوس الأوهام التي خالف بها ابن تيمية ومن كان على مذهبه، هذا ما عليه أهل السنّة من عقائد الإسلام، فقد يغنيني عن الإطالة في ذلك كل عبارة منقولة في هذا المعنى عن السلف والخلف في كتب الكلام، فكلها تنادي بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال بتخطئة ابن تيمية وجماعته في ذلك، ونقول: إن ما اعتقدوه في الله تعالى من المعاني المناسبة للحوادث ليس هو من أحكام دين الإسلام، ولا مما يرضى به الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام.

الباب الخامس

في الكلام على «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» للإمام شمس الدين محمد بن القيم الحنبلي الدمشقي «والصارم المبكي في الرد على الإمام تقي الدين السبكي» الشافعي في مسئلة الزيارة للحافظ شمس الدين بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي، وهو كابن القيم تلميذ الإمام ابن تيمية، و «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» ابن حجر وابن تيمية لنعمان أفندي الألوسي الحنفي البغدادي، وهو يشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول
في الكلام على كتاب «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» للإمام شمس الدين بن القيم الحنبلي رحمه الله تعالى

فقال في كتابه المذكور: فصل: ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من

لم يرد الله تعالى فتنته مما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور وذكر رحمه الله ما كان من عباد الأصنام من عبادتهم أولاً قبور كبرائهم وتصويرهم صورهم ثم صاروا يعبدون تلك الصور وجعلوها أصناماً، ثم ذكر الأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وأعياداً، وأطال في ذلك بذكر ما يناسبه من الآيات والأحاديث وفسرها بحسب رأيه من منع السفر لزيارة القبور والاستغاثة بأصحابها من الأنبياء والصالحين ومنع الاستشفاع بهم وأطلق على من يفعلون ذلك أنهم مشركون، ثم قال: فإذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظناً منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه، فإن هذا ممتنع، سببه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج، وأطال في الاستدلال لمنع هذا القياس: أي قياس الرب سبحانه وتعالى على الملوك في الشفاعة بخواصهم بعبارات زخرفها، وقد ذكر كثيراً من الآيات الواردة في القرآن بحق المشركين عباد الأصنام وجعلها شاملة لزوار قبور الأنبياء والصالحين والمستشفعين والمتوسلين والمستغيثين بهم إلى الله تعالى لقضاء حوائجهم، وكل ذلك تقدم الجواب عنه تفصيلاً في الأبواب السابقة من هذا الكتاب، فلا حاجة إلى تكرار نقله هنا، ومن أفحش عباراته وأشنعها وأقبحها وأفظعها ما ذكره بعد الفصل السابق بقوله: فصل: ثم إن في اتخذا القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيرة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام. فمن مفاسد اتخاذها أعياداً: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم؛ فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله! بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولى العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام. أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد بيت الله الحرام؟ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود الذي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنىء بعضهم بعضاً ويقول أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجه القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول لا ولو بحجك كل عام؛

هذا ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. انتهت عبارته بحروفها.

وقبل الكلام عليها أنقل هنا شيئاً من كلام الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية» في زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام ليظهر لكل أحد استنار قلبه بنور الإسلام، وسلمه الله من ظلمات الشكوك والأوهام، الفرق بين النور المتدفق من كلام هذا الإمام، وما في عبارة ابن القيم عفا الله عنه من الظلم والظلام. قال الإمام القسطلاني في المقصد العاشر من كتابه المذكور، وهو آخر المقاصد: الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف ﷺ: اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام، وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسي كما ذكره في «المدخل» عن «تهذيب الطالب» لعبد الحق أنها واجبة قال: ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة. وقال القاضي عياض: إنها سنّة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها، ثم ذكر القسطلاني أحاديث كثيرة في طلب زيارة النبي ﷺ والسفر إليها وعظم فضيلتها، وقد تقدم ذكرها في هذا الكتاب فلا حاجة لتكرارها. ثم قال: وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية، وأنه ليس من القربات بل بضد ذلك، وردّ عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفي صدور المؤمنين، ثم قال رحمه الله تعالى: وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ في طريقه فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به، فليردد الصلاة والتسليم، وليسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته، ويسعده بها في الدارين، وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشياً باكياً، ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا إليه، فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه. وروينا مما ذكره القاضي عياض في الشفاء أن أبا الفضل الجوهري لما ورد إلى المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا	فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة	لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وأنبئت أن العلامة أبا عبد الله بن رشيد قال: لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم، وكان أرمد، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار وقوى الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر بالمشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حل تلك الديار فأحس بالشفا، أنشد لنفسه في وصف الحال:

ولما رأينا من ربوع حبيبنا	بيثرب أعلاماً أثرن لنا الحبلا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا	شفينا فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدي للعيون جمالها	ومن بعدها عنا أديلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة	لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها	ونلثم من حب لسواطئها التربا

وإن بقائي دونه لخسارة ... ولو أن كفى تملك الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه ... يقيم مع الدعوى ويستعمل الكذبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة ... وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

قال القسطلاني: ولما كنت سائراً لقصد الزيارة في ربيع الآخر سنة ٨٩٢ ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الأرواح المبشر بقرب المزار من أشرف الديار تسابق الزوار إليه، وتعالوا بالصعود عليه استعجالاً لمشاهدة تلك الآثار، واقتباساً لمشاهدة تلك الأنوار، فبرقت لوامع الأنوار النبوية وهب عرف نسمات المعارف المحمدية، فطبنا وغبنا إذ شهدنا أعلام ديار أشرف البرية:

ألامع برق يغتدي ويروح ... أم النور من أرض الحجاز يلوح
وريح الصبا هبت بطيب عرفهم ... أم الروض في وجه الصباح يفوح
إذا ريح ذاك الحي هبت فإنها ... حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت ... فللنور بين الواديين وضوح
فما هذه إلا ديار محمد ... وذاك سناها يغتدي ويروح
وإلا فما للركب هاج اشتياقهم ... فكل من الشوق الشديد يصيح
وأنت مطايا الركب حتى كأنها ... حمام على قضب الأراك تنوح
وقد مدت الأعناق شوقاً وطرفها ... إلى النور من تلك الديار لموح
رأت دار من تهوى فزاد اشتياقها ... ومدمعها في الوجنتين سفوح
إذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ... جفاء فما للصب ليس يبوح

قال رحمه الله تعالى: ولما قربنا من ديار المدينة وأعلامها وتدانينا من معاينة رباها الكريمة وآكامها، وانتشقنا عرف لطائف أزهارها، وبدت لنواظرنا بوارق أنوارها، وترادفت واردات المنح والعطايا، ونزل القوم عن المطايا أنشدت متمثلاً:

أتيتك زائراً وودت أني ... جعلت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على الأماقي ... إلى قبر رسول الله فيه

قال رضي الله عنه: ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى أصابت بعض الثرى والجدرات:

أيها المغرم المشوق هنيئاً ... ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سروراً ... طالما أسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجاً ... وجميع الأشجان والأشواق
ومر العين أن تفيض انهمالاً ... وتوالى بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق

هذا ما أردت نقله هنا من كلام هذا الإمام، وقد ذكر رحمه الله تعالى أحاديث وفوائد كثيرة نفيسة تتعلق بزيارته ﷺ والاستغاثة به وفضل المدينة المنوّرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

فليراجعها من شاءها، وقد ذكرت بعضها في غير هذا المحل من هذا الكتاب، فانظر رحمك الله إلى هذا النور، وهذا الهدى، وهذا الحق الظاهر المشرق الجلي تعلم شدة الظلام المستولي على أولئك المبتدعين.

وأنت إذا قابلت بين كلام القسطلاني وكلام ابن القيم يظهر لك كمال الفرق بين الباطل والحق ظهوراً بيناً لا تحتاج معه لإقامة البراهين، ولا يلزمك لإدراك ذلك إلا سلامة ذوقك من أمراض الأوهام التي ينفثها في قلوب أوليائه إبليس اللعين، وإن كنت بعد اطلاعك على هذين الكلامين لم تجد في نفسك داعية للميل إلى استحسان هذا واستقباح ذاك فضلاً عن العكس، فابك على نفسك لأنها باءت بالخسران المبين. بحرمانها من محبة سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل): ويا ليت ابن القيم زاد في كتابه المذكور «مصايد الشيطان» فصلاً قال فيه: ومن مصايده أنه يسوّل إلى بعض العلماء الغلو في الدين، ويحسن لهم تضليل المسلمين بالاستغاثة والزيارة لقبور الأنبياء والصالحين، ويدخل عليهم بحيله الشيطانية، إن في ذلك شركاً لرب العالمين والأمر على خلاف ما أوحاه إليهم هذا اللعين، فقد أضرّ بهم بذلك ضرراً فاحشاً في الدين وأضر كل من أعجبه شأنهم من المسلمين كما وقع له ولصاحبه ابن عبد الهادي وشيخهما ابن تيمية، ثم زين لبعض العلماء المتأخرين، كابن عبد الوهاب النجدي أن يتبعهم بمخالفة الأمة المحمدية فيما اتفقت عليه في مسألة الزيارة والاستغاثة وتعظيم الأنبياء والصالحين ولو بعد مماتهم ليبصر إمام فرقة شذت عن الدين؛ وخالفت جماعة المسلمين، وهي فرقة الوهابية المنسوبة إليه وليشتهر بين الناس ويقال إنه جسور، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يبالي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمن خالفهم، ولو كانوا جميع المسلمين، ولو كان ذلك الأمر متعلقاً بسيد المرسلين ﷺ كمسألة الزيارة والاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء والصالحين، وزين لهم أن ذلك يخل بتوحيد الله تعالى، وأنهم هم ومن كان على بدعتهم الموحدون وجمهور الأمة مشركون.

ولعمري: إن هذه النزعة الشيطانية هي أضر من معظم مصايده التي ذكرها في كتابه، وكيف لا وقد ضلل بها جمهور أهل الإسلام من العلماء والعوام، واعتقد أنهم مشركون بالله تعالى ومنهم والله ألوف ألوف هم أقوى توحيد الله تعالى منه ومن شيخه كالأولياء المقطوع بولايتهم مثل سيدي عبد القادر الجيلاني الحنبلي وغيره من أئمة الدين، وأولياء المسلمين المجمع على ولايتهم وإمامتهم فضلاً عمن هو دونهم من العلماء العاملين ومن فوقهم من السلف الصالحين والأئمة المجتهدين.

ويا ليت شعري: ما الذي أباح لابن القيم أن يعبر عنهم بالمشركين، وهم يشهدون: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أبمجرد الاستغاثة والسفر لزيارة سيد الوجود صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوض المورود يجعل أولئك الزائرين والمستغيثين مشركين بالله رب العالمين أليس هذا من أقبح التهور في الدين، وأشد التعدي على المسلمين وأفظع الجراءة على سيد المرسلين وسائر النبيين وعباد الله الصالحين؟ أبمجرد زعمه أن ذلك مخل بتوحيد الله تعالى يباح له ما استباحه من أعراض المسلمين، والتعبير عنهم بالمشركين والاستهانة بالنبيين والصديقين.

فهل اطلع هو على قلوب أولئك الزائرين المستغيثين فوجدها اعتقدت ألوهية من زاروهم واستغاثوا بهم لله رب العالمين؟ ومن أين تعلم هذا الأدب الذي حمله على التعبير بالوثن وأن زواره عباده، وهل يوجد أفظع من هذه العبارة في هذا المقام وأدخرها، إلى من هو أليق بها من الصلحاء والأنبياء الكرام، وهل أحكام الشريعة يلزم أن يكون تبليغها للأمة هكذا بكل هذه الشدة وعدم المبالاة برسل الله وسيدهم الأعظم ﷺ؟ وهل التهويل بالعبارات الفظيعة والتضليل لجميع الأمة، ولا سيما علماء الحقيقة والشريعة يليق بمسلم فضلاً عن عالم فضلاً عن إمام كبير؟.

ويا ترى بمن اقتدى بذلك هذا النبي ﷺ، وهو سيد الموحدين وأعدى أعداء المشركين الكافرين، لم يخاطب الكفار بهذه الفظاعة، بل بالخلق الحسن والأدب الذي أدبه الله به وطوى عليه جبلته. قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤] وقال تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في حق فرعون ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه: ٤٤]، فمن أين اقتبس ابن القيم هذه الآداب ومن أدبه بها، وله يجيب بأنه اقتبسها من شيخه الإمام ابن تيمية، فإن عباراته على أهل السنّة المخالفين لما أتى به من البدعة شديدة النزعة وعظيمة الشنعة، فكانت عبارة تلميذيه: ابن القيم وابن عبد الهادي سارية مسراها وجارية مجراها في شدة التشنيع على عموم المسلمين، الزائرين والمستغيثين من العلماء العاملين، والأولياء العارفين وعامة المؤمنين، حتى أخرجوهم بذلك من الدين وألحقوهم بالمشركين، وكثير من عباراتهم التي عبروا بها، ودلائلهم التي استدلوا بها من الأحاديث والآيات وما ألحق بها من العبارات حق وصدق، ولا ينكر ذلك أحد من المسلمين، بل هو مسلم عند عموم أهل الإسلام ولكنهم أرادوا بها باطلاً، وما أشبههم في ذلك بالخوارج الذين قال في حقهم أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه وكرّم وجهه لما سمعهم يقولون: لا حكم إلا لله: كلمة حق أريد بها باطل، وهكذا ابن القيم وشيخه ابن تيمية وصاحبه ابن عبد الهادي ومن كان على شاكلتهم من أهل هذه النزعة ممن هم في حكم الخوارج على من عداهم من المسلمين في مسألة الاستغاثة والسفر للزيارة، فهم يذكرون آيات وأحاديث وعبارات صحيحة، ولكنهم حملوها على غير محاملها التي فهمتها منها الأمة المحمدية واتخذوها دلائل على ما ابتدعوه وآذوا به الإسلام والمسلمين، وفرقوا كلمة المؤمنين كما فعل الخوارج مع علي رضي الله عنه وسائر المسلمين في ذلك الوقت، فدلائلهم هذه هي حق أريد بها باطل، ومن تأمل كلامهم في كتبهم وجد لهم اعتناءً عظيماً في التلبيسات والتمويهات بخلط الحق بالباطل، وزعم أن العلماء الذين خالفوهم قائلون بجميع ما أنكروه ونقلوا الآيات والأحاديث بمنعه، والحال أن معظم تلك الأحكام التي ذكروها وشنعوا على مرتكبها وخلطوها بالحق الغير الممنوع هي ممنوعة باتفاق أهل السنّة، ولكنهم يلبسون على العوام وأشباههم من الطلبة الطغام: إن أهل السنّة الذين يخالفونهم بتلك البدع التي ابتدعوها من منع الزيارة والاستغاثة هم قائلون بكذا وكذا من الأمور الممنوعة شرعاً، ويستشهدون عليها بالآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لتهجين ذلك عند من لا يعرف الحقيقة، فيخيلون للناس أن أهل السنّة وجمهور الأمة أخطأوا بمخالفتهم الكتاب والسنّة، في تلك المسائل التي هي ممنوعة بالاتفاق ليثبتوا خطأ أهل السنّة بزعمهم بالمسائل الأخرى التي ابتدعوها من منع الزيارة والاستغاثة فيخلطون هذا بهذا ويلبسون على الخلق، فلا يميز

من لا معرفة له بين الباطل والحق. وهذا لعمري من أقبح التلبيس والخيانة في تبليغ شرع الله تعالى إلى خلقه، فبئس الخلق السيىء، وبئس من تخلق به، وهذه كتب أهل السنّة مشحونة بمنع اتخاذ القبور مساجد واتخاذها أعياداً وغير ذلك مما ورد الكتاب والسنّة بمنعه. وقد ذكر ذلك كثير من العلماء، وتقدم نقله في هذا الكتاب فلا معنى للتشنيع على الزائرين والمستغيثين بسيد المرسلين ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين، والاستشهاد على ذلك بتلك الأحاديث وحملها على غير محاملها التي وضعت لها، وكثير مما ذكروه لا يفعله أحد من أهل الإسلام، وبفرض وقوع شيء من ذلك من بعض الجاهلين فقد صرح العلماء بمنعهم من ذلك كالسجود والطواف مع أنه غير واقع، وكثير مما ذكره بعبارته السابقة الشنيعة، وهوّل بارتكاب الناس له بألفاظه الفظيعة لا وجه له فيه بالمنع والتهويل، والمخطىء الضالّ من يرمي فاعله بالتخطئة والتضليل، كالسفر للزيارة والاستغاثة والمبالغة في تعظيم النبي ﷺ والأدب معه بالنزول عن الدواب عند القرب من قبره الشريف ﷺ، والبكاء والنحيب محبة له وشوقاً إليه ﷺ، وأيّ شيء في ذلك من الغرابة، وقد قيل:

وأعظم ما يكون الوجد يوماً   إذا دنت الديار من الديار

هذا في المحبة العادية الدنيوية فكيف بمحبة المؤمنين لنبيهم الأكرم وحبيبهم الأعظم ومنقذهم من نار جهنم والمفيض عليهم أنواع المنن والنعم، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ، ولكن هذا الرجل لم ينطوِ قلبه على تلك المحبة لرسول ﷺ حتى يعذرهم في البكاء والنحيب عند قربهم من ديار الحبيب، إذ لو انطوى عليها قلبه لفعل ما فعلوا من النحيب والبكاء ولم يرمهم بالكلام الفاسد والقول الهراء، ومع كل هذا وظهور حسن آدابهم في زيارة سيد أحبابهم، وتجرده هو من هذه المنقبة والفضيلة العظيمة لم يدعه الشيطان أن يجعل ذلك من المباحات للمحبين لسيد السادات ﷺ حتى جعل بكاءهم وتأدبهم بالنزول عن دوابهم عند القرب من دياره عليه الصلاة والسلام من أعظم المعاصي وأكبر الآثام، وأخذ يعبر في شأنهم بأسمج العبارات المستهجنة ويقول: إن تلك الدموع في سبيل الشيطان لا في سبيل الرحمن وغير ذلك من الهذيان الذي أوحاه إليه الشيطان، ومن أفحشه جعله القبر الشريف وثناً وجعلهم بذلك كعباد الأوثان، ولا أظن أن أحداً من المسلمين غير من خذلهم الله وأضلهم على علم من جماعة المبتدعين الضالين المضلين يطلع على عباراته هذه الخبيثة ولا يعتقد أنه قد باء بها بأشد الخسران. والذي جرّأه على هذه الوقاحة التي لم يرتكبها قبله وقبل شيخه أحد من أهل الإيمان تلبيس إبليس عليهم أنهم بذلك يرضون الله تعالى ورسوله، لأنهم يحامون به عن توحيد الرحمن، وما علموا أنهم صاروا بذلك ملعبة للشيطان، وهم لا يمنعون السفر لزيارة النصارى واليهود وغيرهم من الكفار حال حياتهم ولا يحكمون على زائرهم بالكفر والشرك، أتكون درجة الأنبياء والصالحين أمواتاً عند هؤلاء المخالفين المبتدعين أقل من درجة اليهود والنصارى ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] وأقسم بالله العظيم إني قبل اطلاعي على كلامهم في هذا الباب في شؤون النبي ﷺ لم أكن أعتقد أن مسلماً يجترىء على ذلك، وإني منذ اطلعت على تلك العبارات الشنيعة أتفكر في الرد عليها ثم أحجم ولا أتجاسر على ذكرها ولو للرد عليها خوفاً من أن أكون سبباً في زيادة نشرها لشدة فظاعتها وشناعتها، ثم ترجح عندي بسبب

انتشار هذه الكتب بين الناس لزوم ذكر شيء منها والتنبيه على باقيها والرد عليها شفقة على المسلمين وانتصاراً لهذا الدين المبين ،ومحبة لسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ولعمري إن الشيطان الذي زين لهم تلك البدع القبيحة لشيطان كبير عارف بطرق الإضلال خبير، إذ خيل لهم أن في ذلك محاماة عن توحيد الله تعالى فجرأهم بهذا الخبال الفاسد على أنبيائه تعالى وأصفيائه ولا سيما حبيبه الأعظم ﷺ وأوهمهم أن تعظيمهم والسفر إلى زيارة قبورهم والاستغاثة والتوسل بهم إليه تعالى يخل بتعظيمه وتوحيده عزّ وجلّ إلى آخر ما أملاه عليهم الشيطان من البهتان والهذيان ، وأوحى إليهم لإثبات ذلك تلبيسات ومغالطات سطروها في كتبهم وأضلوا بها من قدر الله ضلاله بذلك من الناس، وكانت تلك الهذيانات والتلبيسات في الظاهر من كلامهم، وفي الحقيقة هي ما أملاه عليهم وأوحاه إليهم ذلك الوسواس الخناس، ومن دقق في عباراتهم في هذا الشأن وما اشتملت عليه من الحماقات والترهات والتهورات لا يشك بأنها ليست من نتائج أفكارهم السليمة، وإنما هي مما أملاه عليهم ذلك اللعين، وإلا فمن يصدق أن مثل الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم، وهما من أكابر علماء المسلمين وأئمة الدين يروج عليهما ذلك الهذيان الذي لا شك أنه من عمل الشيطان، وهما هما علماً وعملاً ومعرفة وحفظاً وجمعاً للعلوم العقلية والنقلية، ولكن لا معصوم إلا من عصمه الله، وإذا سلطَ سبحانه وتعالى الشيطان على أحد من خلقه ولم يحمه من غوايته لا ينفعه كثرة العلم والعمل ولا يكون أحد أقرب منه إلى الخطأ والزلل، من ذلك ما وقع من أئمة الفرق الأخرى المبتدعة، فإنهم كانوا من أكابر العلماء ولكن الله تعالى لم يسلمهم من الشيطان فسلكوا طرق الضلال والأهواء، وبدعة ابن تيمية هذه هي من جملة البدع الشنيعة وإن كان هو وجماعته أجرأ من أولئك على التشنيع على من خالفهم والله يغفر لنا ولهم.

فصل في رد ما منعه ابن القيم
من ضرب المثل بالملك وقضاء حاجات المستشفعين له بوزرائه وخواصه لله تعالى في قضاء حاجات المستشفعين له بأنبيائه وعباده الصالحين

اعلم أن منعه في صفحة ١١٦ من كتابه المذكور «إغاثة اللهفان» قياس الرب سبحانه وتعالى على الملوك في الشفاعة بخواصهم لهم بتلك العبارات التي زخرفها ومَوه على الناس بها وأطال الكلام عليها هو ممنوع، لأن ذلك من قبيل التشبيه، وهو واقع في القرآن بقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] وأين نور المصباح من نور الله تعالى؟ وكذلك أين الملوك من الله تعالى؟ وكيف يمنع هذا التشبيه وهو وارد في الكتاب والسنّة وروداً شائعاً في أمور الدنيا والآخرة؟ ومن أسمائه تعالى الملك والمليك.

وقد ورد من الآيات والأحاديث القدسية وصفه تعالى نفسه المقدسة بالملك، وقوله: **«أنا الملك لا ملك اليوم لغيري»** واستواؤه تعالى على العرش استواء لا نعلم حقيقته إنما هو من هذا القبيل، فإن العرش في لغة العرب هو سرير الملك، وكل ذلك رحمة منه سبحانه وتعالى بخلقه ليعرفوا عظمته عزّ وجلّ بالقياس على ما في نفوسهم من عظمة الملوك الذين يحكمونهم وإن كان لا مناسبة بين عظمة

الملوك وعظمة الله سبحانه وتعالى، وهذا لا مانع منه لا عقلاً ولا شرعاً، وإنما حمل ابن القيم على منعه وإطالة العبارة في تهجينه كون ذلك يفيد جواز الاستغاثة لله تعالى بخواص عبيده المقربين عنده من الأنبياء والصالحين، ولا سيما حبيبه الأعظم ﷺ، فإنه من غير تشبيه ولا تمثيل يكون يوم القيامة حين الشفاعة بمنزلة الوزير الأعظم كما ورد ذلك، إذ يقول الله تعالى يومئذٍ «أنا الملك أنا الجبار لا ملك اليوم لأحد غيري» وابن القيم نفسه قاس هذا القياس في كتابه «جلاء الأفهام: في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام» كما نقلته عنه في الباب العاشر في فوائد الصلاة على النبي ﷺ، وثمراتها في كتابي «سعادة الدارين» إذ نقلت عنه ما ذكره من الفوائد في كتابه المذكور، وهو قوله رحمه الله تعالى: الفائدة التاسعة والثلاثون أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء. ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان: أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤال وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه. والثاني سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذكره ورفعته، ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله؛ فمن آثر ذلك على طلب حوائجه ومحابه وكان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده فقد آثر ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه هو فقد آثر الله ومحابه على سواه والجزاء من جنس العمل فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره، واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب إليهم والمنزلة عندهم، فإنهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته إليه، وكلما سألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشريفه علت منزلتهم عنده وازداد قربهم منه وحظوتهم لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشريف والتكريم لمحبوبه فأحبهم إليه أشدهم له سؤالاً ورغبة أن يتم عليه إنعامه وإحسانه.

هذا أمر مشاهد بالحس ولا تكون منزلة هؤلاء عند المطاع ومنزلة الطالب حوائجه منه وهو فارغ من سؤاله وتشريف محبوبه والإنعام عليه واحدة، فكيف بأعظم محب وأجله لأكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له. ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه ﷺ إلا هذا المطلوب وحده لكفي المؤمن تشريفاً انتهت عبارته. فانظر لعبارته هذه التي قاس بها شأن الله تعالى بالتقرب إليه بالصلاة على نبيه الأكرم وحبيبه الأعظم ﷺ بالتقرب إلى الملوك بسؤالهم قضاء حوائج من يحبونه، فكيف منع ذلك هنا، هذا عين التناقض، ولكن تجويز هذا القياس هناك وحصوله منه بالفعل وقع منه حين لا عصبية تمنعه من ذلك ولا بدعة يريد نصرتها فيها هنالك، وهنا رأى أن نصره بدعة شيخه المشؤومة ونزغته المذمومة لا بدّ لها من إنكار هذا القياس وتهجينه بين الناس، فذكر فيه من الكلام ما ناقض كلامه في «جلاء الأفهام» وقد استعمل هذا القياس والتمثيل أيضاً غيره من العلماء الأعلام والأولياء الكرام، فهو يوجد في عباراتهم من غير نكير ولا اعتراض ولا تحجير. ومن ذلك قول الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي في الباب السبعين وثلاثمائة من «الفتوحات المكية» كما نقله عنه سيدي عبد الوهاب الشعراني في «الكبريت الأحمر» رضي الله عنهما: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بدّ للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً، ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلاً لعقولهم اهـ.

ومن ذلك ما نقلته في «سعادة الدارين» عن الإمام القسطلاني في «مسالك الحنفاء» قال: قال الإمام العارف سيدي محمد بن عمر الغمري الواسطي في كتابه «منح المنة في التلبس بالسنّة».

اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ تتأكد في حق السالك في ابتداء أمره على سبيل المداومة ليلاً ونهاراً وذلك عون له على سلوكه في الطريق وطلب القرب من رب الأرباب بدون غيرها من الأذكار، فإن ذلك فتح لباب الهداية إلى الله تعالى فإنه ﷺ هو الواسطة بيننا وبينه تعالى، والدليل لنا عليه والمعرف لنا به عزّ وجلّ والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه، فإن الواسطة هو السبب في الدخول على الملك العظيم ووسيلة إلى منازل القرب، فهو ﷺ الواسطة بين الخلق وبين ربهم تعالى.

واعلم أن مدد جميع الخلق من الأنبياء والأولياء منه ﷺ وأن جميع أعمالهم تعرض عليه ﷺ، وله ﷺ في كل أجر فإنه السبب في ذلك إلى آخر عبارته، ومن شاءها فليراجعها فإنها كثيرة الفوائد.

وقال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني في العهود الكبرى المسماة «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» في عهد طلب الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ.

اعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى من طريق الصلاة على النبي ﷺ من أقرب الطرق، فمن لم يخدمه ﷺ الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله تعالى فقد رام المحال ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل وذلك لجهله بالآداب مع الله تعالى، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة فافهم. فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ولو كنت سالماً من الخطايا، فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالي أبداً بخلاف من لم يكن غلاماً له ويرى نفسه على خدام السلطان وعبيده وغيرهم ولا يدخل من دائرة الوسائط جماعة الوالي يضربونه ويعاقبونه، فانظر حماية الوسائط، وما رأينا قط أحداً تعرض لغلام الوالي إذا سكر أبداً إكراماً للوالي، فكذلك خدام النبي ﷺ لا يتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكراماً لرسول الله ﷺ، فقد نفعت الحماية مع التقصير ما لا تنفعه كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد إلى رسول الله ﷺ الاستناد الخاص، ثم ذكر رضي الله عنه فوائد الصلاة على النبي ﷺ ونقلتها عنه هناك، ثم نقلت عنه في فصل الاستغاثة به ﷺ من «سعادة الدارين» ما نصه: وقال رضي الله عنه في «العهود الكبرى»: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نسأل الله تعالى شيئاً إلا بعد أن نحمد الله تعالى ونصلي على النبي ﷺ، وذلك كالهدية بين يدي الحاجة وقد قالت عائشة رضي الله عنها: مفتاح قضاء الحاجة الهدية بين يديها، فإذا حمدنا الله تعالى رضي عنا، وإذا صلينا على النبي ﷺ شفع لنا عند الله تعالى في قضاء تلك الحاجة وقد قال تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥] وتأمل بيوت الحكام تجدها لا بدّ لك فيها من واسطة من له قرب عند الحاكم، وإدلال عليه ليمشي لك في قضاء حاجتك، ولو أنك طلبت الوصول إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك.

وإيضاح ذلك أن من كان قريباً من الملك فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب بها الملك وأعرف بوقت قضاء الحوائج، ففي سؤالنا بالوسائط سلوك للأدب معهم وسرعة لقضاء حوائجنا، ومن أين

لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عزّ وجلّ؟ وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول: إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد ﷺ وقولوا: اللهم إنا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا فإن لله ملكاً يبلغ ذلك لرسول ﷺ ويقول له إن فلاناً سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا وكذا فيسأل النبي ﷺ ربه في قضاء تلك الحاجة فيجاب، لأن دعاءه ﷺ لا يرد. قال وكذلك القول في سؤالكم الله تعالى بأوليائه. فإن الملك يبلغهم فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة الله عليم حكيم. انتهت عبارة الإمام الشعراني، وفي هذا كفاية لإثبات جواز هذا القياس والتشبيه الذي منعه الإمام ابن القيم في كتابه به هذا «مصايد الشيطان» واستعمله هو نفسه في كتابه «جلاء الأفهام».

ثم بعد كتابتي هذا رأيت عبارة للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه هي من أقوى الأدلة المقنعة لابن القيم وغيره في جواز هذا التشبيه، وهي مذكورة في كتاب «منهاج السنّة النبوية» للإمام ابن تيمية المطبوع في هذه الأيام، وهي أن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: قالت الجهمية لما وصفنا الله تعالى بهذه الصفات إذ زعمتم أن الله ونوره، والله قدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته قلنا لا نقول إن الله لم يزل وقدرته. ولم يزل ونوره لكن نقول لم يزل الله بقدرته ونوره لا متى قدر ولا كيف قدر، فقال لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا كان الله ولا شيء، فقلنا نحن نقول قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته، وضربنا لهم في ذلك مثلاً فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله تعالى وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات لا يقدر حتى خلق قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى خلق لنفسه علماً والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً لا متى ولا كيف وقد سمي الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [المدثر: ١١]، وقد كان هذا الذي سماه وحيداً له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة، فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته، فكذلك الله وله المثل الأعلى، وهو بجميع صفاته إله واحد. انتهى كلام الإمام أحمد بحروفه، فأنت تراه لم يجعل التشبيه الذي شبهه بقوله، فكذلك الله تعالى بملك له وزراء، وإنما جعل ذلك التشبيه بجماد، وهو النخلة وكافر وهو الوليد بن المغيرة، فإذا جاز ضرب الجماد والكافر مثلاً لله تعالى وصفاته العلية، أفلا يجوز ضرب المثل لله تعالى وأنبيائه وعباده الصالحين بملوك الدنيا ووزرائهم وخواصهم؟ ولعمري إن جواز ذلك أوضح من أن يتردد فيه مثل ابن القيم مع وفرة علمه ودقة فهمه، ولكن هواه في نصرة تلك البدعة كان حجاباً له عن ذلك مع أنه هو نفسه استعمله في «جلاء الأفهام» كما علمت والله أعلم.

وقد قال ابن القيم نفسه في كتابه «طريق الهجرتين» المطبوع على هامش «إغاثة اللهفان» في فضل مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها، وهم ثمان عشرة طبقة: الطبقة الأولى وهي العليا على الإطلاق مرتبة الرسالة فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله وهم المصطفون من عباده إلى أن قال: ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه اختصهم لوحيه وجعلهم أمناء على رسالته وواسطة بينه وبين عباده وخصهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذه خليلاً ومنهم من كلمه

تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إلا من طريقهم ولا دخول إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة وأرفعهم عنده درجة وأحبهم إليه وأكرمهم عليه.

وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم وبهم عرف الله وبهم عبد وأطيع وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ [الشورى: ١٣] وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم. انتهت عبارته رحمه الله، فإذا كان هو نفسه يصفهم بهذه الأوصاف الجميلة التي هم أهلها ومحلها، وقد صرح فيها بأنهم واسطة بينه تعالى وبين عباده وأنهم أقرب الخلق إليه تعالى وسيلة وأن خير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، فما الذي جرى له بعد ذلك حتى نبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغاثة بهم إلى الله تعالى وجعلهم واسطة بين العباد وبينه عزّ وجلّ ووسيلة إلى قضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية؟ أفلا يعد هذا من ابن القيم تناقضاً؟ ومثل تناقضه هذا تناقضه الواقع في عبارته السابقة الشنيعة التي عبر بها عن القبر المزار بالوثن، وأوصاف الزائرين التي ذكرها هي أوصاف زواره ﷺ، وقد اتبع الحق بقصيدته النونية فذكر فيها أن الله تعالى قد استجاب دعاء نبيه ﷺ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» فاستجاب الله دعاءه ﷺ، وهذه أبيات ابن القيم. قال رحمه الله تعالى:

ولقد نهانا أن نصير قبره ... عيداً حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة جدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان

وجميع الأوصاف الجميلة التي ذكرها في عبارته السابقة للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لا شك أنها تؤهلهم لمرتبة الاستغاثة بهم إلى الله تعالى لقضاء حوائج المستغيثين، وهو مصرح فيها بأنهم وسيلة الناس ووسائطهم إلى الله تعالى، فكما جعلهم تعالى واسطة لخلقه في تبليغ دينه جعلوهم واسطة له في قضاء حوائجهم، وإلا فلم لم يبلغ الله تعالى شرائعه وأحكام دينه إلى كل فرد من أفراد الناس بلا واسطة بل أرسل سبحانه وتعالى إليهم رسلاً أوحى إليهم شرعهم وهم بلغوه إلى الناس فجعلهم وسائط بينه وبين خلقه، فالسبب الذي لأجله جعلهم الله تعالى وسائط بينه وبين خلقه هو السبب الذي دعا الناس يجعلونهم وسائط بينهم وبين ربهم في قضاء حوائجهم فإن قلت ما هو ذلك السبب؟ قلت هو والله أعلم معرفتهم بالله تعالى بحسب درجاتهم واستعدادهم وقرب المناسبة بينهم وبين الحق تعالى بالنظر إلى كمال صفائهم وكثرة طاعتهم لله عزّ وجلّ ومعرفتهم بآداب العبودية له تعالى بخلاف سائر الناس، ولذلك كان أجلهم الأنبياء، وهم درجات أعلاهم سيدنا محمد ﷺ ومثلهم في ذلك الأولياء والصالحون، ومع كونهم يكونون وسائط في ذلك لمن هو دونهم في الصفاء والطاعة ومعرفة آداب العبودية يتخذون من هو فوقهم في ذلك كالأنبياء وسائط لهم لدى الله

تعالى كما أن الأنبياء يتخذون سيدهم الأعظم سيدنا محمداً ﷺ واسطة لهم يوم القيامة كما ورد في حديث الشفاعة، وقول الإمام مالك لأبي جعفر المنصور ولم تحول وجهك عنه ﷺ وهـو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم؟ ولا شك أن ذلك منهم جميعاً ومن الناس أيضاً هو من كمال الأدب مع الله تعالى فهو من أحسن محسنات العبد والتزامه حد الأدب مع ربه عزّ وجلّ، فالمنع من الاستغاثة إلى الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه مردود ممنوع والقول به لا مقبول ولا مسموع.

الفصل الثاني

في الكلام على كتاب «الصارم المبكي في الرد على الإمام السبكي» للحافظ شمس الدين عبد الهادي الحنبلي ألفه في الرد على كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصـلاة والسلام» منتصراً لشيخه ابن تيمية في بدعته منع الاستغاثة والسفر لزيارته ﷺ، وكنت حين ابتدأت بمطالعته تعجبت من شدة جرأته على هذا الإمام، بل على سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، إذ رأيته قد بذل أقصى ما في وسعه ليثبت أن سيد الوجود ﷺ لا مزية له بعد موته وأنه مثل آحاد الناس وكل حديث أو أثر أو قول عالم ورد في عكس عقيدته هذه الخبيثة يجتهد في تأويله إو إثبات أنه موضوع كأن السبكي أثبت بتلك الأحاديث والآثار مناقب أحد أعدائه فهو يبذل جهده في تزييفها ويتكلف في كثير منها غاية التكلف بحيث يظهر لكل من طالع كتابه أنه شديد التكلف والتعصب والتعسف وأنه رجل متهور مما حل مراده المحاماة عن بدعة شيخه كيفما كان الأمر بالحق أو بالباطل، ومع ذلك لم يخطر لي أن أكتب شيئاً في هذا الشأن مع ظهور إساءته في ذلك كل الإساءة وإحسان السبكي كل الإحسان، لأن التحكك بالبدعة يزيدها اشتهاراً، وذكرها ولو للرد عليها يزيدها انتشاراً وقلت كفى المحسن إحسانه والمسيء إساءته وحسب المخطىء خطؤه والمصيب إصـابته، وقـد تلقت والحمد الله أمـة الإسلام كتاب الإمام السبكي بالقبول التام حتى قال الإمام القسطلاني في أواخر «المواهب اللدنية» ما نصه: وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية، وأنه ليس من القرب، بل بضد ذلك، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» فشفي صدور المؤمنين. انتهى كلام الإمام القسطلاني.

وقال الإمام ابن حجر المكي في كتابه: «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم» بعد أن ذكر بدعة ابن تيمية وشنع عليه فيها، ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقي السبكي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب، فشكر الله تعالى مسعاه، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه آمين.

قال ابن حجر بعد هذا: ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السذجاء من الحنابلة: يعني ابن عبد الهادي المذكور، فغبر في وجوه مخدراته الحسان التي لم يطمثهن إنس قبله ولا جان وأتى بما دل على جهله وأظهر به عوراء غباوته وعدم فضله، فليته إذ جهل استحيا من ربه، وعساه إذ أفرط وفرط رجع إلى لبه، لكن إذا غلبت ـ والعياذ بالله تعالى ـ الشقاوة استحكمت الغباوة، فعياذاً بك

اللهم من ذلك وضراعة إليك يا رب عزت قدرتك في أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك انتهى كلام ابن حجر في مدح السبكي وكتاب السبكي وذم ابن عبد الهادي صاحب الصارم المبكي، وحقه أن يسمى: بالشاتم الإفكي. وحاصل كتابه هذا أنه حملته الحمية المذهبية لنصرة شيخه على بدعته على أن أجهد نفسه في الرد على السبكي، فتتبع رواة الأحاديث التي ذكرها في كتابه: «شفاء السقام: في مشروعية السفر لزيارة سيدنا محمد خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام» بل ذكرها أيضاً جميع العلماء الذين ألفوا في هذا الشأن، فلا تجد كتاباً من كتب المتقدمين والمتأخرين ذكرت فيه زيارة سيد المرسلين ﷺ إلا وهذه الأحاديث كلها أو بعضها مذكورة فيه، ومع شدة تعصبه وتحامله على الحق وأهله لم يمكنه إلا تسليم أن بعض تلك الأحاديث له أصل وأنه ضعيف لا صحيح مع أن شيخه ابن تيمية لما ابتدع هذه البدعة وصار دأبه وديدنه المحاماة عنها، زعم أن كل الأحاديث الواردة في ذلك موضوعة، ولذلك لما ذكر الإمام السبكي في: «شفاء السقام» عدة طرق في أسانيد الحديث الأول، وهو قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» ومنها طريق ضعيف بسبب ضعف أحد رواته.

قال رحمه الله تعالى: وعلى تقدير أن يكون ضعيفاً من هذا الطريق وحده وحاشا لله، فإن اجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يقويها ويوصلها إلى رتبة الحسن وبهذا بل بأقل منه يتبين افتراء من ادعى أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة، فسبحان الله أما استحيا من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل، لا من أهل الحديث ولا من غيرهم، ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع، ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الأحاديث التي هو واحد منها أنها موضوعة ولم ينقل إليه ذلك عن عالم قاله ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدثين الحكم بالوضع ولا حكم متنه مما يخالف الشريعة، فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسن أو صحيح انتهى كلام السبكي، وما مثل من رد على هذا الإمام لا سيما في هذا المقام إلا:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ومع ذلك فقد رأيت الصواب في مثله الإهمال وعدم التعرض له بحال من الأحوال، وقلت هؤلاء علماء أعلام من أئمة الإسلام وعفو الله يشمل الجميع، وكلهم يدخلون إن شاء الله تعالى تحت شفاعة هذا النبي الشفيع ﷺ ثم رأيت له عبارة لا يجوز السكوت عليها لانتشار كتابه وطبعه قد رد بها على الإمام السبكي في عبارة بين رضي الله عنه فيها وجوب تعظيم النبي ﷺ فرأيت من اللازم ذكر العبارتين وبيان ما في عبارته من الخطأ والمين.

عبارة الإمام السبكي. قال رحمه الله تعالى: والقرآن كله والإجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين، وجميع علماء المسلمين، والسلف الصالحين على وجوب تعظيم النبي ﷺ والمبالغة في ذلك. ومن تأمل القرآن العزيز وما تضمنه من التصريح والإيماء إلى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والأدب معه ﷺ، وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلأ قلبه إيماناً انتهت عبارة السبكي. فانظر إلى هذا الكلام الحق الظاهر المشرق الباهر الذي يتدفق نوراً وأدباً في حق سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ﷺ وهذه عبارة ابن عبد الهادي، وقوله: يعني الإمام السبكي: إن

المبالغة في تعظيمه واجبة أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره والسجود له والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء، فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرط وانسلاخ من جملة الدين انتهت عبارة ابن عبد الهادي.

فانظر إلى هذا الكلام المحفوف بالظلام، المحشو بالباطل وقلة الحياء والاحتشام، في حق سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وها أنا أبين ما في هذه العبارة من الخطأ والخطل والبهتان والزلل، فأقول: قد كذب في بعضها على أهل السنّة والجماعة من المسلمين، وهو في بعضها من أقبح المكابرين. أما ما كذب به، فقوله: حتى الحج إلى قبره والسجود له والطواف به، فهذا من أشنع الكذب الظاهر، والاختلاق الفاحش الذي يقبح صدوره من أفسق الجهلاء فضلاً عمن يدعي الصلاح من العلماء، فإنه لم يقل أحد بجواز شيء من ذلك من أهل السنّة والجماعة القائلين بأن السفر لزيارته ﷺ هو من أجل القربات وأعظم الطاعات فكيف جاز له التعبير بهذه العبارات المستنكرات في الرد على السبكي وتأييد بدعة شيخه التي هي من أقبح البدع المنكرات.

ومعلوم أن أجهل المسلمين العوام يفرق بين حج البيت الحرام وزيارة خير الأنام بأن ذلك فرض من فروض الإسلام، وهذه سنّة من سننه عليه الصلاة والسلام، وكذلك لا يوجد أحد يعتقد مشروعية الطواف به كالطواف بالبيت الحرام وكذلك السجود له ﷺ لم يجوزه ولم يفعله أحد من أجهل الجهال في حال من الأحوال، إذ اختصاص السجود بالله تعالى ومنعه عن غيره على الإطلاق هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فمن أين جاءه هذا الافتراء والاختلاق. ومن أفحش كذبه أيضاً افتراؤه على السبكي وغيره من المسلمين أهل السنّة في عبارته المذكورة بأنهم يعتقدون به ﷺ أنه يملك لمن استغاث به من دون الله النفع والضر، إذ أقل واحد منهم يعلم أنه ﷺ عبد الله ورسوله، وأنه لا يملك هو ولا أحد من الخلق من دون الله لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً، وهذا كذلك من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي استوى فيها أعلم العالمين وأجهل الجاهلين من المسلمين، وليس في كتاب الإمام السبكي الذي يرد عليه ولا في غيره من كتب أعدائه أهل السنّة المحبين لسيد المرسلين ﷺ شيء من ذلك. وإذا تحقق كذبه في هذه الأمور الظاهرة التي لا تخفى على العوام، فكيف لا يكذب فيما ذكره في كتابه من دقائق العلم وأوصاف رواة الأحاديث التي لا يطلع عليها إلا العلماء الأعلام. وأما باقي ما ذكره في عبارته من أن المسلمين الإمام السبكي وغيره من أهل السنّة والجماعة، وهم جمهور الأمة المحمدية يعتقدون فيه ﷺ أنه يعلم الغيب ويعطي ويمنع، ويقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء، فهذا من أصح الاعتقادات وإنكاره من أقبح المنكرات وها أنا أبين ذلك، فأقول:

أما علم الغيب فهو مختص بالله تعالى بالأصالة، وقد يطلع سبحانه وتعالى على غيبه من شاء من عباده كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ [الجن: ٢٦].

قال الخطيب قال القرطبي: المعنى فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على من يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات. ومنها الإخبار عن بعض المغيبات كما ورد في التنزيل في قوله تعالى: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ [آل عمران: ٤٩] ا هـ. وكون النبي ﷺ قد أخبر بمغيبات كثيرة هو من الأمور المعلومة بالقطع ورد منها شيء كثير في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتمدة والسير المعتبرة، وذكرت منها في كتابي: «حجة الله على العالمين» شيئاً كثيراً، فمما قلته فيه: اعلم أن علم الغيب يختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسول الله ﷺ وغيره فمن الله تعالى إما بوحي أو إلهام. وفي الحديث أنه ﷺ قال: «والله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي» فكل ما ورد عنه ﷺ من الأنباء بالغيوب ليس هو إلا من إعلام الله لديه للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته ﷺ. وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بالاطلاع على الغيب حتى كان يقول بعضهم لبعض اسكت فوالله لو لم يكن عندنا من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء.

قال القاضي عياض في الشفاء: وعلمه الغيب ﷺ من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل إلينا خبره على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها.

روى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وقد علمه أصحابي وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه». وروى مسلم عن حذيفة أيضاً قال «أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة». وروى مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة فأعلمنا أحفظنا».
وقال شيخه أبو العباس بن تيمية في كتابه «منهاج السنّة» في الجواب عما ذكره الرافضي من أخبار أمير المؤمنين: سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمغيبات، وأنه بذلك يكون أحق من أبي بكر وعمر وعثمان بالخلافة وأفضل منهم رضي الله عنهم أجمعين.

قال رحمه الله تعالى: والجواب أن يقال أما الإخبار ببعض الأمور الغائبة، فمن هو دون عليّ يخبر بمثل ذلك، فعليّ أجلّ قدراً من ذلك وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان من يخبر بأضعاف ذلك وليسوا ممن يصلح للإمامة: ولا هم أفضل أهل زمانهم. ومثل هذا موجود في زماننا وغير زماننا وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك وأبو هريرة يسنده إلى النبي ﷺ، وحذيفة تارة يسنده وتارة لا يسنده وإن كان في حكم المسند، وما أخبر به هو وغيره قد يكون مما سمعه من النبي ﷺ، وقد يكون مما كوشف هو به وعمر رضي الله عنه قد أخبر بأنواع من ذلك، والكتب المصنفة في كرامات الأولياء وأخبارهم مثل ما في كتاب «الزهد» للإمام أحمد و «حلية الأولياء، وصفوة الصفوة، وكرامات الأولياء» لأبي محمد الخلال وابن أبي الدنيا واللالكائي فيها من الكرامات عن بعض أتباع أبي بكر وعمر: كالعلاء بن الحضرمي نائب أبي بكر وأبي مسلم الخولاني بعض أتباعهما، وأبي الصهباء وعارم بن عبد قيس وغير هؤلاء ممن عليّ أعظم منه، وليس في ذلك ما يدل على أنه يكون هو الأفضل من أحد من الصحابة فضلاً عن الخلفاء ا هـ.

ومن أراد الاطلاع على إخباره ﷺ بالمغيبات الكثيرة فظهرت كما أخبر على الوجه الذي أخبر فليراجع كتابي المذكور، فقد جمع منها ما لم يجتمع قبله في كتاب فيما أعلم.

هذا ما كان من علمه الغيب بتعليم الله تعالى له ﷺ في حياته. وأما بعد وفاته فهو كذلك لأنه ﷺ حي في قبره كسائر الأنبياء، وقد استوفى الحافظ للسيوطي الأحاديث والآثار الواردة في ذلك في مؤلف مخصوص. وما ذكره الإمام السبكي في كتابه المذكور «شفاء السقام» نقلاً عن الإمام البيهقي هو كافٍ وافٍ، ومن الأحاديث التي ذكرها ابن تيمية ونقلها عنه تلميذه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» قوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» رواه المقدسي في مختاراته. ومنها قوله ﷺ: «لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني» رواه سعيد بن منصور في السنن مرسلاً. فهذان الحديثان صريحان بأنه ﷺ يعلم الغيب بتعليم الله تعالى له مع بعد المصلي والمسلم عليه ﷺ، فما بالك بمن يصلي ويسلم عليه عند قبره الشريف ﷺ ممن يزوره الزيارة المشروعة، وهي أن لا يتخذوا قبره الشريف عيداً أي يجتمعون عليه بزينتهم المخصوصة بأعيادهم كما كانوا يجتمعون عند أصنامهم في الجاهلية، فهذا هو المنهي عنه، ولا أحد من المسلمين يفعله والحمد لله، مع أن علم الميت بمن يسلم عليه ليس خاصاً بالنبي ﷺ، فقد ورد في الحديث الصحيح في كيفية زيارة القبور «أن الزائر يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية» فلولا أنهم يسمعون ذلك لما شرع التسليم عليهم ومخاطبتهم به، وقد خطر لي على جواز ذلك دليل قوي لم أرَ من ذكره، وهو أنه ورد في الحديث القدسي «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، فبي يسمع وبي يبصر» الحديث، ولا شك أن من يسمع بالله ويبصر بالله يستوي عنده القريب والبعيد من المسموعات والمرئيات إذ الأمر يرجع إلى أن الله تعالى يمد ذلك السامع وذلك المبصر بقوة عظيمة فيسمع بها ويرى البعيد والقريب كما سمع النبي ﷺ الذي استغاث به من بني كنانة، وأخبر بكثير من المغيبات التي رآها حتى النار والجنة ومن فيهما رآهما في عرض الحائط كما صح في الحديث، وذلك أيضاً يتفاوت بتفاوت الناس، فالأنبياء بذلك أعلى من الأولياء، وهم أيضاً درجات، وأعلى درجاتهم سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ، ويؤيد هذا الحديث القدسي قول الله تعالى له ﷺ: ﴿ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] وهذا معنى قوله في الحديث «وبي يبطش»، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] وذلك حين بايعه أصحابه تحت الشجرة: أي عاهدوه على عدم الفرار ووضع يده الشريفة فوق أيديهم، ولا شك أن روحه الشريفة ﷺ بعد موته: أي انتقاله إلى البرزخ وهي حياة ثانية يتفضل الله تعالى عليها بهذا التشريف. وهو قوله: «فبي يسمع وبي يبصر» فلا يخفى عليه ﷺ من أمرو أمته شيء القريب منهم والبعيد، ولم يقيد في الحديث القدسي أن ذلك التشريف من الله تعالى لعبيده المطيعين له المتقربين إليه بكثرة النوافل هو مخصوص بحين حياتهم، بل هو مطلق، فعلمه ﷺ الغيب قد يكون من هذا القبيل وقد يكون بتبليغ الله تعالى له ذلك بواسطة أحد ملائكته كما ورد، وقد يكون بدون واسطة وكيفيته لا نعلمها ولا يلزمنا أن تعلمها، وإنما نعلم أنه ﷺ عبد الله ورسوله وسيد خلقه وأن الله أفرغ عليه من

الكمالات والاختصاصات التي تعجز عن تصورها عقولنا، بل عقول الناس كافة ما لم يشاركه فيه أحد من المخلوقات، ومن ذلك أن يعلمه الله تعالى بما شاء من المغيبات، وليس في ذلك أدنى غرابة ولا محذور إذ الرب رب والعبد عبد، ومن تمام ربوبيته تعالى أن يهب من شاء من عبيده ما شاء من نعمه الظاهرة والباطنة وعلومه وأسراره بدون تحجير عليه عزّ وجلّ، والعبد مهما وهبه سيده من الكمالات لا يترقى عن درجة العبودية إلى الربوبية، بل يزيد تحققاً في العبودية، فكلما كثرت عليه نعم سيده كانت عبوديته له أكثر وأمكن.

فالعبد الذي أنعم عليه سيده بنعمة واحدة ليس هو في تمام وصف العبودية وتعلقه بسيده ولزوم طاعته له وشدة ارتباطه به كالعبد الذي أنعم عليه سيده بمائة نعمة مثلاً، والذي أنعم عليه بمائة ليس كالذي أنعم عليه بألف وهكذا، ولذلك كان سيدنا محمد ﷺ هو أمكن الخلق على الإطلاق في عبوديته لله تعالى، لأن نعمه تعالى عليه أكثر من نعمه على سائر الخلق فهو أعظم عباده تعالى عبودية له، ولذلك قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١] فوصفه بالعبودية في أشرف مقام، فهو عبده الكامل الذي لا أكمل منه في جميع عبيده لأنه أنعم عليه بأفضل النعم وأكملها وأعمها وأشملها من النبوة والرسالة وغيرهما من أوصاف القرب والحب والأسرار والأنوار التي لا يعلمها إلا الله تعالى وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين، ومن هنا تعلم أن وصف بعض أكابر الأولياء له ﷺ بقوله المتحقق بأعلى رتب العبودية يتضمن وصفه بأن الله تعالى أعطاه من النعم ما لم يعط أحداً من العالمين، ولذلك كانت عبوديته أعلى من عبوديتهم أجمعين.

ويؤيد سماع النبي ﷺ سلام من يسلم عليه من بعيد وقريب مشروعية السلام عليه ﷺ في التشهد في الصلاة بصيغة الخطاب، إذ يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فلو لم يكن ﷺ حياً يسمع جميع المصلين أينما كانوا بإسماع الله له ذلك لما كان لهذا الخطاب معنى، بل كان صدوره من المصلين أشبه بكلام المجانين منه بكلام العقلاء، فإنك إذا سمعت متكلماً يخاطب إنساناً ميتاً من عصور كثيرة أو حياً ولكنه في بلاد بعيدة تظن أن ذلك المتكلم قد اختلط عقله حتى خاطب من ذكر بخطاب الحاضر معه، فإذن لم تشرع لنا مخاطبة النبي ﷺ في الصلاة بهذا الخطاب إلا وهو يسمعها في حياته وبعد مماته ﷺ حتى إن بعض الأولياء سمعوا على سبيل الكرامة رده السلام عليهم عند قولهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولا استحالة في ذلك، لأن الذي أطلعه على الغيب وأسمعه كلام من يخاطبه من بعيد وقريب هو الله تعالى ولا فرق عنده تعالى بين أن يكون ذلك في حياته وبعد مماته ﷺ، فقد صح أنه حي في قبره ﷺ لا سيما وغلبة الحكم هناك لروحه النيرة الطاهرة المقتبس من نورها الأعظم جميع أنوار الدنيا والآخرة فهي لا يحجبها شيء من الأكوان مهما تباعدت الأمكنة وتقادمت الأزمان، ولذلك يسمع الخطاب من جميع المسلمين، ويرد على من أراد الله كرامته من الأولياء العارفين، مهما شط المزار وتباعدت الديار، وقد ورد من معجزاته ﷺ السماع على العبد كسماعه صوت من استغاث به من بني كنانة حينما حاربتهم قريش في مكة فسمعه ﷺ في المدينة وقال له: «لبيك لبيك» وتجهز لنصرتهم فكان الفتح الأعظم فتح مكة المشرفة.

وحصل مثل ذلك لأولياء أمته ﷺ على سبيل الكرامة، ومن ذلك قصة سارية وهو في بلاد

خراسان يحارب، إذ سمع قول عمر وهو على منبر المدينة يقول: يا سارية الجبل وقصته مشهورة، فالذي بلغ ذلك لسارية هو الله تعالى، وهو الذي يبلغ كلام أمته ﷺ إليه وهم في صلواتهم بل وفي غيرها متى شاء، وهذا على قدرته عزّ وجلّ وإكرامه لحبيبه الأعظم ﷺ ومن شاء من أولياء أمته ليس من الأمور المستحيلة لا عقلاً ولا نقلاً، فما بالك بمن يزوره ﷺ عند قبره الشريف، فهؤلاء لا شك بسماع سلامه وكلامه أولى وأحرى. وقد ورد عن كثير من الأولياء أنه رد عليهم السلام هنالك جهراً، وذكرت بعض ذلك في «سعادة الدارين، وجامع كرامات الأولياء» فليراجعه من شاءه.

ومن جملة ذلك أن سعيد بن المسيب في أيام وقعة الحرة كان يسمع الأذان من قبر النبي ﷺ أوقات الصلاة، وكان المسجد قد خلا فلم يبق في غيره، وقد ذكر ذلك كثير من العلماء في كتبهم حتى شيخ ابن عبد الهادي الإمام ابن تيمية ذكر ذلك في كتابه «الفرقان» وهو من أقوى الأدلة على حياة النبي ﷺ في قبره، وعلمه بما وقع من تعطيل الصلوات والأذان في مسجده الشريف في هاتيك الأيام، ولا ريب أن ذلك من علم الغيب الذي أنكره ابن عبد الهادي، فقد ظهر بذلك خطؤه وخطله وإساءته وزلله، وتحقق أنه ﷺ كان يعلم الغيب في حياته الأولى قبل موته، وحياته الثانية بعد موته في قبره الشريف بتعليم الله له ﷺ مع أن علم الغيب ثابت عن كثير من الأولياء بتعليم الله لهم لا ينكره إلا كل محروم، وفي كتابي «جامع كرامات الأولياء» من ذلك شيء كثير.

قال الإمام ابن حجر في «الفتاوى الحديثية» إن علم الأنبياء والأولياء بالغيب إنما هو بإعلام من الله لهم، وهذا غير علم الله الذي تفرد به وحينئذٍ لا يطلق عليهم أنهم يعلمون الغيب إذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه، وأيضاً هم ما علموا وإنما علموا، وأيضاً هم ما علموا غيباً مطلقاً لأن من أعلم بشيء منه يشاركه فيه الملائكة ونظراؤه ممن اطلع، ثم إعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكن لا يستلزم محالاً بوجه، فإنكار وقوعه عناد، ومن البداهة أنه لا يؤدي إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذي تمدح به و اتصف به في الأزل وما لا يزال، وهذا هو معنى الآية وهي قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥] وصرح بذلك النووي رحمه الله في فتاويه فقال: معناها لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله، وأما المعجزات والكرامات فبإعلام الله لهم علمت؛ وكذا ما علم بإجراء العادة. انتهى كلام النووي انتهت عبارة «الفتاوى الحديثية» باختصار.

والأولياء الذين يطلعهم الله تعالى على بعض المغيبات كرامة لهم، وهي من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام الدالة على صحة دينه دين الإسلام هم كثيرون في جميع الأعصار والأقطار، وقد اجتمعت منهم رضي الله عنهم بالشيخ الجليل العارف بالله تعالى سيدي وشيخي الشيخ علي العمري الشامي نزيل طرابلس الشام المتوفى فيها سنة ١٣٢١ هجرية عن نحو المائة سنة رحمه الله تعالى اجتمعت به مراراً كثيرة في اللاذقية وفي طرابلس الشام وفي بيروت وأخبرني في كل من هذه البلاد بأمور غيبية منها ما حدثت به نفسي ولم أطلع عليه أحداً، ومنها حوادث ماضية جرت لي قبل ذلك بمدد طويلة وقصيرة لم يطلع عليها أحد قطعاً، ومنها أمور مستقبلة وقعت بعد ذلك كما أخبر بها. هذا ما يختص بنفسي، ووقع من ذلك لغيري شيء كثير سمعته ممن وقع لهم. أما باقي كراماته وخوارق عادته

فهي لا يمكن إحصاؤها لكثرتها وتنوعها أنواعاً كثيرة ولو جمعت لكانت كتاباً حافلاً، فإنه لا يخلو أحد ممن عرفه غالباً إلا وقد شاهد منه شيئاً من ذلك، وممن اجتمعت به منهم اليد الشريف ولي الله الشيخ عبد الحميد النوباني القادري نسباً وطريقة، نزيل القدس الشريف الموجود الآن فيها المشهور بالكرامات وخوارق العادات. اجتمعت به في القدس إذ كنت رئيس محكمتها الجزئية سنة ١٣٠٥، ثم قدم إلى بيروت بعد قدومي إليها فاجتمعت به مراراً وأخبرني من أموري التي لم يطلع عليها أحد سوى الله تعالى بعدة حوادث بعضها كان ماضياً من سنوات وبعضها حدث في تلك الأيام، ومنهم ابن عمه ولي الله الشيخ أحمد النوباني المتوفى في بلدهم قرية المزارع من قرى القدس في العام الماضي سنة ١٣٢١ هجرية، اجتمعت به في بيروت مراراً كثيرة وأخبرني بشيء من المغيبات التي لا يمكن أن يكون اطلاعه عليها إلا كرامة من الله تعالى أكرمه بها وأخبرني جماعة من الصادقين أنه وقع لهم منه مثل ذلك، وبنو النوباني هؤلاء هم من السلالة الطاهرة النبوية القادرية، وكثير منهم ومن آبائهم وأجدادهم من الأولياء المشهورين أصحاب الكرامات والأنفاس الزكية والأحوال المرضية وهم معروفون بذلك في بلاد القدس وما جاورها من بلاد الشام نفعنا الله بهم وبسائر السادات والأولياء والكرام، ورزقنا رضاهم ورضا جدهم الأعظم عليه الصلاة والسلام.

وأما كونه ﷺ يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء، فهو لا شك فيه ولا يتردد بصحته ووقوعه إلا كل من تراكم على قلبه الجهل والظلام حتى كأنه قريب عهد بالإسلام، ومن يشك بأنه ﷺ يعطي بالله، ويمنع بالله، ويقضي حوائج السائلين بالله، ويفرج كربات المكروبين بالله ويشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء بتشفيع الله له فيهم ولم يعتقد فيه ﷺ أحد من المسلمين أنه يفعل من ذلك شيئاً بنفسه مع اعتقاد أنه سيد عبيد الله وأفضل خلق الله وأحبهم وأقربهم إلى الله، فما معنى هذا الاعتراض البارد من ابن عبد الهادي المذكور الدال على أنه مظلم القلب فاقد النور. أما وقوع ذلك في حياته ﷺ فهو لا يحتاج إلى الإثبات لأنه من الأمور البديهيات، وقد اشترك في ذلك هو ﷺ وغيره من سائر الناس، فإن آحاد المسلمين فضلاً عمن فوقهم، بل غير المسلمين أيضاً من سائر الناس يصدق على بعضهم أنه يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وليس ذلك مما يختص بالمسلمين ولا بالصالحين فضلاً عن سيد المرسلين ﷺ فما وجه استغراب وقوع ذلك من سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ﷺ. وأما وقوع ذلك بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فهو لا يعد ولا يحصى. وقد ألف في ذلك الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن النعمان المغربي التلمساني المالكي المتوفى سنة ٦٨٣ كتابه المشهور «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» وألف في ذلك أيضاً الإمام العلامة الشيخ نور الدين علي الحلبي الشافعي صاحب السيرة النبوية المتوفى سنة ١٠٤٤ كتابه «بغية الأحلام» وقد ذكرت جميع ما فيهما من ذلك مع زيادات في كتابي «حجة الله على العالمين» بعد حذف الأسانيد، ولا حاجة إلى نقل شيء من ذلك هنا إذ كتابي المذكور مطبوع سهل الحصول مع أن ذلك من الأمور المعلومة بالاستفاضة والتواتر عند المسلمين في كل مكان وزمان. وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم»** ذكره

الحافظ السيوطي في الجامع الكبير. وقال رواه ابن سعد عن بكر بن عبد الله مرسلاً.

وليت شعري ما يقول هذا الرجل في حديث الشفاعة العظمى الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، أما فرج به ﷺ كربات المكروبين من الخلائق أجمعين وفيه أنه ﷺ قال: **«أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ثم يقصدون أكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام ليشفعوا لهم آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى فكل واحد يحيلهم على من بعده، ويقول لهم عيسى عليه السلام لست لها عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيؤتى فيقول أنا لها فأستأذن ربي فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وسل تعطِ واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»** وقد ورد في الشفاعة أحاديث كثيرة اقتصرت منها على هذا، لأن فيه الكفاية لإقامة الحجة على هذا المعترض الذي كأنه حينما اعترض هذه الاعتراضات الباردة وأبدى هذه المكابرات الفاسدة لم يكن في رأسه عقل ولم يحضر في ذهنه نقل، والظاهر أنه مع كونه من أكابر الحفاظ قد نسي حديث الشفاعة حينما صدرت منه تلك الألفاظ، ويرحم الله الإمام الأبوصيري حيث يقول:

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء؟

وإلا فكيف مع وجود هذا الحديث الصحيح المشهور الذي لا يخفى على أحد من المسلمين وقد اتفق على روايته وصحته البخاري ومسلم وجميع المحدثين وغيره من الأحاديث الصحيحة الشهيرة ينكر أن يكون النبي ﷺ يفرج كربات المكروبين ويشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء وهل يوجد كرب أعظم من ذلك الكرب العام لجميع الأنام؟ وهل يوجد شفاعة أعظم من تلك الشفاعة التي شملت الخاص والعام؟.

وقد صرح فيه بقول الله تعالى له عليه الصلاة والسلام: **«أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»** فهل بعد هذا يشك مسلم في رأسه ذرة من العقل في كونه ﷺ يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء؟ وما كنت أظن التعصب بالباطل يبلغ بصاحبه إلى هذه الدرجة العجيبة، ولعمري إن استغرابه إطلاق هذه العبارات على النبي ﷺ سواء أراد في حياته أو بعد وفاته عليه الصلاة والسلام لهو من أقبح الخذلان وأعظم الحرمان، ومع ذلك فأسأل الله تعالى لي وله العفو والغفران إنه ولي الإحسان.

(تنبيه): ذكر في بعض النسخ أن «الصارم المنكي» هو بالميم والنون وهو غير صحيح، لأن أنكى الرباعي غير وارد ولا وجود له في كتب اللغة، والوارد هو الثلاثي نكأ بالهمزة ونكى بالتسهيل، يقال نكأ العدو ونكاه نكاية أصاب منه، ولا يقال أنكأه وأنكاه حتى يصبح المنكي كما في لسان العرب والقاموس والمصباح. إذا علمت ذلك تعلم أن اشتهار الكتاب بلفظ المنكي هو خطأ، لأن المؤلف

ابن عبد الهادي هو من أكابر العلماء الذين لا يخفى عليهم مثل هذه اللفظة فلا يحمل الخطأ عليه هو بل على النساخ، واسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو المبكي بالباء كما ذكره في «كشف الظنون» ولقائل أن يقول إنه لا مانع من أن يكون ابن عبد الهادي مع تبحره في علم الحديث ضعيفاً في علم العربية فجاز عليه الخطأ بهذا اللفظ لا سيما والتعبير بالنكاية هو الذي يناسب رده على عدوه الإمام السبكي أو إنه يكون ماهراً في علم العربية أيضاً ولكن الله تعالى قد طمس على بصيرته في تسمية هذا الكتاب كما طمس على بصيرته في مسماه ليحصل الخطى في الاسم والمسمى جميعاً، والدليل على جواز هذا الاحتمال أن خطأه في المسمى وهو نفس الكتاب أفحش وأظهر من خطئه في الاسم، ولكني تبعت بتسميته بالمبكي صاحب «كشف الظنون» وهو الصواب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الثالث
في الكلام على كتاب «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين»

وبيان أن مؤلفه نعمان أفندي الألوسي حكم لابن تيمية بالميل وعلى ابن حجر بالمين.

وقد جاوز به الحد في تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الإسلام وأفراد العلماء الأعلام، لا سيما ابن حجر الهيتمي والتقي السبكي وابنه تاج الدين مؤيداً ما شذ به ابن تيمية في مسائله المعلومة التي خالف بها الأمة المحمدية، وكانت أصلاً لمذهب الوهابية ومقته لأجلها جمهور أئمة الدين من أهل المذاهب الأربعة السنية، وهذا الكتاب من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام المسلمين والطلبة القاصرين، فيجب عليهم أن يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم المكـدرة لمشاربهم بالإعراض التام عنه وعدم مطالعة شيء منه لئلا تضر شكوكه بيقينهم ويوقع الخلل في أمور دينهم. أما العلماء فهو لا يخشى عليهم منه كل ذلك الضرر لتمييزهم بين خطأ ابن تيمية وطائفته الـوهابيـة وصواب السبكي وابن حجر وجمهور الأمة المحمدية وتفريقهم بين مـا خلط فيه مؤلفـه من الحق والباطل والمحلى والعاطل فلا ينخدعون بما جمعه فيه من زخارف الكلام وبهارج الأوهام التي زعم بها أن زلات ابن تيمية هي ما كان عليه السلف الصالح من أئمة الإسلام، ومع ذلك فـالأولى بل الصواب للعلماء أيضاً الإعراض عنه وعدم مطالعة شيء منه إلا للرد عليه، وبيان ما حواه من الخطأ الفاحش والتعصب الشديد ضد العلماء العاملين هداة الأمة ومصابيح الملة كالأئمة الثلاثة ابن حجر والسبكي وابنه تاج الدين وترجيحه كثيراً مما يخالف عقائد جمهور المسلمين أهل السنّة والجماعة من مسألة الاستغاثة والزيارة والقول في جانب الله بالجهة وغير ذلك مما خلطه فيه، ولا يقدر على تمييزه إلا العلماء الأعلام، ويخشى من مطالعته وقوع الخلل في عقائد الطلبة القاصرين والعوام؛ وأنا والله في حيرة من أمره، إن قلت إن ذلك اعتقاده يعارضني أني أعرفه حنفي المذهب من عائلة علم وسيادة في بغداد كلهم من أهل السنّة والجماعة، وأن ما اعتمده في هذا الكتاب مما أيد به زلات ابن تيمية هو مذهب الوهابية لا مذهب الحنفية ولا مذهب آبائه وأجداده السادات الشافعية، وإن قلت إن ذلك ليس اعتقاده الحقيقي، وإنما تظاهر به خدمة لصديق حسن خان الوهابي الشهير ملك بهوبال في الهند صاحب التآليف المشهورة، فهذا لا يليق بمثله وإن كان هو الظاهر من مكاتيبه ومراسلاته لصديق

حسن خان المطبوعة في أول كتابه المذكور «جلاء العينين» ويدل على هذا أني قرأت في كتابه «غالية المواعظ» الذي ألف بعد «جلاء العينين» فوجدته زينه بالنقل في أكثر مجالسه عن كتب العلامة ابن حجر كالزواجر والصواعق وغيرهما ولم ينقل إلا نادراً عن ابن تيمية، والله أعلم بحاله في هذا الكتاب من القصد والنية، ولست أعترض عليه بإجابته عنه بأن بعض الأقوال التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها إليه واستشهد على ذلك بعبارات صحيحة أو غير صحيحة، فهذا لا مانع منه وهو شيء حسن، ولكنه لم يقتصر على ذلك، بل شنع على ابن حجر بألفاظ لا يحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم فضلاً عن إمام كبير من أئمة الدين ينتفع بعلمه وكتبه أمم كثيرة من المسلمين منذ مئات من السنين، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع من قبيح التشنيع والتقريع الإمام تقي الدين السبكي مؤلف «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» عليه الصلاة والسلام، حتى إنه لم يعبر عنه بلفظ الإمام ولا بلفظ شيخ الإسلام، بل إما أن يقول السبكي أو القاضي السبكي وهو في الحقيقة المستحق للقب شيخ الإسلام، لأنه كان قاضي قضاة الشام مع كونه من أئمة العلماء الأعلام، ولقب شيخ الإسلام إنما كانوا يلقبون به قاضي القضاة؛ فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الإسلام وإن كان هو في حد ذاته من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الأعلام، وهو رجل مطعون في عقيدته باعتقاد الجهة فضلاً عن بدعته المتعلقة بالزيارة والاستغاثة، والسبكي هو بالاتفاق من أئمة أهل السنّة، والجماعة، ومن أصل أئمة الإسلام، وابنه تاج الدين هو الإمام ابن الإمام باتفاق العلماء الأعلام، فما الذي حمل نعمان أفندي على معاملتها أسوأ المعاملة مع ابن حجر والميل كل الميل مع ابن تيمية والحالة هذه؟ أيدل ذلك على أن نعمان أفندي هو من أهل السنّة والجماعة؟ لا والله بل هو من أهل البدعة، و «الأرواح جنود مجندة» فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية فلا تأتلف مع هؤلاء الأئمة الأعلام، ولذلك كان منه في حقهم ما كان مع كونهم في جانب تعظيم جده الأعظم ﷺ وإمامه ابن تيمية بعكس ذلك، ولكن الشرف والحسب لا يغني عن العلم والأدب:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

ولا شك أن سوء صنيعه مع هؤلاء الأئمة بل مع نفسه أيضاً قبيح. وعند الله تجتمع الخصوم. وهو برده عليهم ونصرته ابن تيمية على زلاته إنما يخالف جمهور علماء الأمة، إذ جميعهم أنكروا عليه هذه الزلات التي ابتدعها، وكثير منهم شنعوا عليه في كتبهم وشددوا عليه النكير في عباراتهم نصرة للدين ومحبة لسيد المرسلين ﷺ. وقد قدمت في الباب السابق كثيراً من عباراتهم، ونعمان أفندي لم يحكم لابن تيمية فقط بل حكم لجميع الوهابية، وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنّة والجماعة من الشفاعية والحنفية والمالكية وجمهور الحنابلة أيضاً، ومن طالع كتابه هذا بإنصاف يعلم يقيناً أنه أخطأ فيه أفحش الخطأ في حق نفسه وحق أبيه وحق المسلمين عموماً وسيد المرسلين خصوصاً، وأنه لوّث نفسه بأقذار البدع الوهابية التي لا يغسلها عنه بحار الدنيا إلى يوم القيامة، وكما آذى نفسه بذلك أشد الأذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين أهل المذاهب الأربعة حتى المنصفين من الحنابلة بذمهم إياه وخوضهم في عرضه ما بقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب، نعم قد استعاض عن ذلك برضا صديق حسن خان عنه وطائفته الوهابية، فهذا هو

ربح نعمان أفندي من تلبيسه على المسلمين بهذا الكتاب وتوهيمهم أن ما عليه ابن تيمية وطائفة الوهابية من البدعة الشنيعة في مسألة الزيارة والاستغاثة وغيرهما مما خالفوا به أهل السنّة هو الحق وتطاوله على أئمة المسلمين المجمع على جلالتهم، مثل السبكي وابنه وابن حجر، يا نعم ما باع وبئس ما اشترى وبئس ذلك من ربح هو عين الخسران استفاد به عداوة أهل الإيمان في سائر الأقطار والأزمان.

ويا ليت شعري، كيف اختار لنفسه ولأبيه بمقتضى ما نقل عن تفسيره «روح المعاني» منابذة جمهور الأمة المحمدية وما اتفق عليه أئمتها وعلماؤها وعامتها في جميع هذه الأعصار المتطاولة من أمر الزيارة والاستغاثة حتى صار من الأمور المعلومة عند الأمة بالضرورة مع كونه هو الذي يليق بما يجب للنبي ﷺ من التعظيم والتوقير، ولا عبرة بما قاله ابن تيمية وطائفته الوهابية ومن شاكلهم من شذاذ المذاهب من منع ذلك لما توهموه وتخيلوه من المحاذير التي لا تخطر عند الزيارة والاستغاثة ببال أجهل الجاهلين فضلاً عمن فوقه من اعتقاد الألوهية فيمن يزورونه أو يستغيثون به مع أن بدعة هؤلاء فيها من سوء الأدب في جانبه ﷺ ما لا يخفى على من في قلبه أدنى نور. هذا لعمري مما لا يختاره عاقل لأخيه فضلاً عن نفسه وأبيه، وقد لعمري آذى أباه وعقه بتلك النقول التي كان الناس عنها في غفلة لأنها مفرقة في تفسيره، فجمعها في هذه المسائل في كتابه هذا مفتخراً بها ومثبتاً عند صديق حسن خان وطائفته أن أباه هو أيضاً على مذهبهم ومشربهم في ذلك، وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة المشرفة كلاماً فظيعاً في حقه وحق أبيه لا أستحسن نقله هنا، وأسأل الله لي ولهما ولجميع المسلمين العفو والغفران وأن يعاملنا باللطف والإحسان إنه ولي ذلك.

ولما كان قد أظهر تحامله في كتابه هذا على أهل السنّة ومذهبهم، ولا سيما الإمام السبكي وابنه وابن حجر، وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه وكل من كان على شاكلته رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية وابن حجر، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية على ابن حجر بالباطل، فأقول:

الفرق بين الإمامين: ابن حجر وابن تيمية رحمهما الله تعالى

من المعلوم أن أهل كل مذهب من المذاهب الأربعة هم أعلم وأدرى بأحوال علماء مذهبهم لكثرة تدقيقهم في أقوالهم وتنقيبهم عن أحوالهم وتتبعهم لمحاسنهم ومساويهم، ويروي ذلك خلفهم عن سلفهم ليأخذوا بأقوالهم في المذهب أو يردوها أو يعتمدوها أو يضعفوها. وقد نظرنا إلى هذين الإمامين: ابن حجر وابن تيمية، فوجدنا ابن حجر إماماً في مذهب الشافعي لا يعادله فيه أحد من الأئمة المتأخرين سوى الشمس الرملي على خلاف بين العلماء في الترجيح بينهما. أما إذا اتفقا على حكم وجب المصير إليه عند كافة علماء مذهب الشافعي على الإطلاق، فهذه منزلة ابن حجر في مذهبه، وهي معلومة لا ينكرها أحد ولا يدعي خلافها جاهل فضلاً عن عالم، ومؤلفاته في الفقه هي عمدة مذهب الشافعي من عصره إلى الآن، وكلها محررة مقبولة بإجماع أهل مذهبه وغيرهم وهي كثيرة وأكثرها مطولات في عدة مجلدات: منها شرح العباب وتحفة المحتاج شرح المنهاج، والإمداد

شرح الإرشاد، ثم اختصره في مجلدين، وسماه «فتح الجواد» وألف عليه حاشيته والفتاوى الكبرى، وشرح الحضرمية، وحاشية مناسك النووي، ومختصر المناسك المذكورة، ومختصر الروض. هذا ما استحضرته الآن من كتبه الفقهية، وله مؤلفات كثيرة في الحديث وغيره، وكلها نالت منتهى القبول والناس عليها في غاية الإقبال، وأكثرها مطولات. منها: شرح مشكاة المصابيح، والزواجر عن اقتراف الكبائر، والصواعق المحرقة لأهل الرفض والزندقة، وأسنى المطالب في صلة الأقارب، وشرح الشمائل، وشرح الهمزية، وشرح الأربعين النووية، والأعلام بقواطع الإسلام، وكف الرعاع عن آلات السماع، والإيضاح والبيان بما في ليلة الرغائب والنصف من شعبان، وغير ذلك مما لم يحضرني الآن ذكره، وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون، ويعتمد عليها من جميع المذاهب العلماء المحققون ولا يخلو منها في الغالب مكتبة من المكاتب، فيا لها من مؤلفات جليلة خدم بها الدين ونفع بها المسلمين، وانتشرت في العالمين، وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الإسلام للانفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذاهب الإسلام من عصره إلى الآن، ولم ينسبه واحد منهم إلى بدعة أو مخالفة سنة أو أدنى شيء يخل بعلمه ودينه وثقة عموم الأمة به.

وقد كان رحمه الله تعالى ورضي عنه مع كونه إماماً فقيهاً يعتقد في سداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد، ويثني عليهم أحسن الثناء، ويجاوب عنهم بأحسن الأجوبة، فشملته بركاتهم وعمته نفحاتهم رضي الله عنه وعنهم. وبالجملة فقد كان رحمه الله تعالى من أكابر أئمة العلماء العاملين الهداة المهديين الذين جددوا وأيدوا بعلمهم هذا الدين المبين، وعم نفعهم جميع المسلمين؛ فوقع على قبوله والإقبال على كتبه الاتفاق في جميع الآفاق، والحمد لله رب العالمين.

وأما ابن تيمية: فهو أيضاً إمام من أئمة الإسلام. وقد كان من الممتازين في عصره في العلم والعمل والتصلب في الدين بحيث لا تأخذه في الحق ونشره بحسب ما يظهر لومة لائم حتى إنه جرى عليه بسبب مخالفته لما عليه جمهور الأمة من بدعه المعلومة التي شذ بها إهانات كثيرة، وحبس مراراً إلى أن توفي في الحبس ولم يرجع عما ظهر له أنه الحق من تلك البدع. وكان من أكابر حفاظ الحديث، وله في علوم الدين مؤلفات كثيرة مطولات ومختصرات، قل من وفقه الله لمثلها ولكن الله تعالى لم يقدر الانتفاع بعلمه وكتبه كالانتفاع بعلم الإمام ابن حجر وكتبه، فإن كتبه رحمه الله على كثرتها ونفاستها بقيت في زوايا الإهمال ولم يقبل عليها جمهور العلماء وغيرهم ولا تلقوها بالقبول فذهب أكثرها ضياعاً ولا يوجد الآن منها بين الناس إلا القليل.

ومعلوم أن ذلك من الله وحده لا شريك له؛ فهو الذي نشر علم ابن حجر وكتبه في الأمة نشراً تاماً بحيث انتفع بها الخاص والعام في سائر بلاد الإسلام، وهو سبحانه الذي صرف القلوب عن كتب ابن تيمية حتى لم يبق منها إلا القليل النادر. وقلما يوجد في مكتبة من المكاتب الموقوفة والمملوكة شيء منها، وإذا وجد فالغالب أنه يكون مخروماً وناقصاً أو أكلته الأرضة وبليت أوراقه وصار بحالة لا ينتفع بها مع أن كتبه كلها تدل على أنه من أكابر أئمة الإسلام إلا أنه قلما يخلو كتاب منها من شذوذ في مسائل يخالف بها مذاهب المسلمين ويشنع على علماء الدين، ولا سيما الأولياء العارفين: كالشيخ الأكبر سيدي محيي الدين فقد كفره وأخرجه من الدين مع أن جمهور الأمة اتفقوا على أنه من أكابر

الأولياء، وسموه سلطان العارفين. وأظن بل أتيقن أن السبب الوحيد لعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية وعلمه مع جلالة قدره وشذوذه في تلك المسائل واعتراضه على هؤلاء الأكابر، وما شبهت كتبه إلا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة، ولكنها مرصودة من بدعه ومخالفته للأمة بحيات قاتلات، فهي تمنع الناس من الإقبال عليها والانتفاع بها.

ومما اطلعت عليه: منها كتابه «الجواب الصحيح: في الرد على من بدل دين المسيح» فوجدته كتاباً مشتملاً على العجب العجاب لم يؤلف مثله في هذا الباب، وهو في أربعة مجلدات ولكنه لم يسلم أيضاً من تلك المسائل المشئومة والآراء المذمومة، وهو لطوله يفوت به النفع المقصود فيجب اختصاره، وقد نقلت منه في كتابي «حجة الله على العالمين» وغيره مقالات فائقات في إثبات نبوة سيدنا محمد سيد السادات، وطبع له في هذه الأيام: كتاب «منهاج السنّة» في الرد على الروافض، وكتاب «المعقول والمنقول والفرقان» وتقدم ذكرها والكلام عليها، وكيفما كان فحسناته أكثر من تلك السيئات. وقد قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] والسعيد من عدت سيئاته وأحصيت هفواته:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

أما من جهة منزلته في الفقه عند أهل مذهبه علماء الحنابلة فإنا لا نجدها مثل منزلة ابن حجر في الفقه عند علماء مذهبه الشوافعة، بل كثير من أئمة الحنابلة مقدمون عليه في الفقه، وإذا خالفهم لا يعول على كلامه ولا يعتمد على ترجيحاته واختياراته عندهم، وكثير من أقواله مرفوضة بالكلية في مذهب الإمام أحمد، كقوله بعدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، وله مسائل كثيرة شذ بها في مذهب الإمام أحمد وخالف بها الصحيح منه، رد عليه بها علماء المذهب ومنهم الحافظ ابن رجب الحنبلي.

والحاصل أن الحنابلة مع تعظيمهم إياه غاية التعظيم لا يعتبرون آراءه في الفقه واختياراته في المذهب ويرفضون كل ما خالف به أئمة مذهبهم من الأقوال التي نزع بها منزع الاجتهاد وخالف بها عندهم سبيل السداد. وقد علمت أن أعرف الناس بالعالم علماء مذهبه لكثرة تدقيقهم في أقواله وأحواله، وقد طعن فيه أيضاً كثير من علماء المذاهب الأخرى ونفروا الناس منه خوفاً عليهم من الاقتداء به فيما اعترضوا به عليه مما خالف به أئمة الدين وجمهور المسلمين في مسائله المعلومة وآرائه الشاذة المذمومة التي استبدّ بها مخالفاً مذهب أئمة الإسلام.

وقد علمت ما لابن حجر من الاعتبار في الدرجة الأولى عند أهل مذهبه وغيرهم ولم ينسبه أحد إلى ضلالة أو بدعة ابتدعها ودعا الناس إليها كما وقع لابن تيمية وإنما هو إمام متبع لا مبتدع لم يخرج عن سيرة السلف الصالحين وأئمة الدين. إذا تقرر ذلك فقد ظهر ظهور الشمس لكل من عنده أدنى إنصاف أن ابن حجر هو أجل من ابن تيمية في الدين قدراً، وأحسن منه بين العلماء ذكراً، وأعظم منه عند جمهور المسلمين فخراً، وأنفع منه للأمة علماً وأصح منه في الشريعة فهماً وأعرف منه وأدرك لحقائق الأحكام المتعلقة بدين الإسلام وأبعد منه عن الابتداع في الدين وأوثق منه عند جمهور

المسلمين، فإذا اختلفا فهو بلا شك أولى من ابن تيمية بأن يتبعه من أرد الاهتداء لأن ذلك فيه خلاف وهو بالاتفاق إمام هدى فضلاً عن الأوصاف الجميلة الأخرى التي تقضي بأنه بالاتباع أولى وأحرى، ومن خالف في ذلك بعد معرفته بما بينته من الفرق بين هذين الإمامين فهو من أهل العصبية والحمية الجاهلية، ومثله الإمامان تقي الدين السبكي وابنه تاج الدين، ولم نسمع قط بأحد طعن بصحة نقل ابن حجر، وكذا السبكي وابنه فقد اتفقت الأمة على توثيقهم كما اتفقت على كثرة علمهم وتحقيقهم، أما ابن تيمية فقد طعن بعض أكابر العلماء من المذاهب الثلاثة بصحة نقله كما طعنوا بكمال عقله كما تقدم في الباب السابق.

عدم اعتبار موافقة بعض العلماء لابن تيمية على هفواته مع اتفاق جمهور العلماء من المذاهب الأربعة على مخالفته ورد زلاته

واعلم أن استشهاد صاحب «جلاء العينين» لتأييد زلات ابن تيمية بكلام بعض العلماء من أهل مذهبه أو من شذاذ المذاهب الأخرى، أو ممن يدعون الاجتهاد ولا يتقيدون بمذهب مخصوص كعلماء الوهابية لا يفيده شيئاً، لأن الخطأ إذا انضم إلى الخطأ لا يجعله صواباً، والباطل إذا انضم إلى الباطل لا يجعله حقاً، وليس من شرط رد خطأ المخطىء أن لا يوافقه على خطئه أحد، بل متى نابذ الحق الظاهر وحال عن الصواب الباهر كابن تيمية في مسائله المعلومة كان مخطئاً، ومن وافقه على ذلك هو أيضاً مخطىء، وأنت إذا قابلت بين من وافقوه ومن خالفوه تجد في مقابلة الألوف ممن خالفوه واحداً ممن وافقوه ولم يكتسب بموافقتهم له قوة على المخالفين واكتسب من وافقه السقوط عند جمهور المسلمين وصار مجرد العلم بأن العالم الفلاني هو من شيعة ابن تيمية أو على رأيه في تلك المسائل مسقطاً له عند الأمة إلى الحضيض الأسفل وإن كان هو من العلم في المحل الأكمل، ويقل الانتفاع بعد ذلك بعلمه وتنفر الناس من كتبه ويدخل عليهم الشك في صحة كل ما اشتملت عليه من العلم بسبب ما ذكره فيها من الانتصار لابن تيمية وموافقته على زلاته المعلومة المذمومة؛ والغالب أن الموافقين له هم مثله من المدعين الاجتهاد المتحكمين بآرائهم في المسائل الشرعية بالانفراد والاستبداد الحائدين في ذلك عن سبيل السداد المخالفين لجمهور أئمة المسلمين في كثير من أحكام الدين إذ لم يدركوا من دقائق الشريعة ما أدركه أكابر الأئمة المجتهدين فغلطوا فيها وخلطوا وتهوروا في بعض المسائل حتى سقطوا، وجلهم من شذاذ الحنابلة والوهابية ومن كان على شاكلتهم، فموافقة مثل هؤلاء لابن تيمية تضرهم ولا تنفعه وتخفضهم ولا ترفعه فلا يلتفت إليهم فيما خالفوا فيه جمهور الأمة كما لا يلتفت إليه، ولا يعول عليهم في ذلك كما لا يعول عليه لا سيما في مسألة الزيارة والاستغاثة بخير الأنام عليه الصلاة والسلام، والله يجازي كلا منهم على نيته، ويغفر لنا وإياهم جميع الذنوب والآثام.

الكلام على حمل أقوال هؤلاء من الجانبين على حسن النية وإن خالف ابن تيمية وجماعته في ذلك جمهور الأمة المحمدية

لو أنصف صاحب «جلاء العينين: في محاكمة الأحمدين» لما تحامل على ابن حجر ومن يوافقه

كالسبكي وابنه الإمامين مع أنهم مع جمهور الأمة في جانب تعظيم سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وتهور مع ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي مع مخالفتهم جمهور المسلمين وأئمة الإسلام وكان يحمل كلام كل منهم على محامل حسنة لأنهم جميعهم من أئمة الدين وخلاصة العلماء العاملين ونيات من أخطأ منهم فيما أخطأ به صالحات و «إنما الأعمال بالنيات» أما ابن تيمية ومن كان على شاكلته فلا شك أنهم لم يقصدوا بهذه المقالة التي شذوا بها في منع الاستغاثة والسفر للزيارة كما ذكروا في كتبهم إلا الغيرة على جانب الله تعالى من أن يشاركه في التعظيم أحد من خلقه، وفيهما تعظيم عظيم للمزور والمستغاث به وشفقة على المسلمين من أن يضلوا بذلك كما ضلت الأمم السابقة بعبادة الأصنام، فإن أصل عبادتهم أنهم صوروا بعض من مات أكابرهم لأجل التذكار، ثم على تطاول الأيام عندهم، ومن ذلك نشأت عبادة الأصنام على ما قيل. وأما طعنهم في الصوفية فهم لم يطعنوا بجميع الصوفية، وإنما طعنوا بمن ظهر منهم كلمات لا تنطبق على أحكام الشرع الشريف فحكموا عليهم بحسب ما ظهر منهم فكفروا من كفروا بمقتضى ما صدر منه مما يقتضي ظاهره الكفر، ولم يجنحوا إلى تأويل كلامهم رضي الله عنهم كما جنح غيرهم من العلماء، وهذا أيضاً وقع منهم غيرة على الدين ومحافظة على عقائد المسلمين: وأما مسألة القول بالجهة في جانب الله تعالى، فهي ليست مذهب ابن تيمية وحده، بل هي مذهب كثير من الحنابلة، وإنما قالوا بذلك لظواهر كثير من الآيات والأحاديث التي وقع فيها التعبير بالفوقية، والتي تفيد بظاهرها جهة العلو فهم لشدة تمسكهم بظاهر الكتاب والسنّة لم يذهبوا إلى تأويل تلك الظواهر. وهذا ما يحمل عليه كلام ابن تيمية وجماعته وهي محامل حسنة صحيحة موافقة لقصدهم ونياتهم فلم يخالفوا بذلك جمهور الأمة وأكثر علمائها وهم السواد الأعظم، لمجرد الهوى وحب الظهور والشهرة أو غير ذلك من الأغراض المذمومة، فإن كثرة علمهم وصلاحهم وما كانوا عليه من حسن الحال والتقوى والتمسك بالدين ونصرة الشريعة بحسب ما يظهر لهم من الحق جميع ذلك يأبى أن تكون مخالفتهم لكبار الأئمة وجمهور الأمة في تلك المسائل المتعلقة بسيد الوجود ﷺ فضلاً عن مسألة القول بالجهة لمجرد الهوى وحب الاشتهار حاشاهم من ذلك.

وأما ابن حجر والسبكي وغيرهما ممن اعترضوا على ابن تيمية فلا شك أنهم يعلمون مثل ما نعلم من حسن نيته في ذلك ونية من قال قوله ويشهدون له بكثرة الفضل وغزارة العلم والتضلع من الشريعة مع زيادة التقوى والتصلب في الدين إلى الغاية القصوى، كما أنهم هم كذلك وجميعهم أئمة في الدين، وكلهم لا تأخذهم في الحق لومة لائم ولا يحابون أحداً، ومقصودهم الأصلي واحد وهو رضا الله ورسوله بالمحافظة على الشريعة المحمدية والمحاماة عنها بقدر استطاعتهم حتى لا يدخل عليها أدنى شيء يخل بحكم من أحكامها، لأنهم حراسها وحماتها وأئمتها وهداتها، ولولا ذلك لما تظاهر ابن تيمية في هذه المسائل التي اعتقد خطأ جمهور الأمة فيها، فصدع بالحق بحسب ما ظهر له واعتقده وإن كان مخالفاً للحقيقة، وما بالي في كون ذلك يتسبب عنه أذيته وطعن العلماء فيه، بل قاموا عليه بالفعل في عصره وحبسوه المدد المتطاولة حتى مات في الحبس وهو لم يتزلزل عن عقيدته ومخالفته لجمهور المسلمين في تلك المسائل التي ظهر عند الأمة كل الظهور أنهم فيها على الحق، وهو على الباطل.

ولما كان ابن حجر والسبكي وغيرهما ممن تصدى للرد عليه هم مثله من أئمة المسلمين وحماة الدين وحراس شريعة سيد المرسلين ورأوه مبطلاً في تلك المسائل التي شذ فيها وفارق السواد الأعظم، وله جماعة ينشرون مذهبه بين الناس خافوا من تشويش عقائد المسلمين واتساع الخرق على الراقعين، فلم يسعهم إلا أن ردوا عليه خطأه وبينوا للناس زلله وأوضحوا لهم الحق في ذلك حتى لا يسلك أحد منهم في هاتيك المسالك، وربما بالغوا بالتشنيع عليه في الرد بقصد تنفير الناس من تلك الأقاويل وشفقة عليهم من أن يقع أحدهم في شيء من هذه الأباطيل ولم يفعلوا ذلك بقصد التحقير لهذا الإمام، وهو من مشاهير علماء الإسلام حاشاهم من ذلك والله هو الحاكم بينهم، فعنده سبحانه وتعالى تجتمع الخصوم ويظهر الظالم من المظلوم، والمرجو من كرمه عزّ وجلّ أن يعامل كل واحد منهم بعفوه ومغفرته ويجازيه أحسن الجزاء على حسن نيته ويشملهم جميعاً ونحن معهم بسابغ إحسانه وواسع رحمته فيكونون ونحن معهم كما قال سيدنا علي أمير المؤمنين: أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] فإن الجميع مجتهدون في ذلك وليس لهم قصد إلا نصرة الدين ودفع الضرر عن المسلمين، وإنما كان بالسلاح حرب أولئك الصحابة الكرام، وبالأقلام حرب هؤلاء الأئمة الأعلام، والكل إن شاء الله تعالى مأجورون، فمن أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران.

وبعد هذا إذا أردنا أن نحكم بين ابن تيمية وابن حجر ومن وافقهما نقول: نظرنا إلى قول ابن تيمية في المسائل المذكورة فوجدناه يترتب عليه محذوران عظيمان وهما اعتقاد الضلال في جمهور الأمة المحمدية من العلماء وغيرهم فقد اتفقوا في سائر الأعصار والأمصار على التقرب إلى الله تعالى بالاستغاثة بسيدنا محمد حبيبه الأعظم، والسفر لزيارة قبره الشريف ﷺ وكذلك سائر النبيين والصالحين، ووجدنا ذلك أيضاً يمس مقامه الرفيع ﷺ من أنه ليس أهلاً لأن يسافر الناس لزيارته ويستغيثوا ويتوسلوا به إلى مولاه الكريم عزّ وجلّ، فلذلك رفضنا قول ابن تيمية هذا غير ملتفتين إلى ما أبداه من الأوهام التي لا ينبني عليها أحكام مع تحقق عدم المحذور الذي توهمه بخياله، وتحقق وقوع المحذور الشديد باتباع أقواله، ووافقنا ابن حجر والسبكي وغيرهما من الرادين عليه، بل وافقنا جمهور الأمة وأئمتها وعلماءها السابقين واللاحقين وجميع المسلمين في ذلك ورأينا من الواجب المتحتم علينا أن نرفض أقواله هذه التي شذ بها ظهرياً ونحسب اتباعها شيئاً فرياً ولم نصغ إلى تلك الخيالات والأوهام من أن ذلك يؤدي إلى الشرك وعبادة الأصنام، فإنا لم نرَ ولم نسمع في جميع هذه العصور بمن ضل في ذلك من العوام فضلاً عن علماء الإسلام، وكلهم بحمد الله تعالى على اعتقاد جازم بأن الأمر كله لله وحده لا شريك له، ولكن بعض عبيده أقرب إليه من بعض. وقد اصطفى منهم أنبياء ومرسلين، وجماعة من عباده الصالحين، ولا مانع من التوسل إليه بأحد عبيده هؤلاء المقربين مع الأمن من وقوع أدنى خلل في الدين، ونحن على يقين ما بعده يقين من أنه لا يعتقد أحد من المسلمين أدنى تأثير في الكون لغير الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

الباب السادس

في نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التي حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين ﷺ

أخذت ذلك مما نقله الثقات وذكره الأئمة الثلاثة الأثبات: أبو عبد الله النعمان الفاسي في كتابه «مصباح الظلام» والقسطلاني في كتابه «المواهب اللدنية» ونور الدين الحلبي في كتابه «بغية الأحلام» وغيرهم، ونقلت معظم ذلك في كتابي «حجة الله على العالمين» ورتبته على فصول:

الفصل الأول: في ذكر من استغاث به ﷺ للمغفرة ونحوها

ذكر الحافظ أبو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثى من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر إنه قد غفر لك وعن محمد بن حرب الباهلي قال: دخلت المدينة فانتهيت إلى قبر النبي ﷺ فإذا أعرابي يوضع على بعيره فأناخه وعقله، ثم دخل إلى القبر فسلم سلاماً حسناً ودعا دعاءً جميلاً، ثم قال بأبي وأمي يا رسول الله إن الله خصك بوحيه وأنزل عليك كتاباً وجمع لك فيه علم الأولين والآخرين وقال في كتابه وقوله الحق ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد أتيتك مقراً بالذنوب مستشفعاً بك إلى ربك وهو ما وعد، ثم التفت إلى القبر فقال:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
أنت النبي الذي ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وركب راحلته فما أشك إن شاء الله إلا أنه راح بالمغفرة ولم يسمع بأبلغ من هذا قط، وروى محمد بن عبد الله العتبي هذا الخبر وزاد في آخره قال: فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال لي يا عتبي الحق الأعرابي وبشره أن الله قد غفر له. وقال الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: «بلغني أن الفقيه أبا علي الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة الحموي كتب قصيدة يمدح بها النبي ﷺ ويطلب أن تكون جائزته الشهادة في سبيل الله فقتل شهيداً. قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: قتل شهيداً بمرج عكا في يوم الأربعاء في شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وذكر بعض شيوخ القيروان الثقات أن رجلاً عزم على الحج من

بلده، فقال له بعض أصحابه: لي إليك حاجة وأحب منك أن تعتني لي بقضائها، فقال له وما ذاك؟ فقال أحب أن توصل هذه الرقعة إلى قبر النبي ﷺ وتقرئه سلامي وتدفنها عند رأسه فذلك من أكبر حوائجي عندك ولا تفتحها ولا تنظر ما فيها. قال الرجل ففعلت، فلما وصلت إلى قبر النبي ﷺ سلمت عليه وسألته في حوائج تخصني، ثم فعلت ما سألني صاحب الرقعة، فلما رجعت من الحج ووصلت إلى البلد تلقاني صاحب الرقعة إلى ظاهر البلد وأقسم أن لا أنزل إلا عنده ففعلت فأضافني وأحسن ضيافتي ووجه إلى أهلي كذلك، ثم قال لي: جزاك الله خيراً لقد بلغت الرسالة فعجبت من قوله ذلك وعلمه بتبليغ الرسالة من قبل أن يسألني، وكان عند سفري عهدت عنده ولداً صغيراً فقلت من أين علمت أني فعلت ما ذكرت؟ قال اسمع قصتي وذلك أنه كان لي أخ توفي وترك ولداً صغيرا فربيته وأحسنت تربيته ثم إنه مات وهو صبي فلما كان ذات ليلة رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت والحشر قد وقع والناس قد اشتد بهم العطش من شدة الجهد، فبينا أنا كذلك وإذا بابن أخي وبيده ماء فسألته أن يسقيني، فقال أبي أحق به منك فعظم ذلك عليّ وانتبهت وأنا فزع لهول ما رأيت ومحزون مما رأيت من ابن أخي فما صدقت بالصباح، فلما أصبحت تصدقت بجملة دنانير وسألت الله تعالى أن يرزقني ولداً ذكراً فرزقت ذلك الطفل الذي تركته عندي بعد مدة، فلما بلغ إلى هذا السن واتفق سفرك كتبت في الرقعة التي اصطحبتكها أسأل النبي ﷺ أن يسأل الله تعالى أن يقبله مني رجاء أن أجده يوم الفزع الأكبر فلما كان يوم كذا وكذا حم فلما كان الليل مات فعلمت أن الحاجة قد انقضت والرسالة قد وصلت وكان اليوم الذي حم فيه الصبي وتوفي عشية اليوم الذي كنت فيه عند قبر النبي ﷺ.

الفصل الثاني

في ذكر من استغاث به ﷺ من الأسرى ونحوهم ممن انقطع في البراري والبحار أو وقع في غير ذلك من الشدائد والأسقام وما أشبه ذلك من خوارق عاداته بعد وفاته ﷺ

روى الطبراني والبيهقي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف رضي الله عنه «أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره،

فقال له النبي ﷺ: أو تصبر؟ فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ فقال له النبي ﷺ ائت الميضأة فتوضأ ثم صلِ ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط».

قال الإمام القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ في كتابه «المواهب اللدنية» في الفصل الثاني من المقصد العاشر ما نصه: وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصا. وفي كتاب «مصباح الظلام في المستغيثين بسيد الأنام» للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك، ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء وأقمت به سنين فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفاً ومن عليّ بالعود إليها في عافية بلا محنة، فبينما أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس مكتوب فيه هذا دواء داء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف، ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ. ووقع لي أيضاً في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريقِ مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر إذ صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها أياماً فاستشفعت به ﷺ في ذلك فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجني الصارع لها، فقال لقد أرسله لك النبي ﷺ فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها ثم استيقظت وليس بها قلبة: أي داء كأنما نشطت من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة أربع وتسعين وثمانمائة، والحمد لله رب العالمين، انتهت عبارة المواهب.

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الكحال الأندلسي، وكان رجلاً صالحاً: كان بالأندلس رجل قد أسر له ولد فخرج من بلده قاصداً إلى رسول الله ﷺ في أمر ولده فلقيه بعض معارفه، فقال إلى أين عزمت؟ فقال له إلى رسول الله ﷺ أتشفع به فإن ولدي أسرته الروم وقرر عليه ثلاثمائة دينار ولا قدرة لي عليها، فقال له إن التشفع بالنبي ﷺ في كل مكان نافع فلم يقبل إلا الوصول إلى النبي ﷺ، فلما جاء المدينة تقدم إلى النبي ﷺ وأخبره بحاجته وتوسل به، فرأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول: أرجع إلى بلدك فعاد إلى بلده فوجد ولده قد خلصه الله تعالى فسأله عن حاله فقال: إني في الليلة الفلانية خلصني الله تعالى وجماعة كثيرة من الأسارى، وإذا تلك الليلة هي ليلة وصول والده إلى رسول الله ﷺ.

وحكى ابن سمحون الناسخ أنه أسرته الروم فبقي عندهم زماناً ففكر في نفسه وقال: ليس لي مال ولا أهل يفكوني من هذا الأسر فما لي إلا أن أكتب ورقة أذكر فيها قصتي وأسيرها إلى رسول الله ﷺ. قال فكتبت ورقة بقصة حالي سيرتها مع بعض التجار المسلمين الذين كانوا في البلد الذي كنت فيه مأسوراً وقلت له إذا وصلت إلى قبر رسول الله ﷺ فعلق هذه الورقة عند قبره ﷺ ففعل الرجل ذلك، فلما كان بعد عود الناس من الحج قدم بعض التجار إلى البلدة التي أنا بها وطلبني من الملك فبينا أنا ذات يوم إذ جاءني رسول الملك واستدعى بي وأخذني ومضى بي إليه فلما دخلت عليه وجدت عنده رجلاً أظنه من العجم، فقال له الملك هو هذا؟ قال ما أدري، فسألني عن اسمي فأخبرته به، فقال اكتب خطك حتى أنظر إليه فكتبت، فلما رأى خطي قال هو هذا واشتراني وأخذني وأخرجني من بلاد الكفر، فسألته ما السبب الموجب لما فعلته معي؟ قال إني حججت هذه الحجة

وجئت إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ فلما زرته ﷺ جلست عند قبره وقلت في نفسي: وددت أن رسول الله ﷺ كان حياً وأنه أمرني بحاجة أقضيها له فبينا أنا كذلك مفكر إذ نظرت إلى ورقة معلقة يلعب بها الهواء، فقلت في نفسي قدر أني رأيته وأمرني ﷺ بهذه الورقة فأخذتها وقرأتها ووجدت فيها اسمك وأنت تستغيث برسول الله ﷺ في خلاصك من الأسر فقصدت البلد هذه التي ذكرت أنك فيها فدخلتها وطلبتك من ملكها، فلما حضرت وسألتك تحققت أنك كاتب هذه الورقة واشتريتك وفعلت هذا الأمر لأجل رسول الله ﷺ.

وقال إبراهيم بن مرزوق البياني: أسر رجل من جزيرة شقر وثقف بالحديد وشد على صدره العصي، فكان يستغيث ويقول يا رسول الله، فقال له كبير العدو قل له ينقذك. قال فلما كان الليل هزه شخص وقال له أذن فقال له ما ترى ما أنا فيه فأذن حتى بلغ إلى قوله أشهد أن محمداً رسول الله؛ فزال ما كان على صدره من الحديد والعصي وظهر بين يديه بستان فمشى فيه فانفتح له موضع فدخل منه إلى جزيرة شقر واشتهر أمره ببلده. وقال علي بن عبدون السبتي: أسرنا العدو فأخذت وكتفت وأوثقت فخطر على قلبي هذان البيتان وتلفظت بالبيت الأول منهما:

أوقفني حبك فيمن يزيد	في شكلة الذل ونعت العبيد
قد حضر البائع والمشتري	عبدك موقوف فماذا تريد

وذكرت حبيب ﷺ فقلت: اللهم بفضله عندك فرج عني فسرحت ليلة ثانية ببركة النبي ﷺ.

وقال القدوة أبو الحسن علي بن أبي القاسم عرف بابن قفل رضي الله عنه: جاء إليّ أبو البركات عبد الرحمن بن معد بن البوري، ونحن في أسر العدو بثغر دمياط حرسها الله، فقال لي: رأيت البارحة النبي ﷺ في المنام فقلت له ما ترى ما نحن فيه يا رسول الله فقال لي عليكم بابن قفل يعني نفسه. قال ابن قفل فكنت أجتهد أن أدعو فلا أقدر على الدعاء ولا أستطيع، فلما كان قريب الفتح كنت أستيقظ فأجد يدي ممدوتين للدعاء فكنت أدعو عند ذلك، فلما كان أول خميس من شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة أمرت صغاراً كانوا معنا أن يصوموا ذلك اليوم فلما كان وقت الإفطار وصلينا المغرب وبعدها الرغائب على العادة أخذت في الدعاء وبكى الصغار وتلك الليلة انكسر العدو الملعون برأس الجزيرة، فأصبح السلطان عليهم يوم الجمعة وتسلم المسلمون الثغر يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب المذكور، ولما نزل الإفرنسيس ـ خذله الله ـ دمياط وأخذها بلغ خبرها إلى مدينة النبي ﷺ في ثامن عشر يوم من أخذها فضج أهلها بالبكاء والعويل والاستغاثة بالنبي ﷺ. قال بعض الصالحين كنت يوم ورود الخبر المدينة بها، فجاء أحد السادات من المغاربة المجاورين إلى قبر النبي ﷺ باكياً وهو يقول: يا رسول الله أخذ العدو دمياط وبقي أياماً لا يأكل فيها طعاماً، ورأى جماعة النبي ﷺ في النوم فشكوا إليه أمر العدو فبشرهم بهلاكه كما فعل في الدفعة الأولى، فلله الحمد في الآخرة والأولى.

وقال الأستاذ أبو العباس أحمد بن محمد الجرحي: رأيت رجلاً كان من الديوية يعرف بالفارس سيمون الهيجاوي جاء إلى السلطان الملك الكامل لما كان العدو على ثغر دمياط وأسلم على يديه وذكر

أنه حصل بينه وبين الديوية كلام فخرج عنهم، قال فركبت بغلة أو بغلاً وأخذت حصاني على يدي فتبعوني فخفت منهم وانفلت مني الحصان، فقلت يا محمد بن عبد الله إن رجع حصاني إليّ آمنت بك فطرد الحصان حولي شوطاً أو اثنين فأمسكته وجئت إلى السلطان وأسلم وجاهد وتوفي على الإسلام ببركة النبي ﷺ وذكر اسمه عليه الصلاة والسلام.

وقال أحد الصالحين، وكان مأسوراً ببلاد الكفار خذلهم الله: وصل إلى البلد الذي كنت فيه مركب لملك البلد أو لأخيه فجمعوا جميع الأسرى وجماعة منهم عددهم ثلاثة لأن يرحل فلم يقدروا على جره من البحر لعظمه فجاء أحدهم إلى الملك وقال له: هذا المركب لا يخرجه إلا المسلمون بشرط أن لا يمنعوا أن يتكلموا بما يريدون. قال فجمعونا وقالوا لنا قولوا ما تريدون وكنا أربعمائة وخمسين رجلاً فقلنا بأجمعنا: يا رسول الله وجبذنا المركب جبذة واحدة فلم يتوقف إلى أن أخرجناه إلى البر ببركة استغاثتنا بالنبي ﷺ، وقال أبو القاسم بن تمام مضينا إلى قصر الطوبى في عشرة أنفس إلى أبي يونس فقلنا له اكتب لنا كتاباً إلى أم الأمير فإن زيادة الله الأمير أخذ مائتي رجل من أهل العلم والقرآن فأرسلهم إلى العسكر رماة فقال لنا أبو يونس ما نعرف الأمير ولا أمه إنما نعرف الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، الليلة نسأل الله عزّ وجلّ فيهم ويطلقون إن شاء الله، وكانت ليلة جمعة. فلما كان في الليل قام أبو يونس فقال يا أحمد يا محمد يا أبا القاسم يا خاتم النبيين يا سيد المرسلين يا من جعله الله رحمة للعالمين قوم من أمتك أتوني يسألوني في قوم صالحين أن يطلقوا وقد سألتك فاسأل الله فيهم، فلما صلى حزبه ورقد مرّ به النبي ﷺ في المنام فقال له: يا أبا يونس قد سألت الله فيهم وغداً يطلقون إن شاء الله، قال ابن تمام: فلما أصبحنا قلنا له يا سيدنا ما كان من الحاجة؟ فقال: قد سألت النبي ﷺ فيهم، فقال لي: غداً يطلقون إن شاء الله، فلما كان يوم الجمعة دخلوا على زيادة الله بن الأغلب صاحب الجيش فسلموا عليه فرد عليهم السلام ورحب بهم وقال لهم يا أهل العلم والقرآن لعنة الله على ابن الصائغ الذي وجهكم إليّ وقد تركتكم كرامة لله عزّ وجلّ ولرسول الله ﷺ.

وقال ابن محمد بن المنكدر: إن رجلاً من أهل اليمن أودع أباه ثمانين ديناراً وخرج الرجل يريد الجهاد وقال له إن احتجت إليها فأنفقها إلى أن آتي إن شاء الله، قال: وخرج الرجل وأصاب أهل المدينة سنّة وجهد قال فأخرجها أبي فقسمها قال فلم يلبث الرجل أن قدم فطلب ماله فقال له أبي عد إليّ غداً قال وبات في المسجد متلوذاً بقبر النبي ﷺ مرة وبمنبره مرة حتى كاد يصبح فإذا شخص في السواد يقول له دونكها يا محمد قال فمد يده فإذا صرة فيها ثمانون ديناراً، قال وغدا عليه الرجل فدفعها إليه. وقال أبو القاسم عبيد الله بن منصور المقري كان أبي يقترض مني طول الأسبوع فتحصل عليه المائة والأكثر فأطالبه فيحلف بالله إنه يوم السبت يقضي ففعل ذلك دفعات فسألته من أين لك فبكى وقال يا بني أجمع ختماتي وأختمها ليلة الجمعة وأجعل ثوابها لرسول الله ﷺ وأقول يا رسول الله ديني فيجيئني من حيث لا أحتسب ما أقضي به ديني.

وقال يوسف بن علي المجاور بحرم رسول الله ﷺ: ركبني دين فقصدت الخروج من المدينة، ثم جئت إلى النبي ﷺ فاستغثت به في وفاء ديني فرأيت النبي ﷺ في النوم فأشار إليّ بالجلوس وقيض الله لي من قضى عني ديني.

وقالت أم فاطمة الإسكندرانية: إنها لما وصلت مدينة النبي ﷺ ورم قدمها وصارت مقعدة لا تقدر على المشي فكانت تطوف حول روضة النبي ﷺ وتقول: يا حبيبي يا رسول الله إن الناس قد رحلوا وبقيت لا أستطيع الانصراف فإما أن أنجبر على أهلي أو ألحق بك فلم تزل تكرر هذا فبينا هي في الروضة على هذه الحال وإذا ثلاثة شباب من العرب وهم يقولون: من يروم يسير إلى مكة قالت: فبادرت إليهم فقلت أنا فقال أحدهم قومي، فقلت لا أستطيع فقال لي فمدي قدمك، فمددته فرأوا حاله فقالوا نعم هي وأخذوني وأركبوني شقدفاً وحملوني إلى مكة، فسئل أحدهم؟ فقال رأيت النبي ﷺ وقد قال لي: اخرج بهذه المرأة القاعدة لما أصاب قدمها واحملها إلى مكة فقد أطالت الاستجارة بي قالت فوصلت إلى مكة على أحسن حالة وقد برىء قدمي ولم أجد تعباً إلى أن وصلت إلى الإسكندرية.

وقال عبد الرحمن الجزولي: كنت في كل سنة تمرض عيني، فلما كنت في مدينة الرسول ﷺ مرضت عيني فجئت إلى النبي ﷺ، وقلت يا رسول الله أنا في حمايتك فإن عيني مريضة فعوفيت فلم أشتكِ عيني إلى الآن ببركة النبي ﷺ.

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهذلي: كنت بمدينة النبي ﷺ، فلما عزمت على الخروج ومعي بعض الفقراء جئت إلى النبي ﷺ وقلت: يا رسول الله أحتاج عشرين درهماً فلقيني شخص فدفع لي عشرين درهماً.

وقال أبو موسى عيسى بن سلامة بن سليم رحمه الله: كان أبو مروان عبد الملك بن حزب الله المؤذن عند الخليل عليه السلام أقام بالمدينة ثلاث عشرة سنة فلحق بالمدينة أزمة شديدة. قال فاستخرت الله تعالى في أمري فرأيت النبي ﷺ في المنام فشكوت إليه الحاجة، فقال ارحل إلى الشام فقلت له يا رسول الله كيف بالصبر عنك؟ فقال لي ارحل إلى الشام فقلت له كذلك، فقال لي ارحل إلى الشام إلى قبر أبي إبراهيم خليل الرحمن، قال: فرحلت فكان في ذلك الخير.

وقال أبو موسى: بلغني أن شيخنا أبا الغيث ربيعاً المارديني يقرأ القرآن في المصحف من غير تعلم سبق منه للكتابة، وكنت أنكر ذلك، فلما دخلت عليه بمكة وجدته وهو يقرأ القرآن في المصحف قراءة مجودة، فسألته عن سبب ذلك؟ قال: كنت في مدينة النبي ﷺ أبيت في المسجد وأخلو به ﷺ فتشفعت إلى الله سبحانه وتعالى بالنبي ﷺ أن يسهل عليّ القرآن بالمصحف قال: وجلست فأخذتني سنة فرأيت النبي ﷺ وهو يقول: قد أجاب الله دعاءك، فافتح واقرأ القرآن قال: فلما أصبح الصباح فتحت المصحف وشرعت في القراءة فكنت أقرأ في المصحف فربما تتصحف عليّ الآية فأنام فأرى من يقول لي: الآية التي تصحفت عليك كذا وكذا.

وحلف بعض المتصدرين في القراءات في الجامع العتيق بمصر بالطلاق الثلاث أن لا يجيز أحداً يقرأ عليه مستحقاً للإجازة إلا بعشرة دنانير، فاتفق أن قرأ عليه رجل فقير فلما كمل سأله الإجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره فاجتمع بأصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فأتى بها إليها فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به، فقال والله لا أنفقت هذا إلا في الحج فاشترى ما يحتاجه وسار حتى

وصل إلى مكة، فلما قضى أربه منها رحل عنها إلى المدينة، فلما وصل إلى قبر رسول الله ﷺ قال: السلام عليك يا رسول الله، ثم قرأ عشراً جمع الأئمة السبعة وقال: هذه قراءتي على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما السلام عن الله تعالى، وقد سألت شيخي الإجازة فأبى وقد استغثت بك يا رسول الله في تحصيلها ثم نام فرأى رسول الله ﷺ فقال له: سلم على شيخك وقل له الرسول يقول لك أجزني بلا شيء، فإن لم يصدقك فقل له بأمارة زمراً زمراً، فلما وصل الفقير إلى مصر اجتمع بشيخه وبلغه الرسالة عرية عن الأمارة فلم يصدق، فقال له بأمارة زمراً زمراً، فصاح الشيخ وخر مغشياً عليه، فلما أفاق قال أصحابه يا سيدنا ما الخبر؟ فقال كنت كثيراً ما أتلو القرآن فمررت يوماً على قوله عزّ وجلّ: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ [البقرة: ٧٨] فحلفت أن لا أقرأ إلا متدبراً فهما فأقمت لا أتجاوز من القرآن إلا يسيراً مدة طويلة حتى نسيته فكفرت عن يميني وشرعت في حفظه فحفظته فبينما أنا أتلو ذات يوم إذ مررت على قوله عزّ وجلّ: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ [فاطر: ٣٢] الآية، فقلت ليت شعري من أي الأقسام أنا، ثم قلت لست من الثاني ولا الثالث بيقين فتعين أن أكون من القسم الأول فنمت تلك الليلة حزيناً فرأيت رسول الله ﷺ، فقال لي بشر قراء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمراً زمراً ثم أقبل على الفقير وقبل وجهه وقال: أشهدكم عليّ أني قد أجزته ليقرأ ويقرىء من شاء إن شاء، وذلك كله ببركة الاستغاثة برسول الله ﷺ.

وأخبر الشيخ أبو إبراهيم ورّاد، وكراماته مستفيضة بالمغرب: أنه حج مع رفقة، فلما وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم وزاروا سافر أصحابه وتركوه لقلة ما بيده فأتى إلى النبي ﷺ واستغاث به وقال: يا رسول الله، أما ترى أصحابي سافروا وتركوني، قال: فرأى النبي ﷺ فقال له اذهب إلى مكة فإذا أتيت إلى زمزم تجد عليها رجلاً يسقي الناس فقل له إن رسول الله ﷺ يقول لك احملني إلى أهلي، قال: فجئت إلى مكة فأتيت زمزم فلما رآني قال لي قبل أن أسأله ترفق عليّ حتى يفرغ الناس، فلما فرغ ودخل الليل قال ودّع البيت واخرج بنا إلى أعلى مكة ففعلت وخرجت معه أتتبع أثره، فلما كان عند الصباح إذا أنا بوادٍ فيه أشجار ومياه، فقلت ما أشبه. هذا بوادي شفشاوة فلما اتضح تحققت فإذا هو وادي شفشاوة فجئت إلى أهلي وأخبرتهم الخبر فعجبوا من ذلك وعجب الناس فسألوني عن الرفقة فأخبرتهم أنهم تركوني عند النبي ﷺ فمنهم المصدق ومنهم المكّذب فبعد عدة أشهر وصل رفقائي فأخبروهم الخبر.

وقال أبو القاسم ثابت بن أحمد البغدادي: إنه رأى رجلاً بمدينة النبي ﷺ أذن الصبح عند قبر النبي ﷺ، فقال فيه: الصلاة خير من النوم، فجاءه خادم من خدم المسجد لطمه حين سمع ذلك فبكى الرجل وقال يا رسول الله أفي حضرتك يفعل بي هذا الفعل، ففلج الخادم في الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ومات.

ويحكى عن امرأة هاشمية وكانت مجاورة بمدينة النبي ﷺ، وكان بعض الخدم يؤذيها. قالت فاستغثت بالنبي ﷺ فسمعت قائلاً من الحجرة يقول: أمالك فيّ أسوة، اصبري كما صبرت أو نحو هذا. قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني وتوفيت المرأة بالمدينة.

وقال الشيخ أبو القاسم بن يوسف الإسكندراني: كنت بمدينة النبي ﷺ فرأيت رجلاً عند قبر النبي ﷺ وهو يستغيث بالنبي ﷺ ويقول يا رسول الله تحسبت بك ردّ عليّ ولدي فسألته عن ذلك، فقال طلعت من جدة وهو عديلي في الشقدف فنزل يقضي حاجته فلم أره، ثم رأيته بعد ذلك بسنين بمصر فسألته عن ولده، فقال جمعه الله عليّ. وكان ولدي عند بني شعبة يرعى لهم الإبل، فرأت امرأة شريفة النبي ﷺ وهو يقول لها: تأخذي الرجل المصري من عند بني شعبة وترسليه إلى أهله، وذلك ببركة استغاثته وتحسبه بالنبي ﷺ. وكان أبو عبد الله محمد بن أبي الأمان يقول: لما نزل أبو عزيز قتادة المدينة ورام أخذها دخل من باب البلاط إلى باب الحديد وتملك بعض المدينة، فجاء بعض الخدم واسمه بشرى فأخذ صبيان الكتاب ودخل بهم إلى رسول الله ﷺ وجعل العمامة في أعناقهم، فجعلوا يقولون: استجرنا بك يا رسول الله، ثم إن رجلين شريفاً ومولى ردا العسكر إلى أن خرج من المدينة.

وقال أبو العباس أحمد بن محمد اللواتي: كانت عندنا بمدينة فاس امرأة، فكانت إذا أصابها مرّ أو رأت شيئاً يفزعها جعلت يديها على وجهها وسدت عينيها وقالت: محمد، فلما توفيت قال لي قريب لها رأيتها في النوم، فقلت يا عمة رأيت الملكين الفتانين؟ فقال نعم جاآني، فعندما رأيتهما جعلت يدي على وجهي وقلت: محمد، فلما نزعت يدي عن وجهي لم أرهما.

وقال الشريف أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن ماجد الحسيني: كنت بين مدينة النبي ﷺ والشام فضل لنا حمل، وكان بلغني عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال: من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فإن حاجته تقضي، فلما استقبلت عبادان وقصدت الاستغاثة هتف بي هاتف: أما تستحي من رسول الله ﷺ تستغيث بغيره، ثم تحولت نحو المدينة فقلت يا سيدي يا رسول الله أنا مستغيث بك؛ فما استكملت ذلك إلا والجمال يقول لي هذا الجمل قد وجدناه.

وقال أبو الحجاج يوسف بن علي: خرجت من مكة متوجهاً إلى المدينة على طريق المشاة فتهت عن الطريق فاستغثت بالنبي ﷺ، فإذا بامرأتي جائية من نحو المدينة وهي تشير إليّ أن أمشي على أثرها، فلم أزل أمشي على أثرها إلى أن وصلت المدينة وقال رأيت بعض الفقراء جاء إلى الزيارة فتاه في الطريق فاستغاث بالنبي ﷺ فظهرت له قبة العباس وبينه وبين المدينة المنورة يومان أو نحوهما. وقال أبو عبد الله سالم عرف بخواجه: رأيت في المنام كأني في بحر النيل وأنا بجزيرة، فإذا بتمساح أراد أن يقفز عليّ فخفت منه، فإذا بشخص وقع لي أنه النبي ﷺ، فقال لي إذا كنت في شدة فقل: أنا مستجير بك يا رسول الله، فأراد بعض الإخوان السفر لزيارة النبي ﷺ وكان ضريراً فحكيت له الرؤيا، وقلت له إذا كنت في شدة، فقل: أنا مستجير بك يا رسول الله، فسافر في تلك الأيام فجاء إلى رابغ وكان الماء به قليلاً وكان له خادم فراح في طلب الماء، قال لي فبقيت القربة في يدي وأنا في شدة من طلب الماء، فتذكرت ما قلت لي وقلت: أنا مستجير بك يا رسول الله، فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوت رجل، وهو يقول لي: زم قربتك وسمعت خرير الماء في القربة إلى أن امتلأت، ولا أعلم من أين أتى الرجل.

وقال الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن يوسف البقري. نمت ليلة فرأيت في منامي أسداً عظيماً فاستقبلني من بين يديّ وهمّ أن يفترسني، فقلت: محمد، مستغيثاً بالنبي ﷺ فراح عني، ثم جاء إليّ من عن يميني وهمّ بي أيضاً فقلت: محمد فراح عني ثم جاءني من عن شمالي وهمّ بي أيضاً فقلت: محمد فراح عني، ثم جاءني من خلفي وهمّ أن يفترسني فقلت: محمد. فجاء شخص فحال بيني وبينه فلم أره وانتبهت.

وقال أبو محمد عبد الواحد بن علي الصنهاجي: أقمت مريضاً ستة أشهر أو نحوها بالشام فلما رأيت الركب قد توجه وقع عزمي على السفر، وكانوا نادوا في الركب أن احملوا الماء ثلاثة أيام، فلما كان الليل قرأت سورة «طه» وقلت أنا في ضيافتك يا رسول الله ودعوت الله أن يريني النبي ﷺ في منامي حتى أستشيره في أمري، فنمت فرأيت النبي ﷺ فسلمت عليه، فأخذني وضمني إلى صدره وقال لي أبشر بحاجتك ولا تخف، فمن بركة النبي ﷺ أصبحنا على الماء حتى عمّ الركب ووجدت في نفسي قوة، وكان يعرض علي الركوب فأمتنع وأسبق الركب، وذلك كله ببركته ﷺ.

وقال أبو عبد الله محمد بن سالم السجلماسي: لما قصدت زيارة النبي ﷺ ورحت على طريق المشاة، فكان إذا لحقني ضعف قلت أنا في ضيافتك يا رسول الله فيزول عني ما أجده من الضعف.

وقال أحمد بن محمد السلاوي: لما ودعت النبي ﷺ قلت: يا حبيبي يا محمد يا سيد الكونين، أنا أدخل الصحراء فإذا أخذتني شدة أدعو الله وأتوسل بك، وجئت إلى أبي بكر وعمر وقلت لهما كذلك. قال: فبقيت في البرية سبعة أيام ووقعت في جب وفيه ماء، فبقيت فيه من أول النهار إلى بعد العصر ولم يبق إلا الموت، فتفكرت ما كنت قلت عند النبي ﷺ وقلت: يا حبيبي يا محمد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر، فكان من حوّلني وطلعت من الجب ببركة النبي ﷺ.

وقال أبو العباس الميرلي رحمه الله: ركبت في البحر فهاج علينا وأشرفنا على الغرق. فسمعت قائلاً يقول: يا أعداء يا أولاد الأعداء ما جاء بكم إلى ههنا؟ فمددت يدي وقلت اللهم بحرمة نبيك المصطفى عندك إلا ما أنقذتني وسلمتني. قال فلم أستتم الدعاء إلا وقد شاهدت الملائكة حفت بالمركب وبشرتني بالسلامة، فقلت لأصحابي مبشراً لهم: في غداة غد تدخلون إلى المرسى سالمين إن شاء الله. وقال صالح بن شوشا البلنسي: كنا بالمركب فاتبعنا مسطح للعدو وأشرف علينا وأراد أن ينطح المركب. فقلت يا محمد نحن في ضيافتك اليوم فسمعنا هدة في المسطح، فإذا صارى المسطح قد انكسر وسقط قلاعه وشغلوا بأنفسهم فدخلنا تونس سالمين ببركة النبي ﷺ.

وقال علي بن مصطفى العسقلاني أبو الحسن: ركبنا في إباحة بحر عيذاب نطلب جدة فهاج علينا البحر ورمينا ما معنا في البحر وأشرفنا على التلف، فجعلنا نستغيث بالنبي ﷺ ونحن نقول يا محمداه يا محمداه، وكان معنا رجل مغربي صالح. فقال: ارفقوا يا حجاج أنتم سالمون، الساعة رأيت النبي ﷺ في المنام. فقلت: يا رسول الله، أمتك أمتك يستغيثون بك. قال: فالتفت إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر أنجده، قال فإن عيني تريني أبا بكر وقد خاض البحر وأدخل يده في مقدم الجلبة ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فيسمعكم تستغيثون فأنتم سالمون فسلمنا، فبعد هذا لم نرَ إلا خيراً

ودخلنا البر سالمين. وقال أبو عبد الله محمد بن علي الخزرجي: كنت بجرجر فدخلت البحر فلطمتني موجة فأشرفت على الغرق. فقلت: يا رسول الله مستغيثاً بالنبي ﷺ فألقى الله إليّ عوداً فأمسكت به وطلعت ونجاني الله باستغاثتي بالنبي ﷺ.

وقال الفقيه الإمام القاسم ابن الفقيه الإمام الشهيد عبد الرحمن بن القاسم الجزولي: لما توجهنا إلى مكة شرفها الله تعالى سنة ٦٤٥ من القصير قصدنا قطع الإباحة من جزيرة تسمى سرناقة فتوجهنا قاصدين الإباحة إلى بعد العصر فقوي علينا البحر واشتد الريح وغربت الشمس ولم نقدر على دخول البر ولا علمنا أين نتوجه، فحططنا قلع السفينة وسلمنا الأمور لله، فلما كان ثلث الليل زاد الأمر وتفتحت الجلبة فاستغثنا بالرسول ﷺ، فما كان إلا دون ساعة وشخص من المركب يسمى الحاج مخلوف له ثلاث حجات قد استيقظ من النوم وهو مسرور وقال لنا أبشروا فإني رأيت الرسول ﷺ وهو يقول أبشروا بالسلامة وتدخلون مكة يوم الاثنين سالمين، فسلمنا في تلك السفرة ومن تلك الليلة ما رأينا شدة ببركة رسول الله ﷺ ودخلنا مكة يوم الاثنين، وقال صفيّ الدين أبو عبد الله حسين بن أبي منصور: كنت بالشام بحمص فقصدت التوجه إلى ديار مصر وكانت الطريق مخيفة بالفرنج والعرب والغاجرية؛ وانقطعت بسبب ذلك فأخذتني سنة وأنا جالس فرأيت النبي ﷺ فقلت له يا رسول الله أنا في حسبك، فقال لي ما تخشى شيئاً فأعدت القول عليه ثانياً، فقال ما تخشى شيئاً، فقلت ثالثاً: أنا كثير الأعداء، فقال ما تخشى شيئاً؟ فاستيقظت وتوجهت من حمص إلى أن وصلت إلى مصر ولم أرَ إلا خيراً في نفسي وأصحابي مع وجود الأخذ والقتل ورائي وأمامي ويمنة ويسرة، والحمد لله. وقال محمد بن المبارك الحربي: كان عليّ أبو البكير ضرير البصر فرأى النبي ﷺ في المنام فأمر يده على عينيه فأصبح وهو يبصر. وقال أبو القاسم بن يوسف الإسكندري: كان لنا صاحب فعمي فاجتمع أهل الطب عليه فلم يجدوا له دواء. قال: فرأيت النبي ﷺ في النوم وتحسبت به، فقال لي: تبصر فاستيقظت، ثم أقمت خمسة عشر يوماً فرأيت النبي ﷺ مرة ثانية فقلت وعدك يا رسول الله، فقال اكتحل بدم القنفذ ومرارة الثعلب فاستيقظت وأصبحت وأخذت قنفذاً فذبحته وأخذت من دمه وأخذت مرارة الثعلب واكتحلت به فرأيت النور للوقت ورأيت عينه صحيحة كأنه لم يكن به ضرر قط. وقال تقي الدين أبو محمد عبد السلام بن سلطان القليبي: معنى لا لفظاً: كان أخي إبراهيم به خنازير في حلقه قد آلمته فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال له يا رسول الله، أما ترى ما حل بي؟ فقال له رسول الله ﷺ قد أجيب سؤالك قد أجيب سؤالك فشفي منها ببركة النبي ﷺ.
وقال ابن البوني: كان بوالدي ضيق نفس منعه من النزول وكان الناس يقرؤون عليه وكنت أنا مريضاً في أسفل البيت فرأيت في النوم كأن النبي ﷺ قد جاء إليّ فقدمت له الوسادة فجلس عليها، فقلت يا رسول الله أبي شيخ كبير وبه ضيق نفس منعه عن النزول إليّ وامتنعت من الطلوع إليه فطلع من عندي إليه، فلما كان صلاة الصبح سمعته يقول آه آه وهو نازل في الدرج حتى دخل عليّ فقال: يا نبي جاءني النبي ﷺ الليلة، فقلت له: من عندي طلع إليك فظهرنا جميعاً. وقال الشيخ الصالح أبو محمد عبد الرحمن الميداني: كنت ليلة من الليالي على شاطىء بحر الإسكندرية بمنزلي بالجزيرة فألهمت أن أدعو للملك الصالح وكان محبوساً في ذلك الوقت بالكرك. فجئت إلى قبة الشيخ المغاور فصليت ركيعات وتشفعت إلى الله بالنبي ﷺ في الملك الصالح. ثم نمت فرأيت العساكر قد

اجتمعت حلقة وبينهم شخص إذا أراد أن يخرج منعوه فبينما أنا كذلك إذ رأيت النبي ﷺ قد أقبل وعليه حلة خضراء وعمودان من نور قد طلعا إلى السماء فجاء إليهم فافترقوا، قال فانتبهت فلم يكن إلا أيام قلائل فبلغنا خروج الملك الصالح من السجن ومجيئه إلى مصر. وقال الشيخ أبو مدين: دخلت الحمام مرة فرأيت شيئاً يشبه الطفل فطليت لحيتي بشيء منه فنزلت فلم يبق منها شعرة فقلت: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ﷺ إلا رددتها فنبتت تلك الليلة فأصبحت وقد رجعت كما كانت أو أحسن ببركته ﷺ. وذكر الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الواعظ قال: كان حماد خرجت في يده عيون فانفتخت يده وأجمع الأطباء على قطعها قال: فبت تلك الليلة على السطح وقلت: يا صاحب هذا الملك الذي لا ينبغي لغيره هب لي شيئاً بلا شيء فنمت فرأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله انظر إلى يدي، فقال مدها فمددتها فأمر يده عليها فأعادها وقال قم فقمت وقد عافى الله يدي ببركة النبي ﷺ. وقال السيد الشريف قاسم بن زيد بن جعفر الحسيني رضي الله عنه: انكسرت يدي اليسرى وانخلعت يدي اليمنى فبقيت يداي معلقتين في عنقي شهراً كاملاً في زمن البرد وكنت لا أستطيع النوم فنمت ليلة فرأيت ثلاثة رجال، فسألت أحدهم، فقال أنا أبو بكر، وهذا عمر، وهذا النبي ﷺ، فلما رأيت النبي ﷺ هرعت إليه ولحقني بكاء شديد فقلت يا رسول الله ما ترى حالي؟ فأخذ بيدي المكسورة وأمر يده عليها وقال لي: كل الزيت وادهن بالزيت، فقلت يا رسول الله ما ترى ما أنا فيه فرفع يده إلى السماء وقال توسل بي وبآل بيتي، فلما أصبحت نظرت إلى يديّ وكان عليهما الجبار فقلعته عنهما فوجدتهما في عافية ببركة النبي ﷺ وأدهنت بالزيت امتثالاً لأمر النبي ﷺ.

وكان ببغداد جارية علوية أقامت زمنة خمس عشرة سنة فباتت ليلة فأصبحت وقد برئت وقامت وقعدت فسألت عن ذلك؟ فقالت: إني ضجرت بنفسي ضجراً شديد فدعوت الله بالفرج مما أنا فيه أو الموت وبكيت بكاءً كثيراً فرأيت في المنام رجلاً دخل عليّ فأرعدت منه وقلت يا هذا كيف تستحل أن تراني؟ فقال أنا أبوك فظننته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فقلت يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه؟ فقال أنا أبوك محمد رسول الله فبكيت وقلت يا رسول الله ادع الله عزّ وجلّ لي بالعافية، فحرك شفته ثم قال هاتي يدك فأعطيته فجذبها وأجلسني ثم قال قومي على اسم الله تعالى قلت كيف أقوم؟ قال هاتي يديك فأخذهما وجذبني بهما فقمت فعل ذلك ثلاث مرات، وقال قومي قد وهب الله لك العافية فاحمديه واتقيه وتركني ومضى، فانتبهت وأنا في عافية واشتهرت قضيتها ببغداد.

وقال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي: نزلت برجل من أهل غرناطة علة عجز عنها الأطباء وآيسوه من برئها، فكتب عند الوزير الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال كتاباً إلى النبي ﷺ يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به، وضمن الكتاب شعراً وهو:

كتاب وقيذ في زمانته مشفي	بقبر رسول الله أحمد يستشفي
له قدم قد قيد الدهر خطوها	فلم يستطع إلا الإشارة بالكف
ولما رأى الزوار يبتدرونه	وقد عاقه عن قصده عائق الضعف
بكى أسفاً واستودع الركب إذ غدا	تحية صدق تفعم الركب بالعرف
فيا خاتم الرسل الشفيع لربه	دعاء مهيض خاشع القلب والطرف

دعــاك لضر أعــجــز الـنــاس كــشــفــه ... لــيـصــدر داعـيــه بمــا شــاء مــن كــشــف
لــرجــل رمــى فيـهــا الــزمــان فـقـصرت ... خــطاهــا عن الصف المقـدم في الــزحـف
وإني لأرجــو أن تــعــود ســويــة ... بـقــدرة من يحـيي العـظام ومـن يـشـفـي
فــأنــت الــذي نــرجــوه حيــاً ومــيـتــاً ... لصرف خــطـوب لا تــزيــغ إلى صرف
عــلــيـك ســلام الله عــدة خــلـقــه ... ومــا تـقـتـضيــه مــن مــزيــد ومن ضــعــف

قال فما هو إلا أن وصل الركب إلى قبر النبي ﷺ وقرىء الشعر هناك برأ الرجل، فلما قدم الذي استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط.

وقال كثير بن محمد بن كثير بن رفاعة: جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن خيار بن أبجر فجس بطنه فقال: بك داء لا يبرأ، قال ما هو؟ قال الدبيلة، فتحول الرجل فقال: الله الله الله ربي لا أشرك به شيئاً. اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربي أن يرحمني مما بي رحمة يغنيني بها عن رحمة من سواه ثلاث مرات ثم عاد إلى ابن أبجر فجس بطنه فقال: قد برأت، ما بك علة.

وقال أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي في كتابه «الإشارات في معرفة الزيارات» تونة: بلدة في جزيرة بها مشهد النبي ﷺ ومشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: وسألت أهل هذه الجزيرة عن المشاهد هل عمرت على اسم النبي ﷺ وعلى اسم علي رضي الله عنه؟ فقالوا لها حكاية، ثم استدعوا بشيخ حسن الوجه، فقالوا هذا ابتلى بالجذام ورماه الناس في ناحية الجزيرة خوفاً من مرضه، فلما كان في بعض الليالي صرخ صراخاً عظيماً فأتاه الناس وهو قائم ليس به ألم، فسئل عن حاله؟ فقال رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع فقال: «اعملوا هنا مسجداً»، فقلت يا رسول الله أنا مبتلى وما يصدقوني، فالتفت إلى شخص إلى جانبه وقال: يا علي خذ بيده فمد يده إليّ فقمت كما ترى. قال الإمام بن النعمان صاحب «مصباح الظلام» رأيت المسجد وسمعت شيخنا: يعني الحافظ الدمياطي وجماعة من شيوخ ثغر دمياط يذكرون هذه القصة ويصححونها وهي مشهورة عندهم، والمسجد المذكور عرف بمسجد النبي ﷺ.

وقال الشيخ أبو إسحاق: ظهرت بي لمعة برص في كتفي، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله ألا ترى ما حل بي فمسح يده على كتفي، فانتبهت وقد ذهب البرص عني.

وقال الشيخ عبد الله محمد بن محمود التجيبي: كانت الحمى تعتادني فلما كان يوم النوبة أخذتني فأخذت كتاب «الشفا في شرف المصطفى» وجعلته على صدري وعلى كتفي وقلت: تحسبت بك يا رسول الله، قال: فزال وجعها في الحين بعدما كنت مستلقياً.

وقال أحد الصالحين: أهـلّ علينا شهـر رمضان فـأخذتني الحمى، فخفت من الفـطر فيه فاستغثت بالنبي ﷺ وشكوت إليه الحمى فأقلعها الله عني وصمت شهر رمضان ببركة النبي ﷺ.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القرطبي: أصاب والدي محمد بن عبد الملك في بيت المقدس مرض دام به ثلاثة أشهر ملازماً الفراش لا يستطيع نهوضاً بوجه ويئس منه وضاقت به الحال

إلى أن لم يبق له فلس فرأى النبي ﷺ في المنام فشكا إليه حاله فقال له النبي ﷺ: قل اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، فقالها في النوم فانتبه معاً في معافاة كاملة كأن لم يصبه مرض، ودخل أصحابه يعودونه على عادتهم فوجدوه في عافية فسألوه فأخبرهم، واتفق عبور السلطان الملك الأشرف لزيارة المسجد الأقصى فرأى الناس داخلين وخارجين إلى منزل والدي، فسأل ما هؤلاء؟ فأخبر أن فلاناً مريض وأن هؤلاء عواده، فدخل إليه للعيادة فوجده صحيحاً فتعجب من أمره، فأخبره القصة وخرج من عنده، وسير من المال ما وجدنا به سعة في أحوالنا مدة طويلة.

واتفق لفارس الحذاء أحد شيوخ الصوفية بشيراز، قال فارس: ولد لي مولود في ليلة ممطرة شديدة البرد ولم يكن عندي شيء لا حطب ولا دهن سراج ولا مأكول فاشتغل سري بذلك جداً فنعست فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فسلم عليّ وقال لي مالك؟ قلت: يا رسول الله من حالي كيت وكيت، فقال: إذا أصبحت فاذهب إلى فلان المجوسي، وسمي رجلاً عرفته، وقل له، قال لك رسول الله ﷺ ادفع لي عشرين درهماً. قال فانتبهت وقلت هذا أمر غريب والشيطان لا يتمثل برسول الله ﷺ فعدت إلى النوم فعاودني رسول الله ﷺ وقال لي لا تتهاون واذهب إليه، فلما أصبحت مشيت إليه فإذا الرجل قائم على باب داره وفي طرف كمه شيء، ثم قال لي يا شيخ وما عرفني فاستحييت أن أقول، وقلت يستحمقني الرجل، فتأملني ثم قال لي يا شيخ لك حاجة؟ قلت نعم. قال لك رسول الله ﷺ ادفع لي عشرين درهماً ففتح طرف كمه وقال هذا لك عشرون درهماً فأخذتها وقلت أيها الرجل أما أنا فقد علمت ثم جئت، فمن أين علمت أنت ذلك وكيف عرفتني؟ فقال: رأيت البارحة رجلاً من صفته كيت وكيت وقال لي: إذا جاءك بالغداة رجل من حالته وصفته كذا فأعطه عشرين درهماً فعرفتك بالعلامة، فقلت ذاك رسول الله ﷺ قال: فوقف متأملاً، ثم قال احملني إلى منزلك فحملته فأسلم وجاءت أخته وابنه وزوجته فأسلم من بيته أربعة وحسن إسلامهم.

ورأى رجل رسول الله ﷺ في المنام فشكا إليه حاله، فقال له اذهب إلى عيسى بن موسى وقل له ليدفع إليك ما تصلح به أمرك، فقال: يا رسول الله بأي علامة؟ قال: قل له رأيتني على البطحاء وكنت على نشز من الأرض فنزلت وجئتني فقلت ارجع إلى مكانك، فجاء إليه وعرفه فقال صدقت ودفع إليه أربعمائة دينار ليقضي بها دينه وأربعمائة أخرى وقال: اجعل هذا رأس مالك فإذا فني فارجع إليّ.

وقال أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث: أضاق أبي مرة إلى أن بقينا بلا شيء وقرب العيد ونحن في ضائقة فأتت علينا ليلة العيد وما لنا شيء نلبسه وبتنا بأسوإ ليلة فما مضت ساعتان من الليل إذ الباب يطرق والضوضاء والضجيج على الباب ففتحنا الباب وإذا الشموع والرجال على الباب فاستأذنوا على أبي فأذن لهم فدخل ابن أبي عمير على أبي فقال رأيت هذه الساعة رسول الله ﷺ في النوم فقال لي: إن أبا الحسن التميمي وأولاده على صورة من الفقر فاحمل إليه في هذه الليل ما يكسو أولاده وينفقه في هذا العيد وقد أخذت هذه الثياب وأخذت الخياطين معي فأخرجنا أبي فقطع ثياباً لكل أهل الدار وقعد الخياطون يخيطون، فقال لهم أبي ابدؤوا بثياب الأطفال

لتكون في غد عليهم فإن الكبار يتحملون، وجلس ابن أبي عمير والجماعة عند أبي إلى حين صلاة الفجر ثم انصرف.

خبر العلوي المظلوم

بينا كان المهدي في بعض الليالي نائماً إذ انتبه فزعاً واستحضر صاحب شرطته وأمره أن ينطلق إلى المطبق ويطلق العلوي الحسيني وأمره أن يخيره بين الإقامة عنده مكرماً أو الرواح إلى أهله بما يطيب قلبه، فلما جاء إلى المطبق أخرج إليه الفتى العلوي كالشن البالي فخيره فاختار الخروج إلى أهله وسلم له ما أمر له به فلما جاء ليركب قال له بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك؟ قال إي والله، كنت الليلة نائماً فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي أي بني ظلموك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: قم فصلِ ركعتين وقل بعدهما: يا سابق الفوت ويا سامع الصوت ويا كاسي العظام بعد الموت صلِ على محمد وعلى آل محمد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين. قال فوالله لقد جعلت أكررها حتى دعوتني، قال: فلما عدت إلى المهدي وحدثته الحديث قال صدق والله إني كنت نائماً فرأيت في منامي زنجياً بعمود حديد قائماً على رأسي يقول لي: أطلق فلاناً العلوي الحسيني وإلا قتلتك فانتبهت وما جسرت والله على العود إلى النوم حتى جئتني بإطلاقه.

خبر منصور الجمال

بينما كان المعتمد على الله ليلة نائماً إذ انتبه فزعاً وقال: أحضروا لي من الحبس رجلاً يعرف بمنصور الجمال فأحضر فقال له مذ كم أنت محبوس؟ قال منذ ثلاث سنين، قال فأصدقني عن خبرك، قال أنا رجل من أهل الموصل كان لي جمل أحمل عليه وأعود بكرائه على عائلتي فضاق الكسب عليّ بالموصل فقلت أخرج أتسبب فخرجت من الموصل فإذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق فأخذوهم وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد منهم مالاً على أن يطلقوه فأطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملي فسألتهم بالله عزّ وجلّ فأبوا وحبسوني معهم فمات بعضهم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي. فقال المعتمد: أحضروا لي خمسمائة دينار فدفعها إليّ وأعطاني ثلاثين ديناراً في كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا إليه، ثم أقبل علينا فقال رأيت النبي ﷺ في النوم الساعة وقال: يا أحمد وجه الساعة فأخرج منصور الجمال فإنه مظلوم وأحسن إليه.

خبر أبي حسان الزيادي

أودع أبا حسان الزيادي رجل من أهل خراسان بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكان عزم على الحج فورد عليه خبر بموت والده فانفسخ عزمه من الحج فجاء إلى أبي حسان الزيادي يطلب منه البدرة التي أودعه بالأمس وكان على أبي حسان ديون كثيرة فقضى بها ديونه وتصرف فيها فبقي متحيراً، فوجه إليه المأمون فقال له اشرح لي قصتك فشرح له قصته فبكى بكاءً شديداً وقال ويحك ما تركني رسول الله ﷺ الليلة أنام بسببك أتاني في أول الليل. فقال أغث أبا حسان الزيادي فانتبهت

ولم أعرفك فاعتمدت السؤال عنك وأثبت اسمك ونسبك ونمت، فأتاني فقال كمقالته الأولى فانتبهت منزعجاً ثم نمت فأتاني فقال: ويلك أغث أبا حسان فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك فأعطاني عشرة آلاف درهم وقال أعطِ هذه للخراساني، ثم أعطاني عشرة آلاف أخرى فقال اتسع بهذه وأصلح أمرك وعمر دارك، ثم أعطاني ثلاثين ألف درهم وقال جهز بناتك وزوجهن فإذا كان في يوم الموكب فعد إليّ لأقلدك عملاً جليلاً وأحسن إليك فرجعت إلى داري فإذا الخراساني فأدخله المبيت وأخرجت بدرة وقلت خذها فقال ليس هذه بدرتي فأخبرته الخبر فبكى وقال: لو صدقتني في أول الأمر ما طالبتك ووالله لا أدخل في مالي ما ليس منه أنت في حل منه وبكرت يوم الموكب إلى دار المأمون فاستدناني، ثم أخرج عهداً من تحت مصلاه وقال: هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام وقد أجريت عليك كذا وكذا في كل شهر، فاتقِ الله تدم لك عناية رسول الله ﷺ.

خبر الشريف ابن طباطبا مع ولي عهد العزيز بمصر

ذكر أن العزيز بالله أمر ولي عهده أن يستخرج بقية أمواله من عماله بمصر فوجد على الشريف ابن طباطبا ثلاثة آلاف دينار فأنفذ إليه وأمر باعتقاله بمسجد مهرة ووكل به، فبات تلك الليلة فرأى النبي ﷺ في منامه، فقال له: وكل عليك ولي عهد العزيز؟ فقال نعم يا رسول الله فقال له فأين أنت عن الخمس التي لا تحجب عن الله يفرج عنك بها قال: فقلت يا رسول الله وما هي؟ قال قوله تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥] إلى قوله: ﴿المهتدون﴾ [البقرة: ١٥٧] وقوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ [الأعراف: ١٧٣] إلى قوله: ﴿عظيم﴾ وقوله: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ [انبياء: ٨٣] إلى قوله: ﴿العابدين﴾ [الزخرف: ٨١] وقوله: ﴿وذا النون﴾ [الأنبياء: ٨٧] إلى قوله: ﴿ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨] وقوله: ﴿فستذكرون﴾ [غافر: ٤٤] إلى قوله ﴿سوء العذاب﴾ [غافر: ٤٥] الآية الأولى في البقرة، والثانية في آل عمران. والثالثة والرابعة في الأنبياء. والخامسة في سورة المؤمن، قال فانتبهت وقد حفظت ذلك، فلما أصبحت وفتح علي الباب دخل عليّ قوم لا أعرفهم فأخذوني ومضوا بي إلى ولي عهد العزيز بالله، فقال لي شكوتني إلى جدك؟ فقلت لا والله ما شكوتك، فقال بلى قد قال لي ذلك رسول الله ﷺ، ثم استدعى جرائد البواقي وضرب على اسمي وغلق عني وأمر لي بألف دينار أخرى من ماله معونة لي على حالي وأطلق سبيلي فعرفت بركة الخمس الآيات.

خبر العطار مع الوزير علي بن عيسى

كان ببغداد رجل عطار من أهل الكرخ قد اشتهر بالأمانة والستر فارتكبه دين ولزم بيته وأقبل على الدعاء والصلاة، فلما كانت ليلة الجمعة صلى على عادته ودعا ونام، قال فرأيت رسول الله ﷺ في منامي وهو يقول: اقصد علي بن عيسى فقد أمرته أن يدفع لك أربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أحوالك، وكان عليّ ستمائة دينار فجئت إلى الوزير فمنعت من الدخول عليه، فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني فأخبرته الخبر، فقال: الوزير في طلبك من السحر إلى الآن وقد سألني عنك

وأنسيتك فكن بمكان ورجع، فما كان بأسرع من أن دعاني فدخلت إلى أبي الحسن علي بن عيسى، فقال ما اسمك؟ فقلت فلان العطار. قال من أهل الكرخ؟ قلت نعم. قال يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إياي، فوالله ما نمت منذ البارحة فإن رسول الله ﷺ جاءني البارحة في منامي وقال: أعط فلان بن فلان العطار أربعمائة دينار يصلح بها شأنه. قلت: إن رسول الله ﷺ أتاني البارحة في منامي وقال لي كيت وكيت، فبكى علي بن عيسى وقال: أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله ﷺ، ثم قال هاتوا ألف دينار فجاؤوا بها عيناً، فقال خذ أربعمائة دينار امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وستمائة دينار هبة مني إليك، فقلت: أيها الوزير ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله ﷺ شيئاً فإني أرجو البركة فيه لا فيما عداه، فبكى علي بن عيسى وقال: هذا اليقين خذ ما بدا لك. قال فأخذت الأربعمائة دينار فقضيت منها بعض ديني وفتحت دكاني بما بقي، فما حال عليّ الحول إلا ومعي ألف دينار فقضيت بقية ديني وما زال مالي يزيد وحالي تصلح، وذلك بعناية رسول الله ﷺ.

خبر طاهر بن يحيى العلوي مع الخراساني

كان بعض الخراسانيين يحج في كل سنة، فإذا دخل المدينة أعطى الطاهر بن يحيى شيئاً، فاعترضه رجل من أهل المدينة وقال: تضيع مالك، فإن هذا يصرفه فيما يكره الله، فلم يدفع له الخراساني في تلك السنة شيئاً، فلما جاء في العام الثاني ودخل المدينة دفع ما دفع ولم يدفع لطاهر شيئاً ولم يره، قال الخراساني: فتجهزت للحج في العام الثالث، فرأيت النبي ﷺ في المنام وهو يقول ويحك قبلت في طاهر بن يحيى قول أعاديه وقطعت عنه ما كنت تبره به لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت. قال فانتبهت فزعاً ونويت ذلك وأخذت صرة فيها ستمائة دينار، فلما دخلت المدينة بدأت بدار طاهر بن يحيى ودخلت عليه ومجلسه حافل، فلما رآني قال يا فلان لو لم يبعثك إلينا رسول الله ﷺ ما كنت جئت؟ وقبلت فيّ قول عدو الله وقطعت عادتك حتى لامك رسول الله ﷺ في منامك وأمرك أن تعطيني ستمائة دينار ومد يده إليّ فداخلني من الدهش ما ذهلت معه، وقلت هكذا كانت القصة فما علمك بذلك؟ قال إن معي خبرك في السنة الأولى، فلما قطعت ذلك أثر في حالي، فلما كان العام الثاني وبلغني دخولك وخروجك وضاق بي الأمر رأيت رسول الله ﷺ في منامي، وهو يقول لي لا تغتم فلقد رأيت فلاناً الخراساني وعاتبته فيك وأمرته أن يحمل إليك ما فاتك ولا يقطع عنك ما استطاع، فحمدت الله وشكرته، فلما رأيتك علمت أن المنام جاء بك. قال الخراساني. فأخرجت الصرة ودفعتها له وقبلت يده وعينيه وسألته أن يجعلني في حل من قبولي قول ذلك العدو فيه.

الفصل الثالث
في ذكر من استغاث بالنبي ﷺ للجوع والعطش

قال الشريف أبو محمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسيني القاسي: أقمت بمدينة النبي ﷺ ثلاثة أيام لم أستطعم فيها فأتيت عند منبره فركعت ركعتين ثم قلت يا جدي جعت وأتمنى عليك ثردتك ثم غلبتني عيني فنمت، فبينما أنا نائم وإذا برجل يوقظني فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب

وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاوي، فقال لي كل فقلت له من أين هذا؟ فقال لي إن صغاري لهم ثلاثة أيام يتمنون هذا الطعام، فلما كان اليوم فتح لي بشيء عملته به، ثم نمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: إن أحد إخوانك تمنى عليك هذا الطعام فأطعمه منه. وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الأماني: كنت بمدينة النبي ﷺ خلف محراب فاطمة وكان الشريف مكثر القاسمي نائماً خلف المحراب المذكور فانتبه فجاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه وعاد إليه متبسماً، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوي فيم تبسمت؟ فقال كانت بي فاقة فخرجت من بيتي فأتيت بيت فاطمة رضي الله عنها فاستغثت بالنبي ﷺ وقلت إني جائع فنمت فرأيت النبي ﷺ وقد أعطاني قدح لبن فشربت حتى رويت وهذا هو، فبصق اللبن من فيه في كفه وشاهدناه من فيه. وقال الشيخ الصالح عبد القادر التنيسي: كنت أمشي على قاعدة الفقر، فدخلت إلى مدينة النبي ﷺ وسلمت عليه ﷺ وشكوت له ضرري من الجوع، واشتهيت عليه الطعام عن البر واللحم والتمر وقدمت بعد الزيارة للروضة فصليت فيها ونمت فيها، فإذا بشخص يوقظني من النوم فانتبهت ومضيت معه، وكان شاباً جميلاً خلقاً وخلقاً فقدم إليّ جفنة ثريد وعليها شاة وأطباقاً من أنواع التمر الصيحاني وغيره وخبزاً كثيراً من جملته خبز أقراص سويق النبق فأكلت وملأ لي جرابي لحماً وخبزاً وتمراً. وقال: كنت نائماً بعد صلاة الضحى، فرأيت النبي ﷺ في المنام وأمرني أن أفعل لك هذا ودلني عليك وعرّفني مكانك بالروضة وقال لي عنك إنك اشتهيت هذا وأردته.

وقال أحد الصالحين: كنت بمدينة النبي ﷺ ولم يكن لي شيء فضعفت، فأتيت إلى الحجرة وقلت: يا سيدي الأولين والآخرين أنا رجل من أهل مصر لي خمسة أشهر في جوارك وقد ضعفت فقلت أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لي من يشبعني أو يخرجني! ثم دعوت عند الحجرة بدعوات وجلست عند المنبر، فإذا برجل قد دخل إلى الحجرة فوقف يتكلم بكلام ويقول: يا جداه يا جداه، ثم جاء إليّ وقبض على يدي وقال لي قم فقمت صحبته فخرج بي من باب جبريل وغدا إلى البقيع وخرج منه، فإذا بخيمة مضروبة وجارية وعبد فقال لهما قوما اصنعا لضيفكما عيشه فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النار وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة وشاغلني بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها بنصفين، وأتت الجارية بعكة فيها سمن فصب على الملة، وأتت بتمر صيحاني فصنعها جيداً، وقال لي كل فأكلت شيئاً قليلاً فصددت، فقال لي كل فأكلت ثم قال لي كل فقلت يا سيدي لي أشهر لم آكل فيها حنطة ولا أزيد شيئاً، فأخذ النصف الثاني وضم ما فضل مني من الملة وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعه في المزود، وقال لي ما اسمك. فقلت فلان، نسي الراوي اسم الرجل وقال لي: بالله عليك لا تعد تشكو إلى جدي فإنه يعز عليه ذلك، ومن الساعة متى ما جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك، وقال للغلام خذه وأوصله إلى حجرة جدي، فغدوت مع الغلام إلى البقيع فقلت له ارجع قد وصلت، فقال لي يا سيدي والله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلا يعلم النبي ﷺ سيدي بذلك فأوصلني إلى الحجرة ودعني ورجع فمكثت آكل من الذي أعطاني أربعة أيام، ثم جعت بعد ذلك فإذا بالغلام قد أتاني بطعام ثم لم أزل كذلك كلما جعت أتاني بطعام حتى سبب الله لي جماعة خرجت معهم إلى ينبع، وذلك ببركة سيدنا محمد ﷺ. وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد: كنت بمدينة النبي ﷺ ومعي ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة فجئت إلى

النبي ﷺ فقلت يا رسول الله ليس لنا شيء ويكفينا ثلاثة أمداد من أي شيء كان، فتلقاني رجل فدفع لي ثلاثة أمداد من التمر الطيب.

وقال الإمام أبو بكر بن المقري: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ وكنا على حالة وأثر فينا الجوع وواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله: الجوع الجوع وانصرفت، فقال لي أبو القاسم اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت. قال أبو بكر فنمت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء، فحضر بالباب علوي فدق ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل فيه شيء كثير فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام فولى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قال العلوي: يا قوم أشكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فأمرني أن أحمل بشيء إليكم.

وقال ابن الجلاء: دخلت مدينة النبي ﷺ وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت ضيفك فغفوت فرأيت النبي ﷺ. فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر.

وقال أبو الخير الأقطع: دخلت مدينة رسول الله ﷺ وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً، فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر وقلت أنا ضيفك يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف المنبر، فرأيت في المنام النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلي بن أبي طالب بين يديه، فحركني عليّ وقال قم قد جاء رسول الله ﷺ قال: فقمت إليه وقبلته بين عينيه، فدفع ﷺ إليّ رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف.

وقال ابن أبي زرعة الصوفي، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد: سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكة فأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا مدينة الرسول ﷺ وبتنا طاوين وكنت دون البالغ، فكنت أجيء إلى أبي غير دفعة وأقول أنا جائع، فأتى بي إلى الحظيرة وقال يا رسول الله أنا ضيفك الليلة وجلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة فسئل عنه فقال: رأيت رسول الله ﷺ فوضع في يدي دراهم وفتح يده فإذا فيها كذا دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز فكنا ننفق منها.

وقال أحمد بن محمد الصوفي تهت في البادية ثلاثة أشهر فانسلخ جلدي فدخلت المدينة وجئت إلى النبي ﷺ فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيته ﷺ في النوم، فقال لي يا أحمد جئت؟ قلت نعم وأنا جائع وأنا في ضيافتك، فقال افتح كفيك ففتحتها فملأهما دراهم فانتبهت وهي ملأى وقمت واشتريت لي خبزاً حواري وفالوذجا وأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية.

وقال أحد الصالحين وكان بمدينة النبي ﷺ: إنه أصابه الجوع فأتى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني جائع إني جائع وجلس بالقرب من حجرة النبي ﷺ فأتاه رجل من الأشراف فقال له قم، فقال إلى أين؟ فقال تأكل عندي شيئاً، فمضى معه إلى بيته، فقدم إليه جفنة فيها ثريد وعليه لحم ودهن وقال له كل فأكل حتى شبع وأراد الإنصراف، فقال له كل وازدد فأكل، فلما أراد الإنصراف قال له يا أخي الواحد منكم يأتي من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الأهل والأوطان

يوشق البحار ويأتي إلى زيارة هذا النبي العظيم ﷺ وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخي لو طلبت الجنة أو المغفرة أو الرضا أو مهما طلبت لنلته ببركة هذا النبي الكريم ﷺ.

وقال أبو العباس أحمد بن نفيس المقري الضرير التونسي: رأيت النبي ﷺ في المنام بمصر بعد رجوعي من الحجاز وتوجهي إلى المغرب، فقال أوحشتنا يا أبا العباس وذلك أني كنت أكثر من قراءة القرآن عند ضريحه بالمدينة، قال الباجي: فقلت كم قرأت من ختمة عند قبره يا أستاذ، فقال لي ألف ختمة وقال جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر فقلت له يا رسول الله جعت ثم نمت ضعيفاً فركضت جارية برجلها فقمت إليها، فقالت اعزم فقمت معها إلى دارها، فقدمت إليّ خبز بر وتمراً وسمناً وقالت كل يا أبا العباس فقد أمرني بهذا جدي ﷺ ومتى جعت فأتِ إلينا.

وقال عبد العظيم بن علي الدكالي: كنا جماعة فقراء عشرة من دكالة بمدينة الرسول ﷺ، فلما ودعنا النبي ﷺ قلنا يا رسول الله مالنا ما نتزوده فنحن في ضيافتك إلى ضيافة أبينا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فلما بلغنا إلى وادي القرى فإذا فقير من بعض أصحابنا وجد ثلاثة دنانير مصرية فانتفعنا بذلك إلى أن وصلنا إلى الخليل عليه السلام ببركة النبي ﷺ.

وقال أبو عمران موسى بن محمد البنزرتي كنت بمدينة النبي ﷺ فلحقني ضائقة فجئت إلى القبر وقلت يا حبيب يا رسول الله أنا في ضيافة الله وضيافتك، فأغفيت وأنا منتظر صلاة العصر فإذا بالحجرة قد انفرجت وثلاثة نفر قد خرجوا من الحجرة فقمت أسلم على النبي ﷺ، فقال لي الذي كان بجنبي اجلس فإن النبي ﷺ يسلم على الحجاج ويفرق الزاد على المنقطعين، فقلت أنا منهم، فجاء النبي ﷺ إليّ وسلم على الحجاج ومددت يدي إليه وقبلت يده فأعطاني في يدي شبه خبيصة فجعلتها في فمي فانتبهت وأنا أحرك فمي من طعمها، فخرجت فقيض الله لي من ركبني في محارة وسخر لي ولياً من أوليائه يخدمني إلى أن وصلنا إلى مكة ببركة النبي ﷺ.

وقال ياسين بن أبي محمد كنا بوادي القرى جائين من عند النبي ﷺ فقال لي فقير أدركني الجوع، فقلت كما خرجنا من عند النبي ﷺ، فقال الفقير يا رسول الله نحن جياع ونحن في ضيافتك فالتقينا ملة أكلنا فيها ثلاثة أيام وهي من طحين العلامة الطيبة.

الاستغاثة به ﷺ للسقيا

قال السمهودي في خلاصة الوفا: روى البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله عنه قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس، فأتى الرجل عمر رضي الله عنه فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه. اهـ.

وعن أبي الجوزاء التابعي قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم.

وقال الفقيه المقري أبو العباس أحمد بن علي بن الرفعة: لما كان سنة ٦٥٣ توقفت زيادة النيل بمصر في شهر مسرى عن عادته فضج الناس بسبب ذلك مع ما هم فيه من غلاء السعر، فبت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة الموافق لليلة الثالث من مسرى مهموماً فصليت ركعتين وقرأت في الأولى بفاتحة الكتاب وقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ [فصلت: ٥٣] إلى آخر السورة، وفي الثانية بالفاتحة وقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة، واستغثت بالنبي ﷺ ونمت فرأيت هاتفاً هتف بي وهو يقول إنه سمع استغاثتك وإنه يفرج عن العالم بعد ثلاثة أيام في نيل مصر، فبعد ثلاثة أيام زاد النيل في ذلك اليوم خمسة عشر إصبعاً ثم استمرت الزيادة ببركة النبي ﷺ، وثبت في الصحيح «أن عمر رضي الله عنه كان يستسقي بالعباس لكونه عم النبي ﷺ فيسقى» وفي رواية الزبير بن بكار «أن العباس رضي الله عنه قال في دعائه: وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض» وقال الشيخ العارف عتيق: كنا في ركب الحج فأدرك الناس عطش شديد وقل ماؤهم فلجأ جماعة من أهل الركب إلى الشيخ أبي النجا سالم بن علي فاعتزل عنهم ودعا الله عزّ وجل وتشفع إليه بالنبي ﷺ فأرسل الله عليهم المطر حتى عم الركب بأجمعهم، وقال الشيخ أبو عبد الله المهتدي على ما في «مصباح الظلام» حججت إلى بيت الله فوافيت بالحرم رجلاً ذكر لي أنه لا يشرب الماء فسألته عن ذلك؛ فقال أنا أخبرك سبب ذلك: أنا رجل من أهل الحلة من الطائفة المتشيعة نمت ليلة فرأيت أن القيامة قد قامت والناس في كرب وشدة وعطش فأصابني عطش عظيم فأتيت حوض النبي ﷺ فوجدت عليه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم وهم يسقون الناس. قال فأتيت علياً رضي الله عنه لإدلالي عليه ومحبتي له وتقديمي إياه ليسقيني فأعرض بوجهه عني، فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني، فأتيت عمر رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني، فأتيت عثمان رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني، والنبي ﷺ واقف في المحشر يذود الناس، فأتيته فقلت يا رسول الله أصابني عطش عظيم فأتيت علياً ليسقيني فأعرض عني، فقال رسول الله ﷺ كيف يسقيك وأنت تبغض أصحابي، فقلت: يا رسول الله ما لي من توبة؟ قال لي نعم، أسلم وتب وأسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبداً، فأسلمت وتبت على يد رسول الله ﷺ فناولني كأساً فشربتها فاستيقظت فلم أجد عطشاً وبقيت على ذلك إن شئت أشرب وإن شئت لا أشرب فمضيت إلى أهلي إلى الحلة وتبرأت منهم إلا من أجاب ورجع عن ذلك.

وقد ألف في هذا الشأن العلامة الشيخ علي الحلبي الشافعي رحمه الله تعالى كتاباً سماه «بغية الأحلام بأخبار من فرج كربه برؤيا المصطفى في المنام» وها أنا أنقل عنه ما لم يذكره صاحب «مصباح الظلام» فأقول: قال رحمه الله تعالى، ومن ذلك ما حدث به بعضهم. قال خرجت من بغداد قاصداً مصر لمواجهة أخي بها وصحبتي زوجة له وبنت صغيرة وكنا في قافلة كبيرة، فلما كنا في بعض الأماكن ونحن مقبلون على دمشق خرج قطاع الطريق علينا فأخذوا جميع ما بأيدي الناس، وكنا على ماء من بعض المياه، فقلت للناس الموت لا بدّ منه ولأن نسير في طلب الخلاص خير لنا من البقاء هنا لعل الله يرحمنا ويخلصنا فسرنا يومين وليلتين وأنا أحمل الصبية التي هي بنت أخي لعجز أمها عن حملها من غير أكل ولا شرب ومات منا خلق كثير، فلما كان في اليوم الثالث وقفنا على حلة أعراب فجئت إلى امرأة

منهم وأمسكت بذيلها وقلت لها أنا في جوارك وأخذت في قراءة القرآن فرق لي صاحب البيت وصرت أحادثه وأتلطف به إلى أن قال ما تشاء؟ قلت تركبني أنا وهذه المرأة والصبية وتسير معي إلى دمشق وأعطيك ما يكون فيه مكافأة لإحسانك، ففعل وكساني وكسا المرأة والصبية وحملنا إلى دمشق وحمل معنا من الماء والزاد كفايتنا، فلما كان في بعض أيام شارفنا دمشق، فإذا أهلها قد خرجوا يستقبلون الناس وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه لما بلغهم ما حصل في القافلة، فما شعرت إلا بإنسان يسأل عني فقلت له ها أنا ذاك فأخذ بخطام راحلتي حتى أدخلنا دار حسناء تدل على نعمة كبيرة ولم أشك أنه صديق إلى أخي، وأقمنا عنده يومين أو ثلاثة في نعمة لا أسأله عن شيء ولا يسألني عن شيء، فلما كان في اليوم الثالث سألني عن الأعرابي فأخبرته خبره، فقال خذ ما تريد من الدنانير، فقلت كذا وكذا من الدنانير، فأعطانيها فدفعتها للأعرابي وزودني الرجل زاداً كثيراً، ثم قال ماذا تريد من الجمال، وكم يكفيك من النفقة، وأين تريد البلاد؟ قال فلما قال لي أين تريد من البلاد ارتعدت، وقلت لو كان هذا من أصدقاء أخي الذين كاتبهم بتفقدي لكان قد علم مقصدي، فقلت له: كم كاتبك أخي أن تعطيني؟ قال ومن أخوك؟ قلت أبو يعقوب بن الأزرق الأنباري كاتب المعز بمصر، فقال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه، فورد علي أمر عظيم، فقلت يا هذا إني ظننتك صديقاً له وأن ما عملته معي من الجميل بسببه، فانبسطت إليك بالطلب، فما السبب فيما عاملتني به؟ قال أمر هو آكد من أمر أخيك يجب معه أن يكون انبساطك أتم، فقلت ما هو؟ قال لما جاء خبر القافلة التي كنت بها ما بقي بدمشق أحد إلا وردت عليه مصيبة عظيمة إما بذهاب مال أو بغم على صديق أو قريب إلا أنا فإنه لم يكن لي بها لا صديق ولا مال، ثم تهيأ الناس للخروج إلى تلقي المنقطع منهم وإصلاح أحوالهم ولم أعزم أنا، فلما كان في الليل رأيت النبي ﷺ وكأنه يقول: أدرك أبا محمد بن الأزرق الأنباري فأعنه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده، فلما خرجت مع الناس أسأل عنك كان ما رأيت مني إلى الآن فانظر ما تريد؟ قال أبو محمد: فبكيت بكاءً شديداً لم أقدر معه على خطابه مدة، ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه وأخذته وأصلحت أمري؟ وسألت الرجل عما يعرف به، فذكر بأنه يعرف بابن الصابوني، ثم بلغت مصر واجتمعت بأخي وأخبرته الخبر، فتعجب وبكى بكاءً شديداً، ثم صار يكاتب ابن الصابوني، ثم إن أخي ورد إلى دمشق؛ فوجد حال الرجل قد اختلف بمحن لحقته، فوهب له ضيعة كانت له بدمشق، وكان متحصلها له وقع كبير مكافأة له على ما فعل معي.

ومن ذلك أن الأمير طغرل بك، وهو أول ملوك السلجوقية لما عزم على المسير إلى الموصل كان معه جيش كبير، فصار الجيش ينتهبون القرى، فحصل لأهل القرى شدة عظيمة، فرأى النبي ﷺ في المنام فسلم عليه فأعرض عنه وقال حكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عزّ وجلّ، فاستيقظ مذعوراً وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل وأن لا يظلم أحد أحداً.

ومن ذلك ما حدّث به بعضهم قال: اجتاز بعض كبار الأمراء مع رفيق له من خواصه بدكان فرأى فيها بنتاً صغيرة فتنه جمالها، فقال لرفيقه: أعرف هذا الدكان فعرفها ثم لما انتهى إلى منزله قص على الرفيق أمره وقال لا بدّ من التزوج بهذه البنت، فذهب الرفيق واستدعى البقال، وقال له إن

الأمير يطلبك في خير لك، فقال السمع والطاعة فطلع الرفيق وأخذه معه، فلما دخل على الأمير أعلمه بمجيء البقال فأدخله إلى محل خلوة وقال للرفيق قل له ما هذه البنت التي كانت في دكانك منك؟ قال بنتي. قال ألها أمّ؟ قال لا. قال مولانا الأمير يريد أن يتزوجها، فقال من أين لها هذه السعادة، فقال أرسل أحضرها فأحضرها، فأدخلها عند حريمه واستدعى القاضي والشهود وتزوجها من أبيها، ثم قال له الأمير بشرط أنك لا تسكن بهذه البلدة وتأخذ ألف دينار وتذهب بها إلى أية بلدة شئت من بلادي ولا تعلم أحداً بهذه الأمور وأوصي عليك، فاختار بلداً من البلدان فكتب له أمراً لمتوليها بمراعاته والقيام بمصالحه، ومن فوره أخذ ما في دكانه وذهب إلى تلك البلد ولم يعلم بذلك أحد، فتلقاه متوليها وأنزله أحسن المنازل ووكل به من يخدمه ويقضي مصالحه، ثم أن الأمير استدعى قهرمانته التي تصلح شأن جواريه، وقال لها أصلحي من شأن هذه البنت، فقالت له والله يا سيدي هذه البنت فتنة، ثم أدخلتها الحمام وأصلحت من شأنها وألبستها لباس نساء الأمراء، فصارت لا يقدر أحد على النظر إليها ثم أدخلتها على الأمير، فكاد عقله يطير من رؤيتها فأخذت بمجامع عقله حتى ترك الجلوس للمظالم إلى أن كلمه ذلك الرفيق في ذلك، ثم إن الأمير افتتن بحبها وصار يتقرب إليها في كل يوم بكل ما يحبه ويعجبه من ذخائر الأمراء، ثم إنه تذكر في يوم أن عنده تاجاً وبدلة كان والده أهداهما لأمه، فاستدعى القيمة على الملبوس وأمرها بإخراج ذلك الصندوق الذي فيه ذلك التاج وتلك البدلة، فأخرجت الصندوق وأخرجت منه ذلك التاج وتلك البدلة ودفعتهما إليه، فدفعهما إلى البنت وأمرها بلبسهما، وصار لا يقدر أحد على مواجهتها والنظر إلى وجهها، ثم إنها في بعض الأيام جلست إلى جانب شباك يطل على الشارع المسلوك، وإذا بسائل يقول من يتغالى في محبة النبي ﷺ يتغالى النبي ﷺ في شفاعته له، فقالت لا أعز عندي من هذا التاج والله لأدفعنه إليه وإذا سألت عنه أورى في الجواب، فاستوقفت السائل وذهبت فنزعت ذلك التاج من على رأسها ودفعته لذلك السائل، ثم إن الأمير مكث أياماً لا يراها تلبس التاج الذي يحصل له غاية المسرة برؤيتها فيه، فقال لها في بعض الأيام لم لا تلبسين التاج؟ فسكتت ثم ردّ عليها مرة أخرى فتوانت ثم قال لها مرة ثالثة وأكد عليها في ذلك فتوانت، فقال لها أخبريني بالقصد، فأخبرته بخبره فضربها على وجهها ونزع ما كان عليها من الثياب وأمر أن تلبس ثوباً من خام وطرحة من قطن وانتضى لها سكيناً وقطع بها يدها ودفعها لها وطلقها وأمر بإخراجها، فأخرجت وجيء بها إلى حانوت أبيها، فدخلت إلى وكالة تجاه دكان أبيها، وكان بواب تلك الوكالة رجلاً شيخاً كبيراً، فقالت يا عمي فلان أين ذهب أبي؟ فقال لها وأين كنت، فقالت له كلاماً ملفقاً، قال أبوك من يوم كذا ما رأيناه ولا نعرف أين ذهب، ثم قال لها يا فلانة إني رجل كبير مسن وعاجز وأريدك أن تسكني في هذا الحاصل عندي ويكون نظرك على المحل، فقالت سمعاً وطاعة، ثم قالت له قصدي أن تأتيني بشيء من الزيت الحار وحطب ونار، فأتى إليها بذلك فغلت الزيت الحار وأثبتت يدها فيه ولم يشعر الشيخ البواب بذلك، ثم إنها مكثت أياماً عند ذلك الشيخ، فجاءت قافلة من بلاد حلب وفيها رجل تاجر، فدخل إلى تلك الوكالة ونزل بها، ثم إنه في بعض الأيام لحظ تلك البنت فكاد عقله يطير، فاستدعى ذلك الشيخ البواب، وقال له ما هذه منك؟ فقال هذه بنتي، فقال أريد أن أتزوجها ولها ما شاءت من الأموال، فقال استأذنها فأذنت له على شرط أن لا يدخل بها إلا في بلده، فذكر ذلك له فوافق على ذلك وكتب كتابه عليها، وصار

يرسل لها التحف وأنزلها بمحل عظيم وأخذ لها جواري وخدماً وصارت في نعمة عظيمة، ثم إنه لما أراد السفر هيأ لها محفة وحملها فيها وحولها الخدم وأخذوا في السير، فلما وصلوا إلى الشام قالت كم بقي بيننا وبين بلد سيدي، فقال لها كذا وكذا من الأيام، فأخذت في البكاء والتضرع وقالت: إلهي بحرمة من تغاليت في محبته إلا ما سترتني فإني مقطوعة اليد وهو لا يعلم، وكيف أدخل إلى أهله وأنا كذا، ثم غلب عليها النوم، فرأت المصطفى ﷺ، فقال لها يا فلانة أين يدك؟ قالت يا رسول الله هذه هي، فأخذها ﷺ ووضعها مكانها ووضع ريقه الشريف حولها، فالتصقت وصار محل ريقه الشريف يضيء كالنور الساطع، فانتبهت فوجدت يدها في محلها فزغرتت من شدة المسرة، فأرسل التاجر يسألها عن ذلك فلم تجبه بالخبر فسكت إلى أن دخل منزله وخرج نساؤه وأهل بيته يتلقون تلك الصبية ففتنتهم بحسنها وجمالها، ثم دخل بها ومضى على ذلك أيام، ثم إن التاجر جلس معها في بعض الأيام بجانب شباك يطل على الشارع المسلوك وإذا بسائل يقول: من يتغالى في محبة النبي ﷺ يتغالى النبي ﷺ في شفاعته له، فقالت يا سيدي بالله عليك إن كنت تحبني تنظر أعز الأشياء عندك من المعادن وأنفسها تدفعه لهذا السائل واستوقفت السائل، فقال لها التاجر هذا يرضي بالقدر اليسير، فقالت أنا لا أرضى بذلك، فقال لها والله لا أعطي ذلك إلا إن أخبرتيني عن حقيقة حالك من البكاء والعويل ثم الفرح والضحك ورفع الصوت بالزغاريت، فأخذت تقص عليه القصة والسائل يسمع، فقال لها التاجر: والله إني أنا كنت ذلك السائل، فقال السائل من أسفل وأنا والله ذلك الأمير، فنزل التاجر وأطلعه وسأله عن الحال، فقال لما قطعت يد هذه الصبية أخذني من الأسف والقلق ما كادت نفسي تفارقني بسببه، ثم إن بعض أعدائي أخرجني من إمارتي، فخرجت هارباً خوفاً من القتل ولم أصحب معي شيئاً، فصرت إلى هذه الحالة، فقال له التاجر والله يا سيدي إني لم آخذ من التاج إلا فصاً واحداً فخذه، فأخذه فباعه وعمر له بشيء من ثمنه تكية بحسب طلبه، ووقف عليها أوقافاً وأقام بها، وصارت الصبية ترسل إليه في كل قليل بأنواع الإحسان ولطائف الامتنان.

ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال: مكثت ثلاث سنوات أدعو الله أن ييسر لي الحج فرأيت النبي ﷺ وهو يأمرني بالحج في تلك السنة، فذكرت له أنه ليس معي ما أحج به ثم رأيته مرة ثانية كذلك ثم مرة ثالثة كذلك، فقال لي في المرة الثالثة انظر موضع كذا وكذا من دارك، فاحفر فيه تجد درعاً لجدك وأبيك. قال فصليت الغداة ثم احتفرت ذلك الموضع فإذا درع كأنما رفعت عنها الأيدي، فأخرجتها وبعتها بأربعمائة درهم، فاشتريت ناقة وخرجت إلى الحج، ثم بعد أن أتممت الأعمال رأيت النبي ﷺ وهو يقول لي: قبل الله سعيك ائت عمر بن عبد العزيز وقل له إن لك عندنا ثلاثة أسماء: عمر وأمير المؤمنين وأبو اليتامى، فانتبهت وجئت أصحاب وقلت لهم امضوا على بركة الله تعالى، فإني أريد أن أذهب إلى الشام وذهبت مع رفقة يريدون الشام، فانتهيت إلى دمشق وأتيت عمر بن عبد العزيز، واستأذنت عليه فأذن لي في الدخول فدخلت عليه وقصصت عليه القصة فدخل وأخرج لي صرة فيها أربعون ديناراً وقال لي لم يبق من عطائي غير ما ترى وأنا أسألك فيه، فقلت لا والله لا آخذ على رسالة رسول الله ﷺ شيئاً ثم ودعته وانصرفت فاعتنقني ومشى معي إلى الباب ودمعت عيناه.

ومن ذلك ما حدث به الواقدي قال: حصلت لي إضاقة شديدة جداً وأقبل عليّ شهر رمضان ولا نفقة لي، فكتبت إلى علوي كان صديقاً لي استقرض منه ألف درهم، فأرسل دريهمات في كيس، فما أمسيت من يومي هذا حتى أتتني رقعة من بعض أصدقائي يستقرض مني ألف درهم، فبعثت إليه بالكيس، فلما أصبحت من اليوم الثاني أتاني الصديق الذي أقرضته والعلوي الذي أقرضني وأخرجا إلى الكيس. وقال لي العلوي اعلم أنه قد أظلنا هذا الشهر المبارك وما عندي للنفقة غير هذه الدريهمات التي في هذا الكيس، فلما وردت على رقعتك بعثت بها إليك وآثرتك على نفسي وكتبت إلى هذا الفتى أستقرض منه ألف درهم، فبعث إلي بهذا الكيس فتعجبت من ذلك، فقصصت عليه القصة، فاتفقنا على أن نقسمها أثلاثاً لكل واحد منا الثلث إلى أن ييسر الله تعالى. قال الواقدي: فاقتسمناها فأنفقت ما خصني ولم يبق منه إلا القليل وأنا مفكر، فرأيت النبي ﷺ يبشرني بالفرج فأنا وقت السحر إذا أنا برسول يحيى بن خالد البرمكي يطلبني فجئته، فقال يا واقدي رأيتك البارحة في منامي على حاله استدللت بها على أنك في غم فأخبرني بحالك، فأخبرته بالقصة، فقال لست أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بعشرين ألف درهم وولاني القضاء. قال الشيخ علي الحلت: قلت وهذه الحكاية أوردها في مرآة الزمان على غير هذا الوجه، وصاحب مرآة الزمان هو شمس الدين سبط ابن الجوزي.

ومن ذلك ما حدث به إبراهيم بن مهران قال: كان بالكوفة بجوارنا رجل قاض يكنى أبا جعفر وكان حسن المعاملة، وكان إذا أتاه إنسان من العلوية يطلب ما عنده لا يمنعه، فإن كان معه ثمنه أخذه وإلا قال لغلمانه اكتب ما أخذه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعاش كذلك زماناً ثم افتقر وجلس في بيته، وكان ينظر في دفتره فإن وجد فيه حياً بعث من يطالبه وإن وجد ميتاً ضرب على اسمه، فبينما هو ذات يوم جالس على باب داره ينظر في ذلك الدفتر إذ مر به رجل. فقال كالمستهزىء: ما فعل غريمك الكبير؟ يعني علياً رضي الله عنه، فاغتم الرجل لذلك ودخل منزله، فلما كان الليل رأى النبي ﷺ والحسن والحسين يمشيان بين يديه، فقال لهما رسول الله ﷺ ما فعل أبوكما، فأجابه علي رضي الله عنه من ورائه، فقال ها أنا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، فقال مالك لا تدفع إلى هذا الرجل حقه؟ فقال له قد جئته. قال فأعطه. قال فناولني كيساً من صوف وقال هذا حقك، فقال لي رسول الله ﷺ خذه ولا تمنع من جاءك من ولده يطلب ما عندك، فامضِ فلا فقر عليك بعد اليوم، فانتبهت والكيس في يدي فناديت زوجتي وقلت لها: أنائم أنا أم يقظان؟ قالت بل يقظان، فأنشرحت وناولتها الكيس وقصصت عليها القصة ونظرت في الدفتر فإذا ليس فيه شيء لا قليل ولا كثير.

ومن ذلك ما حدث به إبراهيم بن إسحاق بن مصعب، وكان على شرطة بغداد: أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول أطلق القاتل فانتبه مرعوباً وسأل أصحابه، فقالوا عندنا رجل اتهم بقتل فأحضره وقال أصدقني الحديث. فقال أخبرك نحن جماعة نجتمع على المحرمات كل ليلة وكانت عجوز تختلف إلينا وتأتينا بالنساء، فدخلت علينا بامرأة، فلما رأت المرأة ما نحن عليه صاحت صيحة عظيمة وأغمي عليها فأدخلتها بيتاً من الدار، فلما أفاقت سألتها عن حالها، فقالت يا فتيان الله الله في، فإن هذه العجوز غرتني وأخبرتني أن عندها خفاً ليس في الدنيا مثله وأنها لا تخرج به من

منزلها فتشوقت إلى رؤيته ثقة بقولها لأنظره، فهجمت بي عليكم وأنا شريفة وجدي رسول الله ﷺ وأمي فاطمة بنته فاحفظوهما في. قال فخرجت إلى أصحابي وعرفتهم حالها وقلت لا تتعرضوا لها وكأني أغريتهم بها، فقاموا إليها وقالوا لي لما قضيت حاجتك منها تريد أن تصرفنا عنها، فقمت دونها وقلت والله لا يصل إليها أحد منكم وأنا حي، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراحة فعدمت إلى أشدهم حرصاً على ذلك فقتلته ثم حاميت عنها إلى أن أخرجتها من الدار وسمع الجيران الضجة، فاجتمعوا ودخلوا الدار ورأوا السكين في يدي والرجل مقتول، فجاؤوا بي إليكم، فقال له إسحاق قد وهبتك لله ولرسوله ولحفظ المرأة، وتاب الرجل وحسنت توبته.

ومن ذلك ما حكي عن علي بن عيسى الوزير قال: كنت أحسن إلى العلوية، فأدفع لكل واحد منهم عند استقبال شهر رمضان ما يكفيه سنّته طعاماً وكسوة، وكان من جملتهم شيخ من أولاد موسى بن جعفر بن محمد الباقر كنت أجري عليه في كل سنة خمسة آلاف درهم، فرأيته يوماً سكران قد تقيأ وتلطخ بالطين، فقلت في نفسي أعطي مثل هذا الفاسق في كل سنة خمسة آلاف درهم ينفقها في معصية الله وعزمت أن لا أعطيه شيئاً، فلما دخل شهر رمضان جاءني ذلك الشيخ وسلم عليّ فقلت له لا كذلك ولا كرامة أدفع إليك ما تنفقه في معصية الله أنا رأيتك وأنت سكران انصرف ولا تعد إليّ بعد اليوم. قال فلما نمت تلك الليلة رأيت النبي ﷺ في المنام وقد اجتمع إليه الناس، فتقدمت إليه فأعرض عني فشق ذلك علي وساءني، فقلت يا رسول الله هذا مع كثرة إحساني إلى أولادك وكثرة صلاتي عليك، فقال لم رددت ولدي فلاناً عن بابك وقطعت جائزته، فقلت لأني رأيته سكران فأحببت أن لا أعينه على معصية الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ كنت تعطيه ذلك لأجله أو لأجلي. انتهى ما نقلته من كتاب «بغية الأحلام» للعلامة الشيخ علي الحلبي صاحب السيرة رحمه الله تعالى. وقد ذكرت في «سعادة الدارين» ما نصه:

ومن لطيف ما نقله الشهاب المقري في «نفح الطيب» عن أديب الأندلس أبي بحر صفوان بن إدريس أنه رحل إلى مراكش في جهاز بنت له بلغت التزويج، وقصد دار الخلافة مادحاً فما تيسر له شيء من أمله، ففكر في خيبة قصده، وقال لو كنت أملت الله سبحانه وتعالى ومدحت نبيه ﷺ وآل بيته الطاهرين لبلغت أملي بمحمود عملي، ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في توجهه الأول، وعلم أن ليس على غير الثاني معول، فلم يكن إلا أن صوب نحو هذا المقصد سهماً وأمضى فيه عزماً، وإذا به قد وجه إليه فأدخل على الخليفة فسأل عن مقصده فأخبره مفصحاً به فأنفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤياه رسول الله ﷺ في النوم يأمره بقضاء حاجته فانفصل موفي الأغراض واستمر في مدح أهل البيت حتى اشتهر بذلك. انتهت عبارة «نفح الطيب»:

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه، فهذا نحو مائة حكاية اقتصرت عليها في هذا الشأن، ولو جمع ما وقع من ذلك في كل عصر لبلغ مجلدات كثيرة. وقد وقع لي من ذلك ولله الحمد ما جاء مثل فلق الصبح. فمن ذلك أني في سنة ١٣١٧ افترى علي رجل لا يخاف الله تعالى ما أمر السلطان بعزلي بسببه ونقلي من بيروت إلى بلاد بعيدة، فلما بلغني ذلك أزعجني وكان يوم خميس، فاستغفرت الله في ليلة الجمعة ألف مرة بصيغة: أستغفر الله العظيم، وصليت على النبي ﷺ

بصيغة: اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد قد ضاقت حيلتي أدركني يا رسول الله ثلاثمائة وخمسين مرة وغلبني النوم، ثم انتبهت في آخر الليل، فصليت بهذه الصيغة ألف مرة واستغثت بالنبي ﷺ إلى الله تعالى أن يفرج ذلك الكرب عني، ففي مساء ذلك اليوم الجمعة جاء الخبر بالتلغراف من القسطنطينية بأمر السلطان بإبقائي في وظيفتي رياسة محكمة الحقوق في بيروت نصره الله تعالى وخذل المفتري وعامله بما يستحق، والذي يحقق أن وقوع هذا الأمر إنما هو ببركة النبي ﷺ والاستغاثة إلى الله تعالى به والصلاة عليه ﷺ أن العادة جارية بأنه إذا صدر أمر السلطان في مثل ذلك لا يرجع عنه بوقت قريب كما حصل هذه المرة، ولذلك تحققت أنا وكل من عرف قصتي وخدمتي للنبي ﷺ من المسلمين أن تفريج هذا الكرب لم يحصل إلا ببركته ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

الباب السابع

في جملة من الأدعية الواردة عن بعض أكابر الأولياء في أحزابهم وكتبهم، قد استغاثوا فيها بالنبي ﷺ إلى الله تعالى لقضاء حاجاتهم. ومنها ما هو مأثور عن النبي ﷺ، وهذا الباب هو حزب عظيم مستقل، فمن شاءه فليفرده ويتخذه ورداً فإنه من أجل الأوراد وأقربها لحصول المراد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مغيث من استغاث، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الغوث الغياث، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا ورد عظيم سميته «حزب الأولياء الأربعين: المستغيثين بسيد المرسلين ﷺ» نقلت فيه أدعية كثيرة عن أربعين ولياً من العارفين، ومشاهير أئمة الدين استغاثوا فيها به ﷺ لله تعالى لقضاء حاجاتهم، وقدمت عليها ما ورد من ذلك في الأحاديث النبوية وهي خمسة. وها أنا أذكر فهرست أصحاب هذه الأدعية مع بيان أعدادها والكتب التي نقلتها منها، وقد يكون لبعضهم أكثر من دعاء منها، وأذكر نظير العدد المذكور في الفهرست عدداً بالرقم قبل كل دعاء فيما يأتي في الورد لتسهل مراجعته على من شاء معرفة صاحبه وفي أي كتاب هو مذكور.

(١) حديث رواه الترمذي والبيهقي والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، وقد استعمله كثير من العلماء في دعواتهم. (٢) حديث ذكره العلامة نور الدين علي السمهودي في كتابه «جواهر العقدين: في فضل الشرفين» قال فيه قال الحافظ أبو عبد الله محمد المظفر الزرندي المدني في كتابه «نظم درر السمطين» أنه روى عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه عن

جده عن النبي ﷺ أنه قال لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه «إذا هالك أمر فقل: **اللهم صل على محمد** إلى آخره فإنك تكفي ذلك الأمر». (٣) بعض حديث رواه كثير من المحدثين، منهم الحاكم وابن حبان وصححوه عن أنس بن مالك: أن فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنها كانت ربت النبي ﷺ في صغره، فلما ماتت اضطجع في لحدها ودعا لها فقال ﷺ: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين**» حديث نبوي رواه الديلمي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، وهو قول النبي ﷺ: «**إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل: يا من يكفي من كل أحد إلى آخره**» ذكره السيوطي في الجامع الكبير. (٥) حديث ذكره أبو طالب المكي في الفصل الخامس من قوت القلوب، وذكر أن النبي ﷺ علمه لأبي بكر رضي الله عنه. (٦) لسيدي زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما من جملة دعاء طويل يقال يوم عرفة، رواه بسنده السيد المرتضى في شرح الإحياء في «كتاب الحج». (٧) للإمام الغزالي في الإحياء عند ذكره زيارة قبر النبي ﷺ. (٨) للغزالي أيضاً في الإحياء في «كتاب الحج» من جملة الأدعية المأثورة عن السلف في يوم عرفة. (٩) لسيدي عبد القادر الجيلاني في مواضع من صلاته الكبرى. (١٠) لسيدي عبد القادر أيضاً في كتابه: «الغنية» من جملة صلاة تقال عند زيارة النبي ﷺ، وفيه كثير من ألفاظ الحديث النبوي. (١١) لسيدي محيي الدين بن العربي في صلاة التوسل. (١٢) لسيدي إبراهيم الدسوقي، وهو صلاته المشهورة. (١٣) لسيدي إبراهيم الدسوقي أيضاً في حزبه حزب المشايخ. (١٤) لسيدي أبي الحسن الشاذلي في حزب الكفاية، وقد نقلته، وما يأتي بعده له من كتاب «المفاخر الشاذلية». (١٥) للشاذلي أيضاً في حزب الدائرة. (١٦) للشاذلي أيضاً. (١٧) للشاذلي أيضاً في حزب الطمس. (١٨) للشاذلي أيضاً في حزب الطمس. (١٩) لسيدي أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة صاحب مختصر البخاري نقله عنه تلميذه ابن الحاج في كتاب «المدخل»: وذكر أن النبي ﷺ أعطاه ذلك المنام ليجعله نشرة للاستشفاء من الأمراض وقد ذكرها كلها، ومنها هذا الدعاء. (٢٠) لابن أبي جمرة ذكره في المدخل أيضاً، وأن النبي ﷺ أعطاه في المنام نشرة أخرى وذكرها، ومنها هذا الدعاء. (٢١) لأبي عبد الله محمد بن الحاج ذكره في كتابه «المدخل» عند ذكر زيارة النبي ﷺ بعد ذكر آداب زيارة قبور الأنبياء والصالحين.
(٢٢) لسيدي عبد العزيز الدريني في آخر الفصل العشرين من كتاب «طهارة القلوب». (٢٣) لتاج الدين السبكي في حزبه. (٢٤) لسيدي أبي الحسن السخاوي في حزبه. (٢٥) لسيدي محمد وفا، وهو إحدى صلواته. (٢٦) لسيدي محمد وفا أيضاً من جملة صلاة له. (٢٧) لسيدي علي وفا في حزبه، وهو موجود في حزب الفردانية لخليفته: أبي المواهب الشاذلي. (٢٨) لسيدي علي وفا أيضاً في حزب النجاة. (٢٩) لسيدي أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي في دلائل الخيرات وأصله حديث نبوي مع زيادة. (٣٠) للجزولي في الدلائل أيضاً. (٣١) لابن عباد الرندي في آخر شرح الحكم العطائية، وهي في عبارته بضمير الغيبة هكذا: ونسأله إلى آخرها، فحولتها هنا لضرورة المناسبة إلى ضمير الخطاب مع زيادة لفظ اللهم، فصارت نسألك اللهم إلى آخر. (٣٢) لسيدي أبي المواهب الشاذلي في حزب الفردانية. (٣٣) لأبي المواهب أيضاً في صلاته المشهورة التي تقال عند زيارة الحضرة النبوية. (٣٤) لأبي المواهب أيضاً في حزب التنزيه. (٣٥) لأبي المواهب أيضاً في حزب

الحفظ. (٣٦) للشيخ إبراهيم المواهب الشاذلي في صلاته التي تقال عند زيارة الحضرة النبوية. (٣٧) لأبي العباس المشرعي اليمني من جملة صلواته. (٣٨) لخير الدين بن أبي السعود بن ظهيرة المكي في آخر صلاته. (٣٩) للشيخ عبد الجليل بن عظوم القيرواني في أواخر كتابه «تنبيه الأنام». (٤٠) لسيدي الشيخ ناصر الدين بن سويدان في حزبه.

(٤١) لأبي المكارم زين الدين عمر بن بيبرس الخالدي الشاذلي في حزبه. (٤٢) لسيدي أبي الحسن البكري المصري في حزبه. (٤٣) لأبي الحسن البكري أيضاً في حزبه المسمى بحقائق الكمالات. (٤٤) لسيدي محمد البكري الكبير ابن أبي الحسن في إحدى صلواته. (٤٥) لسيدي محمد البكري أيضاً في حزبه حزب الأنوار. (٤٦) لسيدي زين العابدين بن محمد البكري الكبير في حزبه. (٤٧) للإمام شهاب الدين الرملي الشافعي في آخر كتابه «القول التام في أحكام المأموم والإمام». (٤٨) لسيدي الشيخ محمد بن عنان المصري في حزبه: دعاء النصر، وهو دعاء البسملة الشريفة. (٤٩) لسيدي محمد الذاكر المصري في آخر حزبه حزب التنزيه. (٥٠) لسيدي عبد الوهاب الشعراني في آخر حزبه: حزب المناجاة الذي يقول فيه: إلهي إلهي. (٥١) للشيخ التازي، وهي صلاته التفريجية المشهورة. (٥٢) للشيخ محمد البركوي في كتابه «الطريقة المحمدية». (٥٣) لسيدي الشيخ عبد الغني النابلسي في ورده، وهو مأخوذ من الحديث. (٥٤) للشيخ محمد البديري الدمياطي، وهي صلاته المشهورة. (٥٥) لسيدي السيد مصطفى البكري في مقدمة صلواته البرية. (٥٦) للسيد مصطفى البكري أيضاً في حزب الجواهر الثمينة لراكب السفينة. (٥٧) للشيخ عقيلة المكي في أواخر صلواته. (٥٨) لسيدي أحمد بن إدريس، وهي إحدى صلواته. (٥٩) لسيدي محمد عثمان الميرغني المكي في صلواته المسماة «فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول». (٦٠) للسيد محمد عثمان الميرغني أيضاً في صلاته المسماة بالجواهر. (٦٢) لسيدي الشيخ خالد النقشبندي في صلواته: جالية الأكدار. (٦٣) لأحد أكابر مشايخي في الطريق: سيدي الشيخ محمد الفاسي الشاذلي في صلاته الياقوتية. (٦٤) لشيخنا الشيخ حسن العدوي المصري المالكي المتوفى سنة ١٣٠٣ في آخر الجزء الأول من كتابه «النفحات الشاذلية: في شرح البردة البوصيرية» وقد استعمل هذه الاستغاثة في مواضع أخرى من كتابه المذكور وغيره، وهي قوله: أسأل الله الكريم إلى آخره. (٦٥) للإمام العلامة الزاهد العابد: الشيخ محمد الشنواني المتوفى سنة ١٢٣٣ شيخ الجامع الأزهر في آخر حاشيته على مختصر البخاري لابن أبي جمرة. وقد ختمت باستغاثته هذا الحزب، لأن فيها براعة المقطع وحسن الختام، والله ينفعنا ببركاته وبركاتهم أجمعين، ويحشرنا في زمرتهم من الآمنين، وتحت لوائه في جملة أحبائه عليه الصلاة والسلام:

(١) اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة: يا سيدنا يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم شفعه فيّ، ويذكر حاجته. (٢) اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن تكفيني شر ما أخاف وأحذر. (٣) اللهم افعل بي كذا وكذا بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله فإنك أرحم الراحمين. (٤) يا من يكفي من كل أحد، يا أحد من لا أحد له، يا سند من لا سند له انقطع الرجاء إلا منك نجني مما أنا فيه وأعني على ما أنا عليه مما قد نزل بي بجاه وجهك الكريم، وبحق محمد عليك آمين. (٥) اللهم إني أسألك

بمحمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك وكليمك، وعيسى روحك وكلمتك، وبكلام موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد ﷺ، وكل وحي أوحيته، أو قضاء قضيته، أو سائل أعطيته، أو غني أقنيته، أو فقير أغنيته، أو ضال هديته. وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى، وأسألك باسمك الذي ثبت به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم، وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك أن تصلي على محمد نبيك وعلى محمد نبيك وعلى آله وأن ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين. (٦) بجاه من انتخبت من خلقك وبمن اصطفيته لنفسك بحق من اخترت من بريتك ومن أحببت لشأنك ووصلت طاعته بطاعتك ومعصيته بمعصيتك وقرنت موالاته بموالاتك ونطت معاداته بمعاداتك تغمدني في يومي هذا بما تتغمد به من جاز إليك متصلاً وعاد باستغفارك تائباً وتتولني بما تتولى به أهل طاعتك والزلفى لديك والمكانة منك ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبك وتعدي طوري في حدودك ومجاوزة أحكامك وافتح لي أبواب قربتك ورحمتك ورأفتك ورزقك الواسع إني إليك من الراغبين وأتمم لي إنعامك أنت خير المنعمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين والسلام عليه وعليهم أبد الآبدين. (٧) اللهم إنك قلت وقولك الحق ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا، وشفع نبيك فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. (٨) إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون إلهي تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً فسبحانك ما أعظم حجتك عليّ وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك عليّ وانقطاع حجتي عنك وفقري إليك وغناك عني إلا غفرت لي يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راجٍ بحرمة الإسلام وبذمة محمد عليه الصلاة والسلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي. (٩) اللهم صلِ وسلم على بهجة الكمال وتاج الجلال وبهاء الجمال وشمس الوصال وعبق الوجود وحياة كل موجود عزّ جلال سلطنتك وجلال عزّ مملكتك ومليك صنع قدرتك وطراز الصفوة من أهل صفوتك وخلاصة الخاصة من أهل قربك سر الله الأعظم وحبيب الله الأكرم وخليل الله المكرم سيدنا ومولانا محمد ﷺ. اللهم إنا نتوسل به إليك ونتشفع به لديك صاحب الشفاعة الكبرى والوسيلة العظمى والشريعة الغرا والمكانة العليا والمنزلة الزلفى وقاب قوسين أو أدنى أن تحققنا به ذاتا وصفات وأسماء وأفعالاً وآثاراً حتى لا نرى ولا نسمع ولا نحسّ ولا نجد إلا إياك. إلهي وسيدي بفضلك ورحمتك أسألك أن تجعل هويتنا عين هويته في أوائله ونهايته وبودّ خلته وصفاء محبته وفواتح أنوار بصيرته وجوامع أسرار سريرته ورحيم رحمائه ونعيم نعمائه. اللهم إنا نسألك بجاه نبيك سيدنا محمد ﷺ المغفرة والرضا والقبول

قبولاً تاماً لا تكلنا فيه إلى أنفسنا طرفة عين يا نعم المجيب فقد دخل الدخيل يا مولاي بجاه نبيك محمد ﷺ، فإن غفران ذنوب الخلق بأجمعهم أوّلهم وآخرهم برّهم وفاجرهم كقطرة في بحر وجودك الواسع الذي لا ساحل له فقد قلت وقولك الحق المبين ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين: اللهم إنا نتوسل إليك بنوره الساري في الوجود أن تحيي قلوبنا بنور حياة قلبه الواسع لكل شيء رحمة وعلماً وهدى وبشرى للمسلمين وأن تشرح صدورنا بنور صدره الجامع ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿وضياء وذكر للمتقين﴾ [الأنبياء: ٤٨] وتطهر نفوسنا بطهارة نفسه الزكية المرضية وتعلمنا بأنوار علوم ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [يس: ١٢] وتسري سرائره فينا بلوامع أنوارك حتى تغيبنا عنا في حق حقيقته فيكون هو الحي القيوم فينا بقيوميتك السرمدية فنعيش بروحه عيش الحياة الأبدية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً آمين بفضلك ورحمتك علينا يا حنان يا منان يا رحمن: اللهم إنا نتوسل إليك ونسألك ونتوجه إليك بكتابك العزيز ونبيك الكريم سيدنا محمد ﷺ وبشرفه المجيد وبأبويه إبراهيم وإسماعيل وبصاحبيه أبي بكر وعمر وذي النورين عثمان وآله فاطمة وعلي وولديهما الحسن والحسين وعميه حمزة والعباس وزوجتيه خديجة وعائشة. اللهم صلِ وسلم عليه وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل وعلى آل كل وصحب كل صلاة يترجمها لسان الأزل في رياض الملكوت وعلى المقامات ونيل الكرامات ورفع الدرجات وينعق بها لسان الأبد في حضيض الناسوت بغفران الذنوب وكشف الكروب ودفع المهمات كما هو اللائق بالهيتك وشأنك العظيم وكما هو اللائق بأهليتهم ومنصبهم الكريم بخصوص خصائص ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [البقرة: ١٠٥].

(١٠) اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني. (١١) أسألك اللهم فيما سألتك وأتوسل إليك في قبوله بمقدمة الوجود الأول وروح الحياة الأفضل ونور العلم الأكمل وبساط الرحمة في الأزل وسماء الخلق الأجل السابق بالروح والفضل والخاتم بالقدرة والبعث والنور بالهداية والبيان محمد المصطفى والرسول المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين. (١٢) اللهم صلِ على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال. اللهم بسره لديك وبسيره إليك آمن خوفي وأقل عثرتي وأذهب حزني وحرصي وكن لي وخذني إليك مني وارزقني الفناء عني ولا تجعلني مفتوناً بنفسي محجوباً بحسي واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيوم. (١٣) بمن دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. (١٤) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ [يوسف: ٦٤]. آمنت بالله ورضيت بالله وتوكلت على الله ودخلت في كنف الله واعتصمت بكتاب الله وتحصنت بآيات الله واستجرت برسول الله محمد ﷺ بن عبد الله. (١٥) اللهم بحق محمد ﷺ وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح عليهم السلام وبحق أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين أن تقضي حاجتي وتستجيب دعوتي وتكفيني مهماتي وترفع عني ملماتي. (١٦) يا من له الأمر كله أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله

فإنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الغني الكريم الغفور الرحيم، أسألك بالنبي محمد ﷺ الهادي إلى صراط مستقيم ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ [الشورى: ٥٣] أن تهب لي مغفرة من عندك تشرح لي بها صدري وتيسر لي بها أمري وتضع عني بها وزري وترفع لي بها ذكري وتنزه بها فكري وتقدس بها سري وتكشف بها ضري وتعلي بها قدري كي أسبحك كثيراً وأذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً يا الله يا عليم يا خبير إنك على كل شيءٍ قدير. (١٧) اللهم إني أسألك بأسمائك العظام وملائكتك الكرام وأنبيائك عليهم الصلاة والسلام ونتوسل إليك بكل نبي أرسلته وكتاب أنزلته وعمل تقبلته وخفي أوضحته وعسر يسرته ورتق فتقته وظلام نورته وخائف أمنته ومتكلم أصمته أن تصرف كيد من كادني بسوء ومن أرادني بضر وقصدني برحمتك يا أرحم الراحمين. (١٨) أقسمت عليك بجاه الرحمة وميمي الملك ودال الدوام. (١٩) اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلاء والمعافاة والشفاء والدواء أسألك بمعجزات نبيك محمد ﷺ وبركات خليلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وحرمة كليمك موسى عليه الصلاة والسلام اشفني. (٢٠) أسألك بصفاتك العليا التي لا يقدر أحد على وصفها وبأسمائك الحسنى التي لا يقدر أحد أن يحصيها، وأسألك بذاتك الجليلة، ونور وجهك الكريم، وبركة نبيك محمد ﷺ خاتم أنبيائك أن تشفيني وتعافيني، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. (٢١) اللهم لا تحرمنا شفاعته ولا عنايته في الدنيا والآخرة، وأدخلنا بفضلك في زمرة المتبعين له بإحسان إلى يوم الدين بجاهه عندك فإن جاهه عندك عظيم. (٢٢) إلهي إن كنا قد عصيناك بجهل، فها نحن قد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا رباً يغفر الذنوب ولا يبالي. إليه أتحرق بالنار وجهاً كان لك مصلياً أو لساناً كان لك ذاكراً وداعياً؟ لا بالذي دلنا عليك ورغبنا فيما أمرنا بالخضوع بين يديك وهو محمد خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك، فإن حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف منازل خلقك. (٢٣) اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بسيدنا محمد ﷺ وبالأنبياء والمرسلين في قضاء حاجتي يا سيدي يا رسول الله توسلت بك إلى ربي. (٢٤) اللهم أنت عدتي ومؤنسي في وحدتي وحافظي في غربتي ودليلي في حيرتي وملجيء إذا ضاقت عليّ نفسي فيما يهولني، فأسألك بحق وجهك الكريم وبكلامك القديم وبمحمد خاتم النبيين الأمان بك والأمان مما أخافه وأحذره فقد استعنت بك واستغثت إليك وفوضت أموري كلها لديك لتحرسني وترعاني وتكلأني من شر من يقصد لي مكراً أو حسداً أو خديعة أو فتنة من جميع الجن والإنس. اللهم بحق العرش والكرسي والنور الذي أنزلت وبجاه سيدنا محمد ﷺ وما أنزلته عليه اكفني في يومى هذا شر من لا قدرة لي عليه وأعني على من لا طاقة لي به وحنن عليّ قلب من أحوجتني إليه، وسخّر لي قلب من نظرت إليه حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. (٢٥) اللهم صلِ على مقبول الشفاعة من جعلت طاعته لك طاعة وقدمته في القدم فكان له القدم على كل ذي قدم من عينته في اليقين الأول بالمقام الأكمل وخصصته لكمال النظام وجعلته لبنة التمام، إمام جامع الأنس وخطيب حضرة القدس مظهر حقيقة الوجوب المنزه ومظهر أركان الجمال الأنزه محمد الخلال وأحمد الجلال وسلم عليه سلام الخصوصية بحضرة الربوبية؛ وأتوسل به إليك إلهي في البعد عن كل لاهي؛ وأسألك في القرب إليك والاعتماد عليك، إلهي بسطت إليك يد الفاقة والافتقار

وجئت بكمال الذلة والانكسار ووقفت بالباب وتوسلت بالأحباب فأجب سؤال ولا تخيب آمالي. (٢٦) اللهم صل على أحمد أمرك ومحمد خلقك وأسعد كونك، أسألك اللهم به وبه أسألك أن تصلي عليه صلاة ذاتية خاصة به عامة في جميع ألواحه الحرفية والاسمية وجميع مراتبه العقلية والعلمية صلاة متصلة لا يمكن انفصالها بسلب ولا بغير ذلك بل يستحيل عقلاً ونقلاً وعلى آله وأصحابه الأمهات الجوامع والخزائن الموانع وسلم تسليماً كثيراً. اللهم بك توسلت ومنك سألك وفيك لا في شيء سواك رغبت لا أسأل منك سواك ولا أطلب منك إلا إياك. اللهم وأتوسل إليك في قبول ذلك بالوسيلة العظمى والفضيلة الكبرى سيدنا محمد المصطفى والصفي المرتضى والنبي المجتبى، وبه أسألك أن تصلي عليه صلاة أبدية ديمومية قومية إلهية ربانية بحيث يشهد لي ذلك بعين كماله بشهادة معارف ذاته وعلى آله وصحبه كذلك، فإنك ولي ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (٢٧) أسألك في قبول ما سألتك ورغبت فيه من فضلك وطلبته منك بالنور الأول والسر الأنزه الأكمل عين الرحمة الربانية والبهجة الاختراعية والأكوانية صاحب الملة الإسلامية والحقائق العيانية نور كل شيء وهداه وسر كل سر وسناه من فتحت به خزائن الرحمة والرحموت ومنحت بظهور أنواره الملك والملكوت قطب دائرة الكمال وياقوته تاج محاسن الجمال، عين المظاهر الآلهية ولطيفة تروحنات الحضرة القدسية، مدد الأمداد وجود الجود وواحد الآحاد وسر الوجود واسطة عقد السلوك وشرف الأملاك والملوك، بدر المعارف في سموات الدقائق وشمس العوارف في عروش الحقائق، بابك الأعظم وصراطك الأقوم وبرقك اللامع ونورك الساطع ومعناك الذي هو بأفق كل قلب سليم طالع، وسرك المنزه الساري في جزئيات العالم وكلياته علوياته وسلفياته.

(٢٨) اللهم إنا نسألك قبول السؤال يا من لم يزل يعطي السؤال بمن خصصته في الأزل بمراتب التكميل بعد الكمال حائز الفضيلة وصاحب الوسيلة فاتح خزائن الأسرار وخاتم دورات الأنوار رونق كل إشارة لطيفة تشير إلى كمال المعاني المنيفة بالإشارات العرفانية في الحضرات الربانية، ذي الجناب الرفيع سيدنا ومولانا محمد الشفيع. (٢٩) اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك المصطفى عندك يا حبيبنا، يا محمد إنا نتوسل بك إلى ربك فاشفع لنا عند المولى العظيم يا نعم الرسول الطاهر، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك. (٣٠) اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسوله المرتضى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك، وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين. (٣١) ونسألك اللهم أن لا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعايب التي تعلمها منا ولا نعلمها أو نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي منها والتنزه عنها اغتراراً منا بحلمك واستهانة بنظرك وعلمك، ونرغب إليك اللهم أن تمن علينا بتوبة تمحو عنا كل حوبة حتى تنقلب أعداؤنا عنا خائبين خاسئين داخرين صاغرين لم ينالوا من تحقق إرادتهم فينا مطلباً ولم يبلغوا من عدم إسعافك إيانا بما طلبناه منك مأرباً وأن تشمل في ذلك معنا كل من أمن على هذا الدعاء ممن سمعه وممن دعا لنا بمثله من إخواننا المسلمين، ونتوسل إليك في بلوغ الأمل والوصول إلى المبتغى الأجلّ بمن انصرفنا به عن تولي كل جحود وكفور وأخرجنا على يديه من الظلمات إلى النور سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين

الطاهرين وأصحابه البررة الأكرمين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

(٣٢) اللهم إني أقسم عليك بجلال الهوية وجمال الحضرة القدسية والأنوار المحمدية والأسرار الأحمدية والخلافة القبطانية والمظاهر الصديقية والشموس العرفانية والأقمار الإيمانية والنجوم العلمية والأكوان العلمية وبما بطن في الأزل وبما ظهر في الأبد من نبي ورسول وعالم وعامل وولي ووارث وجامع أن تجمع لي خصائص القرب ونفحات الحب ورقائق العلم ودقائق الفهم ولطائف العرفان وحضرات الإحسان ومشاهد الشهود والتصريف في الوجود بالسر الذي خضع له كل شيء، والاسم الذي لا يضر معه شيء، والذكر الذي طرد كل شيطان مارد وقمع كل باغٍ حاسد وقهر كل ظالم وأعز كل متواضع عالم وجذب كل محب صادق واصطفى كل خليل مصادق. (٣٣) الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ما أكرمك عليّ، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ما خاب من توسل بك إلى الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأملاك تشفعت بك عند الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أتى لبابك متوسلاً قبله الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من حط رحل ذنوبه في عتباتك غفر له الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من دخل حرمك خائفاً أمنه الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من لاذ بجنابك وعلق بأذيال جاهك أعزه الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أم لك وأملك لم يخب من فضلك لا والله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أملنا لشفاعتك وجوارك عند الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله توسلنا بك في القبول عسى ولعل نكون ممن تولاه الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله بك نرجو بلوغ الأمل ولا نخاف العطش حاشا والله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله محبوك من أمتك واقفون ببابك يا أكرم خلق الله، الصلاة والسلام عليك يا وسيلتنا إلى الله قصدناك وقد فارقنا سواك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله العرب يحمون النزيل ويجيرون الدخيل وأنت سيد العرب والعجم يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قد نزلنا بحيك واستجرنا بجنابك وأقسمنا بحياتك على الله أنت الغياث وأنت الملاذ فأغثنا بجاهك الوجيه الذي لا يرده الله. (٣٤) اللهم إنا نسألك قبول السؤال يا من لا يزال يعطي النوال بمن خصصته في الأزل بمراتب التكميل بعد !الكمال، حائز الفضيلة وصاحب الوسيلة، فاتح خزائن الأسرار وخاتم دورات الأنوار، وفق كل إشارة لطيفة تشير إلى كمال المعاني المنيفة بالإشارات العرفانية في الحضرات الربانية ذي الجناب الرفيع سيدنا ومولانا محمد الشفيع. (٣٥) يا حميد يا مجيد يا صاحب العرش المحيط يا حامل العرش بقدرته عن حملة العرش بسر إسرافيل وميكائيل وجبريل وعزرائيل وبمحمد ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وبسر حروف مبادي السور والختم و «ب أحون قاف أدم حم هاء آمين» الأمان الأمان يا حنان يا منان يا رؤوف يا عظيم آمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. (٣٦) بسم الله الباعث لك رحمة للعالمين بالصراط المستقيم ومغيثاً للمستغيثين وراحة للمسترئفين وجامعاً لشمل المتفرقين ووصلة للمنقطعين وأماناً للخائفين ودليلاً للحائرين وعصمة للمستعصمين، وأتوسل إليك بك وأسألك يا حبيب رب العالمين بوجهتك ومواجهتك وتوجيهك ووجاهتك وجاهك وكرامتك وتخصيصك وخصوصيتك وما بينك وبين ربك وبما لا يعلمه إلا هو وبما أعطاك من علم وشهود

ومقام وعهود وكمال وعقود ووصلة وحق وحقيقة ورأفة ورحمة وعناية وشفقة على عبيده أمتك اللائذين بجنابك الواقفين بأرواحهم وأشباحهم على بابك المتوسلين بتراب أعتابك المتوسمين بك من مولاك فوق ما في آمالهم في دنياهم ومالهم فبالغين بك ذلك فها عبدك فلان بن فلان أقلهم وأذلهم إلى بين يديه ويديك يسألك الشفاعة والرحمة الشاملة والعفو والرأفة العامة الكاملة والتوفيق إلى طاعته واتباع سبيله بك معافى من جميع ما لا يرضيه مستهلكاً جميع حركاته وسكناته الباطنة والظاهرة من مداركه أبداً في مراضيه.

(٣٧) نسألك اللهم من فضلك العظيم أن تمنحنا بفضلك العظيم أنوار علوم الرقائق المحمدية بدقيق إشارات ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء: ١١٣] وتخصصنا بكرمك من حضرة الرحمة الشاملة والنعمة الكاملة النبوية بإثابة الفتح القريب والفتح المبين والفتح المطلق فتوح المواهب الأحمدية بلمحات لحظات خطاب ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣] وتبيحنا من أرفع المخادع أعلى شرف المجد الأسنى وأجل مراتب القطبية الكبرى وأكمل الأخلاق العلية العظمى في مقام قاب قوسين أو أدنى بواسطة أحمدك المخصوص بثبات ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم: ١٧] يا ذا الكرم العظيم والعطاء الجسيم والفضل العميم بحرمة هذا النبي الكريم. اللهم إنا نسألك ونتوسل إليك بحبك لحبيبك وحب حبيبك لك وبدنوه منك وبتدليك له وبالسبب الذي بينك وبينه أن تصلي وتسلم عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً خصصته بهما لخصوصيته بما استأثرت له عندك في عالم الغيب والشهادة لمخاطبتك إياه بقولك ما خلقت خلقاً أحب ولا أكرم عليّ منك وآته الوسيلة والفضيلة والشرف الأعلى والدرجة الرفيعة وأبعثه المقام المحمود الذي وعدته يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. (٣٨) اللهم أفضِ علينا من فائض سيدنا محمد ﷺ واحشرنا يا ربنا في زمرة سيدنا محمد ﷺ، وأجرنا يا ربنا من عذاب القبر وأهوال يوم القيامة ببركة سيدنا محمد ﷺ وأدخلنا ووالدينا الجنة بشفاعة سيدنا محمد ﷺ وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم بجاه سيدنا محمد ﷺ. اللهم صلِ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأنصاره وأشياعه وعلينا معهم يا رب العالمين. (٣٩) اللهم اجعلنا في المعاد تحت لوائه، وأدخلنا تحت كنف جاهه وعلائه، واجعلنا من أصفيائه وأوليائه يا رب العالمين. (٤٠) تباركت ربنا وتعاليت عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، يا حنان يا منان يا عظيم السلطان يا قديم الإحسان يا دائم النعم يا كثير الخير يا باسط الرزق يا واسع العطاء يا دافع البلاء يا غافر الخطاء يا حاضراً ليس بغائب يا موجود عند الشدائد يا خفي اللطف يا لطيف الصنع يا جميل الستر يا عظيم الذكر يا حليماً لا يعجل، جزى الله سيدنا ونبينا محمداً ﷺ عنا خيراً كما هو أهله. أسألك اللهم بحرمة هذا النبي لديك أن تجعل لي ولأهلي حرزاً منيعاً وحصناً حصيناً وحمى عزيزاً تحفظ به نفسي وأهل وديني وولدي ودنياي وآخرتي وجميع من تلحقه عنايتي. (٤١) اللهم بسر الصمدانية والفردانية والوحدانية والأحدية والعزة والقدرة والحياة والجبروتية يا من هو مطلع بعظيم قدرته وعالم بسر وحدانيته، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، يا الله يا شديد الحول يا كثير الطول يا ذا الفضل العظيم، يا أرحم الراحين، وبمكنون سرك الذي أوعته في عظيم أسمائك وكمال صفاتك وبجاه سيدنا ونبينا ومولانا أفضل مخلوقاتك محمد خير خلقك وصفوتك من عبادك، النبي الأعظم

والمعصوم الأكبر صاحب الحوض والمنبر والحظ الأوفر والجبين الأزهر الذي أنزلت عليه ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] ونسألك أن تحفظنا وأتباعنا من كل نقص يبعدنا عنك وتعصمنا بعنايتك ورعايتك من أن نشتغل عنك بغيرك أو نميل إلى سواك. (٤٢) اللهم إني أسألك يا ألله بمحمد ﷺ عبدك ونبيك الذي أرسلته لقمع المخالفين وزجر الكاذبين ونجاة العارفين يا ألله يا قوي يا عزيز يا قهّار يا جبّار يا منتقم يا مجيب يا متين يا صمد يا مقتدر يا ذا الجلال والإكرام يا مقسط يا صبور يا ألله يا ألله يا من أذل المعاندين وأهلك المخالفين يا من علت قدرته على كل قدرة وعزته على كل عزة ونقمته على كل نقمة يا قهّار يا قهّار قٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ أقهر أعداءنا فإنهم أعداؤك، وأهلك مخالفينا فإنهم مخالفوك وامح ما أثبته في نفوسهم وعقولهم من الضلال وأزل عنا ظلمهم وأبعدهم عنا في الدنيا والآخرة. (٤٣) وأجرني يا ألله يا جامع يا مانع آمين آمين بحق محمد ﷺ يا ألله يا رحمن يا رحيم يا ألله يا حق يا مبين بحقك ثم بحق محمد ﷺ أنلني ميم ملك الظاهر والباطن. (٤٤) اللهم إني أسألك بنير هدايتك الأعظك وسر إرادتك المكنون من نورك المطلسم مختارك منك لك قبل كل شيء ونورك المجرد بين مسالك اللقى، كنزك الذي لم يحط به سواك وأشرف خلقك الذي بحكم إرادتك كونت من نوره أجرام الأفلاك وهياكل الأملاك فطافت به الصافون حول عرشك تعظيماً وتكريماً وأمرتنا بالصلاة والسلام عليه بقولك: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ [الأحزاب: ٥٦] ونشرت فوق هامته في تخت ملكك لواء حمدك وقدمته على صناديد جيوش سلطانك بقوة عزمك وأخذت له على أصفيائك بالحق ميثاقك الأول وقربته بك ومنك ولك وجعلت عليه المعول ومتعته بجمالك في مظهر التجلي وخصصته بقاب قوسين قرب الدنو والتدلي وزجيت به في أنوار ألوهيتك العظمى، وعرفت به آدم حقائق الحروف والأسماء، فما عرفك من عرفك إلا به وما وصل من وصل إليك إلا من اتصل بسببه، خليفتك بمحض الكرم على سائر مخلوقاتك سيد أهل أرضك وسمواتك خصيص عزتك بخصائص نعمائك وفيوضات آلائك أعظم منعوت أقسمت بعمره في كتابك وفضلته بما فضلت به من أسرار خطابك وفتحت به أقفال أبواب سابق النبوة والجلالة وختمت به دور دوائر مظهر الرسالة ورفعت ذكره مع ذكرك وسيدته بنسبة العبودية إليك فخضع لأمرك وشيدت به قوائم عرشك المحوط بحيطتك الكبرى ومنطقته بمنطقة العز فمنطق بعزه أهل الدنيا والأخرى وألبسته من سرادقات جلالك أشرف حلة وتوجته بتاج الكرامة والمحبة والخلة نبي الأنبياء والمرسلين والمبعوث بأمرك إلى الخلق أجمعين، بحر فيضك المتلاطم بأمواج الأسرار وسيف عزمك القاهر الحاسم لحزب الكفر والبغي والإنكار، أحمدك المحمود بلسان التكريم، محمدك الحاشر العاقب المسمى بالرؤوف الرحيم. أسألك به وبالإقسام الأول وأتوسل إليك بك وأنت المجيب لمن سأل أن تصلي وتسلم عليه صلاة تليق بذاتك وذاته لأنك أدرى بمنزلته وأعلم بصفاته عدداً لا تدركه الظنون زيادة على ما كان وما يكون، يا من أمره بين الكاف والنون ويقول للشيء كن فيكونه. (٤٥) بمحمد نبيك ورسولك وحبيبك وإبراهيم نبيك ورسولك وخليلك وموسى رسولك وصفيك ونجيك وعيسى رسولك وكلمتك وروحك بتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وصحف إبراهيم وقرآن محمد عليه وعليهم الصلاة والتسليم، وكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو فقير أغنيته أو غني أفنيته أو ضعيف قويته أو ضال هديته. أنا

سائلك فأعطني أنا فقير فأغنني أنا ضعيف فقوني وبك إليك منك ولديك اهدني وعلى ما شئت من علمك الغيبي والشهادي وحكمك الأحدي الصمدي دلني وولني.

(٤٦) اللهم بحقك أنت لا إله إلا أنت وباسمك الأسمى الذي ما دعيت بـه إلا أجبت وبمجدك الأحمى الذي اصطفيت به من أردت وبمحمد الذي له على كل عبادك قد اخترت وكل نبي له استنبأت ورسول له أرسلت وكل كتاب له من لوحك المحفوظ كتبت وكل وحي من علمك القديم على رسلك أنزلت وبحق اللهم وعظمتها لديك وبجلال هويتك وأحديتك وربوبيتك عليك، يا من وسع كل شيء رحمة وعلماً وأمدّ لوجود بفضله وجوده حنانة ورحماً، أنت الحليم الستار العفوّ الكريم الغفار أجرني من خزي الدنيا والآخرة وعذاب النار. (٤٧) اللهم إني أسألك الشكر على نعمائك ومزيد أفضالك والخيرة فيما قضيت، والبركة فيما أعطيت. وتوسلي إليك بجاه محمد ﷺ أن تعاملني بلطفك في أقضيتك، ونعوذ بالله العظيم من طول الغفلة واستدراج المهلة. ونستعينه ونسأله الهداية ونستمد من توفيقه حسن العناية. فإنه وليّ ذلك والقادر عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (٤٨) اللهم إني أسألك بميمي الملك وحاء الرحمة ودال الدوام السيد الكامل الفاتح الخاتم أن تصلي عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه وعترته أجمعين وأن تنجيني من كل ما أخاف وأحذر، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا. اللهم إني أسألك باسمك الجامع ونورك اللامع ونبيك الشافع ووليك الخاشع يا شافي يا نافع يا معافي يا دافع ادفع عنا السم الناقع والداء القامع والوباء القاطع إنك مجيب سـامع. (٤٩) نسـألك اللهم بـأسمائـك الحسنى وصفاتك العليا ومحمد نبيك المجتبى وحبيبك المصـطفى أن تطهـر قلوبنا من كبـائر كفـر النفس والعجب والرياء وحب الدنيا والثناء والرياسة وتعاطي الكبر وأكحل بصر بصيرتنا بإثمد عنايتك حتى لا نرى سواك ولا نطلب منك إلا إياك إنك على كل شيءٍ قدر. (٥٠) نسـألك اللهم عدد كل ذرة في الوجود أن تغفر لنا ولكل المسلمين يا كريم يا ودود دعوناك اللهم بصدق الرجاء واليأس من جميع المخلوقات فأغثنا يا ربنا إغاثة الملهوفين، وأجبنا اللهم إجابة الموقنين بحق من جعلته نقطة دائرة الوجود ودرة بحر الكرم والجود. اللهم فصلِ وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. (٥١) اللهم صلِ صلاة كاملة وسلم سلاماً تاماً على نبي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضي به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك. (٥٢) يا غياث المستغيثين ويا مجيب المضطرين ويا أرحم الراحمين ويا غافر ذنوب المذنبـين بحرمة حبيبك المصطفى ونبيك المجتبى، عليه من الصلوات أزكاها، ومن التحيات أوفاها وجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين عليهم الصلاة والسلام أجمعين وأصحاب حبيبـك السابقـين الذين رضيت عنهم وهم عنك راضون والتابعين لهم بإحسان عليهم الرحمة والغفران. ارحمنا فإنا مذنبون وبالآثام والخطايا معترفون واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مـع الأبرار إنـك أنت الرحيم الغفار ولعيوب عبادك المذنبين ستار آمين آمين يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين. (٥٣) اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه فيّ. (٥٣) اللهم صلِ وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الرسول

الكامل الرحمة الشامل وعلى آله وأصحابه وأحبابه عدد معلومات الله بدوام الله صلاة تكون لك يا ربنا رضاء ولحقه أداء، وأسألك به من الرفيق أحسنه ومن الطريق أسهله ومن العلم أنفعه من العمل أصلحه ومن المكان أفسحه ومن العيش أرغده ومن الرزق أطيبه وأوسعه. (٥٥) اللهم إنا نسألك بحبيبك المصطفى ورسولك المقتفي إخلاصاً في الأعمال وصدقاً في الأقوال والأحوال ورضا عمياً وفيضاً جسيماً. (٥٦) اللهم إني أسألك بالسر المصون والدر المكنون وما احتوت عليه أوائل السور من سرّ سرّ للعقل بهر، وأسألك بالاسم الأعظم والكنز المطلسم والنبي المعظم والصفي الأفخم والمقدم من القدم على من تأخر عن ظهور نوره أو من تقدم على بروز هيكله الأكرم أن تصحبنا النصر والظفر والتيسير الأوفر. (٥٧) يا أرحم الراحمين يا رب العالمين صلِ على قرة عين عبادك الصالحين وتقبلنا بجاهه آمين. (٥٨) اللهم صلِ على مولانا محمد نورك اللامع ومظهر سرك الهامع، الذي طرّزت بجماله الأكوان وزينت ببهجة جلاله الأوان، الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته وختمت كماله بأسرار نبوته فظهرت صور الحسن من فيضه في أحسن تقويم، ولولا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم، الذي ما استغاثك به جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا خائف إلا أمن، ولا لهفان إلا أغيث وإني لهفان مستغيثك أستمطر رحمتك الواسعة من خزائن جودك فأغثني يا رحمن يا من إذا نظر بعين حلمه وعفوه لم يظهر في جنب كبرياء حلمه وعظمة عفوه ذنب، اغفر لي وتب عليّ وتجاوز عني يا كريم. (٥٩) اللهم بجاهه الأعلى وسره الأغلى افتح لنا باب حضراته واجعلنا من أهل شهود ذاته، وقربنا لديه في كل مشهد، وحققنا به في كل مهبط ومصعد. اللهم أسمعنا بحقه لذيذ الخطاب، وبصرنا بجاهه عظيم الجناب، وأدخلنا بجاهه إلى صدر المحراب. اللهم بجاهه الكريم عمنا منه بفيض عظيم. (٦٠) اللهم بجاه هذا النبي الكريم والرسول العظيم والحبيب الفخيم نسألك الهداية إلى سبيلك وطريقك المستقيم وشهود نوره الخطاف ببرقه لأفئدة أهل الألطاف، ونقسم اللهم به عليك ونقف بجاهه بين يديك نطلب بذلك الاستقامة على قدمه والفوز بسره والموت بحرمه. (٦١) اللهم بجاهه لديك أقمنا بين يديه ويديك. (٦٢) يا ألله بك تحصنت وبعبدك ورسولك سيدنا محمد ﷺ استجرت. اللهم إني أسألك يا رحمن يا رحيم بأسمائك العظام وملائكته الكرام ورسلك عليهم أفضل الصلاة والسلام أن تلمحني بلمحة أهل بدر ولمحاتهم وتنفحني بنفحاتهم بحقهم عليك يا رب. (٦٣) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. اللهم صلِ وسلم على من جعلته سبباً لانشقاق أسرارك الجبروتية وانفلاق أنوارك الرحمانية فصار نائباً عن الحضرة الربانية وخليفة أسرارك الذاتية فهو ياقوتة أحدية ذاتك الصمدية وعين مظهر صفاتك الأزلية، فبك منك صار حجاباً عنك وسراً من أسرار غيبك حجبت به عن كثير من خلقك فهو الكنز المطلسم والبحر الزاخر المطمطم، فنسألك اللهم بجاهه لديك وبكرامته عليك أن تعمر قوالبنا بأفعاله وأسماعنا بأقواله وقلوبنا بأنواره وأرواحنا بأسراره وأشباحنا بأحواله وسرائرنا بمعاملته وبواطننا بمشاهدته وأبصارنا بأنوار محيا جماله وخواتم أعمالنا في مرضاته. (٦٤) أسأل الله الكريم متوسلاً إليه بوجاهة وجه نبيه العظيم أن يمن علينا بذرة من إقباله وبسطة من أفضاله وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز لديه بجنات النعيم وتحظى بنضارة الوجه بالنظر إلى وجه الكريم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. (٦٥) اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة واجعلنا من الذين لهم الحسنى وزيادة بجاه سيدنا محمد ﷺ ذي الشفاعة وآله وصحبه ذوي السيادة صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثامن

فيما ورد من النظم في استغاثات العلماء والفضلاء به ﷺ، ومن قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة به ﷺ، ومعظم هذه الاستغاثات أخذتها من بعض قصائد المجموعة النبهانية وما لم يكن منها نبهت عليه بأنه ليس في المجموعة.

قافية الهمزة

قال الإمام شرف الدين الأبوصيري المتوفى سنة ٦٩٦:

يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا   مي عليه مدح له وثناء
الأمان الأمان إن فؤادي   من ذنوب أتيتهن هواء
قد تمسكت من ودادك بالحبـ   ـل الذي استمسكت به الشفعاء
وأبى الله أن يمسني السو   ء بحال ولي إليك التجاء
قد رجوناك للأمور التي أبـ   ـردها في فؤادنا رمضاء
وأتينا إليك أنضاء فقر   حملتنا إلى الغنى أنضاء
وانطوت في الصدور حاجات نفـ   ـس مالها عن ندى يديك انضواء
فأغثنا يا من هو الغوث والغيـ   ـث إذا أجهد الورى اللأواء
والجواد الذي به تفرج الغمـ   ـة عنا وتكشف الحوباء
يا رحيماً بالمؤمنين إذا ما   ذهلت عن أبنائها الرحماء
يا شفيعاً في المذنبين إذا أشـ   ـفق من خوف ذنبه البرآء
جد لعاص وما سواء هو العا   صي ولكن تنكري استحياء
وتداركه بالعناية ما دا   م له بالذمام منك ذماء
يا نبي الهدى استغاثة ملهو   ف أضرت بحاله الحوباء
كيف يصدا بالذنب قلب محب   وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتي وأنت طبيبي   ليس يخفى عليك في القلب داء
ومن الفور أن بثك شكوى   هي شكوى إليك وهي اقتضاء
فسلام عليك تترى من   اللهوتبقى به لك البأواء
وسلام عليك منك فما غيـ   ـرك منه لك السلام كفاء

وسلام من كل ما خلق اللـ ـه لتحيا بذكرك الأملاء
وصلاة كالمسك تحمله منـ ـني شمال إليك أو نكباء
وسلام على ضريحك تخضـ ـل به منه تربة وعساء
وثناء قدمت بين يدي نجـ ـواي إذا لم يكن لديّ ثراء
ما أقام الصلاة من عبد اللـ ـه وقامت بربها الأشياء

وقال الإمام يحيى الصرصري الحنبلي المتوفى سنة ٦٥٦:

يا حبيب الرحمن في الخلق يا من تعرف الأرض فضله والسماء
يا كريم الآباء ثمت زادت شرفاً سامياً بك الآباء
أنت ذخر لنا وعون على خطـ ـب زمان به اللبيب يساء
فأغثني وكن لضعفي مجيراً في مقام تخافه الأتقياء
واصل الله بالمواهب مغنا ك ودامت بربعك النعماء

وقال الإمام عبد الرحيم البرعي اليمني المتوفى سنة ٩٠٣ وقد ذكرت في المجموعة خطأ أنه من أهل القرن الخامس:

أجب يا ابن العواتك صوت عبد أسير الذنب فيه لك الولاء
تداركني بجاهك من ذنوب وأوزار يضيق بها الفضاء
وكن لي ملجأ في كل حال فليس إلى سواك لي التجاء
فإن أكرمتنا دنيا وأخرى فليس البحر تنقصه الدلاء
عليك صلاة ربك ما تراءت نجوم الجو أو عصفت رخاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي المصري المتوفى سنة ٧٨١:

يا رسول الإله يا سيد الرسـ ـل إلى بابك الرحيب التجائي
يا رسول الإله حبك ذخري حين تفنى ذخائر الأملياء
يا رسول الإله أنت ملاذي حين تخشى من حوبها حوبائي
يا نبي الهدى بقلبي داء عز منه إن لم تغثني دوائي
يا نبي الهدى مديحك جاهي حين أخشى مهالك اللأواء
يا نبي الهدى ضلالي قديم ولديك السبيل للاهتداء
سيد العالمين دعوة عبد هو من خوف ماله في عناء
لم أزل أرتجي النجاة لديكم ورجائي أن لا يخيب رجائي
أي جرح جناه قبح اجتراحي واجترامي تعمداً واجترائي
وملاذي بحبكم ومعاذي واعتصامي ببابكم والتجائي
علم المادحين فضلك مدحاً لم يكن في قرائح الأذكياء
يا إمام الهدى عليك صلاة وسلام في الصبح والإمساء

وقال شمس الدين النواجي المصري المتوفى سنة ٨٥٩:

يا رسول الإله إني غريب فأغثني يا ملجأ الغرباء
يا رسول الإله إني فقير فأغني يا منجد الفقراء
يا رسول الإله إني ضعيف فاشفني أنت مقصد للشفاء
يا رسول الإله إن لم تغثني فإلى من ترى يكون التجائي
أنت ذخري وعدتي وملاذي وغياثي وعمدتي ورجائي
وشفيعي يوم القيامة في الحشـ ـر فكن لي يا أكرم الشفعاء
يا بسيط النوال يا كامل الفضـ ـل ويا وافر الندى والعطاء
لك قد جئت زائراً وتوسلـ ـت بجدوى يديك والآلاء
فأجبني يا مصطفى لسؤالي وتفضل بالعفو فهو قرائي
يا إمام الورى ويا جامع الفضـ ـل ويا قبلة الهدى والدعاء
لك مني تحية وصلاة كل يوم في صبحه والمساء

وقال أبو عبد الله بن زمرك الغرناطي من قصيدة قالها في مولد النبي ﷺ سنة ٧٦٧ هـ:

يا مصطفى والكون لم تعلق به من بعد أيدي الخلق والإنشاء
يا مظهر الحق الجليّ ومطلع النـ ـور السني الساطع الأضواء
يا ملجأ الخلق المشفع فيهم يا رحمة الأموات والأحياء
يا أسى المرضى ومنتجع الرضى ومواسي الأيتام والضعفاء
أشكو إليك وأنت خير مؤملٍ داء الذنوب وفي يديك دوائي
إني مددت يدي إليك تضرعاً حاشا وكلا أن يخيب رجائي
إن كنت لم أخلص إليك فإنما خلصت إليك محبتي وندائي

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢:

نبي الله يا خير البرايا بجاهك أتقي فصل القضاء
وأرجو يا كريم العفو عما جنته يداي يا رب الحباء
فقل يا أحمد بن علي إذهب إلى دار النعيم بلا شقاء
عليك سلام رب الناس يتلو صلاة في الصباح وفي المساء

وقال الشهاب المنصوري المصري المتوفى سنة ٨٨٧:

يا أعظم الشفعاء عند الله كن لي شافعاً يا أعظم الشفعاء
فلأنت خير ذخيرة أرجو بها بدلاً من الضراء بالسراء

وقال الشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي المتوفى سنة ٩٦٣:

يا حبيب الإله يا أعظم الخلـ ـق اختصاصاً ورفعة واجتباء

يا كثير النوال والخير يا من ... جوده فاض في الوجود عطاء
يا غماماً ما قط أمسك فاحتا ... ج لإدرار غيثه استسقاء
يا محط الرحال يا من لديه ... لمرجيه ما عسى أن يشاء
بمحياك يا جميل المحيا ... نتوقى وندرأ الأسواء
يا منيع الحمى إليك التجائي ... من عنى ما وجدت منه لجاء
أشتكي حالة أحالت وجودي ... عدماً وهي لا ترى الإشكاء
يا طبيب القلوب ها أنت أدرى ... بدوائي من قبل وصفي الداء
لمحة منك لو تعود سقامي ... عجلت قبل أن تعود الشفاء
نفحة منك لو تهب لأطفت ... حرقة لم أجد لها إطفاء
لم أجد جابراً لكسرى إلا ... من أجاد الإكسير والكيمياء
من به الملتجى يثول لخير ... ويعود ابتآسه نعماء
نفحة لمحة غياثاً عياذا ... عطفة حذبة جوابا نداء
ضقت ذرعاً وسوح بابك رحب ... يسع المقترين والأغنياء
كم هموم من الديون علتني ... أنا في فكرها صباح مساء
ثقلت عند حملها غير أني ... بك أرجو وضعاً لها أو وفاء
أنت في كل مطلب نصب عيني ... لا أرى لي إلى سواك التجاء
يا مجلي بحبه الكرب فرج ... كربة القلب واكشف الغماء
يا مرجى الخطوب أنت المرجى ... عندما ترتجىء الخطوب الرجاء
عظمت كربتي فجئتك قصداً ... قاصداً للعظائم العظماء
وخليق بمن نحاك لأمر ... بعد يأس يجدد استرجاء
يا أبا القاسم الذي أقسم الله ... حين أكد الإيلاء
يا أبا القاسم الذي بيديه ... قسم الله في العباد العطاء
إن قسمي الضعيف قد صار قسماً ... وافراً مذ نظمت فيك الثناء
فأنلني مناي واشمل قريضي ... بقبول يكسو القريض السناء
وأجزني على الصراط إذا ما ... صاح هول الجواز أن لا نجاء
يا ملاذي إذا الموازين وازت ... عملي وهو لا يوازي الهباء
يا عياذي إذا تطايرت الصحـ ... ـف يميناً ويسرة ووراء
وبدت لي يوم الحساب أمور ... ضل عني حسابها وتنائى
وتلوت قوائمي عند ما الأو ... صال صارت من رعدتي أشلاء
يا أماني من خيفتي هدّ روعي ... إن روعي أغرى به العرواء
يا غياثي إذا دنا لهب الشمـ ... ـس وأذكى لعابها الرمضاء
أنت لي جنة هناك ودرع ... سابغ أتقى به اللأواء
يا عزيز الجناب دعوة عبد ... لك في الرق يستحق الولاء
فيك ظني أن لا تخيب ظني ... وبهذا اكتفيت نعم اكتفاء

فصلاة عليك ثم سلام ... يمنح النفس من رضاك الرضاء

وقال مجد الدين الوتري البغدادي في إحدى وترياته التي هذبها سنة ٦٦١ :

أنا رجل ثقلت ظهرت بزلتي ... ومن زل يأوى للشفيع ويلجأ
أغثني أجرني ضاع عمري إلى متى ... بأثقال أوزاري أراني أرزأ
إذا لم يكن لي من جنابك شافع ... شقيت فمالي غير جاهك ملجأ

وقال أبو الصفا الشيخ أيوب الخلوتي الدمشقي رحمه الله تعالى في همزيته وهي نحو أربعمائة بيت وليست في مجموعتي النبهانية :

يا رسول الإله يا من توسلـ ... ـت لربي به وبالأنبياء
وبصحب له وإخوان صدق ... قد أتوا بعدهم من الأولياء
كن لرام لديك ثقل ذنوب ... رام تخفيفها بحاء وباء
خابطاً في استدراكه خبط عشـ ... ـواء يرى في الأمام وجه الوراء
فتداركه بالقبول وإلا ... فهو هاوٍ في هوة الأهواء
وتلاف المنسوب قبل تلاف ... وهو محسوب جودك المعطاء

وقال العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي، وليست في المجموعة :

يا أجل الرسل الكرام ويا من ... حسدتنا لفضله القدماء
إنك العين والعوالم جسم ... لا بل الروح والورى أعضاء
وإذا المرسلون عنك تدانت ... كيف ترقى رقيك الأنبياء
أيما أمة بجاهك لاذت ... أمنت ما يقوله السفهاء

وقال الشيخ محمد الجمالي الحلبي رحمه الله تعالى، وليست في المجموعة :

يا ملاذي يا منجدي يا منائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري ... يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي ... عند ربي واعطف وجد بالرضاء
أنت عوني وملجئي وغيائي ... وجلا كربتي وأنت غنائي

قال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه في خاتمه (طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء) ﷺ، وقد ذكرت خاتمتها هنا بأجمعها وإن تكرر بعض أبيات منها اقتضت المناسبة لذكرها في آخر القسم الأول من مقدمة هذا الكتاب :

سيد العالمين يا بحر جود ... قطرة من سخائه الأسخياء
هذه طيبة بمدحك قد طا ... بت وطاب الإنشاد والإنشاء
كلها وهي ألف بيت قصور ... عنك ضاقت وإنها فيحاء
سكنتها أبكار غر المعاني ... منك فهي المدينة العذراء

كل معنى بلقيس والبيت صرح ... ومن الدر لا الزجاج البناء

سرت فيها بإثر شيخ إمام ... قد أقرت بسبقه الشعراء

وبحسبي أن المصلى وأن الـ ... ـمنشد بها كأنهم قراء

أنت عني وعن ثناء غني ... ما لعلياك بالثناء اعتلاء

إنما أنت سيد أريحي ... لك قبلي بالمادحين احتفاء

وإذا لم أكن بمدحك حسا ... نا فهذي قصيدتي حسناء

لو رآها كعب لقال سعاد ... أمة من إمائها سوداء

مالها في الكرام غيرك كفؤ ... بان عنها الأكفاء والإكفاء

لم تزد قدرك الرفيع سوى ما ... زاد في الشمس من سناها البهاء

هي أوصافك الجميلة إن كا ... نت قصيداً أو لم تكنه سواء

أنا أدريك سابق المدح مهما ... بالغت في مديحك البلغاء

لا وصول لغيري مبدأ عليا ... ك وما للعقول بعد ارتقاء

قاصر عن بلوغ فضلك مدح ... هو في كل فاضل إطراء

كل وصف في العالمين جميل ... لك مهما تعدد الأسماء

فلك الحمد يا محمد يا أحـ ... ـمد من كل حامد والثناء

أنت أزكى الأنام في كل خير ... للمزكين منك جاء الزكاء

في ثناء المثنين نعماء لكن ... منك كانت عليهم النعماء

لم يزاحم مداحك البعض بعضاً ... أنت بحر والمادحون دلاء

وعجيب دعواهم فيك مدحاً ... منك فيه الإمداد والإملاء

كان منهم إنشاده حين يسري السـ ... ـر فيهم فينشأ الإنشاء

واعتقادي أن لو مدحت بسفر ... عرضه الأرض كلها والسماء

ما حوى من غزير فضلك إلا ... مثل ما حاز من بحار ركاء

مثلي فيك في مديحي كما لو ... وصف العرش ذرة عمشاء

وصفت ما رأته منه ولكن ... فاق منه العلو منك العلاء

غير أني أدريك سمحاً سخيا ... عربياً يرضيك فيك الثناء

ودواعي حب دعتني دعاو ... هي مني وما لها شهداء

واحتياجي إليك في كل ما يأ ... تي وجلت فيما مضى الآلاء

وبقلبي وقالبي كل داء ... شف روحي وأنت الشفاء

فحداني هذا على خير مدح ... هز منه الأرواح نعم الحداء

لقليل مما منحت قضاء ... هو مني وللكثير اقتضاء

لم أكن أستطيع لو لم يعني ... منك سر وسيرة حسناء

فتقبل واعطف وكن لي شفيعاً ... يوم تحتاج فضلك الشفعاء

وأجرني وعترتي من زماني ... فدواهيه كلها دهياء

عاد فيه الدين المبين كما قلـ ـت غريباً وأهله غرباء

فتداركه قبل أن تخطر الـ ـأخطار فاليوم مسه الإعياء

وتكرم بشده فقواه نالها بالشدائد استرخاء

صار للشرك في أذاه اشتراك حين ما للنفاق عنه انتفاء

كم أبو جهل استطال على الديـ ـن وكم ذا أزرت به الجهلاء

ولكم في ثيابه ابن سلول شاكه من نفاقه سلاء

ما اغتراري بمن تلون منهم والأفاعي أشرها الرقطاء

ملء قلبي محبة لمحبيـ ـك وإن قلّ في فؤادي الصفاء

وارتياحي في بغض قوم لديهم لك يا سيدي الورى بغضاء

لا أواليهم الزمان ولا هم لي ما ذر شارق أولياء

لا يراني الرحمن إلا عدواً لأعاديك أحسنوا أم أساؤوا

رضي الله من رضيت ومن لم ترض عنه فالله منه براء

فارض عني بالله واسمح وقل لي قد قبلناك أيها الخطاء

ومن الفوز أن أكون لديكم ثاوياً لا يمل مني الثواء

ليت شعري هل يقبل الله شعري وجميعي عجب وكلي رياء

بك أرجو قبوله وقبولي محض فضل ولن يخيب الرجاء

أنت شمس وفي سناك ظهوري غير مستغرب لأني هباء

كم فقير بلحظة منك أضحى عن جميع الورى له استغناء

قد أجزت المداح قبلي فكانت سنة واقتدى بك الكرماء

فأجزني بما تطيب به نفـ ـسك فضلاً يا سمح يا معطاء

لست أبغي قدري ولا قدر شعري قدر جود المعطي يكون العطاء

وبحسبي صلاح ديني ودنيا ي وحسن الختام فيه اكتفاء

فعليك الصلاة تبقى من الله كما شاء كثرة وتشاء

وعليك السلام منه على قد رك قدر لا يعتريه فناء

وعلى الأولياء آلك والصحـ ـب ومن للجميع فيه ولاء

ما قضى الله في الورى لك مدحاً وله الحمد كله والثناء

قافية الألف المقصورة

قال الإمام عبد الرحمن المكودي المتوفى سنة ٨٠١:

يا أكرم الخلق علاء وندى يا سيد الرسل الكريم المنتمي

يا صاحب الحوض الذي من أمه يظفر بورد لم تكدره الدلا

ماذا ترى في مذنب نأت به آثامه عن كل مجد وعلا

باع المعالي واشترى غي الهوى يا نعم ما باع وبئس ما اشترى

فكم أضاع في الدنا سبل الهدى | وكم أطاع في الهوى غي الصبا
فكن شفيعاً يوم لا يغني أمرأ | ما ضم من مال الدنا وما حوى
يا رب بالمختار من أرومة | قصر عنها كل أصل قد زكا
ومن له كل فخار انتمى | ومن به كل نبي اقتدى
خذ بيدي وامنن بلطف منك في | ديني ودنياي وجد لي بالرضا
واغفر لي بعفو منك ما اجتنيته | واصفح عن الزلات يا رب العلا
وأجل صدى قلبي وهب لي توبة | أمحو بها آثام قلب قد قسا
فلست ألفي لسواك راجياً | ومن سواك يا إلهي يرتجي
وارحم محمداً وآل بيته | وصحبه الغر الكرام المنتمي
وصلّ صلاة منك تترى أبداً | عليه ما هبت على الروض الصبا

وقال الشهاب الخفاجي المصري المتوفى سنة ١٠٦٩ :

فيا سماء للعلاء من سحبه | يمطر جوداً للعفاة وغنى
هل للشهاب إنّ رجوم ظنه | توجست خوفاً سواك ملتجا
فأنت من بلمحة من جاهه | تخلص الآجال من أسر العنا
من لي سواك يا ملاذ أملي | إن جار دهري وتعدى مشتكى
فاعطف بفضل منك يرفعني | فإن نور الشمس يرفع الهبا
صلى عليك الله ما حياك من | سحب الحيا لسان بارق خفا

وقال أمين الدين المحبي صاحب خلاصة الأثر المتوفى سنة ١١١١ :

يا خير من يشفع في الحشر ومن | أفلح قاصد لبابه التجا
كن لي شفيعاً يوم لا مشفع | سواك ينجي الخائفين من لظى
قد عظم الخوف لما جنيته | والعفو عند الأكرمين يرجى
وليس لي عذر سوى توكلي | على الكثير عفوه لمن عصى
لولا الذنوب ضاع فيض جوده | ولم يبن فضلك بين الشفعا
صلى عليك ذو الجلال كلما | صلى عليك مخلص وسلما

قافية الباء

قال الإمام الأبوصيري :

رسول الله دعوة مستقيل | من التقصير خاطره هيوب
دعاك لكل معضلة ألمت | به ولكل نائبة تنوب
وللذنب الذي ضاقت عليه | به الدنيا وجانبها رحيب
تقاضته مواهبك امتداحاً | وأولى الناس بالمدح الوهوب

صلاة الله ما سارت سحاب عليك وما رسا وثوى عسيب

وقال الإمام الأبوصيري أيضاً:

أفلا أرجو لذنبي شفيعاً ما رجاه قط راجٍ فخابا
أحمد الهادي الذي كلما جئـ ـت إليه مستثيباً أثابا

وقال الإمام البرعي:

إلى صاحب الجاه العريض رمت بنا هموم لها في ابن العواتك مطلب
فقامت على باب النبي محمد مقام ذليل خائف يترقب
وحطت بحبوح الكرامة والرضا لدى سيد منه المكارم توهب
على الساحة الخضراء والمشهد الذي يكاد بزوار النبي يرحب
سلام على ذاك الحبيب فإنني إليه على بعدي أحنّ وأطرب
عسى يا رسول الله نظرة رحمة إلينا وإلا دعوة ليس تحجب
فأنت حمانا من زمان معاند به ينكر المعروف والدين يسلب
فقد عظمت أوزارنا وذنوبنا ولم نأت شيئاً للكرامة يوجب
وقطعت الأيام أسباب ديننا ولكن إليكم يلجأ المتسبب
أحاط بنا طوفان زلاتنا وما لنا فيه إلا فلك صفحك مركب
إذا ما هممنا بالزيارة عاقنا بعادك عنا لا الجفا والتجنب
إليك توسلنا بك اصفح وجد وعد فما منك بدلاً ولا منك مهرب
وصلى عليك الله ما در عارض وما لاح في السبع الطرائق كوكب

وقال الإمام يحيى الصرصري:

محمد خاتم الرسالة مفتا ح الهدى بشرت به الكتب
أمته نفعها له مثل من الحديث المرضي مجتلب
كالغيث منه الوسميّ أنفعه ونفعه في الربيع مرتقب
ما الفضل عنها يوماً بمنتقل إلى سواها ما دامت الحقب
أبدا لها تجبر البلاد بهم حتى بعيسى تكسر الصلب
هم أولياء الرحمن حبهم للمرء حرز تهابه النوب
أقبورهم للعباد ملتجأ لله ما ضم منهم الترب

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

هي نجد ورامة والكثيب حثحث العيس فالمزار قريب
وزرود بدت وهاتيك سلع وقبات ومعهد وشعوب
وعقيق الأراك لاح وفيه كم أذيبت للعاشقين قلوب
وسرت نسمة من الغور ليلاً فتجلت صبابة ونحيب

ما بقي غير ساعة للتلاقي ... ثم يدنو من الديار الكثيب
فتهيأ إلى اللقاء وبادر ... هذه طيبة وهذا الحبيب
الرسول الذي له حقاً ... وله الفخر واللوا والقضيب
فانهب العيش تحت ظل حماه ... في مقام به المقام يطيب
وتذلل واخضع ولذ بجناب ... هاشمي به الدعا لا يخيب
وتمسك بحبه وتخضع ... وتحسب به فنعم الحسيب
وسل الله عنده وتوسل ... فبذاك الضريح تمحى الذنوب
يا لقومي عساكم تحملوني ... معكم نحوه لعلي أتوب
واعنائي أنا العليل فمن لي ... وبقلبي حرارة وخطوب
زاد شوقي إليه يا رب متع ... ناظري منه إنّ حالي عجيب
سبقتني إلى حماك رفاق ... أترى لي يكون معهم نصيب
خلفوني على الديار غريباً ... ذا بكاء أنا المعنى الغريب
عوقتني عن الحبيب ذنوب ... أوثقتني فالجسم منها يذوب
يا رسول الإله كن لي مغيثاً ... في أموري لعل قلبي يثوب
أنت سؤلي وبغيتي فأغثني ... ثار بيني وبين نفسي حروب
يا إلهي بالهاشمي أجرني ... إنني مذنب وكلي ذنوب

وقال الإمام مجد الدين الوتري :

بذلي بإفلاسي بفقري بفاقتي ... إليك رسول الله أصبحت أهرب
بجاهك أدركني إذا حوسب الورى ... فإني عليكم ذلك اليوم أحسب
بمدحك أرجو الله يغفر زلتي ... ولو كنت عبداً طول عمري أذنب

وقال الشهاب محمود الحلبي :

فيا رب سامحني بجاه محمد ... وإلا فخسري إن دعيت محاسبا
مددت يدي أرجوك يا خالق الورى ... ومن غير رب الخلق يعطي الرغائبا
وما أنا من روح الحياة بآيس ... سأبلغ من عفو الإله المطالبا
ملاذي إلهي والشفيع محمد ... فحسبي مرغوباً إليه وراغبا
عليه سلام الله ما ذرّ شارق ... وما أطلع الليل النجوم الثواقبا
وصلى عليه الله ما هبت الصبا ... وهزت على أعطاف بان ذوائبا

وقال لسان الدين بن الخطيب الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٦ :

أيا خاتم الرسل المكين مكانه ... حديث الغريب الدار فيك غريب
وجاهك بعد الله نرجو وإنه ... لحظ مليء بالوفاء رغيب
عليك صلاة الله ما طيب الفضا ... عليك مطيل بالثناء مطيب

وقال القاضي أبو محمد بن عطية الأندلسي أحد تلاميذ لسان الدين بن الخطيب:

إلهي مالي بعد رحماك مطلب ... أراه بعين الرشد أسنى المطالب
سوى زورة القبر الشريف وإنه ... لموهبة فاقت جميع المواهب
عليه سلام الله ما لاح كوكب ... وما رافق الأظعان حادي الركائب

وقال أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني الأندلسي الغرناطي:

محامد المصطفى لا ينتهي أبدا ... تعدادها هل يعدّ القطر حاسبه
فضل تكفل بالدارين يوسعنا ... نعمي ورحمي فلا فضل يناسبه
حسبي التوسل منه بالذي سمحت ... به القوافي وجلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حيا ... تحدى إلى قبره الزاكي نجائبه

وقال عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور المتوفى سنة ٨٠٦:

يا سيد الرسل الكرام ضراعة ... تقضي مني نفسي وتذهب حوبي
عاقت ذنوبي عن جنابك والمنى ... فيها تعللني بكل كذوب
هب لي شفاعتك التي أرجو بها ... صفحاً جميلاً عن قبيح ذنوبي
إن النجاة وإن أتيحت لامرىء ... فبفضل جاهك ليس بالتشبيب
إني دعوتك واثقاً بإجابتي ... يا خير مدعوّ وخير مجيب
يا هل تبلغني الليالي زورة ... تدني عليّ الفوز بالمرغوب
أمحو خطياتي بإخلاصي بها ... وأحط أوزاري وأصر ذنوبي

وقال صفي الدين الحلي، وليست في المجموعة:

بكم يهتدي يا نبي الهدى ... وليّ إلى حبكم ينتسب
بكم يكسب الأجر في بعثه ... يخلص من هول ما يكتسب
وقد أم نحوك مستشفعاً ... إلى الله مما إليه نسب
سل الله يجعل له مخرجاً ... ويرزقه من حيث لا يحتسب

وقال سيدي أبو المواهب البكري ابن سيدي محمد البكري الكبير كما ذكره الشهاب الخفاجي في [الريحانة] ورأيتها في ديوان سيدي محمد البكري المذكور منسوبة له لا لابنه أبي المواهب ونقلتها من [سعادة الدارين] وليست في المجموعة:

إلى كم نحن في ظمأ ... وهذا المنهل الأعذب
وهذا المشرع الأحلى ... وهذا المورد الأطيب
وهذا باب مولانا ... وهذا بيته الأعجب
وهذا سره الأعلى ... وهذا فتحه الأقرب
وهذا السؤل والمأمو ... ل والمقصود والمأرب

حبيب الله نور النو ... ر كنز السر والمطلب
ومن في لوح حضرته ... بدائع سره تكتب
ومن في تاء عزته ... مرامات النهي تخطب
جمال عصابة الرسل ... الكرام طرازها المذهب
ألا يا خير مبعوث ... له مولاه قد قرب
ومن بالعين أبصره ... فعنه قط لا يحجب
ويا من لا يفي شخص ... بمدحته ولو أطنب
أقلني عثرة عظمت ... فإني ضاق بي المذهب
وخلصني وخصصني ... بسر منه لا أسلب
أغث يا سيدي لهفي ... وإلا من له أذهب
وقل لي أنت في جاهي ... فلا تخشى ولا تتعب
بك استنصرت فانصرني ... فمن تنصره لا يغلب
بك استشفعت فاشفع لي ... فمن ذنبي لك المهرب

وقال الشيخ مصطفى البابي الحلبي:

وإن ضقت ذرعاً من تعاظم ما مضى ... فلا تنس عفو الله فالعفو أرحب
ولذ بجانب الفاتح الخاتم الذي ... به يطمئن الخائف المترقب
إذا الخطب أبدى ناجذيه فناده ... تجد خير جار في الملمات يندب
وإن لدغتك الموبقات فداوها ... به فهو ترياق الخطوب المجرب
به تكشف الغمى به يدفع البلا ... به الداء يستشفى به الصدع يرأب
إليك رسول الله قد جاء ضارعاً ... أخو عثرة يرجو الإقالة مذنب
فبابك باب الله ما عنه مذهب ... وطالبه من غير بابك يحجب
فليس بنا من منحه بتفضل ... من الله إلا عن مساعيك تجلب
ولا مسنا من محنة أو تمسنا ... بكسب يد إلا بيمينك تذهب
أغثني تداركني أجرني فإنني ... لقيّ إن تراخى عنه لطفك يعطب
غريق ذنوب خانه الحول فاغتدى ... بملتطم الأمواج يطفو ويرسب
ذنوب تحيل العذب فالخوف غالب ... ولكن رجائي في جنابك أغلب
وأبعد شيء أن تضيق برحبها ... شفاعتك العظمى بنا فهي أرحب
إذا قمت محمود المقام فإننا ... على ثقة أن ليس منا مخيب
ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى ... وحاشاك أن ترضى وفينا معذب
أترضى مع الجاه الوجيه ضياعنا ... ونحن إلى أعتاب بابك ننسب
أترضى مع العرض العريض بأن يرى ... مقامك محموداً ونحن نعذب
أتخذل يا حامي الذمار عصابة ... بهديك دانت ما لها عنه مذهب
عليك صلاة الله تترى مسلماً ... مع الآل والأصحاب ما انهل صيب

وقال ابن كميل:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فأنت قصدي وأنت السؤل والأرب
يا صاحب النجدة العظمى لمعتلق بجاهه ولذاك اليوم أرتقب
صلى عليك إله العرش ما طلعت شمس وما لاح نجم ثم يحتجب

وقال سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي:

يا بهجة الكون يا طه الرسول ومن له مقام عظيم كله أدب
يا سيد الأنبياء والرسل أجمعهم يا من به زال عنا الهم والتعب
يدعوك مسكينك العبد الذي بطشت أيدي العباد به والقلب مكتئب
فاكشف له كربة أودت ببهجته يا خير من كشفت عنا به الكرب
وما دعوناك في تفريج شدتنا إلا لأنك في تفريجها سبب
وأنت باب العطا والجود يا أملي بك الإله على طول المدى يهب
صلى عليك الذي أهداك تكرمة للخلق تقضي بك الأيام ما يجب

وقال الشيخ أحمد الصفدي إمام الدرويشية في الشام صديق العارف النابلسي:

يا شافع الخلق في يوم الزحام أغث من جاء بالذنب والعصيان ينتحب
عليك صلى إله العرش خالقنا والآل من للمعالي كلها خطبوا

وقال الشيخ عبد الله الشبراوي المصري المتوفى سنة ١١٧٢ حين زيارته النبي ﷺ:

يا أخا الأشواق هذا المصطفى بث شكواك له وانتحب
واكحل الأماق من تربته ينجلي عنك جميع النصب
وتذلل وتضرع وابتهل وتوسع في الأماني واطلب
فهو بحر زاخر من جاءه طالباً فاز بأسنى مطلب
أي جاه مثل جاه المصطفى معدن المعروف كنز الحسب
يا رسول الله إني مذنب ومن الجود قبول المذنب
يا نبي الله مالي حيلة غير حبي لك يا خير نبي
عظم الكرب ولي فيك رجا فيه يا رب فرج كربي
وأغثني يا إله العرش من نفس سوء في الهوى تلعب بي
وتدارك ما بقي لي فلقد ضاع عمري في الهوى واللعب

وقال شيخ بعض مشايخي العارف بالله سيدي الشيخ حسين الدجاني مفتي يافة المتوفى في مكة المشرفة سنة ١٢٦٨ المدفون بجوار السيدة خديجة رضي الله عنها كذا في المجموعة، ثم أخبرني ابنه العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ محمد أبو السعادات، وكان معه يوم وفاته في مكة المشرفة أنه توفي سنة ١٢٧٤:

إليـك رسـول الله وجـهـت وجـهـي | وأرسـيـت في زخـار جـودك مـركـبـي
فـمـنّ رسـول الله مـنـك بـنـظرة | أزاحـم فـيـهـا الأصـفـيـاء بمنـكـبـي

وقال صاحبنا الفاضل الشيخ عمر أفندي الأنس البيروتي المتوفى سنة ١٢٩٣ :

ألا يـا رسـول الله يـا أكـرم الـورى | عـلى الله يـا مـن حـبـه لي مـذهـب
دعـوتـك مـضـطراً فـأنـت وسـيـلتي | وظـني جمـيـل فـيـك حـاشـا يخـيـب
ألا يـا حـبـيب الله ضـاقت مـذاهـبي | ومـالي إلا رحـب بـابـك مـهـرب

وقال جامع هذا الكتاب الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه مضمناً للبيت الثاني :

مـا جار يـومـاً زمـاني فـاستجـرت بـه | إلا أتى الـنصر وانـزاحـت بـه الـكـرب
لا تـرج خـلقـاً سـواه لـلنـدى أبـدا | فـعنـد هـذا المـرجى ينـتهي الـطلب

قافية التاء

قال سيدي عبد الرحيم البرعي :

محـمـد سيـد الخـلق الـذي امتـلأت | من نـوره الأرض والسـبـع السـمـوات
ذاك الحـبـيـب الـذي يـرجـو عـواطـفـه | وبـره الخـلق أحـيـاء وأمـوات
مـولاي مـولاي فـرج كـل مـعـضـلة | عني فـقـد أثـقلت ظـهـري الخـطـيـات
وعـد عـليّ بمـا عـودتـني كـرمـاً | فـكـم جـرت لي بـخـير منـك عـادات
وامنـع حمـاي وهب لي منـك تكـرمـة | يـا مـن مـواهـبـه خـلد وخـيرات
واعـطف عـليّ وخـذ يـا سيـدي بيـدي | إذا دهـتـني المـلمات المـهـمات
صـلى عـلـيـك إلهـي يـا محـمـد مـا | لاحـت لـنـورك مـن بـدر عـلامـات

وقال مجد الدين الوتري البغدادي :

تـبـدي فقـلنـا الـبـدر بـل وجـه أحمـد | تجـلى لـنـا بـين الـعـقـيـق ومـكـة
تـوسـلت يـا ربي إلـيـك بـحـبـه | لـتـغـفـر زلاتي وتـقـبـل تـوبـتي

قافية الجيم

قال الإمام الغزالي في قصيدته المنفرجة، وليست في المجموعة :

يـا نـفس مـالـك مـن أحـد | إلا مـولاك لـه فـعـجي
وبـه فـلذي وبـه فـعـجي | ولـبـاب مـكـارمـه فـلجي
كـي تـنـصـلحي كـي تـنشرحي | كـي تـنـبـسـطي كـي تـبـتـهـجي
ويـطـيـب مـقـامـك مـع نـفـر | أضـحـوا في الحـنـدس كـالسرج
وفـوا لله بمـا عـهـدوا | مـن بـيـع الأنـفـس والمـهـج

وهم الهادي وصحابته ذو الرتبة والعطر الأرج
قوم سكنوا الجرعاء وهم شرف الجرعاء ومنعرج
جاؤوا للكون وظلمته عمت وظلام الشرك دجى
ما زال النصر يحفهم والظلمة تمحي بالبهج
حتى نصروا الإسلام فعا د الدين عزيزاً في بهج
فعليه صلى الرب على مر الأيام مع الحجج
وعلى الصدّيق خليفته وكذا الفاروق وكل نجي
وعلى عثمان شهيد الدا ر وفي وسما أعلى الدرج
وأبي الحسنين مع الأولا د كذا الأزواج وكل شجي
ما مال المال وحال الحا ل وسار السائر في الدلج
يا رب بهم وبآلهم عجل بالنصر وبالفرج
واجعل ذكر الإخلاص لنا يحيي قلباً يا ذا الفرج
واختم عملي بخواتمها لأكون غداً في الحشر نجي

وقال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الأندلسي القرشي في آخر قصيدته المنفرجة المشهورة نقلتها من [سعادة الدارين] وليست في المجموعة:

صلوات الله على المهدي الهادي الناس إلى النهج
وأبي بكر في سيرته ولسان مقالته اللهج
وأبي حفص وكرامته في قصة سارية الخلج
وأبي عمرو ذي النورين المستحيي المستحيا البهج
وأبي حسن في العلم إذا وافى بسحائبه الخلج
وعلى السبطين وأمهما وجميع الآل بهم فلج
وعلى الأصحاب بجملتهم بذلوا الأموال مع المهج
يا رب بهم وبآلهم عجل بالنصر وبالفرج

وقال شمس الدين بن جابر الأندلسي:

قسماً لئن أبصرت دار محمد وشهدت من مغناه معنى مبهجا
لأعفرنّ بتربها كرماً له خدا بمسكوب الدموع مضرجا
ولأدعونّ دعاء عبد مخلص يا سيد الكونين أنت المرتجى
يا من إذا لجأ الضعيف لبابه أبت المكارم أن يضيع من لجا
عظمت ذنوبي والعظائم كلها بعظيم جهخك نرتجي أن تفرجا
خذ سيدي بيدي أغثني إنني أصبحت في بحر الذنوب ملجلجا
من منقذي إلا شفاعتك التي تنجي إذا لهب الجحيم تأججا
صلى عليك الله ما صدع الدجى صبح تلألأ ضوؤه وتبلجا

وقال شمس الدين النواجي :

يا أكرم الخلق يا أزكى الأنام ويا ... أوفى نبي لسبل الحق منبهج
يا خير من حديث غر النياق له ... وحج قدماً إلى أبوابه ولجى
كن لي شفيعاً إذا ما شب جمر لظى ... لمن أساء أغثني منك بالفرج

وقال العارف النابلسي رحمه الله، وليست في المجموعة :

يا أشرف الرسل ضاقت فارسل الفرجا ... فإنني لك قد أضمرت ألف رجا
أنت الحبيب الذي في القلب منزله ... ومن محبته تستملك المهجا
وأنت ملجؤنا في كل حادثة ... من يلتجي لك ياسر الوجود نجا
أنت الرسول إلينا والشفيع بنا ... يوم القيامة من أن نصطلي الوهجا
وأنت فضلتنا قدراً على أمم ... مضت وعنا رفعت الإصر والحرجا
لولاك لولاك ما الأفلاك قد خلقت ... والناس لولاك كانوا كلهم همجا
يا أشرف الرسل من أشكو الزمان له ... إن لم تكن لي إذا خطب الزمان رجا
يا أشرف الرسل أثقال الذنوب بنا ... أودت وقد تركتنا نخبط اللججا
يا أشرف الرسل مشتاق أضرّ به ... طول البعاد وقاسي بالنوى وهجا
فكن لعبد الغني عوناً وكن سنداً ... فإنه في حمى الإسلام قد ولجا
وكن له شافعاً يوم الزحام فقد ... أضحى بمدحك ما بين الورى لهجا
صلى وسلم مولانا عليك بلا ... نهاية ما أتى صبح وزال دجى

وقال العارف النابلسي أيضاً، وليست في المجموعة :

يا سيد الشفعا يا أكرم الكرما ... يا أرأف الرحما يا غوث كل شجي
يرجوك عبد على الأعتاب مطرح ... ذو مدمع بذنوب الذنب ممتزج
أغث أغث يا رسول الله أنت لها ... فعقدة الخطب قد ضاقت على الودج
لا تهملني بأرض لا أنيس بها ... بكربها القلب في ران وفي وهج
وكن شفيعي في يوم ترى صحفي ... منشورة بذنوب أثقلت ثبجي
النوق حنت لقبر قد ثويت به ... ما عذر قلب إلى مثواك لم يهج
متى أرى العيس تطوى البيد بي مرحا ... وأنظر الروضة الفيحاء منعرجي
ما خاب من حط أحمال الرجاء لدى ... ذاك الجناب الرفيع الأفيح الفرج
فأنت لا شك باب الله أي فتى ... أتاه من غير هذا الباب لم يلج
وما ذكرتك في بهماء داجية ... إلا تنفس صبح الخطب بالفرج
إن الكريم مع الإملاق محتفل ... بكل ما ناب راجيه من الحوج
فكيف ترتاب في بحر مواهبه ... نرى عزاليها منحلة الشرج
خزائن الخالق الرزاق في يده ... وفضله الجمّ مبذول لمنتهج

صلى عليه إله العرش ما صدحت حمامة بلسان بالجوى لهج
والآل والصحب ما زانت مدائحه بيض الطروس ازديان العين بالدعج

قافية الحاء

قال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري:

يا خير من وقف المطيّ ببابه جعل الوجا أجسامها أشباحا
وأحق من بذل الورى في حبه ومزاره الأموال والأرواحا
أعددت مدحك للحوادث جنة وعلى الذنوب الموبقات سلاحا
فامنن عليّ بنظرة يحيا بها قلبي ويصبح راضياً مرتاحا
فلأنت ملجؤنا الذي ما أمه منا فتى إلا ونال نجاحا
صلى عليك الله ما سرت الصبا وشدا حمام في الغصون وناحا

وقال أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو صاحب التاريخ:

واخساري يوم القيامة إنْ لم يغفر الله زلتي واجتراحي
لم أقدم وسيلة فيه إلا حب خير الورى الشفيع الماحي
سيد العالمين دنيا وأخرى أشرف الخلق في العلا والسماح
إنما حسبنا الصلاة عليه وهي للفوز آية استفتاح
يا إلهي بحق أحمد عفواً عن ذنوب جنيتهن قباح

قافية الدال

وقال الإمام البرعي:

مولاي خذ بيدي واقضِ حوائجي واعطف عليّ ولبّ حين أنادي
حملت ذي النفس الضعيفة ثقلها وشغلت بين أصادق وأعادي
وعريض جاهك يا محمد عصمتي وكفايتي وهدايتي ورشادي
فلأنت أمنع من لجأت إليه في الدا رين دار إقامتي ومعادي
واعطف عليّ بنفحة نبوية لأنال غاية مطلبي ومرادي
وعليك صلى الله يا علم الهدى ما ارفضّ في الأقطار صوب عهاد

وقال الإمام الصرصري:

يا خير من وفد العذافر نحوه وسعت إليه من الفجاج وفود
قد مسنا الضر الشديد وشفنا في كل عام يقبل التهديد
إن لم يكن في الحال شر حاضر فلقد أتانا للعدو وعيد
فأغث ضعافاً ما لهم من قوة إن لم تغثهم والعدو عنيد

فإلى من الشكوى إذا أهملتنا ... أني وركنك بالإله شديد
ولأنت في الدارين أنجع شافع ... ومقام فضلك فيهما محمود
لا زلت مخصوصاً بكل تحية ... منا عليها للقبول شهود

وقال الإمام تقي الدين بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢:

يا رسول المليك دعوة من زا ... د به شوقه وصح وداده
لك أشكو حالاً من الدين والدنـ ... ـيا شديد غلوه واقتصاده
هو هم ثنى السرور وغم ... كدّر العيش عكسه واطراده
وعليك السلام من ذي اشتياق ... أنت في الحشر كنزه وعتاده

وقال الشهاب محمود الحلبي، وليست في المجموعة:

إلهي بحق النبي الكريم ... أجرني من شر هذا العباد
أالخشى وأنت غياث الورى ... وأرهبهم وعليك اعتمادي
فأنت ملاذ الوحيد الشريد ... وأنت أنيس الغريب البلاد
أجرني أجرني فمالي سواك ... وحسبي غني بك طول انفرادي

وقال سيدي علي وفا المتوفى سنة ٨٠٧:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن ... جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه ... لا خوف في هذا الجناب ولا نكد

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني:

يا سيد الرسل الذي فاق الورى ... بأساً سما كل الوجود وجودا
هذي ضراعة مذنب متمسك ... بولائكم من يوم كان وليدا
يرجو بك المحيا السعيد وبعثه ... بعد المهات إلى النعيم شهيدا
صلى عليك وسلم الله الذي ... أحيا بك الإيمان والتوحيدا

وقال سيدي أبو الفتح وفا رضي الله عنه، وليست في المجموعة:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... مالي سواك ولا ألوي على أحد
فأنت نور الهدى في كل كائنة ... وأنت سر الهدى يا خير معتمد
وأنت حقاً غياث الخلق أجمعهم ... وأنت هادي الورى لله يا سندي

وقال العارف النابلسي، وليست في المجموعة:

يا غياثي في المهمات ويا ... من به نلت الهدى والرشدا
يا أبا القاسم يا قاسم ما ... وهب الله على طول المدى

يـرتجـي عبـد الـغني مـن حـبـكـم زورة ثـانـيـة تـشـفـي الـردى
وبهـا يـظفـر بـالمـأمـول مـن ربـه في ظـل عـيش الـسـعـدا
ويـرى مـن كـل ضـيـق فـرجـاً ويـفـي الحظ لـه مـا وعـدا

وقال السيد عبد الكريم أفندي حمزة الحسيني الدمشقي المتوفى سنة ١١١٨، وليست في المجموعة:

يـا رب إني بـالـنـبـي وآلـه والـصـحـب والأخـيـار مـن أحـفـاده
متـوسـل متـشـفـع فيـما علـمت بـه وحـسـبـي الـعـلم عـن إيـراده
فـالـعـبـد عـبـدك والإجـابـة سؤلـه فـامـنـن بهـا والهـمـه نهج سـداده

وقال حامد أفندي العمادي مفتي الشام المتوفى سنة ١١٧١، وليست في المجموعة:

إلـيـك الـتـجـأنـا يـا مغيث فكن لـنـا مغيثـاً إذا مـا الكـرب فينـا قـد اشتـدا
عسى لمحـة من نـور هـديـك نستقي بهـا كـوثـراً يـوم الـزحـام لـنـا وردا
فتحـظى بسر الفضـل والـلطف لا نـرى حـديث الهـوى إلا عقـدنـا لـه بـنـدا
ونـشـهـد أن الهـاشـمـي محـمـدا رسـول وعـبـد لم نـجـاوز بـه حـدا
علـيـك صـلاة الله يـا كـاشـف الـردى إذا مـا عـظيم الـذنب أجهـدنـا جهـدا

قافية الراء

وقال الإمام الصرصري:

يـا مـن جـلا قـتر الـضـلال ومـن إذا مـا أمـه الـعـافي انـجـلى إقـتـاره
يـا مـن تـسـاوى في المـكـارم والـنـدى كـلـتـا يـديـه يمـيـنـه ويـسـاره
أنـت المـلـيء بـكـشـف ضر مخـلـف ذي عسرة بـنـدى يـديـك يـسـاره
جـعـل الـثـنـاء عـلى عـلاك شـعـاره فـحـلـت بـه وتـعـطرت أشـعـاره
يـرجـو النجـاة بفضـل جـاهـك في غـد في مـوقـف يخشى الـتـوى إبـراره

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

يـا هـاديـاً شـد الإلـه بـديـنـه أزري وشـد عـلى الـعـفـاف إزاري
يـا مـن بـه إن عـذت في سـنـة حمـى أو زار في سـنـة محـا أوزاري
يـا من حـبـاء يـديـه مـلحلو الحـبـا لحـبـا يـسـار أو لـفـك أسـار
مـلأ المهـيمن مـذ قـصـدتـك مـادحـاً بـيـسـاره يمـنـاي ثـم يـسـاري
ونـفـي بـجـاهـك يـا أعـز وسـائـلي قـتر الهـوى عـني مـع الإقـتـار
حـسـبـي رجـاء أنـي مـن أمـة بـك أصـبـحـت مـوضـوعـة الأصـار

وقال الشهاب محمود الحلبي:

وصلنا السري وهجرنا الديارا ... وجئناك نطوي إليك القفارا
أتيناك نحدي البكى والركاب ... ونبعث أثر القطار القطارا
إذا أخذت هذه في الربا ... صعوداً أبي ذاك إلا انحدارا
وإن فاض ماء بفرط الحنين ... ورجع حادي لـلسرى عاد نارا
كأنا به وهو يجري دماً ... وقوف على الخيف نرمي الجمارا
أتيناك سعياً ننادي البدارا ... إلى سيد المرسلين البدارا
إلى أشرف الخلق في محتد ... وأحمى جواراً وأعلى نجارا
إلى من به الله أسرى إليه ... وما زاغ ناظره حين زارا
ولما نزعنا شعار الرقاد ... لبسنا الدجى وأدرعنا النهارا
نميل من الشوق فوق الرحال ... كأنا سكارى ولسنا سكارى
تجافي عن الطيف أجفاننا ... فلا نطعم النوم إلا غرارا
ونسري مع الشوق أنى سرى ... ونتبع حادي السرى حيث سارا
ونسأل والدار تدنو بنا ... عن القرب في كل يوم مرارا
وما ذاك أنا سئمنا السرى ... ولكن دنونا فزدنا انتظارا
إذا البرق عارضنا موهناً ... حسبنا سنا طيبة قد أنارا
فنفري بأذرع تلك النياق ... أديم الفلا غدوة وابتكارا
ونرمي بهن صدور الفجاج ... كأنا نشنّ عليها مغارا
إذا رقصت في الفلاة المطيّ ... جعلنا الدموع عليها نثارا
تسابق أرجلها في السرى ... يديها وتشكو اليمين اليسارا
وتجمع بين السرى والمسير ... وتجفو الكرى وتعاف القرارا
وكيف القرار إلى أن نراك ... وتدني المطي إليك المزارا
ومن كان يقبل منك الدنو ... أيملك دون اللقاء اصطبارا
ترى تنظر العين هذا البشير ... يريني على البعد تلك الديارا
لأعطيه روحي سروراً بها ... وأوطيه طرفي وخدي اعتذارا
وأمسح عن أرجل اليعملات ... بأجفان عيني ذاك الغبارا
وأهدي على القرب مني السلام ... وحسبي بها رتبة وافتخارا
وأكتب شوقي بماء الدموع ... بسيطاً إذا اللفظ كان اختصارا
وأفدي بما طال من مدتي ... بطيبة تلك الليالي القصارا
ترى هل أناجي هناك الرسول ... جهاراً كما أرتجي أو سرارا
وأعلم أني على بابه ... وقفت وقبلت ذاك الجدارا
وماذا أقول وكل الورى ... نشاوى هنالك مثلي حيارى
وأنشد يا شافع المذنبين ... أجر من بباب حماك استجارا
أقلني فقد جئت أشكو الذنوب ... إليك وأنت تقيل العثارا

فكن شافعي يوم لا شافع سواك يفك العناة الأسارى
فمالي سوى حق هذا الجوار لديك ومثلك يرعى الجوارا
وإني قطعت إليك القفار فقيراً أقل ذنوباً غزارا
وفي قطعها لك فضل عليّ ولو خضت دون القفار البحارا
ولو أستطيع قطعت الزمان وأنت المنى حجة واعتمارا
وما كنت أظعن إلا إليك إذا ما ملكت لروحي اختيارا
حتى حل فيه نبي الهدى فأضحى به أشرف الأرض دارا
فيا فوز من كل عام أتاه ويا فوت من غاب عن خسارا
شممنا الشذى من مبادي الحجاز فخلنا العبير أعاز العرارا
فواها لها نفحة أذكرت هواي وأذكت بقلبي الشرارا
إذا خطرت في الربى سحرة وجرّت ذيولاً على الغار غارا
يمانية زانها أنها بطيبة مرت وجرت إزارا
على من سرت من حماه السلام وحيا الحيا ذلك الربع دارا

وقال الشهاب محمود أيضاً:

ليت شعري هل لي سبيل إلى لقـ ـياه أحظى به وأوفي نذوري
ولئن كانت الذنوب تناءت بمسيري عنه وعاقت مصيري
فاعتصامي بجاهه ورجائي أنه في غد يكون مجيري
وملاذي بعفو ربي فعفو الله أوفى من كل ذنب كبير
فعليه الصلاة ما خطرت ريح الصبا في أرجاء روض نضير

وقال الشهاب محمود أيضاً:

فوض أمورك من دون الأنام إلى من في يديه زمام النفع والضرر
وارغب إلى فضله وارغب بنفسك عن سواه وامدد إليه كف مفتقر
وقل له يا لطيف الصنع بي أبدا كن لي ولا تلجني يوماً إلى بشر
فليس لي غير فقري يا غني ولا وسيلة بسوى المبعوث من مضر
خير البرية من حاف ومنتعل وأشرف الخلق من بدو ومن حضر

وقال الشهاب محمود أيضاً:

يا رسول الإله ضاقت بأمري حيلتي واعترت وساوس فكري
فأزل راحماً بجاهك همي وأغثني وأغن بالبر فقري
لا تكلني إلى سوى جاهك الضا في فمالي سواه يكشف ضري
بأن كسرى بين الأنام وإني لأرجي بكم لدى الله جبري

وقال الشهاب محمود أيضاً:

نبي الهدى ضاقت بي الحال في الورى ... وأنت بما أملت منك جدير
فسل خالقي تفريج همي فإنه ... على فرجي دون الأنام قدير

وقال الشهاب محمود أيضاً:

وكيف تخاف النفس من دونها الردى ... وذاك النبي الهاشمي خفيرها
محمد المبعوث للخلق رحمة ... نبي الهدى هادي الورى ونذيرها
وشافعها في الحشر عند إلهها ... ومنقذها من ناره ومجيرها
أتينا حماه فالتقانا برفده ... نجائب وافي بالنجاة بشيرها
وإنا لنرجو عودة نحو داره ... إذا ما فروض الحج تمت أمورها
فليس تمام الحج إلا وقوفنا ... عليه نرى آثاره ونزورها
عليه سلام الله ما هبت الصبا ... وما عاقبت ريح الجنوب دبورها

وقال هبة الله بن البارزي المتوفى سنة ٧٣٨، وهو شيخ ابن الوردي:

أيا سيد الرسل الكرام ومن غدت ... له معجزات ما لتعدادها حصر
سماء المعالي أنت والله بدرها ... وسائر رسل الله أنجمها الزهر
جميع الورى يوم القيامة مالهم ... من الأنبياء غوث سواك ولا ذخر
وفي ذلك اليوم المهول يرى الورى ... مقامك لا زيد هناك ولا عمرو
فكن ذخر نفسي عند فرقة ذاتها ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
ولا تخلني في ميتة من كلاءة ... يزول بها رعبي إذا ضمني القبر
وكن لي ملاذاً حين أحشر ذاهلاً ... وأبهت لا عرف لديّ ولا نكر
فقد قل مالي من جميل فعلته ... وقد كثرت مني القبائح والإصر
تحملت أعباء السباسب طالباً ... رضا الله في يوم يكون لك الأمر
أحاشيك أن آتي وأرجع يائساً ... وكفي مما جئت أطلبه صفر
عليك سلام ماسها عنك غافل ... وما زان لفظ الذاكرين لك الذكر

وقال الإمام عمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩:

يا خاتم الأنبياء قد كان مفتقراً ... إلى قدومك أهل النفع والضرر
فكن شفيعي وذخري في المعاد إذا ... أقبلت من حفرتي إقبال مفتقر
ولا تكلني إلى قول ولا عمل ... ولا إلى وزن أعمال فلست يرى
مولاي جسمي ضعيف عن لهيب لظى ... فاعطف على كسرتي يا جبر منكسر
وأرتجي بك من ذي العرش عافية ... في الآل والحال والعلياء والعمر
عليك من صلوات الله أفضلها ... ما لاح برق وناح الورق في السحر

وقال جمال الدين بن نباتة المصري:

إلـيـك رسـول الله مـدت مـطالـبـي	عـلى أنها أضـحـت عـلى الـفـوز تـقصر
خـلقـت شـفـيـعـاً لـلأنـام مـشـفـعـاً	فـرجـواك في الـداريـن أجـدي وأجـدر
ولي حـالـتـا دنـيـاي وأخـرى أراهمـا	يمـران بي في عـيـشـة تـتـمـرر
وهـا أنـا قـد أبـلغـت عـذري قـاصـداً	وأيـقـنـت أن الـنـجـيـح لا يـتـعـذر
بـجـاهـك عـنـد الله أقـبـلت لائـذا	فـكـبرت حـاجـاتي وجـاهـك أكـبر
عـلـيـك صـلاة الله في كـل مـنـزل	تـعـبر عـن سر الجـنـان وتـعـبر

وقال لسان الدين بن الخطيب الأندلسي :

يـا سـيـد الأرسـال ظـهـري مـوقـر	فـعـسى تخـف بـجـاهـكـم أوقـاره
لـيس الـصـغـار وقـد تـعـاظـم وزره	والـعـفـو تـصـغـر عـنـده أوزاره
وأتى إلـيـك يـفـر مـنـه فـما لـه	إلا حمـاك وقـصـده وقـراره
فـامـتـن عـليّ وكـن شـفـيـعـي والـتـفـت	مـسـتـنـصـراً بـجـلالـك اسـتـنـصـاره
صـلى عـلـيـك الله مـاحـيـاً الحـيـا	روض الـربى وتـرنمـت أطـيـاره

وقال سيدي محمد البكري الكبير المصري، نقلتها من سعادة الدارين وليست في المجموعة :

رب يـا عـالم السرائـر يـا مـن	هـو لا غـيره الـلطـيـف الخـبـير
أدرك أدرك عـبـداً ذلـيـلاً حـقـيـراً	مـسـتـجـيـراً ومـا سـواك المـجـير
رب إني كـما تـرى في انـكـسـار	أنـت جـبري وأنـت نـعـم الـنـصـير
حـاش لله أنـا أضـام وإني	بـك ممـا أخـافـه أسـتـجـير
آه أواه يـا إلهـي وحـسـبـي	ومـلاذي مـن لي سـواك نـصـير
إن تـكـن شـدتي لـذنـب فـكـم لي	مـن ذنـوب وأنـت رب غـفـور
أنـا في شـدة فـفـرج فـفـرج	أنـا في همـهـا ذلـيـل أسـير
قـد تـوسـلت بـالـنـبـي وحـسـبـي	أنـه المـصـطـفـى الـبـشـير الـنـذيـر
فـعـلـيـه يـا رب صـلِ وسـلم	مـا أمـيـطت غـيـاهـب وسـتـور

وقال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه :

آه لـولا الجـنـاح مـني كـسـير	كـنـت في الحـال لـلحـجـاز أطـير
ويـقـيـني بـأحمـد جـبر كسرى	كـل كسر بـأحمـد مجـبـور
سـيـد الخـلق صـفـوة الحـق شـمس	الأفـق أفـق الهـدى الـبـشير الـنـذيـر
مـن يـكـن زاعـماً بـديـن ودنـيـا	غـنـيـة عـنـه إنـني لـفـقـير
سـيـدي يـا أبـا الـبـتـول أغـثـني	أنـت أدرى بمـا حـواه الـضـمـير
أأرجـي مـعـاشـراً فـيـهـم الأرواح	مـوتى لهـا الجـسـوم قـبـور
وأعـز الأنـام أنـت لـدى الـله	تـعـالى وهـو الـسـمـيـع الـبـصـير
إن ربي لمـا يـشـاء لـطـيـف	وعـلى مـا يـشـاء ربي قـديـر

بك أدعوه أن ييسر عسري فعليه تيسير عسري يسير
أنت نعم العبد الكريم عليه وهو نعم المولى ونعم النصير

قافية الزاي

قال الإمام الصرصري:

يا خاتم الرسل الكرام ومن به حلل النبوة زانها التطريز
أنت المصفى من قبائل هاشم بك أصبحت للمكرمات تحوز
أنت المخصص بالشفاعة للورى طرا وأنت على الصراط مجيز
بك أستجير وأستغيث وأرتجي إني بجاهك في المعاد أفوز

وقال الإمام الوتري:

زماني رماني بالذنوب فها أنا لجاهك يا خير الخلائق أعوز
زهقت بزلاتي وأغرقت في الخطا فخذ بيدي أنت الشفيع المعزز

قافية الصاد

وقال محمد بن العفيف التلمساني المشهور بالشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٨:

وقالوا غداً نأتي ديار محمد فقلت لهم هذا الذي عنه أفحص
أنيخوا فما بال الركوب وإنما على الرأس نمشي أو على العين نشخص
أليس الذي نرجو شفاعته غداً ويا شافع تشفع وادع تسمع يخصص
أليس الذي لولاه لم ينج مذنب ولا كان من نار الجحيم يخلص
فيا خاتم الرسل الكرام ومن به لنا من مهولات الذنوب تخلص
أغثنا أجرنا من ذنوب تعاظمت فأنت شفيع للورى ومخلص
ومالي من وجه ولا من وسيلة سوى أن قلبي في المحبة مخلص
إذا صح منك القرب يا خير مرسل على أيّ شيء بعد ذلك أحرص
وليس يخاف الضيم من كنت كهفه عن أي شيء غير جاهك يفحص
عليك صلاة يشمل الآن عرفها وللجملة الأصحاب منها تخصص

قافية الطاء

وقال أبو الحسن علي بن الجياب الأنصاري الأندلسي:

أهزلاً وقد جدت بك اللمة الشمطا وأمنا وقد ساورتها حية رقطا
أغرك طول العمر في غير طائلٍ وسرك أن الموت في سيره أبطا
تأهب فقد وافاك شيبك منذراً وها هو في فوديك أحرفه خطا

وما لك إلا السيد الشافع الذي ... له فضل جاه كلما يرتضي يعطي
محبته شرط القبول فمن خلت ... صحيفته منها فقد زاغ واشتطا
به الحق وضاح به الإفك زاهق ... به الفوز مرجوبه الذنب قد حطا
هو الملجأ الأحمى هو المؤئل الذي ... به في غد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحي محبته التي ... بقلبي خطت قبل أن أعرف الخطا

وقال علاء الدين بن مليك الحموي:

فيا سيد الكونين أنت وسيلتي ... إلى الله إني ذلك الرجل الخطا
فقد ضاع عمري وانقضى زمن الصبا ... ولم أتعظ جهلاً بلمتي الشمطا
ولكن بك الغفران أرجو تكرما ... إذا ضبطت أعمالي أهل الشقا ضبطا
عليك سلام الله ماسح وابل ... من المزن وانهلت سحائبه سقطا

قافية العين

وقال الإمام البرعي:

مدحتك يا رسول الله فخراً ... وتشريفاً ولم أكن البديعا
وأنت أحق من يرجى نصيراً ... لنائبة ومن يدعي سميعا
أيا مولاي ضاع العمر جهلاً ... ولست أرى لنائبه رجوعا
فخذ بيدي وجد بالعفو يا من ... إذا ناديته لبى سريعا
رجونا جاه وجهك في ذنوب ... ثقال تعجز الجلد الضليعا
وما قدر الذنوب وأنت نور ... جعلت لكل ذي ذنب شفيعا
وكيف يضيق ذرعك عن مرج ... نداك الجمّ والجاه الوسيعا
عليك صلاة ربك ما توالت ... نجوم الجو تنتظر الطلوعا

وقال الشهاب محمود الحلبي:

بالله يا حادي الركائب سحرة ... قف بالمطي ولو كنعسة هاجع
لأبث أشواقي وأكتب قصتي ... أسفا بدمع من جفوني هامع
وعسى أقوم بباب حجرة أحمد ... قبل الوداع مقام عبد خاضع
وأقول يا خير الورى أزف النوى ... وبدون نيل رضاك لست بقانع
أنا عبدك الجاني الذي لم أخش من ... ذنبي العظيم وجاه مثلك شافعي
أنت الكريم وليس سعي مقصر ... في سعيه عند الكريم بضائع
لا تسأل العرب الكرام نزيلهم ... عما جناه ولو أتى بفظائع
هاجرت بل تاجرت فيك بمهجتي ... شوقاً وحبك كان جلّ بضائعي
فاملأ رحالي بالنوال لأنثني ... مستغنياً عن باذل أو مانع

إن لم تكن لشديد فقري رافعاً عند الإله فما له من رافع
وافيت بابك حين ضاق بزلتي ذرعي وخابت بالذنوب ذرائعي
أيضيق عن ذنبي وإن ضاق الفضا عنه حمى هذا النوال الواسع
يا سيدي ووسيلتي أنا خائف من هول يوم ماله من دافع
إن لم تغثني بالشفاعة في غد ألفيتني لشقاي غير مدافع
مولاي زودني فإني راحل لضرورة قامت مقام موانع
سفري بعيد والذنوب كثيرة وسوى رضاك عليّ ليس بنافع
يا أكرم الكرماء ها أنا واقف برجاء منشرح وخشية ضارع
أرجو وأخشى غير أني واثق بندى يديك وثوق راج طامع
صلى عليك الله ما هبت صبا وهفت غصون بالحمام الساجع

وقال الشهاب محمود أيضاً:

يا خالقي فبحقه كن لي إذا ضاق الخناق بنا وهال المطلع
واجعله لي يوم القيامة شافعاً ليكون لي بين الجنان مريضع
فيه إليك توسلي وتوصلي وعطاك أعظم من خطاي وأوسع

وقال سيدي محمد البكري الكبير المصري:

تسافر وجهتي في كل أرض لعلي أن أرى فيها شفيعا
فلا تلقي سوى المختار طه يفرج كربتي عني سريعا

وقال فتح الله بن النحاس:

يا رب بالنور الذي ضاءت بطلعته المطالع
الرحمة العظمى إذا انـ ـهلت برضعها المراضع
وبصاحبيه مضاجعيه كلاهما خير المضاجع
فهم الثلاثة ما لنجواهم سوى الرضوان رابع
فبنور وجهك أستجير فإنه للخير جامع
انظر إليّ بحسن خا تمة لأفعال فظائع
وامسح بعفوك ثقل أو زاري وخذ بيدي وسارع
بحياة صفوتك الذي لك ساجد في القبر راكع
أفديه قبراً لم يزل نور النبوة منه ساطع
يا رب بابك بابه ورجاي فيك وفيه طامع
طوراً أنادي رب رب وتارة يا خير شافع
انظر لواقعتي وكن سندي فإني جئت فازع
يا منبع الجود الذي من راحتيه الماء نابع

هـذي لـيـالي الـعـيـد يـصـطـنـع الـكـرام بـهـا الـصـنـائـع
الـذنـب يـغـفـر والجـنـا ح يـراش والإحـسـان واسـع
أنـا في حمـاك وأنـت بـا ب الله لـيس عـلـيـه دافـع

وقال سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى، وليست في المجموعة:

ألا يـا رسـول الله يـا أشرف الـورى ومـن لـيس في الـعـليـا لـه مـن يـنـازع
ويـا غـوثـنـا في كـل ضـيـق وشـدة ويـا من لـنـا يـوم الـقـيـامـة شـافـع
ويـا ملجئي يـا مقصـدي يـا وسيلتي ويـا سـنـدي سـيـدي أنـت نـافـع
إذا كـنـت لي في كـل أمـر مـلاحـظاً فـما أنـا مـتـعـوب ولا أنـا ضـائـع
تجـلى بـك الـرحمـن في كـل مـظهـر عـليـنـا فـمـتـبـوع كـما أنـت تـابـع
لأنـك نـور كـنـت مـن نـور ربـنـا ظهـرت لـنـا والـكـلّ مـنـك بـدائـع
عـلـيـك صـلاة الله ثـم سـلامـه بـغـير انـقـطـاع لم يـزل يـتـتـابـع

وقال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه:

تـذكـر مـن طـيـبـة أربـعـا فـأذري الـبـكـى أربـعـاً أربـعـا
دعـاني فـأبـطأت شـوقـي لهـا وكـان بـودي أن أسرعـا
ولـولا قـيـودي مـن الـنـائـبـات لـكـنـت لهـا عـبـدهـا الـطـيـعـا
فـيـا بـرق بـالله إن جئـتـهـا وطـفـت بهـا مـربـعـاً مـربـعـا
فـدونـك فـاسـجـد عـلى تـربهـا وعِـم بـه المـنـزل الأرفـعـا
وبـلغ سـلامـي رسـول الهـدى محـمـد الـسـيـد الأورعـا
وقـل يـا أعـز الـورى بـائس رجـاك لـديـن ودنـيـا مـعـا
فـكـن شـافـعـاً فـيـهـما لـلإلـه بـأن يمـنـحـه الأصلح الأنـفـعـا
وإني لأعـلـمـه حـاضـراً يـراني وأدعـو لـه مـسـمـعـا
ولـكـنـه الـشـمس شـمس الهـدى وطـيـبـة أضـحـت لـه مـطلعـا

قافية الفاء

قال سيدي أبو مدين المغربي رضي الله عنه:

يـا خـير مـبـعـوث وأكـرم شـافـع كـن منـقـذي مـن هـول يـوم مـرجـف
صـلى عـلـيـك الله يـا خـير الـورى مـا لاح بـرق في الـسـماء ومـا خـفـى

وقال الشيخ أحمد العروسي المغربي:

أيـا أكـرم الأرسـال يـا أشرف الـورى ومـن مثله في القبـل والـبـعـد لا يـلفى
بـعـثـت غـيـاثـاً لـلأنـام ورحمـة فـمـثـلـك لا يـلفـي أمـامـاً ولا خلفـا
فـكـن شـافـعـي يـا أكـرم الخـلق إنـني لجـأت بـأوزاري إلى ظـلـك الأضـفـي

عـلـيـك صـلاة الله مـا لاح بـارق بـأفق ومـا أرخى رواق الـدجى سجفـا

قافية القاف

قال الإمام الصرصري:

يـا من لـه من مـنقـبـات العـلا وفي الـبرايـا نـسـب مـعـرق
مـسـني الضرر ومـا لي سـوى جـاهـك أسـبـاب بهـا أعـلق
كـن لي مجـيـراً مـن زمـان بـه قـوارع أسـهـمـهـا تـرشـق
واسـأل لي الـرحمـن روحـاً إذا ضـم عـظامـي بـرزخ ضـيـق

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

يـا مـن خـصـائـصـه لم يـؤتهـا أحـد وفـيـه مـا في الـكـرام الـزهـر مفـترق
يـا من إذا نـالـني ضـيـم وضـقـت بـه ذرعـاً فـقـلـبـي بـه في كـشـفـه يـثـق
لم يبق ذا الـوقت من قـلـبي سـوى رمق فـامـنـن عـليّ بمـا يحـيـا بـه الـرمـق
فـإنـني في زمـان أهـلـه شـيـع ود الـتـقـي بـه لـو ضـمـه نـفـق
فـلا تـذرني نهبـاً لـلخـطوب بـه فـإنـي بـك بـعـد الله أعـتـلق

وقال عبد العزيز بن علي الغرناطي:

يـا سـيـد الأرسـال غـير مـدافـع وأجـلهـم سـبـقـاً وإن هـم أعـنـقـوا
بـالـفـقـر جئـتـك مـوئـلي لا بـالـغنى فـالـذل والإذعـان عـنـدك يـنـفـق
فـاجـبر كـسـير جـرائـر وجـرائـم فـالـقـلب مـن عـظم الخـطايـا يقـلق
أرجـوك يـا غـوث الأنـام فـلا تـدع بـاب الـرضـا دوني يـسـد ويـغـلق
حـاشـاك تـطرد مـن أتـاك مـؤمـلا فـأنـت لي مـني أحـن وأرفـق
ومحـبـتي تـقـضي بـأنـك مـنـقـذي ممـا أخـاف فـما بـغـيرك أعـلق
فـعـلـيـك يـا أسـنى الـوجـود تحـيـة من طيب نفـحتهـا الـبسـيـطة تـعـبق

وقال عبد الحليم جلبي الدمشقي الشهير باللوجي:

أكـرم الـرسـل والـورى جـد لـعـبـد ضره مـن ذنـوبـه الإشـفـاق
قـد غـدا مـثريـاً مـن الـذنب لـكـن حـالـه في طـاعـاتـه الإمـلاق
أسرتـه أيـدي الهـوى فـعـسـاه بـك يـغـدو لـرقـه إعـتـاق
قـد رجـونـا عـظـيـم جـاهـك في نيـل الـرضـا يـوم تشخص الأحـداق
فـتـشـفـع لـنـا بـكـشـف خـطوب أوهـنـت صـبرنـا وضـاق الـنطاق
أنـت أدرى بـالحـال أنـعـم بمـا فـيـه صـلاح الـشـؤون ثـم الـوفـاق
فـصـلاة الإلـه تـترى عـلى مـثـواك مـا عـن لـلصـبـاح انـفـلاق

قافية الكاف

وقال الإمام كمال الدين بن الزملكاني الشافعي المتوفى سنة ٧٢٧، وهو معاصر لابن تيمية، وألف كتاباً في الرد عليه في مسألة الزيارة والاستغاثة:

يا صاحب الجاه عند الله خالقه ... ما رد جاهك إلا كل أفاك
أنت الوجيه على رغم العدا أبدا ... أنت الشفيع لفتاك ونساك
يا فرقة الزيغ لا لقيت صالحة ... ولا شفي الله يوماً قلب مرضاك
ولا حظيت بجاه المصطفى أبدا ... ومن أعانك في الدنيا ووالاك
يا أفضل الرسل يا مولى الأنام ويا ... خير الخلائق من إنس وأملاك
ها قد قصدتك أشكو بعض ما صنعت ... بي الذنوب وهذا ملجأ الشاكي
قد قيدتني ذنوب عن بلوغ مدى ... قصدي إلى الفوز منها فهي أشراكي
فاستغفر الله لي واسأله عصمته ... فيما بقي وغنى من غير إمساك
عليك من ربك الصلاة كما ... منا عليك السلام الطيب الزاكي

قافية اللام

قال جمال الدين بن نباتة المصري:

يا خاتم الرسل لي في المذنبين غداً ... على شفاعتك الغراء تعويل
وأنت أكرم من طاف الرجا وسعى ... إلى حماه فكان القصد والسول
صلى عليك الذي أعطاك منزلة ... شفيعها في مقام الحشر مقبول
أنت الملاذ لنا دنيا وآخرة ... فباب قصدك في الدارين مقبول

وقال الشيخ القلقشندي المصري ولعله شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي الشافعي المتوفى سنة ٨٢١:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... أنت المراد وأنت القصد والسول
أنت الذي لم يخف في الناس قاصده ... وليس عندك تسويف وتسويل
قصدت جاهك لا أرجو سواك ولي ... في باب عزك ترديد وتطفيل
أنفقت عمري في لهو وفي لعب ... وليس لي غير هذا الجاه تحصيل
وليس لي عمل أرجو النجاة به ... والعفو عند رسول الله مأمول
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... فإنه لجميع الخلق مبذول

وقال القاضي محمد بهاء الدين الباعوني الدمشقي:

يا رب إني من الزلات في وجل ... وإنني في حبال الذنب محبول
يا رب بالمصطفى جد لي بنيل مني ... من المتاعب عسى أن يحصل السول

فإنه عند مولانا وسيلتنا ... لنا به في خطوب الدهر توسيل

وقال العارف بالله الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا وليست في المجموعة:

يا رحمة الله في الدارين كنز غني ... له من الله إكرام وتبجيل
يا خير من يمم العافون ساحته ... فعمهم بندى ما فيه تقليل
يا خير مولى عن الجاني المسيء عفا ... وطاب من طيبه العرب البهاليل
يا أكرم الخلق يا من جود راحته ... عمّ الأنام فما سيحون والنيل
عطفاً رسول الرضا للعبد مكرمة ... وامنن بقرب فما للعبد تمهيل
مأثم للعبد ملجأ غير سيده ... وما له في سوى علياك تأميل
أنت العياذ الملاذ المستجار به ... فليس إلا إليك الأمر موكول

وقد تقدم جملة أبيات في هذا الشأن من قصيدتي «سعادة المعاد في معارضة بانت سعادة ذكرتها في مقدمة هذا الكتاب لمناسبة اقتضت ذلك هناك:

وقال الإمام الأبوصيري:

وإذا تعسرت الأمور فإنني ... راج لها بمحمد تسهيلا
يا رب هبنا للنبي وهب لنا ... ما سوّلته نفوسنا تسويلا
واستر علينا ما علمت فلم يطق ... منا امرؤ بخطيئة تخجيلا
واعطف على البشر الضعيف إذا رأى ... هول المعاد فأظهر التهويلا
لتنال من ظمأ القيامة نفسه ... ريا ومن حر السعير مقيلا
فاجعل لنا اللهم جاه محمد ... فرطاً تبلغنا به المأمولا
واصرف به عنا عذاب جهنم ... كرماً وكف ضرامها المشعولا
واجعل صلاتك ديمة منهلة ... لم تلف دون ضريحه تهليلا

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زكريا الشقراطيسي المغربي المتوفى سنة ٤٩٦ﻫ:

يا صفوة الله قد واصلت فيك صفا ... صفو الوداد بلا شوب ولا دخل
ألست أكرم من يمشي على قدم ... من البرية فوق السهل والجبل
وأزلف الخلق عند الله منزلة ... إذ قيل في مشهد الإشهاد والرسل
قم يا محمد فاشفع في العباد وقل ... يسمع وسل تعط واشفع عائداً وسل

وقال الإمام البرعي:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن السهل والجبل
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه الهدى والندى والعلم والعمل
أنت الحبيب الذي ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما ضاقت الحيل
نرجو شفاعتك العظمى لمذنبنا ... بجاه وجهك عنا يغفر الزلل

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... في كل حادثة مالي بها قبل

وقال الإمام الصرصري:

فيا خير من حنت إليه نجيبة ... ويمم مغناه نجيب وأرقلا
وأمنع من آوى طريداً مشرداً ... وأكرم من أعطى العفاة فأجزلا
مدحتك أبغي جاهك الأعظم الذي ... سيظفر من أضحى به متوسلا
فكن لي جاراً في حياتي ومسعدا ... على فتن تلفي الحليم مزلزلا
لئن كنت من نفسي وسوء اجترامها ... أروح وأغدو بالجرائم مثقلا
فما أملي من حسن عفوك آيس ... وما خاب ذو قصد رجاك وأملا
عليك سلام الله يبقى على المدى ... بقاء نعيم الخلد لن يتزيلا

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

يا حبيب الرحمن أنت المرجى ... والوجيه المشفع المأمول
قد قصدناك في حوائج فاسأل ... ربك اليسر فهو نعم الوكيل

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

يا رسول الله يا من مدحه ... في القوافي أقوم الألفاظ قيلا
مسني ضرّ عناه ثابت ... من ذنوب غادرت قلبي كليلا
أنا منها تائب مستغفر ... فاسأل الرحمن لي صبراً جميلا

وقال الشهاب محمود الحلبي:

هل ترى أسمع الحداة تناديـ ... ـني سحيرا بشراك هذا النخيل
أي شيء بقيت تأمل هذي ... طيبة قد بدت وهذا الرسول
هذه روضة الجنان وهذا ... حرم لا يضام فيه النزيل
فتأمل وابلغ مرامك والقصـ ... ـد فما بعد رامة مأمول
وتشفع به فجاه مزايا ... ه عظيم عند الجليل جليل
كل ذنب يخف إن راح والعبـ ... ـء به فوق جاهه محمول
أنا أرجو غداً وما لي رجاء ... بعد ربي بغيره موصول
حاش لله أن يخيب رجاء ... لامرىء والشفيع فيه الرسول
فعليه الصلاة ما كان للزهـ ... ـر طلوع في أفقها وأفول

وقال الشهاب محمود أيضاً:

يا رسول الإله جئتك حباً ... لك والشوق لي إليك رسول
هل لصب سطا عليه هجير الـ ... ـهجر في هذه الظلال مقيل
أنا ما لي ذخر سوى جاهك الضا ... في وظني في الفوز ظن جميل

أنت ذخري دنيا وأخرى وقربي ... منك سؤلي هناك والمأمول
كيف أظمى وثم كوثرك العذ ... ب وأضحى وأنت ظلي الظليل
فعليك الصلاة ما لاح برق ... وتلا ساري السحاب الهطول

وقال الشهاب محمود أيضاً:

يا خاتم الرسل الكرا ... م ومبدأ الفضل الجزيل
هل لي إلى ذاك الجنا ... ب وساكنيه من سبيل
يا رب فاجعل حبه ... زادي إلى دار الحلول
فلقد عقدت بجاهه ... الأهداب من ظني الجميل
ورجوت منه شفاعة ... إذ خانني عملي وقيلي
صلى عليه الله ما ... بدت الفروع من الأصول
وسرى إليه الركب يجـ ... ـتاب الحزون مع السهول

وقال الشهاب محمود أيضاً:

بجاه النبي المصطفى أتوسل ... فما لي سواه في الملمات موئل
ومن ذا الذي أرجو لإدراك بغية ... إليها به دون الورى أتوصل
إذا نابني أمر ألم فليس لي ... على غيره من ذا الأنام معول
إذا قيل هذا يرتجي فضل جاهه ... فجاه رسول الله أعلى وأفضل
ومن ذا الذي في الحشر والرسل قد جثت ... من الخوف يرجى غيره ويؤمل
إذا ذل بالآمال غيري فإنني ... لغير رسول الله لا أتذلل
ومالي وقد كرمت وجهي بتربه ... أبدله بالذل أو أتبذل

وقال الشهاب محمود أيضاً:

يا من وقفت بباب مسجده وقد ... قطعت إلا من نداه وسائلي
سل من يجيب بلطفه المضطر في ... أمري فأنت لديه أكرم سائل

وقال سيدي بحر الصفا محمد وفا الشاذلي المصري المتوفى سنة ٧٦٠:

إليك رسول الله أقبلت تائباً ... بجاهك أرجو أن توبي يقبل
أتى لك يا ذا الطول عبد مقصر ... عساك على تقصيره تتطول
حبيبي شفيعي أنت لله شافعي ... بمقدارك السامي له أتوسل
عليك صلاة الله منه تواصلت ... صلاة اتصال عنك لا تتنصل

وقال أبو عبد الله محمد الشراف الأندلسي:

يا سيد الكونين فضلاً به ... قد ساد في الأولى ويوم المآل
يا سيد الرسل اصطفاء ويا ... خاتمهم جمعاً لمعنى الكمال

يا ملجأ الخلق ومنجاهم إذا بهم ضاق انفساح المجال
يا من به نال المحب الرضا ويا شفيعاً في الذنوب الثقال
رحماك فينا يا نبي الهدى فلم تزل رحماك ذات انهمال
رحماك في أوطاننا راعها من لحظك الأحمى بعين ابتهال
رحماك في سلطاننا وآله من نصرك الأنضى بأرضي نوال
رحماك في غربتنا كن لها أنساً فإن العهد بالأنس طال
رحماك في كربتنا حلها منك يسراً فهي رهن اعتقال
رحماك في عيلتنا أغنها إنا على رفدك طراً عيال
رحماك في قلتنا زكها زكاة تكثير بحال ومال
صالت علينا بالوفور العدى وهل على راجيك غوثاً يصال
طالت بعدو واعتداد معاً وما على ذاك الحمى يستطال
خالت بأنا لا غياث لنا حاشا غياث الخلق مما يخال
وبالغني اختالت وما إن لنا في غير أفياء غناك اختيال
فأنت للخلق ملاذ الورى والوزر الأحمى لدى ذي الجلال
صلى عليك الله نور الهدى أزكى صلاة قورنت باتصال

وقال ابن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠ المدفون في البيرة من أعمال حلب:

فيا خير خلق الله جاهك ملجئي وحبك ذخري في الحساب وموئلي
وكيف لقصدي أن يخيب وإنني بمدحك لله العظيم توسلي
مدحتك حاشا أن تخيب مدائحي فأنت الذي إن يسأل الخير يبذل
عسى لحظة من حسن جاهك ينقضي بها أملي يا من عليه معولي
ففي النفس حاجات إذا ما لحظتني ستبلغني منهن كل مؤمل
عسى أن يخف العفو ظهري للسرى فكيف نهوضي حيث ذنبي مثقلي
سأنجو بما أرجو من الكرم الذي شملت به في الناس كل مؤمل
وما أنت إلا رحمة عمت الورى ونور مبين قد جلا كل مجهل
عليك صلاة يشمل الآن عرفها وأصحابك الأخيار أهل التفضل

وقال شمس الدين النواجي:

يا خير من شرف الله الوجود به وخصه بعظيم الذكر في الأزل
كن لي مجيراً إذا ما شب جمر لظى والناس من طول يوم العرض في وجل
واشفع حنانيك في فصل القضاء إذا عم البلاء وقلت في الورى حيلي
بحيث لا والد يغني ولا ولد ولا شفيع سوى المختار يشفع لي
مددت كف افتقاري أستغيث بمن على شفاعته الغراء متكلي
فاقبل دعائي وكفر بامتداحي ما فرطت في نظم أيام الصبا الأول

عليك أزكى صلاة والسلام من ... الله المهيمن في الإبكار والأصل

وقال سيدي محمد البكري الكبير:

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كلّ من يعقل
فلذ به في كل ما ترتجي ... فإنه المقصد والمأمل
وعذبه من كل ما تختشي ... فإنه الملجأ والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده ... فهو شفيع دائماً يقبل
وناده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه ... ويا خير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة ... فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذي خصك بين الورى ... برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي أشتكي ... وإن توقفت فمن أسأل
ولن ترى أعجز مني فما ... لشدة أقوى ولا أحمل
وحيلتي ضاقت وصبري انقضى ... ولست أدري ما الذي أفعل
وأنت باب الله أي امرىء ... أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت ... زهر الروابي نسمة شمأل
والآل والأصحاب ما غردت ... ساجعة - أملودها مخضل
مسلماً ما فاح نشر الصبا ... فضاع منه الند والمندل

وقال المحبي في «خلاصة الأثر»: في ترجمة الإمام الشيخ أحمد اللقاني. قال في شرحه على الجوهرة: ليس للشدائد والغموم مما جربه المغتمون مثل التوسل به ﷺ ومما جرب في ذلك قصيدتي الملقبة: بكشف الكروب بملاحاة الحبيب والتوسل بالمحبوب التي أنشأتها بإشارة وردت على لسان الخاطر الرحماني عند نزول بعض الملمات فانكشفت بإذن خالق الأرض والسموات وكاشف المهمات لا إله غيره ولا خير إلا خيره، نقلتها من سعادة الدارين وليست في المجموعة وهي:

يا أكرم الخلق قد ضاقت بي السبل ... ودق عظمي وغابت عني الحيل
ولم أجد من عزيز أستجير به ... سوى رحيم به تستشفع الرسل
مشمر الساق يحمي من يلوذ به ... يوم البلاء إذا ما لم يكن بلل
غوث المحاويج إن حل ألمّ بهم ... كهف الضعاف إذا ما عمها الوجل
مؤمل البائس المتروك نصرته ... مكرم حين يعلو سره الخجل
كنز الفقير وعز الجود من خضعت ... له الملوك ومن تحبو به الملل
من لليتامى ثمال يوم أزمتهم ... وللأرامل ستر سابغ خضل

ليث الكتائب يوم الحرب إن حميت ... وطيسها واستحد البيض والأسل
من ترتجى في مقام الهول نصرته ... ومن به تكشف الغماء والعلل
محمد بن عبد الله ملجؤنا ... يوم التنادي إذا ما عمنا الوهل
الفاتح الخاتم الميمون طائره ... بحر العطاء وكنز نفعه شمل
الله أكبر جاء النصر وانكشفت ... عنا الغموم وولى الضيق والمحل
بعزمة من رسول الله صادقة ... وهمة يمتطيها الحازم الباطل
أغث أغث سيد الكونين قد نزلت ... بنا الرزايا وغاب الخل والأخل
ولاح شيبي وولى العمر منهزماً ... بعسكر الذنب لا يلوي به عجل
كن للمعنى مغيثاً عند وحدته ... وكن شفيعاً له إن زلت النعل
فجملة القول أني مذنب وجل ... وأنت غوث لمن ضاقت به السبل
صلى عليك إلهي دائماً أبداً ... ما إن تعاقبت الضحواء والأصل

وآلك الغر والصحب الكرام ذوي الفضل الجلي والسلام والطيب الحفل وقال الشهاب أحمد المقري صاحب «نفح الطيب» المتوفى سنة ١٠٤١ :

إليك أفر من زللي ... فرار الخائف الوجل
وكان مزار قبرك بالمـ ... ـدينة منتهى أملي
فوفى الله ما طمحت ... له نفسي بلا خلل
فخذ بيدي غريق في ... بحار القول والعمل
وهب لي منك عارفة ... تعرف ما تنكر لي
وتهديني إلى رشدي ... وتمنعني من الزلل
وتحملني على سنن ... يؤملني من الوجل
فأنت دليل من عميت ... عليه مسالك السبل
وإنك شافع بر ... وموئلنا من الوهل
وإنك خير مبتعث ... وإنك خاتم الرسل
فيا أزكى الورى شرفاً ... وشافيهم من العلل
ويا أندى الأنام يدا ... وأكرم ناصر وولي
نداء مقصر وجل ... بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمدي ... فأنقذني من الدخل
وألحقني بجنات ... لدى درجاتها الأول
بصديق وفاروق ... وعثمان الرضى وعلي
فأنت ملاذ معتصم ... وأنت عماد متكل
عليك صلاة ربك جلـ ... ـل في الغدوات والأصل

وقال الشيخ عبد الرحيم الشعراني المتوفى سنة ١٠٤٨ :

يا سيد الرسل ومن جوده لكل خلق الله مسترسل
أنت الذي خصك ربي بما لم يحصه المزبر والمقول
وإنني عبدك من جرمه لفكر ذي اللب غدا يذهل
قد جئت أبغي توبة ينمحي عني بها الوزر الذي يثقل
والستر في ديني وأهلي ومن يحويه بيتي أو به ينزل
فأنت باب الله أي امرىء أتاه من غيرك لا يدخل

وقال الشيخ محمد سعد العمر الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٧ :

فعالى وإن ساءت ظنوني جميلة بمن هو في فعل الجميل جميل
وكيف وعندي للنبي علاقة تحدثني أن المحب دخيل

وقال الشيخ عبد الرحمن البهلول الدمشقي المتوفى سنة ١١٦٣ :

ألا يا أجلّ الخلق مرحمة ويا أتم الورى حسناً وأعظمهم صله
ويا من عليه الحق بالحق أنزل الكتاب ومن فيض الكمالات أنهله
ويا من تلوذ الكائنات بجاهه لكشف ملمات وإيضاح مشكله
أقلني مما فيه أمسيت واهناً ونفسي بقيد الكرب أمست مكبله
وعجل بكشف الضر عمن لك التجا لأن الضنا قد هاض ظهري وأثقله
فإنك عند الجود يا خير مرسل لأسرع من ريح الصبا وهي مرسله
عليك أفاض الله أسنى تحية وأزكى صلاة بالسلام مكمله
وآلك والأصحاب ما دام قاصد حماك لأمر ما فحققت مأمله

وقال الشهاب أحمد المنيني الدمشقي المتوفى سنة ١١٧٢ :

لذ بجاه الذي أجار الغزاله وله بالبهاء تعنو الغزاله
لا ترد غير منهل من حماه فأياديه بالندى هطاله

وقال السيد مصطفى العلواني نزيل دمشق المتوفى سنة ١١٩٣ :

يا نبياً جاء يرشدنا للهدى إذا أوضح السبلا
يا رسولا مدحه أبدا هو أولى ما به اشتغلا
يا كريماً لم يجب أحداً سأل الإحسان قط بلا
يا منيلا بره أبدا لمن استجدى ومن سألا
قد مددت الكف ملتمساً منك معروفاً ومبتهلا
فأجرني آخذاً بيدي وقل المرجو قد حصلا
وصلاة الله واصلة لك ما غيث السما انهملا

وقال الشيخ محمد بن فرج السبتي المغربي :

أخير رسول جاء للحق هادياً ... وقد درست سبل النجاة فلا سبل
وقفت بباب الجود ذي الكرم الذي ... غمامته وطفا وعارضه وبل
ولي حاجة عنت إليك قضاؤها ... عليك بفضل الله يا سيدي سهل
زيارة أرض طيب الله تربها ... فما المسك مفضوض الختام لها شكل
هي البلدة الغرّاء طيبة التي ... بها ديم الرحمى مدى الدهر تنهل
فمن حل مثوى أنت فيه مخيم ... ويا طيب أقوام بطيبة قد حلوا
يكن آمناً من كل حزن وخيفة ... ويعظم له أجر ويكرم له نزل
فما داخل عندنا يخاف من الردى ... وتشهد آيات الكتاب الذي نتلو
ولا فرق ما بين الجنان وبينها ... لدى من له عقل من الناس أو نقل
فصلى عليك الله ما هبت الصبا ... وما كان للمزن التي أعصرت هطل

وقال الشيخ فتح الله البيلوني الحلبي :

يا رسول الله إني واثق ... بك لا أبغي بحال حولا
غير خاف عنك ما أخشى ... أرتجيه فأنلني الأملا
ثم كن لي يوم حشري بالذي ... يوجب الفوز وينفي الوجلا
يا ملاذي يا عياذي كم عني ... زال عني بك فوراً وانجلى
فعليك الله صلى وعلى الآ ... ل والصحب الهداة النبلا

وقال أبو السرور بن نور الدين الشعراوي المصري معاصر الشهاب المقري :

يا ضياء الوجود يا مظهر النو ... ر اقتباساً من نور ذاتك أسأل
يا مجلي الظلماء من كل كرب ... ليس إلا على سناك المعول
يا رسول الإله يا من يرجى ... وينادي عند الكروب ويسأل
أنت باب الإله أي مريد ... يرتجي دخول بابك يقبل
سيد الرسل إنني في عناء ... ليس يخفى عليك بل ليس يجهل
أدرك أدرك يا ملجئي وأغثني ... واكشف الكرب سيدي وتفضل

وقال الشيخ محمد الجمالي الحلبي رحمه الله تعالى، وليست في المجموعة :

إليك رسول الله قد جئت أرتجي ... رضاك ومن ذخار جودك أستملي
فمنّ على ضعف الجمالي رحمة ... بنظرة عطف تبدل الحزن بالسهل

وقال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه :

أيا خير الأنام بكل خير ... وخير خيارهم نسبا ونسلا
إذا جار الزمان على أناس ... أتوك فعاد ذاك الجور عدلا
وإن بخل الغمام بطل غيث ... همت يمناك للعافين وبلا

لقد فقت الورى في كل وصف جميل وانفردت علا وعقلا
فلم يخلق لك الرحمن شبهاً ولم يخلق لك الرحمن مثلا
ولست بحاجة للمدح لكن لنا حاج وليس سواك مولى
ولم تنفك للرحمن سيفاً وقد يستحسن السيف المحلى
ومهما كنت أنت فأنت عبد وعز الله مولانا وجلا

وقال جامعه الفقير يوسف النبهاني أيضاً:

فما كان بين الخلق مثل لأحمد وليس له فيمن يكون مثيل
وكل صنوف الفضل في كل فاضل بنسبة فضل قد حواه قليل
يحيل عليه المرسلون بحشرهم وليس على غير الإله يحيل
فيحمل أثقال الخلائق وحده لدى ربه إن الكريم حمول

قافية الميم

قال الإمام الأبوصيري:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال ابن عتوق المتوفى سنة ١٠٨٧:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فقد تحملت عبئاً فيه لم أقم
أستغفر الله مما قد جنيت على نفسي ويا خجلي منه ويا ندمي
إن لم تكن لي شفيعاً في المعاد فمن يجيرني من عذاب الله والنقم
مولاي دعوة محتاج لنصرتكم يشكو إليكم أذى الأيام والأزم
إني أعوذ بكم دنيا وآخرة مما يسوء وما يفضي إلى التهم
تبلى عظامي وفيها من مودتكم هوى مقيم وشوق غير منصرم
ما مر ذكركم إلا وألزمني نثر الدموع ونظم الدمع في كلمي
عليكم صلوات الله ما سكرت أرواح أهل التقى في راح ذكرهم

وقال الإمام الصرصري:

يا من لآدم بان سابق فضله وسما به في الحشر إبراهيمه
يا من له الحوض الروي وشفاعة ينجو بها دنس الإهاب أثيمه
وصلتك من رب السماء صلاته وأتاك منه على المدى تسليمه
من يستجير بفضل جاهك لائذاً فمن الذي في العالمين يضيمه
فأجر مروعاً من خطوب كيدها يعيي به في ذا الزمان حليمه

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

يا سراجا للمهتدين منيرا … منقذاً من عبادة الأصنام
دينك الحق ناسخ كل دين … ما بدا الصبح عاقباً للظلام
ويريد الكفار محو سناه … دون ما حاولوه حد الحسام
فأعنا عليهم وأغثنا … غوث نصر على الطغاة اللئام
سل لنا الله ذا المعارج نصراً … دائراً فيهم بكأس الحمام
قل إلهي ثبت قلوب رجال … عن حريم الإسلام أضحت تحامي
واقذف الرعب في قلوب عداهم … وارمهم بالشتات بعد التئام
زادك الله ألف ألف صلاة … تتوالى وألف ألف سلام

وقال الإمام الصرصري أيضاً:

يا نبي الهدى عليك السلام … كلما عاقب الضياء الظلام
زادك الله رفعة وجلالا … وبهاء وعزة لا ترام
قد قطعنا إليك فجاً عميقاً … بقلوب بها إليك أوام
تطلب الفضل منك يا خير هاد … فلديك الإحسان والإنعام
منك بذل الندى وحسن قرى … الضيف ومن وجودك استفاد الكرام
أنت بالبشر والسماح مليء … ولنا بالسرى إليك ذمام
أنت نعم الشفيع في الموقف الأكـ … ـبر إن طال بالأنام المقام
فجدير أن لا يخيب لديك الـ … ـيوم راج شعاره الإسلام
إن يكن عاقنا القضاء وطالت … بالمطايا عن قصدك الأيام
فلنا جيئة إليك ومنا … كل وقت يهدي إليك سلام
فأجرنا من الخطوب. فمن … كنت من الخطب جاره لا يضام
قد أتيناك بعد نأي طويل … فتجلت عنا بك الآثام
فاسأل الله ذا الجلال لوفد … ما ثناهم عن قصدك اللوام
منعة تدفع العدو وأن تسلم … مما ينوبها الأنعام
فتمام الندى على مكرم الوا … فد ظهر يقله والسلام

وقال الشهاب أحمد بن أبي القاسم الخلوف التونسي القيرواني المشهور بذي الصناعتين:

ويا رب كن عوني إذا دعي الورى … فإما إلى المأوى وإما جهنما
ويا رب سامح واستجب وتولني … برحمتك العليا ووفق وسلما
سألتك بالهادي أجب دعوتي وجد … بما أرتجي يا مالك الأرض والسما
وصل على المختار والصحب كلما … رأى البرق تعبيس الدجى فتبسما

وقال الشهاب أحمد بن خلوف أيضاً، وليست في المجموعة:

ترى قبيل مماتي وانقضا أجلي … أحط رحلي بظل البان والعلم
وأورد القلب من زرقائها نطفا … يطفي بها بعض ما في القلب من ضرم
نعم وأسعى على رأسي إلى حرم … تفدي جميع البرايا ساكن الحرم
بدر تحجب في فيحاء حجرته … ونوره ببلاد العرب والعجم
نذر عليّ لئن عاينت حجرته … لأسمحنّ بروحي غير محتشم
أقول من فرحي عند اللقا فرحا … قد زال عني الشقا يا سيد الأمم
روحي ومالي وجسمي كله هبة … خذهم إليك وفرقهم على الخدم
والله والله مالي عنك من عوض … وليس لي غرض في الخلق كلهم
شربت منك شراب الحب صافية … في المهد كيف سلوى عنك في الهرم
هذا وإن احتياجي من جنابك يا … من حبه منقذي من زلة القدم
يا صاحب الجاه عند الله خذ بيدي … حاشاك تترك أهل الحب في عدم

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله، وليست في المجموعة:

يا أكرم الرسل، يا من في إشارته … حوز المنى وبلوغ القصد من أمم
ومن غدا في الورى توشيح ملته … يزهو على الزاهرين الروض والنجم
تعطفاً لمحب فيك ليس له … تعطف عنك معدود من الخدم
يا صاحب العلم الهادي لقاصده … حسن البيان أجرني في حمى العلم
فمطلبي أنت أولى في النجاح له … وأنت أدرى به يا مسبغ النعم
من كان فيها عرى تجريد مقصده … له رأي منه حبلاً غير منفصم
ومن يلذ بحماه وهو ملجؤنا … فلا اعتراض بما يخشاه من نقم
عليه منا صلاة مالها عدد … تفصيل مجملها يربو على الديم

وقال ابن مليك الحموي:

فيا سيد الرسل الكرام ومن غدا … عليه لواء الحمد بالنصر يرقم
أجرني أجرني قد أتيتك راجياً … وما خاب من فيك الرجا يتوسم
وحاشا كريم القوم يمنع سائلاً … إلى بابه قد جاء يسعى ويخدم
ومن عادة السادات أن نزيلهم … يصان ويرعى في حماهم ويكرم
عسى من لظى أنجو بجاهك في غد … وأحشر في قوم أنابوا وأسلموا
ترى هل ترى عيني معالم طيبة … وعرف الصبا من طيبها يتنسم
وأشرع في باب الصلاة مصلياً … عليه ومن باب السلام أسلم
وألصق بالأعتاب خدي وأرضها … أقبل إجلالاً ثراها وألثم
عليك صلاة الله ثم سلامه … سلام به عقد المديح ينظم
وآلك والصحب الذين حديثهم … به يبدأ الذكر الجميل ويختم

وقالت عائشة الباعونية رحمها الله تعالى، وليست في المجموعة:

يا خاتم الرسل يا ذخر الكرام ويا ... رب الوجاهة في بدء ومختتم
يا شافعي في العطا من كل مرتغب ... يا وصلتي للمنى من كل مغتنم
يا مسعفي بالأماني من مكارمه ... ومن مراحمه بالأمن من نقم
في باب حضرتك العليا جويرية ... ترجو وفاك فجد يا معدن الكرم
فحالتي عنك لا تخفى ولي أمل ... لا يبتغي حولاً عن جودك العمم
مضى الزمان وفكري في عسى ومتى ... مقسم أترجى الوصل من قسمي
والذنب أسقط مقداري وأرخصني ... فقيمتي في الورى من أرخص القيم
وقد أنخت بهذا الباب سائلة ... ما لا أطيق له شرحاً بنطق فمي
حاشا مكارمك الحسنى تضنّ على ... من أحسن الظن فيها غير متهم

وقال الإمام الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة ١١٠٣:

يا رسول الإله إني محب ... بك والله مغرم مستهام
يا رسول الإله شوقي مديد ... وافر والغرام فيك غرام
يا رسول الإله في كلي حين ... لك مني تحية وسلام
يا رسول الإله جئتك أسعى ... أثقلتني الذنوب وهي عظام
يا رسول الإله إني نزيل ... ونزيل الكرام ليس يضام
أنتم مقصدي لفقري ومنكم ... يعرف الجود والوفا والذمام
ولكم حرمة وجاه عظيم ... وكمال ورفعة لا ترام
أنت يا أكرم النبيين بحر ... سبح الكل في نداك وعاموا
كيف لا يرتجى المقصر عفواً ... وله منك حرمة وذمام

وقال العارف النابلسي وليست في المجموعة:

ليت شعري في يقظتي أم منامي ... أنني داخل بباب السلام
وعلى أحمد النبي صلاتي ... وعلى أحمد النبي سلامي
يا سقي الله طيبة من بلاد ... طاب فيها المقام عند المقام
ورعا ثم تربة هي مسك ... وزهور الرياض في الأكمام
والمصلى ومهبط الوحي لما ... نوره لاح مذهباً للظلام
وترى الحجرة الشريفة تزهو ... بالذي قد حوته ذات ابتسام
سرها ظاهر بغير احتجاب ... لقلوب خلت من الأوهام
والذي بالحضور جا يتملى ... من حبيب له بكشف اللثام
ورأى الخير والهدى وأتته ... من رضى الحق نفحة الإلهام
وانجلى قلبه بنور التجلي ... وأزيلت عنه ستور التعامي

هذه حضرة المفضل طه سيد المرسلين خير إمام
ومن الله خصه بمزايا لم تكن في سواه طول الدوام
إذ هو الأصل والجميع فروع وهو ذات والعالمون أسامي
مدحه جاء في الكتاب فماذا قدر ما يقتضي مديح الأنام
كنت أرجو زيارة منه حتى حقق الله بغيتي ومرامي
فتهجمت كل قفراء أرض ملؤها الخوف زائد الإقسام
وحمانا الإله منه بلطف ورعانا بمقتضى الإنعام
فأتيناه والركاب حنايا من وناها فالسابق المترامي
ونعمنا بزورة منه تشفي من جميع الأمراض والأسقام
والتراويح ثم تنعش قلباً طالما ريع من جوى وغرام
وترى الناس في الشبابيك شتى حول طه الرسول والشوق نامي
بين باك وخاشع بجواه يتشكى وقائم باصطلام
والندا في المآذن الخمس يعلو كل وقت بأحسن التهيام
والمصلون في الصفوف قيام يا رعى الله للصفوف القيام
وعليهم دوارق الماء تجلى صافيات تزري بكأس المدام
والقناديل أوقدت وشموع مشرقات في قبضة الخدام
والحمى ممتلي بلطف وأنس وكمال وهيبة واحتشام
وصلاة الإله في كل وقت مع سلام على النبي التهامي
ما هفت نسمة الرياض سحيراً وانثنى الغصن من غناء الحمام

وقال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه:

لطيبة ميثاق عليّ قديم إزا ذكرت يوماً لديّ أهيم
وما ذاك إلا أن فيها محمداً رسول الهدى روح الوجود مقيم
هو الشمس إن في الكون نوره يدوم ونور الشمس ليس يدوم
هو البحر عم الكائنات بفضله بساحله كل الكرام تعوم
هو الدهر عمن الخلق شامل حكمه وما عهده في النائبات ذميم
هو العبد عبد الله سيد خلقه له الكون عبد والزمان خدوم
نبي الهدى يا أعظم الناس نائلاً ومن جوده في العالمين عميم
ومن هو في الدارين خير وسيلة شفيع لدى الرب الكريم كريم
تدارك أغثني في أموري فإنني عرتني هموم مسهن أليم
وما ذكر تفصيلاتها لك لازم فأنت بأسرار الغيوب عليم

قافية النون

قال الإمام البرعي:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني
هبني بجاهك ما قدمت من زلل ... جوداً ورجح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف ما يساورني ... من الخطوب ونفس كل أحزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وإن بعدت داري وأوطاني
وفيك يا بن خليل الله يوم غد ... ألوذ من سوء زلاتي وعصياني
نوالك الجم يطويني وينشرني ... بالمكرمات وعين اللطف ترعاني
وجاه وجهك يحميني ويمنعني ... من بغي ذي حسد أو شامت شاني
لا تعد عيناك عني بالرعاية في ... نفسي وسري ومن في الله والاني
وبعد صلى عليك الله ما اعتنقت ... ريح الصبا عذبات الأثل والبان

وقال أبو عبد الله بن زمرك تلميذ لسان الدين بن الخطيب الأندلسي:

ألا ليت شعري هل تساعدني المنى ... فأترك أهلي في هواه وجيراني
وأقضي لبانات الفؤاد بأن أرى ... أعفر خدي في ثراه وأجفاني
إليك رسول الله دعوة نازح ... خفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب بأقصى الغرب قيد خطوه ... شباب تقضي في مراح وخسران
يجد اشتياقاً للعقيق وبانه ... ويصبو إليه ما استجد الجديدان
وإن أومض البرق الحجازي موهناً ... يردد في الظلماء أنه لهفان
فيا مولى الرحمي ويا مذهب العمى ... ويا منجي الغرقى ويا منقذ العاني
بسطت يد المحتاج يا خير راحم ... وذنبي الجأني إلى موقف الجاني
وسيلتي العظمى شفاعتك التي ... يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
فأنت حبيب الله خاتم رسله ... وأكرم مخصوص بزلفى ورضوان
فصلى عليك الله ما انسكب الحيا ... وما سجعت ورقاء في غصن البان

وقال الإمام عمر بن الوردي، نقلتها من سعادة الدارين وليست في المجموعة:

يا رب بالهادي البشير محمد ... وبدينه العالي على الأديان
ثبت على الإسلام قلبي واهدني ... للحق وانصرني على الشيطان

وقال شمس الدين الصالحي الهلالي الدمشقي شيخ الشهاب الخفاجي:

يا خير نبي له الركائب تزجى ... في السير ترامى بها الوهاد وكثبان
من تحت مشوق حدا نجائب نوق ... في كل شروق وفي الغروب إذا حان
قد جاءك يفري إليك كل فلاة ... قد صاحب وحشاً بها وفارق أوطان
يدعوك غريقاً من الذنوب ببحر ... في يوم حساب ويوم ينصب ميزان
فالعمر تولى وقد أتيتك أسعى ... أرجوك شفيعاً لدى الإله بغفران
أنواع صلاة عليك ثم سلام ... تهمي كغمام من الرواعد هتان

ما دام نظام لذا الوجود بديع إذ كنت كروح له وكان كجثمان

وقال السيد شيخ باعبود العلوي الحسيني المدني:

يا أكرم الخلق وخير الورى وسيد الرسل وجد الحسين
يا وجهتي من حيث وجهي إذا وجهته في كل كيف وأين
وكل أمري أمه خاطري أنت إمامي فيه كشفا وعين
وأنت أنت الباب بل فتحه لديك يا فتاح فافتح لهين
مقصر عاص أتى زائراً مجاوراً يرجو العطايا باليدين
ومنشد بيتاً قديماً لمن وافاك قبلي طالب الحسنيين
فأنت باب الله أي امرىء أتاه من غيرك قد رام مين

وقال الشيخ يوسف بن محمد الحنبلي القدامي، نسبة إلى ابن قدامة إمام الحنابلة:

خليليّ لا والله لم يجد مسعف من الناس إن أقصى الزمان وإن أدنى
سوى مسعف من حضرة عم فضلها وكل فتى عما عدا فضلها استغنى
فتلك لعمري مهبط الوحي والتقى ومنصبها الأعلى ومنزلها الأسنى
فمن لاذ بالمختار أحمد لم يزل عزيزاً وفي الدارين يظفر بالحسنى
أمنا به من كل بؤس ونقمة فكان لنا ذخراً وكان لنا ركنا
وأسعدنا في النشأتين وإنه لمنجدنا عند السؤال إذا متنا

وقال الشيخ عبد العزيز الفشتالي الفاسي المتوفى سنة ١٠٣٠:

أيا خير أهل الأرض بيتاً ومحتداً وأكرم كل الخلق عجم وعربان
إليك بعثناها أماني أجدبت لتسقي بمزن من أياديك هتان
أجرني إذا أبدى الحساب جرائمي وأثقلت الأوزار كفة ميزاني
فأنت الذي لولا وسائل عزه لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك صلاة الله ما حن شيق وما سجعت ورق الحمام على البان

وقال سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي:

يا نبي الهدى إليك التجائي من زمان بما أحاول ضنا
قد دهتني صروفه وبقايا الـ صبر مني مع التجلد أفنى
ضقت ذرعاً وليس لي من معين لا ولا مسعد وأني وأني
لك لا للسوى أدمت خضوعي على يوماً أنال ما أتمنى
يا حبيب القلوب يا خير مولى بحمى دينه الممنع لذنا
يا رفيع الجناب يا من عليه الله في الكتب والصحائف أثنى
كن شفيعي من حر نار تلظت يوم فيه الجبال تصبح عهنا

واحمني في ذراك من هول حشر ... يسكر الناس علني بك أهنا
فمتى من حماك نحظى بقرب ... يا حبيبي ومن جنابك ندني
ليت قبل الممات عبد غني ... منك يوماً لو بالمزار يهنا
فهو ما بين لوعة وغرام ... كلما حانت الزيارة حنا

وقال ابن حبيب الأندلسي، وبها ختم المقري كتابه «نفح الطيب»:

يا خير مبعوث له طلعة ... نور الهدى منها أقرب العيون
جئت إلى ناديك أرجو القرى ... من غيث كفيك المغيث الهتون
كن لي شفيعاً فارتكاب الهوى ... أوقعني بين الشجا والشجون
صلى عليك الله سبحانه ... ما هزت الريح قدود الغصون

وقال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه:

كلما قلت سر قلبي الحزين ... ثار من عسكر الهموم كمين
فكأن السرور في وسط حصن ... حوله من صروف دهري حصون
أيها النفس بالمشفع لوذي ... فسيأتيك منه فتح مبين
أحمد المصطفى محمد المخـ ... ـتار هادي الورى النبي الأمين
خير عبيد الله ساد جميع الخلق ... فضلاً من كان أو من يكون
إن ظني فيه جميل وهذا ... الظن لفظ معناه علم يقين
سيدي يا أبا البتول دهتني ... أي حرب من الخطوب زبون
وذنوبي قد أثقلتني وديني ... بديون لم أقضهن رهين
هذه حالتي ومالي لدى ... الله تعالى سواك ركن متين
فارض عني وكن شفيعي إليه ... كل صعب إذا رضيت يهون

وقلت في موشح ذكرته مع موشحات أخرى في آخر مجموعتي النبهانية:

سيدي يا أيها المولى الملاذ ... يا حبيب الله يا خير رسول
كل جاه في البرايا ذي نفاذ ... فعليه جاهك الضافي يطول
ليس لي غيرك في الخلق معاذ ... ولحالي سيدي شرح يطول
أدرك ادركني فصبري قد عفا ... وغدا ربع الصفا كالدمن
عبدك الدهر بحقي أجحفا ... ونفى عني لذيذ الوسن
ولكم من حاجة في خلدي ... أنت تدريها وما عنك استتار
أنا في الدارين أبغي رشدي ... منك في الدنيا وفي دار القرار
لا تخصني بخير سيدي ... عم أهلي وأحبنا منك الجوار
وأبحنا من حماكم كنفا ... واقياً من شرّ كل الفتن
حسبنا الله إلهاً وكفى ... بك للمحسوب أقوى ركن

وقلت في موشح آخر:

يا أبا الزهراء كن لي مسعداً ... فلقد أوهى زماني جلدي
لست أبغي من سواك المددا ... أنت من بين الورى معتمدي
وعلى ضعفي إذا صال العدا ... جاهك الأعظم أقوى عددي
أنا إن أسلمتني لن أسلما ... فعداتي كل ذنب أطلس
أدرك أدركني ما دام الذما ... م لا تدعني مضغة المفترس
أنا والله ضعيف وفقير ... باحتياج زائد للمدد
أنا والله ذليل وحقير ... إنما عزي أتى من سيدي
ليس لي غيرك في الناس مجير ... أنت بعد الله أقوى سندي
لا تدعني سيدي مهتضما ... ليس عندي من سهام أو قسي
كل من حاربني أو ظلما ... ما وفى حق الجناب الأقدسي
يا عمادي أنت أدرى بالزمان ... ما لأهليه وفاء وعهود
كلما اخترت فتى للصدق مان ... قابلوا المعروف مني بالجحود
ضعف الإيمان فيهم والأمان ... ودهم مذق وجدواهم وعود
ليس يجديني جداهم إنما ... أجتدي من جودك المنبجس
فأجبني وأجرني كرما ... يا ملاذ البائس المبتئس

قافية الهاء

وقال الإمام الصرصري:

ألا يا رسول المليك الذي ... هدانا به الله من كل تيه
سمعت حديثاً من المسندات ... يسرّ فؤاد الفقيه النبيه
ومعناه أنك قلت اطلبوا ... الحوائج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك ... الكريم فجد لي بما أرتجيه
فجاهك جاه عظيم ولم ... يخيب من رجا جاه مولى وجيه

وقال نجم الدين محمد بن سوار الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٧٧:

يا نبي الهدى الذي أدرك الـ ... ـأمة من هديه المنير هداها
يا إماماً يوم القيامة ... والمخصوص منها بحوضها ولواها
يوم كل يقول نفسي لكن ... أنت تكفي نفوسنا ما عناها
كل نفس منا إليك إذا ما ... اشتد في الحشر خوفها ملتجاها
يا شفيع العصاة في يوم لا ... تملك نفس شيئاً لنفس سواها
كن لعبد راجٍ شفاعتك العظمى ... إذا أوبق النفوس خطاها
أنت غوث الورى وغوث البرايا ... والمرجى لكل خطب دهاها

قد تفضلت بالهداية قدماً ... وينجي النفوس من قد هداها
والذي إن أراد إمضاء حاج ... عند ممضي شؤونها أمضاها
حاش لله أن يخيب رجائي ... سوف يلقي إحسانها من رجاها
فعليك الصلاة من خالقي الخلق توالى منه ولا تتناهى

قافية الواو

قال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه:

لعرب النقا أكرم بهم عرباً أهوى ... وما منيتي ميٌّ ولا أربي أروى
فكم من يد عندي لهم أنعموا بها ... وما عندهم منّ ولا عندنا سلوى
فأحبب بهم قوماً وأحبب بطيبة ... حمى فيه للمختار خير الورى مثوى
أعزّ جميع العالمين محمد ... وأكرمهم شمس الهدى ليثه الأقوى
غدت أفضل الأفلاك حين ثوى بها ... وأرفعها قدراً وأكثرها جدوى
به فاقت الدنيا وصارت أعزها ... وأشرفها أرضاً وأشرفها جوّا
هنيئاً لقوم جاوروا خير مرسل ... وكان لهم فيها بأكنافه مأوى
ألا ليت شعري وهي أعظم منية ... متى شقة البيداء ما بيننا تطوى
أشد رحالي كي أرى البدر مشرقاً ... بمطلعه فيها وما ضرّه العوى
وأعجب شيء أنه قد هدى الورى ... وقد أضل في أنواره ذلك الغوا

قافية الياء

وقال الشهاب محمود الحلبي:

إلهي بجاه المصطفى كن لعثرتي ... مقيلاً فقد أوهى خطاي خطائيا
وقد كان خوفي من ذنوبي أنه ... وحاشاي يغدو غالباً لرجائيا
عسى نفحة فيها القبول تردى لي ... عوارفها قلباً عن الرشد لاهيا
وتنجدني قبل الممات بتوبة ... تخفف أثقالاً تركت ورائيا
فإني لم أبرح بجاه محمد ... بحبي له في موقف الحشر راجيا
فما لي سوى عفو الإله وجاهه ... إذا أخذت مني الذنوب النواصيا
ولولا رجائي في شفاعته غدا ... رجوت نجاتي لا عليّ ولا ليا
ولكني لا أكتفي وبجاهه ... تمسكت إلى أن أنال الأمانيا
رجائي فسيح والشفاعة ظلها ... ظليل وعفو الله ذخر أماليا
عليه صلاة الله ما هام شيق ... وما بات جفن المزن في الروض هاميا

ونقل أبو العباس الشرجي الزبيدي في فوائد الاستغاثة الآتية وقال إن لها فضلاً عظيماً وإن

كثيراً من الناس وقع في أمر عظيم ضاق به ذرعه وعدم الحيلة فيه، فلما توسل بهذه الأبيات فرج الله عنه وهي:

وكم لله من لطف خفيّ ... يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر ... وفرّج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحاً ... وتأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فثق بالواحد الفرد العليّ
توسل بالنبي فكل عبد ... يغاث إذا توسل بالنبي

تتمة

وقد رأيت أن أختم هذا الباب بذكر استغاثتين جليلتين لإمامين جليلين: أحدهما العارف بالله سيدي السيد مصطفى البكري. والثاني الإمام الكبير الشهير سيدي الشيخ محمد الأمير الكبير، ولم أذكرهما في قافية اللام وإن كانتا لاميتين اعتناء بشأنهما لما اشتملتا عليه من الاستغاثة بالنبي ﷺ وبعض أكابر أولياء أمته بحيث تصلح كل واحدة منهما أن تكون ورداً مستقلاً، وهما غير موجودتين في المجموعة النبهانية، لأنهما لا يحسبان من المدائح النبوية، ولكنهما من الاستغاثات المرضية، وقد نقلت قصيدة سيدي مصطفى البكري من مجموعة أوراد له ذكر فيها هذه القصيدة الابتهالية، وقصيدة أخرى رائية سماها: «شوارق البارق الختام بالتوسل بالأنبياء من المبدإ إلى الختام» ولكنها طويلة في نحو ثلاثمائة بيت أو أكثر، أولها:

يا رب بالرسل الكرام أولي البشر ... والأنبياء هداة أفراد البشر

وآخرها قوله:

حسن البداءة فيه باب توسل ... أرخه بالرسل الكرام يدا البشر

وهو تاريخ نظمها سنة ١١٥٥ ولطولها لم أذكرها هنا واقتصرت على ذكر هذه اللامية وهي قوله رضي الله عنه:

أدعوه بالسر المصون وآله ... وبعرشه الأعلى بنور جلاله
برفيع ذات قدست وتوحدت ... وبما نراه من بديع فعاله
وبكل أملاك السموات العلى ... وبمن تهيم في عليّ جماله
وببيته المعمور ثم بما حوى ... من زائر أو طائف بظلاله
وبعلم لوح فصلته يد المنى ... من بعد ما قد كان في إجماله
بزبور توراة وإنجيل وفر ... قان سمي التنزيل في إنزاله
وبأنبياء الله ثم برسله ... من خصصوا منا بخير نواله
وبسر أهل العزم منهم سيدي ... خلص فؤادي من ثقيل عقاله
بمحمد المختار أكرم مرسل ... كالقاب بل أدنى دنا وبآله

وبصحبه السادات أرباب التقى … من قد سقوا من سلسبيل زلاله
بصديقه وأمين غيبة سره … ورفيقه في الغار وارث حاله
وكذاك بالفاروق نعم محدثاً … من وافق الذكر الحكيم بقاله
وكذا بذي النورين عثمان التقى … من عنه بايع أحمد بشماله
وبابن عم المصطفى بطل الوغى … من حل كل الفخر في أطلاله
باب المدينة لم يزد كشف الغطا … ء يقينه إذ كان شمس زواله
وبمن هم في عدة النقباء إن … عدوا به من خصهم بكماله
بالتابعين لهم وتابعهم إلى … يوم اللقاء ما اشتاق أهل وصاله
بأبي حنيفة من سما بعلومه … فوق السماك وقد علا بخصاله
وبابن إدريس المكمل في الورى … من لم يكن مر السوى في باله
وبمالك علم المدينة من به … ضاء الوجود وضاع عرف رجاله
وبأحمد المحمود أوحد عصره … فرد المقام فلا يرى كمثاله
وبالأشعري من فاق في توحيده … والماتريدي السني بحاله
وبمسلم ثم البخاري الذي … في الضبط لم ينسج على منواله
وكذاك بالبصري ثم حبيبهم … أيضاً بداود السخيِّ بماله
وبعبدك المعروف في أهل السما … معروف الكرخي وحسن خلاله
وبابن أدهم ثم بابن خفيفهم … وببشر الحافي لخلع نعاله
بفضيل بن عياض ثم بشاه كر … مان كذا بالتستري الواله
بالواسطي بأبي سليمان الذي … قد فاز بالمطلوب من إقباله
وبمن سرى في الكون طيب عبيره الـ … ـبحر السريِّ المرتقى بفعاله
وبقطب دائرة الوجود جنيدهم … من لم يفته الفذ من آماله
أيضاً وبالشبلي أبي بكر الذي … غير المنى ما مر قط بباله
وبسر ممشاد الذي قد شرفت … دينور فيه وقد زهت بكماله
بأبي سعيد ذلك الخراز من … قد فاق أهل القرب في إجلاله
وبكل ما حوت الرسالة من فتى … تتضوع الأكوان من أذياله
وبمن له أذن الحبيب بقوله … قدمي فقال مؤيداً في قاله
مولاي عبد القادر الفرد الذي … عزت مداركه على أمثاله
بأبي اللثامين الهمام المرتضى … سامي الفتوة فاتك بقتاله
كم فك من أسرى بشدة بأسه … ودعا لمولده وقرب ظلاله
بابن الرفاعي الرفيع جلالة … من دمعه قد جاد في أرساله
وبذله قد صار شيخ عواجز … ولقد سقي الظمآن من جريا له
وبرابع الأقطاب إبراهيم من … بالجد سار ولم يمل لملاله
ذاك الدسوقي الإمام المرتقى … أوج العلى بل ذاك من أقباله

وبـتـاج كـل الـعـارفـين أبي الـوفـا زاكي الصفـا السـامي عـلى أشكـالـه
أسـد الأسـود لـدى اصطلا نـار الـوغى من يـسـتـطيـع الـصـبر مـع أشبـالـه
بـالحـاتمـي الخـاتمـي كـنـز الـغـني يـا رب أوصـل حـبـلنـا بـحـبـالـه
بـدر لـدى جـو الـسـماء مـكـمـل وسـواه في الـتـحـقـيـق مثـل هـلالـه
بـالـشـاذلي من اسـتـقـى من أبـحـر عشر وأعـطاه المـنى لـسـؤالـه
وبـسـيـدي المـرسي وارثـه الـذي هـو في حمى الـتـقـريب من أبـطالـه
وبـكـل من سلكـوا طـريـقـتـه كـذا يـاقـوتـه الـعـرشي وارث حـالـه
وبمـن لـنـا غـزل الـرقـيـق فـلم يجـد من نـاسـج فـسـطا عـلى مـغـزالـه
أحـيـا علوم الـديـن كـم أحـيـا بـه مـهـجـاً قـست فـأنـارهـا بـجـمالـه
وبـأهـل هـذا الـوقـت مـن أقـطابـه أبـدالـه نـقـبـائـه ورجـالـه
وبـكـل مـن قـد قـدمـوا وتـقـدمـوا وحـبـاهـم مـولاي مـن أفـضـالـه
وبـكـل من سـكـن الـوجـود وخيـمـوا في بـحـره ورمـالـه وجـبـالـه
وبمـن هـم بـاقـون مـن أهـل الـولا قـوم لـقـد خـصـوا بـوصـف دلالـه
بـنـقـيـبـهـم خضر وكـنـيـتـه أبـو الـ عـبـاس مـن أحـيـا بمـاء وصـالـه
حـي وحـقـك لم يـقـل بـوفـاتـه إلا الـذي لم يـلق نـور جمـالـه
فـعـلـيـه مـني كـلما هـب الـصـبـا أزكـى سـلام طـاب في أرسـالـه
يـا ربـنـا فـبـجـاه مـن ذكـروا هـنـا خـلص فـؤاد الـصـب مـن إعـلالـه
واكشف لـه مـا قـد كـشـفـت لهـم بمـا في الـذكـر خـفـف عـنـه من أثـقـالـه
واطـلق قـيـودي بـالحـبـيـب المجـتـبـى طـه الـبـشـير الهـاشـمـي وآلـه
والـصـحـب من لـلقـلب في حب المنى صقـلوه فـارتـاحـوا الحـسن صـقـالـه
واغفـر لعـبـدك مصـطفى مـا أنشـدت أدعـوه بـالسر المـصـون وآلـه

وقـال شيخنا الشيـخ حسن العدوي المصري في كتـابه «النفحـات الشاذلية شرح الـبردة البوصيرية» وقد نظم شيخ مشايخنا خاتمة المحققين وعمدة أهل التمكين الجامع بين الحقيقة والشريعة العلامة سيدي محمد الأمير الكبير رجال السلسلة متوسلاً بهم إلى الله تعالى ومستغيثاً بهم، فقال:

بـك يـسـتـغـيـث الـعـبـد بـدء سؤالـه يـا واحـداً خـضـع الـورى لجـلالـه
قـلم ولـوح ثـم إسرافـيـل مـع مـيـكـال جـبريـل أمـين مـقـالـه
وبـأصـل كـل الـكـائـنـات وخـيرهـا مـن عـمـهـا طـرا هـدى إرسـالـه
وبـآلـه وبـصـحـبـه لا سـيـما زوج الـبـتـول مـن اعـتـلى بـكـمالـه
وبـسـيط أحمـد نـجـله حـسـن الهـدى مـن أصلح الـفـئـتـين حـسـن فـعـالـه
بـسـمـيـه الـبـصري تـابـعـه الـذي زاح الـضـلالـة والـشـكـوك بـقـالـه
بـحـبـيـب الـعـجـمي بـالـطـائـي دا ود ومـعـروف سرى مجـالـه
بـجـنـيـدهـم شـبـلـيـهـم يـا ربـنـا خـلص عـبـيـدك من قـيـود عـقـالـه

بتنا وربهم المعظم قدره ... مولاي عبد الله قطب رجاله
وبعبد رحمن هو المدني من ... قطع المفاوز فاحتظى بوصاله
وكذاك بابن بشيش الليث الذي ... ربي فأحسن في ربا أشباله
بالشاذلي على أبي الأقطاب من ... نشر الطريقة فاحتمى بظلاله
خاطبته سراً بأنت الشاذلي ... أي من تفرد لي وعز بحاله
بالمغربي وبالقرافي سيدي ... نبه فؤادي من غوى آماله
وكذاك بالبدوي عبنوس الفتى ... راعى النجائب في منابت ضاله
بالعارف الهندي أبي فضل وبالر ... جراجي والهنتان ذي إحلاله
بمحمد أمغار أزموريهم ... ثم الجزولي للدلائل وآله
وبعبدك التباع والغزوان يا ... مولاي أدرك حائراً بكلاله
بالطالب القطب الملاذ محمد ... والقطب عيسى أنقذه من إضلاله
بالأنجري علي وعبد الله مو ... لاي الشريف حليف ذخر مآله
بالواصل القصري ثم بأحمد ... الجوهري من عمنا بنواله
حاوي الشريعة والحقيقة شيخنا ... من ينزل الرحمات ذكر مثاله
وكذا بعمدتنا العفيفي نعم من ... قد أخلص النيات في أعماله
شيخ سما فوق السماك مقامه ... وكذا سما الأتباع من إيصاله
عبداً أراد به الهدى وهدى به ... فوفى ووفى واستقى بحباله
ملأ المدائن والبوادي ذكره ... إذ لم يخب يوم الندى بسؤاله
كم مكرب لعبت به أيامه ... لما نحاه محا رسوم خباله
يا سعد عرج بالمطيّ لرحابه ... متمثلاً يا سعد في أطلاله
والثم ثراه فإنه قد فاز من ... جعل اللثام له كمثل نعاله
واستغنم اللذات في ذاك الحمى ... واجْني ثمار الأنس في أطلاله
واسأل به ما شئت تعط فإنه ... فياض أمداد الندى هطاله
والزم طريقة صحبه كأسيرنا ... وغرينهم ومن اقتدى بفعاله
فبحق أشياخ لنا يا ربنا ... وبأحمد المختار ثم بآله
صلى عليه مسلماً وعليهم ... واسلك بنا جمعاً على منواله
واختم بخير يا كريم وكن لنا ... وارحم ذليلاً ضاق من أثقاله
واصرف بفضلك سيدي عنا الأذى ... قد حارت الألباب من أهواله
يا ربنا يا ربنا يا ربنا ... أنت المجيب لكل داع وآله
فبسر آيات الكتاب وما حوى ... وبما دعاك به الرسول بقاله
فرق جميع المفسدين ونجنا ... من مكرهم وامنعه من إيصاله
واسمح لناظمها بنيل مرامه ... واحفظه من كيد الزمان وحاله
واسمح لقارئها بنيل مرامه ... واحفظه من كيد الزمان وحاله

واسمح لسامعها بنيل مرامه | واحفظه من كيد الزمان وحاله
وأدم صلاتك والسلام مع الرضا | لنبينا وشفيعنا ولآله
ما دامت الأفلاك أوهب الصبا | أو رنم الحادي لشد رحاله
أو تم العبد الأمير محمد | بك يستغيث العبد بدء سؤاله

يقول جامع هذا الكتاب الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: إن الشيخ الأمير الكبير المذكور هو صاحب الثبت المشهور، وقد أجازني بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن كل معقول ومنقول شيخي الإمام العلامة الشيخ إبراهيم السقا المصري عن الشيخ محمد الأمير الصغير عن والده الأمير الكبير المذكور. فهو رضي الله عنه في العلم والطريق من أكابر أجدادي وإسناده فيهما إسنادي. وحيث إن النظم لا يسع التعريف التام بأسماء مشايخ سلسلة الطريقة الشاذلية الذين ذكرهم، فها أنا أعيد أسماءهم نثراً لزيادة الإيضاح ولتحصل زيادة البركة بتكرار أسمائهم الشريفة رضي الله عنهم، فأقول:

قد أجازني بالطريقة الشاذلية في ضمن إجازته العامة شيخنا الشيخ إبراهيم السقا الشافعي المذكور عن شيخه الشيخ محمد الأمير الصغير المالكي عن أبيه الإمام الشهير الشيخ محمد الأمير الكبير عن الإمام العلامة الشيخ أحمد الجوهري الشافعي والعارف بالله الولي الشهير سيدي عبد الوهاب العفيفي المالكي كلاهما عن سيدي عبد الله بن محمد القصري الكنكسي المغربي. وهو أخذ عن القطب الرباني والفرد الصمداني سيدي ومولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف العلمي، أقام في القطبانية نيفا وثلاثين سنة ولم يقبل على الناس إلا بإذن من رسول الله ﷺ، وكان ورده كل يوم خمسة وعشرين ألف. صلاة على النبي ﷺ. وهو أخذ عن سيدي أحمد الأنجري. وهو أخذ عن سيدي أبي مهدي عيسى بن أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي؛ مات شهيداً منذ سبعين ونيف وتسعمائة، ودفن في روضة أبيه بالدعداعة من أعمال القصر بالمغرب. وهو أخذ عن سيدي أبي عبد الله محمد بن علي بن مهدي بن عيسى بن أحمد الهراوي الزمراني المعروف بالطالب، توفي سنة ٩٦٥، ودفن خارج باب القليعة من داخل باب الفتوح من أبواب فاس. وهو أخذ عن أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني نزيل مراكش ودفينها، توفي سنة ٩٣٥. وهو أخذ عن سيدي أبي محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع نزيل مراكش أيضاً ودفينها توفي سنة ٩١٤ وهو أخذ عن سيدي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي، ثم السملالي صاحب دلائل الخيرات. سلك رضي الله تعالى عنه اثنا عشر ألفاً وستمائة وخمسا وستين مريداً. وتوفي بأفوغال من بلاد مطرازة وهو ساجد في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة الصبح يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة الحرام سنة ٨٦٩ ثم نقل إلى مراكش بعد سبعين سنة من موته، ودفن بها، ولما نقل وجد جسمه كيوم وفاته لم تعد عليه الأرض ولم يغير طول الزمان منه شيئاً. وهو رضي الله عنه أخذ عن سيدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله مغار المنيطي، وفي استغاثة الشيخ الأمير أنه يقال له الأزموري. وهو أخذ عن سيدي أبي عثمان سعيد الهرتنائي كذا في عبارة شيخنا العدوي المنقولة عن شيخه الشيخ البهي، وفي نظم الأمير بلفظ الهنتاني فلا أدري هل هما صحيحان أو أحدهما محرف؟ وهو أخذ عن سيدي أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي وأقام بحرم الله عشرين سنة. وهو أخذ عن الشيخ أبي الفضل الهندي. وهو

أخذ عن الشيخ عينوس البدوي راعي الإبل أويسي زمانه. وهو أخذ عن شيخ الإسلام سيدي علي البدر القرافي صاحب الذخيرة. وهو أخذ عن سيدي أبي عبد الله المغربي السائح دفين دمنهور البحيرة. وهو أخذ عن قدوة الصالحين ومجمع طرق المسلكين وخلاصة صفوة العصابة الهاشمية وذروة غرة ثمرة الشجرة النبوية. تاج العارفين، وإمام الواصلين القطب أبي الأقطاب، الذي أطلعه الله على جميع أتباعه وهم في الأصلاب، الفرد الغوث الجامع سيدي أبي الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم الشريف الإدريسي الحسني الفاطمي العلوي صاحب الطريق ومظهر لواء التحقيق ولد رضي الله عنه بالمغرب الأقصى عام ثلاث وتسعين وخمسمائة، وتوفي بصحراء عيذاب وهو قاصد الحج سنة ٦٥٦. وهو أخذ عن أبي محمد سيدي عبد السلام بن بشيش بن منصور بن إبراهيم الحسني الإدريسي توفي شهيداً سنة ٦٢٢. وهو أخذ عن سيدي أبي محمد عبد الرحمن بن الحسين الشريف الحسني العطار المدني نسبة لمدينة الرسول ﷺ الشهير بالزيّات لسكناه بحارة الزياتين. وهو أخذ عن سيدي عبد الله التنايري كذا في عابرة شيخنا العدوي وهو في نظم الشيخ الأمير بلفظ التناوري. وهو أخذ عن الأستاذ أبي بكر الشبلي دلف بن جحدر عن الأستاذ سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد بن محمد القواريري، توفي سنة ٢٧٧. وهو عن الأستاذ خاله أبي الحسن السري السقطي. وهو عن أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي وهو عن أبي سليمان داود بن نصر الطائي. وهو عن سيدي حبيب العجمي. وهو عن السيد الجليل أبي سعيد الحسن البصري لتابعي. وهو عن سيدنا ومولانا أبي تراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه، كذا فيما ذكره شيخنا العدوي عن شيخه البهي. وهو المشهور من أن الحسن البصري أخذ عن سيدنا عليّ بلا واسطة. وفي نظم الشيخ الأمير ذكر سيدنا الحسن بن علي فيفهم منه أن الحسن البصري أخذ عنه.

وهو عن أبيه علي. وهكذا قال بعض العلماء إن البصري لم يدرك علياً والله أعلم. وأخذ سيدنا علي رضي الله عنه عن سيد الكائنات سيدنا ومولانا محمد ﷺ عن سيدنا جبريل عن سيدنا ميكائيل عن سيدنا إسرافيل عن سيدنا عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الجليل جل جلاله وتقدست صفاته وأسماؤه. هذا هو سند السادة العلية من فروع السادة الجزولية. وقد أخذت جميع ذلك من عبارة شيخنا الشيخ حسن العدوي في كتابه «النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية» وهو نقله عن رسالة لشيخه الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية وهو سيدي محمد البهي، ألفها في هذه الطريقة ذكر فيها أنه أخذ عنه الطريقة الشاذلية عن السيد محمد المرتضى الحسيني يعني شارح الإحياء والقاموس،

وعن سيدي الحاج عبد الرحمن النقراشي المريني البحيري. أما السيد مرتضى فأخذها عن الشهاب أحمد الملوي. وأما النقراشي فأخذها عن سيدي عبد الوهاب العفيفي. والعفيفي والملوي أخذاها عن سيدي عبد الله بن محمد القصري الكنكسي إلى آخر السلسلة المتقدم ذكر رجالها. وقد أخذت الطريقة العلية الشاذلية عن سيدي العارف بالله الشيخ محمد الفاسي الشاذلي المقيم بالحرمين الشريفين المتوفى في مكة المشرفة، وكان رضي الله عنه قد حضر إلى مصر سنة ١٢٩٤ أو السنة التي قبلها أو التي بعدها، وكنت إذا ذاك مجاوراً في الجامع الأزهر لطلب العلم وسني دون العشرين فذهبت إليه رضي الله عنه وقبلت يديه وحصلت لي بركته وطلبت منه الطريقة في جملة من طلبها، وكانوا كثيرين من العلماء والطلبة وغيرهم من أهل مصر فأعطاني إياها كما أعطى غيري وسمعت منه

إذ ذاك كرامات ذكرها عن نفسه بقي في ذهني منها أنه رأى جدّته السيدة فاطمة الزهراء يقظة في جوار حجرة النبي ﷺ وأنها كلمته ورحبت به رضي الله عنها وعنه، ثم سافر إلى الحجاز ولم أجتمع به بعد ذلك رحمه الله تعالى ونفعني ببركاته. وهو شيخ الأمير الكبير السيد عبد القادر الجزائري الحسني دفين الشام أحد أكابر الأولياء من ساداتنا أهل البيت الكرام صاحب كتاب «المواقف في المعارف الإلهية والأسرار القرآنية» وقد اطلعت عليه فوجدته من أقوى الأدلة على أن مؤلفه كان من أكابر العارفين وأئمة العلماء العاملين رضي الله عنه وعن أولياء الله أجمعين، ورأيت له فيه قصيدة طويلة رائية مدح فيها شيخه وشيخي الشيخ محمد الفاسي المذكور وذكر فيها من مناقبه وأسراره وكثرة انتفاعه بمعارفه وأنواره ما يدل على جلالة قدر ذلك الشيخ الكبير، وهذا المريد الأمير الذي ليس له نظير. فقد ذكر في كتابه «المواقف» المذكور في الموقف الثالث والثمانين: منها أنها اجتمع بالنبي ﷺ يقظة في خلوته في المدينة المنوّرة، وهذا كما لا يخفى مقام في الولاية عال جداً لا يصل إليه إلا الأفراد من كمل الأولياء وأكابر الأصفياء رضي الله عنهم. وبعد رجوعي من الأزهر قدمت إلى عكا من بلادنا الشامية واجتمعت فيها سنة ١٢٩٠ بالشيخ العارف بالله سيدي الشيخ على نور الدين اليشرطي الحسني وهو أخو سيدي الشيخ محمد الفاسي في الطريق، أخذاها عن سيدي العارف بالله أبي عبد الله محمد بن حمزة ظافر المدني رضي الله عنه فأعطاني بطلبي الطريقة الشاذلية أيضاً واجتمعت به مراراً كثيرة ورأيت منه من اللطف والإقبال نحوي ما لم يره كثير من الناس، حتى إنه كان يجلس قريباً من حلقة درسي في الجامع بعد العصر ويستمع ما ألقيه، ويستمر إلى آخر الدرس فأقوم وأقبل يده ويدعو لي، وقد حصل ذلك منه مراراً كثيرة مع أنه من أعلم العالمين وأعرف العارفين وأكابر أئمة الأولياء الراسخين، ولكنه كان يفعل ذلك تأليفاً لي ونصيحة للمسلمين ليرغبوا في حضور درسي فينتفعوا بذلك، ثم سافرت من عكا، وفي سنة ١٣٠١ رجعت إليها واجتمعت به رضي الله عنه فجدد لي العهد وأعطاني إجازة منه في الطريق مختومة بختمه الشريف، وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلما كانت الطريقة العلية المدنية الشاذلية أقرب الطرق الموصولة إلى معرفة رب البرية، وكان ممن انتظم في هذا السلك الشريف ولدنا الشيخ يوسف النبهاني، فقد أجزته، أن يعطي الطريقة لكل من طلبها وأراد السلوك فيها، وأذنته أيضاً بتشديد أعلامها من قراءة الوظيفة الشريفة وإقامة الحضرة المنيفة وأن يلقن الاسم المعهود المختص في هذه الطريقة العليا لمن وجده أهلاً لها، وأنا فقير إليه سبحانه السيد علي نور الدين بن يشرط الحسيني الحسني، كما أجازني بذلك سيدي وأستاذي قطب زمانه وفريد عصره وأوانه سيد الموصلين لحضرة رب العالمين ووارث أسرار سيد المرسلين الغوث الأعظم والفرد الكامل المكمل المعظم أبو عبد الله محمد بن حمزة ظافر المدني رضي الله عنه آمين. وهو قد أخذ الطريق وسلك مسالك التحقيق على يدي شيخه العارف بالله وبرسوله الشريف

الحسني مولاي أبي أحمد العربي الدرقاوي. وهو عن شيخه الشريف الحسيني مولاي علي العمراني الملقب بالجمل، وهو عن شيخه سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله، وهو عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله، وهو عن سيدي قاسم الخصاص، وهو عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، وهو عن سيدي محمد بن عبد الله الكبير والد سيدي أحمد، وهما عن سيدي يوسف الفاسي، وهو عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، وهو عن شيخه سيدي عل الصنهاجي المشهور بالدوار، وهو عن سيدي إبراهيم الفحام، وهو عن سيدي أحمد زروق، وهو عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، وهو عن سيدي يحيى القادري، وهو عن سيدي علي بن وفا، وهو عن والده سيدي محمد بحر الصفا، وهو عن سيدي داود الباخلي، وهو عن سيدي أحمد بن عطاء الله، وهو عن سيدي أبي العباس المرسي، وهو عن سيدي علي أبي الحسن الشاذلي، وهو عن سيدي عبد السلام بن مشيش، وهو عن سيدي عبد الرحمن المديني، وهو عن سيدي القطب تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما، وهو عن سيدي القطب فخر الدين، وهو عن سيدي القطب نور الدين أبي الحسن، وهو عن سيدي القطب تاج الدين، وهو عن سيدي القطب شمس الدين السواسي، وهو عن سيدي القطب زين الدين القزويني، وهو عن سيدي القطب أبي إسحاق إبراهيم البصري، وهو عن سيدي القطب أبي القاسم أحمد المرواني، وهو عن سيدي القطب أبي محمد سعيد، وهو عن سيدي القطب سعد، وهو عن سيدي القطب محمد فتح السعود، وهو عن سيدي القطب سعيد القزاني، وهو عن القطب أبي محمد جابر، وهو عن أول الأقطاب سيدنا الحسن، وهو عن أبيه سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وهو عن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وشرف وعظم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، انتهت الإجازة.

وقد رأيت في بعض أسماء هذه السلسلة الشريفة اختلافاً قليلاً بين ما هو مذكور في هذه الإجازة، وبين ما ذكره سيدي العالم العامل العارف المرشد الكامل السيد محمد الطيب بن محمد المبارك الجزائري الحسني نزيل الشام المتوفى منذ سنوات رحمه الله تعالى في مجموعة أوراد شيخه شيخنا العارف الكبير الشيخ محمد الفاسي الشاذلي المتقدم ذكره. وها أنا أذكره ههنا، وبالتطبيق بينهما يعلم الاختلاف القليل الواقع بينهما بالزيادة أو النقص والتقديم والتأخير. أخذ الطريق الشاذلية شيخنا سيدي محمد بن مسعود بن عبد الله المغربي الفاسي عن شيخه محمد بن حمزة ظافر المدني عن السيد الشريف العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني الفاسي عن علي العمراني عن عربي بن أحمد بن عبد الله المشهور عند أهل فاس بالغوث صاحب المخفية عن أبيه أحمد بن عبد الله الفاسي عن قاسم الخصاصي عن محمد بن عبد الله الفاسي عن عبد الرحمن عن شقيقه يوسف الفاسي عن عبد الرحمن المجذوب عن علي الصنهاجي عن إبراهيم الفحام عن أحمد زروق الفاسي عن أحمد بن عقبة عن يحيى القادري عهن علي بن وفا عن والده محمد وفا عن داود بن باخلي عن أحمد بن عطاء الله صاحب الحكم عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي عن عبد السلام بن مشيش عن عبد الرحمن الحسني العطّار الملقب بالزيّات عن تقي الدين الفقير، عن فخر الدين عن نور الدين أبي الحسن علي عن تاج الدين عن شمس الدين محمد بأرض الترك عن زين الدين القزويني عن إبراهيم البصري عن أحمد المرواني عن أبي محمد فتح السعود عن الغزواني عن أبي محمد جابر عن سيدنا

الحسن عن سيدنا علي رضي الله عنهما عن سيدنا رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله، فقد نقصت سلسلة مجموعة الشيخ الطيب بين المرواني وبين فتح السعود واسطتين، وهما أبو محمد سعيد شيخ المرواني وشيخه القطب سعد الآخذ عن فتح السعود، وفيها أن فتح السعود هو محمد، وفي السلسلة اليشرطية أنه أبو محمد، وقد وقع التقديم والتأخير فيهما بين عبد الرحمن الفارسي ومحمد بن عبد الله الكبير والد سيدي أحمد المذكورين بين قاسم الخصاص ويوسف الفاسي، وما ذكر هو أهم الاختلافات وما عدا ذلك فهو في الألفاظ بزيادة حروف وكلمات ونقصها، ويعلم ذلك بالمقابلة، ومن تتبع الأثبات وأسانيد الطريق يظهر له الصواب، والله أعلم.

تنبيه وتنزيه لشيخنا المذكور عما قيل فيه

اعلم أن بعض الجهال ممن أخذ الطريقة العلية الشاذلية عن شيخنا الشيخ علي اليشرطي المذكور أو عن بعض المأذونين منه بإعطاء الطريق قد صدر منهم مخالفات للشريعة المقدسة المطهرة والطريقة المحررة المعتبرة وتكلموا بكلمات هي أشبه بكلام المجانين والملحدين في الدين، فاعترض بذلك عليهم علماء الإسلام وكلموهم بسهام الكلام وطعنوا فيهم وحذروا المسلمين من أن يهووا في مهاويهم، وهذا القدر لا بأس به بل هو من اللازم المتحتم على العلماء، ولكن يلزم أن يكون اللوم والإنكار متوجهاً لمن يصدر منه الضلال ومخالفة الشرع الشريف بحال من الأحوال لا كما فعل بعضهم من الإنكار بذلك على عموم الشاذلية من صدر منهم شيء من ذلك أو لم يصدر، وتجاوز بعضهم إلى الاعتراض على شيخهم شيخنا المذكور مع أنه لم يرو أحد قط أنه صدر منه نفسه ما يلام عليه من تلك المخالفات التي نسبت إلى بعض المنتسبين إليه، ولا شك أن ذلك من المعترضين عليه ظلم وعدوان قد استعملوا فيه الإساءة في محل الإحسان، فإن الشيخ رضي الله عنه هو بالنظر إلى ولايته وإرشاده وعلمه وعمله ومكارم أخلاقه التي لا تعد ولا تحصى أهل ومحل لكل ثناء جميل، ولا يستحق بوجه من الوجوه الذم في مقابلة ارتكاب بعض المنسوبين إلى طريقته شيئاً من الضلالات والأباطيل. وقد انتفع به رضي الله عنه كثير من المسلمين أخذوا عنه الطريقة فصاروا من الأولياء العارفين ولم يصدر منه شيء من المخالفات، ولا ننكر أنه صدر من بعض عوامهم ما أنكره الشيخ نفسه عليهم فطردهم من الطريق وتبرأ منهم وحرّض باقي مريديه على منابذتهم وحذرهم من الاجتماع بهم وكاتب بذلك البلاد القريبة والبعيدة، وهذا غاية ما يلزمه رضي الله عنه، وليس من شرط مشايخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات، فالمنصف يؤدي كل ذي حق حقه. فحق الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم فيلزمنا أن نؤديه إليهم، وحق أولئك المارقين أن ننكر عليهم ونوجه المذام إليهم ونبين لهم الحلال والحرام وما هو مشروع في دين الإسلام، فإذا قبلوا وتابوا وأنابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام، وإذا أصروا على ضلالاتهم نصرّ على الاعتراض عليهم ولا عتاب حينئذٍ ولا ملام.

وأما سندي في الطريقة البكرية الخلوتية، فقد أجازني بها شيخنا العارف الكبير الشهير الشيخ عبد القادر أبو رباح الدجاني اليافي على أثر قدومي من الجامع الأزهر سنة ١٢٩٠ هـ. وهو أخذها عن شيخه الإمام العلامة العارف بالله ابن عمه سيدي الشيخ حسين سليم الدجاني مفتي يافة المتوفى

سنة ١٢٧٤ في مكة المشرفة ودفن في جوار أم المؤمنين سيدتنا السيدة خديجة رضي الله عنها. وهو أخذ الطريقة الخلوتية عن سيدي الشيخ أبي السعود القدسي خليفة سيدي كمال الدين نجل شيخ الطريقة سيدنا السيد مصطفى البكري. وأخذها الشيخ حسين أيضاً أيام مجاورته في الجامع الأزهري عن الأستاذ الشهير أبي الإرشاد سيدي الشيخ أحمد الصاوي. ثم أخذها عن خليفته سيدي الشيخ محمد فتح الله وعلى يده تكمل وألبسه التاج والخرقة، وذلك حين قدوم الشيخ فتح الله إلى يافة سنة ١٢٤٠ لزيارة البيت المقدس. وأخذها الشيخ الصاوي عن القطب الشهير سيدي الشيخ أحمد الدردير عن العارف الكبير سيدي الشيخ محمد بن سالم الحفني عن شيخ الطريقة وإمام الشريعة والحقيقة سيدي مصطفى البكري صاحب ورد السحر عن سيدي عبد اللطيف الحلبي عن سيدي مصطفى الأدرنوي عن سيد علي قراباشا أفندي واشتهرت الطريقة به. وهو عن سيدي إسماعيل الجرومي.
وهو عن سيدي عمر الفؤادي عن سيدي محيي الدين القسطموني عن سيدي الشيخ شعبان القسطموني عن سيدي خير الدين التوقادي عن سيدي جلبي سلطان الإقسرائي الشهير بجمال الخلوتي عن سيدي محمد بن بهاء الدين الأرزنجاني عن سيدي يحيى الباكوبي عن سيدي صدر الدين الخياني عن سيدي الحاج عز الدين عن سيدي محمد بيرام الخلوتي عن سيدي عمر الخلوتي عن سيدي أخي محمد الخلوتي عن سيدي إبراهيم الزاهد التكلاني عن سيدي جمال الدين التبريزي عن سيدي شهاب الدين محمد الشيرازي عن سيدي ركن الدين محمد النجاشي عن سيدي قطب الدين الأبهري عن أبي النجيب السهروردي عن سيدي عمر البكري عن سيدي وجيه الدين القاضي عن سيدي محمد البكري عن سيدي محمد الدنيوري عن سيدي ممشاد الدينوري عن سيدي سيد الطائفة الجنيد البغدادي عن سيدي السريّ السقطي عن سيدي معروف الكرخي عن سيدي داود الطائي عن سيدي حبيب العجمي عن سيدي الحسن البصري عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم وكرّم وجهه عن سيد الكائنات سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. انتهت سلسلة الطريقة الخلوتية. وعندي بحمد الله تعالى إجازات في كثير من الطرق العلية غير الخلوتية والشاذلية كالقادرية والرفاعية والنقشبندية، ولكن كل ذلك لأجل البركة باتصال سندي بالنبي ﷺ من طرقهم كما اتصل من طرق الفقهاء والمحدّثين وسائر علماء الدين رضي الله عنهم أجمعين، فذلك وحده نعمة عظيمة ومنة جسيمة وإن لم يقدّر الله تعالى إلى الآن لي الاشتغال بالطريق بكثرة المجاهدات والطاعات ودوام الذكر والفكر وملازمة الأوراد وقيام الليل وغير ذلك مما أنعم الله به عليهم من الفضائل الجليلة التي امتازوا بها. ولذلك لم يحصل لي شيء من مواجيدهم الشريفة وأذواقهم السليمة وأسرار الولاية التي تفضل الله عليهم بها وأنوار معرفة الله تعالى التي أشرقت بها قلوبهم، فشاهدوا من عجائب الملك والملكوت وأمور الدنيا والآخرة ما لم يحصل لغيرهم، ووقع على أيديهم من الكرامات وخوارق العادات ما كان نتيجة خرقهم العوائد من نفوسهم بكثرة الطاعات والمجاهدات مع الإخلاص التام وكمال الاتباع لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من الأخلاق التي لا يشاركهم فيها أكابر علماء الإسلام فضلاً عن أمثالنا من الطلبة الملحقين بالعوام.
نعم قد أنعم الله تعالى عليّ وله الحمد والمنّة باعتقادهم وتسليم حالهم إليهم بدون انتقاد ولا اعتراض، وأعدّ ذلك من أكبر نعم الله عليّ، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة في الجواب عما اعترض به ابن تيمية وأمثاله على بعض أولياء الله تعالى من الألفاظ الموهمة

قد ألف سيدي العارف الكبير الشهير الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه كتاباً مستقلاً في هذا الشأن سماه «الأجوبة المرضية: عن أئمة الفقهاء والصوفية» اطلعت عليه بعد أن نقلت من كتبه الأخرى، ومن كتب غيره مقداراً كافياً وافياً بالمقصود فأغناني عن نقل شيء من هذا الكتاب.

قال رضي الله عنه في كتابه «البحر المورود»: أخذ علينا العهود أن نجيب عن أئمة الإسلام من العلماء والصوفية جهدنا، ولا نصغي قط لقول من طعن فيهم لعلمنا أنه ما طعن فيهم إلا وهو قاصر عن معرفة مداركهم. ثم إن الرادّ عليهم لا بدّ أن يطفأ نوره ويعدم النفع بمؤلفاته كلها لسوء أدبه مع من جعلهم الله قدوة لعباده إلى يوم القيامة، وأين رتبة بعض الناس من رتبة الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه حتى يردّ عليه أقواله؟ وأين رتبة ابن الجوزي من رتبة معروف الكرخي والجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري ونحوهم من السادة رضي الله عنهم حتى يردّ عليهم، ويقول في كتابه المسمى «بتلبيس إبليس»: ولعمري لقد طوى هؤلاء الصوفية بساط الشريعة طياً فيا ليتهم لم يتصرفوا: وقال في موضع آخر من كتابه المذكور: ولقد تعدى هؤلاء طور الجنون بطبقات، وصرح فيه أيضاً بتكفير السيد أبي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري والشبلي والغزالي وجماعة، وهو عجيب، فإن هؤلاء من أعظم أئمة القوم الجامعين بين الحقيقة والشريعة، مع أنه رحمه الله تعالى قد طرز جميع مؤلفاته من كتب الرقائق بمناقبهم وحكاياتهم، ولعل ذلك وقع منه في بدء أمره أو دس عليه في ذلك المؤلف.

قال الإمام الشعراني بعد ما ذكر: واعلم يا أخي أنه لم يبلغنا قط عن أحد من العلماء العاملين أنه تصدى للرد على أحد من أئمة الإسلام، بل يتنحلون لهم الأجوبة الحسنة جهدهم كما صنع الشيخ العالم المحقق جلال الدين المحلي في شرحه لمنهاج النووي، فيحمل كلام المؤلف على أحسن الأحوال من غير تورك عليه ولا تعصب حتى إن غالب طلبة العلم الآن لا يشعرون بالجواب عن النووي. فرضي الله عن أهل الإنصاف. وقد شهد أئمة الطريق وعلماء الإسلام للجنيد والغزالي وغيرهما بأنهم أولياء الله تعالى. فمن حط عليهم فكأنه يريد أن يحجب ضوء الشمس عن أهل الأرض ليس بينها سحاب، أو كمن يريد أن يزلزل الجبال بنفخة ناموسة. وقد شهد الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه للإمام أبي حامد بأنه من رءوس الصديقين، وناهيك بهذه الشهادة من هذا السيد.

وقد كان الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه مع كثرة تبحره في العلوم الظاهرة والباطنة يطالع كتاب «الإحياء» ويستفيد منه ويجيب عنه أجوبة حسنة. وكفى بذلك منقبة للإمام الغزالي رضي الله عنه. وقد بلغ في علوم الشريعة الحدّ الذي فاق به أقرانه حتى لقب بحجة الإسلام، وكتبه الآن مرجع مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وبها الفتوى.

وقد رأى بعض العارفين رسول الله ﷺ وهو يباهي بالإمام الغزالي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال للسيد عيسى: هل في أمتك حبر مثله؟ فقال: لا. وأنكر عليه بعض علماء المغرب وحرق كتابه الإحياء، فرأى ذلك العالم رسول الله ﷺ في المنام وهو يعرض عنه، ثم أمر بتجريده من ثيابه وضرب بين يدي رسول الله ﷺ بسياط فاستيقظ فوجد أثر السياط على جوانبه، ولم يزل ذلك الأثر في جوانبه حتى مات، فتاب ذلك العالم وأمر بكتابة كتاب الإحياء بماء الذهب رضي الله عنه. وكان الحسن البصري يقول: إذا بلغك عن شخص أنه أخطأ في مسألة فاجتمع به فإن أنكرها فصدّقه ولا يجوز لك نسبتها إليه بعد ذلك، وإن لم تجتمع به فاحمل كلامه على سبعين محملاً، فإن لم تقنع بذلك نفسك فارجع عليها بالملام وقل لها يحتمل كلام أخيك سبعين محملاً، ولا تحملينه على محمل واحد منها. انتهى كلام الإمام الشعراني في «الحوض المورود». وقال فيه أيضاً: أخذ علينا العهود أن لا نذكر أحداً من الأولياء الذين تكلم الناس فيهم إلا بحضرة من يعتقدهم، وإذا نقلنا عنهم أدباً أو حكمة قلنا قال بعضهم كذا ولا نعينه، فإن من ذكر كرامات الأولياء بين يدي من ينكر عليهم فقد تسبب لمقت ذلك المنكر وسب ذلك الولي وتنقيصه، فحكمه حكم من ذكر فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين الروافض مع عدم أمنه من سبهم لهما. وقد فعل نحو ما ذكرناه القشيري رحمه الله في رسالته، فإنه ذكر عقيدة الحلاج أول الرسالة على الكتاب والسنّة ليزيل بعض ما في نفوس بعض الناس منه من اعتقادهم فيه خبث الطوية. ثم لما ذكر مناقب الرجال ذكره في الأواخر حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكرهم من الرجال، فعلم أنه لا ينبغي ذكر مناقب الشيخ محيي الدين وسيدي عمر وابن سبعين وأضرابهم إلا بين العلماء المتورعين عن أعراض الناس. وأخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر رحمه الله أن شخصاً من المداحين أنشد خمرية سيدي عمر بحضرة جماعة يشربون الخمر، فحول الله تعالى بوله وغائطه إلى أنفه وفمه، ولم يزل كذلك إلى أن مات.

وحكى لي أخي الشيخ أفضل الدين أن شخصاً أنكر على الشيخ محيي الدين بن العربي من أهل هذا الزمان، وجاء بنار في الليل ليحرق تابوته وستره فخسف الله به الأرض فحفروا عليه فغاص إلى أن عجزوا ورجعوا عنه معتقدين، وهذا من الدلائل العظيمة على صحة ولايتهما رضي الله عنهما. وبلغني أن سيدي الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله سئل عن الشيخ محيي الدين بن العربي، فقال: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ [البقرة: ١٣٤] الآية ولم يزد على ذلك، فاعلم ذلك واعمل على طريقه، والله يتولى هداك.

وقال رضي الله عنه في كتابه «لواقح الأنوار القدسية» وهي العهود الكبرى: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نجادل في علم من العلوم الشرعية إلا بقصد نصرة الدين.

ثم قال: وقد أطلعني إنسان مرة على كتاب في الرد على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فرأيت تلك الليلة في واقعة الإمام أبي حنيفة، وقد تطوّر نحو سبعين ذراعاً في السماء، وله نور كنور الشمس، وأجد ذلك العالم الذي رد عليه تجاهه يشبه الناموسة السوداء. قال: وإذا كان إمامنا الشافعي رضي الله عنه يقول: الناس كلهم في الفقه عيال على أبي حنيفة، فكيف يسوغ لأمثالنا أن

يتصدر للرد عليه؟ هذا فوق الجنون بطبقات. وقد قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣] فأمر الله تعالى بإقامة الدين لا بإضجاعه بالتكبر على أئمته، وهذا الأمر قد فشا في مقلدي المذاهب، فترى كل إنسان يدحض حجة مذهب غيره حتى لا يكاد يبقى له تمسكاً بكتاب ولا سنّة وذلك من أقبح الخصال، وإنما كان اللائق بهم الجواب عن الأئمة: إما بعدم إطلاعهم على ذلك الدليل الذي ظفر به الرادّ عليهم، وإما بأن لذلك المجتهد منزعاً في الاستنباط من وجوه قواعد العربية يخفى على أمثالنا. وقد بلغنا أن الإمام الشافعي لما دخل بغداد وزار قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما حضرته صلاة الصبح فترك القنوت مع أنه يقول به، فقيل له في ذلك. فقال استحييت من الإمام أن أقمت بحضرته، وهو لا يقول به، فرضي الله تعالى عن أهل الأدب، هذا في باب الآداب والسنن. وأما الواجب والحرام: فإذا قام عند المجتهد دليل فيه فليس له أن يتركه أدباً مع من يخالفه فافهم. وقد روى الطبراني مرفوعاً أن الشريعة جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة، فلا ينبغي لأحد أن يردّ على من يجادله إلا إن نظر في هذه الطرق كلها ولم يجد كلام خصمه يوافق طريقة واحدة منها، وما ذكر الشارع ذلك إلا سداً لباب الجدال بغير علم تقوية للدين فإن النزاع يوهنه ويضعفه. وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يقوم الدين إلا بالاتفاق عليه لا بالاختلاف فيه.

ثم قال: وقد روى البيهقي والترمذي وغيرهما مرفوعاً وحسنه الترمذي «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ ﷺ: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾» [الزخرف: ٥٨].

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً «إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم». والألد: هو شديد المخاصمة، والخصم: هو الذي يحج من يخاصمه ويدحض حجته اللهم إلا أن يقوم لنا صاحب بدعة لا يشهد لها كتاب ولا سنّة، فلنا إدحاض حجته نصرة لله ولرسوله وللمسلمين ﴿والله غفور رحيم﴾ [البقرة: ٢١٨] انتهى كلام الشعراني في العهود الكبرى باختصار.

وقال رضي الله عنه في كتابه «المنن الكبرى» ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على كثرة توجيهي لكلام الأئمة المجتهدين ومشايخ الصوفية وحمل كلامهم على أحسن الوجوه وكذلك كلام أتباعهم فأحمله على محامل حسنة، وقد يتفق لي ذلك مع بعضهم، ولو علمت أنهم لم يصلوا إلى ذلك المشهد كل ذلك سداً لباب الوقيعة فيهم.

فمن ذلك ما إذا سمعنا شخصاً من الأكابر يقول: اللهم احبس عني ألسنة عبادك مثلاً حتى لا ينقصوني، لا نحمل ذلك على أنه قصد بذلك تعظيمه عند الناس لغرض نفسي وإنما نحمله على أنه قصد بذلك عدم تنقيصه حتى لا يتوقف أتباعه في قبول نصحه ووعظه أو حتى لا يرتكب أحد معصية بغيبته ونحو ذلك كهضم نفسه تواضعاً، فكأنه يقول للناس مثلي لا يقدر على تحمل الكلام فيه ونحو ذلك.

وقد نقل «أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب احبس عني ألسنة عبادك، فقال: يا

موسى هذا شيء ما جعلته لنفسي، قد قالوا فيّ ما قالوا» ومعلوم أن موسى عليه السلام لا يطلب مقاماً عند الخلق لحظ نفسي قط لعصمته، فذلك القول في الأولياء رضي الله تعالى عنهم بحفظهم فما سأل الأكابر في حبس ألسنة الناس عنهم إلا خوفاً من عدم قبول أتباعهم نصحهم إذا نقصوا في أعينهم، وقد كلفوا بهدايتهم فيتعبون في ذلك.

ومن هنا قال العارفون رضي الله تعالى عنهم: يشترط في كمال الداعي إلى الله تعالى أن يكون محفوظ الظاهر من الزيغ عن الشريعة، حتى لا يجد المدعو فيه مطعناً، ونظير ما قلناه أيضاً قول هارون عليه السلام ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ [الأعراف: ١٥٠] فإنه إنما قصد بذلك عدم وقوع قومه في الإثم بسبب شماتتهم به، فإن من شمت بنبي كفر، وهذا الباب الذي فتحناه لك قليل من الفقراء من يعرفه، بل غالبهم يسارع إلى الإنكار: إما لقلة العلم، وإما لغير ذلك، فينكر بمجرد رؤيته لشيء رآه أو سمع به أو أشيع من غير تثبت.

وقد جاءني مرة من الجامع الأزهر، فقال لي: ما عدت أعتقد في العالم الفلاني أبداً، فقلت له لماذا؟ فقال سمعته يقول: أنا أعلم من جميع علماء مصر الآن، بل أعلم من جميع من على وجه الأرض من العلماء، فقلت له يحتمل أنه يريد أنا أعلمهم بزلاتي ومخالفتي أو بما في بيتي من الأمتعة أو أعلمهم ببدن زوجتي ونحو ذلك.

قال: وسمعته أيضاً يقول: العالم الفلاني لا يجيء في قلامة ظفري ولا شعرة مني؛ فقلت له صحيح أنه لا يجيء في قلامة ظفره ولا شعرة منه، بل هو أجلّ وأعظم من ذلك وكأن لسان حالك أنت يقول: بل هو يجيء كذلك.

قال وسمعته أيضاً يقول في طريق بولاق: سبحان من شرف هذه البقاع بمشينا فيها، فقلت له هو قول صحيح فإن النوع الإنساني أشرف من التراب لأنه خلاصة الوجود فهو أشرف ممن هو دونه خصوصاً إذا أنعم الله عليه بذكره وهو مار. قال: وسمعته يقول أيضاً أن أفضل علماء مصر الآن، فقلت له يحتمل أنه يريد بذلك أنا أفضل منهم عند نفسي الخبيثة وهي مخطئة في تلك الدعاوى والحال أنهم أفضل مني قطعاً.

قال رضي الله عنه: فانتحل يا أخي لإخوانك الأجوبة الحسنة وإن كانت بعيدة فإنه أخلص لك وأسلم. وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يسوغ الإنكار شرعاً إلا إذا لم يقبل ذلك الأمر التأويل.

وكان يقول أيضاً: من كمال الفقير أن يحمل كلام الأكابر على أحسن المحامل لخروجهم عن مقام التلبيس والرعونات النفسانية، وإن عجز عن الجواب عنهم في قول قالوه أو فعل فعلوه فليسلم لهم، وليكفّ عن الإنكار لأن منازعهم دقيقة على عقول أمثالنا لا سيما الأئمة المجتهدون وكبراء مقلديهم، وأني لأمثالنا أن يتصدى لرد كلامهم؟ وقد تصدى شخص للرد على الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعمل في ذلك كراسة وأتى بها إليّ يعرضها عليّ فطردته ولم أصغ إلى قوله ففارقني ووقع من سلم بيته وكان عالياً فانكسر صلبه وخرج زر وركه من مكانه فهو إلى الآن مكسور يبول

ويتغوط على نفسه نسأل الله تبارك وتعالى العافية. وقد أرسل لي مرات أني أعوده فلم أفعل أدباً مع الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن أوالي من أساء الأدب معه. ثم قال رحمه الله تعالى. وقد رأيت وأنا شاب الإمام الأعظم أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه والإمام مالك جالس عن يساره وأنا واقف بين يديهما، فقال الإمام مالك رضي الله عنه للإمام أبي حنيفة ما أحد أجاب عنا مثل هذا الشاب فسررت بذلك غاية السرور، ثم قال الشعراني بعد أن وجه كثيراً من كلام الفقهاء في عدة أبواب من الفقه:

وأما الجواب عن السادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم فغالب مؤلفاتي جواب عنهم فإنها طريق عزيزة وغالب الناس لم يدخل حضرتهم فيقلّ الإنكار ويكثر من الناس بحسب دخولهم حضرة القوم، فمن دخل كثيراً أنكر قليلاً ومن دخل قليلاً أنكر كثيراً، ولذلك ألف القوم كتباً في بيان اصطلاحهم ومرادهم لمن لم يدخل حضرتهم شفقة عليه ليقلّ إنكاره عليهم فلا يقع في الإثم والجهل ويحرم من ذوق ما أنكره، فإن كل من أنكر شيئاً على القوم بغير دليل عوقب بحرمان ما أنكره فلا يعطيه الله تبارك وتعالى له أبداً. ومن خاصية طريق القوم أن الصادق من المريدين إذا دخل طريقهم يعرف جميع ما اصطلحوا عليه بالخاصية من أول قدم يضعه في طريقهم حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح، وليس ذلك لغير الصادقين في طلب الطريق ولا لغيرهم من أهل سائر العلوم فلا بدّ لهم من شيخ يوقفهم على مصطلح أهل ذلك العلم كما هو مقرر في كتب المتكلمين والمناطقة وأهل الهندسة، ثم إنه قد يكون ذلك الكلام الذي أنكره بعضهم على ذلك الولي مثلاً مدسوساً عليه في كتبه أو مفتري عليه كما وقع ذلك في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه، فإنهم دسوا عليه جملة من الأمور المخالفة لظاهر الشريعة في كتاب «الفتوحات المكية» التي ألفها رضي الله عنه. وفي «الفصوص» أيضاً الذي ألفه رضي الله عنه كما قال الشيخ بدر الدين بن جماعة وغيره. وكما وقع لي في بعض كتبي، وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم رضي الله تعالى عنهم وعدم ذوقة لمقاماتهم كما في كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه في التائية وغيرها. فالعاقل من ترك الإنكار وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته لا سيما ولم يبلغنا عن أحد من الأولياء رضي الله تعالى عنهم أنه أمر الناس بترك وضوء أو صلاة أو صوم أو غيرها مما يخالف الشريعة أبداً، بل رسائلهم كلهم طافحة بالأمر بالتقيد على الكتاب والسنّة وعلاج أخلاقهم وأعمالهم وتنقيتها من الدسائس والعلوم القادحة في الإخلاص وتحمل الأذى وترك الأذى والزهد والروع والخوف والخشية، وربما كان المنكر عليهم بالضد من هذه الصفات كلها، وربما تكلم العارف في نظمه أو غيره على لسان الحق تبارك وتعالى، وربما تكلم على لسان رسول الله ﷺ، وربما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو فيبادر إلى الإنكار فافهم. وربما أنكر العالم على بعض الصوفية في بعض الأوقات رحمة بالعوام والمحجوبين خوفاً أن يتبعوه في ذلك الأمر بالجهل فيهلك، لا رداً على ذلك الصوفي بالكلية كما وقع للشيخ برهان الدين البقاعي في كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه، وكما وقع لغيره في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه ونعم ما فعلوا، فإن هؤلاء القوم قد ماتوا والإنكار عليهم الآن لا يضرهم بل يزيدهم أجوراً وثواباً ولا هكذا العوام والمحجوبون، فإنه يجب على كل عالم إنقاذهم من الهلاك لإمكان تداركهم وتقريرنا لهم على ما فهموه من كلام القوم على غير مراد القوم يضرهم، وربما ضر القوم أيضاً في قبورهم.

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: أقل درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم. وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول: التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم، والإنكار عليهم سم ساعة في إذهاب الدين. وربما تنصر بعض المنكرين ومات على ذلك، نسأل الله العافية. قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجل مرآة قلبك فإنك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقل إنكارك وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك، ثم أخذ يؤوّل رضي الله عنه بعض ما ورد عنهم من متشابه الألفاظ فقال:

إذا علمت ذلك فما نقل عن الشيخ أبي يزيد رضي الله عنه قوله: طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك: أي إجابتك يا رب دعائي في نحو قولي اغفر لي وارحمني واعفِ عني ولا تؤاخذني أعظم من أجابتي أنا بامتثال أمرك واجتناب نهيك لأنك عظيم وأنا حقير وأنت سيد وأنا عبد ولذلك ستر أهل الأدب مع الله تبارك وتعالى مثل ذلك، وسموه دعاء لا أمراً للحق تبارك وتعالى ونهياً وإن كان اللفظ يؤدي ظاهره إلى ذلك، فعلم أنه ليس مراد أبي يزيد أن الحق تبارك وتعالى تحت طاعته ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ عنده وعند جميع المسلمين، وعلى ما قررناه ينزل معنى ما نقل عن أبي يزيد أيضاً أنه قال: طاعة الله لي أكثر من طاعتي له هكذا أوله بعضهم.

ومما نقل عن أبي يزيد أيضاً أنه قال: بطشي أشد من بطش الله بي لما سمع قارئاً يقرأ ﴿إن بطش ربك لشديد﴾[البروج: ١٢] فصاح حتى طار الدم من أنفه وقال: بطشي أشد من بطشه بي، ومراده رضي الله تعالى عنه أن بطش الله عزّ وجلّ بي لا يكون إلا مخلوطاً بالرحمة، لأن رحمته تعالى بعبده غلبت غضبه عليه فهو أرحم بالعبد من والدته الشفيقة، ولا هكذا بطش أبي يزيد فإنه محض انتقام لا يشوبه رحمة، لأن غضبه غلب رحمته لضيقه فكان بطشه بأخيه أشد من بطش الله جل وعلا به لا سيما عدوه إذا قدر عليه فإنه لا يكاد يرحمه في الدنيا ولا في الآخرة، هكذا أوله الشيخ محيـي الدين وغيره.

ومما نقل عنه أيضاً أنه قال لبعض مريديه: لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة، ومراده أن المريد ليس له قدم في معرفة الله جلّ وعلا إذا رآه فإنه يراه ولا يعلم أنه هو فلا يعرف يأخذ عنه علماً ولا أدباً، بخلاف أبي يزيد فإنه ينتفع به ويعلمه الأدب مع الله تبارك وتعالى حتى يرقيه إلى معرفة ربه جلّ وعلا، والله تعالى أعلم بمراده رضي الله عنه.

ومما نقل عنه أيضاً: سافرت من الله إلى الله، ولعل مراده سافرت في طريق الله تعالى فضلاً من الله إلى أن عرفته، أو سافرت في حب الله من باب قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج: ٧٨] وليس مراده رضي الله تعالى عنه بذلك مسافة، تعالى الله عند العارفين عن التحيز. ويصح أن يكون مراده ابتداء سفري إلى انتهائه بحول الله وقوته، لا بحولي ولا قوتي.

ومما نقل عن الجنيد رضي الله تعالى عنه قوله: العارفون لا يموتون وإنما ينقلون من دار إلى دار، أنكر ذلك بعضهم، وقال قد قال الله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥ وغيرها]

أي تذوق الموت عند انتهاء أجلها في الدنيا فكيف الحال؟، والجواب كما قاله بعضهم أن مراد الجنيد أن العارفين لما جاهدوا نفوسهم في حال سلوكهم حتى ماتت عن جميع تصرفاتهم وشهدت التصريف لله وحده فكأنها ماتت في حال حياته لأن حكمها إذا ذاك حكم الأموات في عدم إضافتها الفعل إلى نفسها، وقد ورد في الحديث «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر» أي لأن التسليم لله تبارك وتعالى محق نفسه حتى صارت كنفس الميت.

ومما نقل عن الشبلي رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: إن ذلي عطل ذل اليهود، ولعل مراده رضي الله تعالى عنه أن ذلي لله تبارك وتعالى أعظم من ذل اليهود له تعالى، إذ الذليل يكون على قدر معرفته بعظمة من ذل له، ولا شك أن الشبلي رضي الله عنه أعرف بعظمة الله تعالى من اليهود فذله لله أعظم من ذل اليهود له، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

ومما نقل عنه أيضاً أنه قال: ما في الجبة إلا الله، ضبط بعضهم الجبة بالجيم والباء الموحدة، وبعضهم بالجيم والثاء المثلثة التي هي البدن، ولعل مراده رضي الله تعالى عنه مأثم في جسدي فاعل إلا الله تبارك وتعالى، نظير قول بعضهم ما في الكونين إلا الله تعالى فليس مراده نفي الكونين، ولا أن الله سبحانه وتعالى يحلّ في خلقه لأنه أثبت وجودهما كما ترى، ولكن جعل الله تعالى خالقاً لهم ولأفعالهم، وكم في الكتاب والسنّة من كلام يحتاج إلى تقدير كما في قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة: ٩٣] أي أشربوا حب العجل، وفي الحديث: «أصدق كلمة قالها شارع قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

فافهم.

ومما نقل عن الإمام الغزالي رضي الله تعالى عنه أنه قال: ليس في الإمكان أبدع مما كان، ولعل مراده رضي الله تعالى عنه أن جميع الممكنات أبرزها الله تعالى على صورة ما كانت في علمه تعالى القديم، وعلمه القديم لا يقبل الزيادة. وفي القرآن العظيم ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ [طه: ٥٠] فلو صح أن في الإمكان أبدع مما كان ولم يسبق به علمه تعالى للزم عليه تقدم جهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهذا هو معنى قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في تأويل ذلك إن كلام حجة الإسلام في غاية التحقيق لأنه مأثم لنا إلا رتبتان قدم وحدوث. فالحق تعالى له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث، فلو خلق تعالى ما خلق إلا ما لا يتناهى عقلاً فلا يرقى عن رتبة الحدوث إلى رتبة القدم أبداً.

ومما نقل عن الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه أنه قال: حدثني قلبي عن ربي أو حدثني ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه تعالى بارتفاع الوسائط، ليس مراده أن الله تعالى كله كما كلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما مراده أن الله تعالى يلهمه على لسان ملك الإلهام بتعريف بعض أحوال، فهو من باب قوله ﷺ: «أن يكن في أمتي محدّثون» بفتح الدال المشددة «فعمر».

وإيضاح ذلك أن من الفرق بين وحي الإلهام الذي يكون للأولياء رضي الله تعالى عنهم وبين وحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلق بتشريعهم لأنفسهم أو لأممهم أن النبي يشهد الملك ويسمع كلامه، فيجمع بين الرؤية وسماع الكلام، ولا هكذا الولي فإنه إن سمع كلام الملك لا يرى شخصه، وإن رأى شخصه لا يسمع منه كلاماً، والسر في ذلك كون النبي مشرعاً والولي تابعاً يدعو بشرع نبيه ﷺ الثابت المقرر عنده فلا يحتاج إلى مزيد انكشاف أمر. وأما النبي فيريد أن ينشيء جديداً وينسخ شرعاً آخر، فلذلك احتاج إلى مزيد تأكيد وانكشاف أمر، ففرّق يا أخي بين وحي الإلهام، وبين وحي الكلام، تكن من العلماء الأعلام، هكذا قرره الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه.

ومما نقل عن القوم رضي الله تعالى عنهم قولهم: اللوح المحفوظ هو قلب العارف، ليس مرادهم نفي اللوح المحفوظ، وإنما مرادهم أن قلب العارف إذا انجلى ارتسم فيه كل ما كتب في اللوح المحفوظ، نظير المرآة إذا قابلها لوح مكتوب فافهم ا هـ.

ومما نقل أيضاً عن القوم رضي الله تعالى عنهم قولهم: دخلنا حضرة الله خرجنا من حضرة الله، ليس مرادهم بحضرة الله عزّ وجلّ مكاناً خاصاً معيناً، فإن ذلك ربما يفهم منه التحيز للحق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما مرادهم بالحضرة حيث أطلقوها شهود أحدهم أنه بين يدي الله عزّ وجلّ، فما دام يشهد أنه بين يدي ربه جل وعلا فهو في حضرته فإذا حجب عن المشهد خرج من حضرة الله تعالى، والناس في ذلك بين مقلّ ومكثر كما سيأتي إيضاحه في هذا الكتاب؛ فمنهم من يحضر في صلاته أو بعضها، ومنهم من يحضر في صلاته وغيرها مقدار درجة أو درجتين أو ثلاث وهكذا إلى أن يستغرق الليل والنهار في الحضور إلا ما يسامح الله تبارك وتعالى به عبده في غفلته عنه ونيل بعض شهواته رحمة به، فإن مراقبة الله تبارك و تعالى مع الأنفاس كلها ليست من مقدور البشر كما صرح بذلك المحققون رضي الله تعالى عنهم.

ومما لم يصح نقله عن الإمام الغزالي رضي الله تعالى عنه وأشاعه بعضهم عنه قولهم عنه إنه قال: إن الله عباداً لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها وإن لله عباداً لو سألوه أن يقيم الساعة الآن لأقامها، فإن مثل ذلك كذب وزور على الإمام حجة الإسلام رضي الله تعالى عنه وأرضاه، يجب على كل عاقل تنزيه الإمام عنه لأنه يرد النصوص القاطعة الواردة في قيام الساعة، فيؤدي ذلك إلى تكذيب الشارع ﷺ فيما أخبر، وإن وجد ذلك في بعض مؤلفات الإمام فذلك مدسوس عليه في بعض الملاحدة، وقد رأيت في كتاب كاملاً مشحوناً بالعقائد المخالفة لأهل السنّة والجماعة صنفه بعض الملحدين ونسبه إلى الإمام الغزالي فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب عليه كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب إلى حجة الإسلام. وكذلك مما لم يصح عن الشيخ أبي يزيد رضي الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من أنه قال: إن آدم عليه السلام باع حضرة ربه بلقمة، فإن الشيخ أبا يزيد من جملة مشايخ رسالة القشيري الجامعين بين الشريعة والحقيقة، فكيف يصدر عنه مثل هذا الكلام الجافي في حق السيد آدم عليه السلام؟ فافهم. وكذلك مما لم يصح نقله عنه رضي الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من أنه قال: لو شفعني الله تعالى في الأولين والآخرين لم يكن ذلك

عندي بكبير، غاية الأمر أنه شفعني في لقمة طين، فإن ذلك كلام من لم يشمّ رائحة الأدب فإنه يبطل خصوصية رسول الله ﷺ، وقد فتحت لك يا أخي باب الأجوبة عن علماء الإسلام من الفقهاء والصوفية رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فقس علي ذلك، والله سبحانه وتعالى يتولى هداك؛ والحمد لله رب العالمين. انتهى كلام الإمام الشعراني في المنن الكبرى باختصار.

وقال رضي الله تعالى عنه في آخر المبحث الثامن عشر من «اليواقيت والجواهر». قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وثلاثمائة من الفتوحات: اعلم أن من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاء من آيات الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم إيمانهم بها إذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل فإن البحر واحد، فكما وجب الإيمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون؛ وكما سلمنا لما جاء به الأصل، كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشريعة، ويا ليت الناس إذ لم يؤمنوا بما جاء به الأولياء يجعلونهم كأهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم. انتهت عبارة «اليواقيت والجواهر» ومع ذلك فقد قال في «البحر المورود»: أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحداً من إخواننا يطالع في كتب الشيخ محيي الدين بن عربي في التوحيد المطلق ولا في كتب غيره من غلاة الصوفية وذلك لعدم الفائدة وشدة الإنكار على من تفوه بما ذكروه فيها مما يخالف عقول غالب الناس، وما كل ما يعلم يقال، وربما فهموا منها أموراً تخالف صريح السنّة فيموتون على اعتقادها فيخسرون مع الخاسرين؛ وما رأينا قط مريداً بلغ مبلغ الرجال بمطالعة كتاب، وقد كان الشيخ محيي الدين ينشد كثيراً:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا   فمن أين يدري الناس أين توجهنا

انتهى ما نقلته من كتب الإمام الشعراني رضي الله عنه، وسيأتي في كلام ابن حجر ما يؤيد كلام الشعراني من النهي عن مطالعة كتب الصوفية لمن لا يفهمها من غيرهم رضي الله عنهم.

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي رضي الله عنه في «فتاويه الحديثية» ناقلاً عن الإمام اليافعي رضي الله عنه له يعني في كتابه «نشر المحاسن» الذي بسط فيه الكلام على مدح الصوفية والرد على من اعترض عليهم: إن كرامات الأولياء من تتمة معجزات النبي ﷺ لأنها تشهد للولي بالصدق المستلزم لكمال دينه المستلزم لحقيته المستلزم لصدق نبيه فيما أخبر به من الرسالة، وكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار، ولا تتعجب من إنكار قوم للمعجزات وإن بلغت من الكثرة والظهور إلى أن صار العلم بها ضرورياً بل بديهياً، فقد أنكر قوم القرآن الذي هو أعظم المعجزات وأبهر الآيات، ووصل العناد بهؤلاء إلى أن قال الله تعالى في حقهم: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ [الأنعام: ٧] وليس العجب من إنكار المعتزلة الكرامات فإنهم قد خاضوا فيما هو أقبح من ذلك وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي ﷺ: كسؤال الملكين وعذاب القبر والحوض والميزان وغير ذلك من عظيم كذبهم وافترائهم لتقليدهم عقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله وآياته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فما رأوه من ذلك موافقاً لتلك العقول السقيمة الفاسدة اللئيمة قبلوه ومالاً ردوه ولم يبالوا بتكذيب السنّة والقرآن والإجماع، لأن كلمة الغضب حقت عليهم وقبائح المذامّ تسابقت إليهم، وإنما العجب من قوم تسموا بأهل السنّة

وزعموا أنهم من حملة تلك المنّة ومع ذلك يبالغون في الإنكار لأن كلمة الحرمان حقت عليهم إلى أن ألحقتهم بأهل البوار، وأوجبت لهم نوعاً منن البوار والخسار. وهؤلاء أقسام: من ينكر على مشايخ الصوفية ومتابعيهم، ومنهم من يعتقدهم إجمالاً وأن لهم كرامات ومتى عين له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك لما خيله له الشيطان أنهم انقطعوا وأنه لم يبق إلا ملبس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبس عليه، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً. وقد تهور ابن الجوزي بالوقوع في خطرهم إلا أن تكون له نية صالحة كقصده قمع مبتدعة في زمانه وذلك أنه صنف كتاباً سماه «تلبيس إبليس» تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم أن إبليس لبس عليهم.

قال اليافعي ولم يدر أنه هو الذي لبس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر. والعجب كل العجب منه في إنكاره على سادات ما بين أوتاد وأبدال وصديقين وعارفين لله تعالى قد ملؤوا الوجود كرامات وأنواراً ومعارف أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله فحصل لهم في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله؛ فقول الصغير منهم: وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله إلا رددته، هذا وهو يعني ابن الجوزي يطول كلامه بحكاياتهم، وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم، فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاء عاماً ولا يكون ممن يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً؟ أما علم أن علماء أعلام الأمة من المجتهدين، ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبركون بهم ويستمدون منهم. ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنه قال في حق فقير كان يعتقده ويخضع له: هو عندي خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه، ونقل ابن حجر عبارة اليافعي إلى آخرها وفيها غير ما تقدم من النقول عن العلماء العاملين في الثناء على الصوفية منهم الإمام النووي وابن عبد السلام وغيرهما، نفعنا الله ببركاتهم أجمعين.

وذكر الإمام ابن حجر في وضع آخر من الفتاوى الحديثية حكايات وقعت له مع بعض مشايخه في الإنكار على الصوفية فقال: ولقد وقع لي في هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخي هي أني إنما ربيت في حجور بعض أهل هذه الطائفة أعني القوم السالمين من المحذور واللوم فوقر عندي كلامهم لأنه صادف قلباً خالياً فتمكن، فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو أربع عشرة سنة فقرأت مختصر أبي شجاع على شيخنا أبي عبد الله الإمام المجمع على بركته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الأزهر بمصر المحروسة فلازمته، وكان عنده حدة فانجر الكلام في مجلسه يوماً إلى ذكر القطب والنجباء والنقباء والأبدال وغيرهم ممن مر، فبادر الشيخ إلى إنكار ذلك بغلظة وقال هذا كله لا حقيقة له، وليس فيه عن النبي ﷺ شيء فقلت له وكنت أصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا مرية فيه لأن أولياء الله أخبروا به وحاشاهم من الكذب. وممن نقل ذلك الإمام اليافعي، وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة فزاد إنكار الشيخ وإغلاظه عليّ، فلم يسعني إلا السكوت فسكت وأضمرت أنه لا ينصرني إلا شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين وإمام الفقهاء والعارفين أبو يحيى زكريا الأنصاري، وكان من عادتي أن أقود الشيخ محمداً الجويني لأنه كان ضريراً وأذهب أنا وهو إلى شيخنا المذكور أعني شيخ الإسلام زكريا ليسلم عليه، فذهبت أنا والشيخ محمداً الجويني إلى شيخ الإسلام، فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس أن أذكر لشيخ الإسلام

مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها، فلما وصلنا إليه أقبل على الشيخ الجويني وبالغ في إكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها: اللهم فقهه في الدين، وكان كثيراً ما يدعو لي بذلك، فلما تم كلام الشيخ وأراد الجويني الانصراف قلت لشيخ الإسلام: يا سيدي القطب والأوتاد والنجباء والأبدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة؟ قال نعم والله يا ولدي، فقلت يا سيدي إن الشيخ وأشرت إلى الشيخ الجويني ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره، فقال شيخ الإسلام هكذا يا شيخ محمد وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الإسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد تبت فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد ثم قمنا ولم يعاتبني الجويني على ما صدر مني.

ونظير هذه الواقعة من بعض وجهها ما وقع لي وعمري نحو ثماني عشرة سنة مع بعض مشايخنا أيضاً وهو شيخ الإسلام الشمس الدلجي، وكان أعطى في العلوم الشرعية والعقلية من متانة التصنيف وقوة السبك ما لم يعطه أحد من أهل زمانه، كنا نقرأ عليه ذات يوم في شرح «التلخيص» للسعد التفتازاني وفي كتاب صنفه الشيخ في أصول الدين فوقع ذكر العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه في المجلس، فبادر الشيخ وقال قاتله الله ما أكفره! وكيف وكلامه ينطق بالحلول والاتحاد؟ وأما شعره ففي الذروة العليا، فقلت له من بين الحاضرين: حاشاه الله من الكفر ومن الحلول والإلحاد، فأغلظ الشيخ في الإنكار عليّ وعليه فأغلظت في جوابه، وكان بالشيخ مرض بضيق النفس، وكان قد أخبرنا أن له مدة مديدة لا يقدر على وضع جنبه على الأرض ليلاً ولا نهاراً، فقلت له يا سيدي أنا ألتزم لك أنك إن رجعت عن إنكارك على الشيخ عمر بن الفارض وابن عربي وتابعيهما برئت من هذا الداء العضال، فقال هذا لا يصح، فقلت صدقوا قولي بالرجوع عن ذلك مدة يسيرة فإن ذهب وإلا فأنتم تعرفون ما ترجعون إليه، فقال: يمكن أن نجرب ثم أظهر لنا الرجوع والتوبة فانصلح حاله وخف مرضه مدة مديدة وكنت أقول له يا سيدي صحت ضمانتي فيضحك ويعجبه ذلك، وفي تلك المدة ما سمعنا منه عن هذه الطائفة إلا خيراً. ثم عاد فعاد له بعد ذلك المرض بأشد ما كان وأتعبه فأذيق ألم ذلك المرض واستمر يشتد عليه بعد ذلك نحو عشرين سنة حتى مات وهو على حاله.

وسئل أيضاً في «الفتاوى الحديثية» عن معنى قول أبي يزيد: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله. فأجاب بقوله: هذا القول لم يصح عنه، وإن صح فقوله جميع ما أعطي الأولياء مما أعطى الأنبياء كزق مليء عسلاً فرشحت منه رشحات فتلك الرشحات هي ما أعطى الأولياء، وما في باطن الزق هو ما أعطى الأنبياء يوجب إن لم يكن صدر منه في حال السكر صرف ذلك القول عن ظاهره ويتعين تأويله بما يليق بجلالة الأنبياء، بأن يقال وقفوا بساحله ليعبروا فيه من رأوا فيه أهلية العبور ويمنعوا من لم يروا فيه أهلية العبور أو ليدركوا من رأوه أشرف على الغرق أو نحو ذلك مما فيه نفع للغير كما يقف الأفضل ليشفع في دخول الجنة ويدخل المفضول قال بعضهم: أو يقال وقوفهم وقوف صدور لا وقوف ورود، وعلى كل حال فلا يظن بأبي يزيد نفع الله به إلا ما يليق بجلالة قدره وعلو مقامه وما علم منه من تعظيم الأنبياء وشرائعهم ونهاية الأدب مع جميعهم.

وسئل في «الفتاوى الحديثية» أيضاً رضي الله عنه عن الخطاب الذي يذكره الأولياء فيقول أحدهم حدثني قلبي عن ربي ويقول بعضهم خاطبني ربي بكذا هل ينسب إلى الله سبحانه وما حقيقته وهل يسمى كلاماً أو حديثاً وما الفرق بين ما سمعه الأنبياء وما سمعه الأولياء وما على من جحد أحدهما؟ فأجاب بقوله: فرق القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به بين النبوة والولاية بما حاصله: إن النبوة كلام الله الواصل للنبي ﷺ مع الملك والروح الأمين. والولاية حديث يلقى في قلب الولي على سبيل الإلهام المصحوب بسكينة توجب الطمأنينة والقبول له من غير توقف ولا تلعثم، ورد بالأول كفر، والثاني نقص.

وجاء فقيه لأبي يزيد معترضاً عليه، فقال له علمك عمن، وممن ومن أين؟ فقال: علمي من عطاء الله، وعن الله عزّ وجلّ، من حيث قال رسول الله ﷺ: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» وقال: العلم علمان: علم ظاهر، وعلم باطن، فالعلم الظاهر حجة الله على خلقه والعلم الباطن هو العلم النافع، فعلمك يا فقيه نقل من لسان إلى لسان للتعلم لا للعمل، وعلمي من علم الله عزّ وجلّ إلهاماً ألهمني من عنده، فقال له الفقيه: علمي عن الثقات عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله، فقال: للنبي ﷺ علم عن الله عزّ وجلّ لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل عليهما الصلاة والسلام، فطلب منه الفقيه أن يوضح له علمه الذي ذكره، فقال: يا فقيه أعلمت أن الله عزّ وجلّ كلم موسى تكليماً وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً وكلم الأنبياء وحياً؟ قال: بلى قال: أما علمت أن كلامه للصديقين والأولياء بإلهام منه لهم وألقى فوائده في قلوبهم وتأييده لهم ثم أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة؛ ومما يؤيد ما قلته ما ألهم الله عزّ وجلّ أم موسى أن تقذفه في التابوت ثم تلقيه في اليم، وكما ألهم الخضر في أمر السفينة وأمر الغلام والحائط، وقوله لموسى ﴿وما فعلته عن أمري﴾ [الكهف: ٨٢] أي إنما هو علم الله عزّ وجلّ، وقال تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ [الكهف: ٦٥] أي بناءً على ما عليه الصوفية قاطبة أنه وليّ لا نبي، أو كما ألهم يوسف ﷺ في السجن فقال: ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ [يوسف: ٣٧] أي وكان ذلك قبل النبوة، وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله تعالى عنها: إن بنت خارجة حامل ببنت، ولم يكن استبان حملها فولدت جارية، ومثل هذا كثير، وأهل الإلهام قوم اختصهم الله بالفوائد فضلاً منه عليهم، وقد فضل الله بعضهم على بعض في الإلهام والفراسة. فقال الفقيه: قد أعطيتني أصلاً وشفيت صدري.

ومما يؤيد ما رواه الصوفية من أن الإلهام حجة: أي فيما لا مخالفة فيه لحكم شرعي، ما صح من قوله ﷺ في الحديث القدسي «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث. وفي رواية «فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق» وفي أخرى «وكنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً».

والحاصل أن العلماء بالله عزّ وجلّ هم الواقفون مع الله تعالى في العلوم والأعمال والمقامات والأحوال والأقوال والأفعال وسائر الحركات والسكنات والإرادات والخطرات ومعادن الأسرار ومطالع الأنوار، والعارفون المحبون المقربون رضي الله تعالى عنهم ونفع بهم. إذا تقرر ذلك علم منه الجواب عن جميع ما في السؤال، وهو الفرق بين خطاب النبي ﷺ وخطاب الولي، فالأول بواسطة

الملك أو لا بواسطة أو بالرؤيا الصادقة أو النفث في الروع، وكل ذلك يسمى وحياً وكلاماً ينسب إلى الله حقيقة، ومن أنكر ما علم من الدين بالضرورة كفر. والثاني شيء يلقي في القلب يثلج له الصدر وهو المسمى حديثاً وإلهاماً، لقوله ﷺ في الحديث: «إن في أمتي محدثون» بفتح الدال: أي ملهمون «ومنهم عمر».

واختلف العلماء في حجية الإلهام بقيده السابق، فالأرجح عند الفقهاء أنه ليس بحجة إذ لا ثقة بخواطر غير المعصوم، وعند الصوفية أنه حجة ممن حفظه الله في سائر أعماله الظاهرة والباطنة، والأولياء وإن لم يكن لهم العصمة لجواز وقوع الذنب منهم ولا تنافيه الولاية، ومن ثم قيل للجنيد: أيزني الولي؟ فقال: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨] لكن لهم الحفظ فلا تقع منهم كبيرة ولا صغيرة غالباً، وعلى القول بحجيته فهو ينسب إلى الله تعالى بمعنى أنه سبحانه الملقي له في القلب كرامة لذلك الولي وإنعاماً عليه بما يكون سبباً لمزيد له أو صلاح لغيره.

وسئل الإمام ابن حجر أيضاً بما لفظه: ما الذي يجاب به عما وقع من شطحات الأولياء كقول أبي يزيد: سبحاني ما في الجبة غير الله. وقول الحلاج: أنا الحق، ونحو ذلك مما لا يخفى من كلماتهم وإشاراتهم التي ظاهرها انتقاد، وباطنها حق إلا عند أهل المقت والعناد؟. فأجاب بقوله: ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان الإنكار، ومنّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه، وحمل ما صدر عنهم على أحسن المحامل وأقومها عنها أجوبة مسكتة وتحقيقات مبهتة لا يهتدي إليها إلا الموفقون ولا يعرض عنها إلا المخذولون، فاحذر أن تكون ممن يحتسي كأس سم الإنكار فيهلك لوقته، وبادر إلى السلامة من غضب الله تعالى ومحاربته ومقته. فقد قال الله تعالى على لسان الصادق المصدوق ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» أي أعلمته أني محارب له. قال الأئمة: ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه وآكل الربا، ومن حاربه الله تعالى لا يفلح أبداً. أحد تلك المسالك: أن تكون الكلمات حكاية عن حضرة الحق ونطقاً عما يليق به وما شاهدوه من أنوارها وغلبة التجوز في نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية والقرب يبسط لهم العذر ويرفع عنهم الإصر. وممن اعتمد هذا المسلك الشهاب السهروردي المجمع على إمامته في العلوم الظاهرة والباطنة في عوارفه حيث قال: وما حكي عن أبي يزيد رضي الله عنه من قوله: سبحاني، حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول مثل ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى، قال: وذلك مما ينبغي أن يعتقد في الحلاج رحمه الله في قوله: أنا الحق، ثانيها: أن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب الآخذة له من صحوه وتمييزه؛ ألا ترى أن بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه في فكره وخطرها، فإنه إذا كان هذا في الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحق على القلوب، ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب، وعوالم الملكوت المنكشفة لهم في منازلاتهم ومشاهدة عجائب القدرة في ترقياتهم، فإن ذلك لا يبقى في القلب شعوراً ولا تمييزاً، بل يصير صاحبه كالسكران الثمل، فحينئذٍ ينطق بما رسخ في خلده قبل، ويرجع بطبعه قهراً عليه إلى ما

كان يلحظه ويعوّل عليه فينطق لسانه بطبق تلك الأحوال لكن بعبارات لا يقصد بها ما يوهمه ظاهرها: من اتحاد أو حلول أو انحلال، فتأمل ذلك وعول عليه تسلم، وكل سكر نشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف. وممن اعتمد هذا المسلك القطب الرباني عبد القادر الجيلاني نفع الله به، ثم نقل عن الجيلاني رضي الله عنه من كلام الحقائق ما شهد به للحلاج بالفناء في الله تعالى، وأنه إنما قال: أنا الحق بلسان سكر المحبة حين لم يجد في الدارين محبوباً سوى محبوبه عزّ وجلّ. قال ابن حجر بعده: ويكفي الحلاج شرفاً شهادة هذا القطب له بهذا المقام، وقد بسط الغزالي رحمه الله تعالى أحواله، فأجاب عن كلماته ووقائعه بما ينزه ساحته عن حلول أو غيره من الاعتقادات الباطلة، وأطال الكلام الإمام ابن حجر في هذا الجواب، وذكر شطحات أخرى لبعض الأولياء وأجاب عنها فراجعه إن شئت.

وسئل في «الفتاوى الحديثية» أيضاً عن ابن العربي وابن الفارض رضي الله عنهما، فأجاب رضي الله عنه بقوله: ملخص ما نعتقده في ابن عربي وابن الفارض وتابعيهما بحق الجارين على طريقتهما من غاية إتقان علوم المعاملات والمكاشفات، ومن غاية الزهد والورع والتجرد والانقطاع إلى الله في الخلوات والدأب على العبادات ونسيان الخلق جملة واحدة ومعاملة الحق ومراقبته في كل نفس كما تواتر كل ذلك عن هذين الرجلين العظيمين أنهم طائفة أخيار أولياء أبرار بل مقربون ومن رق السوي أحرار لا مرية في ذلك ولا شك إلا عند من لا بصيرة له، وكفاك حجة على ولايتها تصريح كثيرين من الأكابر بها، وبأنهما من الأخيار المقربين، كالشيخ العارف الإمام الفقيه المحدث المتقن عبد الله اليافعي نزيل مكة المشرفة وعالمها.

ومن ثم قال الإسنوي في ترجمته «فاضل الأباطح وعالمها»، وقال: الحمد لله الذي ابتدأ كتبنا بالشافعي وختمها باليافعي، وكالشيخ الإمام المجمع على جلالته وعلمه بمذهب مالك وغيره وعلى معرفته التاج ابن عطاء الله، وناهيك بحكمه وتنويره دليلاً على ذلك حتى قالوا كادت الحكم أن تكون قرآناً يتلى، وكالشيخ الإمام العلامة المحقق الشافعي الأصولي التاج السبكي، وكشيخنا خاتمة المتأخرين وواسطة عقد المحققين زكريا الأنصاري وكالشيخ العلامة البرهان بن أبي شريف، وناهيك أيضاً بهذين العالمين فيكفيك ما قاله هؤلاء الأئمة العارفون بالله العالمون العاملون الفقهاء الأولياء وما صرحوا به من أن كلا الإمامين المذكورين وطائفتيهما التابعين لهما بحق أولياء أخيار أتقياء أبرار. فكيف يمتري عاقل أو متدين بعدما صرح به أئمة الدين الذين أماطوا عن وجهه شبه المبطلين، وأبطلوا حجج المتمردين مما ذكر في ولاية هؤلاء الأئمة المذكورين.

ويا عجباً كيف نأخذ بقولهم في الأحكام ونعمل بها فيما بيننا وبين الله ونعتمد عليها في التحريم والتحليل وقتل الأنفس وقطع الأيدي وغير ذلك من العظائم ولا نأخذ بقولهم في أئمة مسلمين تضلعوا من الكتاب والسنّة وضموا إلى ذلك الفروع الاجتهادية وما يلائم ذلك من العلوم الأدبية والعربية، ثم بعد إتقان ذلك كله اشتغلوا بصفاء قلوبهم حتى أشرقت وتنورت وصارت شفافة تحكي ما قابلته؛ فكوشفوا بإبراز العلوم وأحكامها الباطنة بل وبحكم الموجودات كالعبادات وغيرها فدوّنوها قصداً لأن ينتفع بها من سلك طريقتهم ويعلم بها المحق من غيره، وأن المحق ينطق عن

وجدانه بما يضاهيها فلا يتقيد بها. وأما المبطل فليس له منها إلا مجرد الحفظ باللسان، ولو طلب منه تحقيقها فضلاً عن إبداء ما يماثلها لعجز عن ذلك.

قال البقاعي: وكان من المنكرين أو أكبرهم في كتاب للشيخ محيي الدين صنفه في أسرار المعاملات هذا أجل من تصنيف الغزالي، فتأمل كيف هذا الرجل بهذه المرتبة العظيمة العديمة النظير، ويظن به سفاسف الرذائل التي لا يرضى بها أقل متدين، ليس ذلك إلا محض تعصب وسعياً في تبوؤ مفاوز المقت، أعاذنا الله من ذلك.

قال ابن حجر: ولقد أخبرني شيخنا العارف العلامة أبو الحسن البكري عن الشيخ العلامة جمال الدين الصابي من صريح لفظه؛ وكان من أجل تلامذة شيخنا زكريا السابق أنه كان ينكر على الشرف ابن الفارض فرأى القيامة قد قامت، وعلى كتفه خرج وهو به في غاية التعب، ثم سمع قائلاً يقول؛ أين جماعة ابن الفارض؟ قال فتقدمت لأدخل معهم فقيل لي لست منهم فارجع فانتبهت وأنا في غاية الخوف والأسف والحزن، فتبت إلى الله من الإنكار على ابن الفارض وخلصت عقيدتي مع الله تعالى واعتقدت فيه أنه من أولياء الله تعالى، فنمت في مثل تلك الليلة من السنّة الثانية فرأيت ذلك المنام بعينه، ثم سمعت القائل يقول: أين جماعة ابن الفارض يدخلون الجنة؟ فتقدمت معهم، فقيل لي: ادخل الآن أنت منهم، فانظر هذه القضية من رجل فقيه.

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه إنما أرى ذلك حتى رجع ببركة شيخه زكريا، وإلا فكم من منكر عليهم تركوه وعماه حتى باء بالخسار والبوار. قال: فإن قلت: قد أنكر عليهم أئمة أجلاء أيضاً، كالبلقيني وغيره وآخرهم البقاعي وتلامذته وبعضهم ممن أخذت عنه، فلم رجحت تلك الطريقة؟: يعني المحاماة عنهم والاعتقاد فيهم دون هذه الطريقة: يعني الاعتراض عليهم؟ قلت إنما رجحتها لأمور: منها ما ذكره شيخنا في «شرح الروض» نقلاً عن السعد التفتازاني محقق الإسلام وفارس ميدانه. وحاصله رداً على ابن المقري حيث قال: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر، إذ الحق أنهم أخيار أئمة، وأن اليافعي وابن عطاء الله وغيرهما صرحوا بولاية ابن عربي، وأن اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله فيما اصطلحوا عليه، وأن العارف إذا استغرق في بحار التوحيد ربما صدرت عنه عبارات توهم الحلول والاتحاد ولا حلول ولا اتحاد. ومنها ما صرح به أئمتنا كالرافعي في العزيزي والنووي في «الروضة، والمجموع» وغيرهما من أن المفتي إذا سئل عن لفظ يحتمل الكفر وغيره لا يقول: هو مهدر الدم أو مباحه أو يقتل أو نحو ذلك، بل يقول يسأل عن مراده فإن فسره بشيء عمل به. فانظر وفقك الله إلى هذه العبارات تجد المنكرين الذين يتهجمون على هذا الرجل العظيم ويجزمون بكفره قد ارتكبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء، وأن الله أعمى بصائرهم وأصم آذانهم عن ذلك حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكان سبباً لمقتهم وعدم الانتفاع بعلمهم. ومنها أن علمهم رضي الله عنهم وزهدهم ورفضهم الدنيا والسوي جملة واحدة قاض بنزاهتهم عن هذه المقالات الشنيعة، فترجح بذلك عدم الإنكار عليهم لأن عباراتهم حقيقة فيما اصطلحوا فيه فلا يجوز الإنكار عليهم إلا بعد معرفة مدلول كلامهم ثم معرفة اصطلاحهم ثم يطبق ذلك الاصطلاح على ذلك المدلول وينظر هل يطابقه أم لا؟ وبحمد الله المنكرون عليهم كلهم جاهلون بذلك؛ إذ ليس منهم

أحد أتقن علوم المكاشفات بل ولا شم لها رائحة، ولا أحد منهم ملك زمامه لأحد منهم حتى أحاط باصطلاحاتهم.

ثم شنع الإمام ابن حجر على ابن المقري لذكره تلك العبارة الشنيعة في «الروض» في حق طائفة ابن العربي رضي الله عنه قال. ولقد تواتر وشاع وذاع أن من أنكر على هذه الطائفة لا ينفع الله بعلمه ويبتلي بأفحش الأمراض وأقبحها، ولقد جربنا ذلك في كثير من المنكرين، حتى إن البقاعي غفر الله له كان من أكابر أهل العلم وكان له عبادات كثيرة وذكاء مفرط، وحفظ باهر في سائر العلوم لا سيما علم التفسير والحديث، ولقد صنف كتباً كثيرة أبى الله أن ينفع أحداً منها بشيء، وله كتاب في مناسبات القرآن نحو من عشرة أجزاء لا يعرفه إلا الخواص بالسماع. وأما غيرهم فلا يعرفونه أصلاً، ولو كان هذا الكتاب لشيخنا زكريا أو غيره ممن يعتقد لكان يكتب بالذهب لأنه في الحقيقة لم يوضع مثله، لكن ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ [الإسراء: ٢٠].

ولقد بالغ البقاعي في الإنكار وصنف فيه مصنفات كلها صريحة في غاية التعصب والميل عن سبيل الاستقامة، ومن ثم جوزي بما مر وبأقبح منه، وهو أنه ضبط عليه في مناسباته فحكم بتكفيره وإهدار دمه ولم يبق من ذلك إلا إزهاق روحه لولا استعان ببعض الأكابر حتى خلصه من تلك الورطة واستتيب في الصالحية بمصر وجدد إسلامه، ولقد كان له تلامذة أكابر أخذوا بقوله وما يعتقده وبعضهم من مشايخي، لكن لم يظهر لهم علم لأن بعضهم لم يتيسر له التصنيف، وبعضهم صنف في فن الفقه تصانيف تضاهي تصانيف السعد التفتازاني وغيره من بلاغتها وحسن سبكها وجودة تراكيبها، ولكن لم يعبأ أحد بها ولم يلتفت إليها بل الناس عنها في غاية الإعراض.

ولقد وقع لي مع هذا الرجل ـ وهو الشمس الدلجي كما تقدم أني كنت أقرأ عليه فاعتراه ضيق نفس، وكنت لا أعلم إنكاره على هذه الطائفة فوقع في بعض المجالس ذكر الشيخ عمر بن الفارض قدس الله سره، فقيل له ما تقول فيه؟ قال: شاعر مفلق، فقيل له فماذا بعد ذلك؟ قال كافر، فأخذني من ذلك المقيم المقعد، ثم عدت عليه لأقرأ وتوسمت توبته فرأيته مريضاً بضيق النفس مرضاً شديداً بحيث صار مشرفاً على زهوق نفسه، فقلت له: إن اعتقدت في ابن الفارض ضمنت لك أن الله يشفيك من هذا المرض، فقال لي هذا له معي مدة من السنين، فقلت وإن كان، قال أفعل فخفف عنه ثم خفف عنه، فمشيت معه يوماً لأجس عقيدته، فقال لي: أما ذات الرجل فلا أحكم عليها بكفر. وأما كلامه ففيه ما هو كفر، فقلت ظلم دون ظلم، ثم تركت القراءة عليه وصار ذلك المرض ملازمه لكن بخفة نسبية.

ولقد كان بعض تلامذة البقاعي أيضاً، وهو الشيخ العلامة نور الدين المحلي يقول: أما ذات الرجل فلا أحكم عليها بكفر. وأما كلامه ففيه ما هو كفر. فإن قلت: من المنكرين من نفع الله بعلمه. قلت: المنكرون على قسمين: قسم منهم لم يقصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين بل محض تعصب ورأوا ذلك وغلب عليهم نوع من الحسد وحب إبداء خلاف أهل العصر قصداً لتميزه عليهم بالأشياء الغريبة والاشتهار عنهم أنهم ينكرون المنكر ولا يخافون أحداً ونحو ذلك من

الأغراض الفاسدة التي لم يصحبها نوع إخلاص. ومنهم الشيخ البقاعي وعلاء الدين النجاري ومن ضاهاهما.

ولقد أدى البقاعي تعصبه إلى أن أنكر على حجة الإسلام الغزالي قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان، وشنع بما أوغر منه الصدور حتى دخل ليسلم على بعض أهل العلم فوجده في مكان خالٍ، فأخذ ذلك الرجل تاسومته وضرب بها البقاعي حتى أشرف على التلف وطار وهو يضربه ويوبخه ويقول له: أنت المنكر على الغزالي؟ أنت القائل في حقه كذا وكذا حتى جاء الناس وخلصوه منه ولم ينتطح فيها شاتان، وبعد ذلك قام عليه أهل عصره وعاندوه وصنفوا في الذبّ عن الغزالي والردّ على البقاعي كتباً عديدة.

وحاصل الجواب عن كلام الغزالي المذكور أن إرادة الله سبحانه وتعالى لما تعلقت بإيجاد هذا العالم وأوجده وقضي ببقاء بعضه إلى غاية وببقاء بعضه الآخر لا إلى غاية، وهو الجنة والنار كان ذلك مانعاً من تعلق القدرة الإلهية بإعدام جميع هذا العالم، لأن القدرة لا تتعلق إلا بالممكن وإعدام ذلك غير ممكن لا لذاته بل لما تعلق به مما ذكرناه، ولما كان إعدامه محالاً لما قلناه كان إيجاده الأول على غاية الحكمة والإتقان، وكان أبدع مما يمكن أن يوجد لأنه لا يوجد غيره لما تقرر.

والقسم الثاني: قوم قصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين وذب هؤلاء الجهلة المتصوفة الذين يشتغلون بمطالعة كتب ابن عربي وأتباعه مع خلوهم عن العلوم الرسمية والأحوال الكشفية واتصافهم بالجهل المحض ويتخذونها ديدنا حتى يفهموا منها غير المراد، وهؤلاء الكفر أقرب إليهم من الإسلام. ولقد شاهدنا منها جماعة يأكلون في رمضان ويختلون في نهاره بالمرد في الحمام ويفعلون ما هو أقبح من ذلك ويقولون نحن لا نشهد إلا الله، وهذه التحليلات والتحريمات إنما يخاطب بها المحجوبون عن الله كهؤلاء الفقهاء المنكرين. وقوماً يستبيحون أكل أموال الناس ويقولون الأشياء كلها مملوكة لله سبحانه ونحن من عبيده، وقوماً تلهيهم مطالعة كتبه عن الجماعة وأداء الفرائض في أوقاتها وغير ذلك، فهؤلاء لا يمتري في سفههم وجهلهم. وبحب زجرهم عن مطالعة كتب الشيخ لا لنقص فيها، بل لنقص في هؤلاء، ولقد شافهني بعضهم بكثير مما قدمته، وبعضهم يقول: العالم قديم والكفار لا يعذبون في جهنم. قلت: من أين لك هذا؟ فقال صرح به الشيخ محيي الدين بن عربي، فانظر كيف فهم عبارة الشيخ على ظاهرها واعتقد ذلك، وما درى الجاهل المغرور أن المراد بها غير ذلك كما صرح به الشيخ في بعض كتبه، ولقد قال قدس الله سره ونوّر ضريحه: نحن قوم تحرم المطالعة في كتبنا إلا لعارف باصطلاحنا، فانظر كيف هذا نص صريح من الشيخ بتحريم المطالعة على هؤلاء الجهلة المغرورين المستهزئين بالدين، فالمنكرون إن قصدوا بالإنكار المبالغة في زجر مثل هؤلاء فلا حرج عليهم، وهم في أمن من الشيخ وأتباعه لأنهم ساعون في غرض الشيخ من عدم مطالعة هؤلاء كتبه. ولقد بلغني عن بعض المنكرين أنه قيل له أترضى أن يكون خصمك يوم القيامة الشيخ محيي الدين بن عربي وهو من أولياء الله تعالى؟ فقال نعم لأن الشيخ إن كان محقاً فهو ينكشف له أن إنكاري إنما كان لله تعالى فيفرح بذلك، وإن كان مبطلاً فالغلبة لي فأنا آمن منه على كل تقدير، فتأمل كيف أنصف هذا مع أنه منحط عن درجة الكمال على كل تقدير إذ التسليم أسلم، لكن أهل

هذا القسم أحسن حالاً من أهل القسم الأول، ومن انتشر علمه من المنكرين علمنا أنه لم يكن من القسم الأول بل من القسم الثاني، ويا عجباً أيضاً من المنكرين كيف يقرون الغزالي ويعرفون بحقيقة ما قاله من التعصب للحلاج مع أنها صرائح لا يحتمل كثير منها التأويل القريب ولا يؤولون كلام الشيخ محيي الدين بن عربي، ليس ذلك إلا لما غلب عليهم من مزيد التعصب. نسأل الله السلامة منه وأن يحشرنا تحت مواطىء أقدام هؤلاء الأئمة الأكابر الأخيار بمحمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم.

وسئل الإمام ابن حجر أيضاً: ما حكم مطالعة كتب الشيخ محيي الدين بن عربي؟ فأجاب بقوله الذي أثرناه عن أكابر مشايخنا العلماء الحكماء الذين يستسقى بهم الغيث وعليهم المعوّل وإليهم المرجع في تحرير الأحكام وبيان الأحوال والمعارف والمقامات والإشارات: أن الشيخ محيي الدين بن عربي من أولياء الله تعالى العارفين ومن العلماء العاملين، وقد اتفقوا على أنه كان أعلم أهل زمانه بحيث إنه كان في كل فن متبوعاً لا تابعاً وأنه في التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يجارى وإمام لا يغالط ولا يمارى، وأنه أورع أهل زمانه وألزمهم للسنّة وأعظمهم مجاهدة حتى إنه مكث ثلاثة أشهر على وضوء واحد وقس على ذلك ما هو من سوابقه ولواحقه، ووقع له ما هو أعظم من ذلك، ومنه أنه لما صنف كتابه «الفتوحات المكية» وضعه على ظهر الكعبة ورقاً من غير وقاية عليه فمكث على ظهرها سنّة لم يمسه مطر ولا أخذ منه الريح ورقة واحدة مع كثرة الرياح والأمطار بمكة، فحفظ الله كتابه هذا من هذين الضدين، دليل أي دليل وعلامة أي علامة على أنه تعالى قبل منه ذلك الكتاب وأثابه عليه وحمد تصنيفه له فلا ينبغي التعرض للإنكار عليه فإنه السم القاتل لوقته كما شاهدناه وجربناه في أناس حق عليهم من المقت وسوء العقاب ما أوجب لهم التعرض لهذا الإمام العارف بالإنكار حتى استؤصل شأفتهم وقطع دابرهم ﴿فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم﴾ [الأحقاف: ٢٥] فمعاذاً بالله من أحوالهم وتضرعاً إليه بالسلامة من أقوالهم. وأما مطالعة كتبه رضي الله عنه فينبغي للإنسان أن يعرض عنها بكل وجه أمكنه فإنها مشتملة على حقائق يعسر فهمها إلا على العارفين المتضلعين من الكتاب والسنّة المطلعين على حقائق المعراف وعوارف الحقائق، فمن لم يصل إلى هذه المرتبة يخشى عليه منها مذلة القدم والوقوع في مهامه الحيرة والندم كما شاهدناه في أناس جهال أدمنوا مطالعتها فخلعوا ربقة الإسلام والتكليفات الشرعية من أعناقهم وأفضى بهم الحال إلى الوقوع في شرك الشرك الأكبر فخسروا الدنيا والآخرة ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ [الزمر: ١٥] وأيضاً ففي تلك الكتب مواضع عبر عنها بما لا يطابقه ظواهر عباراتها اتكالاً على اصطلاح مقرر عند واضعها فيفهم مطالعها ظواهرها الغير مرادة فيضل ضلالاً مبيناً. وأيضاً ففيها أمور كشفية وقعت حال غيبة واصطلام، وهذا يحتاج إلى التأويل، وهو يتوقف على إتقان العلوم الظاهرة بل والباطنة، فمن نظر فيها وهو ليس كذلك فهم منها خلاف المراد فضلّ وأضل، فعلم أن مجانبة مطالعتها رأساً أولى، فإن العارف لا يحتاج إليها إلا ليطابق بما فيها ما عنده، وغيره إن لم تضره ما نفعته، نعم له كتب في التربية الصرفة والحمل على الأخلاق والأحوال وغيرهما مما يناسب السلوك، فهذه لا بأس بمطالعتها فإنها ككتب الغزالي وأبي طالب المكي ونحوها من الكتب النافعة في الدنيا والآخرة فجزى الله مصنفيها خير الجزاء وأكمله.

وسئل أيضاً في «الفتاوى الحديثية» عن مطالعة كتب ابن عربي وابن الفارض. فأجاب بقوله حكمها أنها جائزة مطالعة كتبهما، بل مستحبة فكم اشتملت تلك الكتب على فائدة لا توجد في غيرها وعائد لا تنقطع هو أطل خيرها وعجيبة من عجائب الأسرار الإلهية التي لا ينتهي مدد خيرها، وكم ترجمت عن مقام عجز عن الترجمة عنه من سواها وأظهرت من العبارة الوافية عن حال أعجز حال من عداها ورمزت من رموز لا يفهمها إلا العارفون ولا يحوم حول حومة حماها إلا الربانيون الذين هم بين بواطن الشريعة الغراء وأحكام ظواهرها على أكمل ما ينبغي جامعون، فبذلك كانوا بفضل مؤلفيها يعترفون وعلى ما فيها من الأخلاق والأحوال والمعارف والمقامات والكمالات هم المعولون، ولم لا؟ وهذان الإمامان المذكوران في السؤال من أئمة السلوك والمعارف، ومن الأخيار الذين منحهم الله تعالى غايات اللطائف ولطائف العوارف وذوى عن قلوبهم محبة ما سواه تعالى وعمرها بذكره وشهوده وأسبغ عليها رضاه وفرّغهم له فقاموا بواجب خدمته حسب الطاقة البشرية وأجرى عليهم من سوابغ قربه حقائق الوحدانية الفردانية. فتوسلا إليك اللهم أن تهلّ على جدثيهما هواطل الرحمة والرضوان، وأن تسكنهما من قربك الأكبر أعلى فراديس الجنان، إنك أنت الحنان المنان. هذا، وإنه قد طالع هذه الكتب أقوام عوام جهلة طغام فأدمنوا مطالعتها مع دقة معانيها ورقة إشاراتها وغموض مبانيها وبنائها على اصطلاح القوم السالمين من المحذور واللوم وتوقف فهمها بكمالها على إتقان العلوم الظاهرة والتحلي بحقائق الأحوال والأخلاق الباهرة، فلذلك ضعفت أفهامهم وزلت أقدامهم وفهموا منها خلاف المراد واعتقدوه صواباً فباؤوا بخسار يوم التناد وألحدوا في الاعتقاد وهوت بهم أفهامهم القاصرة إلى هوة الحلول والاتحاد حتى لقد سمعت شيئاً من هذه المفاسد القبيحة والمكفرات الصريحة من بعض من أدمن مطالعة تلك الكتب مع جهله بأساليبها وعظم مالها من الخطب. وهذا هو الذي أوجب لكثير من الأئمة الحط عليها والمبادرة بالإنكار إليها، ولهم في ذلك نوع عذر لأن قصدهم فطم أولئك الجهلة عن تلك السموم القاتلة لهم، لا الإنكار على مؤلفيها من حيث ذاتهم وحالهم، وبعض المنكرين يغترون بظواهر ألفاظها وإيهامها خلاف مقصود حفاظها غفلة عن اصطلاحاتهم المقررة وتحقيقاتهم المقدرة وعلى القواعد الشرعية محررة. والحق عدم الإنكار والتسليم فيما برز عن أولئك الأئمة الأطهار مع التشديد على الجهلة بالقواعد والاصطلاحات في مطالعة تلك الكتب؛ فقد صرح الإمام ابن العربي بحرمة مطالعة كتبهم إلا لمن تحلى بأخلاقهم وعلم معاني كلماتهم الموافقة لاصطلاحاتهم، ولا تجد ذلك إلا فيمن جد وشمر وجانب السوء وشد المئزر وتضلع من العلوم الظاهرة وتطهر من كل خلق دنيء مما تعلق بالدنيا والآخرة، فهذا هو الذي يفهم الخطاب، ويؤذن له في الدخول إذا وقف على الباب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. انتهى كلام ابن حجر في الجواب عن ساداتنا الصوفية، وفيه مع ما تقدم من كلام الإمام الشعراني ومن نقل عنهم من أكابر العلماء ما فيه مقنع عظيم لكل ذي قلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

وقد نجز تأليف هذا الكتاب بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يد مؤلفه الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني، عفا الله عنه ٢١ صفر الخير سنة ١٣٢٣ هـ في مدينة بيروت، وذلك في أيام خلافة السلطان الغازي الأعظم والخاقان الأكرم سيدنا ومولانا السلطان «عبد الحميد الثاني العثماني» نصره الله وأعز به الدولة والدين وكفاه شر أعدائه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(تم كتاب شواهد الحق)

ويليه رسالتان

الأولى: للعارف بالله سيدي السيد مصطفى البكري في الرد على منع الزيارة.

والثانية: للعارف بالله الشيخ زروق في الرد على ابن تيمية.

الرسالة الأولى لسيدي مصطفى البكري

كلام الولي الكبير شيخ الطريقة الخلوتية وأحد أئمة الحنفية سيدي السيد مصطفى البكري وشيخه إمام العارفين سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي الذي نقله عنه في ذلك مع كلام العلامة ملا علي القاري

قد رأيت كتاباً للعارف بالله سيدي السيد مصطفى البكري الخلوتي الشهير، سماه «لمع برق المقامات العوال، في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال» وقد أحببت أن أقتبس من أنواره فوائد تناسب المقام، لأن مؤلفه المذكور من أكابر العارفين ومشاهير الأئمة الأعلام المتفق على جلالتهم عند جميع أهل الإسلام، فأقول: قال رضي الله عنه فيه بعد الخطبة: وكان من جملة القضاء والقدر اللذين ليس عنهما مفر أن توجهت الهمة من أزمان إلى زيارة رفيع القدر والشأن صاحب المناقب الشهيرة التي هي أشهر من الشمس عند الظهيرة سيدي حسن الراعي المحمود المساعي، والمرشد الذي لمولاه مراعي، عليه رضوان الله ما دعا الإله داعي، لكنه كان يعيقني عدم مجيء إبان التيسير، وتأخر وقت ما أمضاه حكم تقدير العلي الكبير، إلى أن آن أوان الزيارة ولمع برق التقريب ورأينا علامة الإذن في الذهاب إلى ذلك المكان الرحيب. وذلك لما أن حرك الله السلام همة أحد أصدقائنا الكرام بلغه الله منازل الإكرام ومنحه التوفيق الرفيق التام، فتوجهت بقلب سليم في وادي الحب يهيم، إلى زيارة هذا الهمام والكامل العالم الإمام، ومعلوم أن زيارة مثل هذا المقدام ينبدب السير إليها على أسود العين لا الأقدام، وما أحسن قول من قال، مما بظل حمى الحب قال:

والله ما جئتكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم إلا تعثرت بأذيالي

وكم بلغ زائر بهذه الزيارة من الحبيب القريب آماله وأوطاره. فإن من زار الأكابر بالأدب والاحترام، ودخل حضرتهم بالوقار والاحتشام، حبى بما خبيء له من الإكرام وجنى جني ثمر القرب الخاص لا العام. وسقى بجام الصفاء المدام المدام. أنعم به من كأس يكسو الأنوار، وجام جام رأس الأكدار والآلام بالبتار، فإن أولياء الحق جل وعلا أحياء في قبورهم لهم اعتلا؛ فيلزم الزائر أن يتأدب معهم غاية الأدب إن رام أن يبلغ من حبيبه الأرب، فما كل من زار عرف حق المزور، ومن لم يغرف من بحر الأدب ويتأدب فدعواه الحب زور. قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥] سمعت شيخنا الملحوظ بعين الله الشيخ عبد الغني النابلسي زاد الله قربه وولاه في درسه بالسليمية في دمشق الشام عند تكلمه على هذه الآية يقول: في هذه الآية ردّ على من يقول إنه لا

تنبغي الاستعانة بغير الله، بل من قال هذا فقد كفر لمخالفته نص الكتاب، وإذا كانت الصلاة والصبر اللذان هما من أفعال العبد ندب الحق إلى الاستعانة بهما، فالاستعانة بأولياء الله تعالى في قضاء الحوائج والمصالح بالطريق الأولى جائزة، ولا شك أن من قال مثلاً يا سيدي عبد القادر لا يطلب الاستعانة منه، هذا لا يقوله عاقل، وإنما لما كانوا أقرب من السائل في اعتقاده إلى الله فكأنه يتشفع بهم إليه أو فيهم أو ما هذا معناه، انتهى كلام الشيخ عبد الغني النابلسي.

ثم ذكر سيدي مصطفى البكري سفره إلى ذلك المقام ووصوله إليه وزيارته قبره إلى أن قال: وقرأنا هناك ما تيسر من القرآن ودعونا الله لنا ولسائر الإخوان.

قال رضي الله عنه: ولقد نقل الشيخ علي القاري المكي في شرحه على «الحصن الحصين» فائدة عظيمة يستحب فعلها عند قبور الأنبياء والأولياء والعلماء ومن دونهم قال: إذا زرت قبر نبي أو ولي أو عالم أو من دونهم مثلاً وكنت في كرب عظيم وأردت أن صاحب ذاك القبر تحضر روحه إليك وتشكو إليه ظلامتك: أي بلسان حالك أو قالك ليشفع فيك عند المليك فيكفيك ما أهمك ومن دائك يشفيك، فاقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] عشر مرات، وإن قدمت قلب القرآن، أعني يّس كان أجود وأسرع والمعوذتين ثلاثاً ثلاثاً، وفاتحة الكتاب والأسماء الحسنى بعد أول البقرة وآخرها، وتغمض عينيك وتستحضر جميع قلبك ثم تقول: لا إله إلا الله ثلاثاً الله ثلاثاً بالمدّ، ثم تسكت سكتة لطيفة وتقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيدي فلان أو يا شيخ أو يا أستاذي أو يا رسول الله ﷺ: أي وتعرض على المزار ما أصابك من أكدار يجليها بمنة الستار بشفاعة صاحب المزار، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد. انتهى كلام ملا علي القاري. انتهت عبارة البكري. ورأيت له: أي لسيدي العارف بالله مصطفى البكري المذكور كتاباً آخر سماه «برء الأسقام في زيارة برزة والمقام» فمن فوائد قوله رضي الله عنه: فاستخرنا الله تعالى في السبحة بالطريقة المعهودة. وكيفيتها: أن يصلي على النبي ﷺ ذي الأخلاق المحمودة ويقول: اللهم إني أتشفع عندك بحرمة جمالك الباقي ووجهك العظيم الأعظم، وبحرمة نبينا محمد ﷺ إن كان هذا الفعل خيراً لي فليخرج غير أبي جهل، وإن كان فيه شر فليخرج هو، ويأخذ بمأذنة السبحة ويسمي الله ويسحب يده على حبات منها، ثم يقول: الله محمد علي أبو جهل أو فليعد الحبّ المسحوب أربعاً أربعاً، فإن فضل واحد فهو الواحد وإن كان اثنين فهو الحبيب الزين وإن كان ثلاثاً فهو عليّ ذو القدر العلي وإن كان أربعاً فهو الرابع الراتع في النار أبو الجهل المصرّ على الإنكار ففعلنا هذه الاستخارة فخرج أحد الثلاث وأعدناها مرتين أو ثلاثاً، ثم إن الخاطر انشرح للإجابة إلى تلك الربوع المستطابة. ثم قال سيدي مصطفى البكري: ثم إنا مررنا على مرقد الشيخ الصالح والمحب الفالح الشيخ علي صاحب البقرة قدس الله سره وقد دفنت بقربه بجانبه فقرأنا له الفاتحة، ودعونا الله تعالى أن تكون تجارتنا رابحة، وسألت الأخ الداعي لنا إلى داره، وهو إبراهيم بن أحمد البلاصي عن سبب تسمية الشيخ علي بصاحب البقرة؟ فأجاب بأن الشيخ كان له بقرة يحرث عليها فأراد أن يحلبها في بعض الأيام. فقالت له يا شيخ علي، إما حليب وإما حراث فأتى بها واستنطقها عند أهل القرية فقالت مثل المقالة الأولى، فقال لها اذهبي فلا حليب ولا حراث، ثم سقط ميتاً وسقطت هي أيضاً فدفنا في محل واحد وقبراهما

مقصودان للزيارة، وقد زرناهما في غير هذه المرة مع زمرة من الإخوان وحصل لنا الحظ التام وذكرنا الله تعالى عندهما برهة من الزمان، وفي ذلك اليوم زرنا أيضاً الشيخ ممدود صاحب الحال المشهود وسألنا عن سبب تسميته بهذا الاسم، فقيل لنا إنه يتراءى في هذه البرية في صورة حنش ويمتد في تلك الأرض فسموه الشيخ ممدود، أمدنا الله تعالى بمدد عباده الصالحين وجعلنا وأحبابنا وإخواننا من القوم الفالحين.

قال سيدي مصطفى البكري بعد ما ذكر: ومعلوم أن زيارة الصالحين الذين أقامهم الحق سبباً في قضاء مهمات المسلمين من الأحياء والميتين مندوبة شرعاً وعقلاً، فإن اتخاذ الوسائل قد صح نقلاً. فإن قال قائل: لأي شيء نطلب الأمداد من هذا الولي ولا نطلبه من الله؟ قلنا له لا شك أن من طلبه من الولي فهو جاهل غبي ولا يظنه في مسلم إلا جهول صبي في حجر الغواية ربي، فإن المسلم الذي قد آمن أن الحول والقوة لله رب العالمين، وأنه الفاعل لا غيره في الوجود الحادث المهين، كيف يطلب الإمداد من الولي حياً كان أو ميتاً مدده عميم؟ وإن هذا اعتقاد سيء في المسلمين، صاحبه سلك المعوج لا المستقيم، عافانا الله ومن نحب من هذا الاعتقاد الذميم، وإنما العبد إذا سمع أو رأى عبداً صالحاً وشاهد أو أخبر عن كرامات أكرمه الله تعالى بها وأحوال وعلوم وهبها له تحقق أنه أقرب منه لدى الحق جل وعلا كما يتحقق أحدنا بقرب الوزير من قلب السلطان أكثر منا، فإذا أراد قضاء حاجته من السلطان اتخذ له واسطة يوصله للوزير ثم هو يوصله إلى السلطان، فلو كان كل من سأل في قضاء حوائجه واستعان بغير الله فقد أخطأ أو أشرك للزم على هذا محذور كبير (والله تعالى يقول ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢] ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥]) فمن هذا القبيل زيارة عباد الله الصالحين والتوسل بهم وبقربهم لرب العالمين، فمن قال مثلاً: يا سيدي عبد القادر. فمراده كن شفيعي عند الله في قبول ما سألته من ربي فأني أعتقد أنك مني إليه والأقربون أولى بالمعروف، أو فتشفع لي عند سيد المرسلين؛ وهو عند رب العالمين في قبولي وإجابتي ما دعوته أو في قضاء حاجتي. وهذا مما لا بأس به، بل قد تكون الاستعانة واجبة: ألا ترى أنك لو وقعت في حفرة فمر عليك إنسان وتحققت من نفسك أنك إذا لم تستعن به وتقول له: خذ بيدي من تلك الحفرة هلكت فتكون الاستعانة هنا واجبة، فإن لم تفعل وقعت في وعيد من ألقى نفسه إلى التهلكة، فما استعان أحد بغير الله إلا وهو يعلم أنه سبب وواسطة لا أنه هو الممد أو هو المغيث، حاشا المسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد نعوذ بالله من سوء الظن الموجب للخسران والخذلان.

قال رضي الله عنه: يحكى أن سيدي محمداً الحنفي قدس الله سره فرش سجادته على البحر، وقال لمريده قل يا حنفي وامشِ فمشى المريد خلفه فخطر له لم تقول يا حنفي هلا قلت يا ألله؟ فلما قالها غرق فأمسك الشيخ بيده وقال له: أنت الحنفي تعرفه فكيف بالله؟ فإذا عرفت الله فقل يا ألله، يشير إلى أن الوسائط لا بدّ منهم، وقد قيل لو وصل واصل من غير واسطة لوصل رسول الله ﷺ ولكن كان واسطته أولاً جبريل؛ فالوسائط ينادون من مكان قريب فيجابون، والمريد من مكان بعيد فلا يجاب؟ فلهذا قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط. وقال آخر: لولا الوسائط لكنا من الوسائط، وقد صنف شيخنا الهمام بركة الشام الشيخ عبد الغني النابلسي حفظ الله وجوده للأنام رسالة سماها

«رسالة النور في زيارة القبور» أفصح فيها عن المقصود ورد على أهل الإنكار والجحود فراجعها، فمن أحب لله أحب أحبابه الخادمين أبوابه، فيزورهم ويلتمس من بركاتهم ويرجو من الحق أي يمده بإمدادتهم، وأنشد بعضهم:

زر مـن تحـب وإن شـطت بـك الـدار إن المـحـب لمـن يهـواه زوّار

وقال آخر:

وإن قـطعـوا رجـلي مشيت عـلى العصى وإن قـطعـوا الأخـرى حـبيـت وجئـت

وأنشد سيدي عبد القادر بن حبيب الصفدي، قدس الله سره في تائيته:

زر حيـهـم تـنـتـفـع والمـوتى تـنفـعهـم ولم تخـب مـن عـلاهـم بـالـزيـارات

يقرأ لفظ الموتى بالاختلاس بدون مد لئلا ينكسر البيت، قال سيدي مصطفى البكري بعد ما ذكر: فزيارة القبور من حيث هي سنّة. قال عليه الصلاة والسلام «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً» وعنه عليه الصلاة والسلام «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» وزيارة قبور الصالحين والأولياء بالطريق الأولى فإنهم أحياء في قبورهم، وكثير من الأولياء لا ينقطع تصرفهم بعد الموت، وكثير من الزوار يسمعون قراءتهم وذكرهم.

أخبرني أخونا الشيخ مصطفى بن عمرو الخلوتي، كان الله له: أنه زار مرة مرج الدحداح قال ووقفت عند قبر قريباً من مرقد شيخكم والشيخ محمد الغميان رحمهما الله تعالى وأخذت في الدعاء، فسمعت واحداً منهم يؤمن على دعائي لكن لا أدري هو شيخكم أو غيره؟ وأخبرني ذو الفيض الهتان أخونا الشيخ عبد الكريم القطّان أسكنه الله جنة الفردوس الأعلى عن والده الشيخ علي المبيض رحمه الله تعالى قال: قال: لي والدي: زرت مرة أخي الشيخ بكاراً وقرأت عنده سورة يّس فردني أربع مرات ا هـ. ثم قال البكري رضي الله عنه: وأخبرني بعض أصدقائنا الفائزين بصحبة شيخنا الشيخ عبد الغني حفظه الله تعالى قال: كنا إذا ذهبنا مع الشيخ لزيارة أحد الأولياء كان يخبرنا ببعض ما يقع بينه وبينه من المباسطة حتى إنا زرنا معه مرة سيدي الشيخ حسن الراعي قال: فأخبرنا الشيخ أنه شكا له من رجل وارد على قريته وأمره بإخراجه. قال الشيخ وأنا لا أذهب حتى يخرج هذا الرجل ثم بعد حصة أخبرنا أن الرجل رحل. وله في هذا الباب وقائع كثيرة. ثم تكلم على ثبوت كرامات الأولياء من الكتاب والسنّة، ونقل في ذلك نقولاً. منها قول الإمام الرملي: وهذه الأشياء يعني الكرامات مشاهدة لا يمكن إنكارها، فالذي نعتقده ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد وفاتهم ولا تنقطع بموتهم ونخشى على جاحد ذلك المقت والعياذ بالله تعالى ا هـ. ثم قال سيدي مصطفى البكري: ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته.

قال ابن حجر في شرح الأربعين عند التكلم على الحديث القدسي وهو «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» إلى آخره: أي أعلمته بأني محارب له، ومن حاربه الله تعالى أي عامله معاملة المحارب

من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام لا يفلح أبداً، وهذا من التهديد في الغاية القصوى، إذ غاية تلك المحاربة الإهلاك فهي من المجاز البليغ، وكأن المعنى فيه ما اشتملت عليه تلك المعاداة من المعاندة لله تعالى بكراهة محبوبه، ومن ثم لما وقع ذلك لإبليس حين أبى عن السجود المأمور به لآدم أهلكه الله هلاكاً لا شفاء له أبداً وفي ذلك إنذار لكل من عادى ولياً له تعالى بأنه يحاربه فإذا أخذه على غرة أي غفلة كان ذلك بعد الإعذار بتقديم الإنذار، وفي رواية بدل هذه **«فقد استحل محاربتي»** وفي أخرى **«فقد بارزني بالمحاربة»** وفي أخرى **«فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»** والكلام فيمن عادى ولياً من أجل ولايته وقربه من الله تعالى لا مطلقاً فلا تدخل منازعته في محاكمة أو مخاصمة راجعة لاستخراج حق أو كشف غامض لجريان نوع ما من الخصومة بين أبي بكر وعمر والعباس وعليّ وكثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، مع أن الجميع أولياء الله تعالى. ا هـ كلام ابن حجر.

قال سيدي مصطفى البكري بعده: وإذا كانت الكرامة بخلق الله تعالى لمن أراد في حياته فله تعالى أن يخلقها له بعد مماته، وقد ثبتت في حياتهم فلا انقطاع لها بعد وفاتهم لعدم دليل على انقطاعها، فكانت زيارتهم والتبرك بآثارهم أمراً مندوباً مطلوباً، والتوسل بهم إلى الله في الحوائج لأجل قضائها سبباً لنيل كل مرغوب، وفي الحديث عنه ﷺ **«من زار قبر والديه أو أحدهما في يوم الجمعة فقرأ يس غفر له»** وفي رواية **«من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر الله له»** كذا في الجامع الصغير، وإذا كانت زيارة قبر الوالدين تحصل بسببها المغفرة فكيف بزيارة قبور الأنبياء الذين هم أحياء في قبورهم يأكلون ويشربون وينكحون ويصلون تلذذاً لا تعبداً. ومن قال إن أهل البرزخ مثل الأنبياء وبعض الأولياء يكلفون: أي يفعلون فعل المكلفين لأن البرزخ في حقهم كالدنيا لانسحاب حكم الدنيا عليه فلزيادة ترقيهم ورفعة مقامهم وليدوم لهم الثواب الكامل والترقي، وقد صرحت الأحاديث بذلك. وأما عدم مكثهم في قبورهم بعد الأربعين يوماً فلا ينافي الزيارة فإنهم مطلقون لا يتقيدون بمكان دون آخر ولهم الإشراف على من جاء لزيارتهم وحوائجه ومطالبه، فيشفعون له في ذلك، وإن لم يكونوا محصورين في مكان؛ فمنكر الزيارة غير محق والمستدل لها بحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فمنعت، وقد رد على من كرهها أساطين العلماء ونحارير الفضلاء أبلغ رد ويشهد للرادين عليه أحاديث كثيرة: منها قوله ﷺ: **«ومن زار قبري وجبت له شفاعتي»** وقوله: **«من حج ولم يزرني فقد جفاني»** وقوله: **«من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»** وقوله: **«من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة»** وغير ذلك من الأحاديث. وقد كان القرن الأول الذين هم خير القرون يزورونه ويشدون الرحال لزيارته ولم ينكروا على فاعل ذلك، فزرهم وتوسل بهم إلى الله في كل أمر دهمك تبلغ المراد؛ فقد استسقى بالعباس عمر رضي الله عنه فسقوا، وقصة ذلك مشهورة وهو تشفع به عند الله فالاستشفاع بالأنبياء والمرسلين أحق وأولى، فإن جاه الأنبياء لا ينحط بموتهم، بل لا يزال يسمو وينمو إلى أبد الآبدين، فالتماس بركاتهم والاستعانة بهم في المهمات واتخاذهم وسيلة عند رب العالمين أمر مطلوب بل قد يكون الأمر متوقفاً على شفاعتهم فيه. ومن جملة تعظيمهم تقبيل أعتابهم والتلمس بأستارهم وأثوابهم.

قال سيدي مصطفى البكري بعد ذلك: ولقد اتفق لي أنني زرت سيدي موسى الكليم عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم، وكانت أول مرة زرته عليه الصلاة والسلام فيها، فلما وصلت حضرته الشريفة تأخرت عن زيارته لعائق، فحصل لي صداع شديد، ولم يزل يشتد حتى دخلت حضرته الكليمية ذات الأسرار والأنوار الرحمانية الرحيمية وصليت ركعتين وأخذت الستر بيدي وقبلته ومسحته على رأسي وشكوت له ما به، فما وضعته حتى زال كأن لم يكن، ثم اتفق لي في المرة الثانية ما اتفق في الأولى فحصل لي ما حصل فيها، فلما زرته الثالثة بادرت للزيارة فلم يحصل من ذلك شيء، وكانت زيارة مباركة ميمونة، من كل مكدر مصونة، وأنشدت عنده ﷺ أوائل القصيدة التي تطفلت بها على جنابه وأنا عند ضريحه الشريف وفي رحابه، فلما وصلت إلى قولنا:

سيدي منجد صفيّ وفيّ يبدي شيخاً في أرضه وخزامي

(باختلاس لفظ يبدي بدون مد) شممت رائحة الشيخ والخزامي في الآن معاً، فاعتذرت لجنابه المقدس، أن يا سيدي كل الأطياب عندكم غير أن القافية ألجأت إلى ذكرهما، وسألت بعض الإخوان الحاضرين ممن له إشراف: هل شممت شيئاً؟ فقال رائحة شيخ، فقلت ومعه الخزامي، وذكرت عند حضرته ليلاً بعد الفراغ من الذكر شيئاً من كلام الدنيا فكاد القنديل أن ينطفىء، ثم قصدت تحقيق ما ظهر في الليلة الثانية فوقع ما وقع في الأولى، فعلمت أنه ﷺ لا يرضى لحدته أن يذكر في حضرته كلام الدنيا المباح فكيف بغيره فاجتنبته في حضرته من ذلك الحين، والحمد لله رب العالمين.

وإذا كان تعظيم المساجد واحترامها متحتماً، فكيف بأنبياء الله ورسله والخاصة من عباده؟ وإذا كان رفع الصوت عند الرسول يحبط العمل؛ فكيف بمن يقول بهدم قبورهم التي بنيت لتعظيمهم واحترامهم. وقد وقع إجماع أكابر الأئمة على ذلك من غير نكير إلا فرقة تعصب جدالية يسمون في العموم بالزادلية ينتسبون إلى شيخ زاده، وكان هذا الشيخ ذا ورع بزيادة، فزاد أتباعه في التشديد ومدوا فيه باعهم المديد، وترجمته مشهورة سيما في الروم فلا حاجة لذكرها لأنه علم معلوم، وقد تبعته هؤلاء الطائفة التي على الجدال طائفة، وزادوا عليه ما لم يسمع منه ونسبوا إليه ما لم يصرح به ولم ينقل عنه، وتبعهم شرذمة من جهلة الناس الذين على أقوالهم لا يعتمد ولا يقاس لموافقتهم بعض عقول عن النظر إلى الآداب معقولة. والوقوف مع أفكار غير متنورة بالأذكار ولا مصقولة، فنعوذ بالله من شرور نفوسنا الأبية وسيئات أعمالنا التي للحق غير مرضية، ونسأله العافية من كل بلية ورزية والسلامة من كل سوء بجاه أنبيائه وأحبابه أهل المزية آمين. انتهى كلام سيدي مصطفى البكري بحروفه، وقد نقلت ذلك من كتابيه المذكورين وهما في جلد واحد وعليهما خطه الشريف في مواضع وهما مع كتب أخرى من تأليفه رضي الله عنه بعضها بخطه وبعضها عليه خطه موجودة في مكتبة آل أبي السعود في القدس الشريف في جوار المسجد الأقصى، وقد أتاني ببعضها الأخ الفاضل الشيخ رشيد أبو السعود، فطالعتها وأخذت حاجتي منها وأرجعتها إليه، جزاه الله خيراً. وهو في حياته رضي الله عنه كان قد وضع جميع كتبه ومؤلفاته في مكتبة آل أبي السعود المذكورة وكثير منها موجود فيها إلى الآن، وقد صرح بعبارته السابقة التي نقلتها عن كتابه «لمع برق المقامات العوال» بأنه سمع شيخه

الإمام النابلسي يقول في قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥] رد على من يقول إنه لا تنبغي الاستعانة بغير الله، بل من قال هذا فقد كفر لمخالفته نص الكتاب، ونقله كلام شيخه هذا دليل على رضاه به، وهو إمام أيضاً مثله كلاهما من أئمة الحنفية الأعلام، ومن أكابر الأولياء الكرام، ومن أعظم من يتحرى لدينه فلا يصدر منه إلا ما يراه حقاً من الكلام، ومع ذلك فهما قائلان بتكفير أولئك الأقوام الذين قادهم الشيطان بزمام الأوهام فحرموا السفر لزيارة النبي ﷺ والاستعانة والاستغاثة به كسائر الأنبياء والأولياء الكرام، عليه وعليهم الصلاة والسلام.

ولما كان هذان الإمامان النابلسي والبكري هما من أهل دمشق الشام، وكان ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي هم كذلك من أهلها وكتبهم متداولة بين الناس فيها، وهي قلما يخلو منها كتاب لا يذكرون فيه هذه النزعة التي استهووا بها بعض ضعاف الأحلام من الطلبة والعوام، كان رد هذين الإمامين العارفين موجهاً إليهم بيقين وإن لم يصرحا بأسمائهم. أما الفرقة الزادلية التي ذكرها في آخر عبارته فهي أيضاً من هذا القبيل، ولكنها ليس لها أقوال تذكر ولا كتب بين الناس تنشر ولذلك ما رأيت لها ذكراً إلا في عبارته المذكورة، وقد قدمت في مقدمة هذا الكتاب «شواهد الحق» أن جمهور العلماء لم يكفروا الإمام ابن تيمية وجماعة بل جعلوهم من أهل البدع القبيحة، وردوا عليهم بدعتهم أقبح الرد وشنعوا عليهم أفظع التشنيع ولم يحكموا عليهم بالكفر، وأنا مع الجمهور في ذلك وأعتقدهم من الأئمة الأعلام الذين حصل بهم النفع التام العام، وأسأل الله أن يغفر لهم هذه الزلات العظيمة التي أضرت أضراراً فاحشة بالمسلمين والإسلام ولا سيما في البلاد التي انتشرت فيها كتبهم كبلاد مصر والعراق والشام.

الرسالة الثانية لسيدي أحمد زروق
«كلام سيدي الإمام العارف بالله الشيخ أحمد زروق المالكي رحمه الله تعالى في الرد على ابن تيمية»

قال أحد الأئمة الأعلام وأكابر الأولياء الكرام سيدي الشيخ أحمد زروق المالكي في مقدمة شرحه على حزب البحر ما نصه بحروفه: فإن قلت قد أنكر تقي الدين بن تيمية هذه الأحزاب وردها رداً شنيعاً فما جوابه؟ قلنا: ابن تيمية رجل مسلم له باب الحفظ والإتقان مطعون عليه في عقائد الإيمان، مثلوب بنقص العقل فضلاً عن العرفان، وقد سئل عنه الشيخ الإمام تقي الدين السبكي، فقال: هو الرجل علمه أكبر من عقله. قلت: ومقتضى ذلك أن يعتبر بنقله لا بتصرفه في العلم، والله أعلم. انتهت عبارة سيدي أحمد زروق رضي الله عنه، وقوله: يعتبر بنقله هو مقيد فيما عدا ما يستشهد به من النقول لتأييد بدعه التي خالف بها جمهور أئمة المسلمين ولا سيما فيما يتعلق بالسفر لزيارة سيد المرسلين، والاستغاثة به وبسائر الأنبياء والصالحين، فنقوله في ذلك لا تعتبر إلا إذا وافقه عليها العلماء الموثوق بهم كما تقرر، ويدل عليه كلام الحافظ العراقي الشافعي والإمام الزرقاني المالكي والشهاب الخفاجي الحنفي المذكور في هذا الكتاب فضلاً عن كلام الإمام السبكي والإمام ابن حجر الهيتمي وغيرهما، والله أعلم.

تمت الرسالتان: ويليهما

الأساليب البديعة: في فضل الصحابة وإقناع الشيعة

الأساليب البديعة

في فضل الصحابة وإقناع الشيعة

تأليف
خادم السنة وقامع البدعة فقيد الإسلام
الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني
رئيس محكمة الحقوق العليا ببيروت سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وأيده بآله الطيبين الطاهرين، الغر الميامين، وأصحابه أسد عرين الدين، ونجوم الهداية للمهتدين، رضي الله عنهم أجمعين. فقد جاهدوا في الله حق جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، ولذلك ذكرهم في آيات كثيرة في كتابه الأسنى وأثنى عليهم ورضي عنهم ووعدهم الحسنى، وهو سبحانه وتعالى الكريم الجواد الصادق الوعد الذي لا يخلف الميعاد، فهل يمكن أن يصلهم مكروه بعد أن رضي عنهم الملك الجليل، أو يلحقهم عيب بعد أن جملهم بثنائه الجميل، أو يصل إليهم سوء بعد أن وعدهم الحسنى، وجعلهم من رضوانه في المحل الأسنى؟ حاشا وكلا، وكفى بمن يعتقد خلاف ذلك ضلالاً وجهلاً. أما يكفي رضاه تعالى عنهم أن يكون لهم من الأسواء حصناً، ومن المخاوف أمناً؟ بلى والله إن فيه أعظم كفاية وأقوى وقاية، وأفضل صلوات الله وتسليماته وتحياته وبركاته على مشرفهم بصحبته ومصرفهم بحكمته، وجاعلهم بإذن الله تعالى خير أمته: سيدنا محمد الرؤوف الرحيم، المنبه على كثرة فضلهم في الحديث والقديم.

أما بعد: فإن كنت منذ ثلاث وعشرين سنة ألفت بفضل الله تعالى، وحسن توفيقه كتابي «الشرف المؤبد، لآل محمد، ﷺ» ثم بعد سنين أنعم الله ـ وله الحمد والمنّة ـ بتكرار طبعه وانتشار نفعه، وقد ألهمني من فضله تعالى الآن تأليف هذا الكتاب «في فضل الأصحاب» لأفوز إن شاء الله بالحسنيين، وأكون قد تمسكت بأسباب السعادة وطيبها بكلتا اليدين. والحامل لي على تأليفه أن الشيطان قد قاد في هذا الزمان بعض الجهال من أهل السنّة بوسيلة حب آل البيت الكرام، والتعصب لهم بمجرد الهوى والأوهام إلى بغض بعض الصحابة الكرام لا سيما معاوية وعمرو بن العاص لخروجهما عن طاعة الإمام، وصار هؤلاء الجهلة يتبجحون بذمهما معتقدين بجهلهم أن ذلك من القرب التي ترضي الرب والحسنات التي تنفعهم في الحياة وبعد الممات وسول لهم أبو مرة أن أئمة الأمة من أهل السنّة ما أنصفوا في الجواب عنهما وعن كل من كان على شاكلتهما من الصحابة المحاربين لعلي رضي الله عنه، وربما تجاوز بهم الحال إلى الاعتراض على الخلفاء الراشدين ولا سيما عثمان، وقد يفضلون عليه بل عليهم علياً بمجرد الهوى والعصبية والحمية الجاهلية، ويرون أن ذلك هو الإنصاف الذي يزعمونه في أنفسهم مدعين أنهم لا تأخذهم في اتباع الحق لومة لائم مع أنهم في أمر الدين مثل البهائم، ويظنون من شدة جهلهم وعمي قلوبهم أن جميع الأمة من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى الآن هي غير مصيبة في ذلك وأنهم هم ومن كان على شاكلتهم من كل جاهل قدم

تابع لهواه بلا علم ولا فهم على هدى وصواب في بغض بعض الأصحاب، فكانوا بذلك من ﴿الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [الكهف: ١٠٤] فسوء حال هؤلاء الجهلة من أهل السنّة هو الذي حملني على تأليف هذا الكتاب ليعرف من قرأه منهم أنه في خطأ عظيم وخطل ذميم، وأنه في ذلك ليس على هدى من الله بل هو على شفا جرف من الهلاك إن لم يتداركه باللطف مولاه.

أما الشيعة فليس لي أمل في رجوعهم بقراءته عن مذهبهم القديم وإن كان غير مستقيم لأنهم ورثوه عن الآباء والأجداد وسيورثونه الأبناء والأحفاد، فإن صاحب البدعة والمذهب المخالف مهما أقمت عليه الحجة وألزمته الدليل وعجز هو عن الرد ولم يجد للجواب من سبيل لا يحمل ذلك على أن مذهبك حق ومذهبه باطل، وإنما يحمله على أنك أمهر منه بترتيب الحجج وإقامة الدلائل، فهو لا يترك مذهبه لزخرفة أقاويلك بزعمه وزيادة علمك عن علمه، وقد يهدي الله لنوره من يشاء ويوافق العلة الدواء فيحصل بإذن الله الشفاء، وهذا إذا قدر الله حصوله بهذا الكتاب وظهر به لبعض الشيعة الصواب فأرضى الله ورسوله بالجمع بين محبة الآل والأصحاب يكون ذلك نعم الفائدة، ولكنها فائدة زائدة.

ومقصودي الأصلي هو المحافظة على رأس مالنا وهم عوام أهل السنّة الذين يقرؤون هذه التواريخ الموضوعة والحكايات المصنوعة، وما صح من ذلك فقد أوله أحسن تأويل علماؤنا الأعلام أئمة الإسلام، ولشفقتهم على أمثال هؤلاء العوام قالوا: إن قراءة محاربات الصحابة وما وقع بينهم من المشاجرات والمخاصمات حرام ولكنهم قرؤوها ولم يصغوا لهذا التحريم حتى نفث الشيطان في قلوب بعضهم في حق بعض الصحابة ذلك الاعتقاد الذميم، فوجب علينا أن ننصحهم بالألسنة والأقلام، ونشرح لهم ما يلزمهم اعتقاده في حق أصحاب رسول الله ﷺ من عقائد الإسلام، فإذا فعلنا ذلك أدينا ما وجب لهم علينا وإذا وفقهم الله للرجوع إلى الحق نقول هذه بضاعتنا ردت إلينا.

ولما كان هؤلاء الجهال من أهل السنّة لا يخلو أمرهم من أن يكونوا من الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة نقلت لهم في كتابي هذا عن أئمة هذه المذاهب الأربعة نقولا معتمدة ترشد الضلال وتعلم الجهال، إذ تعرف كل واحد منهم مذهب إمامه وأقوال أئمة مذهبه في شأن أصحاب رسول الله ﷺ وما يجب لهم من حسن الاعتقاد والثناء الجميل فيتبع ولا يبتدع. وهذا هو القسم الأول من هذا الكتاب وهو أساس القسم الثاني الذي اتبعت فيه تلك النقول الجليلة باحتجاجات فائقة وعبارات رائقة أقمت بها الحجج الدامغة والدلائل القاطعة والبراهين الواضحة لم أستعر أكثر عباراتها من أحد من المؤلفين وإن كان جميعها في الحقيقة مأخوذاً من الكتاب والسنّة وكلام أئمة الدين. وهذا القسم الثاني من هذا الكتاب هو مبني على القسم الأول، ذلك من قبيل المجمل، وهذا من قبيل المفصل، إذ هو في الحقيقة تكرار لكلامهم السديد بعبارة أخرى وأسلوب جديد لتتكرر على ذهن القارىء تلك المعاني المنيرة بأساليب متعددة وعبارات كثيرة، وليس ثمة في الحقيقة شيء زائد، إذ المعنى المقصود من القسمين وإن تعدد القائلون واحد، وإذا أصر بعض أولئك الجهال بعد هذا كله على العناد ومجانبة سبيل السداد، فالله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما أراد ﴿ومن يضلل الله فماله

من هاد﴾ [الرعد: ٣٣]. وسميته: «الأساليب البديعة، في فضل الصحابة وإقناع الشيعة» ورتبته على مقدمة وقسمين وخاتمة. المقدمة: في تعريف الصحابي وعدد الصحابة وطبقاتهم.

والقسم الأول في نقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الأربعة التي استدلوا بها من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة على فضل أصحاب رسول الله ﷺ وما يجب في حقهم من حسن الاعتقاد ولزوم سبيل السداد ولا سيما الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، وقد اقتصرت على نقل عبارات اثني عشر إماماً من أكابر أئمة المذاهب الأربعة، ثم أتبعتهم ببعض من نقلت عنهم في كتابي «الشرف المؤبد»، ورتبت هؤلاء بحسب أزمانهم: وهم الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١، والإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي لشافعي المتوفى سنة ٥٠٥، والإمام القاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤، والإمام الغوث الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة ٥٦١، والإمام العارف بالله شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الشافعي المتوفى سن ٦٣٢، والإمام محيي الدين بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦، والإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨، والإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي المتوفى سنة ٨٦١، والإمام العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣، والإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣، والإمام برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي المتوفى سنة ١٠٤١ والإمام السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥، رحمهم الله أجمعين وحشرنا في زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وإذا لم يقنع أحد بكلام هؤلاء الأئمة الأعلام فهو لا شك كاذب بدعواه أنه من أهل السنّة وجماعة الإسلام، ومن كان كذلك فهو أضل من الأنعام، لا عتب عليه ولا سلام.

والقسم الثاني: في الاحتجاج على فضلهم وكمالهم بعبارات فائقة، بنيتها على الآيات والأحاديث، وأقوال العلماء السابقة، والخاتمة: في حكايات ومنامات تؤكد دلائل فضلهم وتنذر مبغضهم بأسوإ الحالات.

المقدمة: في تعريف الصحابي وعدد الصحابة وطبقاتهم رضي الله عنهم

ذكر الإمام القسطلاني في المواهب وغيره: أن الصحابي هو من صحب النبي ﷺ من المسلمين أو رآه ولو ساعة وهو مؤمن به ومات على ذلك. قال رحمه الله تعالى: والصحابة ثلاثة أصناف.

الأول: المهاجرون. **الثاني**: الأنصار. **الثالث**: من أسلم يوم الفتح.

قال ابن الأثير في جامع الأصول: والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهذا على سبيل الإجمال. وأما على سبيل التفصيل، فإن جماعة من سباق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين، وإنما سباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار. ثم هم بعد ذلك متفاوتون، فرب متأخر في الإسلام

أفضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن أبي رباح. قال القسطلاني: وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيباً على طبقات:

الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة أول المبعث، وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكر، وزيد بن حارثة وبقية العشرة رضي الله عنهم.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة بعد إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل النبي ﷺ ومن معه من المسلمين على الذهاب إلى دار الندوة فأسلم لذلك جماعة من أهل مكة.

الطبقة الثالثة: الذين هاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من أذى المشركين، منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن عبد الأسد.

الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة الأولى، وهم سباق الأنصار إلى الإسلام، وكانوا ستة. وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلاً.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الأنصار منهم البراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة.

الطبقة السادسة: المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبني المسجد وينتقل إلى المدينة.

الطبقة السابعة: أهل بدر الكبرى. قال ﷺ لعمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة **«وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** رواه البخاري ومسلم.

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة، قال ﷺ: **«لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد»** رواه مسلم.

الطبقة العاشرة: الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل فتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

الطبقة الحادية عشرة: الذين أسلموا يوم الفتح، وهم خلق كثير.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرها كالسائب بن يزيد. انتهى كلام المواهب، ونسب هذا التقسيم إلى الحافظ أبي عبد الله الحاكم في كتاب علوم الحديث. قال الإمام الزرقاني في شرحه عليها. وقال ابن سعد: إنهم خمس طبقات.

الأولى: البدريون. **الثانية**: من أسلم قديماً ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحداً فما بعدها. **الثالثة**: من شهد الخندق فما بعدها. **الرابعة**: مسلمة الفتح فما بعدها. **الخامسة**: الصبيان والأطفال ممن لم يغز اهـ.

قال في المواهب: وأما عدة أصحابه ﷺ: فمن رام حصر ذلك رام أمراً بعيداً ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله تعالى، لكثرة من أسلم من أول البعثة إلى أن مات النبي ﷺ وتفرقهم في البلدان والبوادي.

وقد روى البخاري أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك وأصحاب رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ: يعني الديوان لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك. وقد روى أنه سار عام الفتح لمكة في عشرة آلاف من المقاتلة، وإلى حنين في اثني عشر ألفاً، وإلى حجة الوداع في تسعين ألفاً وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفاً ويقال أكثر من ذلك حكاه البيهقي، وإلى تبوك في سبعين ألفاً. وقد روي أنه ﷺ قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً، والله أعلم بحقيقة ذلك. انتهى كلام المواهب.

وقال شارحها المذكور: وجاء عن أبي زرعة الرازي أنه قيل له أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث؟ فقال: ومن قال ذا؟ فلق الله أنيابه، هذا قول الزنادقة، قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه، وفي رواية: ممن رآه وسمع منه، فقيل له هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه؟ قال أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع، كل رآه وسمع منه بعرفة.

قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب. وأجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة، فكيف بغيرهم؟ قال الحافظ: يعني ابن حجر: ولم يحصل لجميع من جمع أسماء الصحابة العشر من أساميهم بالنسبة إلى قول أبي زرعة هذا، فإن جميع ما في الاستيعاب ثلاثة آلاف وخمسمائة، وزاد عليه ابن فتحون قريباً من ذلك، بخط الحافظ الذهبي على التجريد: لعل الجميع ثمانية آلاف إن لم يزيدوا لم ينقصوا. قال: يعني الحافظ ابن حجر: ورأيت بخطه أيضاً أن جميع من في «أسد الغابة» سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفساً.

وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب، وأكثرهم حضروا حجة الوداع ا هـ. وعن الشافعي: قبض ﷺ عن ستين ألفاً، . ثلاثون بالمدينة، وثلاثون في قبائل العرب وغيرها. وعن أحمد: قبض ﷺ وقد صلى خلفه ثلاثون ألف رجل، كأنه عنى بالمدينة، فلا يخالف ما فوقه، والله أعلم بحقيقة ذلك، فإن كل من قال شيئاً إنما حكاه على قدر تتبعه ومبلغ علمه أو أشار بذلك إلى وقت خاص وحال، فإذن لا تضارب بين كلامهم ا هـ. وعن مالك. مات بالمدينة نحو عشرة آلاف نفس من الصحابة انتهى كلام الزرقاني رحمه الله تعالى.

القسم الأول
في نقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الأربعة

التي استدلوا بها من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة على فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وما يجب في حقهم من حسن الاعتقاد ولزوم سبيل السداد ورتبتهم بحسب أزمانهم.

الإمام الطحاوي

قال رحمه الله تعالى في عقيدته: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالجميل، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ نشهد لهم بالجنة كما شهد رسول الله ﷺ، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير بن العوام وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه وذرياته فقد برىء من النفاق، وعلماء السلف من السابقين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر وأهل العفة والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، انتهت عبارة الإمام الطحاوي في عقيدته.

الإمام الغزالي

قال رحمه الله تعالى في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد في شرح عقيدة أهل السنّة من الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم: اعلم أن للناس في الصحابة والخلفاء إسرافاً في أطراف؛ فمن مبالغ في الثناء حتى يدعي العصمة للأئمة، ومنهم متهجم على الطعن يطلق اللسان بذم الصحابة فلا تكونن من الفريقين، واسلك طريق الاقتصاد في الاعتقاد.

واعلم أن كتاب الله مشتمل على الثناء على المهاجرين والأنصار، وتواترت الأخبار بتزكية النبي ﷺ إياهم بألفاظ مختلفة، كقوله: **«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»** وكقوله: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»** وما من واحد إلا ورد عليه ثناء خاص في حقه يطول نقله، فينبغي أن تستصحب هذا الاعتقاد في حقهم ولا تسيء الظن بهم، وما يحكى عن أحوال تخالف مقتضى حسن الظن فأكثر ما ينقل مخترع، وما ثبت نقله فالتأويل متطرق إليه ولم يجر ما لا يتسع العقل لتجويز الخطأ والسهو فيه وحمل أفعالهم على قصد الخير وإن لم يصيبوه.

والمشهور من قتال معاوية مع علي وسير عائشة رضي الله عنهم إلى البصرة، فالظن بعائشة أنها كانت تطلب تطفئة الفتنة، ولكن خرج الأمر من الضبط، فأواخر الأمور لا تبقى على وفق طلب أوائلها بل تخرج عن الضبط، والظن بمعاوية أنه كان على تأويل وظن فيما كان يتعاطاه، وما يحكى سوى هذا من روايات الآحاد فالصحيح منه مختلط بالباطل، والاختلاق أكثره اختراعات الروافض والخوارج، وأرباب الفضول الخائضين في هذه الفنون، فينبغي أن تلازم الإنكار في كل ما لم يثبت، وما ثبت فاستنبط له تأويلاً، فما تعذر عليك فقل لعل له تأويلاً وعذراً لم أطلع عليه.

واعلم أنك في هذا المقام بين أن تسيء الظن بمسلم وتطعن عليه وتكون كاذباً، أو تحسن الظن

به وتكف لسانك عن الطعن وأنت مخطىء مثلاً، والخطأ في حسن الظن بالمسلم أسلم من الصواب بالطعن فيه، فلو سكت إنسان مثلاً عن لعن إبليس أو لعن أبي جهل أو أبي لهب أو من شئت من الأشرار طول عمره لم يضره السكوت، ولو هفا هفوة بالطعن في مسلم بما هو بريء عند الله تعالى منه فقد تعرض للهلاك، بل أكثر ما يعلم في الناس لا يحل النطق به لتعظيم الشرع الزجر عن الغيبة مع أنه إخبار عما هو متحقق في المغتاب، فمن يلاحظ هذه الفصول ولم يكن في طبعه ميل إلى الفضول آثر ملازمته السكوت وحسن الظن بكافة المسلمين وإطلاق اللسان بالثناء على جميع السلف الصالحين. هذا حكم الصحابة عامة. فأما الخلفاء الراشدون: فهم أفضل من غيرهم وترتيبهم في الفضل عند أهل السنّة كترتيبهم في الإمامة: أي الخلافة، وهذا لمكان أن قولنا فلان أفضل من فلان معناه أن محله عند الله تعالى في الآخرة أرفع، وهذا غيب لا يطلع عليه إلا الله ورسوله إن أطلعه عليه، ولا يمكن أن يدعي نصوصاً قاطعة من صاحب الشرع متواترة مقتضية للفضيلة على هذا الترتيب، بل المنقول الثناء على جميعهم، واستنباط حكم الترجيحات في الفضل من دقائق ثنائه عليهم رمي في عماية واقتحام أمر خطر أغنانا الله عنه، وتعرف الفضل عند الله تعالى بالأعمال مشكل أيضاً، وغايته رجم ظن، فكم من شخص محروم الظاهر وهو عند الله بمكان لسر في قلبه، وخلق خفي في باطنه، وكم من مزين بالعبادات الظاهرة وهو في سخط لخبث مستكن في باطنه، فلا مطلع على السرائر إلا الله تعالى، ولكن إذا ثبت أنه لا يعرف الفضل إلا بالوحي، ولا يعرف من النبي إلا بالسماع، وأولى الناس بسماع ما يدل على تفاوت الفضائل الصحابة الملازمون لأحوال النبي ﷺ، وهم قد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر على عمر ثم أجمعوا بعده على عثمان ثم على عليّ رضي الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله تعالى لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هذا اعتقد أهل السنّة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف به مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب، انتهت عبارة كتاب الاقتصاد.

وقال الإمام الغزالي أيضاً في إحياء علوم الدين: الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ولم يكن نص رسول الله ﷺ على إمام أصلاً، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك، فكيف خفي هذا، وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا، فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة. وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله ﷺ وخرق الإجماع مما لا يجترىء على اختراعه إلا الروافض، واعتقاد أهل السنّة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة، إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك.

وقد قال أفاضل العلماء: كل مجتهد مصيب. وقال قائلون: المصيب واحد، ولم يذهب إلى تخطئة عليّ ذو تحصيل أصلاً، وفضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة، إذ

حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عزّ وجلّ، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ. وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة، وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك، إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف ا هـ كلام الإمام الغزالي.

القاضي عياض

قال رحمه الله تعالى في الشفاء. ومن توقيره ﷺ وبره توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات والمحامل ويخرجه أصوب المخارج، إذ هم أهل ذلك، ولا يذكر أحداً منهم بسوء، ولا يغمض عليه أمراً بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال ﷺ في حديث الطبراني عن ابن مسعود «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقال الله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ [الفتح: ١٨]، وقال الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] ثم ذكر رحمه الله تعالى أحاديث وآثاراً كثيرة في فضلهم رضي الله عنهم: منها قوله ﷺ في حديث الترمذي: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه**» وأذية الله تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه، إذ معناه الحقيقي لا يتصور في حقه تعالى فهو مشاكلة، قاله الشهاب الخفاجي. ومنها قوله ﷺ في حديث مسلم «**لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**». ومنها قوله ﷺ في حديث الديلمي وأبي نعيم «**من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**». الصرف: النفل، والعدل: الفرض. ومنها قوله ﷺ في حديث البزار والديلمي عن جابر: «**إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير**». قال الشهاب الخفاجي في شرح هذا الحديث: فكلهم علماء عدول كما في الحديث «خير القرون قرني ثم وثم»، وهذا سبب ما حكاه إمام الحرمين رحمه الله تعالى في الإجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم

وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما أدى إليه اجتهاده لما أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما اتصفوا به من الهجرة وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والأموال في نصرة الدين وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين وغير ذلك من المنح الإلهية ا هـ. ومنها حديث الطبراني عن خالد بن سعيد «أن رسول الله ﷺ لما قدم من حجة الوداع إلى المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس إني راضٍ عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك. أيها الناس إني راضٍ عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك. أيها الناس إن الله قد غفر لأهل بدر والحديبية. أيها الناس احفظوني في أصحاب وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غداً**». ومنها حديث أبي نعيم والديلمي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه، ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه**». ومن الآثار قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق. قال في الشفاء: ونزع، أي استدل بآية سورة الحشرة وهي قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ انتهى كلام الشفا.

الغوث الجيلاني

قال رحمه الله تعالى في غنية الطالبين: ويعتقد أهل السنّة أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام خير الأمم أجمعين، وأفضلهم أهل القرن الذين شاهدوه وآمنوا به وصدقوه وبايعوه وتابعوه وقاتلوا بين يديه وفدوه بأنفسهم وأموالهم وعزروه، ونصروه، وأفضل أهل القرن أهل الحديبية الذين بايعوه بيعة الرضوان وهم ألف وأربعمائة رجل، وأفضلهم أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أصحاب طالوت، وأفضلهم الأربعون أهل دار الخيزران الذين كملوا بعمر بن الخطاب، وأفضلهم العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح، وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار الخلفاء الراشدون الأربعة الأخيار، وأفضل الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عنهم، ولهؤلاء الأربعة الخلافة بعد النبي ﷺ ثلاثون سنة، ولي منهم أبو بكر رضي الله عنه سنتين وشيئاً، وعمر رضي الله عنه عشراً، وعثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة، وعلي رضي الله عنه ستاً؛ ثم وليها معاوية تسع عشرة سنة، وكان قبل ذلك ولاه عمر الإمارة على أهل الشام عشرين سنة.

وخلافة الأئمة الأربعة كانت باختيار الصحابة واتفاقهم ورضاهم ولفضل كل واحد منهم في عصره وزمانه على من سواه من الصحابة، ولم تكن بالسيف والقهر والغلمة والأخذ ممن هو أفضل منه.

أما خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فباتفاق المهاجرين والأنصار كانت؛ وذلك لما توفي رسول الله ﷺ قامت خطباء الأنصار، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير فقام عمر بن الخطاب رضي الله

عنه فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم بالناس؟ قالوا بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا: معاذ الله أن نتقدم أبا بكر، وفي لفظ قال عمر رضي الله عنه: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كلهم كلنا لا تطيب أنفسنا نستغفر الله، فاتفقوا مع المهاجرين فبايعوا بأجمعهم وفيهم علي والزبير، ولهذا قيل في النقل الصحيح: لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه قام ثلاثاً يقبل على الناس فيقول: يا أيها الناس أقلتكم بيعتي هل من كاره؟ فيقوم علي رضي الله عنه في أوائل الناس يقول: لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً، قدمك رسول الله ﷺ فمن يؤخرك؟ وبلغنا عن الثقات أن علياً رضي الله عنه كان أشد الصحابة قولاً في إمامة أبي بكر رضي الله عنه. وروي أن عبد الله بن الكواء دخل على عليّ بعد قتال الجمل وسأله هل عهد إليك رسول الله ﷺ في هذا الأمر شيئاً؟ فقال: نظرنا في أمرنا فإذا الصلاة عضد الإسلام فرضينا لدنيانا بما رضي الله ورسوله لديننا فولينا الأمر أبا بكر، وذلك أن النبي ﷺ استخلف أبا بكر الصديق رضي الله عنه في إقامة الصلاة المفروضة أيام مرضه فكان يأتيه بلال وقت كل صلاة فيؤذنه بالصلاة، فيقول عليه الصلاة والسلام: مروا أبا بكر فليصل بالناس، وكان النبي ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر رضي الله عنه في حال حياته بما يتبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، وكذلك في حق عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أن كل واحد منهم أحق بالأمر في عصره وزمانه، من ذلك ما روى ابن بطة بإسناده عن علي رضي الله عنه أنه قال: **«قيل يا رسول الله من نؤمر بعدك؟ قال ﷺ إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً»** فلذلك أجمعوا على خلافة أبي بكر، وقد روي عن إمامنا أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله رواية أخرى: أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنص الجلي والإشارة، وهو مذهب الحسن البصري وجماعة من أصحاب الحديث رحمهم الله.

وجه هذه الرواية ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لما عرج بي إلى السماء سألت ربي عزّ وجلّ أن يجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب فقالت الملائكة: يا محمد إن الله يفعل ما يشاء، الخليفة من بعدك أبو بكر»** وقال عليه الصلاة والسلام في حديث ابن عمر رضي الله عنهما «الذي بعدي أبو بكر لا يلبث بعدي إلا قليلاً» وعن مجاهد رحمه الله، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما خرج النبي ﷺ من دار الدنيا حتى عهد إليّ أن أبا بكر يلي من بعدي، ثم عمر، ثم عثمان من بعده ثم علي من بعده.

فأما خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنها كانت باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه فانقادت الصحابة إلى بيعته وسموه أمير المؤمنين. فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: ما تقول لربك غداً إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر وقد عرفت فظاظته؟ قال: أقول استخلفت عليهم خير أهلك.

وأما خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت أيضاً عن اتفاق الصحابة رضي الله عنهم؛ وذلك أن عمر رضي الله عنه أخرج أولاده عن الخلافة وجعلها شورى بين ستة نفر، وهم طلحة

وزبير وسعد بن أبي وقاص وعثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أنا أختار أحدكما لله ورسوله وللمؤمنين، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: يا علي عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله إذا أنا بايعتك لتنصحن لله ورسوله وللمؤمنين ولتسيرن بسيرة رسوله وأبي بكر وعمر، فخاف عليّ أن لا يقوى على ما قووا عليه فلم يجبه، ثم أخذ بيد عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، فأجابه عثمان على ذلك فمسح يد عثمان فبايعه وبايعه عليّ رضي الله عنه ثم بايع الناس أجمع، فصار عثمان بن عفان خليفة بين الناس باتفاق الكل، فكان إماماً حقاً إلى أن مات، ولم يوجد فيه أمر يوجب الطعن فيه ولا فسقه ولا قتله خلاف ما قالت الروافض تباً لهم.

وأما خلافة علي رضي الله عنه فكانت عن اتفاق الجماعة وإجماع الصحابة كما روى أبو عبد الله بن بطة عن محمد ابن الحنفية قال: كنت مع علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان محصور، فأتاه رجل، فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة. قال: فقام علي رضي الله عنه فأخذت بوسطه تخوفاً عليه، فقال خل لا أم لك، قال فأتى على الدار وقد قتل عثمان رضي الله عنه فأتى داره ودخلها فأغلق بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا إن عثمان قد قتل ولا بدّ للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم عليّ لا تريدوني فإني لكم وزيراً خير من أمير. قالوا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك. قال رضي الله عنه: فإن أبيتم عليّ فإن بيعتي لا تكون سراً، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج رضي الله عنه إلى المسجد فبايعه الناس فكان إماماً حقاً إلى أن قتل، خلاف ما قالت الخوارج إنه لم يكن إماماً قط تباً لهم. وأما قتاله رضي الله عنه لطلحة والزبير وعائشة ومعاوية فقد نص الإمام أحمد رحمه الله على الإمساك عن ذلك وجميع ما شجر بينهم من منازعة ومنافرة وخصومة، لأن الله تعالى يزيل ذلك من بينهم يوم القيامة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] ولأن علياً رضي الله عنه كان على الحق في قتالهم، لأنه كان يعتقد صحة إمامته على ما بينا من اتفاق أهل الحل والعقد من الصحابة على إمامته وخلافته، فمن خرج عن ذلك بعد وناصبه حرباً كان باغياً خارجاً على الإمام فجاز قتاله، ومن قاتله من معاوية وطلحة والزبير طلبوا ثأر عثمان خليفة الحق المقتول ظلماً، والذين قتلوه كانوا في عسكر عليّ رضي الله عنه، فكل ذهب إلى تأويل صحيح، فأحسن أحوالنا الإمساك في ذلك وردهم إلى الله عزّ وجلّ: وهو أحكم الحاكمين، وخير الفاصلين والاشتغال بعيوب أنفسنا وتطهير قلوبنا من أمهات الذنوب وظواهرنا من موبقات الأمور.

وأما خلافة معاوية بن أبي سفيان فثابتة صحيحة بعد موت علي رضي الله عنه وبعد خلع الحسن بن علي رضي الله عنهما نفسه عن الخلافة وتسليمها إلى معاوية لرأي رآه الحسن ومصلحة عامة تحققت له، وهي حقن دماء المسلمين وتحقيق قول النبي ﷺ في الحسن رضي الله عنه **«إن ابني هذا سيد يصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»** فوجبت إمامته بعقد الحسن له فسمى عامه عام الجماعة لارتفاع الخلاف بين الجميع، واتباع الكل لمعاوية رضي الله عنه لأنه لم يكن هناك منازع ثالث في الخلافة، وخلافته مذكورة في قول النبي ﷺ، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«تدور رحى الإسلام خمساً وثلاثين سنة أو ستاً وثلاثين أو سبعاً وثلاثين»** والمراد بالرحى في هذا الحديث

القوة في الدين، والخمس السنين الفاضلة من الثلاثين فهي من جملة خلافة معاوية إلى تمام تسع عشرة سنة وشهور، لأن الثلاثين كملت بعلي رضي الله عنه كما بينا.

ونحسن الظن بنساء النبي ﷺ أجمعين ونعتقد أنهن أمهات المؤمنين. وأن عائشة رضي الله عنها أفضل نساء العالمين وبرأها الله تعالى من قول الملحدين فيها بما نقرؤه ويتلى في كتاب الله إلى يوم الدين. وكذلك فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ رضي الله تعالى عنها وعن بعلها وأولادها أفضل نساء العالمين ويجب موالاتها ومحبتها كما يجب ذلك في حق أبيها ﷺ. قال النبي ﷺ: **«فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها»** فهؤلاء أهل القرآن هم الذين ذكرهم الله في كتابه وأثنى عليهم. فهم المهاجرون الأولون، والأنصار الذين صلوا إلى القبلتين، قال الله تعالى فيهم ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ [الحديد: ١٠] وقال جلا وعلا: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ [النور: ٥٥] وقال تعالى: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً﴾ [الفتح: ٢٩] إلى قوله: ﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح: ٢٩] انتهى كلام سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى.

شهاب الدين السهروردي

قال رحمه الله تعالى في رسالته المسماة «أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى» كما نقله عنه شارح الإحياء: وأما أصحابه عليه الصلاة والسلام؛ فأبو بكر رضي الله عنه وفضائله لا تنحصر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ثم قال: ومما ظفر به الشيطان من هذه الأمة وخامر العقائد منه دنس وصار في الضمائر خبث ما ظهر من المشاجرة وأورث ذلك أحقاداً وضغائن في البواطن؛ ثم استحكمت تلك الصفات وتوارثها الناس فتكثفت وتجسدت وجذبت إلى أهواء استحكمت أصولها وتشعبت فروعها. فيأيها المبرأ من الهوى والعصبية أعلم أن الصحابة مع نزاهة بواطنهم وطهارة قلوبهم كانوا بشراً، وكانت لهم نفوس وللنفوس صفات تظهر، فقد كانت نفوسهم تظهر بصفة وقلوبهم منكرة لذلك فيرجعون إلى حكم قلوبهم وينكرون ما كان من نفوسهم فانتقل اليسير من آثار نفوسهم إلى أرباب نفوس عدموا القلوب فما أدركوا، أي أرباب النفوس قضايا قلوبهم، أي الصحابة وصارت صفات نفوسهم: أي الصحابة مدركة عندهم، أي أرباب النفوس للجنسية النفسية فبنوا أي أرباب النفوس تصرف النفوس: أي نفوس الصحابة على الظاهر المفهوم عندهم ووقعوا في بدع وشبه أوردتهم كل مورد رديء وجرّعتهم كل شرب وبيء، واستعجم عليهم صفاء قلوبهم ورجوع كل أحد إلى الإنصاف وإذعانه لما يجب من الاعتراف، وإنما كان غير مؤثر عندهم اليسير من صفات نفوسهم، لأن نفوسهم كانت محفوفة بأنوار القلوب، فلما توارث ذلك أرباب النفوس المتسلطة الأمارة بالسوء القاهرة للقلوب المحرومة أنوارها أحدث عندهم العداوة والبغضاء، فإن قبلت النصح فأمسك عن التصرف في أمرهم واجعل محبتك للكل على السواء وأمسك عن التفضيل، وإن خامر باطنك فضل أحدهم على الآخر، فاجعل ذلك من جملة أسرارك، فما يلزمك

إظهاره، ولا يلزمك أن تحب أحدهم أكثر من الآخر، بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع، ويكفيك في العقيدة السليمة أن تعتقد صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ا هـ. كلام السهروردي.

الإمام النووي

قال رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد ثم بيعة الرضوان. وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة. وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان. وفي قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر. قال القاضي عياض: وذهبت طائفة منهم ابن عبد البرّ إلى أن من توفي من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده، وهذا الإطلاق غير مرضيّ ولا مقبول.

واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي أم لا؟ وهل هو في الظاهر والباطن، أم في الظاهر خاصة؟ وممن قال بالقطع أبو الحسن الأشعري قال: وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة. وممن قال بأنه اجتهادي ظني أبو بكر الباقلاني، وذكر ابن الباقلاني اختلاف العلماء في أن التفضيل هل هو في الظاهر، أم في الظاهر والباطن جميعاً؟ وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيتهما أفضل وفي عائشة وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين؟.

وأما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلوماً وقتلته فسقة لأن موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة وإنما قتله همج ورعاء من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال تحزبوا وقصدوه فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه.

وأما عليّ رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره.

وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضي الله عنه.

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم، ومتأولون في حروبهم وغيرها ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون. اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة الإمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده. وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه. وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها

ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه فكلهم معذورون رضي الله عنهم، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم، رضي الله عنهم أجمعين ا هـ كلام النووي.

شيخ الإسلام ابن تيمية

قال رحمه الله تعالى في عقيدته: ومن أصول أهل السنّة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد ﷺ كما وصفهم الله في قوله: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠] وطاعة النبي ﷺ في قوله: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»** ويقبلون ما جاء به الكتاب أو السنّة أو الإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل وهو صلح الحديبية على من أنفق بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر **«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ، بل قد رضي عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة، ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثلثون بعثمان ويربعون بعليّ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعليّ بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعليّ، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنّة على تقديم عثمان ثم عليّ وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنّة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها مسألة الخلافة، وذلك بأنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خمّ **«أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»** وقال أيضاً للعباس عمه وقد شكا إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: **«والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»**وقال: **«إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»** ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويقرون بأنهم أزواجه في الآخرة خصوصاً وخديجة أمّ أكثر الأولاد وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلية والصديقة بنت الصديق التي قال النبي ﷺ فيها **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب

الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد ونقص وغير من وجهه الصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من الذنوب ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المدّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ممن بعدهم، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين. إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور. ثم القدر الذي ينكر من فضل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، فإنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى ا هـ كلام ابن تيمية.

الكمال بن الهمام

قال رحمه الله تعالى في كتاب «المسايرة»: وفضل الصحابة الأربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم، إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ بإطلاع الله تعالى، وقد ورد عنه ثناؤه عليهم كلهم ولا يتحقق إدراك حقيقة تفضيله عليه الصلاة والسلام لبعضهم على بعض إلا الشاهدون لذلك الزمان زمان الوحي والتنزيل وأحوال النبي ﷺ معهم وأحوالهم معه لظهور قرائن الأحوال الدالة على التفضيل لهم دون من لم يشهد ذلك، ولكن قد وصل إلينا سمعيات ثبت ذلك التفضيل بها لنا صريحاً من بعضها، ودلالة واستنباطاً من بعضه كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص حين سأل النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام «قال قلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً» وتقديمه في الصلاة على ما قدمناه مع أن الاتفاق واقع على أن السنة أن يتقدم على القوم أفضلهم علماً وقراءة وخلقاً وورعاً فثبت بمجموع ما ذكر أنه كان أفضل الصحابة رضي الله عنهم، وصح من حديث ابن عمر في صحيح البخاري قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم» وصح في البخاري أيضاً من حديث محمد ابن الحنفية قلت: لأبي أيّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت، قال: ما أنا إلا واحد من المسلمين» فهذا عليّ نفسه مصرح بأن أبا بكر أفضل الناس، وأفاد بعض ما ذكرنا تفضيل أبي بكر وحده على الكل، وفي بعضه ترتيب

الثلاثة في الفضل، ولما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عليّ بعد الثلاثة دل على أنه كان أفضل من بحضرته من الصحابة: أي من كان موجوداً منهم وقت تقديمه، وكان منهم الزبير وطلحة، فثبت أنه كان أفضل الخلق بعد الثلاثة.

هذا، واعتقاد أهل السنّة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم إذ قال: ﴿كنتم خير أم أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] وسطاً: أي عدولاً خياراً، والصحابة هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان النبي ﷺ حقيقة، وقال تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي ﷺ والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [الحديد: ١٢] وقال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] وكذا رسول الله ﷺ روي عنه «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**» رواه الدارمي وابن عدي وغيرهما. وقال ﷺ في حديث الصحيحين «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**» وفي رواية الترمذي «**لو أنفق أحدكم**» وقال ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم**» أخرجه الشيخان.

وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب بسبب طلب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية رضي الله عنه في الإمامة، إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العظمى خصوصاً في بدايتها، فرأى التأخير أصوب إلى أن يتحقق التمكن ويلتقطهم، فإن بعضهم عزم على الخروج على عليّ وقتله لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان على ما نقل في القصة من كلام الأشتر النخعي إن صح ذلك، والله أعلم. انتهى كلام الكمال بن الهمام مع قليل من شرحه للكمال بن أبي شريف الشافعي.

الإمام القطب الشعراني

قال رحمه الله تعالى في المنن الكبرى: ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ رؤيتي أولاد أصحاب رسول الله ﷺ بالعين التي كنت أرى بها والدهم لو أدركته حتى كأني بحمد الله تعالى صحبت جميع أصحاب رسول الله ﷺ في تفاوت حياتهم مع تفاوت مراتبهم التي ظهرت من رسول الله ﷺ دون ما يقع في نفوسنا نحن من التعظيم، فربما أدخل الشيطان علينا العصبية في محبتنا بخلاف من كان محبته للصحابة تبعاً لما بلغه عن رسول الله ﷺ فإنه يكون سالماً من العصبية في عقيدته.

وحكى عن المحب الطبري مفتي الحرمين أن الشريف أبا نمي قال له بأي طريق قدمتم أبا بكر على عليّ مع غزارة علمه وقربه من رسول الله ﷺ؟ فقال: يا سيدي إننا لم نقدّم أبا بكر برأينا ومالنا في ذلك أمر، وإنما جدك ﷺ قال: «**سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر**» وقال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصلِ بالناس**» وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح إلى رسول الله ﷺ، وقبض

رسول الله ﷺ فقالت الصحابة من رضيه رسول الله ﷺ وقدمه لديننا قدمناه ورضيناه لدنيانا، فقال الشريف أبو نمي: نعم فعمر، فقال المحب الطبري: وأما عمر فإن أبا بكر عند موته اختاره للمسلمين. قال الشريف: نعم فعثمان، فقال المحب الطبري: إن عمر جعل الأمر شورى بين من توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فقدموا عثمان، فقال الشريف: فمعاوية. فقال المحب الطبري: هو مجتهد كما أن علياً كان مجتهداً، فقال الشريف: فتقاتل مع من لو كنت أدركتهما؟ فقال مع علي رضي الله عنه، فقال الشريف: فجزاك الله تعالى عنا خيراً.

قال الإمام الشعراني: فانظر يا أخي هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذي لا يخرج عن التبعية في شيء فإنه لم يجعل لنفسه اختياراً في ذلك كله، فعلم أن الواجب علينا أن نحب أصحاب رسول الله ﷺ تبعاً لحب رسول الله ﷺ، ونحب أولادهم كذلك لحب رسول الله ﷺ لا بحكم الطبع، وتقدم أولاد فاطمة على أولاد أبي بكر الصديق كما كان أبو بكر يقدمهم على أولاده عملاً بحديث «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين» وقيل مرة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم قدموا عليك أبا بكر وعمر؟ فقال: إن الله هو الذي قدمهما عليّ لقوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ [هود: ١١٣] وقد ركن رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وعمر وتزوج ابنتيهما، ولو كانا ظالمين لما تزوج رسول الله ﷺ ابنتيهما ولا ركن إليهما، ثم قال الإمام الشعراني: وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكفي في محبة رسول الله ﷺ أن نحبهم المحبة العادية، إنما الواجب علينا أن لو كنا نعذب من جهتهم لمحبتنا لهم لا نرجع عن محبتهم كما لا نرجع عن محبة إيماننا بالتعذيب كما وقع لبلال وصهيب وعمار، وكما وقع للإمام أحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن، فمن لا يحتمل في حب الصحابة مثل ما حمل هؤلاء فمحبته مدخولة انتهى.

وقال الإمام الشعراني أيضاً في كتاب «اليواقيت والجواهر»: المبحث الرابع والأربعون في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنّة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل، كلّ ذلك وجوباً لإحسان الظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد، فإن تلك أمور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطىء معذور بل مأجور. قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف ببحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شيء يقدح في عدالتهم ولله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير فإن ذلك لا يصح وإن صح فله تأويل صحيح، وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا، وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا إلا بواسطتهم؟ فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه، فيجب سد الباب جملة واحدة، لا سيما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن العاص وأضرا بهما. ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم، فإن

مثل هذه المسألة منزعها دقيق ولا يحكم فيها إلا رسول الله ﷺ فإنها مسألة نزاع بين أولاده وأصحابه. وقال الكمال بن أبي شريف: وليس المراد بما شجر بين عليّ ومعاوية المنازعة في الإمارة كما توهمه بعضهم، وإنما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه إلى عشيرته ليقتصوا منهم، لأن علياً رضي الله عنه كان رأى أن تأخير تسليمهم أصوب، إذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العامة فإن بعضهم كان عزم على الخروج على الإمام عليّ وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان، ورأى معاوية أن المبادرة إلى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل منهما مجتهد مأجور، فهذا هو المراد بما شجر بينهم. ا هـ كلام الشعراني.

الإمام ابن حجر الهيتمي

قال رحمه الله تعالى في كتاب الزواجر: قال أبو أيوب السختياني من أكابر السلف: من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى. ومن قال الخير في جميع أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق، ومناقبهم وفضائلهم أكثر من أن تذكر. قال: وأجمع أهل السنّة والجماعة على أن أفضلهم العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان نبيه ﷺ في سياق واحد. وأفضل هؤلاء أبو بكر فعمر. قال أكثر أهل السنّة: فعثمان فعلي، ولا يطعن في واحد منهم إلا مبتدع منافق خبيث. وقد أرشد ﷺ إلى التمسك بهدى هؤلاء الأربعة بقوله: **«عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»** والخلفاء الراشدون هم هؤلاء الأربع بإجماع من يعتد به ا هـ.

وقال في الزواجر أيضاً: قد نص الله تعالى علي أنه رضي عن الصحابة في غير آية. قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة: ١٠٠] فمن سبهم أو واحداً منهم فقد بارز الله بالمحاربة، ومن بارز الله بالمحاربة أهلكه وخذله. ومن ثم قال العلماء: إذ ذكر الصحابة بسوء كإضافة عيب إليهم وجب الإمساك عن الخوض في ذلك، بل ويجب إنكاره باليد ثم اللسان ثم القلب على حسب الاستطاعة كسائر المنكرات، بل هذا من أشرها وأقبحها، ومن ثم أكد النبي ﷺ التحذير من ذلك بقوله: **«الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه»** رواه الترمذي: أي احذروا الله: أي عقابه وعذابه على حد قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] وكما تقول لمن تراه مشرفاً على الوقوع في نار عظيمة: النار النار: أي احذرها. وتأمل أعظم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها ﷺ حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضاً له.

وناهيك بذلك جلالة لهم وشرفاً، فحبهم عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه ﷺ، وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر سيرهم معه ﷺ وآثارهم الحميدة في الإسلام في حياته وبعد مماته، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأكمله وأفضله فقد جاهدوا في الله حق جهاده حتى

نشروا الدين وأظهروا شرائع الإسلام، ولولا ذلك منهم ما وصل إلينا قرآن ولا سنّة ولا أصل ولا فرع، فمن طعن فيهم فقد كاد أن يمرق من الملة لأن الطعن فيهم يؤدي إلى انطماس نورها ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة: ٣٢] وإلى عدم الطمأنينة والإذعان لثناء الله تعالى ورسوله ﷺ عليهم وإلى الطعن في الله تعالى وفي رسوله، إذ هم الوسائط بيننا وبين رسول الله ﷺ، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والإزراء بالناقل إزراء بالمنقول عنه، وهذا ظاهر لمن تدبره وقد سلمت عقيدته من النفاق والغلول والزندقة.

فالواجب على من أحب الله ورسوله حب من قام بما أمر الله ورسوله به وأوضحه وبلغه لمن بعده وأداه جميع حقوقه، والصحابة هم القائمون بأعباء ذلك كله ا هـ.

وقال في الزواجر أيضاً: والأحاديث في ذلك كثيرة وقد استوفيتها وما يتعلق بها في كتاب حافل لم يصنف في هذا الباب فيما أظن مثله، ومن ثم سميته «الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزندقة» فاطلبه إن شئت لترى ما فيه من محاسن الصحابة وثناء أهل البيت عليهم ولا سيما الشيخان، ومن افتضاح الشيعة والرافضة وكذبهم وتقولهم وافترائهم عليهم بما هم بريئون منه رضوان الله عليهم أجمعين، وانتهت عبارته في الزواجر. وقد رأيت أن أنتخب من كلامه في الصواعق جملاً شاملة شافية ولفضل الصحابة والذب عنهم كافلة كافية، وبالمقصود من ذلك وافية.

قال رحمه الله تعالى في كتاب الصواعق: اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنّة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد أثنى الله سبحانه عليهم في آيات من كتابه.

منها قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] فأثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم ولا شيء يعادل شهادة الله لهم بذلك لأنه تعالى أعلم بعباده وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها، بل لا يعلم ذلك غيره تعالى، فإذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به، وإلا كان مكذباً لله تعالى في أخباره، ولا شك أن من ارتاب في حقية شيء مما أخبر الله أو رسوله به كان كافر بإجماع المسلمين.

ومنها قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣]، والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله ﷺ حقيقة، فانظر إلى كونه تعالى خلقهم عدولاً وخياراً ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة، وحينئذٍ فكيف يستشهد تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلا نحو ستة أنفس منهم كما زعمته الرافضة، قبحهم الله ولعنهم وخذلهم ما أحمقهم وأجهلهم وأشهدهم بالزور والافتراء والبهتان.

ومنها قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [التحريم: ٨] فأمنهم الله من خزيه، ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلا الذين ماتوا

والله سبحانه ورسوله عنهم راضٍ، فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان، وفي أن الله تعالى لم يزل راضياً عنهم وكذلك رسوله ﷺ.

ومنها قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] فصرح تعالى برضاه عن أولئك وهم ألف ونحو أربعمائة، ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر، لأن العبرة بالوفاة على الإسلام فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام.

وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه. فعلم أن كلا من هذه الآية وما قبلها صريح في رد ما زعمه وافتراه، أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز، إذ يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم وأنهم عدول خيار، وأن الله لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم، فمن لم يصدق بذلك فيهم فهو مكذب لما في القرآن، ومن كذب بما فيه مما لا يحتمل التأويل كان كافراً جاحداً ملحداً مارقاً.

ومنها قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠] فتأمل ما وصفهم الله به من هذه الآيات تعلم ضلال من طعن فيهم من المبتدعة ورماهم بما هم بريئون منه. ومنها قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩]. فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية، فإن قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] جملة مبينة للمشهود به في قوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ [التوبة: ٣٣] ففيها ثناء عظيم على رسوله، ثم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله تعالى: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤] فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار، وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص وسعة الرجاء في فضل الله ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه، وبأن آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت في وجوههم حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم.

ومن ثم قال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وقد صدقوا في ذلك، فإن الأمة المحمدية خصوصاً الصحابة لم يزل ذكرهم معظماً في الكتب كما قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿ذلك مثلهم﴾ [الفتح: ٢٩] أي وصفهم ﴿في التوراة ومثلهم﴾ [الفتح: ٢٩] أي وصفهم ﴿في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ [الفتح: ٢٩] أي فراخه ﴿فآزره﴾ [الفتح: ٢٩] أي شده وقواه ﴿فاستغلظ﴾ [الفتح: ٢٩] أي شب فطال ﴿فاستوى على سوقه يعجب الزراع﴾ [الفتح: ٢٩] أي يعجبهم قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح: ٢٩]، ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه قوله بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة. قال لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنهما في قوله بكفرهم، ووافقه أيضاً جماعة من الأئمة. والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة.

قال: وقد قدمنا معظمها في أول هذا الكتاب: يعني الصواعق، ويكفيهم شرفاً أي شرف ثناء الله عليهم في تلك الآيات كما ذكرناه وفي غيرها، ورضاه عنهم، وأنه تعالى وعدهم جميعهم لا بعضهم، إذ ﴿من﴾ في ﴿منهم﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض ﴿مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩]، ووعد الله صدق وحق، لا يتخلف ولا يخلف ﴿لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ [الأنعام: ١١٥].

قال: رحمه الله تعالى. فعلم أن جميع ما قدمناه من الآيات هنا ومن الأحاديث الكثيرة الشهيرة في المقدمة يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله ورسوله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام ببذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعوّل عليهم. وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجل شيوخ مسلم: إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرّحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنّة فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم والأحق. وقال ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً، قال تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ [الحديد: ١٠] وقال تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠] فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى، وهي الجنة ا هـ.

ثم قال الإمام ابن حجر: ومما يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف من أنهم خير خلق

الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة والمقربين، ما قدمته من فضائل الصحابة ومآثرهم أول الكتاب وهو كثير فراجعه، ومنه حديث الصحيحين «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ما بلغ مثل مد أحدهم ولا نصيفه**» وروى الدارمي وابن عدي وغيرهما أنه ﷺ قال: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**» ومن ذلك أيضاً الخبر المتفق على صحته «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» والقرن أهل زمن واحد متقارب اشتركوا في وصف مقصود، والمراد بقرنه ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وآخر من مات منهم أبو الطفيل عارم بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه، وكان موته سنة مائة على الصحيح.

ثم قال الإمام ابن حجر: وقال ﷺ: «**من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي**» رواه الديلمي، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس احفظوني في أحبائي وأصهاري وأصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة أحد منهم فإنها ليست مما يوهب**» رواه الخلعي، وقال ﷺ: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**» رواه المخلص الذهبي، فهذا الحديث وما قبله خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم، وفيه أيضاً إشارة إلى أن حبهم إيمان وبغضهم كفر، لأن بغضهم إذا كان بغضاً له ﷺ كان كفراً بلا نزاع لخبر «**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**» وهذا يدل على كمال قربهم منه من حيث انزلهم منزلة نفسه حتى كأن أذاهم واقع عليه ﷺ، وفيه أيضاً أن محبة من أحبه النبي ﷺ كآله وأصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله ﷺ كما أن محبته ﷺ علامة على محبة الله تعالى، وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم علامة على بغض رسول الله ﷺ وعداوته وسبه، وبغضه ﷺ وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه، فمن أحب شيئاً أحب من يحب وأبغض من يبغض. قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله﴾ فحب أولئك: أعني آله ﷺ وأزواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات المتعينات، وبغضهم من الموبقات المهلكات، ومن محبتهم توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بالمشي على سنّتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال ومزيد الثناء عليهم وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم، فقد أثنى الله عليهم في آيات كثيرة من كتابه المجيد ومن أثنى عليه فهو واجب الثناء اهـ.

وقال في الصواعق أيضاً: ومما يجب الإمساك عما شجر: أي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب صفحاً عن أخبار المؤرخين سيما جهلة الروافض وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين في أحد منهم، فقد قال ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» والواجب أيضاً على كل من سمع شيئاً من ذلك أن يتثبت فيه ولا ينسبه إلى أحد منهم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص، بل لا بدّ أن يبحث عنه حتى يصح عند نسبته إلى أحدهم، فحينئذٍ الواجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج، إذ هم أهل لذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده، وأما ما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات. وأما سبهم والطعن فيهم فإن

خالف دليلاً قطعياً كقذف عائشة رضي الله عنها أو إنكار صحبة أبيها رضي الله عنه كان كافراً، وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقاً.

ومن اعتقاد أهل السنّة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، فلم يكن منازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على حقيتها لعليّ رضي الله عنه كما مر فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه، فامتنع عليّ ظناً منه أن تسليمهم إليهم على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر عليّ يؤدي إلى الاضطراب وتزلزل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام، سيما وهي في ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها، فرأى علي رضي الله عنه أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه في الخلافة ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين، ثم بعد ذلك يلتقطهم واحداً فواحداً ويسلمهم إليهم، ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على عليّ ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان. وأيضاً فالذين تمالؤوا على قتل عثمان كانوا جموعاً كثيرة جمع من أهل مصر قيل سبعمائة، وقيل ألف وقيل خمسمائة، وجمع من الكوفة وجمع من البصرة وغيرهم قدموا المدينة وجرى منهم ما جرى بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف، فهذا هو الحامل لعلي رضي الله عنه على الكف عن تسليمهم لتعذره كما عرفت، ثم ذكر حديث البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وقد حصل ذلك فسلمها لمعاوية بعد وفاة علي رضي الله عنه على شروط قام له بها معاوية، وقد سمى النبي ﷺ فئته المسلمين وساواهم بفئة الحسن في وصف الإسلام، فدل على بقاء حرمة الإسلام للفريقين وأنهم لم يخرجوا بتلك الحروب عن الإسلام، وأنهم فيه على حد سواء فلا فسق ولا نقص يلحق أحدهما لما قررناه من أن كلا منهما متأول تأويلاً غير قطعي البطلان، وفئة معاوية وإن كانت هي الباغية لكنه بغي لا فسق معه لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه انتهى كلام ابن حجر في «الصواعق» وذكر في كتابه المذكور أحاديث كثيرة في فضل الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين، وبسط الكلام على فضل آل البيت الكرام، ونقل في ذلك أحاديث كثيرة وذكر شبهاً للروافض لا يلتفت إليها ولا يعول عليها، وأجاب عنها بأجوبة كثيرة، وأطال النفس في ذلك الفصل الخامس من كتابه المذكور، فمن شاء فليراجعه فهو مطبوع وسهل الحصول لكل من أراده.

البرهان اللقاني

قال رحمه الله تعالى في شرحه على قصيدته جوهرة التوحيد المسمى هداية المريد عند قوله:

وصحبه خير القرون فاستمع   فتابعي فتابع لمن تبع

ومما يجب اعتقاده أن أصحابه عليه الصلاة والسلام، وهم الذين آمنوا به وصحبوه ولو قليلاً أفضل من غيرهم من جميع القرون للأحاديث البالغة مبلغ التواتر وإن كان تفاصيلها آحاداً كحديث

الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق ملء أحد ذهباً»** وفي رواية **«مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** وكحديث **«ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»** وفي القرآن: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ [الفتح: ١٨] الآية، وفيه أيضاً: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [الأنفال: ٦٤] الآية، ومن لازمه ﷺ منهم وقاتل معه أو قتل تحت رايته أفضل من غيره ممن قصر عن تلك الرتبة كمن لم يلازمه أو لم يشهد معه مشهداً أو رآه على بعد وإن كان شرف الصحبة حاصلاً للجميع والمراد بالأفضلية أكثرية الثواب لما أنهم آووا ونصروا وجاهدوا وصبروا وتصدقوا بأموالهم على فاقة وباعوا النفوس لله سبحانه وتعالى رغبة في محبته:

وخيرهم من ولى الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافه

ومما يجب اعتقاده أن أفضل الصحابة رضي الله عنهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، وهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة. قال أبو منصور الماتريدي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبات من الأنصار وكذلك السابقون الأولون ا هـ. فشأن الخلفاء الأربعة في تفاوتهم في الفضل على حسب تفاوتهم في الخلافة، فالأسبق فيها أكثرهم فضلاً ثم الثاني فالثالث كذلك عند أهل السنّة وإماميهم: أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي. فالأفضل منهم بعد الأنبياء أبو بكر ثم يليه عمر ثم يليه عثمان ثم يليه عليّ على الأصح من تقديم عثمان عليه ورجع الإمام مالك إليه، قال السعد: على هذا وجدنا الخلف والسلف. والظاهر أنه لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا به وهو فيه تابع لقول الغزالي: حقيقة الفضل هو ما عند الله تعالى، وذلك مما لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ، وقد ورد الثناء عليهم في أخبار كثيرة، ولا يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه إلا المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ا هـ. قلت: ونحوه قول السعد أيضاً في «شرح المقاصد» يدل لنا إجمالاً أن جمهور عظماء الملة وعلماء الأمة أطبقوا على ذلك وحسن الظن بهم يقضي بأنهم لو لم يعرفوه بدلائل وأمارات لما أطبقوا عليه، وتفصيلاً الكتاب والسنّة والأثر والأمارات، وسردها رحمه الله تعالى، ولا يخفى صحة شمول الفضل لسائر أسبابه: من علم وشجاعة وحسن رأي وقرب من الله ورسوله ومحبة لهما ومنهما والله أعلم:

يليهم قوم كرام برره عدتهم ست تمام العشره
فأهل بدر العظيم الشان فأهل أحد فبيعة الرضوان

وقال بعضهم: أفضل الصحابة أهل الحديبية، وأفضل أهل الحديبية أهل أحد، وأفضل أهل أحد أهل بدر، وأفضل أهل بدر العشرة، وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة، وأفضل الأربعة أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين:

وأوّل التشاجر الذي ورد إن خضت فيه واجتنب داء الحسد

لما حكم على الأصحاب المكرمين بأنهم خير القرون أجمعين، فكانت بينهم منازعات ومحاربات لو كانت بين غيرهم لم تقصر عن التفسيق. أجاب عن ذلك بأنه واجب التأويل بعد ثبوت وروده بمتصل صحيح الأسانيد وإلا كان مردوداً، فمقاولة علي مع العباس لم تشتمل على شيء من الأدناس ووقوف علي عن مبايعة أبي بكر، وإنما كانت عتباً عليه، ثم لما أعتبه أبو بكر بايعه على رؤوس الأشهاد، ووقوفه عن الاقتصاص من قتلة عثمان لخشية تزايد الفساد وقد نصره وأعانه فلم يمكنه عثمان توكلاً على الرحمن، وكان معاوية وعائشة والزبير وطلحة ومن تبعهم ما بين مجتهد ومقلد في جواز محاربة علي. قال السعد: والذي اتفق عليه أهل الحق أن المصيب في جميع ذلك علي رضي الله عنه. والتحقيق أنهم كلهم عدول متأولون في تلك الحروب وغيرها من المخاصمات والمنازعات لم يخرج شيء منها أحداً منهم عن عدالتهم إذ هم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ا هـ.

قال الغزالي: واعلم أن المصيب عند أهل السنّة علي رضي الله عنه، والمخطىء معاوية وأصحابه. فإن قلنا كل مجتهد في الفروع مصيب فلا إشكال. وإن قلنا المصيب واحد فالمخطىء في الاجتهاد في الفروع مع انتفاء التقصير عنه مأجور غير موزور. وسبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة الإمام العادل في قتال البغاة في اعتقاده. وقسم عكسه سواء بسواء. وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها فلم يظهر لهم ترجح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر استحقاقه.

وبالجملة فكلهم معذورون مأجورون، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وتحقق عدالتهم، والبحث عن أحوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الإسلامية وليس مما ينتفع به في الدنيا، بل ربما أضر باليقين، وإنما ذكر القوم منها نتفاً في كتبهم صوناً للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتها، والخوض في ذلك إنما يباح للتعليم أو للرد على المتعصبين أو لتدريس كتب تشتمل على تلك الآثار فلا يحل ذلك للعوام لفرط جهلهم بالتأويل كما قاله المحققون. انتهى كلام الإمام اللقاني باختصار.

السيد مرتضى الزبيدي

قال رحمه الله تعالى في شرح الإحياء: قول الروافض بوجود النص على عليّ والزيديين بوجود النص على العباس رضي الله عنهما باطل، لأنه لو كان ثابتاً لادعى المنصوص عليه ذلك، واحتج بالنص وخاصم من لم يقبل ذلك منه، ولو لم يروِ عنه الاحتجاج عند تفويض الأمر إلى غيره علم أنه لا نص على أحد، ولأنهم لما ادعوا من النص صاروا طاعنين على الصحابة على العموم حيث زعموا

أنهم اتفقوا بعد رسول الله ﷺ على مخالفة نصه، واستمروا على ذلك وفوضو الأمر إلى غير المنصوص عليه وأعانوا المبطل وخذلوا المحق مع أن الله وصفهم بكونهم خير أمة جعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس وعلى عليّ والعباس رضي الله عنهما على الخصوص فإنه اشتهر أنهما بايعا أبا بكر رضيا الله عنه جهراً ولو كان الحق لهما ثابتاً لكان أبو بكر عاصياً ظالماً، ومن زعم أن علياً رضي الله عنه مع قوة حاله وعلمه وكماله وعز عشيرته وكثرة متابعه ترك حقه واتبع ظالماً عاصياً ونصر باغياً مبطلاً فقد وصفه بالجبن والضعف وقلة التوكل على الله تعالى وعدم الثقة بوعد الرسول عليه الصلاة والسلام المفوض إليه الأمر الناص عليه بذلك، كيف وهو موصوف بالصلابة في الدين والتعصب له، موسوم بالشجاعة والبسالة ورباطة الجأش وشدة الشكيمة وقوة الصريمة مشهود له بالظفر في معادن المصاولة وأماكن المبارزة والمقاتلة على المشهورين من الفرسان والمعروفين من الشجعان، وهو القائل في كتاب إلى عامله عثمان بن حنيف: لو ارتدت العرب عن حقيقة أحمد ﷺ لخضت إليها خياض المنايا ولضربتهم ضرباً يقض الهام ويرض العظام حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين، فلو كان عرف من النبي ﷺ فيه أو في عمه العباس نصاً وعرف أنه لا حق لغيرهما لما انقاد لغيره بل اخترط سيفه وخاض المعركة وطلب حقه أو حق عمه ولم يرض بالذل والهوان ولم ينقد لأحد على غير الحق ولم يبايعه في أموره ولم يخاطبه بخلافة رسول الله ﷺ ولم يساعد أيضاً من تولى الأمر بعده بتقليده ولم يزوجه ابنته وهو ظالم عليه لغصبه حقه وعاص لله تعالى بالإعراض عن نص رسول الله ﷺ كما شهر سيفه وقت خلافته بل كان في أول الأمر أحق وأولى إذ كان عهد رسول الله ﷺ أقرب وزمانه أدنى. وقد روي أن العباس قال لعلي: امدد يدك أبايعك حتى يقول الناس بايع عم رسول الله ﷺ ابن عم رسول الله ﷺ فلا يختلف عليك اثنان، والزبير وأبو سفيان لم يكونا راضيين بإمامة أبي بكر، والأنصار كانوا كارهين خلافته حيث قالوا: منا أمير ومنكم أمير، وحيث لم يجرد سيفه ولم يطلب حقه دل أنه إنما يفعل ذلك لأنه علم أنه لا نص له ولا لغيره ولكن الصحابة اجتمعت على خلافة أبي بكر إما استدلالاً بأمر الصلاة، فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وهي من أعظم أركان الدين، فاستدلوا بهذا على أنه أولى بالخلافة منهم، ولهذا قال عمر رضي الله عنه رضيك رسول الله ﷺ لأمر ديننا أفلا نرضاك لدنيانا، وأمر الحج، فإنه ﷺ أمره بأن يحج الناس سنّة تسع حين إقامته بنفسه لشغل، ولأن اللطيف الخبير جل ثناؤه نظر لأمة حبيبه ومتبعي صفيه ﷺ فجمع أهواءهم المشتتة وآراءهم على خلافة قرشي شجاع موصوف بالعلم والديانة والصلابة ورباطة الجأش والعلم بتدابير الحروب والقيام بتهيئة الجيوش وتنفيذ السرايا ومعرفة سياسة العامة وتسوية أمور الرعية، بل هو أكثر فضلاً وأغزرهم علماً وأوفرهم عقلاً وأصوبهم تدبيراً وأربطهم عند الملمات جأشاً وأشدهم على عدو الله إنكاراً وأنكالاً وأيمنهم نقيبة وأطهرهم سريرة وأعودهم على الخلق نفعاً وأطلقهم عن الفواحش نفساً وأصونهم عن القبائح عرضاً وأجودهم كفاً وأسمحهم ببذل ما احتوى من المال يداً، وأجلهم في ذات الله مبالغة، والإجماع حجة موجبة للعلم قطعاً. انتهى كلام السيد مرتضى رحمه الله تعالى.

هذا ما أردت نقله هنا من كلام أئمة المذاهب الأربعة أهل السنّة والجماعة رضي الله عنهم وقد رأيت من تمام الفائدة أن أعزز ذلك بفوائد مهمة ذكرتها في آخر كتابي «الشرف المؤبد» تتعلق بفضل

الآل والأصحاب وبيان أن الجمع بين محبتهما هو الحق والصواب، وهي قولي فيه مع زيادات قليلة. قد ظهر لذهني القاصر معنى شريف وحجة قوية في تأييد مذهب أهل السنّة الجامعين بين حب الصحابة والآل وتزييف مذهب المفرقين بينهم من أهل الرفض والضلال، وذلك أن جميع ما ثبت من فضل الصحابة رضوان الله عليهم هو في الحقيقة من فضائل أهل بيت النبوة زيادة على ما نالوه بانتسابهم إلى حضرة صاحب الرسالة من الفضل، فإنهم صحابة جدهم الأعظم ﷺ لا صحابة نبي سواه، وهم وإن كانوا في أنفسهم فضلاً نبلاء حائزين من كل وصف جميل محضه ولبابه إلا أن أفضليتهم على من سواهم من الأمة إنما هي لفوزهم بتلك الصحبة الشريفة التي لا يوازيها عمل عامل ولا اجتهاد مجتهد وما يلزمها من اقتباس الأنوار والأسرار فضلاً عن فدائهم له ﷺ بكل ما قدروا عليه من نفس ومال وولد ووالد، وخوض كثير منهم أمامه في غمار الحروب ومخالطتهم المنايا حتى ظهر دين الله المبين وخفقت أعلامه في العالمين، وإلا فإنا نجد في التابعين فمن بعدهم من هو أعلم وأعبد وأورع وأزهد وأكثر حرباً وجهاداً وطعاناً وجلاداً من بعض صغار الصحابة الذين لم تطل صحبتهم له ﷺ ولم يلازموه كثيراً من مواطنه الشريفة وغزواته المظفرة، ومع هذا فأقلهم فضلاً أفضل من أفضل التابعين فمن بعدهم إلى يوم القيامة.

فتلخص أنه ﷺ هو الأصل الذي تفرع عنه فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وكذا جميع ما ثبت لأهل البيت من الفضل هو أيضاً يحسب من فضائل الصحابة الكرام زيادة على ما اتصفوا به من الفضل والفخر بصحبتهم له ﷺ، فإنهم ذرية نبيهم الذي استنقذهم من ظلمات الشرك وزجهم في أنوار التوحيد وفازوا بما فازوا به بسببه من السيادة الدنيوية والسعادة الأبدية، وذريته ﷺ بعضه، فكما أن فضل الكل وهو النبي عليه الصلاة والسلام هو زيادة في فضل أصحابه الذي هو متفرع عن فضله فكذلك بعضه وهم الذرية الطاهرة. فإن فضلهم فرع عن فضله ﷺ، فقد علمت أن أصل الفضلين فضل الذرية وفضل الصحابة هو رسول الله ﷺ، وهما فرعان عن أصل واحد، فمهما حصل لأحدهما من مدح أو ذم لا بدّ وأن يتعدى إلى الآخر فلعنة الله على من فرق بينهما بولاء بعضهم ومعاداة البعض، فإن من عادى أحدهما لم ينفعه ولاء الآخر وكان عدو الله ورسوله ولمن التزم ولاءه أيضاً.

وانظر إلى سيدنا زيد بن علي زين العابدين رضي الله عنهما حين خرج على هشام بن عبد الملك، فقد بايعه وقتئذٍ ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه، فقال كلا بل أتولاهما، فقالوا إذا نرفضك، فقال اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة من حينئذٍ، وجاءت طائفة وقالوا نحن نتولاها ونتبرأ ممن يتبرأ منهما فقبلهم وقاتلوا معه فسموا الزيدية غير أنهم خلف من بعدهم خلف خرجوا عن مذهب زيد وبقي عليهم الاسم فقط، فمن أراد سعادة الدارين فعليه بمحبة الطرفين ملتزماً في ذلك الطريق الشرعي غير حائد عن سنن السلف والخلف، وهو مذهب أهل السنّة السنية وهداة الملة الحنيفية، أماتنا الله على ذلك غير مبدلين ولا مغيرين ولا فاتنين ولا مفتونين.

فإن قلت تفريعك هذين الفرعين أهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم عن الأصل

الواحد وهو النبي ﷺ بالصفة التي ذكرتها يشعر بتفضيل الذرية الطاهرة على الصحابة الكرام رضوان الله على الجميع.

قلت نعم، وهو كذلك من حيث إنهم ذريته ﷺ لا من كل حيثية، وهذا مما لا يشتبه فيه عاقل، فإن الذرية الطاهرة من هذه الحيثية أفضل العالمين على الإطلاق، فإن ذلك يرجع لتفضيله عليه الصلاة والسلام، ولا شك مؤمن بأنه أفضل الخلق كافة، وهو بمنزلة قولك: جدهم عليه الصلاة والسلام أفضل من كل جد، وهل يرتاب في هذا مؤمن؟ ومن هنا قال الإمام السبكي وغيره في حق فاطمة رضي الله عنها: لا نفضل على بضعة رسول الله ﷺ أحداً فأنت تراهم وصفوها بالبضعية التي هي داعية التفضيل على أمها خديجة ومريم وعائشة ولم يقولوا لا نفضل على زوجة علي أو أم الحسنين أو غير ذلك من أوصافها الشريفة، وهذا المعنى موجود في سائر أولاده وبناته ﷺ وأولاد فاطمة خصوصية منه ﷺ، فهم من تلك الحيثية أفضل الناس وصرح بأفضلية فاطمة على جميع الصحابة الشيخين، فمن عداهما الشمس العلقمي، وقيده المناوي بحيثية البضعية قال: فإن الشيخين بل الخلفاء الأربعة أفضل منها من حيث المعرفة والعلم ورفع منار الإسلام، ولهذا نبه العلامة اللقاني في «شرح الجوهرة» بعد ذكر أفضلية الخلفاء الأربعة على من سواهم بقوله: لا يشكل الحكم المذكور بالدرية الشريفة، لأنه لا من حيث البضعية المكرمة. يعني وأما من حيث البضعية فالذرية أفضل، فاعلم ذلك واعرف منزلة أهل بيت النبوة وما خولهم الله من الفضل الوهبي واختصهم به من الشرف القربي. قال الشاعر وأظنه سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه:

هم القوم من أصفاهم الود مخلصاً ... تمسك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا ... محاسنهم تحكي وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى ... وطاعتهم ودّ وودهم تقوى

قال في الإسعاف: واعلم أن المحبة المعتبرة الممدوحة هي ما كانت مع اتباع لسنّتهم المحبوبة، إذ مجرد محبتهم من غير اتباع لسنّتهم كما تزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنّة لا تفيد مدعيها شيئاً من الخير بل تكون عليه وبالاً وعذاباً في الدنيا والآخرة على أن هذه ليست محبة في الحقيقة، إذ حقيقة المحبة الميل إلى المحبوب وإيثار محبوباته ومرضياته على محبوبات النفس ومرضياتها والتأدب بأخلاقه وآدابه، ومن ثم قال علي كرم الله وجهه: لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر: أي لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان. وأخرج الدارقطني مرفوعاً «يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك في الجنة وإن قوماً يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة، فإذا أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون» قال الدارقطني: ولهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة اهـ كلام الإسعاف للصبان، وقوله الشيعة والرافضة أراد غلاة الشيعة، فيكون عطف الرافضة عليهم عطف مرادف أو عطف تفسير، أما شيعتهم الذين لم يفارقوا سنّتهم من محبة الصحابة ومعرفة منازلهم في الفضل فهم القوم الأخيار المبرؤون من كل عار وهم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك في الجنة» قال الإمام موسى بن علي بن الحسين بن علي وكان فاضلاً عن أبيه عن جده: إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل عملنا كأصحاب علي

رضي الله عنه مدة خلافته وجميع من نصره وخاض معه غمرات الحروب في جميع وقائعه كوقعة الجمل وصفين والنهروان ما عدا قتلة عثمان عليه الرضوان، فإنه رضي الله عنه وكرم وجهه هو المصيب في جميعها، وغيره مخطىء والكل على هدى لاجتهادهم في طلب الحق ما عدا الخوراج الذين منهم أهل النهروان فإنهم كفرة فجرة، لأنهمن كانوا يعتقدون معاذ الله كفره رضي الله عنه بالتحكيم وكفر كثير من الصحابة والمسلمين الذين رضوا بذلك، وتكفير الخوارج ذهب إليه أكثر العلماء كالطبري والسبكي كما ذكره الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء وإن كان مذهب الشافعي وجماعة من الفقهاء عدم تكفيرهم، لقوله رضي الله عنه: لا أكفر أحداً من أهل القبلة إلا الخطابية كما حكاه النووي في الروضة، ذكر ذلك الشهاب في شرح الشفاء أيضاً. وهناك طائفة من الشيعة يقال لهم المفضلة يقولون بتفضيل علي كرم الله وجهه على سائر الصحابة مع اعتقاد فضلهم وعدلهم والاعتراف بما خوّلهم الله من الشرف وعلو المنزلة، وهؤلاء وإن خالفوا ما انعقد عليه الإجماع من تفضيل الشيخين على عليّ، وذهب إليه جمهور أهل السنّة من تفضيل عثمان عليه فهم أهل بدعة خفيفة لا يتفرع عليها خلل في الدين، فقد ذكرهم الحافظ السيوطي ولم يطعن في عقيدتهم. ونقل عن الحافظ الذهبي وغيره أنهم عدول ثقات، وأن روايتهم مقبولة وشهادتهم غير معلولة. هذا مع تدقيق الذهبي في رجال الحديث إلى درجة أدته للطعن في بعض الثقات الذين زكاهم غيره. قال ومن هذه الطائفة كثير من السلف والخلف، وإذا أطلق لفظ الشيعة في الكتب، فالمراد منه هؤلاء ما لم يقيد بالغلو كأن يقال شيعي غال أو غلاة الشيعة، ومع ذلك فقد نقل في شرح الإحياء عن كتاب القوت لأبي طالب المكي قال: كان أحمد بن حنبل قد أكثر عن عبد الله بن موسى الكاظم، ثم بلغه عنه أدنى بدعة، قيل إنه كان يقدم علياً على عثمان فانصرف أحمد ومزق جميع ما حمل عنه ولم يحدث منه شيئاً ا هـ.

أما الروافض فهم ما بين كافر وفاسق، لأنهم رفضوا موالاة كثير من الصحابة رضي الله عنهم، والكافر منهم من يطعن في السيدة عائشة أم المؤمنين وينكر صحبة أبيها رضي الله عنهما، ولا تشتبه بما سأتلوه عليك من كلام العارف الشعراني، فإنه إنما قصد من الروافض مفضلة الشيعة كما تصرح به عبارته. قال رضي الله عنه في كتابه «العهود» أخذ علينا العهود أن لا نسب الروافض الذين يقدمون علياً في المحبة على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، لا الذين يسبونهما لا سيما إن كانوا أشرافاً من أولاد فاطمة رضي الله عنها أو من أهل القرآن، فإياك يا أخي من قولك فلان رافضي كلب، فإن ذلك لا ينبغي، والذي نعتقده أن التغالي في محبة علي والحسن والحسين وذريتهما مطلوب بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] والود ثبات المحبة ودوامها فنسكت عن سب من قدم جده في المحبة على غيره ما لم يعارض النصوص، وذلك لأن تعصب الإنسان لأجداده الذين حصل له بهم الشرف أمر واقع في كثير من العلماء فضلاً عن آحاد الناس من الشرفاء، ولذلك قالوا: من النوادر شريف سني يقدم أبا بكر وعمر على جده علي رضي الله عنهم وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه ينشد:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافض

فاعذر يا أخي كل من قامت له شبهة ما لم تهدم شيئاً من أصول الدين الصريحة كإنكار صحبة

أبي بكر لرسول الله ﷺ أو براءة عائشة رضي الله عنها، واترك أمر الروافض إلى الله يفصل بينهم يوم القيامة انتهى كلام الإمام الشعراني، وهو كلام عارف كبير منصف خبير رضي الله عنه ونفعنا به.

وقوله: من النوادر شريف سني ليس هو مقابل الرافضي بمعناه الحقيقي، وإنما هو مقابل الشيعي المفضل، ولذلك قال بعده يقدم أبا بكر وعمر على جده علي. والرافضي لا يقر لأبي بكر وعمر بفضل لا مقدماً ولا مؤخراً بل يصفهما بما لا ينبغي، ومعاذ الله أن يقول بذلك أحد ممن صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ.

وحاصل معنى العبارة أن الشريف السنّي الموصوف بتقديم أبي بكر وعمر على جده عليّ من النوادر، وأكثرهم سنّيون لا يقولون بالتقديم مع حب الشيخين والصحابة جميعاً والاعتراف بفضلهم، وهذا لا يضرهم في دينهم شيئاً ولا سيما إذا كان التقديم في المحبة لا التفضيل، وهو الذي ينبغي حمل العبارة عليه فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى ما ذكرته في «الشرف المؤبد» مع زيادة قليلة؛ ويؤيد أن أكثر الأشراف بمقتضى عبارة الإمام الشعراني وإن قدموا جدهم علياً بالمحبة على أبي بكر وعمر لا يقدمونه عليهما بالتفضيل ما عليه أكثر علماء الأشراف ولا سيما ساداتنا آل باعلوي من ملازمة مذهب أهل السنّة والجماعة في تفضيل الشيخين على جدهم علي رضي الله عنه وتقرير ذلك في كتبهم ودروسهم، فمن توفيق الله لهم أنه غلب عليهم التزام الشرع عن اقتضاء الطبع، ولا غرابة في ذلك فإن الأشراف على الإطلاق لا شك أنهم يفضلون الأنبياء والمرسلين على جدهم علي رضي الله عنه وكذلك غيرهم من سائر المؤمنين يفضلون الأنبياء على أجدادهم مهما كانوا صالحين وما ذاك إلا من حسن الانقياد إلى الشرع ومخالفة الهوى والطبع، وحيث قد ثبت بإجماع الأمة من أهل السنّة والجماعة أفضلية الشيخين على علي رضي الله عنه كان من حسن الانقياد للشرع وسلامة الدين تفضيلهما عليه ولو عند سلالته الطيبين الطاهرين بل هم أولى من سائر المؤمنين باتباع هذا الحق المبين رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

قال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية: فإن قلت من اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعض تكون أكثر هل يكون آثماً به أم لا؟ أجاب شيخ الإسلام الولي ابن العراقي بأن المحبة قد تكون لأمر ديني وقد تكون لأمر دنيوي، فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كان محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضاً، نعم إن أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب علياً أكثر من أبي بكر مثلاً، فإن كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك، إذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررنا، وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر إلا بلسانه، وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز، وإن كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه، والله أعلم اهـ. ونقل هذه الفتوى عن الولي العراقي أيضاً ابن حجر في الصواعق. انتهى القسم الأول، ويليه القسم الثاني.

القسم الثاني

في الاحتجاج على فضل أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين بعبارات فائقة بنيتها على الآيات والأحاديث وأقوال العلماء السابقة يقنع بها كل من يهمه رضا الله ورسوله واتباع الشريعة سواء كان من أهل السنّة أو كان من الشيعة، ولا هادي إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اعلم أيها المسلم المؤمن المصدق بوحدة الله تعالى ورسالة نبيه محمد ﷺ سواء كنت من أهل السنّة أو من الشيعة أن مقصدنا معاشر المسلمين ومحط نظرنا شيء واحد وهو هذا الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما وكل ما يقرب العبد إلى رضاهما، والمقصود الأصلي هو رضا الله تعالى، وأما رضا الرسول ﷺ فهو تابع لرضا الله تعالى فكل ما يرضي الله يرضيه وكل ما يسخطه تعالى يسخطه ﷺ، وكذلك الحق سبحانه وتعالى يرضي لرضا رسوله ويغضب لغضبه فرضاهما وسخطهما متلازمان ولذلك ورد في القرآن كثيراً ذكر الرسول مع الله تعالى كقوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [النساء: ١٣٦] و ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ [النساء: ١٣٦] وغير ذلك كثير، وإن كان الأصل هو الله تعالى وطاعته والتابع هو الرسول وطاعته فإن الحق سبحانه وتعالى هو المقصود بالذات، وإنما خلق الخلق عزّ وجلّ ليعرفوه ويعبدوه وأرسل الرسل وسيدهم محمداً ﷺ ليعرفوا به خلقه ويقودهم إلى طاعته وعبادته تعالى، ولا يخفى أن الخلق كلهم خلق الله تعالى فأحبهم إليه وأقربهم لديه، أكثرهم معرفة به وطاعة له وتصديقاً لرسله عليهم الصلاة والسلام، وتصديق ذلك في قوله تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] وقول النبي ﷺ: **«لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى»** وقوله عليه الصلاة والسلام: **«يا فاطمة بنت رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً ولكن لكم رحم سأبلها ببلالها»** ولا شك أن نسبتهم له عليه الصلاة والسلام تنفعهم نفعاً عظيماً عند الله تعالى، يدل على ذلك أحاديث كثيرة، ومنها قوله في هذا الحديث **«سأبلها ببلالها»** أي أصلها بصلتها، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي»** وقد قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥] ولا يرضيه ﷺ إلا سعادة أقاربه الأقرب فالأقرب، وإنما قال لهم: **«لا أغنى عنكم من الله شيئاً»** تعظيماً لجانب الحق سبحانه وتعالى كما هو الواقع أن أحداً لا يغني عنده سبحانه وتعالى شيئاً إلا برضاه فإنه الحاكم المطلق جل وعلا، وليس لأحد معه شرك في ملكه، وقد قال عزّ وجلّ: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهو سبحانه وتعالى من فضله يأذن للنبي ﷺ بالشفاعة في أقربائه وغيرهم، وهو ﷺ أكرم الخلق على الإطلاق فلا يترك أقرباءه يوم القيامة من دون أن يشفع فيهم شفاعة مخصوصة. كيف وهو قد أعطى الشفاعة في سائر الناس أفيشفع في الأبعدين ويترك أقرباءه المؤمنين؟ هذا مما لا يكون ولا يتصوره عاقل ولكن حرضهم ﷺ بقوله: **«لا أغني عنكم من الله شيئاً»** على كثرة الطاعات لله تعالى لئلا يتكلوا على هذه النسبة الشريفة التي لا أشرف منها والقرابة المنيفة التي لا أعلى منها فيعتمدون عليها ويقصرون في

عبادة الله تعالى، وهذا من شدة شفقته ﷺ على أهل بيته ومحبته لهم ولعلمه عليه الصلاة والسلام أن مجرد هذه القرابة الشريفة بلا أعمال صالحة لا تبلغهم أعلى المنازل في الجنة وتقدمهم على غيرهم من أكابر أتقياء الأمة لقول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] نعم إن هذه النسبة الشريفة تكون سبباً إن شاء الله تعالى لنجاتهم كيفما كانوا بعد أن يكونوا مؤمنين لقول الله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال العلماء: لا رجس أرجس من الكفر، وتأمل عدم اكتفاء الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ حتى أكده بقوله تعالى: ﴿ويطهركم﴾ ولم يكتف بهذا التأكيد بقوله: ﴿يطهركم﴾ حتى أكده بالمصدر بقوله تعالى: ﴿تطهيراً﴾.

فإذا تأملت في ذلك تعلم علو منصب أهل بيت النبوة ورفعة قدرهم عند الله تعالى إلى درجة لا يتصورها عقلك، وهذا الكلام إنما هو صادر من الله تعالى الذي في يده كل شيء ويفعل في خلقه ما يريد ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية، فلا يقال حينئذٍ لأي شيء اختصهم بهذا الفضل العظيم، ولو قيل ذلك لكان جوابه سهلاً وهو أنه اختصهم به كرامة لحبيبه الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم. وقد قال بعض العلماء كما ذكرته في كتابي «الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ» إن هذه الآية الكريمة تدل على أن الله تعالى يطهرهم من الكفر والمعاصي ويتوفاهم على الإيمان والتوبة النصوح الممحصة لجميع الذنوب ويرضي عنهم أخصامهم بفضله وكرمه تعالى كرامة لحبيبه الأعظم ﷺ، ولما أراده تعالى لهذا العنصر الطاهر من الكرامة من غير شرط عمل، فهي مبشرة لهم بحسن الخاتمة والوفاة على الإيمان والتوبة النصوح من جميع أنواع العصيان ومع ذلك فهم والحمد لله جدوا واجتهدوا في طاعة الله تعالى ولم يعتمدوا على هذه النسبة الشريفة والمزية العظيمة التي فاقوا بها جميع الناس سوى النبيين والمرسلين إذ لم يوجد في القرآن مثل هذه الآية الكريمة في حق غيرهم رضي الله عنهم، ومع ذلك فهي لم تنسخ حكم قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] فهذه آية محكمة حكمها صحيح دائم، كما أن تلك آية محكمة حكمها صحيح دائم، والله تعالى لم يقل إنه قد فضل أهل بيت النبوة على جميع الناس من كل الوجوه، ولكنه سبحانه وتعالى قد خصهم بآية التطهير وفضلهم بها على جميع الأمم من جليل وحقير، وفضل أهل التقوى بحسب درجاتهم على الجميع بقوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ولم يستثن أهل البيت الكرام ولا غيرهم من الأنام.

إذا علمت ذلك تعلم أنه يجوز أن يكون في كل عصر بعض المسلمين من أهل التقوى أكرم عند الله تعالى من بعض أهل البيت الذين قصروا عنهم في تقوى الله تعالى، ولا مانع من ذلك شرعاً ولا عقلاً لهذه الآية الصريحة التي يجب على كل مؤمن قبولها والإذعان لها والتصديق بها لأنها من كلام الله المجيد الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢] وقد خاطب الله تعالى بها جميع المؤمنين من عهده ﷺ إلى يوم القيامة. وإذا كان الأمر كذلك فأصحاب النبي ﷺ الذين تشرفوا بصحبته وشاهدوا أنوار طلعته وبذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل نصرته وتأييد دينه وملته هم أولى وأحرى بأن يشملهم هذا التشريف الذي شرف الله به المتقين بقوله

تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ المؤيد بقول النبي ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**».

(فصل): قد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في آيات كثيرة من القرآن: منها قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] ومنها قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] ومنها قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [التحريم: ٨] ومنها قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] ومنها قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة: ١٠٠]. ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٤] ومنها قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠] ومنها قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩] ومنها قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤].

واعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم داخلون بيقين في جميع هذه الآيات القرآنية وغيرها مما ذكر في القسم السابق التي أثنى الله بها على أصحاب رسول الله ﷺ، والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها داخلة أيضاً بيقين في أكثرها مما لم يختص بالرجال من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما لا شك أنهما داخلان في كثير منها مما لم يختص بالسابقين إلى الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم. فيا ليت شعري إذا صرح الملك لجميع رعاياه برضاه عن طائفة منهم وخاطبهم بمدح تلك الطائفة والثناء الجميل عليها أتراهم إذا أبغضوا تلك الطائفة التي صرح لهم الملك برضاه عنها، وإذا ذموها بعد أن سمعوا منه الثناء الجميل عليها يكونون قد استحقوا بذلك رضا الملك أم سخطه، لا شك أنهم يكونون بذلك مستحقين لسخطه التام، ولا يرتاب في هذا أحد من ذوي الأحلام، هذا لو كان ذلك الملك مخلوقاً مثل رعاياه، ويجوز عليه أن يكون مخطئاً في رضاه عن تلك الطائفة وثنائه عليها بأن يكون صدر ذلك منه لأغراض وافقت هوى نفسه، وهي في الحقيقة غير مستحقة لرضاه وثنائه فيخالفونه لعلمهم من عيوبها وموجبات بغضها وذمها ما لم يعلمه ذلك الملك، فما بالك بملك الملوك رب العالمين وخلاق البرايا

أجمعين إذا صرح برضاه عن طائفة من عبيده وأثنى عليها الثناء الجميل هل يمكن أن يكون مخطئاً برضاه عنها وثنائه عليها؟ وهل يجب على عبيده تعالى أن يتبعوه بمحبة تلك الطائفة والرضا عنها والثناء عليها؟ أو يجوز لهم بوجه من الوجوه أو سبب من الأسباب أن يبغضوها بعد أن صرح لهم سبحانه وتعالى برضاه عنها، ويذموها بعد أن سمعوه بمدحها بأبلغ المدح ويثني عليها بأجمل الثناء، هذا مثل أصحاب رسول الله ﷺ ومن يحبهم ومن يبغضهم، فمن أي الفريقين تحب أن تكون أيها المسلم الذي يريد نجاة نفسه: أما السني فلا يرد عليه هذا السؤال، وأما الشيعي فلا جواب له عنه بحال من الأحوال إلا بمرجد المكابرة والجدال إذا قال الشيعي أنا أحب أهـل بيت رسول الله ﷺ وأبغض أصحابه الذين تعدوا عليهم وسلبوهم حقوقهم وأذمهم لأتقرب بذلك إلى رسول الله ﷺ وأستجلب رضاه ومحبته لي بمحبتي لأهل بيته، وبغضي لمن سلبوهم حقوقهم.

أقول في الجواب عن ذلك: قد أعلمتك بنص القرآن الصريح أن الله تعالى قد رضي عنهم وأثنى عليهم الثناء الجميل، وما رضي عنهم إلا لطاعتهم لرسوله ﷺ ومبايعتهم: أي معاهدتهم إياه على الموت في سبيل نصرته على أعدائه ﷺ وأثنى عليهم الثناء الجميل في كتابه المجيد، الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢] فكيف حينئذٍ يمكن بعد ما ذكر أن يرضى الله تعالى أو رسوله ﷺ عمن يبغضهم ويذمهم مهما فعلوا ومهما كان منهم على فرض صحة ما نسب إليهم، هذا مستحيل عقلاً ونقلاً، لأن الرضا عنهم والثناء عليهم من الله تعالى قد ثبت ثبوتاً أبدياً في كلامه القديم الذي لا ينسخه كلام على ممر الليالي والأيام، والحق سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما سيصدر منهم من الأفعال مدة حياتهم، ومع ذلك فقد صرح بالرضا عنهم والثناء الجميل عليهم، فيلزمنا أن نقلد الله تعالى بالرضا عنهم والثناء الجميل عليهم ونعتقد أن ما صدر منهم على فرض صدوره هو من الذنوب الداخلة في سعة رحمة الله تعال أو مغفرته، أو نؤول ذلك بما يصرف أفعالهم المعترضة عن ظواهرها كما فعل علماء السنّة من السلف والخلف ويؤيد ذلك الحديث الصحيح الوارد عن النبي ﷺ في حق أهل بدر الذين من جملتهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وكثير ممن تبغضهم الروافض، وهو قوله ﷺ: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال لهم: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

وورد عنه ﷺ في حق عثمان بخصوصه مثل ذلك يوم جهز جيش العسرة بسبعمائة جمل بحمولها وأحضر ألف دينار صبها بين يدي النبي ﷺ فصار يقلبها بيديه الشريفتين، ويقول: «**غفر الله لك يا عثمان، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**» وهذا من الأمور التي جرت بها العادة، فإنه إذا فعل إنسان فعلاً جميلاً عظيماً عند آخر يصرح له بأنه قد رضي عنه ولا يسخط عليه أبداً في مقابلة ذلك الفعل الجميل حتى يجرون ذلك مع البهائم. قال الشاعر:

وإذا المطيّ بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطىء الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وإذا وقع ذلك من كرام الناس في حق البهائم فضلاً عن الآدميين، فما بالك برسول الله ﷺ، وهو أكرم ولد آدم وسيد الخلق أجمعين؟ وما بالك بكرم الله تعالى وسعة فضله الذي لا تدرك حدّ

سعته الأحلام، ولا يمكن التعبير عن حقيقته بالألسنة والأقلام، وقد صرح تعالى برضاه عن هؤلاء القوم الذين صدقوا في خدمته وتأييد دينه وملته ومبايعة نبيه على الموت في نصرته وثنائه عليهم الثناء الجميل في معيته، وقد ذكر صفاتهم الجميلة التي استوجبوا بها الثناء الجميل منه تعالى، وابتدأها بقوله: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] فقد ابتدأها بالجهاد أيضاً لما فيه من المشقات العظيمة التي كانوا يحملونها في حب الله تعالى ورسوله، أتراه سبحانه وتعالى بعد أن صرح لهم برضاه عنهم وشرفهم بذلك وبالثناء عليهم في كلامه القديم يخالف ذلك في المستقبل؟ وهو سبحانه أكرم الأكرمين وأرحم الرحمين؟ أو تراه يرضيه أن يخالف تشريفه لهم بذلك أحد من الخلق أجمعين، سبحانه وتعالى عما يقوله الجاهلون ويعتقده المبطلون، و ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة: ١٥٦]. ونعوذ بالله تعالى من الخذلان ومن أن نكون منقادين إلى الشيطان وإخوانه من الإنس والجان.

وأما قولك أيها الشيعي: إن أصحاب رسول الله ﷺ سلبوا أهل بيته حقوقهم، فهذا اعتقدته أنت بحسب ما بلغك من الرواة الذين قد يزيدون وينقصون، وبحسب ما فسره لك قوم غافلون أو متغافلون، ومع ذلك نحن لم ندع فيهم العصمة من الخطأ والذنوب ولكن نقول: إن الله تعالى أخبرنا في كتابه الحق الذي اتفق جميع المسلمين من أهل السنّة والشيعة على أنه كما قال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [فصلت: ٤٢] بأنه قد رضي سبحانه وتعالى عنهم وقد أثنى عليهم فيه الثناء الجميل، فإذا وقع منهم بعد ذلك بحسب بشريتهم وعدم عصمتهم كالأنبياء شيء من الذنوب يرجى من كرمه تعالى أن يغفره لهم، بل يتعين ذلك فضلاً منه تعالى في حق أهل بيعة الرضوان الذين صرح برضاه عنهم وهم أكثر المهاجرين والأنصار، وفي حق أهل بدر منهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فلا يجوز لك أيها الشيعي أن تذمهم وتسخط عليهم بعد تعريف الله تعالى لك بأنه قد رضي عنهم وثنائه الجميل عليهم، ولو فرضنا صحة ما بلغك عنهم من الخطأ والذنوب التي هي إن شاء الله تعالى على فرض صحتها مغفورة، لا سيما وقد صح عنهم عندك وعند جميع المسلمين والناس أجمعين ما بذلوه في تأييد الدين المبين ونصرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين من الأفعال المشكورة المبرورة، التي منها بذل الأرواح والأموال ومعاداة الأهل والعيال، وارتكاب المشقات التي لا يتحملها الجبال، فهل لا يستحقون بعدها غفران الذنوب وستر العيوب من الكبير المتعال؟.

فانصف أيها الرجل، وانتبه رحمك الله، واعرف لذوي الحقوق حقوقهم، ولا تغترر بزخرفة الألفاظ وتنميق الأكاذيب التي أوحاها الشيطان إلى إخوانه وأعوانه حتى فرقوا كلمة الأمة المحمدية وأوقعوا بينها العداوة التي لا يقدر على إزالتها إلا الله تعالى، وأنت على يقين من أنا معاشر المسلمين جميعاً من أهل السنّة والشيعة عبيد الله تعالى يجب علينا أن نرضى لرضاه ونسخط لسخطه تعالى ولا نجعل لهوانا على ديننا وعقلنا سبيلاً، ونجزم ونعتقد أن رسول الله ﷺ لا يرضيه إلا ما يرضي الله تعالى؛ وقد بلغنا ﷺ عن ربه عزّ وجلّ أنه رضي عن أهل بيعة الرضوان وهم جل أو كل أصحابه

المهاجرين والأنصار وقتئذٍ، فهل يمكن أن رسول الله ﷺ لا يرضى عليهم أو على أحد منهم مهما فعلوا بعد أن بلغنا عن ربه عزّ وجلّ رضاه المطلق عنهم الذي لم يقيده بشرط من الشروط ولا زمان من الأزمان، وهل يجوز لنا بعد أن تحققنا رضا الله ورسوله عنهم على هذا الوجه الثابت المحقق الذي لا يتحول ولا يتزلزل أن نسخط عليهم وقد رضي الله ورسوله عنهم وندمهم وقد أثنى الله ورسوله عليهم؟ أنصف أنت من نفسك أيها المسلم العاقل وافعل ما يقربك إلى مولاك والله يتولى هداك.

أما أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة رضي الله عنهم فهم مثل أصحابه عليه الصلاة والسلام يجوز عليهم الخطأ واقتراف الذنوب، فإنهم مثلهم غير معصومين، ولا يغرك زعم العصمة فيهم عند الشيعة لأن العصمة قد خصها الله تعالى بالنبيين والمرسلين لكونهم مشرعين ومبلغين الدين وأحكامه عن الحق إلى الخلق، فلو لم يكونوا معصومين لجاز عليهم وقوع الخطأ في تبليغ شرائع الله تعالى إلى عباده فيختل حينئذٍ ذلك الدين ولا يوثق بصحته وبأنه دين الله الحق الذي شرعه لعباده ولهذا كانت عصمتهم واجبة لازمة لا بدّ منها. وأما غيرهم من أتباع الأنبياء فليسوا متصفين بهذه الصفة حتى يلزم اعتقاد العصمة فيهم، ولكنهم مهما عظم شأنهم وارتفعت منزلتهم في الفضل والتقوى والكمال، فهم محل للخطأ واقتراف الذنوب بحسب بشريتهم، ولكن الله تعالى من فضله وكرمه يغفر لهم ذنوبهم ويستر لهم عيوبهم، وأولى الناس بمغفرته تعالى آل بيت نبيه وأصحابه ﷺ لقوله تعالى في آل البيت: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] ولثنائه الجميل على الصحابة ورضاه عنهم بقوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] وكما يجوز عقلاً وشرعاً وقوع التعدي من بعض الصحابة على بعض أهل البيت يجوز التعدي من بعض أهل البيت على بعض الصحابة كما أنه يجوز الخطأ على هؤلاء وهؤلاء بمقتضى البشرية وعدم العصمة.

ونحن معاشر المسلمين الواجب علينا محبة الفريقين لنفوز إن شاء الله تعالى بالحسنيين وننظر بعين الإنصاف إلى ما بلغنا من أحوالهم جميعاً وآثارهم في الدين ونفعهم للمسلمين وطاعتهم لرب العالمين وخدمتهم لسيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وما كان أمرهم عليه في حياته وبعد وفاته ﷺ بحسب ما تحققناه من النقول الصحيحة ونجعل محط نظرنا رضا الله تعالى ورسوله ونزيل عن قلوبنا وعقولنا حجاب الهوى والميل بمجرد التعصب المذموم والتشهي المشؤوم، فإن ذلك لا يرضاه لنفسه العاقل إلا إذا طمس الله على بصيرته فلم يفرق بين الحق والباطل.

فصل في خلافة أبي بكر وملخص أوصافه

قد اتفق نقلة الأخبار على أن أبا بكر الصديق كان في الجاهلية من رجال قريش المعدودين أهل الحال والعقد فيهم، وأنه كان أول المسلمين من الرجال، وأنه من ذلك التاريخ كان هو الوزير الأعظم والصديق الأكبر الأكرم للنبي ﷺ، وإنما سماه النبي ﷺ بالصديق لمبادرته لتصديقه في أول إسلامه في كل ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الغيوب ولا سيما في صباح ليلة المعراج حينما كذبته

كفار قريش، ولم يزل مرافقاً له وموافقاً في جميع حالاته مع العسر واليسر والشدة والرخاء والسفر والحضر والحرب والسلم وجميع الأحوال إلى حين وفاته ﷺ.

أما الأحاديث التي وردت وصحت عن النبي ﷺ في فضله فهي كثيرة مدونة في الكتب ومشهورة على الألسنة، وكثير منها يجري على ألسنة الناس مجرى الأمثال وكذلك ما ورد في حق عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وكذلك وردت أحاديث كثيرة في فضل السيدة فاطمة الزهراء والحسن والحسين وسائر أهل البيت الكرام وفضل السيدة عائشة وباقي أمهات المؤمنين وكثير من أفراد الصحابة ومجموعهم رضي الله عنهم أجمعين. ولا أريد أن أكثر الكلام هنا بنقلها لأنها معلومة، وكتبها في أيدي الناس مشهورة، وقد جمع منها الإمام ابن حجر في كتاب «الصواعق» جملة وافرة، وربما أذكر قليلاً منها للمناسبة، ومن أرادها فليراجعها في محلها. ومن المعلوم عند الخصوص والعموم أن أبا بكر رضي الله عنه لم يزل منذ أسلم إلى وفاة رسول الله ﷺ هو عنده الوزير الأول والصديق الأكبر الذي عليه في مهماته المعول لا يشبهه ولا يدانيه في ذلك أحد لا من الصحابة ولا من أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين، حتى إن رسول الله ﷺ لم يسمح له في غزوة بدر بالمبارزة في القتال، وقال له: «أمتعنا بنفسك» وسمح بذلك لسادات أهل بيته وقتئذٍ وهم علي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، واعتمد عليه ﷺ في حراسة العريش الذي أقام فيه عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى وقت الحرب ويستنجزه ما وعده من النصر ولم يعتمد في ذلك على أحد سواه في هذا الأمر المهم الذي لا أهم منه وقتئذٍ كما أنه ﷺ لم يثق بأحد يكون رفيقه في هجرته من مكة إلى المدينة سوى أبي بكر رضي الله عنه، وقد استأذنه مراراً ليهاجر مع من هاجر قبل ذلك من الصحابة فلم يأذن له عليه الصلاة والسلام بذلك وأخره حتى هاجر معه ﷺ، وكان مستشاره الأعظم في جميع مهماته ﷺ الدينية والدنيوية، ولم يزل كذلك عنده في المحل الأعلى والمنزل الأرفع الذي لا يشاركه فيه مشارك، ولا يشبهه فيه مشابه، لا من الصحابة ولا من أهل البيت إلى أن توفي ﷺ وهو راضٍ عنه تمام الرضا.

ولما توفي رسول الله ﷺ اضطربت الصحابة من أهل البيت وغيرهم غاية الاضطراب حتى جاء هو وقرأ قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤] فحينئذٍ سكن اضطرابهم وعرفوا أن رسول الله ﷺ قد توفاه الله ونقله من دار الفناء إلى دار البقاء، فكان أبو بكر أعلمهم وأعقلهم وأحزمهم وأفضلهم ولما كان فضله العظيم وتفوقه عند رسول الله ﷺ على الجميع بالتقريب والتعظيم مشهوداً لهم معلوماً عندهم وآخر اختصاص خصه به رسول الله ﷺ أمره إياه في مرضه أن يصلي بالناس نيابة عنه، اتفقوا بأجمعهم على أن يجعلوه خليفة له عليه الصلاة والسلام، ولأن تخصيص النبي ﷺ له بذلك كالصريح في استخلافه، ولذلك بايعه رضي الله عنه على الخلافة جمهورهم إلا نزراً قليلاً من بعض المهاجرين والأنصار، لا لجحدهم فضله واستحقاقه ولكن لأسباب قامت في أنفسهم منعتهم من التعجيل في المبايعة أهمها عدم مشاورتهم كما صرح بذلك علي والزبير رضي الله عنهما، ثم بايعوه بعد ذلك، وقد تمت له والحمد لله الخلافة باتفاق

الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فاستلم زمامها وتسنم سنامها وقام بحقوقها أحق القيام حتى كان هو المجدد الأعظم لدين الإسلام بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد اتفقت على مبايعته والسرور بخلافته والاغتباط بها الأمة المحمدية وقتئذٍ بأسرها من أهل المدينة المنوّرة ومكة المشرفة ومن تبعهم من جميع العرب ولو فرضنا أن المبايعة بالخلافة كانت لغيره لكان المخالفون أكثر بكثير، لأن اعتبار أبي بكر رضي الله عنه عند الأمة جميعها في حياته ﷺ كان في الدرجة الأولى بلا خلاف عندهم في ذلك، فالذين ينافسونه على هذا المقام هم بلا شك أقل بكثير ممن ينافسون غيره وقد ظهر ذلك فيما بعد حينما تركوا وشأنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه في خلافة علي رضي الله عنه ولم يظهر في خلافة عمر، لأن أبا بكر استخلفه قبل موته فلم يبق لهم الحق في نصب خليفة من عند أنفسهم حتى تختلف آراء بعضهم، وكذلك عمر حصرها في ستة، ومع ذلك لم يتفقوا على واحد منهم حتى حكموا فيها واحداً منهم وهو عبد الرحمن بن عوف يرضون بمن يعينه منهم بشرط أن لا يعين نفسه فعين عثمان حين رآه الأصلح للأمر ثم بعد قتل عثمان صارت الناس فوضى فبايع أهل المدينة وأهل الحل والعقد وأصحاب السابقة من أصحاب رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه لأن الأحقية انحصرت فيه، فإنه مع وجوده بعد عثمان لا يستحق الخلافة معه أحد، ومع ذلك قد خالف بيعته قوم كثير من العرب الصحابة وغيرهم، فمن هنا يظهر لك ظهوراً جلياً أن اعتبار أبي بكر في نفوس الأمة المحمدية كان أكثر بكثير ممن بعده، ولذلك اتفقت الأمة عليه مع عدم تنصيص النبي ﷺ على خلافته صريحاً، ومع كونه ليس من أقربائه الأقربين ولا من المعروفين بكثرة العشيرة وكثرة المال والأحزاب، وإنما كان رأس ماله الأعظم قوة دينه وعلو منزلته عند النبي ﷺ، فإذن لم يبعث الأمة على الانقياد إليه إلا علمهم بأحقيته وأفضليته، وكونه لا يستحق الخلافة مع وجوده أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد كان عليه الصلاة والسلام قدمه للصلاة بهم في مرضه فقالوا: نختار لدنيانا من اختاره رسول الله ﷺ لديننا ونعم هذا الاختيار. وقد صح عن إمامنا الشافعي كما في طبقات السبكي أنه مع كونه كان من أجل المحبين لآل البيت ومن بني عمهم وأمه علوية وأبوه من بني المطلب أخي هاشم قال له رجل: كيف تقدم أبا بكر وأنت من بني المطلب؟ فقال له: ليس الأمر كما تظن، ولكنهم حينما توفي رسول الله ﷺ نظروا فلم يجدوا تحت أديم السماء أفضل من أبي بكر فولوه عليهم، ولو كان الأمر بالقرابة لكنت أقدم علياً لأنه ابن عمي وجدي لأمي.

فإن قلت: بين لي أسباب مخالفة أولئك النفر وعدم مبادرتهم لمبايعة أبي بكر فإن النفس يبقى فيها شيء من هذه المخالفة؟ أقول في الجواب: لم يخالف من الأنصار إلا سعد بن عبادة سيدهم رضي الله عنه وعنهم، ومن المهاجرين سوى بعض أهل البيت رضي الله عنهم. وقد قدّمت لك أن أصحاب رسول الله ﷺ كأهل بيته ليس أحد منهم معصوماً من الخطأ، فإنهم ليسوا أنبياء ولا ملائكة فيجوز عليهم الذهول ولا يستحيل عليهم الخطأ.

أما سبب مخالفة سعد بن عبادة رضي الله عنه فإنه كان سيد الأنصار وهم جمهور الناس في المدينة وأهل البلد، وقد كان قبل قدوم رسول الله ﷺ عليهم وهم في جاهليتهم رأوا مالهم من القوة والثروة والعصبية فأرادوا أن يجعلوا عليهم ملكاً عبد الله ابن سلول وهو من الخزرج قوم سعد بن

عبادة وهم معظم الأنصار فانتقض ذلك بالإسلام وقدوم النبي عليه الصلاة والسلام، فلما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار ليبايعوا منهم سيدهم سعد بن عبادة ويجعلوه عليهم ملكاً ليس لاعتقادهم أنه أفضل من أبي بكر ولكن لكونهم كانوا قد رتبوا هذا الأمر في الجاهلية لرجل منهم فحال بينهم وبينه وجود النبي ﷺ، فلما توفي عليه الصلاة والسلام ظهر لهم أنه لا مانع من ذلك فأرادوا مبايعة سعد المذكور لاعتقادهم أنه أهل لأن يكون ملكاً عليهم وأنهم هم أهل لأن يكون منهم ملك بالنظر إلى كثرتهم وعصبيتهم وشجاعتهم وغناهم وكونهم هم أهل البلد، ولم ترضى نفوسهم الأبية أن ينقادوا إلى غيرهم مع استيفاء الشروط فيهم، وإنما كانوا منقادين لرسول الله ﷺ بالدين ولم يقصدوا أن يكون واحد منهم خليفة لرسول الله ﷺ على الأمة المحمدية بأسرها. ولذلك قالوا للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، فلما ذهب إليهم أبو بكر وعمر إلى محل اجتماعهم سقيفة بني ساعدة خوفاً من وقوع الفتنة بين المهاجرين والأنصار تكلم أبو بكر ووعظهم وذكرهم بما كانوا عنه غافلين، وتكلم عمر وذكرهم بفضائل أبي بكر وما كان له من علو المنزلة عند رسول الله ﷺ فتجلى لهم الحق والصواب وأعرضوا عما كانوا قصدوه وبايعوا أبا بكر مع جملة الأصحاب وانقادوا إليه بزمام الدين مع كونهم كانوا هم أهل البلد والقوة وكانوا يرون منزلة علي وغيره من أهل بيت النبي ﷺ وغيرهم، فلو علموا أن أحداً منهم أحب إلى الله ورسوله وأحق في هذا الأمر من أبي بكر لما فسخوا عزيمتهم التي كانوا صمموا عليها وتركوا تمليك واحد منهم الذي يترتب عليه فخرهم وشرف دنياهم وبايعوا أبا بكر بل كانوا يبايعون ذلك الرجل الذي يرون فيه الأحقية والأولوية لا سيما إذا كان من أهل بيت النبي ﷺ فبهذا ظهر سبب ما وقع من الأنصار من الخلاف وما رجعوا إليه من الإنصاف.

أما سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها فإنها حصل لها من الكرب بوفاة النبي ﷺ ما شغلها عن كل شيء ولازمها الكمد حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ، ولعلها كانت لعظم ما نزل بها وشدة محبتها لأبيها عليه الصلاة والسلام وجلالة قدره إلى درجة لم يشاركه فيها أحد من الأنام لم تسمح نفسها بأن ترى أحداً من الناس يقوم بعده ذلك المقام فلذلك تأخرت عن مبايعة أبي بكر وقوى ذلك أنها طلبت منه رضي الله عنها وعنه أن يورثها أرضاً تركها النبي ﷺ فامتنع، لأنه سمع من رسول الله ﷺ قوله: **«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»** فبقي في نفسها من ذلك شيء، ولو جاز أن أبا بكر يحابي أحداً بما لا يعتقد جوازه لحاباها بذلك محبة لرسول الله ﷺ واستجلاباً لرضاها ورضا زوجها وقومها رضي الله عنهم فكانت الديانة والسياسة ـ وهو منهما في المحل الأعلى ـ يلزمانه بإعطائه إياها تلك الأرض لو لم يسمع من رسول الله ﷺ ما سمعه، ومع ذلك فكان يزورها ويخضع لها ويلاطفها غاية الملاطفة لاستجلاب رضاها حتى رضيت عنه.

وأما زوجها علي رضي الله عنه فقد حصل له كذلك من شدة الحزن والكرب لوفاة رسول الله ﷺ ما لا تحمله الجبال الراسيات بحيث ضاقت عليه الدنيا ولازم بيته مدة من الزمان ثم بايع أبا بكر واعتذر عن تأخره عن البيعة بما هو لا شك صادق فيه من ملازمة الأحزان مع اعتقاده أحقية أبي بكر لهذا الشأن ولعدم مشاورته قبل البيعة في سقيفة بني ساعدة، ولو فرضنا أن تأخره عن البيعة لاعتقاده في نفسه أنه مقدم على أبي بكر في استحقاق الخلافة نقول في الجواب نحن نعلم أن

جمهور الصحابة ولا سيما المقربون منهم إلى رسول الله ﷺ كالذين بشرهم بالجنة، وخلافهم من أهل بدر وبيعة الرضوان هم أعلم ممن جاء بعدهم بيقين بمن كان عالي المنزلة عند رسول الله ﷺ في حياته إلى درجة تخوله حق الخلافة بعد وفاته وكلهم قد أجمعوا على خلافة أبي بكر فنضع خطأهم في ذلك بفرض وقوعه في جانب مع خطأ أبي بكر نفسه بقبولها لو فرضناه وخطأ جميع أهل عصرهم من المسلمين الذين أقروهم على ذلك، ونضع في الجانب الآخر خطأ علي في ذلك بفرض تصوره أنه أحق بالخلافة من أبي بكر ونضع أيضاً صوابهم في ذلك في جانب وصواب علي على فرض تصوره في جانب، فمن يا ترى أقرب إلى رضا الله تعالى ورسوله أن يكون أبو بكر وجميع الصحابة وغيرهم من المسلمين مخطئين في عملهم ويكون علي وحده مصيباً في تصوره، أو خطأ علي في هذا التصوير وإصابة الأمة بأسرها وقتئذ أقرب إلى رضا الله ورسوله؟ لا أظن أن هذا السؤال يتوجه إلى أحد في قلبه نور إيمان ثم لا يرى أن الصواب مع أبي بكر والأصحاب لا سيما وقد فرضنا أن علياً رضي الله عنه تصور الخلافة لنفسه، فهذا أقرب للخطأ ممن يتصورها لغيره كباقي الصحابة الذين تصوروها لأبي بكر فإن نفوسهم ليس لها حظ من خلافته إلا اتباع الحق وكونه أولى وأحق، ولو كان أبو بكر بمنزلة علي في تصوره لنفسه والصحابة كلهم أو جلهم مع علي لكنا أيضاً نكون مع الجمهور إذ لا قرابة بيننا وبين أبي بكر تحملنا على محاباته، بل لو تساوى أبو بكر وعلي من كل الوجوه لكان المرجح عليه بقرابته من رسول الله ﷺ، ولكن قد تحققنا أن رسول الله ﷺ نفسه كان عنده أبو بكر مقدماً على علي وعلى سائر الأصحاب، فكيف نقدم نحن عليه علياً أو غيره؟ وإنما نحن مع الله ورسوله لا مع أنفسنا وهو أنا نحن نعلم حق العلم أن علياً رضي الله عنه كان من أقرب الأقرباء المحبوبين لرسول الله ﷺ، ومن أجل الأصفياء المقربين عنده، ومن أنفع أصحابه له ولدينه وأعظمهم إقداماً في نصرته وأكثرهم إلقاء لنفسه في مظان التلف في معارك الحروب، وهو الذي خلفه في فراشه ففداه بنفسه يوم الهجرة. وفوق ذلك أنه زوج ابنته سيدة نساء العالمين وأبو ذريته الطيبين الظاهرين إلى يوم الدين مع وفرة العلم والفضل والشجاعة والكمال من كل الوجوه؛ ولكنا نعلم مع ذلك بأبي بكر من الفضائل الجمة والمناقب المهمة ما هو أكثر من ذلك وأن المنزلة التي كانت له عند رسول الله ﷺ لم يصل إليها علي ولا غيره، وكل الصحابة كانوا يعلمون هذه الفضائل الجليلة لعلي رضي الله عنه ومع ذلك أقدموا على مبايعة أبي بكر على الخلافة مع وجوده، فلا شك أنهم وجدوا أبا بكر أحق بها وأولى، ولو بايعوا علياً لكان جديراً بها، ولكنهم علموا أنهم لو فعلوا ذلك لقدموه على من هو أحق منه فلم يفعلوا، والله إني أتيقن أن علياً نفسه لم يتخطر أنه مقدم على أبي بكر، وكيف يكون ذلك وهو رضي الله عنه من أتقى الناس وأصدقهم وأكثرهم إنصافاً وقد كان مشاهداً لأحوال أبي بكر مع رسول الله ﷺ من البداية إلى النهاية، وقد كان هو صغير السن في ابتداء البعثة ثم كان بعد ذلك من الشبان الأقوياء الشجعان حتى فدى رسول الله ﷺ بنفسه وألقى نفسه في الأخطار في محبة الله تعالى ورسوله ولم نسمع أنه كان من أهل مشورة رسول الله ﷺ في مهماته مثل أبي بكر لا سيما في وقت الشدة في أول البعثة، وأبو بكر ملازم للنبي ﷺ في ليله ونهاره وحضره وأسفاره يوالي من والاه ويعادي من عاداه ولو وصله من ذلك أعظم ضرر يأتي على نفسه وماله وعياله حتى شاهد المشركين يوماً يؤذون النبي ﷺ ففداه بنفسه وصار يضربهم ويضربونه، واشتد عليه الأمر حتى أغمي عليه وكاد يموت من كثرة الضرب

والجراحات، وكان يطوف معه ﷺ على قبائل العرب في المواسم يبلغ رسالة ربه ويدعوهم إلى نصرته كل ذلك وعلي رضي الله عنه صغير السن وقتئذٍ، أترى أن الله تعالى ينسى ذلك لأبي بكر، أو ترى أن محمداً ﷺ يعدل به بعد هذا أحداً من الناس، أو ترى أن أمته ﷺ يخلفونه بما لا يرضيه في شأن هذا الصاحب الذي كان له عليه كمال الاعتماد وقد فداه بالنفس والمال والأولاد مع علمهم أنه ﷺ لم يكن يعدل به أحداً من خلق الله تعالى مدة حياته حتى توفاه الله تعالى وهو راضٍ عنه كمال الرضى، ومن لم يعلم ذلك فهو من أجهل الجاهلين بأحوال رسول الله ﷺ مع أصحابه. ثم ماذا كان من خلافة أبي بكر، هل كان منها ضرر على الدين والمسلمين؟ كلا والله بل كانت كنبوة ثانية، أعز الله بها الإسلام والمسلمين، وأيد وشيد قواعد هذا الدين المبين.

فقد ارتدت أكثر قبائل العرب بعد وفاة النبي ﷺ فجمعهم رضي الله عنه طوعاً وكرهاً على الإسلام وفتح بلاد العراق والشام، وجيش جيوش المسلمين للجهاد في سبيل الله الملك العلام، وسيرهم إلى أعداء الدين أقواماً بعد أقوام حتى أظهر الله به دينه غاية الظهور وانتظمت على أحسن حال الأمور، وكان ذلك بعد أن جمع الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي وغيرهم من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، واستشارهم في شأن أهل الردة فأشاروا جميعاً عليه بتركهم وشأنهم لأنهم معظم العرب وقتئذٍ ولا قدرة للمسلمين على محاربتهم لقلتهم بالنسبة إليهم فكرر عليهم المشورة فكرروا هذا الرأي، وقالوا نعبد الله تعالى حتى نموت، فقال لهم والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب إليّ من أن يكون هذا رأيي، والله لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه ولو انفردت بسالفتي، ووبخ عمر علي هذا الرأي بقوله له: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟ مع أن عمر كان هو المعروف بالشدة في الدين وأبو بكر كان معروفاً بالرفق واللين فانعكس الموضوع في هذا الأمر المهم الذي لم يرد على الإسلام بعد رسول الله ﷺ أمر مثله، ثم قام أبو بكر من ذلك المجلس معلناً الحرب على أهل الردة قائلاً: ها أنا متوجه بنفسي للجهاد في هؤلاء المرتدين فمن تبعني فليتبعني فانقادوا إليه وقالوا له كلهم: نحن معك يا خليفة رسول الله، وقال عمر: فما كان إلا أن شرح الله صدورنا لاتباع أبي بكر وكان فيه الخير والبركة. وقال بعضهم: لولا أبو بكر لما عبد الله تعالى بعد محمد ﷺ فجيش جيشاً وأرسله مع خالد بن الوليد، فلم يزل يحاربهم قبيلة بعد قبيلة ويستعين ببعضهم على بعض إلى أن رجع العرب جميعهم إلى الإسلام وكثرت الجيوش فجهزها لمحاربة دولتي الفرس والروم في العراق والشام وهم أعظم دول الدنيا وقتئذٍ، وتتابعت الفتوحات في مدة خلافته وهي ثلاثة أعوام وختمها بالعهد إلى عمر بالخلافة ونعم الختام، وكان عمر وزيره الأعظم كما كان هو عند النبي ﷺ، فهو على كثرة فضائله وفتوحاته حسنة من حسناته. هذا أبو بكر وهذه خلافته، فهل تراها يا أيها الشيعي جلبت ضرراً على المسلمين أو أيدت وشيدت أركان الإسلام إلى يوم الدين فرحم الله أمرأ اتبع حقه وترك هواه و ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣].

فصل في خلافة عمر رضي الله عنه

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قبل إسلامه كان ذا وجاهة عظيمة في قريش حتى دعا

النبي ﷺ تعالى بأن يؤيد الإسلام به أو بعمرو بن هشام، يعني أبا جهل، فاستجيبت دعوته ﷺ في حق عمر؛ فلما أسلم دخل بإسلامه سرور عظيم على النبي ﷺ ومن معه من المسلمين، وكانوا نحو العشرين وهم مستخفون لا يقدرون على الظهور لكثرة أذية المشركين لهم؛ فأعلن عمر إسلام نفسه في محافل قريش وحمل النبي ﷺ على الظهور فظهر بمن معه، وكان ذلك أول يوم أعز الله به الإسلام، ولذلك سماه رسول الله ﷺ الفاروق، لأن الله فرق به بين الحق والباطل، ولم يزل مصاحباً لرسول الله ﷺ من حين إسلامه إلى وفاة النبي ﷺ في جميع حالاته من شدة ورخاء وسفر وحضر وحرب وسلم ولم يفارقه في جميع غزواته، وهو عنده في جميع ذلك صاحب المنزلة العليا والمكانة الزلفى التي لا تفضلها إلا منزلة أبي بكر الصديق ومكانته عند رسول الله ﷺ فإنه كان الوزير الأول وعمر الوزير الثاني ولم يكن لعثمان ولا لعلي ولا لغيرهما هذه المنزلة العلية والرتبة السنّية المعروفة عند عموم الأصحاب وغيرهم، حتى إن أبا سفيان جاء إلى المدينة قبل فتح مكة ليطلب من النبي ﷺ تجديد مدة الهدنة بينه وبين قريش فلم يقبل فقصد أبا بكر ثم عمر ليشفعا له عند رسول الله ﷺ في تجديد الهدنة فلم يفعلا فقصد بعد ذلك عثمان وعلياً فلم يفعلا أيضاً، وكذلك كعب بن زهير حينما أهدر النبي ﷺ دمه لأسباب أوجبت ذلك قصد أبا بكر ثم عمر ليشفعا له فلم يفعلا ثم قصد علياً فدله على طريق نجاحه، فمن هنا تعلم أن المشركين أيضاً كانوا يعلمون تقدم أبي بكر وعمر عند النبي ﷺ على سائر أصحابه وليس ذلك بالأمر الخفي ولا يجهله من لم يكن له اطلاع على سيرته ﷺ وتاريخ وقائعه وروابطه مع أصحابه وأحوالهم معه ودرجاتهم عنده، فإن كتب الحديث والسير والتواريخ على الإطلاق متفقة على أن هذين الشيخين كانا مقدمين عنده على سائر الأصحاب وأنه ﷺ كان يشاورهما في مهمات أموره قبل جميع أصحابه، ومن أعظم ما اتفق لعمر في إصابة الرأي أن النبي ﷺ شاوره في أسارى بدر فأشار عليه بقتلهم وعدم قبول الفداء منهم، وقال يا رسول الله هذه أول وقعة نصر الله بها الإسلام فلا ينبغي قبول الفداء لترسخ هيبة المسلمين في قلوب المشركين، سلم كل واحد منا قريبه يقتله بيده، وأشار أبو بكر بقبول الفداء منهم، وقال يا رسول الله هم الأهل والعشيرة وليتقووا بما يأخذونه منهم من الفداء على ما هم بصدده من الجهاد في سبيل الله تعالى. فعمل ﷺ برأي أبي بكر لميله ﷺ إلى المرحمة والشفقة فنزل قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم﴾ [الأنفال: ٦٧] ولم يزل عمر على هذه الحالة السنّية والمكانة العلية عند رسول الله ﷺ مدة حياته وصار بعده لأبي بكر وزيره الأعظم بمنزلة أبي بكر عند النبي ﷺ، فكل ما حصل من الخير للأمة المحمدية في مدة خلافة أبي بكر فعمر له فيه اليد البيضاء والثواب العظيم لأنه كان الركن الأقوى الذي يعتمد عليه أبو بكر في مهمات الدنيا والدين، ولذلك رآه كفؤاً كريماً للخلافة بعده فعهد له بها ولم يخالف عليه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ لعلمهم أنه بعد أبي بكر أعلاهم منزلة عند رسول الله ﷺ وأقدرهم على القيام بأعباء الخلافة من جهة العقل والفضل وحسن التدبير وسياسة الأمور وضبط الجمهور مع الشجاعة التامة والصرامة الكاملة، والنفس الأبية القوية التي لا تأخذها في الله لومة لائم وغير ذلك من صفات الكمال التي تقتضيها الخلافة ولم تجتمع في أحد منهم اجتماعها

فيه رضي الله عنه وعنهم، وإنما كان بعضهم يخشى منه وقوع الشدة لما كان معروفاً به من عدم المداراة والشدة في دين الله، فكان الأمر بعد الخلافة بالعكس؛ فكان أرحم الأمة بالأمة وأشفقها عليها وظهر منه من الحزم والتدبير وضبط أمور الجماهير، والعدل بين الناس على اختلاف طبقاتهم وسياسة الدنيا والدين، والرحمة لعموم المؤمنين، والشدة على جميع المعتدين، وتجنيد الجنود، والجهاد في سبيل الله، وكثرة الفتوحات ما لم يجتمع لغيره باتفاق المؤرخين في دهر من الدهور بحيث هدم أعظم دول العالم وقتئذٍ، وهي دولة الروم في الشام وما والاها ودولة الفرس في العراق وما والاها ودولة القبط في مصر وما والاها، واستولى على بلادهم وعواصم ممالكهم في وقت قصير لا يتسع مثله لبعض هذه الفتوحات فضلاً عن كلها لولا قدرة الله تعالى وما أراده من سرعة انتشار دين الإسلام وتعميم رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يزل الإسلام منذ تولي الخلافة يعلو شأنه ومجده ويسمو عزه وقدره ويتسع انتشاره ويفيض على البسيطة بحره ويشمل الأمم حكمه حتى انقادت له الأعارب والأعاجم رغبة أو رهبة، واتسع نطاق الإسلام اتساعاً عظيماً كان أساساً متيناً لكل ما جاء بعده من الفتوحات الإسلامية.

ثم بعد هذا كله لم يعهد بالخلافة لولده عبد الله مع أنه كان في حد ذاته أهلاً لها، لأنه كان من أجلاء الصحابة وأكابر علمائهم ولم يظهر له الصواب فيمن يكون خليفة بعده كما ظهر لأبي بكر، ولو ظهر له ذلك في شخص لعهد إليه، ولكنه أشكل عليه الأمر لشدة ورعه ودقة نظره وشفقته على الأمة المحمدية، لأنه كان مع بلوغه في قوة الدين إلى الغاية القصوى كذلك كان بالغاً في كمال العقل إلى الذروة العليا، وقد علم أنه لم يجتمع في واحد من الصحابة الموجودين وقتئذٍ الأوصاف التي تحصر فيها الخلافة وتحملهم جميعاً على الانقياد إليه كما انقادوا إلى أبي بكر وعمر حتى يعهد إليه بها، وقد توجد في الجماعة المؤهلين لها بعض مزايا لا توجد في الآخر، فهذا عمر وهذه سيرته وخلافته، فكيف تراها أيها الشيعي، هل نفعت الدين المبين أو أضرت بالإسلام والمسلمين، سبحان الله ما أعجب هذا الحال وبينما نحن نرى الكفار يفتخرون بذكر عمر وخلافته وكثرة عدله وحسن سيرته في كتبهم ويشهدون له بالانفراد في السياسة والسداد ويلهجون بمدحه والثناء عليه إلى درجة يميزونه بها عن جميع ملوكهم فضلاً عن غيرهم، نرى بعكس ذلك بعض المسلمين من الشيعة ولا سيما الفرس ولو حفظوا أنسابهم لوجدوا أجدادهم الأقدمين، إنما انتقلوا من دين المجوس إلى دين الإسلام بواسطة جيوش عمر التي افتتح بها بلادهم وهدى بها أجدادهم، فله رضى الله عنه أعظم المنن على من أسلموا وعلى ذراريهم إلى يوم القيامة، ومع ذلك فقد نسوا فضله عليهم وعلى أجدادهم خصوصاً وعلى الأمة المحمدية عموماً، فرحم الله من اتقى الله ونبذ هواه وعرف الحق لأهله فأداه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فصل في خلافة عثمان رضي الله عنه وسيرته

أما عثمان رضي الله عنه فإنه كان من أعظم أكابر قريش في الجاهلية، وكان من السابقين للإسلام، هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وتزوج بنتي رسول الله ﷺ فسماه ذا النورين، ولم يزل من أول الإسلام إلى وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، وهو من أجل المقربين إليه وأعظم المحبين

المحبوبين لديه حتى كان من المعلوم عند جمهور الصحابة تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر عليهم جميعاً في الفضل عند رسول الله ﷺ، كما صح ذلك في حديث البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو من أعلم الصحابة وأورعهم وأتقاهم وأفضلهم أنه قال: «كنا في حياة النبي ﷺ نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنفضل أبا بكر ثم عمر ثم عثمان» ولا قرابة بينه وبين واحد منهم، ولو جازت عليه المحاباة لحابى أباه فقدمه على أبي بكر وحابى علياً لقرابته من رسول الله ﷺ، وكان عثمان في الجاهلية من رؤساء قريش، وقومه بنو أمية كانوا مع كثرتهم ورياستهم من أشد أعداء رسول الله ﷺ فخالفهم عثمان وآمن برسول الله ﷺ في أول البعثة والإسلام يومئذٍ جديد في غاية الضعف والخفاء، والشرك حينئذٍ متين في غاية الظهور والقوة، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنوّرة، ولم يفارق رسول الله ﷺ في أكثر غزواته ومشاهده، وكم له من يد بيضاء في الإسلام في حياة النبي ﷺ، لم يسد أحد مسده فيها. منها تجهيزه جيش العسرة في غزوة تبوك. ومنها أن النبي ﷺ أرسله يوم الحديبية إلى مكة ليطيب قلوب المؤمنين المستضعفين، وكان ﷺ أمر بذلك قبله عمر فلم يفعل خوفاً من قريش لشدة عداوته لهم وعداوتهم له وقلة قومه ودله على عثمان لقوة عصبيته وكثرة قومه، فذهب وقضى حاجة رسول الله ﷺ على أتم وجه، وامتنع من الطواف بالبيت لعدم طواف النبي ﷺ به في ذلك العام. وقد كان ﷺ يستحي منه، فسئل عن ذلك، فقال: **«ألا أستحيي ممن تستحي منه ملائكة الرحمن»** ولم يزل كذلك عند النبي ﷺ في المنزلة الزلفى والمكانة العليا والمحبة العظمى والعناية الكبرى إلى أن توفي ﷺ وهو راضٍ عنه تمام الرضى، ثم كان عند أبي بكر أيام خلافته كذلك، ثم كان عند عمر أيام خلافته كذلك، ثم لما تولى الخلافة مشى على سنن أبي بكر وعمر في العدل بين الناس والجهاد في سبيل الله حتى فتح المغرب بأجمعه وكثيراً من بلاد أفريقية، وفتح بلاد أرمينية وخراسان وما والاها حتى وصل إلى حدود الصين، واستولى على سائر بلاد الفرس، وكان هلاك كسرى في مدة خلافته، وفتح من جزائر البحر قبرص وردوس وغير ذلك من الفتوحات الكثيرة التي تضاهي فتوحات عمر، وحصل للإسلام في مدته انتشار عظيم في أقطار الأرض، ولم يزل الناس راضين مغتبطين بخلافته إلى أن أكثر من تولية رؤساء بني أمية بالأعمال فنقم عليه ذلك قوم من فساق أهل مصر والعراق فخرجوا عن طاعته وأتوا إلى المدينة المنوّرة فحصروه وقتلوه ظلماً، رضي الله عنه.

وقد اتفق جمهور الأمة المحمدية من أهل السنّة والجماعة من عصر الصحابة إلى الآن على أن عثمان أفضل من علي، وهذا الاتفاق لا يمكن أن يكون بمجرد التشهي، لأن الأمة لا قرابة مخصوصة بينها وبين عثمان، كما أنها لا قرابة مخصوصة بينها وبين أبي بكر وعمر، فكما أنها قدمتهما في الفضل عليه وعلى من بعده لما ثبت عندها من أسباب التفضيل كذلك قدمته على علي وعلى من بعده لما ثبت عندها من أسباب تفضيله، وإن كانت أسباب تفضيل الشيخين عندنا أظهر من أسباب تفضيله على علي، ونحن يلزمنا اتباع سلفنا الصالح في ذلك لوثوقنا بقوة دينهم ووفرة علمهم وكثرة معرفتهم وورعهم وعدم محاباتهم في الدين أحداً ولو كانوا يحابون في ذلك لحابوا علياً لقاربته من رسول الله ﷺ.

وقد اطلعوا على ما لكل منهما من الفضائل وعلى ما ورد في حقهما عن النبي ﷺ من المناقب،

وشاهد الصحابة منهم حالة قرب كل منهما منه ﷺ حال حياته، وبعد هذا كله اتفق جمهورهم على أفضلية عثمان، وهو مذهب جمهور الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأتباعهم أجمعين، ولم يخالف في ذلك من الأئمة إلا سفيان الثوري ومالك في أول قوليه ففضلا علياً على عثمان، ثم ثبت عند مالك تفضيل عثمان فرجع عن قوله الأول ووافق ا لجمهور في تفضيله على علي وجرى ذلك الأمر باتفاق أهل المذاهب الأربعة جيلاً بعد جيل يرويه السلف عن الخلف ويتلقنه المتأخر عن المتقدم وينشر في الكتب ويقرر في العقائد ويقرأ في الدروس ويوعظ به على رؤوس المنابر ويعلن في المجامع الدينية والمحافل الإسلامية من دون نكير ولا تقييد ولا تحجير إلى وقتنا هذا.

إذا علمت هذا أيها المسلم المتحري لدينه المبين، التابع لسبيل الهداة المهديين، فكيف تطيب نفسك أن تعتقد خطأ هذه الأمة العظيمة في سائر الأعصار والأدوار من صحابتها وتابعيها وأوليائها وأتقيائها ومجتهديها وهم علماء الناس وساداتهم وعقلاؤهم وقاداتهم في أمور دينهم ودنياهم. أترى ذلك يرضي الله تعالى، أم تراه يسر رسول الله ﷺ، أم تراه تطيب للأئمة الأعلام من ساداتنا أهل البيت الكرام؟ حاشا وكلا. أما من جهة الخلافة فقد كان إليها علي وعثمان فرسي رهان فسبق عثمان فاتبعه علي ولو سبقه علي لاتبعه عثمان، والدليل على تقاربهما في الفضل وكون كل منهما فيه الأهلية التامة للخلافة بعد أبي بكر وعمر عدم تخصيص عمر واحداً منهما ولو علم في أحدهما ما علمه أبو بكر فيه من التقدم على الجميع لعهد بالخلافة إليه ولم يذكر معه غيره بدون محاباة، ولو جازت عليه المحاباة لحابى علياً لأنه أبو زوجته أم كلثوم بنت علي وجد بنيه منها فضلاً عن قرابته من رسول الله ﷺ وكونه زوج سيدة نساء العالمين وأبا أهل بيت النبوة الطيبين الطاهرين. فإن قلت قد سمي معهما غيرهما فلا يدل ذلك على معرفة انحصار الأهلية للخلافة فيهما. قلت نعم فعل ذلك مع علمه، والله أعلم أن الخلافة منحصرة فيهما لما يعلمه من شدة المنافسة بين بني هاشم وبني أمية فخاف من وقوع الفتنة بين القبيلتين إذا نص على واحد منهما أو إذا حصرها في الاثنين فضم معهما غيرهما من ذوي الأهلية بعدهما لتكون شورى بينهم فترضى الأمة بمن يقع عليه اتفاقهم وقد كان كذلك ورضيت الأمة والحمد لله بخلافة عثمان وبايعه علي وسائر أهل البيت الكرام وداموا على السمع والطاعة والمعاونة في كل ما يؤيده ويؤيد خلافته إلى أن خرج عليه جماعة من خوارج مصر والعراق فقتلوه شهيداً رضي الله عنه، ولم يوجد معهم أحد من الصحابة أهل البيت وغيرهم بل كانوا من المحامين عنه إلى أن قضي الله بشهادته وشقاوة قاتليه، فبويع علي بالخلافة لأنها بعد عثمان قد انحصرت فيه، وكان موجوداً وقتئذٍ طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ولم يخطر في بال أحد من الصحابة أن يبايعهم مع وجود علي، ومن هنا تعلم صحة ما ذكرته لك في حكمة ذكر عمر إياهم مع علي وعثمان، وإن لم أرَ أحداً ذكره من المؤلفين في هذا الشأن وقد رأيت رؤيا منامية تدل على تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما ذكرتها في خاتمة هذا الكتاب، وهي الحكاية الثالثة والعشرون فراجعها هناك، والله يتولى هداي وهداك.

فصل في خلافة علي وشأنه مع من بغى عليه من الصحابة رضي الله عنه وعنهم

ثم بعد قتل عثمان مظلوماً شهيداً اجتمع أهل الحل والعقد من أصحاب رسول الله ﷺ

وغيرهم وتوجهوا إلى علي رضي الله عنه فبايعوه بالخلافة لأنها قد انحصرت فيه ولا يستحقها أحد مع وجوده لكثرة فضائله التي لا تحصى: منها أسبقيته للإسلام ولم يعبد وثناً قط، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وابن عم رسول الله ﷺ وأخوه بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو سبطيه: الحسن والحسين وجد آله الطاهرين وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ. ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي ﷺ، ثم يلحقه بأهله، ففعل ذلك، ونام في فراشه الذي كان المشركون يراقبونه فيه ليقتلوه ﷺ ففداه بنفسه، وشهد مع النبي ﷺ سائر المشاهد إلا تبوك فإنه ﷺ استخلفه على المدينة وقال له حينئذٍ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فإن موسى صلوات الله عليه كان خلف هارون عليه السلام في قومه لما ذهب إلى المناجاة، وله في جميع المشاهد الآثار المشهورة. ففي غزوة بدر كان في أول المبارزين، فقتل من بارزه وأصابه يوم أحد ست عشرة ضربة وبارز في غزوة الخندق عمرو بن ود العامري الشهير فقتله وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر، وأخبر ﷺ أن الفتح يكون على يده ووصفه بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كما في الصحيحين وكان كذلك، وحمل يومئذٍ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وأنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً، وفي رواية أنه تترس بباب الحصن عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يقلبوه فما استطاعوا، وغير ذلك من الفضائل والمناقب والمفاخر التي تعجز عن حصرها الأقلام والدفاتر، ولكنه مع ذلك لم يهنأ له في الخلافة عيش ولم يجد فيها راحة وتوالت عليه أسباب التعب والنصب من كل جانب، ولو قدر الله دخوله للخلافة مع السكون والهدوء واجتماع الأمة كما حصل في خلافة أسلافه لما كان قصر عنهم في تمهيد الأمور وكثرة الفتوحات وزيادة نشر الإسلام في سائر أقطار الأرض كما حصل لهم، ولكنه من حين دخوله الخلافة دخل فيها، والأمة في غاية الاختلاف وأمورها في غاية التشويش والاضطراب بسبب قتل عثمان وتحزب الأحزاب واختلاف الآراء واجتماع الجماعات على آراء مختلفة وأغراض متباينة، فكان رضي الله عنه كلما اشتغل بسد خرق من جانب انفتق عليه خرق من جانب آخر حتى عاداه أعظم من كان يثق بهم. أما في أول الأمر فمثل طلحة والزبير رضي الله عنهما مع السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقد جيشوا عليه جيش وقعة الجمل وصارت بينهم وبينه تلك المحاربة العظيمة للأخذ بثأر عثمان من الذين قتلوه وكانوا هم وعشائرهم في عسكر الإمام علي رضي الله عنه فامتنع من تسليمهم خوفاً من زيادة الفتنة فكان ما كان من قتل كثير منهم الزبير وطلحة وأرجع عائشة إلى المدينة المنوّرة بغاية الإكرام والإعزاز، ولا يخفى أن هؤلاء هم أولى الناس بنصرة علي رضي الله عنه وعنهم، ولكن الله إذا قضى شيئاً لم ينفع العقل والنظر وإذا وقع القضاء عمي البصر، ثم بعد أن كاد الفتح يتم له رضي الله عنه في وقعة صفين حصلت مكيدة رفع المصاحف على الرماح وطلب المحاكمة إلى كتاب الله فبطل الحرب ورجع كل إلى مأواه؛ ثم إن عسكر علي انشقوا فأنكروا التحكيم وخرجوا عليه فاشتغل بحربهم بمن أطاعه من عسكره، ومعاوية يجمع الجموع ويجيش الجيوش في الشام، وقد اتفقوا على طاعته في الطلب بدم عثمان؛ وبقي الأمر كذلك لم يهنأ لعلي أمير المؤمنين عيش ولم ينتظم له أمر حتى قضى الله بقتله شهيداً

سعيداً على يد أشقى الآخرين أحد الخوارج المارقين عبد الرحمن بن ملجم. ولهذه الأحوال العجيبة والمصادفات الغريبة حكمة باطنية وسبب ظاهر بحسب ما ظهر لفكري القاصر.

حكمة عدم انتظام الأمور في مدة خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

أما الحكمة الباطنية في عدم انتظام الأمور في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، فهي والله أعلم ما علمه الله تعالى من أنه سيفرط في حبه قوم حتى يعتقدوا فيه الألوهية كما وقع بعد ذلك من طوائف هم موجودون إلى الآن كطائفة النصيرية فإنهم يعتقدون ألوهيته وقد ابتدأ هذا الأمر في مدة خلافته رضي الله عنه، فلما علم بذلك استحضر الذين بلغه ذلك عنهم واستتابهم فمن لم يتب منهم أحرقه بالنار فقالوا الآن زدنا اعتقاداً بألوهيتك، إذ لا يحرق بالنار إلا رب النار. وقد أفرطوا في محبته بأنواع شتى ونسبوا له من أوصاف الكمال ما هو مختص بالنبيين أو برب العالمين سبحانه وتعالى حتى قال بعض شعراء متأخريهم، وهو ابن معتوق:

سيد الأوصياء مولى البرايا عروة الدين صفوة الخلاق
مهبط الوحي معدن العلم والأفـ ضال لا بل مقدر الأرزاق
عالم الغيب والشهادة لا يعـ زب عنه حساب ذر دقاق

مع أن هذه الأبيات يمكن تأويلها، ولكن ظاهرها يوهم دعوى الألوهية فيه، رضي الله عنه، فلما علم الله أنه سيكون في حقه رضي الله عنه تلك الدعاوى الكاذبة أظهر عجزه في المحل الذي لا يمكن فيه أن يدخر شيئاً من قوته لو كانت عنده في ذاته قوة ألوهية كما زعموا بل كان يهلك أولئك العبيد الذين عارضوه في أموره وشوشوا عليه خلافته فأظهر عجزه الحق سبحانه وتعالى عن ضبط ما انتشر من رعاياه وسد ما انفتق عليه من أموره وكثر المخالفون حتى حاربوه وحاربهم فانتصر على قوم منهم وكاد ينتصر على الآخرين، فلم يتم له الأمر وتسهلت الأسباب بقدر الله تعالى وقضائه إلى معاوية حتى اجتمع عليه جموع كثيرة من قريش وغيرها من قبائل العرب ودهاتها، ولم يزل أمره في انتظام وإقبال، وأمر علي رضي الله عنه في تفرق وإدبار إلى أن قتل شهيداً، وكان إذا رأى ما هو فيه من مخالفة عسكره له وطاعة عسكر معاوية له يعض على أصابعه ويقول: أعصي ويطاع معاوية، وهذا الأمر لو حدث به قبل وقوعه لم كاد أحد يصدقه لأن الفرق بينهما عظيم جداً، ولو تركت الخلافة للأحقية بحيث لا يتولاها إلا أهلها لتقدم على معاوية في ذلك العصر ألوف كثيرة من أهل بدر وأُحد وبيعة الرضوان الذين لا يخطر في بال أحد أن معاوية يتقدم على واحد منهم، وعلي كان سيدهم والمقدم عليهم أجمعين باتفاقهم واتفاق الأمة أجمع، ومع كون الأمر كذلك تهيأت الأسباب لمعاوية حتى صار ملكاً منصوراً وقتل على الخليفة الحق مقهوراً، ومع كل هذا العجز الظاهر الباهر الذي قدره الله تعالى على علي رضي الله عنه ما زال ناس كثيرون يدعون فيه الألوهية إلى زماننا هذا، كطائفة النصيرية في بلاد الشام وغيرها من طوائف بلاد الأعجام، فكيف لو حصل له رضي الله عنه من القوة

واجتماع الكلمة وضبط الأمور وفتح الفتوحات ما حصل لأبي بكر وعمر وعثمان، فكان يخشى حينئذٍ أن يضل باعتقاد ألوهيته كثير من الناس غير من ضلوا، فقد اجتمع فيه من العلوم الزاخرة والأنوار الظاهرة والأسرار السافرة والفصاحة الباهرة ما يدهش العقول، ويخيل لبعض الناس أن ذلك لا يمكن اجتماعه في بشر، ولذلك ضل فيه بعض الطغام من ضعفاء الأحلام، فهذه والله أعلم هي الحكمة في إظهار عجز هذا الإمام الكبير، وقوة معاوية الذي هو بالنسبة إليه صغير صغير، والله يفعل في خلقه ما يشاء وهو العليم الخبير.

السبب الظاهر لعدم انتظام الأمور في مدة خلافة علي رضي الله عنه

وأما السبب الظاهر لعدم انتظام خلافة علي رضي الله عنه فهو قتل عثمان رضي الله عنه وما ترتب عليه من الأمور والشرور إلى أن كان ما كان. وتوضيح ذلك أن عثمان كان سيد بني أمية وكانوا مع بني عمهم بني هاشم فرسي رهان في الرياسة في الجاهلية، بل كانت عصبيتهم أقوى من عصبية بني هاشم لكثرتهم وقلة بني هاشم بالنسبة إليهم، فلما بعث رسول الله ﷺ حسدوهم على هذه المزية الكبرى والمنقبة العظمى التي لا يمكن أن يصلوا إليها بوجه من الوجوه، ولذلك تأخر أكثرهم عن الإسلام وعاندوا الحق وحاربوا الله ورسوله في بدر وأحد والخندق، وبقوا مصرين على الشرك والعناد مع كثير من عتاة قريش إلى يوم الفتح الأعظم فتح مكة المشرفة، فسلموا حينئذٍ قيادهم إلى رسول الله ﷺ مغلوبين مقهورين حين لم يبق في القوس منزع ولا في المقاومة مطمع، فوصل منهم الأرحام وعاملهم معاملة الكرام، فأطلقهم من الإسار وأعطاهم أموالهم، وقال لهم: «أنتم الطلقاء» ولو شاء لضرب عليهم الرق، . فصاروا كلهم عبيداً أرقاء وكانوا مع أموالهم غنيمة له ولجيشه ﷺ فقسمهم بين المجاهدين ولكنه عفا عنهم عند الاقتدار فأسلموا بالاضطرار لا الاختيار، واتبعوه ﷺ إلى غزوة حنين، فأعطاهم من غنائمها شيئاً كثيراً ليتألفهم به ويقوي إسلامهم بمحبته ﷺ. وكان من رؤسائهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية، فأعطى كل واحد منهم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، ولم يعطِ أحداً من أصحابه السابقين للإسلام من المهاجرين والأنصار لا لفقرائهم ولا لأغنيائهم، وإنما أعطى بعض أكابر قريش ورؤساء القبائل، ولم يزل يتألفهم ويتلطف بهم ويكرمهم حتى قوي إيمانهم وحسن إسلامهم، وجاهدوا معه حق الجهاد، وفدوه بالنفوس والأموال والأولاد.

ومن هنا تعلم أن رسول الله ﷺ كان يداريهم ويتألفهم لحرصه على هدايتهم وتمكن الإسلام من قلوبهم، لكونهم من أقاربه الأقربين ورؤساء عشيرته المقدمين، ولما يعلمه من ترتب هداية كثير من الناس على هدايتهم وطاعتهم بطاعتهم ممن كانوا ينقادون إليهم في الجاهلية من أقاربهم وحلفائهم وعلائقهم، وقد صح إسلامهم والحمد لله، وجاهدوا مع رسول الله ﷺ بعد ذلك حق الجهاد ومع أبي بكر وعمر، وظهر منهم في الإسلام والمسلمين آثار جميلة جليلة في حياة النبي ﷺ وبعده، وكان أبو بكر رضي الله عنه يجلهم أيضاً ويداريهم اقتداء بالنبي ﷺ ويؤمر منهم الأمراء، وهو الذي أمر يزيد بن أبي سفيان من جملة أمراء الجيوش الكبار في محاربة الروم في بلاد الشام وبقي إلى

خلافة عمر ومات، فولى عمر مكانه أخاه معاوية، فبقي أمير الشام باقي خلافة عمر، ومدة خلافة عثمان عشرين سنة، ولازموا في خلافة أبي بكر وخلافة عمر الطاعة والانقياد وجاهدوا في الله حق الجهاد وكانوا كذلك بل أعظم من ذلك في خلافة عثمان القرابة القريبة التي بينهم وبينه. وقد ولاهم الأعمال المهمة وقيادة الجيوش، فتمكنوا من فتح الفتوحات الكثيرة وخدموا الأمة والملة خدمات مشكورة مبرورة على تخليط كان يقع من بعضهم وعفو الله واسع، ولكنهم بذلك أوغروا قلوب كثير من الناس، فانتقدوا عليهم زلاتهم الذميمة ولم ينظروا إلى حسناتهم الجسيمة ومنافعهم العميمة وفتوحاتهم العظيمة التي افتتحوها في آسيا وإفريقية وجزائر البحار، وعثمان رضي الله عنه لا يسمع فيهم الملام لأنه شاهد ما قدره الله على أيديهم من انتشار الإسلام والفتوحات العظام، فضلاً عن كونهم من ذوي قرابته فانتقلت بذلك كراهة المنتقدين عليهم إلى عثمان؛ فجيشوا عليه الجيوش من مصر والعراق وقدر الله شهادته على أيدي أولئك الخوارج البغاة الفجرة الفساق أهل الشقاق والنفاق، فورد على الأمة بقتله من الشرور وتفريق الكلمة ما لا يمكن وصفه.

وفي هذه الحالة المدهشة والفتنة العظيمة المؤلمة جرت مبايعة علي رضي الله عنه على الخلافة فتشعبت الفتن وكثرت الاختلافات وحصلت حروب وكروب أضرت بالإسلام والمسلمين أضراراً هائلة لا يمكن ملافاتها أبد الآبدين ودهر الداهرين، وأعظمها ما استمر منها إلى الآن وإلى يوم الدين، وهو افتراق كلمة الأمة الإسلامية إلى مذاهب وفرق كل واحدة منها تكره الأخرى وتضللها منهم قوم خرجوا عن الإسلام بالكلية كالنصيرية، ومنهم من ضلوا ضلالاً مبيناً ببغض أعلام الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم.

أما الفرقة المفضلة: وهي التي تعتقد تفضيل عليّ على جميع الصحابة رضي الله عنه وعنهم من دون أن تطعن فيهم وتكفرهم، فهذه أمرها سهل ولها بحسب الظاهر عذر، فإن علياً رضي الله عنه كان له من الفضائل الدينية والدنيوية المكتسبة والذاتية ما تعجز عقول أمثالنا عن تصوره وفهمه فضلاً عن حصره وعلمه، ولكنه مع ذلك رابع الخلفاء الراشدين، ومن قدمه على الثلاثة فهو عند جمهور الأمة المحمدية مبتدع في الدين، ولكن بدعته خفيفة لا تخرجه عن كونه من جملة المسلمين وإنما كان مبتدعاً لأنه قد خالف ما كان عليه في ذلك جمهور سلفنا الصالح من الصحابة فمن بعدهم ولا ريب أنهم رضي الله عنهم كانوا أعرف ممن بعدهم بمن كان يقربه رسول الله ﷺ منهم في حياته ويعتمد عليه أكثر من غيره في مهماته وأعلم بأسباب التفضيل وأورع وأتقى الله تعالى من غيرهم ولا سيما المهاجرون والأنصار منهم فإنهم كانوا ملازمين لرسول الله ﷺ في غزواته، وأكثر أوقاته، ومن ادعى ممن جاء بعدهم أنه أعرف منهم بأحوال رسول الله ﷺ مع أصحابه وأعلم منهم بأسباب التفضيل، أو أنه أورع وأتقى لله منهم فهو رجل فاسد العقل مخبول عديم الفضل كثير الفضول.

فصل في فضل شؤون أم المؤمنين: السيدة عائشة رضي الله عنها

وهي لم يختلف أحد في أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه، ففي صحيح البخاري «أن النبي ﷺ سئل أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال عائشة. قيل فمن الرجال؟ قال أبوها».

فانظر كيف أطلق ﷺ تفضيلها في المحبة على كافة الناس ولم يستثن من ذلك أحداً، وهذا من حيث الزوجية. وأما من حيث البنوة فالأحب إليه السيدة فاطمة رضي الله عنها.

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن أم سلمة «أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ» وأن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، فقال حزب أم سلمة لها كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ فليهدِ إليه حيث كان فكلمته فقال لها: **«لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة»** قالت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ثم إنهن دعون فاطمة فأرسلنها إلى رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: **«يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت بلى قال فأحبي هذه: يعني عائشة»**. وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة. قالت فقال لها رسول الله ﷺ أي بنية: ألست تحبين ما أحب؟ فقالت بلى قال فأحبي هذه، قالت فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج رسول الله ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ، فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً».

وأما الأحاديث الصحيحة الواردة في فضلها فهي كثيرة جداً كقوله ﷺ: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**. وكون جبريل أتى النبي ﷺ بصورتها على قطعة من حرير الجنة قبل أن يتزوجها. وقوله ﷺ: **«إن جبريل يقرئك السلام»**. وقوله ﷺ في مرض موته: **«إنه ليخفف عليّ الموت رؤيتي بياض يد عائشة في الجنة»**. وموته في حجرتها التي دفن فيها، وبين سحرها ونحرها، وهي مسندته على صدرها ﷺ وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على كثرة فضلها وتكريم النبي ﷺ لها وشدة محبته إياها، فمن أرادها فليراجعها.

وأما مناقبها في ذاتها: فهي الصديقة الكبرى بنت الصديق الأكبر، وهي أعلم النساء على الإطلاق، لم يسمع بامرأة من جميع الأمم جمعت من العلم النافع الديني ونشرته في الأمة مثلها، فإنها كانت في غاية الذكاء والعقل والحرص على اكتساب العلم منه ﷺ وتبليغه لأمته، ولازمته عليه الصلاة والسلام مدة طويلة، فحفظت عنه من العلم الغزير ما لم يحفظه غيرها واطلعت من أحكام الشريعة ورقائقها على ما لم يطلع عليه غيرها. وكانت صاحبة فهم ثاقب ومذهب صائب، ولذلك ورد عن النبي ﷺ **«خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء»** تصغير الحمراء. وقد روت عن النبي ﷺ أكثر من ألفي حديث انتفعت بها الأمة نفعاً عظيماً في الأحكام الشرعية، واستنبط منها الأئمة المجتهدون ما لا يحصى من المسائل الدينية ولا سيما ما يتعلق بالنساء من الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال حتى يرووها عنه ﷺ. وروى الترمذي بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها

منه علماً». وعن مسروق أحد أكابر التابعين أنه قال: يحلف بالله مسروق لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض. وقال الزهري: لو جمع علم عائشة وجمع علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر. نقل هذه الثلاثة الآثار عن أبي موسى ومسروق والزهري العلامة الشبرخيتي المالكي في شرح الحديث الخامس من الأربعين النووية، ونحوه في كتاب «أسد الغابة» لابن الأثير، وكفاها قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** فهي رضي الله عنها بالاتفاق أفضل نساء العالمين ما عدا ثلاث سيدات: السيدة مريم والسيدة فاطمة والسيدة خديجة فهذه المناقب لو لم يكن منها للسيدة عائشة إلا منقبة واحدة لكانت كافية في لزوم التجاوز عن خطئها في الخروج مع من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ على سيدنا علي رضي الله عنه، ولو لم يكن لها منقبة أصلاً سوى أنها زوجة رسول الله ﷺ لكفت لمحو ذلك الخطأ، إذ هي أمّ المؤمنين بمجرد الزوجية بنص القرآن. قال تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦]: وأنت على علم من التأكيدات الشرعية الواردة في الكتاب والسنّة في وجوب بر الأم، وهي بلا شك أعظم من أم النسب وبرها أوجب، كما أن رسول الله ﷺ هو أبو المؤمنين، وقد ورد التصريح بهذا اللفظ في قراءة، ونفي الأبوة عنه في الآية الأخرى إنما هو من حيث النسب.

قال الإمام ابن حجر في الصواعق: وعلى الأصح فقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] إنما سيق لانقطاع حكم التبني لا لمنع هذا الاطلاق المراد به أنه أبو المؤمنين في الإحترام والإكرام، ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام أعظم لدى كل مؤمن من أبيه من النسب وبره ﷺ أوجب من بر ذلك الأب، فكذلك زوجاته أمهات المؤمنين ولا يتردد في هذا إلا كل من لم يشرح الله صدره بالإيمان، بل لو فرضناها رضي الله عنها أمة تسراها رسول الله ﷺ كالسيدة مارية القبطية لوجب على الأمة برها وتأكد عليها إكرامها وتوقيرها لمكانها من رسول الله ﷺ، بل لو كانت رضي الله عنها مولاة له من جملة مواليه ﷺ كأم أيمن وأم رافع لكان من المؤكد على جميع الأمة كمال برها وتوقيرها إكراماً له ﷺ.

وقد ورد أن سفينة مولى رسول الله ﷺ تعرض له الأسد في برية فقال له يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فخضع وذل لقوله هذا، وأشار إليه أن يتبعه فتبعه حتى دله على الطريق، وهو حيوان فكيف بالإنسان.

والحاصل أنها رضي الله عنها لو كانت منسوبة إليه ﷺ أضعف نسبة ولو خادمة من جملة خدمه لكان يلزم عموم الأمة برها لأجله عليه الصلاة والسلام فما بالك وقد جمعت من المناقب والفضائل ما لم يجمعه امرأة غيرها على الإطلاق ولم يفضلها سوى تلك السيدات الثلاث، أترى كل ذلك لا يقاوم خطأها مع سيدنا علي رضي الله عنه مع أنه هو نفسه أكرمها غاية الإكرام لعلمه بفضلها ومكانتها من رسول الله ﷺ، ويا ترى تكريمنا إياها وتوقيرها وتعظيمها يسر رسول الله ﷺ ويرضيه أو يسوؤه ويغضبه؟ ويا ترى بغضنا إياها وعدم توقيرنا لها يسر رسول الله ﷺ ويرضيه أو يسوؤه ويغضبه؟ لا شك أن من الأمور البديهية الطبيعية التي استوى في معرفتها العلماء والجهلاء أن توقيرها رضي الله

عنها والثناء عليها بجميل مناقبها وجليل فضائلها يرضي النبي ﷺ كثيراً كثيراً ويسره ﷺ سروراً عظيماً عظيماً، وعكس ذلك يسوؤه إساءة بليغة بليغة ويغضبه غضباً شديداً شديداً، ومن زعم بقلة عقله وفساد ذوقه واختلال دينه واعتلال يقينه أن رسول الله ﷺ لا يبالي بها ولا يؤثر فيه مدحها وذمها يلزمه أن يجدد إيمانه، لأن ذلك من أقبح العيوب التي يجل قدر رسول الله ﷺ عنها، فإن من لا يهتم في شؤون حرمه ولا يؤثر به مدحها وذمها لا يعد من كرام الناس، ومعلوم أنه ﷺ أكرم العالمين وأكمل الخلق أجمعين بكل وصف جميل وخلق جليل، ولا يرتاب أحد في أن الكريم من الناس يهمه أمر حرمه مثل أقاربه بل أكثر، وقد صح عنه ﷺ من حديث البخاري ومسلم وغيرهما «أنه لما وقعت قصة الإفك في حقها رضي الله عنها وتولى كبره رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول قام رسول الله ﷺ وصعد المنبر، وقال يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهل بيتي إلا خيراً فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس قبيلتنا ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك» والحديث طويل.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: ولو لم يكن لعائشة رضي الله عنها من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلو مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة ولولا خوف التطويل لذكرناها بتمامها اهـ ومن شك في براءتها رضي الله عنها فهوكافر لتكذيبه القرآن.

إذا علمت ذلك أيها الشيعي وكان عندك ذرة من الإنصاف والإيمان الصحيح وحب النبي ﷺ الذي يقتضي وجوب محبتك له ولكل من يحبه وكراهتك لكل من يكرهه تعلم يقيناً أن توقير السيدة عائشة رضي الله عنها والثناء عليها من أوجب الواجبات الدينية التي ترضي الله تعالى ورسوله ﷺ وهو الموافق للحقيقة ونفس الأمر والعكس بالعكس، فدع ما نشأت عليه في شأنها رضي الله عنها فإنه مخالف كل المخالفة لحكم العقل والنقل والذوق السليم واتبع في محبتها والثناء عليها رب العالمين وسيد المرسلين وجميع المؤمنين ترضِ ربك ونبيك وأحبابك أهل البيت الكرام، ولا سيما ساداتهم العظام، فوالله الذي لا إله إلا هو إنهم لا يرضون إلا بذلك ويعلمون أن كل من أبغض السيدة عائشة أو ذمها فهو هالك، وكيف يرضيهم كراهة حرم جدهم الأعظم ﷺ وأحب نسائه إليه وأعزهم عليه، وهي عرضه ﷺ الذي يعود إليه كل ما وجه إليها من مدح أو ذم وهل يرضى منك بذلك أحد من أمته ﷺ المؤمنين فضلاً عن أهل بيته الطاهرين رضي الله عنهم أجمعين، فاقتد بهم وبعلي رضي الله عنه الذي أنت تكرهها لأجله، فهو كان أعرف منك وأتقى الله وأعلم بما يرضيه ويرضي رسوله الأعظم ﷺ وقد أكرمها رضي الله عنها غاية الإكرام وتجاوز عن كل ما صدر منها من الخطأ في ذلك المقام، وإذا لم يكن ذلك لأجل فضلها فهو لأجله ﷺ.

ولأجل عين ألف عين تكرم.

فصل في شؤون رؤساء الأصحاب الذين خالفوا علياً
رضي الله عنه وعنهم وهم طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص

لا يخفاك أيها المؤمن العاقل المنصف أنا إنما نحب علياً رضي الله عنه لله ورسوله، وكذلك نحب سائر أهل البيت وجميع الأصحاب لله ورسوله، ولذلك كانت محبتنا لهم لا على السوية، بل نفاضل بينهم بالمحبة بحسب درجات فضلهم عند الله ورسوله على ما رواه لنا الأئمة وتناقلته الأمة الخلف عن السلف، فنقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، ومن أكابرهم الزبير وطلحة المؤهلان للخلافة بعد علي وهما من المهاجرين الأولين السابقين في الإسلام، ثم باقي أهل بدر ومن أكابرهم الزبير وطلحة، ثم أهل أحد ومن أكابرهم الزبير وطلحة، ثم أهل بيعة الرضوان ومن أكابرهم الزبير وطلحة، ثم من أسلم قبل فتح مكة ومن أكابرهم الزبير وطلحة ومنهم عمرو بن العاص، ثم من أسلم بعد الفتح ومنهم معاوية، قال الله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ [الحديد: ١٠] فمعاوية ممن وعدهم الله الحسنى، وهي الجنة، وهو وإن كان من القسم الأخير من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو مفضول بالنظر إلى الأقسام السابقة إلا أنه هو وجميع الصحابة ممن أسلم بعده أيضاً أفضل من جميع من جاء بعدهم من هذه الأمة المحمدية، ففضله من هذه الجهة أي جهة الصحبة وحدها إذا اعتبرته تجده عظيماً عظيماً عظيماً إلى درجة لا تقدر على تصورها لأنك تعلم أنه قد جاء في هذه الأمة بعد الصحابة من أكابر الأئمة والعلماء والأولياء من لا يمكن استيفاء مناقبهم وفضائلهم بوجه من الوجوه. فمعاوية مع تأخره في الفضل عن معظم الصحابة هو أفضل من التابعين ومن بعدهم أجمعين، لتشرفه بصحبة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وكتابته له الوحي في بعض الأحيان، وجهاده معه أهل الشرك والطغيان، فضلاً عما اتصف به في حد ذاته من الفضائل والمزايا الكثيرة. وخدماته بعد رسول الله ﷺ الخدمات الدينية المشكورة، فقد جاهد في سبيل الله مدة خلافة أبي بكر وعمر عثمان، وبعد أن استقل بالأمر، فإنه بقي في الشام مدة طويلة ثمانياً وأربعين سنة منها نحو ست سنوات تحت راية أخيه يزيد، ومنها اثنان وعشرون سنة أميراً مجاهداً ضابطاً لبلاد الشام وهي حدود الروم وقتئذٍ، ومنها عشرون سنة ملكاً مجاهداً حتى فتح فتوحات كثيرة ووصل جيشه إلى القسطنطينية وكان معه أبو أيوب الأنصاري فمات هناك ودفن فيها وقبره إلى الآن ظاهر يزار، وهو مع كل فضائله التي لا يماثلها ولا يقاربها فضائل أحد من غير الصحابة نسبته في الفضل إلى علي كنسبة الدرهم من الفضة مثلاً إلى القناطير المقنطرة من الذهب بل من الجواهر النفيسة العظيمة. التي جلت عن أن تقوم بقيمة. كما قلت في قصيدتي «سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد في مدح سيد العباد ﷺ»:

كـالـشمس في الأفـق الأعـلى أبـو حـسـن ... ومـن مـعـاويـة في الارض قـنـديـل

واعلم أن هذا ليس من قبيل المبالغة والتخيل في الشعر فقط بدون أن يكون موافقاً للحقيقة بل الفرق بينهما في الحقيقة والله أعلم كذلك أو أعظم من ذلك قال الله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من

أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ [الحديد: ١٠] فخالد بن الوليد أسلم قبل الفتح ومعاوية بعد الفتح، وقد قال رسول الله ﷺ لخالد حين اختلف مع سليمان الفارسي: «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وقد صرح القرآن بأن خالداً وأمثاله ممن أسلموا قبل الفتح أعظم درجة من معاوية وأمثاله، ومقدار فضل هذه الدرجة لا يعلمه إلا الله تعالى، فقد تكون الدرجات التي استفادوها بأعمالهم في جميع أعمارهم لا تعادل تلك الدرجة، وقد صرح رسول الله ﷺ مع القسم العظيم بأن خالداً وأمثاله ممن تأخر إسلامهم عمن سبقهم لو أنفق أحدهم مثل جبل أُحد ذهباً ما بلغ مقدار مد أو نصف مد من الطعام ينفقه مثل سلمان الفارسي من السابقين للإسلام، وسبق علي لسلمان بالإسلام أعظم من سبق سلمان لخالد، فإن علياً كان من السابقين الأولين بل كان أول المسلمين أو من أولهم، وسلمان إنما أسلم بعد الهجرة، هذا فضلاً عن الفضائل الكبرى الأخرى التي امتاز بها علي عن سليمان وغيره من كبار الصحابة فضلاً عن غيرهم وبهذا تعلم أن درجة الفرق بين علي ومعاوية في الفصل لا يمكن أن نتصورها بأفهامنا ولا من هو أعظم منا، وأقيم لك على ذلك دليلاً آخر، وهو أن رسول الله ﷺ حينما أعطى بعض المؤلفة قلوبهم في غزوة حنين مقادير وافرة من الغنائم قبل القسمة: منهم أبو سفيان وولداه يزيد ومعاوية قال له بعض أصحابه يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري، وهو في غاية الاحتياج والفاقة، وكان من أهل الصفة فقيراً لا يملك شيئاً، فقال ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة لإسلامه» ومعنى طلاع الأرض ملؤها حتى يطلع عنها ويسيل كما قاله ابن الأثير في النهاية. ولا يخفاك أن الفرق بين علي ومعاوية ليس أقل من الفرق بين عيينة وجعيل، بل الأمر أعظم والله أعلم.

(فصل): قال الله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦] قال البيضاوي: وقرىء وهو أب لهم: أي في الدين، فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية، ولذلك صار المؤمنون إخوة، ثم قال عند قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ﴿ولكن رسول الله﴾ [الأحزاب: ٤٠] وكل رسول أبو أمته لا مطلقاً بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم. انتهى كلام البيضاوي.

إذا علمت ذلك تعلم أن علياً ومن بغى عليه من الصحابة وغيرهم من المؤمنين كلهم بمنزلة أولاد النبي ﷺ، ولا شك أنه ﷺ لو وقع الخلاف بينهم في حياته وتحاكموا لديه لحكم لعلي عليهم ولكره محاربتهم له وخروجهم عليه ولكنه مع ذلك لا يتبرأ منهم، لأن شفقته عليهم أعظم من شفقة آبائهم الحقيقيين، بل أعظم من شفقتهم على أنفسهم بنص الآية المذكورة ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦] مع جزمنا بأنه يقدم علياً ويفضله لأسباب كثيرة: منها كونه أكثر منهم فضائل من وجوه شتى كالعلم والشجاعة وسبقه للإسلام وغير ذلك: ومنها كونه ابن عمه أبي طالب

شقيق والده عبد الله الذي ربى النبي ﷺ صغيراً ونصره على أعدائه كبيراً. ومنها أن النبي ﷺ رباه في بيته صغيراً حتى كان بمنزلة ولده. ومنها أنه زوجه ابنته سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة أحب أولاده إليه ﷺ. ومنها أنه أبو سبطيه الحسن والحسين وجد ذريته الطاهرة. ومنها أنه صاحب الحق في الخلافة ومن حاربوه كانوا بغاة عليه. ومنها أنهم بمحاربتهم له شغلوه وشغلوا أنفسهم وجميع الأمة إذ ذاك عن الجهاد في سبيل الله وتسببوا لقتل ألوف كثيرة من المسلمين من جماعتهم وجماعته وهم كلهم مؤمنون بمنزلة أولاده ﷺ، فلا شك أن ما وقع منهم لا يرضيه عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك فكل إنسان منصف إذا تصور حالة نفسه مع أولاده الذين يبغي بعضهم على بعض يتحقق أن النبي ﷺ وإن آلمه بغي بعض أصحابه على عليّ، فهو لا يريد هلاكهم بل يحب عفو الله عنهم وشمول مغفرته وسعة كرمه إياهم، وهذا مما لا شك فيه، ويدل عليه عفو النبي ﷺ عن أعدائه نفسه الذين حاربوه ونصبوا له حبائل الكيد والمكر من أول بعثته إلى فتح مكة من صناديد قريش حتى أسلموا وتألفهم بما قدر عليه من اللطف والعطاء الكثير حتى حسن إسلامهم، وكان الله تعالى قبل الهجرة أرسل إليه ملكاً فخيره في هلاكهم وهم كفار فلم يختر ذلك قائلاً: عسى أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده، فهذه كانت معاملته ﷺ مع أعدائه الكافرين فكيف تكون معاملته مع أحبابه المؤمنين الذين هم بمنزلة أولاده إذا أخطئوا بمحاربة علي، لا شك أن هؤلاء هم أولى بالعفو بكثير، ولا يخطر ببال عاقل منصف خلاف ذلك، والله أعلم.

(فصل): اعلم أن معاوية في مذهبنا معاشر أهل السنّة كسائر الصحابة الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وعنهم كانوا مجتهدين فيما فعلوه، من ذلك، ولكن علياً كان هو المصيب وكان الخارجون عليه مخطئين والمجتهد مأجور لا موزور، المصيب له عشر حسنات والمخطىء له حسنة واحدة بنيته، ونياتهم كانت صحيحة لقصدهم القصاص من قتلة عثمان وقد ظهر لهم أن في ذلك موافقة الشرع الشريف والمصلحة للأمة لئلا يتجرأ الفجار على الأئمة الأخيار، وهكذا كانت نياتهم وهو ما أداهم إليه اجتهادهم المخطىء، ولذلك لم يخل خروجهم عليه في عدالتهم وتقواهم فلم يتطرق بذلك خلل في أخذ الدين عنهم، رضي الله عنهم. ولنفرض أن بعضهم كمعاوية كما يقول الشيعة وبعض الجهلة الفساق من غيرهم بناءً على ما قرءوه في التواريخ الكاذبة، إنما حارب علياً لأغراضه النفسية وشهواته الدنيوية. فنحن نسلم لهم ذلك جدلاً ونقول: هو بشر وليس بمعصوم، ولكن هذا المقدار لا يكفره، وإنما يجعله عاصياً ﴿والله غفور رحيم﴾ [البقرة: ٢١٨] وله حسنات كثيرة عظيمة في خدمة الدين وصحبة سيد المرسلين وجهاده معه ﷺ، وفي مدة خلفائه الراشدين ومرابطته ومجاهدته في بلاد الشام أيام أبي بكر وعمر وعثمان، ثم بعد أن تم الأمر له اشتغل بالغزو والجهاد وفتح كثيراً من البلاد حتى وصلت جيوشه القسطنطينية، أترى أن الله تعالى مع كرمه وعدله ينسى له كل هذه الحسنات لأهل خطئه في محاربة علي. وقد قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ٢١٨] وقال ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» فيلزم كل مسلم أن ينصف ويعتقد أن معاوية أساء غاية الإساءة بمحاربة علي وأنه أحسن كل الإحسان بالإيمان بالله ورسوله وصحبته والجهاد معه ومع خلفائه الراشدين، وحينما أفضى إليه الأمر بحق أو بباطل، فإنه ولو كان مبطلاً في الطريق التي توصل بها إلى عمل الحسنات بعد وصوله إلى مقصوده لا يجعل باطله ذلك تلك الحسنات

سيئات، فإن السيئة في نفسها سيئة والحسنة في نفسها حسنة، وكرم الله تعالى يقتضي العفو عن السيئات والمكافأة على الحسنات، ثم إن هذا الرجل أعني معاوية قد آذى علياً أعظم الأذى، فلعلي عليه أكبر الحق، وعدل الله تعالى يقتضي الاقتصاص له ممن آذاه يوم القيامة، وقد صح في الحديث، أنه يؤخذ يوم القيامة من حسنات المسيء وتعطى للمساء إليه، فإذا فرغت الحسنات أو لم تكن يؤخذ من سيئات المساء إليه وتلقى علي المسيء ويلقى في النار.

أما السيئات فلا نعتقد أن لعلي سيئة غير مغفورة، فإنه من أكابر أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ في شأنهم: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟**» وأما الحسنات فعليّ لا يحتاج في ذلك اليوم إلى حسنات معاوية حتى يأخذ منها شيئاً، ولو كشف الحجاب واطلعنا على الحقيقة لرأينا ـ والله أعلم ـ أن معاوية مع جلالة قدره هو بالنسبة إلى علي بمنزلة شرطي فقير حقير، وعلي بمنزلة ملك غني عظيم، أترى الملك الغني العظيم يرضى أن يقتص له من الشرطي الفقير ويأخذ شيئاً من ماله في مقابلة إساءته إليه! حاشا وكلا! لا يتصور ذلك عاقل، هذا مع أنك إذا نسبت معاوية إلى من بعده ممن لم يجز فضل صحبة رسول الله ﷺ لوجدته بمنزلة الملك العظيم، وذلك الرجل الذي يحوز فضل الصحبة مهما كان كبيراً بالنسبة إليه بمنزلة الشرطي الفقير. ومعاوية مع فضل الصحبة له حسنات كثيرة لا تعد ولا تحد من أجلها جهاده في سبيل الله إما بنفسه وإما بجيوشه حتى فتحت بلاد كثيرة وصارت دار إسلام بعد أن كانت دار كفر، وبسببه دخل إلى الإسلام ألوف ألوف كثيرة ممن أسلموا على يده ويد جيوشه ومن ذراريهم إلى يوم القيامة، فله مثل حسناتهم أجمعين.

قال ﷺ: «**من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»وها أنا أذكر لك شيئاً تتحقق معه أن علياً يعفو عن معاوية يوم القيامة بلا شك، إذ لا يبقى في نفوس المؤمنين فضلاً عن أكبر أكابرهم وأعظم أئمتهم مثل علي حقد إذ ذاك، قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧]. وقد صح عنه رضي الله عنه أنه قال: والله إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله فيهم ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الآية. وقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في المنن الكبرى عن نفسه أنه يشفع يوم القيامة في أعدائه قبل أحبابه إظهاراً للفتوة. ونقل مثل ذلك عن سيدي محيي الدين بن العربي: أترى أن عندهما من الفتوة أكثر مما عند أبي الحسن رضي الله عنه وكرم الله وجهه؟ حاشا ثم حاشا، وما المناسبة بينهما وبينه؟ ولا ريب أن عفوه عن معاوية وحزبه من المؤمنين يسرّ رسول الله ﷺ لكونهم بمنزلة أولاده في الشفقة، فلو لم يكن إلا هذا السبب لكفى في حمل عليّ على العفو عنهم بل والشفاعة لهم.

ولكن أنت أيها الرجل تطالع التاريخ، فترى تلك الأعمال الفظيعة المنسوبة إلى معاوية وحزبه في شأن عليّ، فيحملك الغيظ على كراهتهم، وتتصور أنك لو عمل معك أحد مثل ذلك العمل لا تعفو عنه أبداً، وتقيس علياً على نفسك فتظن أنه هو أيضاً لا يعفو أبداً فقد أخطأت بذلك خطأً عظيماً. أين أنت من علي؟ أين الصعلوك من الملوك؟ بل أين الشياطين من الملائكة؟ لا تقسه على نفسك. رحمك الله، وقدّر أنه لو كان ملء الأرض مثل معاوية، وكلهم اجتمعوا على إساءة أبي

الحسن لا يعظم على سعة بحر مكارمه أن يفيض عليهم عفوه عن إساءتهم إليـه، ولا يؤاخذهم بتعديهم عليه شأن الكريم العظيم الذي لا يتنازل للانتقام من عدوه، ولا سيما إذا كان عدوه غير كفء له كمعاوية، بل والله الذي أعتقده وأجزم به أنه لو أساء إليه أهل الأرض جميعاً لعفا عنهم، لا سيما والعفو هو الذي يرضي الله ورسوله. قال تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾[البقرة: ٢٣٧].

(فصل): وأما عمرو بن العاص رضي الله عنه: فهو مثل معاوية في جميع ما قدمته، بل هو أفضل منه لأنه أسلم قبل الفتح وهاجر إلى النبي ﷺ مع خالد بن الوليد، فقابله ﷺ مقابلة حسنة وأمره على جيش فيه أبو بكر وعمر، وكان من أجلاء الصحابة وعقلائهم المنظور إليهم في عهـد رسول الله ﷺ، فمهما تقدم في شأن معاوية وكثرة فضله بالنسبة إلى من بعده من غير الصحابة نقوله في حق عمرو بن العاص، وزيادة أنه أفضل منه. قال تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ [الحديد: ١٠] وتأمل قوله تعالى: ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ تجد معاوية وأباه وأخاه وغيرهم ممن أسلموا بعد الفتح داخلون في هذا الوعد من الله تعالى بالحسنى، فضلاً عن غيرهم ممن أسلمـوا قبل الفتـح كعمرو بن العاص وكثير من بني أمية الذين كانـوا مع معـاوية، وفضـلا عمن هم خير منهم من السابقين للإسلام والمبشرين بالجنة كعائشة وطلحة والزبير، وفضلاً عمن هم خير من هؤلاء، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، فهؤلاء جميعهم وعدهم الله الحسنى، وهي الجنة. وقد قال الله تعالى: ﴿لا يخلف الله الميعاد ومن أوفى بعهده من الله﴾ [الزمر: ٢٠].

(فصل): فإن قلت: هل يؤاخذ من أحب علياً وكره مخالفيه؟ قلت: يثاب على محبته ويؤاخذ أشد المؤاخذة على كراهتهم إلا أن يكره وصف بغيهم عليه ومحاربتهم إياه لخطئهم وإصابته كما يكره صدور فعل قبيح من أبيه أو ابنه أو ممن يحب. فإن خروجهم عليه وإن كان باجتهاد منهم فقد ظهر ظهور الشمس خطؤهم فيه، فيكره وقوع ذلك الخطأ منهم لا أنه يكرههم أنفسهم، كما أن بعضهم لما ظهر له خطؤه ترك محاربته كما وقع للزبير رضي الله عنه فإنه لما ظهر له أنه مخطىء بذلك ترك الحرب وانصرف من المعركة ولم يصر على خطئه، وقد ظهر لنا معاشر الأمة خطأ جميعهم في ذلك فنكره منهم ذلك الخطأ، ولا يجوز لنا أن تتعدى كراهتنا إلى ذواتهم الشريفة ككراهة العدو الذي يتمنى هلاك عدوه على كل حال، بل نحبهم كمحبتنا إلى آبائنا وأبنائنا أو أشد لأوصافهم الجميلة التي لا تعد ولا تحصى وأعظمها الإيمان بالله ورسوله وصحبتهم للنبي ﷺ ومجاهدتهم معه في سبيل الله وتأييدهم دين الله ونصرتهم إياه ﷺ في الشدة والرخاء ومعاداتهم لأجله أعداءه وأعداء دينه من البعداء والأقرباء حتى الآباء والأبناء فضلاً عن غيرهم، فهذه الأوصاف الجميلة إذا لم نحبهم لأجلها فلسنا مسلمين حقيقة، وإذا أحببناهم لأجلها فقد أرضينا الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وفي مقدمتهم سيدنا علي وسائر أهل البيت الطيبين الطاهرين رضي الله تعالى عنهم وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

ولا يخفى أن عصمة النبيين غير متفق عليها عند جميع الفرق الإسلامية بل قال بعض الخوارج والمعتزلة بعدم عصمتهم في سوى التحريف والخيانة بالتبليغ، فهم معصومون منها بالإجماع صلوات الله عليهم لظواهر الآيات والأحاديث الواردة بارتكابهم بعض الذنوب وإن كان المحققون من أئمة

العلماء أهل السنّة والشيعة أيضاً متفقين على عصمتهم من جميع الذنوب الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، وأوّلوا جميع ما ورد في حقهم من ذلك، نعم مذهب جمهور أهل السنّة عدم عصمتهم من الذنوب قبل النبوة، ويحملون معظم ما ورد من ذلك في حقهم على وقوعه منهم قبل النبوة، ولا شك أن الصحابة ليسوا بأعلى مقاماً من الأنبياء قبل النبوة، فيجوز عليهم ما جاز عليهم، ومهما عظم خطأ من أخطأ منهم بالخروج على علي رضي الله عنه وعنهم، فهو لا يتعاظم عفو الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء، فهي لا تضيق عنهم، ولا ينكر عاقل منصف من المسلمين وغيرهم ما لهم رضي الله عنهم من كثرة الفضائل والمحاسن التي لا تعد ولا تحد، ومهما ادعوا لأنفسهم أو ادعى لهم محبوهم من علو المقام بصحبة خير الأنام، فتلك الدعاوى عند كل مؤمن منصف صحيحة مسلمة لا تجحد ولا ترد، وهل يقول مسلم سليمٍ الدين والقلب إن كثرة تلك المحاسن لا تقوى على محو ذلك الذنب، حاشا وكلا وأهلاً بمحبتهم وسهلاً:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أطلت لك الكلام يا أخي ونوعت لك أساليب الإقناع لأخفف عنك ما تجده في نفسك من شدة الغيظ على معاوية ومن كان على شاكلته، كلما طالعت تاريخاً فيه تلك الوقائع التي أضرت بعموم الأمة المحمدية من السابقين واللاحقين في دينهم ودنياهم.

فخفف يا أخي عليك ولا تجعل للشيطان عليك سبيلاً، والزم الأدب مع من هم أعظم وأجل وأفضل وأتقى لله تعالى منك بألف ألف ألف على عدد الأنفاس مرات، واجتنب مطالعة هذه الوقائع وذكرها والخوض فيها فإن ذلك حرام لما يترتب عليه من الوقوع في بعضهم، وكثيرمن تلك العبارات المنفرة مكذوبة مختلقة لا أصل لها. وتأدب يا أخي بآداب الله تعالى التي علمنا إياها في كتابه العزيز؛ وقيل: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠].

وما أحسن ما قلته في مدحهم في همزيتي الألفية طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء ﷺ، وهو قولي:

كل أصحابه هداة فما أخـ ـسر قوماً بهم لهم إغواء
بينما هم في الجهل غرقى إذا هم للبرايا أئمة علماء
لحظات أحالت الجهل علماً منه فهي الإكسير والكيمياء
كل علم في الناس قد فاض منهم هم بحور العلوم والأنواء
شهب أحرقوا شياطين قوم ولقوم نور بهم يستضاء
هكذا الورد للأطايب طيب وشفاء وللخبائث داء
حبهم والشقاء ضدان لن يجـ ـتمعا والنجاة والبغضاء
حبهم جنة المحب وبغض الـ ـبعض نار والمبغض الحلفاء
تلهم سادة عدول ثقات صلحاء أئمة أتقياء

أفضل الناس غير كل نبي ... بسواهم لا يحسن استثناء
كل هدى من النبي فعنهم ... ما لنا غيرهم طريق سواء
شاهدوا صدقه فكانوا شهوداً ... هم لدى كل مسلم أزكياء
أتقول الضلال ما هم عدول ... من ترى ثابت به الادعاء
هم نجوم في أفق شرع أبي القا ... سم بانوا للمؤمنين أضاؤوا
بعضهم كالنجوم أضوأ من بعـ ... ـض وبعض مثل السهى أخفياء
هم سيوف للمصطفى ورماح ... وهو رأس وهم له أعضاء
أيدوه وبلغوا الدين عنه ... فهم الناصحون والنصراء
وبهم حارب البرية ما قا ... ل هلموا إلا أجابوا وجاؤوا
قاد منهم نحو العداة أسودا ... رجفت من زئيرها الأنحاء
كل ليث لا يرهب الموت لا ينـ ... ـفك منه إلى الوغى رغباء
عجل إن دعى وإن فر قرن ... فبه عن لحوقه إبطاء
وإذا ما ادلهم ليل حروب ... أسفرت منه طلعة غراء
هم سيوف لله جل تعالى ... ولها في يد النبي انتظاء
قطعوا المشركين والشرك لم ... تثلم ظباهم وما عراها انثناء
فبروحي أفدي الجميع وإن جلـ ... ـل المفدي وقل مني الفداء
رضي الله والنبي وأهل الـ ... حق عنهم وإن أبى البغضاء

وقلت في قصيدتي «سعادة المعاد في مدح سيد العباد ﷺ»:

قد خاصم الناس حيناً ثم حاكمهم ... إلى السيوف وحكم السيف مقبول
ففاز بالحق حكماً غير منتقص ... له بصفحة هذا الدهر تسجيل
في سادة هاجروا لله شاركهم ... بالنصر أنصاره الشم الرآبيل
كلا الفريقين أبطال ضراغمة ... لا يعصم الأسد من غاراتهم غيل
في السلم خدامه في الحرب أسهمه ... سيوفه وقناه والسرابيل
نعم السلاح الذي رأس الضلال به ... وسيفه العضب مفلوق ومفلول
قد أجفل الناس من عرب ومن عجم ... منهم وما فيهم في الحرب إجفيل
نعالهم أينما حلوا أو ارتحلوا ... على رؤوس أعاديهم أكاليل
في كل يوم يرى منهم هنا وهنا ... للدين والشرك تجديد وتجديل
هم الهداة فإن ضلت بهم فئة ... فقد يغص بعذب الماء مغلول
بئس الشقي شقي كان قسمته ... من معدن الرشد إغواء وتضليل
كل عدول وكل عادلون وما ... فيهم فتى عن طريق الحق معدول
لكنهم درجات بعضها عليت ... والبعض أعلى وما فيهن تسفيل
أعلاهم الخلفاء الراشدون على ... ترتيبهم وسواهم فيه تفصيل

كـالـشمس في الأفـق الأعـلى أبـو حـسـن ... ومـن مـعـاويـة في الأرض قـنـديـل
أكـرم بـأصـحـابـه أكـرم بـعـترتـه ... نـوران مـنـه فـمـفـصـول ومـوصـول
جـمـيـعـهـم زيـن الله الـوجـود بـهـم ... يـا حـبـذا فـاضـل مـنـهـم ومـفـضـول
مـنـهـم شـمـوس ضـيـا مـنـهـم بـدور عـلا ... مـنـهـم نـجـوم هـدى مـنـهـم قـنـاديـل
عـدو قـوم عـدو الآخـريـن فـلا ... يخـدعـك مـن عـنـده لـلـبعض تـبـجـيـل
فـأحـبب الـكـل تجـعـل يـا فـتى معـهـم ... إن المـحـب مـع الأحـبـاب مجـعـول

الخاتمـة

أذكر فيها جملة حكايات ومنامات تدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وسوء عاقبة الروافض الذين يبغضونهم

نقلتها من كتابي «سعـادة الدارين» وغـيره من الكتب المعتمدة ككتب الإمـامين السعـراني وابن حجر وما ليس معزوا منها فهو من كتاب «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» للإمام أبي عبد الله محمد بن النعمان التلمساني، فقد نقلت من كتابه هذا ما في سعادة الدارين من ذلك لأنه إمام كبير يعتمد على صحة نقله لجلالة قدره وكثرة فضله وأقدم على ذلك عدة مرات وردت في الصحيح رآها النبي ﷺ وبعض أصحابه تدل على فضل الخلفاء الراشدين وترتيبهم رضي الله عنهم. فمن ذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الريّ يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أوّلته؟ قال العلم»**. ومن ذلك رؤياه ﷺ القميص وتعبيره بالدين، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ **قال: «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك ومرّ علي عمر بن الخطاب عليه قميص يجره. قالوا ما أولته يا رسول الله؟ قال الدين»** رواه البخاري، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائم رأيت أني على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله، أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غرباً فأخذها عمر بن الخطاب فلم أرَ عبقرياً من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن»** رواه البخاري ومسلم. القليب البئر. وابن أبي قحافة أبو بكر، والذنوب الدلو الممتلىء، وضعفه قصر مدة خلافته واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتوحات، وليس في قوله ﷺ: والله يغفر له نقص، ولا إشارة إلى أنه وقع منه ذنب، وإنما هي كلمة كانوا يقولونها، افعل هذا والله يغفر لك، ومثل قولهم: تربت يمينه، وقاتله الله، والغرب الدلو العظيم، وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم، والعطن ما حول البئر من مبارك الإبل. قال العلماء: هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ لأنه صاحب الأمر فقام به أكمل مقام وقرر قواعد الدين وفتح الله على يديه ﷺ أمصار الكفر مكة وخيبر والمدينة والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام،

وهاداه هرقل والمقوقس وملوك عمان والنجاشي الذي ملك بعد أصحمة، أما أصحمة فقد آمن به ﷺ.

ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم، فلما فرغ منهم أخذ في قتال الكفار ففتح على يديه بصرى ودمشق وبلاد حوران وما والاها.

ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه، ففتح على يديه البلاد الشامية كلها ومصر والعراق وأكثر إقليم فارس وكسر كسرى وفر إلى أقصى مملكته وفر هرقل إلى القسطنطينية واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح وتمصير الأمصار وتدوين الدواوين. وأخرج أحمد وأبو داود عن سمرة بن جندب «أن رجلاً قال: يا رسول الله رأيت كأن دلوا دلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فانتشطت وانتضح عليه منها شيء» وروى نحو هذا الحديث عن ابن عمرو عن أبي هريرة، وأن النبي ﷺ هو الرائي لهذه الرؤيا، وفي حديث سمرة السابق زيارة إشارة إلى ما وقع لعلي رضي الله عنه من الفتن والاختلاف عليه فلم يحصل له في أيام خلافته راحة، فضرب المنام المذكور مثالاً لأحوالهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين. والعراقان خشبتان معرضتان على فم الدلو، وانتشطت: جذبت.

وقد كان ﷺ إذا انفتل من صلاة الصبح أقبل على أصحابه فقال: **«من رأى منكم الليلة رؤيا فليقصها عليّ أعبرها له فيقص الناس عليه مرائيهم»** روى البخاري والترمذي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص» وأقام عليه الصلاة والسلام يسأل أصحابه هل رأى منكم الليلة أحد رؤيا ما شاء الله تعالى، ثم ترك السؤال، فكان يعبر لمن قص متبرعاً. واختلف النقلة في سبب تركه السؤال، فقيل سبب ذلك حديث أبي بكرة عند الترمذي وأبي داود «أنه ﷺ كان يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها، وأنه قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر على عثمان، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه رسول الله ﷺ» قالوا فمن حينئذٍ لم يسأل النبي ﷺ أحداً عن رؤيا. قال بعضهم: وسبب كراهته عليه الصلاة والسلام إيثاره لستر العواقب وإخفاء المراتب، فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي ﷺ أن يتوافر ويتوالى ما هو أبلغ في الكشف من ذلك، ولله في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئة نافذة.

ومن غرائب ما نقل عنه ﷺ من التعبير «أن زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله ﷺ في وفد النخع، فقال يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذا رؤيا، رأيت أتانا تركتها في الحي ولدت جدياً أسفع أحوى، فقال له رسول الله ﷺ هل لك من امرأة تركتها مصرة حملاً؟ قال نعم تركت أمة أظنها قد حملت. قال قد ولدت غلاماً وهو ابنك. قال فما باله أسفع أحوى؟. قال ادن مني فدنا منه قال: قال هل بك برص تكتمه؟ قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به أحد. قال فهو

ذاك، قال ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان ودملجان ومسكتان. قال ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته. قال ورأيت عجوزاً شمطاء تخرج من الأرض قال: تلك بقية الدنيا، قال ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول: لظى لظى بصير وأعمى آكلكم آكلكم أهلككم ومالكم فقال النبي ﷺ تلك فتنة تكون في آخر الزمان. قال وما الفتنة؟ قال يفتك الناس بإمامهم، ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس وخالف ﷺ بين أصابعه، يحسب المسيء أنه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء البارد، إن مات ابنك قبلك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها ابنك. قال يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها، فقال ﷺ: «**اللهم لا يدركها فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه**» وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما «أنه كان يحدث أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل فقال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت وأمي الله لتدعني فأعبرها، فقال النبي ﷺ أعبر. قال: أما الظلة فالإسلام. وأما الذي تنطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل. وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت وأمي أصبت أم أخطأت؟، فقال النبي ﷺ أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً. قال فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت. قال لا تقسم» وقد أطال الكلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث فارجع إليه إن شئت.

وأما الحكايات الموعود بها من منامات وغيرها، وهي سبع وعشرون حكاية، فهي:

(**الحكاية الأولى**) قال الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن النعمان التلمساني في كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام».

قال أبو عبد الله المهتدي حججت إلى بيت الله فوافيت بالحرم رجلاً ذكر لي أنه لا يشرب الماء فسألته عن ذلك؟، فقال أنا أخبرك بسبب ذلك، أنا رجل من أهل الحملة من الطائفة المتشيعة نمت ليلاً فرأيت كأن القيامة قد قامت والناس في كرب وشدة وعطش فأصابني عطش عظيم فأتيت حوض النبي ﷺ فوجدت عليه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم وهم يسقون الناس، فأتيت علياً رضي الله عنه لإدلالي عليه ومحبتي له وتقديمي إياه ليسقيني فأعرض بوجهه عني، فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني، فأتيت عمر رضي الله عنه فأعرض بوجهه عني، فأتيت عثمان رضي الله عنه فأعرض عني، والنبي ﷺ واقف في المحشر يذود الناس فأتيته فقلت يا رسول الله أصابني عطش عظيم فأتيت علياً ليسقيني فأعرض عني، فقال رسول الله ﷺ كيف يسقيك وأنت تبغض أصحابي، فقلت يا رسول الله ما لي من توبة؟ قال لي نعم أسلم وتب وأسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبداً، فأسلمت وتبت على يد رسول الله ﷺ فناولني كأساً فشربتها فاستيقظت فلم أجد عطشاً وبقيت على

ذلك إن شئت أشرب وإن شئت لا أشرب فمضيت إلى أهلي إلى الحلة وتبرأت منهم إلا من أجاب ورجع عن ذلك.

قال أبو عبد الله بن النعمان: ويشهد لصحة هذه الحكاية الحديث وساق سنده فيه إلى أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لحوضي أربعة أركان: فأول ركن منها في أيد أبي بكر، والركن الثاني في يد عمر، والركن الثالث في يد عثمان، والركن الرابع في يد علي فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن**». قال وهذا الكلام يروى عن أبي أيوب السختياني رضي الله عنه أعني قوله: ومن أحسن القول في أبي بكر الخ بلفظ قريب من لفظ الحديث، وهو: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحب علياً فقد أخذ بالعروة الوثقى، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برىء من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنّة وللسلف الصالح وأخاف لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً، ويكون قلبه سليماً، على هذا الاعتقاد درج السلف وبذلك اقتدى العلماء خلفاً بعد خلف اهـ.

(**الحكاية الثانية**) قال أبو عبد الله بن النعمان: قال رضوان السمان: كان لي جار في منزلي وسوقي وكان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، قال فكثر الكلام بيني وبينه فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر فوقع بيني وبينه كلام حتى تناولته وتناولني وانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين ألوم نفسي فنمت وتركت العشاء، فرأيت النبي ﷺ في منامي من ليلتي، فقلت يا رسول الله فلان جاري في منزلي وفي سوقي يسب أصحابي، قال من من أصحابي؟ قلت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال رسول الله ﷺ خذ هذه المدية فاذبحه بها. قال فأخذتها فأضجعته فذبحته فرأيت كأن يدي قد أصابها من دمه فألقيت المدية وأهويت بيدي إلى الأرض أمسحها فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره، فقلت انظروا ما هذا الصراخ؟. قالوا فلان مات فجأة، فلما أصبحنا نظرت، فإذا خط موضع الذبحة.

(**الحكاية الثالثة**) قال أبو عبد الله بن النعمان: وحكى عن شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين قال: جاورت بالمدينة سنة مجدبة فخرجت إلى السوق لأشتري من رباعي دقيقاً، فأخذ الدقيق مني الرباعي، وقال العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق فامتنعت من ذلك فراجعني مرات وهو يضحك فضجرت وقلت لعن الله من لعنهما فلطم عيني ورجعت إلى المسجد والدموع تسيل منها. قال: وكان لي صديق من ميافارقين زاهداً جاورنا في المدينة سنين، فسألني عن حالي؟ فذكرت له القضية، فقام معي إلى التربة وقال: السلام عليك يا رسول الله قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا وتضرع كثيراً ورجعنا، فلما جن علي الليل نمت فحين أصبحت صادفت العين أحسن مما كانت كأنها لم يصبها

ضرب قط، ثم لم يكن إلا ساعة وإذا رجل مبرقع قد دخل من باب المسجد يسأل عني فدل عليّ فجاء وسلم وقال: ناشدتك الله إلا جعلتني في حل فأنا الرجل الذي لطمتك، فقلت لا أو تذكر لي قصتك؟ فقال نمت فرأيت رسول الله ﷺ قد أقبل ومعه أبو بكر وعمر وعلي فقدمت وقلت: السلام عليكم فقال علي رضي الله عنه لا سلم الله عليك ولا رضي عنك أنا أمرتك أن تلعن الشيخين وجعل أصبعه كذا في عيني ففقأها وانتبهت، وأنا تائب إلى الله تعالى، وأسألك التجاوز عن جرمي فحين سمعت قوله، قلت اذهب فأنت حل من قبلي.

(الحكاية الرابعة) قال أبو عبد الله بن النعمان قال جماعة من الحفاظ والفضلاء ألفاظهم مختلفة والمعنى واحد: أراد رجل الحج فأحضره الأمير مقلد فقال له: يا فلان أتريد الحج؟ قال نعم، قال إذا حججت وأتيت المدينة فاقرأ على النبي ﷺ مني السلام وقل له لولا صاحباك لزرتك قال الرجل فحججت وأتيت المدينة ولم أقل الكلام عند القبر إجلالاً لرسول الله ﷺ فلما كان الليل ونمت رأيت النبي ﷺ فقال يا فلان لم لم تؤدِ الرسالة من مقلد؟ قلت: يا رسول الله أجللتك أن أقول لك في صاحبيك ذلك فرفع رأسه إلى رجل قائم، فقال خذ هذا الموسى واذبحه فوافيت إلى العراق فسمعت أن الأمير مقلداً ذبح على فراشه فلما قدمت البلد سألت عنه فقيل لي إنه ذبح على فراشه فذكرت للناس الرؤيا التي رأيتها فشاعت إلى أن بلغت الأمير فرواش بن المسيب فأحضرني وقال لي: اشرح لي الحال، فشحرته له فقال لي: أتعرف الموسى؟ قلت له نعم، فأحضر طبقاً مملوءاً مواسي والموسى في الجملة، فقال لي: أخرج الموسى، فضربت يدي وأخذت الموسى الذي رأيته بيد النبي ﷺ وقد ناوله الرجل، فقال صدقتك هذا الموسى وجدته عند رأسه وهو مذبوح.

(الحكاية الخامسة) قال أبو محمد عبد الله بمحمد الفقيه الحنبلي: اجتمع جماعة على الطريق قاصدين إلى مكة في عروض السنة وكان أحدهم كثير الصلاة فمات وأهمهم دفنه فنظروا إلى بيت شعر في الصحراء فقصدوه فإذا فيه عجوز، وإذا في البيت قدوم فسألوها أن تدفع القدوم إليهم، فقالت تعاهدوني بالله أنكم ترودونه إليّ فأعطوها ما أرادت، ثم أخذوا القدوم فحفروا به قبراً وواروا الرجل ونسوا القدوم في القبر وذكروا العهد فدعتهم الضرورة إلى أن نبشوه، فإذا هو قد صار غلاً من يد الميت إلى عنقه فردوا عليه التراب وذهبوا إلى العجوز وخبروها الخبر، فقالت لا إله إلا الله رأيت رسول الله ﷺ في منامي فقال لي احتفظي بهذا القدوم فإنه غل لرجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

(الحكاية السادسة) قال أبو محمد الخراساني: كان عندنا ملك من ملوك خراسان وكان له خادم يتعبد فلما أخذا في التأهب للحج استأذن الخادم مولاه في الحج فلم يأذن له، فقال له الخادم إنما استأذنتك في طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ فقال له لست آذن لك حتى تضمن لي حاجة فإن أنت ضمنتها أذنت لك وإن أنت لم تضمنها لم آذن لك، فقال الخادم هاتها، قال أبعث معكم برجال وخدم ونوق وزوامل فإذا بلغت إلى قبر المصطفى محمد ﷺ فقل يا رسول الله مولاي يقول لك إني بريء من ضجيعيك قال فقلت له سمعاً وطاعة وربي يعلم ما في قلبي، ثم انتهينا إلى المدينة، فبادرت إلى القبر فسلمت على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر واستحييت من رسول الله ﷺ أن أبلغه الرسالة المنكرة

قال: فنمت في المسجد بإزاء القبر فغلبتني عيناي، فرأيت في المنام كأن حائط القبر قد انفتح وإذا برسول الله ﷺ وقد خرج وعليه ثياب خضر ورائحة المسك تفوح من بدنه وإذا أبو بكر عن يمينه وعليه ثياب خضر وإذا عمر عن يساره وعليه ثياب خضر، وكأن النبي ﷺ يقول لي :يا كيس ما لك لا تؤدي الرسالة؟ قال فقلت: يا رسول الله وقمت قائماً هيبة للنبي ﷺ وقلت إني استحييت منك أن أسمعك في ضجيعيك ما قال لي مولاي. قال: فقال لي ﷺ: اعلم أنك تحج وترجع سالماً إلى خراسان إن شاء الله تعالى فإذا بلغت إليه فقل له: النبي ﷺ يقول لك إن الله عزّ وجلّ وإني بريئان ممن تبرأ منهما أفهمت؟ قلت: نعم يا رسول الله، ثم قال: واعلم أنه يموت في اليوم الرابع من قدومك عليه أفهمت؟ قلت نعم، ثم قال لي: واعلم أنه يخرج من وجهه بثرة قبل أن يموت أفهمت؟ قلت: نعم يا رسول الله، ثم انتبهت فحمدت الله تعالى على أني رأيت النبي ﷺ ورأيت ضجيعيه وحمدته على ما كفاني من تبليغ الرسالة المذكورة، ثم إني حججت ورجعت إلى خراسان سالماً وقد جئته بهدايا سنية فسكت عني يومين، فلما كان في اليوم الثالث قال لي ما صنعت في الحاجة؟ قلت قد قضيت. قال هاتها قلت له تريد يا مولاي أن تسمع الجواب، فقال لي هاته، فقصصت عليه القصة، فلما بلغت إلى قوله ﷺ إن الله وإني بريئان ممن تبرأ منهما تضاحك، ثم قال تبرأنا منهم وتبرؤوا منا واسترحنا فقلت في نفسي سوف تعلم يا عدو الله. قال فلما كان اليوم الرابع من قدومي ظهرت في وجهه بثرة فآلمته فلم نصل الظهر إلا وقد دفناه.

(الحكاية السابعة) قال أحد المشايخ المعمرين: كنت بجامع عمرو بن العاص في آخر دولة المصريين ونحن في الصلاة أراها صلاة الصبح، فسمعت ضجيجاً بصحن الجامع فلما فرغنا من الصلاة اجتمع الناس فرأوا رجلاً مذبوحاً، فقال رجل من الحاضرين أنا ذبحته فإني سمعته يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فحمل إلى السلطان فسأله عن القصة؟ فقال أنا قتلته فأمر السلطان بالرجل القاتل أن يحبس وأمر أن يدفن الميت فحفروا له موضعاً فوجدوا ثعباناً ثم حفروا له موضعاً آخر فوجدوا فيه ثعباناً أيضاً فحفروا له قبراً ثالثاً فوجدوا فيه ثعباناً فدفنوه فيه.

(الحكاية الثامنة) حدث مؤذن قبيلة عك قال: جزت أنا وعمي إلى مكران ومعنا رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فنهيناه فلم ينته فقلنا اعتزلنا فاعتزلنا، فلما دنا خروجنا تذممنا، فقلنا لو صحبنا حتى نرجع إلى الكوفة فلقينا غلام له فقلنا: قل لمولاك يعود إلينا. قال إن مولاي قد حدث به أمر عظيم قد مسخت يداه يدي خنزير. قال فأتيناه، فقلنا ارجع إلينا، قال إنه قد حدث بي أمر عظيم، وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعا خنزير، قال فصحبنا حتى انتهينا إلى قرية من قرى السواد كثيرة الخنازير، فلما رآها صاح صيحة ووثب فمسخ خنزيراً وخفي علينا فجئنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة.

(الحكاية التاسعة) وحدث رجل آخر قال: خرجنا في سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فنهيناه فلم ينته فخرج لبعض حاجته فاجتمع عليه الدبر يعني الزنابيب واستغاث فأغثناه فحملت علينا حتى تركناه، فما أقلعت عنه حتى قطعته.

(الحكاية العاشرة) قال شهر بن حوشب: كنت أخرج إلى الجبانة وأصلي على الجنائز إلى أن أيأس من مجيء الجنائز فأدخل، فخرجت ذات يوم فلقيت رجلين قد تواثبا وعليهما ثياب صوف وقد

أدمى أحدهما صاحبه فدخلت لأفرق بينهما وقلت: أرى ثيابكما ثياب الأخيار وفعالكما فعال الأشرار، فقال الذي أدمى صاحبه دعني فما تدري ما يقول هذا؟ قلت ما يقول؟ قال يقول إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وإن أبا بكر وعمر كفرا بعد إسلامهما وارتدا عن الإسلام وقاتلا المسلمين ويكذب بالقدر ويرى رأي الخوارج ويبتدع في الدين، فقلت له هكذا تقول؟ قال نعم. فقلت لصاحبه دعه، فإن لك وله رباً بالمرصاد، قال لا أدعه أو تحكم بيني وبينه، فقلت بماذا؟ وقد مات النبي ﷺ وانقطع الوحي فنظر إلى أتون بحذائه قد أوقده صاحبه ويريد أن يطبق عليه، فقال ندخل جميعاً إلى هذا الأتون، فمن كان منا على حق نجا ومن كان على باطل احترق، فقلت للآخر أتفعل ذلك؟ قال نعم فتقدما إلى صاحب الأتون متلببين وقالا لا تطبق الباب فإنا نريد أن ندخله فمنعهما فقالا لا بدّ لنا من أن ندخله، فقال ما شأنكما وما الذي حملكما على هذا؟ فحدثاه بالقصة فناشدهما أن لا يفعلا فأبيا، وقال السني للبدعي: أتقدم أو تتقدم؟ فقال بل تقدم فتقدم السني فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وقال: اللهم إنك تعلم أن ديني واعتقادي أن خير الناس بعد رسولك أبو بكر الصديق الذي نصر رسولك وواساه بنفسه وماله ونصره حيث كان أول من أسلم ووازره على أمره وآمن به وبما جاء به حيث ليس أحد غيره ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] فذكر من فضائله، ثم عمر بن الخطاب الذي أعزت به الإسلام وفرقت به بين الحق والباطل، ثم عثمان بن عفان زوج ابنتي رسول الله ﷺ وقال له: «**لو كان لنا ثالثة لزوجناك**» الذي جهز جيش العسرة وقام بأمر النبي ﷺ في نوائبه مع ذكر فضائله، ثم علي بن أبي طالب ابن عم رسولك وزوج ابنته فاطمة أعز الخلق عليه وأبو ولديه الحسن والحسين وكاشف الكرب عن وجه رسول الله ﷺ مع ذكر فضائله، وإني أومن بالقدر خيره وشره وبما آمن به رسولك وما نهى عنه ولا أرى رأي الخوارج وأومن بالبعث والنشور وأنك الحق المبين ليس كمثلك شيء وأنك تبعث من في القبور وأتبع ولا أبتدع، ثم قال: اللهم هذا ديني واعتقادي، فإن كنت على حق فبرد هذه النار كما بردتها على إبراهيم، واصرف عني حرها ولهبها وأذاها بحولك وقوتك، فإني إنما أفعل هذا غيرة لدينك، ولما جاء به رسولك وأومن بالله ثم دخل الأتون. وتقدم البدعي فحمد الله مثل تحميده ثم قال الذي أدين به أن خير الناس بعد رسولك علي بن أبي طالب. ثم ذكر من فضائله مثل ما ذكر السني. وقال لا أعرف لأحد غيره حقاً، لأن أبا بكر كفر بعد إسلامه وقاتل المسلمين وارتد عن الدين، وكذلك عمر وعثمان، ثم ذكر ما يذهب إليه من البدعة ويكذب به، ثم قال: اللهم إن هذا ديني واعتقادي. وقال كما قال صاحبه ودخل وأطبق صاحب الأتون عليهما وانصرف على أنهما محترقان قد جنيا على أنفسهما وبقيت وحدي لا أريد الانصراف حتى يتبين أمرهما، فلم أزل أتنقل من فيء إلى فيء وعيني إلى الأتون حتى زالت الشمس فسقط الطابق وخرج على السني وجبينه يعرف فقمت إليه وقبلت وجهه وقلت له كيف كنت، فقال بخير أدخلت إلى مجلس مفروش بأنواع الفرش وفيه أنواع الرياحين والخدم فنومت على الفرش إلى الساعة ثم جاءني جاء فقال لي قم فقد حان لك أن تخرج من ههنا وقد جاء وقت الصلاة فقم وصل فخرجت فسألته التوقف ووجهنا خلف صاحب الأتون فجاء ومعه حديدته، فلم يزل يطلب البدعي حتى وقعت في موضع من بدنه فجره وأخرجه، وقد صار حممة إلا جبهته فإنها بيضاء عليها سطران مكتوبان يقرؤهما الصادر والوارد: هذا عبد طغى وبغى

وكفر أبا بكر وعمر أيس من رحمة الله فأغلق الناس دكاكينهم ثلاثة أيام لم يفتحوها ينتابه الناس ينظرون إليه ويسمعون من السني حديثه وتاب عن سب أبي بكر وعمر أربعة آلاف نفس، انتهى ما ذكره الإمام أبو عبد الله محمد بن النعمان في كتابه «مصباح الظلام» وهو عشر حكايات في بعضها فضلاً عن كلها عبرة لمن اعتبر وبيان لسوء عاقبة مبغض الصحابة، ولا سيما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

(الحكاية الحادية عشرة) قال الإمام الشعراني في المتن: قال الشيخ عبد الغفار القوصي وهو صاحب كتاب «الوحيد في علم التوحيد» بلغنا أن رجلاً كان يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وتنهاه زوجته وولده عن ذلك فلم يرجع فمسخه الله تعالى خنزيراً في عنقه سلسلة عظيمة وصار ولده يدخل الناس عليه ينظرون ثم مات بعد أيام فرماه ولده في مزبلة. قال الشيخ عبد الغفار: ورأيته أنا بعيني حال حياته وهو يصرخ صراخ الخنازير ويبكي. ثم أخبرني الشيخ محب الدين الطبري أن شخصاً ذكر له أنه اجتمع بولد هذا الرجل وذكر له القصة وأنه كان يضربه ويقول له سب أبا بكر وعمر فلم يفعل اهـ.

قلت: ويناسب هذه العجيبة عجيبة مثلها، ذكرها رضي الله عنه في المتن أيضاً في الباب الرابع عشر، وهو قوله: ومما من الله تبارك وتعالى به عليّ من صغري عدم مزحي مع أحد وهو في عبادة أدباً مع الله تبارك وتعالى فلم يقع مني قط أني غمزت صبياً مصلياً أو قارئاً أو ذاكراً بعيني أو يدي وقل طفل يسلم من ذلك مع إخوانه في المكتب؛ وهذا من أكبر نعم الله عزّ وجلّ علي لكونه حفظني من مثل ذلك في صغري. وفي تاريخ الملك المنصور ابن السلطان شعبان أنه في سنة ٧٨٢ ورد بريد من نائب حلب إلى مصر بكتاب يتضمن أنا إماماً صلى بقوم في جامع، فجاء شخص وعبث به في صلاته من باب المداعبة فلم يقطع الإمام صلاته حتى فرغ، فلما سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير ثم هرب ودخل غابة هناك، فتعجب الناس من هذا الأمر وكتب بذلك محضر، وهذا من جملة غيرة الله تعالى وعقوبته المعجلة لمن أساء معه الأدب، فإياك يا أخي أن تمكن أولادك من مثل ذلك، والحمد لله رب العالمين اهـ.

(الحكاية الثانية عشرة) وقال في المنن أيضاً؛ قد ذكر الشيخ عبد الغفار القوصي رضي الله تعالى عنه في كتابه المسمى «بالوحيد في علم التوحيد» أنه كان له صاحب من أكابر العلماء فمات فرآه بعد موته فسأله عن دين الإسلام فتلكأ في الجواب قال: فقلت له أما هو حق؟ فقال نعم هو حق فنظرت إلى وجهه، فإذا هو أسود كالزفت وكان في حياته رجلاً أبيض، فقلت له فما الذي سود وجهك كما أرى إن كان دين الإسلام حقاً؟ فقال بخفض صوت كنت أقدم بعض الصحابة على بعض بالهوى والعصبية. قال وكان هذا العالم من يد تنسب إلى الرفض.

(الحكاية الثالثة عشر) قال العلامة ابن حجر المكي في الزواجر بعد ثنائه على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم: ولقد شوهد على سابيهم قبائح تدل على خبث بواطنهم وشدة عقابهم، منها ما حكاه الكمال بن العديم في تاريخ حلب قال: لما مات ابن منير خرج جماعة من شبان حلب يتفرجون، فقال بعضهم لبعض: قد سمعنا أنه لا يموت أحد ممن كان يسب أبا بكر وعمر إلا ويمسخه

الله في قبره خنزيراً ولا شك أن ابن منير كان يسبهما فأجمعوا أمرهم على المضي إلى قبره فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته صورة خنزير ووجهه منحرف عن جهة القبلة إلى جهة أخرى فأخرجوه على شفير قبره ليشاهده الناس، ثم بدا لهم فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردوا عليه التراب وانصرفوا.

(الحكاية الرابعة عشرة) قال الإمام ابن حجر في الزوجر أيضاً؛ قال الكمال بن العديم أيضاً؛ وأخبرني أبو العباس بن عبد الواحد عن الشيخ الصالح عمر الزغيبي وحكايته تكررت قال: كنت مجاوراً بالمدينة الشريفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام، فخرجت يوم عاشوراء الذي يجتمع فيه الإمامية في قبة العباس وقد اجتمعوا في القبة، قال فوقفت أنا على باب القبة، وقلت أريد في محبة أبي بكر الصديق شيئاً. قال فخرج إليّ شيخ منهم وقال اجلس حتى نفرغ ونعطيك، فجلست حتى فرغوا ثم خرج إليّ ذلك الرجل وأخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق الباب ورائي وسلط عليّ عبدين فكتفاني وأوجعاني ضرباً ثم أمرهما بقطع لساني فقطعاه، ثم أمرهما فحليا كتافي وقال اخرج إلى الذي طلبت في محبته ليرد عليك لسانك، قال فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبوية وأنا أبكي من شدة الوجع والألم، وقلت في نفسي يا رسول الله قد تعلم ما أصابني في محبة أبي بكر، فإن كان صاحبك حقاً فأحب أن يرجع إليّ لساني وبت في الحجرة قلقاً من شدة الألم فأخذتني سنة من النوم فرأيت في منامي أن لسان قد عاد إلى حاله كما كان فاستيقظت فوجدته في فمي صحيحاً كما كان وأنا أتكلم، فقلت الحمد لله الذي رد عليّ لساني.

قال: فازددت محبة في أبي بكر رضي الله عنه، فلما كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عاداتهم فخرجت إلى باب القبة وقلت أريد في محبة أبي بكر الصديق ديناراً، فقام إليّ شاب من الحاضرين وقال لي اجلس حتى نفرغ فجلست، فلما فرغوا خرج إلى الشاب وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني ووضع بين يدي طعاماً فأكلنا، فلما فرغنا قام الشاب وفتح باباً على بيت في داره وجعل يبكي فقمت لأنظر سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً، فسألته عن قصته فازداد بكاؤه فسكنته حتى سكن، فقلت بالله أخبرني عن حالك؟ فقال إن حلفت لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك فحلفت له، فقال اعلم أنه أتانا عام أول رجل وطلب في محبة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبة العباس يوم عاشوراء فقام له أبي وكان من كبار الإمامية والشيعة، وقال له اجلس حتى نفرغ، فلما فرغوا أتى به هذه الدار وسلط عليه عبدين فضرباه وأمر بقطع لسانه فقطع وأخرجه فمضى لسبيله ولم نعرف له خبراً، فلما كان من الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة استيقظنا من شدة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففزعنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه وأظهرنا للناس موته وها أنا أبكي عليه بكرة وعشياً.

قال: فقلت له إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه؟ قال لا والله، قلت أنا هو والله أنا الذي قطع أبوك لساني وقصصت عليه القصة، قال فأكب عليّ وقبل رأسي ويدي، ثم أعطاني ثوباً وديناراً وسألني كيف رد الله عليّ لساني فأخبرته وانصرفت.

(الحكاية الخامسة عشرة) قال الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد الشرحي الزبيدي صاحب «مختصر البخاري» المتوفى سنة ٨٩٣ في كتابه «طبقات الخواص أهل الصدق والاختصاص

من أولياء اليمن» في ترجمة أبي الخطاب عمر بن المبارك الجعفي: كان المذكور فقيهاً عالماً واعظاً صالحاً مشهوراً كبير القدر عند الناس وكانت له كرامات ظاهرة.

من ذلك أنه حج في بعض السنين وزار النبي ﷺ، ثم قام في المسجد الشريف النبوي بقصيدة مدح بها رسول الله ﷺ وصاحبيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فلما فرغ قام إليه رجل من أهل المدينة من الرافضة وذهب به إلى منزله ليكرمه، فلما دخل به إلى المنزل أغلق دونه عدة أبواب ثم تركه في موضع؛ ثم جاء إليه بسيف مسلول، وقال له اختر: إما أن تخرج لي لسانك الذي مدحت به الفاعلين الصانعين أقطعه، وإما أن أقطع رأسك، فأخرج إليه لسانه فقطع طرفه وناوله إياه. وقال له هذه جائزتك على مدح الفاعلين الصانعين، فأخذ طرف لسانه في يده وخرج إلى الضريح الشريف وشكا حاله لرسول الله ﷺ وتضرع بين يديه ثم نام هنالك وكان ذلك ليلاً فرأى النبي ﷺ في منامه وقد أقبل إليه ومعه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فوقف النبي ﷺ على رأسه وقال يا أبا بكر أعد لهذا لسانه، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه القطعة من يده ووضعها على موضع القطع. وقال التثمي بحول الله وقوته فعادت كما كانت، قال: ثم مسح رسول الله ﷺ على رأسي وبعض جسدي ثم صاحباه كذلك ودعوا لي. قال فاستيقظت كأن لم يكن بي شيء، وهذه كرامة مشهورة مستفاضة بين الناس للفقيه المذكور ثم رجع إلى اليمن، فلما كانت السنة الثانية حج أيضاً وزار النبي ﷺ ثم قام بقصيدة في مدح النبي ﷺ وصاحبيه كما فعل في السنة الأولى، فلما فرغ قام إليه شاب جميل الصورة، وقال له أحب أن تذهب معي أتبركِ بك هذه الليلة فذهب به حتى أتى البيت الذي لا ينكره. قال فنفرت منه نفسي ثم دخلت متوكلاً على الله تعالى، فلما صرت في وسط البيت وجدت قرداً مربوطاً هنالك فلما رآني جعل يشب ويريد أن يبطش بي، فزجره الشاب عني ودخل بي إلى موضع بعيد عنه وجاءني بطعام فأكلت أنا وهو، فلما فرغنا قال لي يا فقيه هل تعرف هذه الدار؟ قلت نعم، قال فهل عرفت هذا القرد المربوط؟ قلت لا، فقال: هذا الشيخ الذي قطع لسانك وأنا ولده، وكان من أمره أنه نام تلك الليلة بعد أن قطع لسانك فلم يستيقظ إلا وهو يصيح صياح القرود فأسرجنا البيت ورأيناه وإذا به قد صار قرداً فربطناه كما رأيت، وقد تبنا جميعاً عن مذهبه ومعتقده، ونحن نحب الشيخين رضي الله عنهما . قال فعجبت من ذلك وخرجت من عنده ثم رجع الفقيه المذكور إلى اليمن وتوفي فيها في بلدة حصى رحمه الله تعالى ولم يذكر تاريخ وفاته.

(الحكاية السادسة عشرة) قال الإمام اليافعي في كتابه «نشر المحاسن» روى بصحيح الإسناد واشتهر في آفاق البلاد عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى المعروف بابن الزغب اليمني رضي الله تعالى عنه كان يكرر الحج وزيارة النبي ﷺ ماشياً من أقصى اليمن ويمدح النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله تعالى عنهما بقصيدة عند قدومه إلى المدينة الشريفة ينشدها تجاه الضريح الطيب الطاهر، فلما فرغ من بعض زياراته من إنشاد قصيدته في مدحهم جاء بعض الرافضة والتمس منه أن يمشي معه إلى بيته على جهة الإيهام لإرادة الضيافة والإكرام فمشى معه، فلما صار في داره أخرج له عبدين فلزماه حتى قطع لسانه ثم أعطاه إياه وقال له اذهب به إلى اللذين مدحتهما ليرداه لك مكانه فأخذ لسانه بيده وخرج متوجهاً إلى سيد الوجهاء ﷺ وشرف وكرم حتى وقف قريباً من الضريح الشريف تجاه وجه

الوجيه الكريم الرءوف بالمؤمنين الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم فشكا وبكى، فلما كان تلك الليلة رآه ﷺ في النوم وعنده صاحباه رضي الله تعالى عنهما، وقد علاهم من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم قال ﷺ ما شاء الله أن يقول في حق قاطع اللسان المذكور؛ ثم أدنى الشيخ إليه وأخذ لسانه بيده المباركة الكريمة ورده مكانه، فانتبه ووجد لسانه في مكانه صحيحاً فسافر إلى بلاده، ثم عاد للحج وللزيارة فمدح النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله تعالى عنهما على عادته، فلما فرغ من المدح أتاه إنسان وطلب منه أن يذهب معه إلى بيته فذهب معه، فجاء به إلى الدار التي لا ينكر وقال له ادخل فدخل واثقاً بالله سبحانه ومتوكلاً عليه فأكرمه ذلك الإنسان وبالغ في الإكرام، فلما فرغ من أكل الطعام جاء به إلى مكان في داره وإذا فيه قرد، فقال له أتعرف هذا؟ قال لا، فقال هذا الذي قطع لسانك مسخه الله عزّ وجلّ إلى ما ترى، وأنا ولده انتهى كلامه. قال الإمام اليافعي بعده: قلت والدار التي قطع لسانه فيها معروفة بدار القاشاني. رقدت ليلة في دكة بجنبها على قصد الاستخفاء من المعارف والبعد من الأمكنة المطروقة فرأيت على ذلك المكان غبرة ووجدت عنده ذعرة خلاف ما كنت أجد من الأنس وحلاوة الخلوات في المزابل والخرابات وخرج إليّ أهل تلك الدار وفي أيديهم شعل من النار فنظروا في جهي وقالوا نحن سلاطين البلاد، ولا ندع أحد يبيت عندنا حتى نعرفه فأيش أنت؟ قلت أنا فقير أو قلت أنا غريب؛ فقالوا ارقد ما عليك إلا خير، فأبيت أن أبيت هنالك وقمت إلى مكان آخر فبت فيه ثم أعلمت أن تلك الدار هي الدار المذكورة وما كنت أعرف أنها هي ولا أن أحداً يسكنها من أمراء المدينة.

(الحكاية السابعة عشرة) قال الإمام اليافعي في كتابه «نشر المحاسن» أيضاً؛ ثبت بالإسناد أنه جاء جمع من الرافضة بقفتين محيطتين إلى مجلس الشيخ أستاذ الشيوخ الأكابر قطب الأولياء محيي الدين عبد القادر رضي الله تعالى عنه وهو على الكرسي يتكلم على الناس فقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين، فنزل من الكرسي ووضع يده على إحداهما وقال في هذه صبي مقعد وأمر بفتحها ففتحت فإذا فيها صبي مقعد فأمسك بيده وقال له قم فقام بعد وضع يده على الأخرى وقال في هذه صبي لا عاهة به وأمر بفتحها وإذا فيها صبي، فقام يمشي فأمسك بناصيته وقال له اقعد فأقعد فتابوا عن الرفض على يده رضي الله عنه.

(الحكاية الثامنة عشرة) قال الإمام ابن حجر في الزواجر أيضاً: قال بعض الصالحين خرجت أنا وجماعة إلى زيارة قبر علي كرّم الله وجهه، فنزلنا على نقيب من نقباء الأشراف العلويين وكان له خادم يهودي يتولى أمر خدمته داخلاً وخارجاً، وكان قد عرف بيننا وبينه رجل هاشمي صديق لي فأكرمنا ذلك النقيب وأحسن إلينا فقال صديقي الهاشمي: أيها النقيب إن أمورك كلها حسنة قد جمعت الشرف والمروءة والكرم إلا أنا أنكرنا استخدامك لهذا اليهودي مع مخالفته لدينك ودين جدك، فقال النقيب: إني قد اشتريت غلماناً كثيرة وجواري فما رأيت أحداً منهم وافقني وما وجدت فيهم أمانة ونصحاً مثل هذا اليهودي يقوم بأموري كلها ظاهرها وباطنها وفيه الأمانة والكفاية، فقال بعض الجماعة الحاضرين: أيها النقيب فإذا كان بهذه الصفة، فأعرض عليه الإسلام لعل الله أن يهديه بك، فأرسل إليه من دعاه فجاء وقال والله لقد عرفت لماذا دعوتموني، فقال له بعض الجماعة:

أيها اليهودي إن هذا النقيب الذي أنت في خدمته قد عرفت فضله ورياسته وشرفه وهو يحبك ويثني عليك بالأمانة وحسن الرعاية، فقال اليهودي وأنا أيضاً أحبه. قلنا فلم لا تتبعه على دينه وتسلم؟ فقال اليهودي: أيها الجماعة أنا أعتقد أن عزيراً نبي كريم وكذلك موسى عليهما الصلاة والسلام، ولو علمت أن في اليهود من يتهم زوجة نبي ويسب أباها ويسب أصحابه لما تبعت دينهم، فإذا أسلمت أنا فمن أتبع؟ قلنا تتبع هذا النقيب الذي أنت في خدمته، فقال اليهودي ما أرضى هذا لنفسي قلنا ولم؟ قال لأن هذا النقيب يقول في عائشة زوجة نبيه ما يقول ويسب أباها وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فلا أرضى لنفسي أن أتبع دين محمد وأقذف أزواجه وأسب أصحابه، فرأيت ديني الذي أنا عليه خيراً مما هو عليه، فوجم النقيب ساعة ثم عرف صدق اليهودي، فأطرق رأسه إلى الأرض ساعة وقال صدقت مد يدك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وقد تبت إلى الله عما كنت أقول وأعتقده، فقال اليهودي وأنا أيضاً أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن كل دين غير دين الإسلام باطل، فأسلم وحسن إسلامه وتاب النقيب عما كان عليه وحسنت توبته بتوفيق الله عزّ وجلّ وهدايته، وفقنا الله لرمضاته وهدانا لاقتفاء آثار نبيه وسنته ﷺ إنه الجواد الكريم الروءف الرحيم، وإنما أسلم النقيب المذكور لأن سب عائشة رضي الله عنها بالفاحشة كفر إجماعاً لأن فيه تكذيباً للقرآن النازل ببراءتها مما نسبه إليها المنافقون وغيرهم، وكذلك إنكار صحبة أبيها كفر إجماعاً أيضاً لأن فيه تكذيباً للقرآن أيضاً. قال تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] وقد أفتى غير واحد بقتل ساب عائشة رضي الله عنها، ومن ثم قال عبد الله الهمداني: كنت يوماً بحضرة الحسن بن يزيد الداعي بطبرستان، وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويوجه كل سنة إلى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة رضوان الله عليهم، فحضر عنده رجل فذكر عائشة رضي الله عنها بذكر قبيح من الفاحشة، فقال الحسن لغلامه: يا غلام قم فاضرب عنق هذا، فنهض إليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا، فقال معاذ الله هذا رجل طعن على رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون﴾ [النور: ٢٦] فإذا كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فإن زوجها يكون خبيثاً، وحاشاه ﷺ من ذلك، هو الطيب الطاهر، بل هو أطيب الخلق وأكرمهم على الله، وهي الطيبة الطاهرة المبرأة من السب، قم يا غلام فاضرب عنق هذا الكافر، فضرب عنقه.

(الحكاية التاسعة عشرة) حكى الشيخ شرف الدين شعبان القرشي المصري في كتابه «شفاء الأسقام في فضل الصلاة على خير الأنام ﷺ» عن أبي علي القطّان رحمه الله تعالى قال: رأيت في منامي كأني دخلت جامع الشرقية بالكرخ، فرأيت في المسجد النبي ﷺ ومعه رجلان لا أعرفهما فسلمت عليه فلم يرد عليّ السلام، فقلت يا رسول الله أصلي عليك في اليوم والليلة كذا وكذا مرة وأمنع رد السلام، فقال لي رسول الله ﷺ: تصلي عليّ وتسب أصحابي، فقلت: يا رسول الله أنا تائب على يديك، لا عدت إلى مثلها، فقال لي صلوات الله وسلامه عليه: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

(الحكاية العشرون) قال الإمام السمهودي في «خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى ﷺ» نقل

في «الرياض النضرة» للمحب الطبري خبر هارون ابن الشيخ عمر بن الزغب، وهو ثقة صدوق مشهور بالخير والصلاح عن أبيه، وكان من الرجال الكبار قال: قال لي شمس الدين صواب اللمطي شيخ خدام النبي ﷺ، وكان رجلاً صالحاً كثير البر بالفقراء: أخبرك بعجيبة. كان لي صاحب يجلس عند الأمير ويأتيني من خبره بما تمس حاجتي إليه، فبينا أنا ذات يوم إذ جاءني، فقال أمر عظيم حدث اليوم. جاء قوم من أهل حلب وبذلوا للأمير مالاً كثير ليمكنهم من فتح الحجرة الشريفة وإخراج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما منها فأجابهم لذلك فلم ألبث أن جاء رسول الأمير يدعوني فأجبته، فقال: يا صواب يدق عليك الليلة أقوام المسجد فافتح لهم ومكنهم مما أرادوا ولا تعترض عليهم، فقلت سمعاً وطاعة، ولم أزل خلف الحجرة أبكي حتى صليت العشاء وغلقت الأبواب فلم أنشب أن دق عليّ الباب الذي حذاء باب الأمير: أي وهو باب السلام ففتحت الباب فدخل أربعون رجلاً أعدهم واحداً بعد واحد ومعهم المساحي والمكاتل والشموع وآلات الهدم والحفر قال وقصدوا الحجرة الشريفة، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم بجميع ما كان معهم، فاستبطأ الأمير خبرهم فدعاني وقال يا صواب ألم يأتك القوم؟ قلت بلى ولكن اتفق لهم كيت وكيت. قال: انظر ما نقول. قلت هو ذاك وقم فانظر هل ترى لهم أثراً، فقال هذا موضع هذا الحديث وإن ظهر منك كان بقطع رأسك. قال الطبري فحكيتها لمن أثق بحديثه؛ فقال وأنا كنت حاضراً في بعض الأيام عند الشيخ أبي عبد الله القرطبي بالمدينة والشيخ شمس الدين صواب يحكى هذه الحكاية سمعتها من فيه ا هـ. قال: وقد ذكرها مختصرة أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله بن أبي محمد المرجاني في تاريخ المدينة له، وقال سمعتها من والدي: يعني الإمام الجليل أبا عبد الله المرجاني، قال: سمعتها من والدي أبي محمد المرجاني سمعها من خادم الحجرة ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة وذكر نحو ما تقدم، وقد ذكرها أيضاً الإمام الشعراني مختصرة في الباب الثاني عشر من كتابه المنن الكبرى، وزاد نقلاً عن المحب الطبري: أن ناظر الحرم الذي أذن لهم طلع فيه الجذام حتى تقطعت أعضاؤه ومات على أسوإ حال.

قال رحمه الله تعالى: ثم إن جماعة من الروافض الذين كانوا أرسلوا الأربعين رجلاً بلغهم خبر الخسف، فأتوا المدينة متنكرين وعملوا الحيلة على الخادم وأدخلوه داراً لا ساكن فيها وقاطعوا لسانه ومثلوا به، فجاءه النبي ﷺ فمسح عليه وعلى فمه فأصبح وليس به ضرر، ثم عملوا عليه الحيلة ثاني مرة وضربوه وقطعوا لسانه وضربوه ضرباً شديداً. فجاءه النبي ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر، فعملوا معه الحيلة ثالثاً وضربوه وقطعوا لسانه وأغلقوا عليه الباب فجاءه رسول الله ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر ا هـ.

(الحكاية الحادية والعشرون) قال الإمام الغزالي في الإحياء: عن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية، فأدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول: قضى لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية رضي الله عنه على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة. قال شارحه السيد مرتضى: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(الحكاية الثانية والعشرون) قال الحافظ السيوطي في شرح الصدور وذكره في شرح الإحياء أيضاً: أخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: رأيت كأني أدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، قلت لمن هذه؟ قالوا لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل مع معاوية. قلت فأين عمار وأصحابه؟ قالوا أمامك. قلت وقد قتل بعضهم بعضاً. قيل إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة. قلت: فما فعل أهل النهروان يعني الخوارج؟ قال لقوا برحاً.

(الحكاية الثالثة والعشرون) قال الحافظ السيوطي في شرح الصدور وذكره في شرح الإحياء أيضاً عن أبي بكر الصيرفي من تخريج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، قال: مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويرى رأي جهم فأريه رجل في النوم كأنه عريان وعلى رأسه خرقة سوداء وعلى عورته أخرى، فقال ما فعل الله بك؟ قال جعلني مع بكر القس وعون بن الأعسر، وهذان نصرانيان.

(الحكاية الرابعة والعشرون) ونقل في شرح الصدور وشرح الإحياء عن كتاب ابن أبي الدنيا أيضاً عن شيخ قال: مات جار لي وكان ممن يخوض في هذه الأمور فأريته في النوم كأنه أعور، فقلت: يا فلان ما هذا الذي أرى بك؟ قال تنقصت أصحاب محمد ﷺ فنقصني هذا ووضع يده على عينه الذاهبة.

(الحكاية الخامسة والعشرون) وهي أهمها وأكثرها فائدة. قال الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي في طبقات الشافعية الكبرى في ترجمة الإمام حجة الإسلام الغزالي، قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتاب التبيين: سمعت الشيخ الفقيه الإمام أبا القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم أبي هريرة الإسفراييني الصوفي الشافعي بدمشق قال: سمعت الشيخ الإمام الأوحد زين القراء جمال الحرم عامر بن نجا بن عامر الساوي بمكة حرسها الله تعالى يقول: دخلت المسجد الحرام يوم الأحد فيما بين الظهر والعصر الرابع عشر من شوال سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وكان بي نوعاً تكسر ودوران رأس بحيث إني لا أقدر أن أقف أو أجلس لشدة ما بي فكنت أطلب موضعاً أستريح فيه ساعة على جنبي فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامسي عند باب الحزورة مفتوحاً فقصدته ودخلت فيه ووقعت على جنبي الأيمن بحذاء الكعبة المشرفة مفترشاً يدي تحت خدي لكيلا يأخذني النوم فتنقض طهارتي فإذا رجل من أهل البدع معروف بها جاء ونشر مصلاه على باب ذلك البيت وأخرج لويحاً من جيبه أظنه كان الحجر وعليه كتابة فقبله ووضعه بين يديه وصلى صلاة طويلة مرسلاً يديه فيها على عادتهم وكان يسجد على ذلك اللوح في كل مرة، وإذا فرغ من صلاته سجد عليه وأطال فيه وكان يمعك خده من الجانبين عليه ويتضرع في الدعاء ثم رفع رأسه وقبله ووضعه على عينيه ثم قبله ثانياً وأدخله في جيبه كما كان.

قال: فلما رأيت ذلك كرهته واستوحشت ذلك، وقلت في نفسي لئن رسول الله ﷺ حياً فيما بيننا لنخبرنه بسوء صنيعهم وما هم عليه من البدع، ومع هذا التفكر كنت أطرد النوم عن نفسي كي لا يأخذني فيفسد طهارتي، فبينما أنا كذلك إذ طرأ عليّ النعاس وغلبني فكأني بين اليقظة والمنام فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون واقفون وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد قد تحلقوا كلهم على

شخص فسألت الناس عن حالهم وعمن في الحلقة؟ قالوا هو رسول الله ﷺ، وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم رسول الله ﷺ ويصححوها عليه.

قال: فبينا أنا كذلك أنظر إلى القوم إذ جاء واحد من أهل الحلقة وبيده كتاب قيل إن هذا هو الشافعي رضي الله عنه فدخل في وسط الحلقة وسلم على رسول الله ﷺ قال: فرأيت رسول الله ﷺ في جماله وكماله لابساً الثياب البيض المغسولة النظيفة من العمامة والقميص وسائر الثياب على زي أهل التصوف فرد عليه الجواب ورحب به وقرأ الشافعي بين يديه من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه ﷺ. وبعد ذلك جاء شخص آخر قيل هو أبو حنيفة رضي الله عنه وبيده كتاب فسلم وقعد بجنب الشافعي وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه ﷺ. ثم أتى بعده كل صاحب مذهب إلى أن لم يبق إلا القليل وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر، فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة فيها ذكر عقائدهم الباطلة وهمّ أن يدخل الحلقة ويقرأها على رسول الله ﷺ فخرج واحد ممن كان مع رسول الله ﷺ إليه وزجره وأخذ الكراريس من يده ورمى بها إلى خارج الحلقة وطرده وأهانه.

قال: فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئاً تقدمت قليلاً وكان في يدي كتاب مجلد فناديت وقلت يا رسول الله هذا الكتاب معتقدي ومعتقد أهل السنّة لو أذنت لي حتى أقرأه عليك، فقال رسول الله ﷺ وإيش ذاك؟ قلت: يا رسول الله قواعد العقائد الذي صنفه الغزالي، فأذن لي في القراءة فقعدت وابتدأت: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب قواعد العقائد، وفيه أربعة فصول: **الفصل الأول**: في ترجمة عقيدة أهل السنّة وكلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام، فنقول وبالله التوفيق: الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافاته التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

(التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله مجود، ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش والسما وفوق

كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسما كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسما كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان، وأنه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته، وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال؛ وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإتماماً للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

(الحياة والقدرة) وأنه تعالى حيّ قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنّة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت، له السلطان والقهر والخلق والأمر، والسموات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم؛ لا يشد عن قبضته مقدور، ولا يعرف عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته.

(العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجري في تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذرّ في جوّ الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.

(الإرادة) وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات، فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك؛ وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته، لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في أقواتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

(السمع والبصر) وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئيّ وإن دق، ولا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير أصمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق

بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق.

(الكلام) وأنه تعالى متكلم آمر ناهٍ واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام، وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض، وإذا كان له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات.

(الأفعال) وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها؛ وأنه حكم في أفعاله عادل في أقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره، ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً، فكل ما سواه من إنس وجن وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وأنشأه بعد أن لم يكن شيئاً إذ كأن في الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره، فأحدث الخلق بعد إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته، وحق في الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته، وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، له الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن قبيحاً ولا ظلماً، وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم إذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق، وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به.

(معنى الكلمة الثانية) هي رسالة الرسول ﷺ، وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس. قال فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والبشرى في وجهه ﷺ إذ انتهيت إلى نعته وصفته، فالتفت إليّ وقال: أين الغزالي؟ فإذا بالغزالي كأنه واقف على الحلقة بين يديه. فقال ها أنا ذا يا رسول الله، وتقدم وسلم على رسول الله ﷺ، فرد عليه الجواب وناوله يده العزيزة والغزالي يقبل يده ويضع خديه عليها تبركاً به وبيده العزيزة المباركة ثم قعد. قال فما رأيت رسول الله ﷺ أكثر استبشاراً بقراءة أحد مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد. ثم انتبهت من النوم وعلى عيني أثر الدمع مما رأيت من تلك الأحوال والمشاهدات والكرامات فإنها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى، سيما في آخر الزمان مع كثرة الأهواء. فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على عقيدة أهل الحق ويحيينا عليها ويميتنا عليها ويحشرنا معهم ومع الأنبياء والمرسلين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» فإنه بالفضل جدير وعلى ما يشاء قدير.

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الإسفرائيني: هذا معنى ما حكى لي أبو الفتح الساوي: أنه رآه في المنام لأنه حكى لي بالفارسية وترجمته أنا بالعربية.

قال الإمام تاج الدين السبكي: وتتمة الفصل الأول من فصول قواعد العقائد الذي يتم الاعتقاد به ولم يتفق قراءته إياه على رسول الله ﷺ، ومن المصلحة إثباته ليكون الاعتقاد تاماً في نفسه غير ناقص لمن أراد تحصيله وحفظه بعد قوله: وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشرعه الشرائع إلا ما قرر، وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهي قوله، لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول، وهي محمد رسول الله، فألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به من الدنيا والآخرة، وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يوقن بما أخبر عنه بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير، وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سوياً ذا روح وجسد، فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة للقبر بعد الموت، وأن يؤمن بعذاب القبر، وأنه حق وحكمة عدل على الجسم والروح على ما يشاء، ويوقن بالميزان ذي الكفتين واللسان، وصفته في العظم أنه مثل طباق السموات والأرضين توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذٍ مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لتمام العدل، وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله تعالى، وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى. وأن يؤمن بأن الصراط حق، وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى فيهوى بهم إلى النار، وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون إلى دار القرار، وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً؛ عرضه السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر، ويؤمن بيوم الحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون، فيسأل من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة. ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، ويسأل المبتدعين عن السنّة، ويسأل المسلمين عن الأعمال ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى، ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين، كل على حسب جاهه ومنزلته، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله تعالى، ولا يخلد في النار مؤمن. بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، وأن يحسن الظن بجميع الصحابة، وأن يثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ وعليهم أجمعين، فكل ذلك مما وردت به السنّة وشهدت به الآثار، فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به كان من أهل الحق وعصابة السنّة وفارق رهط الضلال والبدعة فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(الحكاية السادسة والعشرون) رؤيا رآها مؤلف هذا الكتاب الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه، وذلك أني لما شرعت في تأليف هذا الكتاب، وكتبت منه جملة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ذكرت فيها ميلي لأفضلية عليّ على عثمان رضي الله عنهما قبل خلافة عثمان لما ورد في حق علي من كثرة الفضائل الذاتية التي تفوق فضائل عثمان مع كثرتها أيضاً، وذلك بحسب ما ظهر لذهني القاصر، فلما تقدمت خلافة عثمان فضل علياً بذلك لما ترتب عليها من الفتوحات العظيمة والأمور المهمة واتساع نطاق الإسلام ثم في صباح اليوم السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٣٢٠ وهو عام تأليف هذا الكتاب قرأت في كتاب «الصواعق» للإمام ابن حجر فضائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فتشوش فكري من جهة ميلي لتفضيل عليّ على عثمان ولو قبل الخلافة لأنه خلاف مذهب أهل السنة، فقد اتفق جمهورهم على تفضيل عثمان على الإطلاق ولم يقيدوا ذلك لا قبل الخلافة ولا بعدها، وكنت محتاجاً إلى النوم فذهبت لأنام وأنا في هذه الحالة من تشويش الفكر فلما جلست في الفراش قبل أن أضطجع خطر لي التوجه إلى الله تعالى وإلى النبي ﷺ في أن أرى في منامي ما يوضح لي مسئلة التفضيل بين عثمان وعلي ونمت فرأيت في منامي ذلك كأنه قد تعين أربعة أشخاص لأن يولوا واحداً منهما رضي الله عنهما الخلافة وهؤلاء الأشخاص الأربعة هم ممن أعرفهم في هذا الزمان فسعيت عندهم بجد واجتهاد في أن يولوا عثمان وأنا جازم بأنه أحق من علي بالخلافة ولم يخطر في بالي وأنا في المنام أدنى تردد في ذلك، فوعدني بتعيين عثمان منهم اثنان بيني وبينهما مودة فاطمأن قلبي لصدقهما وتوجهت إلى رجل ثالث منهم فاختليت به وذكرت له حاجتي في لزوم تقديم عثمان فوعدني بذلك، ولما كانت معرفتي معه قليلة لم أثق بوعده تمام الوثوق، فصرت أكرر عليه الكلام وهو يكرر عليّ الوعد حتى وثقت بوعده وكان مرادي السعي إلى الرجل الرابع لأطلب منه ذلك، فانتبهت من النوم قبل اجتماعي به، والله على ما أقول وكيل، فظهر من هذه الرؤيا أن ترددي في تقديم عثمان على علي في الفضل ولو قبل الخلافة هو بغير محله بالكلية، كيف وقد اتفق على تفضيله جمهور أهل السنّة من الأمة المحمدية، وقد سرتني والله هذه الرؤيا كثيراً لدلالتها والحمد لله تعالى على عناية الله ورسوله بي حتى لا يبقى في قلبي أثر لمخالفة جمهور السلف والخلف من الصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(الحكاية السابعة والعشرون) يقول جامع هذا الكتاب: ورأيت سيدنا علياً رضي الله عنه في منامي نهاراً في اليوم الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٩ في بيروت رأيته أسمر اللون ربعة من الرجال. وقد ذكر في مجلسه الشريف أمر الحكمين، فقال رضي الله عنه ما معناه: متى قدر الله أمر الحكمين على الوجه الذي حكما به؟ ففهمت مراده، فقلت قبل أن يخلق آدم ومعاوية ثم انتبهت، والله أعلم.

قال مؤلفه عفا الله عنه: وإلى هنا انتهى الكلام على فضل الصحابة الكرام وما يتعلق بهم من المناقب والأحكام الواردة عن الله ورسوله والأئمة الأعلام في اليقظة والمنام. وقد رأيت أن ألحق بها عدة مبشرات وقعت لي ولبعض علائقي بعد المبشرات التي ذكرتها في «سعادة الدارين» و «مقدمة المجموعة النبهانية في المدائح النبوية» وهي والحمد لله من أجل النعم التي حصلت لنا ببركة خدمة نبيه الأكرم وحبيبه الأعظم سيدنا محمد ﷺ. وهي أني رأيته ﷺ في منامي سحر ليلة الاثنين الثالث

من جمادى الأولى سنة ١٣٢١ هـ وكأني جالس في مجلسه الشريف وأني من جماعته، فجاء ناس يسألونه عن أمورهم وهو يجيبهم ﷺ. فأجاب واحداً منهم عن مطلوبه. ثم أراد أن يجيب الثاني، وهو يريد أن يسأل النبي ﷺ عن الشحاذة: أي سؤال الناس لأنه هو شحاذ وكان جالساً في جانبي، فاستفهم ﷺ منه عن مسألته أهي عن الشحاذة؟ فقال له الرجل نعم فقبل أن يجيبه مد يده الشريفة ﷺ إلى حصير كان جالساً عليها فقطع منها خيطاً، وفهمت أنا مراده من ذلك فهماً يقينياً كأني كان لي علم بذلك، وهو أن مراده من قطع الخيط أن يعد عليه عيوب الشحاذة ويعقد عند ذكر كل عيب عقدة لكثرتها ولعلمي بذلك أردت أن أبين للرجل مراد رسول الله ﷺ من ذلك الخيط حين اشتغل بقطعه عن جواب السؤال ثم لم أبين له ذلك تأدباً مع رسول الله ﷺ. وقبل أن يشرح له عليه الصلاة والسلام تلك العيوب انتبهت من النوم وكان قد مضى لي نحو ثلاث سنوات ما رأيته فيها ﷺ لكثرة ذنوبي وعيوبي؛ وفي هذه الليلة التي رأيت فيها هذه الرؤيا أكثرت من قراءة صيغة الصلاة الجامعة التي ألهمني الله إياها قبل ذلك المذكورة في صلوات المعجزات في القسم الأول من صلوات الثناء وفي آخر جامع الصلوات، وهي هذه: عليك يا رسول الله من صلوات الله وتسليماته وتحياته وبركاته في كل لحظة ما يماثل فضلك العظيم ويعادل قدرك الفخيم ويجمع لك فضائل جميع أنواع الصلوات والبركات والتسليم، وكانت بلفظ أنواع الصلاة والتسليم فزدت البركات لرؤيا بنتي فاطمة المذكورة في مقدمة المجموعة النبهانية التي قال لها فيها رسول الله ﷺ قولي لأبيك. بركتي ما هي سنّة بركتي فرض لكن فرض خفيف، فصرت بعدها أحرص على ذكر البركة في الصلاة عليه ﷺ.

وقد نقل الحافظ السخاوي في القول البديع ونقلته عنه في سعادة الدارين أن الإمام بن حزم قال بفرضية البركة في العمر ولو مرة. ثم رأيت في منامي في أحد الربيعين من هذه السنة سنة ١٣٢٢ أني جالس في المسجد النبوي مستقبلاً حجرته الشريفة ﷺ ناظراً إليها وأنا أنشد هذا البيت وأكرره، وهو قول الإمام الأبوصيري في بردة المديح:

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأسد في آجامها تجم

وبعد هذا المنام صممت على طبع كتابي «نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه إخوان الشياطين» بعد أن كنت متردداً في طبعه خوفاً من وقوع محاذير، فبعد هذا المنام جزمت بطبعه وسهل الله أسبابه فأرسله إلى مصر فطبع فيها ولم يحصل شيء من الموانع، والحمد لله رب العالمين.

وقد رأت بنتي فاطمة النبي ﷺ في المنام ليلة الخميس سابع رجب سنة ١٣٢٠ فقبلت قدميه الشريفين مراراً والتفت إليها إلتفات مسرة وأجلسها معه على تخت كان جالساً عليه، والحمد لله على ذلك، وهذه رؤياها الثالثة للنبي ﷺ.

ورأته ﷺ أمها زوجتي صفية في نومها ليلة الجمعة الخامس من شهر محرم الحرام سنة ١٣٢١ وعلى رأسه الشريفة طربوش أبيض والنور ينتشر منه، وهناك رجل ينادي: هذا رسول الله ﷺ ولها

مرائي أخرى ذكرتها في «سعادة الدارين» و «مقدمة المجموعة النبهانية» ومن المبشرات التي سرتني أني رأيت في منامي ليلة الثانية والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٠ كأني رأيت في المنام أيضاً الإمام شرف الدين الأبوصيري قد حضر إلى بيروت لأجل أن يصحح طبع قصيدته البردة، ثم بسبب اعتماده عليّ ووثوقه بي ترك ذلك وتوجه إلى بلده إلى الإسكندرية وقصصت في منامي هذه الرؤيا على جماعة وأقسمت لهم عليها بقولي: والله الذي لا إله إلا هو الذي على العرش استوى. إني رأيت في منامي الإمام الأبوصيري قد حضر لإصلاح طبع قصيدته البردة ثم ذهب من دون أن يفعل ذلك لاعتماده عليّ ووثوقه بي واستيقظت، وكنت في تلك الأيام مشغولاً بطبع المجموعة النبهانية التي من جملتها جميع قصائد الإمام الأبوصيري التي لم تجتمع في كتاب غيرها، ومنها بردة المديح المذكورة.

تكميل في الكلام على الرؤيا شرعاً

اعلم أن للمرائي المنامية اعتباراً عظيماً في نظر الشرع الشريف خلافاً لمن زعم خلاف ذلك من الجهال وأصحاب البدع والضلال، كيف وقد ورد اعتبار الرؤيا والاهتمام بشأنها في الكتاب والسنّة كثيراً. فمما ورد في الكتاب قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ [الفتح: ٢٧] الآية، ومن ذلك رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ [يوسف: ٤] ومن ذلك رؤيا صاحبي السجن معه عليه السلام، ورؤيا ملكهم السبع بقرات الآية، وقوله تعالى: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ [يوسف: ١٠٠] ومن ذلك قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ [الصافات: ١٠٢] الآية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ [يونس: ٦٤] قال الإمام العيني في شرح البخاري في باب المبشرات من كتاب التعبير: وقد ورد في قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ هي الرؤيا الصالحة أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه اهـ.

ومما ورد في السنّة ما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»**. وقال القسطلاني في المواهب: ورؤيا الأنبياء وحي، بخلاف غيرهم. ومما قاله العلماء في معناه واقتصر عليه سيدي عبد الوهاب الشعراني في «اليواقيت والجواهر» أن الله تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتها إلى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً، لأنه ﷺ عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح، وفي حديث أم كرز الكعبية رضي الله عنها عند أحمد، وصححه ابن خزيمة وابن حبان عن النبي ﷺ قال: **«ذهبت النبوة وبقيت المبشرات»** وعند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً **«لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا»**. وفي حديث ابن عباس عند مسلم وأبي داود أنه عليه الصلاة والسلام كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: **«يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات**

النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» ورواه الترمذي بلفظ «في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن» وروى مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الرؤيا الصالحة من الله ورؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا فكره منها شيئاً فلينفث عن يساره ويتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها أحداً، فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها إلا من يحب» وورد في ذلك أحاديث كثيرة لا حاجة إلى استقصائها هنا، ومن أرادها فليراجعها في كتب الحديث. قال الإمام القسطلاني في المواهب: واعلم أن جميع المرائي تنحصر في قسمين: أضغاث أحلام وهي لا تنذر بشيء، وهي أنواع: الأول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي، كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه، أو يرى أنه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك. روى مسلم عن جابر قال: «جاء أعرابي فقال يا رسول الله إني حلمت أن رأسي قطع وأنا أتبعه فزجره النبي ﷺ وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام». الثاني أن يرى بعض الملائكة يأمره أن يفعل المحرمات ونحوه من المحالات. الثالث ما يحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام، وكذا رؤية ما جرت به عادته في اليقظة أو يغلب على مزاجه من أضغاث الأحلام.

القسم الثاني: الرؤيا الصادقة، وهي رؤيا الأنبياء من تبعهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم بندور، وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم كرؤياه ﷺ أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين. وقد وقع له ﷺ من الرؤيا الصادقة التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد، قالت عائشة: «أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» رواه البخاري. قال رحمه الله تعالى: واعلم أن الناس في الرؤيا على ثلاث درجات: الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير، والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير، ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق، والأضغاث، وهم ثلاثة أقسام: مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم. وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث، ويقل فيها الصدق، وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جداً، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: «وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً» وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه الصلاة والسلام، ورؤيا ملكهم سبع بقرات وغير ذلك. انتهى كلام القسطلاني في المواهب.

ما ورد في حق الكذب في الرؤيا

روى البخاري في ذلك حديثين: الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل» وفي رواية أبي هريرة «من كذب في رؤياه» والحديث الثاني رواه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تر». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وأما الكذب في المنام فقال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه إذ قد تكون شهادة في قتل واحد أو أخذ

مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ [هود: ١٨] الآية وإنما كان الكذب في المنام كذبا على الله الحديث «الرؤيا جزء من النبوة» وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى انتهى. وقال في «الفتح» أيضاً: أفرى أفعل تفضيل: أي أعظم الكذبات، والفرى بكسر الفاء والقصر جمع فرية. قال ابن بطال: الفرية الكذبة العظيمة التي يتعجب منها، انتهى ما قاله الحافظ ابن حجر. ولا يخفى أن الكذب في المنام في الأمور المتعلقة في الدين ولا سيما في رؤيا سيد المرسلين ﷺ هو أشد إثماً وأعظم ضرراً من الكذب في المنام بغير ذلك من الأمور الدنيوية مع شدة إثمه فيها أيضاً لما ورد في الأحاديث السابقة، ويستدل بذلك بالحديث الصحيح المتواتر الذي رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وفي الصحيح أيضاً قوله ﷺ: «إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال الجلال البلقيني كما في الزواجر: جاء الوعيد في أحاديث كثيرة بأن من كذب عليه ﷺ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. قال ابن حجر: وقال العلماء إنها بلغت حد التواتر. البزار رواه مرفوعاً نحو من أربعين صحابياً. وقال ابن الصلاح إنه حديث بلغ حد التواتر رواه الجم الكثير من الصحابة. قيل إنهم يبلغون ثمانين صحابياً ومنهم العشرة المبشرون بالجنة، انتهى باختصار. وهذا الحديث وإن ورد في منع الكذب في رواية الأحاديث عنه ﷺ يقظة إلا أنه لا يمتنع شموله الكذب عليه ﷺ في المنام فإنه من جملة الكذب عليه ﷺ فيضاعف فيه الإثم من وجهين: ومن وجه الكذب في الرؤيا وهو شديد الحرمة في ذاته. ومن وجه الكذب على النبي ﷺ وهو أشد وأشد والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين[الصافات: ١٨٠] والحمد لله رب العالمين) آمين.

تم كتاب «الأساليب البديعة» والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهـــرس

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ

فهرس الأساليب البديعة

في فضل الصحابة وإقناع الشيعة للعلامة النبهاني رحمه الله تعالى

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق

ISBN 978-2-7451-5761-4
90000
9 782745 157614
Designed & Printed by Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
دار الكتب العلمية®
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971



هاتف 12 / 11 / 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com